

حفريات في سوسولوجيا النخب الوزارية الجزائرية

ناصر جاي

حفريات في سوسولوجيا النخب الوزارية الجزائرية

منشورات الشهاب

© منشورات الشهاب، 2025.

الهاتف: 0555 99 15 67 / الفاكس: 023 84 72 04

www.chihab.com / fb : Chihab éditions

ردمك : 3-747-39-9947-978

الإيداع القانوني : ماي 2025.

تقديم عام وبعض قضايا المنهج

موضوع الكتاب

يتطرق الكتاب الموجود بين يدي القارئ، إلى موضوع النخب السياسية في الجزائر من خلال النخب الوزارية تحديدا، بما فيهم الوزراء والوزيرات ورؤساء الحكومات الذين وصلوا إلى عضوية الحكومات الجزائرية المتعاقبة بعد استقلال البلاد في 1962. دراسة اهتمت بالتعرف بشكل تفصيلي على الأصول الاجتماعية والثقافية لهذا الجزء من النخبة السياسية في الجزائر وشروط إنتاجها التاريخية، للإجابة عن هذا السؤال المحوري : ما هي القوى الاجتماعية التي أوصلت أبناءها إلى هذه المسؤوليات في الجزائر المستقلة ؟ في حالة وطنية عرفت استعمارا استيطانيا طويلا بالكثير من الانكسارات العنيفة بدءا من محطة دخول القوات الفرنسية للجزائر في 1830، مرورا بالانتفاضات الشعبية، وصولا إلى مرحلة الحركة الوطنية لغاية ثورة التحرير والاستقلال لاحقا. لعل هذه المعرفة لهذا الجزء من النخب السياسية تساعدنا في تحديد سوسيولوجيا الدولة في الجزائر ولو بشكل جزئي، دون مبالغة في منح هذا الجزء من النخبة السياسية أهمية قد لا تملكها فعلا في صناعة القرار داخل النظام السياسي الجزائري المعروف بتوليافته الخاصة بين المستوى المدني والعسكري، يسيطر فيها هذا الأخير عندما يتعلق بالقرارات الاستراتيجية التي يترك للجانب المدني الترويج والدفاع عنها داخل وخارج المؤسسات التي يسيرها، كما هو حال الهيئة التنفيذية.

محتويات الكتاب

1 - قسمنا هذا الكتاب إلى أربعة أجزاء رئيسية : يتعلق الجزء الأول فيه بمحاولة التعرف على المنحدرات السوسيو-ثقافية للوزير الجزائري بالحفر في تاريخ المجتمع الجزائري عند لحظة إنتاجه للفئات التي كانت وراء فرز الوزير الجزائري، وهو ما جعلنا نسمي هذا القسم الأول من الدراسة بحفريات في سوسيولوجيا النخبة الوزارية، ركزنا فيه على المدى البعيد ونحن نحاول التعرف بالتدقيق، من خلال تتبع الحالات الفردية، على القوى الاجتماعية التي أنتجت للجزائر وزيرها لفترة ما بعد الاستقلال. فضلنا الانطلاق

فيها من مرحلة الجدين (من الأب والأم) مروراً بجيل الأب، للوصول أخيراً لجيل الوزير(ة) ذاته، للتعرف على الخلفية المهنية والمستويات التعليمية واستراتيجية المصاهرات المتبعة التي ميزت عائلة الوزير بدءاً من جيل الجدين والأب والوزير ذاته داخل الوسط الجغرافي ببعده الجهوي وتقسيماته المعروفة في الحالة الجزائرية، والذي عاش فيه وتنقل إليه... بما يحيلنا له من حراك جغرافي عاشته هذه العائلات وهي تنتقل من الريف إلى المدينة كاتجاه ثقيل عاشه كل المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة التي درسنا فيها هذه الفئات إلى غاية استقلال البلاد ونحن نتطرق إلى جيل الأب تحديداً الذي دشّن هذا الانتقال من الريف نحو المدينة في العقود الأولى من القرن العشرين.

حاولنا الإجابة من خلال هذا القسم، على هذا السؤال الذي احتل مكانة مركزية في الدراسة : هل تفسر الأصول الاجتماعية المختلفة، المواقع السياسية التي وصل إليها أبناء هذه العائلات داخل الحكومات المختلفة بالتوقيت الذي وصلت فيه ؟ سواء أُنْغلق الأمر بالقوى الريفية أو المدنية، بكل ما ميز الريف والمدينة في الجزائر من تحولات متفاوتة العمق وهما تحت سيطرة استعمارية استيطانية، حولتهما إلى فضاءات للتفكير والتهجير والموت بداية من المرحلة الأولى للاستعمار، زاد فيها منسوب العنف ومصادرة الأراضي. مرحلة تميزت بصراع كبير ودموي في جزء كبير منه على الملكية العقارية بين الجزائريين والنظام الاستعماري على هذه الثروة الجماعية الأساسية لدى الجزائريين كقبائل وعروش وعائلات. صراع كان في حقيقة أمره بين نظام استعماري في حالة صعود داخل المركز الرأسمالي العالمي ومنظومة تقليدية تعيش حالة تفكك وانحلال، ليس في الريف فقط، بل في المدينة كذلك كما تعبر عنها حالة الحرف والصناعات التقليدية والنسجية التي حافظت في بعض المدن على بعض الاستمرارية، دون التمكن من الارتباط المتين مع النظام الرأسمالي لا ك مجال إنتاج ولا توزيع، ساهمت رغم ذلك من خلال بعض عائلاتهما في إنتاج النخبة الوزارية، كما كان الحال مع العائلات التلمسانية الحاضرة في قطاع النسيج.

لنحاول التعرف خلال هذا القسم على القوى الاجتماعية التي كانت وراء عملية إنتاج النخبة السياسية مثل الفئات الوسطى الحضرية المالكة التي تضم التجار والحرفيين والمقاولين الصغار، والأجيرة مثل البيروقراطية الناشئة بما يميزها في الحالة الجزائرية من ضعف حضور داخل الفضاء الحضري الجزائري بالطابع الكولونيالي الذي عرف به، بقيت آثاره تفسر الكثير من الظواهر إلى غاية فترة ما بعد الاستقلال على شكل ثنائية في العمران والديموغرافيا واللغة والسلوك¹ بما يحيل إليه من ثقافة تميز الأفراد والجماعات... زيادة على تلك القوى الريفية التي عرفت كيف تحافظ على تواجدتها في الريف الجزائري، بل وتوسع من ملكيتها في

1. Guerid Djamel, *L'exception algérienne la modernisation à l'épreuve de la société*, Casbah Éditions, Alger, 2010.

أحيان كثيرة، اعتمادا على استراتيجيات استعملت فيها قربها الوظيفي من الحالة الاستعمارية، وهيمنتها السياسية والثقافية داخل عالم الريف، كما هو حال القوى المالكة الكبرى والمتوسطة، وهي تستعمل يسرها الاقتصادي والمالي كرابط بعالم الريف الفقير الذي مثلته بشتى الأشكال وعبر العديد من المؤسسات لدى الإدارة الفرنسية.

دون إهمال للفئات المالكة الصغيرة، الحاضرة ديموغرافيا وثقافيا بقوة داخل الريف الجزائري التي تمكنت من الحفاظ على وجودها، رغم عمليات التفجير التي تعرضت لها نتيجة نزع وتفكيك الملكية التي انطلقت فيها الظاهرة الاستعمارية الاستيطانية منذ بداية احتلالها للجزائر في 1830... ناهيك عن آثار النمو الديموغرافي الذي ميز هذه الفئات، الذي ساعد أكثر على تفكيك ملكيتها الصغيرة وإفقار أكثر لها... لنكون أمام نفس البانوراما الاجتماعية التي قدمناها للفئات الاجتماعية التي كانت وراء إنتاج النخبة الوزارية في المدينة مثل أبناء المهن الحرفية والتجار والمعلمين بمختلف أصنافهم وكل أبناء البيروقراطية الجديدة التي ظهرت بعد انتشار التعليم وتوسع الظاهرة الاستعمارية، بعد قرارها بالاستقرار النهائي في الجزائر، برز بشكل سافر بمناسبة احتفال الاستعمار بمرور قرن على وجوده في الجزائر (1830-1930) كما بينا ذلك ونحن نتكلم عما سميناه بأبناء القطار وحراس الغابات والقياد وغيرهم من الفئات التي استعملها الاستعمار في تسيير البلد. زيادة على الفئات التقليدية المعروفة كالمعلمين بمختلف أصنافهم ومجال نشاطهم وهو يتوسع ويتنوع في لغاته وهياكله.

تقديم قمنا به من خلال حالات فردية عديدة لوزراء ممثلين لهذه الفئات الاجتماعية الحاضرة في الريف والمدينة من مختلف مناطق البلاد، بدءا من جيل الجدّين وصولا إلى جيل الأبناء... لنتعرف أكثر عن مكامن القطيعة والاستمرارية في عملية الإنتاج النخبوي هذه وكيف تطورت مع الوقت ونحن ننظر إليها من زاوية جيلية، بكل الأهمية التي تملكها في الحالة الجزائرية، ضمن حالة استعمارية استيطانية أنتجت اقتصادا مشوها، استمر مع الوقت وهو ينطلق من مرحلة الجد إلى الأب وأخيرا الوزير نفسه الذي حاولنا التعرف على تأثيراته على سلوكه السياسي وهو يتجه إلى اتخاذ مواقف نقدية جذرية، عبر عنها بالالتحاق بالأحزاب السياسية الاستقلالية وبجيش التحرير، حتى عندما يكون من وسط ميسور، نتيجة إحساسه كأول جيل متعلم، في تاريخ العائلة بالإقصاء الذي تعرض له وسطه الاجتماعي ضمن الحالة الكولونيالية، في اقتصاد كان في خدمة الأوروبيين على حساب هذه الأوساط الجزائرية الميسورة التي أقصاها هذا النوع من الاقتصاد الكولونيالي من الخدمات المالية والتجارية المختلفة، كما بينت ذلك العديد من الدراسات التي اهتمت بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي للجزائر.²

2. عبد اللطيف بن أشنهو، تكوّن التخلف في الجزائر، محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر. 1830-1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

عائلات كانت قد عاشت على مستوى جيل الجد وما قبله، كما تبين من خلال الكثير من الحالات، نتائج الانتفاضات الشعبية وهي تقاوم الاستعمار الفرنسي في مختلف مناطق البلاد، منها نزع الملكية الفلاحية والإفقار، كالكثير من الأوساط الريفية الميسورة، وارتبطت بالتهجير في بعض الحالات... تكلمت عنها الكثير من المراجع كما كان الحال مع د. جيلالي ساري في أكثر من مؤلف³. مقابل فئات أخرى تحسن وضعها الاجتماعي خلال نفس المرحلة أو بعدها... لنلاحظ كيف انتقل مركز إنتاج النخبة الوزارية من الريف نحو المدينة كاتجاه عام تتبعنا مساره من خلال الوسط العائلي للوزير(ة) الجزائري الذي فقد كاتجاه عام استقلاليته الاقتصادية وتحسن مستواه التعليمي.

متابعة لهذه الحالات الفردية من مختلف الأصول الاجتماعية سمحت لنا بربطها ببعض المستويات السياسية التي كانت في صلب إشكالتنا، حاولنا أن نفسر من خلالها تاريخ وصول أبناء بعض المسارات العائلية إلى مواقع وزارية محددة، كما كان الحال مع وزارتي التربية والثقافة على سبيل المثال. نفس الشيء الذي قمنا به ونحن نتطرق إلى الأدوار الخاصة التي أنجزها على المستوى السياسي، أبناء بعض العائلات الفقيرة من أصحاب الملكيات الصغيرة الذين وصلوا إلى مواقع التأثير والسيطرة، كما عبرت عنها حالة العقيد بومدين الذي تبنى بعض أبناء العائلات الغنية بما فيهم أبناء العائلات المرتبطة بالدولة الاستعمارية التي تخطاها للتركيز على البعد الشخصي. علاقات تم بناؤها خلال محطات سياسية محددة، كما كان الحال مع الحدود التونسية والمغربية التي نشأت على ترابها علاقات بين أبناء أوساط مختلفة كان لها التأثير الكبير على صنع القرار السياسي في الجزائر المستقلة كما تبينه حالة مجموعة وجدة التي اعتمدت تنظيميا على قيادة الأركان لجيش التحرير⁴.

أخيرا اهتمنا في نهاية هذا القسم من الدراسة بالتقييم الذي يقوم به الوزراء أنفسهم لمسارات عائلاتهم الاقتصادية والاجتماعية من خلال مؤشرات ومحطات تاريخية تركنا لهم الحرية في اختيارها، بكل ما ميز هذه المسارات في الحالة الجزائرية من تقلبات وانكسارات حاولنا ضمن هذا القسم الأول من الدراسة التعرف على تقييم الأبناء الوزراء لها وهم في حالة نجاح بعد وصولهم لعضوية الحكومة.

3. من بينها يمكن أن نذكر :

Djilali Sari, *La dépossession des fellahs*, Éditions Enag, Alger, 2012.

Le désastre démographique, Éditions Sned, Alger, 1982.

L'insurrection de 1881-82 épopée de cheikh bouamama, Éditions Enag, Alger.

4. Mohammed Harbi, *Le FLN mirage et réalité. Des origines à la prise du pouvoir 1945-62*, Éd. Naqd-Enal, Alger, 1993, p. 237-268.

2 - ارتأينا أن نخصص القسم الثاني من هذا الكتاب للتعرف على انتشار التعليم بين هذه الفئات المنتجة للوزير(ة) بعد التأكد من الدور الحاسم للمدرسة كوسيلة فرز اجتماعي في مجتمع عانى طويلا من الحرمان في هذا المضمار، تم تحطيم مؤسساته التعليمية التقليدية بعد الاحتلال، دون أن تعوضها المدرسة الفرنسية التي استمرت لوقت طويل في بث انتقائي للتعليم، اعتمد على عاملي القرب الجغرافي والاجتماعي؛ فكان أن استفاد منها أكثر أبناء المدن الكبرى والمتوسطة الذين كانوا يعيشون في فضاءات مشتركة مع الفرنسيين بالقرب من المدرسة حتى وإن كانوا محرومين اقتصاديا، بالإضافة إلى الفئات الميسورة حتى وإن كانت ريفية... إذا استثنينا حالة منطقة القبائل الريفية الفقيرة التي استفادت من التعليم الفرنسي لأسباب متعلقة بالاستراتيجية التي طورها الاستعمار الفرنسي إزاء هذه الجهة من التراب الوطني... كما تبينه حالة مدرسة بوزريعة التي تميزت بحضور متميز من قبل أبناء منطقة القبائل أكدته عدة دراسات مذكورة في مراجع الدراسة.

لنكون أمام فرز اجتماعي كان وراءه انتشار التعليم في الجزائر بشكله غير المتجانس، بالثنائية المعروفة عنه تاريخيا، والذي تميز بتواجد نظام تعليم تقليدي باللغة العربية بمحتوى ديني واضح بموازاة المدرسة الفرنسية الجديدة ذات المنحى العلماني المشوه، وجدت نوعا من المقاطعة في بداية ظهورها من قبل فئات اجتماعية متنوعة. مقاطعة تبددت مع الوقت لتتقلب إلى طلب اجتماعي واسع لم تنجح السلطات الفرنسية في تلبيته لأسباب مرتبطة بخصائص الحضور الاستعماري الكولونيالي الفرنسي في الجزائر؛ مما جعل الأمية تسود بشكل كبير على مستوى جيل جد الوزير الذي تحول فيه الحصول على مستوى تعليمي، مهما كان بسيطا، إلى استثناء، كما حصل عند بعض عائلات الوزراء على مستوى جيل الجد، لتكون الأمية في المقابل هي القاعدة لدى الأغلبية. عائلات تبين من البحث أنها كانت مستفيدة من الناحية الاقتصادية، لتضيف تميزا آخر على مستوى التعليم، مهما كان محدودا.

لنتابع في القسم الثاني من الكتاب محاولة التدقيق في مستويات الاستفادة من التعليم التي ميزت بعض الأوساط الاجتماعية لربطها مع متغيرات مختلفة كالانتماء إلى مناطق حدودية، سهلت في حالات الاستفادة من التعليم في دول الجوار على مستوى جيل الآباء، كما حصل مع أبناء تلمسان في علاقاتهم بالمغرب... أو الإقامة في المدينة التي تبين لنا أنها لم تكن عاملا مساعدا في حالة العائلات الفقيرة، والتي لم تتحسن أوضاعها في المدينة بالقرب الذي تتيحه مع المدرسة، ونحن نحاول التدقيق أكثر في الدور الذي تلعبه المستويات الاقتصادية - الاجتماعية لتفسير مدى الاستفادة من التعليم، فقد تبين لنا في الحالة الجزائرية أن اليسر المادي لم يكن دائما عاملا مساعدا في التخلص من الأمية... فالأمية يمكن أن تتعايش مع الغنى والأوضاع الاقتصادية الميسورة.

وهو ما جعلنا، في هذا القسم الثاني من الكتاب، نقوم بالتدقيق في الخلفيات التعليمية للأوساط الاجتماعية التي كانت وراء إنتاج الوزراء، ونحن نتبع المستويات التعليمية للجدین والأب دائماً للتعرف عليها كوسط ثقافي منتج لهذه النخبة الوزارية في الجزائر، وهي تنتقل إلى مرحلة زاد فيها انتشار التعليم بين الجزائريين نسبياً وبشكل تدريجي، كما بينته الدراسات التي اهتمت بموضع المدرسة المعروضة، لعبت فيه بعض الثانويات (مثل ثانوية ألبرتيني بسطيف وبيجو بالعاصمة) دوراً مهماً بالموازاة مع جامعة الجزائر ومختلف مدارس التعليم العالي الذي ذهبت بعض العائلات للبحث عنه في فرنسا⁵ ودول الجوار، كما حصل مع جامعة الزيتونة والقرويين والأزهر، بعد الجهود التي بذلتها جمعية العلماء المسلمين وبعض الزوايا الكبيرة في إيصال العديد من طلبتها إلى هذه الجامعات العربية، زيادة بالطبع على الدور الذي لعبته مدرسة بوزريعة للمعلمين والمدارس Franco-musulman الثلاثة في الجزائر التي كانت حاضرة على مستوى جيل الآباء والأبناء من الوزراء بشكل ملفت.

للتطرق لاحقاً إلى انتشار التعليم داخل نفس الأوساط عندما يتعلق الأمر بأم الوزير، إذ تبين بشكل واضح استفادة بعض بنات الوسط الغني منه، على قلته، من سكان المدن خاصة لدى بعض العائلات القريبة مهنيًا من الإدارة الاستعمارية، كما بينته الحالات التي استعرضناها في الكتاب؛ وهو ما أحالنا إلى إنجاز مقارنة بين المستويات التعليمية للجدّين من الأب والأم لاكتشاف استراتيجيات المصاهرة بين أبناء هذا الجيل التي اعتمدت على نوع من المقايضة بين اليسر الاقتصادي الذي يمثله جيل الجد من الأب - حتى ولو كان من وسط ريفي - بالمكانة الثقافية لعائلة الأم الحضرية من سكان المدن. فرضية تملك إمكانية التحقق بشكل أكثر وضوحاً لو يتم توسيع عينة الدراسة، التي انتقلنا فيها إلى جيل الآباء الذي ظهر بشكل جلي بصدده تحسن المستوى التعليمي للوسط المنتج لهذه النخبة الوزارية، نتيجة الابتعاد عن أشكال المقاطعة التي بادرت بها بعض القوى الاجتماعية المتميزة ثقافياً للمدرسة الفرنسية في بداية ظهورها، استطاعت أن تجر معها قوى اجتماعية أوسع، تحسن لم يبلغ مع ذلك الأمية تماماً عن هذا الجيل... لتختفي لدى جيل الأبناء الوزراء الذين حسّنوا بشكل جلي من استفادتهم من التعليم الذي تحولت فيه الشهادة الجامعية العليا إلى شبه قاعدة خاصة لدى الجيل الصغير من الوزراء الذين حصلوا على تعليمهم في الجزائر كقاعدة عامة بعد الاستقلال... حتى وإن حسّنوا من مستوياتهم التعليمية في الجامعات الفرنسية تحديداً.

لنستمر ضمن هذا القسم من الدراسة في متابعة تعليم آباء الوزراء بما يحيل إليه من مواقع مهنية هذه المرة للتعرف على مهنتهم التي عرفوا بها كجزء من التحولات التي عاشها

5. Guy Perville, *Les étudiants algériens de l'universités françaises 1880-1962*, Casbah Éditions, Alger, 2009.

المجتمع الجزائري خلال هذه المرحلة التاريخية التي انتشر فيها التعليم جزئيا، والتي تحوّل فيها الحصول على الشهادة المدرسية إلى شرط للحصول على بعض المواقع المهنية البسيطة المخصصة للأهالي من الجزائريين في هياكل الدولة الكولونيالية، كما تبينه حالة قطاعات العدالة والصحة والتعليم والإدارة، كما ظهرت مع الكثير من حالات أصحاب الشهادة الابتدائية. الشهادة التي كان لا يسمح النظام التعليمي الكولونيالي بتجاوزها للكثير من أبناء العائلات الجزائرية، الذين كُونوا قاعدة هذه البيروقراطية الجزائرية الناشئة، في موازاة مع التعليم التقليدي الذي حافظ على وجوده بصعوبة بالغة، فرض على الفئات المرتبطة به مزاجته مع مهن أخرى كانت على رأسها التجارة الصغيرة التي مكنت الكثير من العائلات الجزائرية من الحفاظ على وضعها الاقتصادي واستقلالها المالي. لنكون أمام فئات أكثر استفادة من التعليم بمختلف مؤسساته ولغاته، الحاصلين على الشهادات المتوسطة وحتى العليا، الذين استغلوا تواجدهم في المدن الكبرى وبالقرب من الحدود لإتمام تعليمهم في الجامعات العربية، زيادة على أولئك الذين نجحوا في القيام به في الجزائر... استفاد منه أبناء عائلات راكمت عبر الأجيال الكثير من التميز العلمي والثقافي، وحاولت الحفاظ عليه أكثر عبر الزواج داخل نفس الوسط العائلي في تفضيل واضح لبنات العم.

3 - أما القسم الثالث من هذا الكتاب فخصصناه للوزيرة الجزائرية، للقيام بنفس القراءة الجيلية اعتمادا على نفس المؤشرات المركبة التي جمعنا فيها بين السوسيو-ثقافي والديموغرافي والسياسي بالطبع، كما كان الأمر حاضرا معنا في القسمين الأولين من هذا الكتاب. لننتقل في تحليلنا من خلفية تاريخية حاولنا من خلالها التعرف على المحطة التاريخية التي ظهرت فيها الوزيرة الجزائرية داخل أول حكومة في بداية الثمانينات (1982) بعد وصول الرئيس الشاذلي بن جديد لرئاسة الجمهورية، وليس في فترة حكم الرئيس بومدين الذي كانت تجربته تُحسب على اليسار أكثر من هذا الرئيس الجديد الذي قدم عن نفسه صورة الرئيس، الزوج والأب⁶. صورة لم تكن حاضرة لا عند الرئيس بن بلة الأعزب، من دون أطفال، تبناهم لاحقا بعد الزواج من صحفية قدمتها له أمه وهو

6. تزوج الشاذلي بن جديد مرتين. زواجه الأول كان مع سيدة غير معروفة ابنة شيخ زاوية من بنات جهته بولاية الطارف أنجب معها ولدا واحدا، استمرت مقيمة في عنابة. في حين كان الزواج الثاني من إحدى بنات ولاية غليزان (مازونة) من عائلة بوركبة التي كثر الكلام عن أدوار سياسية لبعض أفرادها. زواج تم عندما كان الشاذلي على رأس الناحية العسكرية الثانية بالغرب الجزائري، وأنجب منها بقية أبنائه. تمكنت من الحصول على حضور عام لم تقبل به فئات واسعة من المجتمع الجزائري غير المتعود على ظاهرة السيدة الأولى وحضورها العام. حضور اجتماعي عام كانت له انعكاسات سلبية على سمعة الرئيس نفسه نتيجة ما نسب من ممارسات لابنه من زواجه الأول في منتصف الثمانينات قبيل أحداث أكتوبر 1988. انظر مزيد من التفاصيل : الحديث الذي أجرته يومية الشروق في العدد 28-12-2007 مع المعني بالأمر وهو يكذب فيه ما نسب إليه من ممارسات.

سجين بعد الانقلاب عليه، ولا الرئيس بومدين الذي لم يتزوج إلا في سنوات حكمه الأخيرة، ليبقى من دون إنجاب.

حضور للمرأة كوزيرة داخل الهيئة التنفيذية، دشنته زهور ونيسي في 1982 اعتبارا للكثير من الضمانات السياسية والفكرية التي قدمتها هذه البرلمانية من بنات جمعية العلماء المسلمين، مناضلة جبهة التحرير، الصحفية والروائية المعروفة، للنخب السياسية الحاكمة التي استمرت تحت تأثير رؤية ذكورية متحفظة على حضور المرأة في الفضاء العام، بما فيهن زوجاتهم وبناتهم، رغم النجاحات التي حققتها المرأة بعد الاستقلال في مجال التعليم بما فيه العالي والعمل جزئيا. حضور للوزيرة الجزائرية، سنكتشف في هذا القسم من الكتاب كيف كان بطيئا ومتقطعا، ليبقى محدودا وشكليا طول مدة الدراسة (1982-2024)، لم يعد فيه الرأي العام يقبل رغم ذلك بحكومة خالية من النساء، مهما كان تواضع هذا الحضور كميا ونوعيا.

وهو ما جعلنا نتطرق في بداية هذا القسم المخصص للوزيرة الجزائرية إلى التحولات العميقة التي عاشتها وضعية المرأة الجزائرية، مثل استفادتها القصوى والسريعة من التعليم ودخولها قبل ذلك كوسط عائلي إلى المدن الكبيرة والمتوسطة بعد الاستقلال، رغم ضعف حضورها على مستوى سوق العمل المأجور، خارج المنزل الذي تحفظت عليه العائلة الجزائرية في حالة عدم تأهيل بناتها، مما منح خصائص محددة وطابعا نخبويا لسوق العمل النسوية التي تركزت في قطاع الخدمات والصحة والتعليم والإدارة والإعلام. لم تظهر مؤشرات تغيير هذه النظرة الاجتماعية نحو تساهل أكثر إزاء عمل المرأة ضعيفة التأهيل إلا في السنوات الأخيرة من التسعينيات، بعد التحولات الاقتصادية التي دشنتها مرحلة انتقال اقتصادي وسياسي، كان من بين خصائصها الجديدة ظهور قوى للقطاع الخاص والقطاع غير الرسمي، فقدت داخله المرأة الكثير من الضمانات القانونية، وعلى مستوى شروط العمل التي كان يضمنها رب العمل الحاضر في القطاع العمومي. مرحلة شهدت ظهورا قويا للتيارات السياسية الدينية المحافظة المعادية لحضور المرأة في الفضاء العام، والتي اشترطت عليها لبس الحجاب، فقبلته المرأة كنوع من المقايضة ضمنت لها الخروج للدراسة والعمل. مواقف ساندتها العائلة الجزائرية وجزء من النخبة السياسية والاقتصادية المالكة الجديدة التي ظهرت على مستوى القطاع الخاص وغير الرسمي.

لنتعرف في هذا السياق على ما ميز المدينة الجزائرية من خصائص اجتماعية-ثقافية كان لها التأثير الكبير على ضعف حضور المرأة داخل الفضاء العام الذي لم تقبل به الفئات الحضرية الجديدة من أبناء ريف المناطق الأكثر تضررا من حرب التحرير التي هاجرت إلى المدن بعد الاستقلال مباشرة بعد مغادرة سكانها الأوروبيين بُعيد الاستقلال. قوى اجتماعية حضرية جديدة تعاملت بشريعة أكبر مع خروج المرأة إذا تعلق الأمر بالدراسة، مقارنة

بالعمل الذي تم التحفظ عليه إذا كان مرتبطا بالحضور السياسي أو الجمعوي خارج توقيت العمل اليومي، القصير في حالة المدينة الجزائرية، مما أثر سلبا على حضور المرأة داخل الحزب والجمعية والنقابة... داخل مدينة لا تتوفر على شروط الحياة التي كان يمكن أن تسهل أدوار الزوجة والأم التي مازالت من اختصاص المرأة في إطار التقسيم الجندري للعمل داخل الفضاء العائلي الجزائري.

سنحاول في بداية هذا القسم من الدراسة التعرف على مواقع المرأة الوزيرة داخل الحكومات الجزائرية المختلفة التي لم تكن في قطيعة مع الأدوار المقبولة اجتماعيا من المرأة، أكدت فيها وظائفها الممنوحة لها اجتماعيا كالتربية والصحة والشؤون الاجتماعية التي كانت أولى المناصب الممنوحة لأول امرأة وزيرة في الجزائر (زهور ونيسي)، لتتطور لاحقا دون أن تتجاوزها إلى مواقع نوعية سياسية أو اقتصادية. نصف قرن تقريبا منذ أول تعيين لها في الحكومة، إذا استثنينا حالة الوزيرة المتحدثة باسم الحكومة التي كانت من نصيب سيدتين لفترة قصيرة (خليدة تومي وليلى عسلاوي).

لنفصل في باقي هذا القسم بغية التعرف على الأصول الاجتماعية للوزيرة الجزائرية، بداية من بنات القوى الاجتماعية الريفية المالكة الكبيرة والمتوسطة التي تظهر كقوة أولى في إنتاج النخبة الوزارية النسوية على مستوى جيل الجد، والتعرف لاحقا على بنات الأوساط الفلاحية الصغيرة وبنات القوى الحضرية التي سيطرت داخلها أوساط البيروقراطية الناشئة، كما تبينه حالة بنات المعلمين ومهن العدالة وموظفي السكك الحديدية وغيرها من المهن الصغيرة والمتوسطة. فئات توسع دورها أكثر بعد ظاهرة دخول المدن بداية من مستوى جيل الأب تحديدا وهو يستفيد من انتشار التعليم بمختلف لغاته وأشكاله المؤسسية والتنظيمية.

وهو المدخل الذي سمح لنا بالتطرق بالتفصيل إلى الوسط الثقافي للوزيرة ضمن هذا القسم من الكتاب الذي كنا قد عرفنا ونحن نتكلم عن استراتيجية المصاهرة على مستوى جيل الجدين أن الجد من الأم كان أكثر حضرية واستفادة من التعليم، وهو ما ظهر من خلال حالات الجد القاضي والإمام والطبيب. لنكتشف لاحقا المسار التعليمي لآباء الوزارات الذي لعبت فيه مؤسسات ثقافية وتعليمية بعينها أدوارا محددة كما كان الحال مع بعض الزوايا الكبيرة والجامعات العربية، زيادة بالطبع على الجامعات الجزائرية.

المرأة الوزيرة التي كان عليها مغادرة منطقة سكن أهلها وهي صغيرة في السن - في حالة القرية الصغيرة - للتوجه إلى المدن الكبرى للدراسة منذ مرحلة الثانوية في بعض الأحيان؛ مما جعلها تبتعد، جزئيا على الأقل، عن قيم التنشئة لوسطها العائلي، لتلعب المنظومة التعليمية الوطنية - وقبلها خلال المرحلة الاستعمارية - محتواها الأيديولوجي دورا أكبر في تنشئتها.

جزء من الدراسة كان ضروريا للتعرف لاحقا على مهن الوزارات بكل التنوع الذي عرفته، بلغاته وشهاداته المختلفة التي حضر فيها بقوة دور القانونيات (محاميات) والطبيبات وأستاذات الجامعة، زيادة على المهندسات مع الأجيال الصغيرة في السن. لنختم هذا القسم من الدراسة بالتعرف على المسارات المختلفة السياسية- الحزبية والجمعوية التي أوصلت المرأة إلى الحزب السياسي لتترشح باسمه للبرلمان قبل الوصول إلى الحكومة أو بعده. مواقع استطاعت المرأة الجمع بينها للزيادة من حظوظها في الوصول إلى الحكومة، زيادة في الفاعلية، بعد مسار تعليمي ومهني طويل أثر سلبا على مستوى اندماج الوزيرة اجتماعيا، كما رأينا ذلك ونحن نلاحظ زواجها المتأخر ونسبة طلاقها المرتفعة التي كانت الثمن الذي دفعته وهي تحقق طموحاتها العلمية والمهنية بسرعة فائقة، لم يقبلها المجتمع الجزائري دائما، بكل أدوارها ومواقعها العامة الجديدة على المجتمع الجزائري.

وستتكمّل لاحقا عن الشرعيات التي وظفتها المرأة للوصول إلى عضوية الحكومة التي كانت على رأسها تلك الشرعية التاريخية المرتبطة بالمشاركة في الحركة الوطنية وحرب التحرير بالنسبة للوزيرات الكيبرات في السن... لم تقتصر على الوزيرة نفسها، بل شملت وسطها العائلي أيضا، وتقلصت مع الوقت لتظهر أشكال شرعيات أخرى مثل الدراسة الجامعية النوعية والمنصب المهني المتميز، وهو ما جعلنا نهتم في هذه الدراسة بالتعرف على بعض العائلات التي أمدت الجزائر بأكثر من وزيرة، كما كان الحال مع عائلة منتوري من فرجية بالشمال القسنطيني... لمعرفة شروط هذا الإنتاج النخبوي الكبير الذي ميز بعض العائلات الجزائرية في بعض مناطق البلاد. أمدت الحكومات المختلفة بأكثر من فرد من عائلتها من نفس الجيل، على غرار الأخ وابن العم وابنة العم والزوج في أوقات مختلفة.

4 - لنختم محتوى هذا الكتاب بالقسم الرابع الذي خصصناه لحالة رؤساء الحكومات⁷ كجزء من هذه النخبة السياسية التي كانت موضوع كتابنا هذا. وسنتطرق في بداية هذا القسم إلى التحولات التي عرفها الإطار الدستوري والقانوني الذي يضبط أدوار هذا الجزء من النخبة السياسية في الجزائر ومكانته، كأحد مراكز السلطة التنفيذية التي عرفت تحولات قانونية نصية متفاوتة القوة، بداية من انطلاق فترة الدراسة التي كانت مع الدستور الجزائري الجديد لسنة 1989 الذي تمت المصادقة عليه بعد أحداث أكتوبر 88 للتمهيد لمرحلة انتقالية مست الجوانب الاقتصادية والسياسية، عملت على إخراج الجزائر من الأحادية إلى التعددية الحزبية، دون أن تنجح في منح قوة أكبر لمركز رئاسة الحكومة الذي سرعان ما فقد الكثير من صلاحياته لصالح رئيس الجمهورية وهو يتحول إلى وزير أول يهتم أساسا بتنسيق أعمال الحكومة.

7. لم نفرق بين تسمية رئيس الحكومة والوزير الأول، فقد تعاملنا مع التسميتين بنفس الشكل رغم الفروق الحاضرة على مستوى الإطار الدستوري والقانوني الذي عرف تغييرات شكلية هامة في بعض الأحيان، بقيت في الغالب على مستوى النص ولم تطبق على أرض الواقع.

علما بأن رئيس الحكومة الجزائري لم يتمكن - ربما لم يسعَ جديا - من استعمال كل صلاحياته الممنوحة له دستوريا في علاقاته برئيس الجمهورية والبرلمان وكل المحيط السياسي، لأسباب متعلقة بمساره السياسي وطريقة وصوله إلى هذا الموقع السياسي وتنشئته السياسية التي حاولنا التعرف على تفاصيلها في هذا القسم من الدراسة، ونحن نتكلم عن أبناء النظام الذين فشلوا في إصلاح نظامهم السياسي الذي استنجد بهم في أوقات حرجة، كمراحل الانتقال الصعبة داخل نظام سياسي يتسم بتوزيع غير مرئي وحساس بين مراكز القرار المدنية والعسكرية.

ونستمر في تحليلنا الذي أحالنا إلى محاولة التعرف أكثر على الوجوه التي احتلت موقع رئاسة الحكومة في الجزائر بداية من التسعينيات إلى غاية 2024، تاريخ الانتهاء من تحرير الكتاب، حسب التقسيم الجيلي الذي اعتمدناه المكون من جيلين أساسيين... رغم بعض الصعوبات التي وجدناها ونحن نكتشف أننا قد نكون أمام أكثر من جيلين اثنين، لم نعتمد في تحديدهما على السن فقط، بل كذلك على المسار السياسي والتنشئة وغيرها من المؤشرات السوسيو-سياسية التي تبنتها القراءة التي قام بها كارل منهايم⁸.

سمح لنا هذا التقسيم، رغم بعض نقائصه، بالتعرف على الوجوه التي تمثلها هذه الأجيال بالمسارات السياسية التي وصلت من خلالها إلى هذا الموقع السياسي الذي لا يزال بعيدا عن المرأة الجزائرية... بدءا من الجيل الأول الذي مثله أحسن تمثيل في هذه الدراسة عبد السلام بلعيد (1928) ورضا مالك (1931) اللذان كانت لهما مسارات متشابهة بداية من مرحلة الحركة الوطنية التي مثلا فيها الحركة الطلابية التي سنجد ممثليها حاضرين داخل الحكومات التي كونها الرجلان خلال الظرف الصعب الذي عادا فيه للسلطة كرؤساء حكومات بداية التسعينيات، ضمن موازين سياسية مختلفة، تميزت بأزمة عميقة كان يمر بها النظام السياسي، بعد تجربة طويلة كوزراء وسفراء خلال مرحلة حكم الرئيس بومدين بداية من مرحلة الاستقلال الأولى.

جيل قام بنوع من التجسير السياسي في بعض محطات مساره المهني - السياسي، بين مراكز القرار السياسية العليا، كما كان الحال مع عبد السلام في علاقته بالرئيس بومدين الذي جند لصالحه النخب التي التقى بها في أكثر من موقع اقتصادي وسياسي... ليتجاوز هذا الجيل مهامه في التسيير نحو أدوار سياسية وأيديولوجية، عبّر عنها الرجلان بتدخلهما في النقاش العام عبر مؤلفات كثيرة⁹ كتبت في الأصل بالفرنسية وترجم بعضها إلى العربية، عبرت عن

8.Karl Manheim, *Le problème de générations*, Éd. Armand colin, Paris, 2011.

9. Belaid Abdesslam, *Le pétrole et le gaz naturel en Algérie. Comment les algériens ont gagné la bataille de la récupération du pétrole et du gaz*, Éditions Anep, Alger, 2012.

Belaid Abdesslam, *La politique d'industrialisation en Algérie*, 2017.

Belaid Abdesslam, *L'union générale des étudiants musulmans algériens*, 2011.

اهتمامات الرجلين التي ركز فيها عبد السلام على مواضيع اقتصادية كالصنيع والمحروقات وبعض قضايا التاريخ كما كان الأمر حين تطرق إلى تاريخ الحركة الطلابية، في حين كان تركيز رضا مالك على قضايا أكثر فكرية وسياسية، زيادة على الاهتمام الذي أولاه لبعض المحطات التاريخية التي شارك فيها كمفاوضات إيفيان¹⁰، لتمثيل تيار سياسي وفكري عصري داخل الحركة الوطنية وثورة التحرير لاحقا إذا نظرنا إلى أدوار الرجلين في المساهمة في تحرير الميثاق الوطني (1976) وقبله ميثاق الجزائر (1963) في بداية الاستقلال.

لنكون أمام الجيل الثاني الذي مثله وزراء أصغر في السن كما هو حال أحمد أويحيى (1952) وعبد المالك سلال (1948) ونور الدين بدوي (1959) زيادة على رؤساء الحكومات الذين ظهروا بعد مرحلة الحراك مع الرئيس تبون مثل عبد العزيز جراد (1954) وأيمن بن عبد الرحمن (1966). الجيل الذي أدمجنا داخله من هم أكبر سنا من رؤساء الحكومات مثل مولود حمروش (1943) وعلي بن فليس (1944) رغم عدم دقة هذا التصنيف الجيلي الذي لا يفي تماما بالغرض ونحن نستعرض هذه الأسماء التي تميزت بمسار وتنشئة مختلفة، كما وضعنا ذلك في النص، جعلها تحتل موقعا وسطا بين الجيلين اللذين قسمنا لهما نخبة رؤساء الحكومات.

رؤساء حكومات قسمناهم حسب أصولهم الاجتماعية إلى ثلاث فئات اجتماعية رئيسية بدءا بأبناء الفئات الغنية صاحبة الملكية الكبيرة، والذين مثلتهم أسماء مثل عبد السلام بلعيد وقاصدي مرباح وأحمد بن بيتور، ثم أبناء الفئات الوسطى كما كان الأمر مع علي بن فليس ورضا مالك وسيد أحمد غزالي على وجه الخصوص، وأخيرا الفئات الفقيرة التي ضمت أسماء مولود حمروش ومقداد سيفي، زيادة على وجوه أخرى تحدثنا عنها داخل النص.

تصنيف كما حصل في الأقسام الأخرى من الدراسة وظفنا فيها معطيات متعلقة بجيل الجد (من الأم والأب) وجيل الأب، سواء أتعلق الأمر بالمواقع الاقتصادية - الاجتماعية، أو الثقافية ونحن نقيس مستوى انتشار التعليم داخل هذا الوسط الاجتماعي الذي تأثر بشكل مباشر بالهجرة التي قامت بها العائلة لأسباب متعددة، كانت فرصة في الكثير من

Belaid Abdesslam, *L'unité économique du Maghreb est-elle possible*, 2013.

Belaid Abdesslam, *Chroniques et réflexions inédites sur des thèmes sur un passe pas très lointain*, Éd. Dar khettab, Alger, 2017.

Benoune Mahfoud, Ali Elkenz, *Le hasard et l'histoire ; entretien avec belaid abdesselam*, Enag Éditions.

10. Reda Malek, *Tradition et révolution, le véritable enjeu*, Éd. Bouchene, Alger, 1991.

L'Algérie à Evian : histoire des négociations secrètes, 1956-1962, Anep Éditions, 2002, 411 pages.
Guerre de libération et révolution démocratique : écrits d'hier et d'aujourd'hui, Casbah Éditions, 2010, 758 pages.

L'empreinte des jours, 2004-2012 : essais, Casbah Éditions, 2013, 485 pages.

الأحيان للتحسين في المواقع الاجتماعية لعائلة الوزير. هجرة تمت في الغالب داخل الجزائر بما فيها تلك التي تمت لأسباب مهنية كما كان حال أب رضا مالك، لنكون في حالات نادرة أمام هجرة إلى الخارج كما كان حال عائلة قاصدي مرباح التي هاجرت إلى المغرب من منطقة بني يني القبائلية (تيزي وزو).

وهو ما سمح لنا من جهة أخرى بالتعرف على المعطيات المتعلقة بالأصول الجغرافية والجهوية لرئيس الحكومة الجزائري، التي تبقى مهمة في الحالة الجزائرية، تُراعى عادة عند تقسيم المناصب العليا للدولة كرئاسة الجمهورية والحكومة، زيادة على رئاسة البرلمان وتشكيل الحكومة بالطبع، كما رأينا ذلك حتى مع وجود اختلالات ظرفية تكون عادة لصالح جهة رئيس الجمهورية... كما بينته سيطرة أبناء المناطق الشرقية الحاضرة خلال الفترة المدروسة التي كان فيها رؤساء الجزائر من شرق البلاد، مع تواجد متميز لأبناء منطقة القبائل على مستوى رئاسة الحكومة، الذين يزداد بروزهم أكثر إذا أضفنا إليهم أبناء المناطق الأمازيغية الأخرى، مقابل حضور ضعيف لأبناء مناطق غرب الجزائر وجنوبها، كما كان الحال بالنسبة لكل النخبة السياسية إلى غاية وصول بوتفليقة للحكم في 1999.

تركيبية جهوية كانت نتاج عملية تحول عميقة عاشها المجتمع الجزائري، بما فيها تلك التحولات الجغرافية التي كانت وراءها الهجرة من أجل تحسين الوضع الاقتصادي والدراسة. تحولات قلصت من حضور الشعور بالانتماء الجهوي لدى هذا القسم من النخبة السياسية جعلتنا نتكلم عن قبائل من نوع خاص، هم الذين كانوا أبناء مسار مهني وسياسي ومؤسسات أكثر منهم أبناء منطقة لم يمثلوها سياسيا ولم يترشحوا فيها باسمها بعد تبنيهم من قبل المدن التي دخلوها وهم صغار، كما حصل مع مجموع رؤساء الحكومات. ونُدخل في هذا تفاصيل المشهد الاجتماعي المتحرك ونحن ندقق في مكانة أبناء المدن والريف التي تأكد لنا فيها غلبة الأصول الريفية والمدن الصغرى على حساب أبناء المدن الكبرى التي دخلها رئيس الحكومة وهو صغير في السن للدراسة بداية من مرحلة الثانوية، كما كان الحال مع ثانوية ألبريتيني (سطيف) بالنسبة لأبناء الشرق وبيجو بالعاصمة لأبناء الوسط.

للتعرف لاحقا على الممارسات الديموغرافية التي ميزت هذا الوسط الذي تعرفنا داخله على زواج رئيس الحكومة الجزائري الذي كان في الغالب الأعم مع سيدة متعلمة، ماکثة في البيت حتى وإن تعرف عليها الزوج داخل مكان العمل العصري المتمثل في الغالب في المؤسسة الصناعية، بعيدا عن العلاقات التقليدية والعائلية... ليتقلص الإنجاب ضمن عائلة رئيس الحكومة الذي نوع في استراتيجية زواجه منذ مرحلة الأب للاقتران ببنات عائلات من مدن قريبة، كما كان الحال مع بنات بسكرة بالنسبة للشاوية من رؤساء الحكومات (بن فليس وجراد).

أما فيما يتعلق بالمسار السياسي والمهني لرئيس الحكومة الجزائري، فقد بينت الدراسة أنه مهما كانت هذه المسارات والمرحلة السياسية، فقد كان المرور على رئاسة الجمهورية عاملا مشتركا محددًا نجده حاضرا لدى الكثير من رؤساء الحكومات الذين تنوعت مساراتهم المهنية بين القطاع الصناعي والدبلوماسية والإدارة العليا، تم تعيين بعضهم في هذا الموقع دون المرور على موقع الوزارة، كما كان الحال مع مولود حمروش وعبد العزيز جراد ونذير العرباوي على سبيل المثال، عكس الأغلبية التي كان المرور على منصب الوزارة قبل الوصول لرئاسة الحكومة هو القاعدة لديها. لتكون في حالة عبد المجيد تبون مع أول رئيس حكومة وصل إلى موقع رئاسة الجمهورية، رغم المدة القصيرة التي قضاها على رأس الحكومة والتي لم تتجاوز ثلاثة أشهر في صيف 2017. موقع رئاسة الجمهورية الذي فشل في الوصول إليه الكثير من رؤساء الحكومات السابقين عبر الانتخابات التي حاولوا الترشح لها، كما كان الأمر مع مولود حمروش ومقداد سيفي وسيد أحمد غزالي.

علما بأن موقع رئاسة الحكومة قد وصل إليه أصحاب تخصصات جامعية متنوعة، كان من بينهم القانوني والمهندس والاقتصادي، مع سيطرة واضحة للمفرنس الذي تلقى تعليمه باللغة الفرنسية، حتى ولو أننا لاحظنا توجهها نحو ازدواجية لغوية في الممارسة اليومية، يمزج فيها رئيس الحكومة الجزائري بين الفرنسية والعربية التي تبقى لغة ذات استعمال شفهي وسياسي، عام في الغالب، مقابل الفرنسية لغة الملفات والنص المكتوب. ازدواجية لغوية تحولت إلى نقطة قوة كما لاحظنا ذلك عند إسماعيل حمداني وعلي بن فليس وعبد العزيز بلخادم الذي كان الأكثر استعمالا للعربية نتيجة ربما لمساره السياسي الذي أوصله إلى قيادة حزب جبهة التحرير والمجلس الشعبي الوطني ومساره التعليمي المزدوج الذي كان في ثانوية تلمسان. ويبقى عدم التحكم الكافي في اللغة العربية يخلق بعض الصعوبات في التواصل عند البعض الآخر... أما اللغة الأمازيغية بمختلف لهجاتها فهي الغائب الأكبر عن هذا المجال السياسي بعد سنوات من الاعتراف الدستوري بها، رغم العدد المعقول من رؤساء الحكومات الذين يحسنونها، مثل عبد السلام بلعيد ورضا مالك وقاصدي مرباح وأحمد أويحيى وإسماعيل حمداني بالنسبة للسان القبائلي وعلي بن فليس عندما يتعلق الأمر باللسان الشاوي.

سنتعرف ضمن هذا القسم على نوعية الدراسة التي أنجزها رئيس الحكومة الجزائري والتي كانت في الغالب باللغة الفرنسية، داخل الجامعات الجزائرية وبعض المدارس العليا، كالمدرسة الوطنية للإدارة التي تخرج منها أكثر من رئيس حكومة... زيادة على الدراسات الجامعية المنجزة في جامعات فرنسية، كما كان حال سيد أحمد غزالي المتخرج من مدرسة عليا للمهندسين وعبد العزيز جراد الذي تخصص في العلوم السياسية خريج جامعة نانتر الباريسية. تعليم لعب فيه النظام المدرسي دورا متميزا كما ظهر مع أكثر من حالة...

لنكون في حالة عبد السلام بلعيد مع أول رئيس حكومة لم يُنه مسار تعليمه الجامعي في مجال الطب بفرنسا، والذي توقف عنه في أول سنة (1950-1951) نظرا للانشغالات السياسية التي طغت عند هذا الشاب الذي مثل الحركة الطلابية كعضو في اللجنة المركزية لحزب حركة الانتصار -حزب الشعب وعمره لا يتجاوز 25 سنة.

منصب رئيس الحكومة، ورغم كل ما يقال عن الحضور العسكري داخل مؤسسات النظام السياسي الجزائري، بقي بعيدا عن سيطرة المؤسسة العسكرية إذا استثنينا حائلي المقدم مولود حمروش والعقيد قاصدي مرباح مدير المخابرات الأسبق. عسكريان وصلا إلى هذا الموقع التنفيذي بعد تقاعدهما من الجيش، لم تساعدهما خلفيتهما العسكرية في الحفاظ طويلا على منصبهما الذي وصلا إليه في فترة اضطراب قصوى كان يمر بها النظام السياسي وهو ينتقل من الأحادية إلى التعددية بعد أحداث أكتوبر 1988.

لنختتم هذا القسم من الدراسة المخصص لرئيس الحكومة بالمصير الذي انتظره بعد الابتعاد عن منصبه الذي ارتبط في الغالب بالأزمة التي تأخذ شكل إبعاد بعد سوء تفاهم مع مراكز قرار¹¹ كثيرة عادة ما يعبر عنها رئيس الجمهورية أو يلمح لها الإعلام الوطني بإيعاز من مصادر قرار غير مرئية تساهم بقوة في شلل العمل الحكومي لأوقات طويلة... أخذت في مرات قليلة شكلا علنيا كما حصل عند استقالة قاصدي مرباح، ومكتوبا كما حصل في حالة استقالة أحمد بن بيتور الذي وضع نسخة عنها في كتابه الذي أصدره للحديث عن تجربته الحكومية¹²، وتبقى طي الكتمان في الغالب كما حصل مع حالات كثيرة أخرى؛ ليتم توجيه رئيس الحكومة المقال نحو مناصب أخرى، نادرا ما يكون من بينها موقع رئاسة الحكومة نفسه، كما حصل كاستثناء مع أحمد أويحيى الذي كان من أكثر رؤساء الحكومات الذين عادوا لاحتلال هذا الموقع، أو توجيهه نحو مناصب دبلوماسية في الخارج عندما تكون مراكز القرار غير غاضبة عنه، كما حصل مع سيد أحمد غزالي وعبد العزيز جراد. وقد يكون السجن هو البديل، والذي كان من نصيب ثلاثة رؤساء حكومات عندما اضطرب حال النظام السياسي الجزائري، كما حصل مع أحمد أويحيى وعبد المالك سلال ونور الدين بدوي، زيادة على العديد من الوزراء وضباط الجيش.

رئيس الحكومة المستقيل الذي حاول أن يبتعد عن الصورة التي التصقت به أثناء مساره السياسي كمنفذ لسياسات وليس كصانع لها، للتوجه نحو تكوين أحزاب أخذت طابعا معارضا، والترشح لمنصب رئيس الجمهورية كما فعل علي بن فليس قبل أن يقرر

11. كما عبر عنها عبد السلام بلعيد أثناء ندوة صحفية بعد مغادرته الحكومة وهو يصرح أن الجيش هو الذي أبعدته، مشيرا إلى أحد الضباط من أصحاب الخطوة في تلك الفترة على خلفية صراع مع رجل أعمال.

12. Ahmed Benbitour, *Radioscopie de la gouvernance algérienne*, Éditions Edif 2000, novembre 2006.

الاستقالة من رأس الحزب (طلائع الحريات) والابتعاد عن أي نشاط سياسي بعد فشله في الوصول ثلاث مرات إلى منصب الرئاسة من خلال انتخابات لا تتوفر على كل شروط المصادقية. فشل كان حاضرا لدى رؤساء حكومات آخرين قبله مثل مولود حمروش ومقداد سيفي ورضا مالك الذي لم يتمكن من توفير شروط الترشح المطلوبة قانونا... مما يظهر الهشاشة السياسية لرئيس الحكومة الجزائري الذي فشل في كسب مصادر قوة مستقلة خارج ما اكتسبه وهو داخل مؤسسات الدولة.

بعض قضايا المنهج

غياب المعطيات العلمية الدقيقة حول النخبة السياسية الجزائرية هو الذي جعلنا نعتمد في إنجاز هذه الدراسة بشكل أساسي، على المعطيات التي تحصلنا عليها من المقابلات المباشرة التي أجريناها مع الوزراء والوزيرات ورؤساء الحكومات الذين التقيناهم مباشرة خلال حقبة طويلة بين 1992 و2024، سمحت لنا بالحصول على الكثير من المعطيات التي تنشر لأول مرة حول النخبة السياسية الجزائرية التي عرفت في المقابل الترويج للكثير من المعطيات المغلوطة حول مساراتها وأصولها الاجتماعية والجغرافية، ساهمت في التشويش على المشهد السياسي الوطني بما أضافته من معطيات مشوهة لم تساعد على اتخاذ القرار السياسي المناسب. زيادة على ما سمحت لنا به القراءات الأكاديمية التي تناولت موضوع تاريخ وسوسيولوجيا الجزائر ونحن نركز على الأبعاد السياسية والثقافية، كما كان الحال حين تطرقنا إلى انتشار التعليم في الجزائر، بعد أن اكتشفنا دوره المهم كعامل فرز اجتماعي في إنتاج النخبة السياسية.

دراسة فضلنا الاختصار فيها على النخبة السياسية من خلال الوزراء والوزيرات ورؤساء الحكومات بدل العموميات التي كان يمكن أن نصل إليها لو تطرقنا للنخبة السياسية بمفهومها العام، كما حصل مع بعض الدراسات المذكورة في المراجع، وهي تتناول النخب العسكرية والبرلمانية والحزبية بدون تمييز، لم تسمح لأصحابها بالوصول إلى معطيات دقيقة تفيد القارئ في فهم إشكالية النخبة في الجزائر التي زاد الحديث عنها كموضوع نقاش اجتماعي ساهم فيه رواد الإعلام والوسائط الاجتماعية على حساب أصحاب الاختصاص من مختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية. مراجع لم نستعملها في دراستنا إلا كاستثناءات قليلة جدا، لتخوفا من عدم دقتها وعيوبها المنهجية التي يمكن أن تظهر جراء عدم تواصل الباحثين الذين أنجزوها مع عينة البحث مباشرة، كما كان الحال معنا... اكتفوا في الغالب بما نشر من معطيات رسمية حول النخبة السياسية بمفهومها العام، في مراحل تاريخية زاد فيها الاهتمام بالجزائر وهي تدخل مرحلة الأزمة¹³ أكثر من مرة خلال تاريخها السياسي القصير بعد الاستقلال.

13. انظر على سبيل المثال :

رشيد يوب، دليل الجزائر السياسي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1999.

استمارة مقابلة مكونة من عدة أقسام انطلقنا في بدايتها بالمعطيات الشخصية والعائلية بما فيها تاريخ ومكان ازدياد الوزير وأفراد عائلته كالوالد والوالدة والجدين بعلاقات القرابة التي يمكن أن توجد بينهما... ثم الأصول الجغرافية للعائلة ومسارها عبر الأجيال داخل وخارج الجزائر للتعرف على ظاهرة الهجرة... وبعدها أسئلة أخرى حول زواج الوزير وعدد أولاده بعد التعرف على المصاهرات التي قامت بها عائلته بداية من جيل الجدين... وانتقلنا بعد ذلك إلى طرح الأسئلة المتعلقة بالمسارات التعليمية للوزير ذاته وأبويه وجديه وزوجته، بما فيها المؤسسات التي زاول تعليمه فيها، واللغات المستعملة، بهدف تحديد خصائص الوسط الثقافي للوزير وعائلته.

وخصصنا القسم التالي من الأسئلة للمسار المهني للوزير بعد أن كنا قد طرحنا نفس الأسئلة فيما يتعلق بالأب والجدين، اكتفينا فيه بالتعرف على المهن فقط. أما ما تبقى من أسئلة هذا القسم من الاستمارة فكانت للتعرف على ظروف وصول الوزير إلى عضوية الحكومة كالاتصال التي تمت معه ومن قام بها وأين تمت... إلخ، وكذلك على تقييم الوزير للعلاقات مع أعضاء الحكومة الآخرين بما فيهم رئيس الحكومة ورئيس الجمهورية، وتقييمه لمكانة الوزير داخل النظام السياسي الجزائري بالتوليفة الجهوية المعروف بها والعلاقات التي تميز مؤسسات نفس النظام كالبرلمان والحكومة والرئاسة. جزء من الاستمارة حاولنا التعرف فيه على تقييم الوزير للمراحل الكبرى التي مر بها النظام السياسي كمرحلة الأحادية والتعددية، وقبلها مرحلة الحركة الوطنية وثورة التحرير برجالها وعقائدها ومؤسساتها مثل جبهة التحرير وحيش التحرير، وكيفية تفسيره لبعض الأحداث الكبرى كأحداث أكتوبر 1988 وما تلاها من حالة اضطراب بعد توقيف المسار الانتخابي في 1992، وقبلها الانقلاب على الرئيس بن بلة.

أسئلة مقابلة استعملناها لدعم البحث بشكلين مختلفين كما وضحنا ذلك في السابق على شكل تحليل كمي عبر جداول إحصائية ونوعي هو الذي ساد في الغالب الأعم ونحن نسرد تفاصيل الإجابات داخل النص النهائي للدراسة، علما بأننا لم نفرغ كل الإجابات التي تحصلنا عنها بعد أن اكتشفنا طول أسئلة الاستمارة التي كان من الممكن أن تزيد في حجم الدراسة بشكل كبير... فاكتملنا بتلك الإجابات ذات الدلالة التي تخدم تحليلنا.

استمارة لم نصادف في ملئها الكثير من الصعوبات؛ لم يرفض الإجابة¹⁴ عنها إلا عدد قليل من الوزراء، دون قراءتها في بعض الحالات وبعد الاطلاع على أسئلتها في حالات قليلة

Achour Cherfi, *La classe politique algérienne*, Casbah Éditions, Alger, 2001.

Louis Blin, Noureddine Abdi, Noureddine Redjala, Benjamin Stora, *Algérie 200 hommes de pouvoir*, Indigo publication, Paris, 1992.

Quandt William B., *Revolution and political leadership, Algeria 1954-68*, Cambridge m.i.t press, 1969.

14. من الذين امتنعوا في الإجابة عن أسئلة الاستمارة عبد العزيز بوتفليقة قبل وصوله لرئاسة الجمهورية بعد أن أعطانا رقم هاتف منزله بالعاصمة، بل وشجعنا على إنجاز البحث... لنكون أمام رفض أكثر وضوحا جاء من

أخرى. استعملنا فيها ما يعرف بعينة كرة الثلج التي يوصلنا الوزير الذي نستطيع التواصل معه إلى بعض زملائه من خلالها، ليستمر التواصل على نفس المنوال مع وزير آخر. مقارنة سمحت لنا بالتعرف على شبكة العلاقات بين أعضاء النخبة الوزارية والأسس التي تقوم عليها كالارتباطات الجهوية والعمل في نفس الحكومات والمسار الدراسي والمهني المشترك بكل اللحظات السياسية المهمة¹⁵، لتبين لنا أهمية الرابط الجهوي الذي يمكن أن يخترق الكثير من الاعتبارات، بما فيها السياسية والأيدولوجية، وقد تميزت بعض الوجوه بعلاقات سياسية واسعة لم تكن متوفرة للجميع، استمرت معهم بعد الابتعاد عن الحكومة¹⁶.

لقاءات تمت في منزل الوزير في الغالب الأعم وفي مكتبه إذا كان لا يزال في الخدمة¹⁷، أو بدرجة أقل في مكتب الباحث، في حين تم البعض منها في أماكن عامة كال فنادق، في الجزائر العاصمة ووهران وباريس بالنسبة للوزراء المقيمين على التراب الفرنسي. عدد قليل فقط من الوزراء أرسلنا له الاستمارة عن طريق البريد¹⁸. في حين تمت بعض المقابلات القليلة جدا (حالتان فقط) مع أقرباء الوزير المعني ومحيطه المهني والعائلي

عند صالح قوجيل وعبد الرزاق بوحارة عند الاتصال مباشرة معهما. وكان علي بن محمد أكثر وضوحا في التعبير عن رفضه رغم الاتصال معه عدة مرات... وهو نفس موقف خروبي محمد الشريف الذي التقيناه في مقر جبهة التحرير بحيدرة.

15. تعرفنا على العلاقات السائدة بين أعضاء النخبة الوزارية من خلال ردود الأفعال التي كانت لبعض الوزراء عندما طلبنا منهم منحنا تلفونات زملائهم للتواصل معه. كان الأمر بسيطا ومقبولا من قبل البعض، في حين كان صعبا ومرفوضا من قبل البعض الآخر كما حصل لنا مع عبد العزيز معاوي الذي غضب عندما عرف أن رقم تلفونه قد منحه لنا زميله محمود فنز الذي ظهرت عليه الكثير من علامات التهميش في سنواته الأخيرة بعد إبعاده من السلطة.

16. من الوزراء الذين استفدنا من علاقاتهم السياسية مع الكثير من الوزراء وساعدنا في التواصل معهم، يمكن أن نذكر: أبو بكر بلقايد الذي كان من القلة، والذي كان يملك "صالونا سياسيا" داخل بيته يكون زواجه من سيدة فرنسية الأصول قد ساعده في ذلك... يستقبل فيه الكثير من الوجوه السياسية من مختلف التيارات السياسية والجهات، خاصة تلك المحسوبة على التيار الديمقراطي الذي كان فاعلا أساسيا فيه إلى غاية اغتياله في خريف 1995 وهو خارج من اجتماع سياسي بالعاصمة مع قداماء فيدرالية جبهة التحرير لفرنسا الذي كان من وجوهها المعروفين.

17. استفاد الوزراء القدامى من شروط سكن متميزة بحصولهم على فيلات فاخرة في الأحياء الراقية بأعالي العاصمة كحيدرة والأبيار... حصلوا عليها في إطار قانون التنازل عن أملاك الدولة في بداية عهدة الرئيس الشاذلي، بسعر رمزي... في حين كان مفروضا على الوزراء الجدد من غير أصحاب النفوذ بناء فيلاتهم في إطار مشاريع البناء الخاص، زيادة بالطبع على ما توفره الدولة من سكن في المحميات الرسمية، لتكون أمام تميز آخر متعلق هذه المرة بنوعية التأثيث بين الوزراء الذين استفادوا من العمل كسفراء وبقية الوزراء الذين لم يستفيدوا من العمل في الهيئة الدبلوماسية، زيادة على الفروق الملاحظة في ذوق التأثيث بين أصحاب الخلفية الريفية والحضرية... وهي الأمور التي لم نركز عليها في البحث عن قصد.

18. حصل هذا مع بعض الوزراء مثل عبد المجيد مزيان المقيم في تلمسان أو بوعلام بن حمودة الذي طلب منا ترك نسخة الاستمارة في مكتبه بجبهة التحرير والعودة لاستلامها في وقت آخر مما أثر سلبا على نوعية الإجابات التي لم نتمكن من التدقيق في بعض جوانبها... كما فعلنا دائما مع المعنيين بالأمر الذين أجرينا معهم المقابلة. نفس الشيء الذي حصل مع العقيد بن شريف الذي قمنا بتدقيق بعض إجاباته في لقاء ثانٍ حين ظهر لنا بأن ابن عمه عبد القادر ضابط الدرك الوطني الذي حضر جزءا من اللقاء معه في منزله هو الذي حرر الاستمارة باللغة الفرنسية بالاتفاق مع ابن عمه العقيد.

عند وفاة المعني بالأمر، أصررنا فيها على التنوع في الشهادات، كما كان الأمر في حالتي الرئيس هواري بومدين والسيدة نفيسة لاليام-حمود¹⁹. علما بأن الاتصالات الأولى مع الوزراء قد تمت في أماكن عامة مختلفة مثل اللقاءات الحزبية وفي جنازات بعض الوجوه السياسية وفي المطار عند السفر وغيرها من اللحظات التي استغلها الباحث للتواصل مع أعضاء النخبة الوزارية، الذين عادة ما كانوا خارج الخدمة... عكس بعض الحالات التي كان الوزير(ة) فيها لا يزال في منصبه داخل الحكومة وفضل أن تجري المقابلة معه في مكتبه بالوزارة. مقابلات تكون قد سهلتها شخصية الباحث الذي تحول إلى وجه معروف داخل الساحة الوطنية، استمرت علاقاته مع بعض الوزراء لتتحول إلى علاقات صداقة مع بعضهم، بما فيهم رؤساء الحكومات.

أسئلة مقابلة لم يتحرج في الإجابة عنها الوزراء والوزيرات حتى عندما تعلق الأمر ببعض الأسئلة ذات الطابع الخصوصي كالزواج والإنجاب وبعض الاعتبارات الأخرى كتلك المتعلقة بالأصول الاجتماعية ومهنة الجد أو الأب في حالة القرب من الظاهرة الاستعمارية، على غرار أبناء القياد والبشاعات التي مازالت تثير بعض الحساسية في الجزائر، بعد عقود من استقلال البلاد، سواء أنعلق الأمر بالوزراء أو بالوزيرات.

وكان يتم ملء الاستمارة في حصة واحدة، تتراوح بين الساعة والساعتين، وفي بعض الحالات كان لزاما علينا العودة مرة ثانية للانتهاء فيها من المقابلة، عندما نكون مع وزراء أصحاب تجربة سياسية متميزة ومسار سياسي طويل، كما حصل لنا مع وزراء ورؤساء حكومات من أمثال عبد السلام بلعيد ورضا مالك وأحمد طالب الإبراهيمي.

أسئلة مقابلة قمنا بتفريغها لاستعمال معطياتها بشكلين رئيسيين؛ فقد قمنا بتفريغ الأسئلة المغلقة المتعلقة بالوقائع للحصول على جداول إحصائية، قدمنا فيها بعض المعطيات ذات القيمة التفسيرية المهمة كتلك المتعلقة بالأصول الاجتماعية للوزراء ومستوياتهم التعليمية وشهاداتهم العلمية وسنهم ومهنتهم... إلخ، مست جيل الجدّين والأب والوزير الحفيد نفسه، وسمحت لنا بالقيام بمقارنة جيلية للتعرف بدقة عما ميز هذه الأوساط الاجتماعية التي أنتجت للجزائر نخبة الوزارية التي وصلت إلى الهيئة التنفيذية بعد الاستقلال، مما جعلنا نقرر الانطلاق مع وزراء هذه الفترة وليس قبلها، إلا في حالتين استثنائيتين كانتا مع عبد الحميد مهري وبلين خان اللذين عينا كوزيرين

19. تم الاتصال في الأول مع صديقتها مامية شنتوف حين تقديمها محاضرة عنها في مقر يومية المجاهد بالعاصمة في ديسمبر 2006 بمناسبة ذكرى وفاتها. هي التي كانت قد ناضلت معها داخل الحركة الوطنية النسوية منذ أربعينيات القرن الماضي، وهي التي أوصلتنا إلى ابنتها طيبة العيون، الطب الذي كان مهنة الزوج مصطفى لاليام ضابط جيش التحرير كذلك. أصررنا على التواصل مع عائلة نفيسة لاليام حمود لما ميز أصولها الاجتماعية ومسارها السياسي والمهني من خصوصيات.

بعد الاستقلال في أوقات مختلفة²⁰، بعد تجربة الحكومة المؤقتة أثناء ثورة التحرير²¹. تجربة الحكومة المؤقتة التي كانت حاجزا بالنسبة لأبناء هذا الجيل في طريق وصولهم إلى الحكومة بعد الاستقلال، نتيجة ما ميز فترة ما قبل الاستقلال من صراعات سياسية بين قيادة أركان جيش التحرير التي قادها العقيد هوارى بومدين والحكومة المؤقتة كما تطرق لها بالتفصيل المؤرخ محمد حربي²² وكما ذكر عبد الحميد مهري لتفسير أبعاده عن الحكومة بعد الاستقلال... كان هناك نص غير مكتوب خلال فترة حكم الرئيس بومدين يقضي بإبعاد أعضاء الحكومة المؤقتة، نتيجة حساسيات قديمة لم يتخلص منها الكثير...²³ تحليل كمي استعملنا فيه معطيات مائة حالة، تعاملنا معها كمؤشرات فقط لقياس اتجاهات عامة، لعلها تفيدنا في فهم أكثر للقضايا التي ناقشناها ونحن نثير مسألة النخبة السياسية في الجزائر، مقابل العينة الأوسع التي تجاوزت 150 حالة استعملنا إجاباتها في التحليل الكيفي ونحن نناقش الكثير من القضايا المطروحة في هذه الدراسة التي حاولنا أن نتعرف فيها على الوسط الاجتماعي الذي أنتج للجزائر وزيرها ووزيرتها ورئيس حكومتها بعد الاستقلال، بكل الخصوصيات التي ميزت التاريخ السياسي والاجتماعي للجزائر بما عرف عنه من استعمار استيطاني طويل كما هو مبين في أقسام الكتاب.

زيادة على ما استعملناه من معطيات جاءت في المذكرات التي كتبت من قبل بعض الوزراء ورؤساء الحكومات، احتوت على الكثير من المعلومات ساعدتنا في تدقيق الكثير من القضايا التي جاءت في المقابلات التي أجريناها قبل صدور هذه المذكرات، كما كان الحال مع عبد السلام بلعيد وأحمد بن بيتور ومصطفى لشرف وأحمد طالب الإبراهيمي وليلى عسلاوي وزهور ونيسي من الوزارات... منحتنا تفاصيل أكثر دعمنا بها تحليلنا، أكدت لنا مرة أخرى صدق المعلومات التي جاءت في المقابلات. ظاهرة كتابة المذكرات التي توسعت بعد الانفتاح الذي عرفه النشر في الجزائر بعد أحداث أكتوبر 88 كجزء من الانفتاح السياسي الكلي الذي انطلق في تسعينيات القرن الماضي الذي عرفته البلاد، استمر مع الوقت على الأقل في ميدان النشر.

20. عُيِّنَ ملين خان وزيرا للأشغال العمومية والبناء بين (1966-96)، وتوجه نحو العاصمة النمساوية فيينا كمدير عام لمنظمة الأمم المتحدة للتنمية. هو الذي احتل منصب مسؤول المالية في الحكومة المؤقتة، في حين كان تعيين عبد الحميد مهري على رأس وزارة الإعلام والثقافة في (1979-80) في بداية وصول الشاذلي بن جديد إلى الرئاسة (ارتبط بعلاقة مصاهرة معه لاحقا على مستوى جيل الأبناء) قبل الوصول إلى الأمانة العامة لحزب جبهة التحرير بعد مواقع دبلوماسية في العاصمتين الفرنسية والمغربية كسفير للجزائر.

21. لمزيد من التفاصيل حول شروط تعيين الرجلين في الحكومة المؤقتة انظر : ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 242-247، بالنسبة لأمين خان المسمى عبد الرحمن، وبين الصفحات 623-628 بالنسبة لعبد الحميد مهري.

22. Mohammed Harbi, *Le FLN mirage et réalité. Des origines à la prise du pouvoir 1945-62*, Éd. Naqd-Enal, Alger, 1993, p. 255-268.

23. ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، دار الشهاب، الجزائر، 2011، ص 623.

مقابلات تطلبت منا وقتا طويلا لإنجازها بالكامل، استمرت معنا إلى غاية تاريخ نشر الكتاب، بسبب اهتمامات علمية ومهنية أخرى جعلتنا نضع البحث جانبا لبعض الوقت، للتكفل ببحوث أخرى صدرت خلال نفس الفترة، كان من بينها كتاب تحت عنوان الوزير الجزائري، أصول ومسارات الصادر عن دار الشهاب في 2011، الذي نشرنا فيه جزءا مهما من المقابلات (135 بالضبط) أجرياناها مع أعضاء النخبة الوزارية في إطار هذا البحث، وقمنا بتقديمها على شكل بورترية فردية، ولم يمنعنا ذلك من الاستمرار في إجراء مقابلات أخرى، استعملناها لتدعيم التحليل النوعي للدراسة الصادرة في هذا الكتاب الموجود بين أيدي القارئ الآن. في حين اكتفينا بالمائة مقابلة الأولى لإنجاز التحليل الإحصائي الكمي الذي ظهر على شكل جداول في الدراسة، قمنا بإنجازها للاستئناس بها في التحليل السوسيولوجي، دون ادعاء تمثيل إحصائي للعينة الأم من الوزراء الذين زاد عددهم في السنوات الأخيرة بعد الاضطراب الذي عاشه النظام السياسي الجزائري، لم يعد يستمر فيه بعض الوزراء في مناصبهم إلا أياما قليلة... عكس الوزراء الذين أجرينا معهم المقابلات وتعمدنا أن يكونوا متنوعين من حيث مساراتهم المهنية والسياسية وسنهم وأصولهم الجغرافية وفترة وصولهم إلى عضوية الحكومة وغيرها من المؤشرات التي برزت في التحليل. وهو نفس المسعى الذي قمنا به ونحن نتعامل مع المرأة الوزيرة التي ينطبق عليها ما انطبق على العينة الكلية، فلم نجد صعوبات معينة معهن لا من حيث مكان اللقاء، الذي تم في المكاتب بالنسبة للوزيرات في الخدمة أو في منازلهن عندما يكنّ بعيدات عن المنصب، ولا من حيث الإجابة عن أسئلة المقابلة. بل بالعكس فقد كانت بعض الوزيرات النساء أكثر سلاسة في الإجابة عن الأسئلة التي تضمنتها المقابلة، بما فيها ذات الطابع الشخصي.

دون أن يعني ذلك عدم مواجهتنا لبعض الصعوبات ونحن ننجز مقابلاتنا مع أعضاء العينة من الوزراء ورؤساء الحكومات كتلك المتعلقة بتحديد مهن الجدين على سبيل المثال، في حالة الوزراء الذين توفي جدهم وهم صغار في السن، ولم يتمكنوا من تحديد مهنته بالدقة المطلوبة... في مجتمع لم يعرف تقسيما اجتماعيا - مهنيا صارما، يمكن أن يزاول فيه الفرد عدة مهن في نفس الوقت؛ مما خلق لنا بعض الصعوبات في تحديد مهنة الجدين في بعض الحالات، خاصة عندما يتعلق الأمر بالجد من الأم الذي كانت معلومات الوزير الحفيد عنه أقل كماً وأكثر ضبابية، خاصة إذا كان من وسط متواضع اجتماعيا وثقافيا، عكس الجد من الأب الذي عادة ما كانت المعطيات حوله أكثر دقة ووضوحا.

وهو ما يحيلنا للمستويات التعليمية للجدين التي كان من الصعب على الحفيد(ة) تحديدها بدقة، حتى عندما يتعلق الأمر بالجد الأمي الذي عادة ما كان يضيف الحفيد وهو يتكلم عنه أنه كان حافظا لجزء من القرآن، يسمح له بالصلاة كعادة ثقافية - دينية قديمة في المجتمع الجزائري، تعاملنا معها كحالة أمية إذا كان الجد لا يعرف القراءة، وليس حفظ

بعض أجزاء الآيات أو السور القرآنية لاستعمالها في الصلاة اليومية فقط، كانت هي الغالبة كما يظهر من خلال الدراسة... عكس الحالات التي يكون فيها الجد من أصحاب المستويات المتوسطة والعليا (حالات قليلة جدا ضمن عينتنا)، أو من أصحاب الشهادات الذين استفادوا من دراسات منتظمة داخل النظام العصري بشقيه الفرنسي والأهلي الذي كانت تسيره جمعية العلماء أو حزب الشعب الذي كان يؤهل أصحابه للحصول على الشهادة الابتدائية التي كانت حاجزا مهما في مسار الجزائريين نحو تعليم عام لم يكن متاحا أمام الكثير منهم خلال تلك الفترة، رغم ما مثلته الشهادة الابتدائية من مفتاح للوصول إلى الكثير من المناصب البسيطة والوسطى المقترحة على الجزائريين داخل الإدارة الفرنسية... زيادة على خريجي تعليم الزوايا الذي كان يؤهل للإتحاف بالتعليم التقليدي في الجزائر والبلدان العربية.

مع العلم أن الوضع الأمني والسياسي الصعب الذي أجرينا خلاله الجزء الأكبر من المقابلات لم يؤثر سلبيا على تقدم البحث، رغم الاتصالات الكثيرة التي كان يتطلبها إجراء المقابلات في مدينة العاصمة تحديدا التي عرفت خلال عقد التسعينيات، فترة انطلاق الاتصالات، وضعا أمنيا صعبا للغاية، لم تتأثر به كثيرا الأحياء الراقية التي يقيم فيها الوزراء، عكس الأحياء الشعبية... رغم أنها الفترة نفسها التي تم فيها اغتيال وزراء كما كان الحال مع عالم الاجتماع جيلالي لباس في 19 مارس 1993 بحي بن عمار الذي كان يسكنه، وكذلك أبو بكر بلقايد الذي كان في قائمة اتصالاتنا لإنجاز البحث، والذي اغتيل بعد سنتين من ذلك (28-09-1995) وهو خارج من اجتماع بوسط العاصمة.

زيادة على الاستغلال الذي قمنا به لنتائج المقابلات، استعملنا الكثير من المراجع الأكاديمية الصادرة بالفرنسية والعربية، المنجزة من قبل باحثين جزائريين وغربيين، صدرت بالجزائر والخارج في مجالات علمية شتى، تاريخية، اقتصادية، سياسية وسوسيولوجية، استعملناها في تحليلنا... منها الحديث الصادر في السنوات الأخيرة، ومنها القديم المعروف ببعض كتب المؤرخين الفرنسيين المعروفين باهتمامهم القديم بالجزائر مثل روبر أجرون، وهي مذكورة في المراجع. مقابل غياب الدراسات العلمية حول النخب السياسية الجزائرية التي لم تسعفنا كثيرا في مناقشة نتائج بحثنا، لما ميز هذه الدراسات من عمومية وعدم دقة في أحيان كثيرة، مما جعلنا نذكر بهذه الدراسات ضمن المراجع دون أن نستعملها.

الجزائر - أكتوبر 2024.

ناصر جاي

حفريات في سوسيولوجيا النخبة السياسية

الفهرس

35	مقدمة عامة
37	الإطار العام الاقتصادي والاجتماعي للدراسة
39	الموت، الإفكار، والهجرة
42	... وتوسيع الملكيات
44	بعض دراسات الحالة
47	أزمة مجتمع، أم أزمة رأسمالية كولونيالية ؟
50	المدينة الجزائرية ميدان للتكديج
52	الموظف الاستعماري... الربا وتوسيع الملكيات
53	انحطاط وضع العائلات الكبرى
54	الفئات الوسطى... في حالة استعمارية استيطانية
	الوزير الجزائري: هل تفسر الأصول الاجتماعية المواقع السياسية؟
61	بعض القضايا المنهجية
63	جيل جدّ الوزير. نخبة وزارية غنية لمجتمع فقير
66	الوزير ابن القوى الزراعية المالكة الكبيرة والمتوسطة. بعض الاعتبارات المنهجية
70	أبناء الأغنياء الذين حكموا الجزائر بعد الاستقلال. حالات واتجاهات
75	مع أبناء الزوايا الأغنياء مرة أخرى
80	بوعلام بسايح المالقاش الفرنكو-إسلامي الذي عمّر طويلا
83	مصطفى لشرف : المثقف الذي وجد نفسه تحت الأضواء
85	عندما تتدهور الحالة الاقتصادية للعائلة. بشير بومعزة وآخرون
88	حالة الأخوين شيبان : مسارات تعليمية مختلفة ومصير واحد
90	طبيب آخر على رأس وزارة الشؤون الدينية في ظرف صعب
92	الظهور المتقطع لأبناء الغرب قبل وصول بوتفليقة
93	أبو بكر بلقايد الوزير السياسي

96	الانتشار الوطني لأبناء الفئات الوسطى المالكة
98	عندما يصل الإخوان المسلمون إلى الحكومة
108	أبناء الفلاحين الصغار الحاضرون في أكثر من موقع
111	وزراء أبناء منطقة القبائل من الهجرة إلى العمل النقابي
114	الوزراء المتعلمون من أبناء الريف الفقير
116	عندما يصل أبناء الفقراء إلى الحكومة
119	رابح بيطاط وشريف مساعدي... اللذان كانا أكثر من وزير
122	عندما كان مساعدي يريد الالتحاق بالمرشح
125	الوزراء أبناء المدن... وعدم التجانس
125	... أبناء التجار والحرفيين الذين استفادوا من القرب الجغرافي من المدرسة
127	علي هارون الذي كان يريد الاستقالة من المجلس الأعلى للدولة
129	الظهور الضعيف والمتقطع لأبناء التجار المزابيين
134	العمل برئاسة الجمهورية كقوة دفع لأبناء بيروقراطية ناشئة
137	بوعلام باقي، الوجه المحافظ للوطنية الجزائرية
140	الهادي خذيري الذي لم يكن يصلح ليكون وزيرا
143	أبناء الموظفين الصغار الذين أصبحوا كبارا
144	مراد مدلسي، ابن تلمسان الذي اخترق الزمن السياسي
146	الشيخ بوعمران الذي شاهده الرئيس الشاذلي في التلفزيون
149	أبناء القطار الذين وصلوا من جهات مختلفة
156	أبناء المعلمين والأئمة ... على رأس وزارتي التربية والثقافة
157	انطلاق الصراع على المدرسة في أول سنة للاستقلال
166	أبناء معلمي اللغة الفرنسية... القبائل وأبناء تلمسان
171	الوزير ابن العامل الأجير المتنقل بين الضفتين
175	أحفاد البشاغات والقياد الذين حافظوا على حضورهم
177	العربي بلخير ابن القايد صانع الرؤساء
180	طبال فاروق ابن النخبة التلمسانية في أوضح تجلياتها
183	عندما يتشابه جدّ الوزير
184	المصاهرة والقرابة عند عائلات الوزراء
188	حالات عدم التجانس الاجتماعي داخل الوسط المنتج للوزير

- جيل الآباء... بين الاستمرارية والقطيعة..... 189
- وصول أبناء البيروقراطية الناشئة..... 190
- التمثيل الوطني الواسع جغرافيا لأبناء المعلمين والأئمة..... 191
- وصول أبناء البيروقراطية الناشئة..... 192
- الوزراء أبناء العائلات المهاجرة إلى المغرب. شريف بلقاسم الأكثر من وزير..... 194
- العائلات المهاجرة إلى المغرب. الوصول إلى القصر العلوي..... 197
- أبناء القضاة ومهن العدالة المتوسطة الأخرى..... 199
- عبد الحميد أبركان الوزير رئيس البلدية..... 199
- الأمين خان. الانكسارات الاجتماعية والعائلية المولدة للجذرية السياسية..... 202
- محمدي محمد الصالح وزير الداخلية ابن القضاة لثلاثة أجيال..... 203
- أبناء التجار الصغار الذين ارتبطت الهجرة لديهم بالترقية الاجتماعية..... 204
- أبناء الحرفيين الصغار وغياب أبناء أجراء الزراعة..... 206
- أبناء الهجرة العمالية القبائلية: من مواقع المعارضة إلى مواقع السلطة..... 207
- إيسلي محمد أرزقي... خادم الدولة الذي لا يستقيل..... 214
- بوعلام بن حمودة الذي مثّل ولايته التاريخية لأكثر من رُبع قرن..... 215
- هل مثل أبناء العمال الأجراء الفئات الشعبية الحضرية داخل الحكومات؟..... 217
- أبناء القياد والبشاغات الذين تضاعف حضورهم..... 220
- عبد المجيد أوشيش ابن البشاغا الذي كان يريد أن يبقى مديرا عاما..... 221
- أبناء الريف من الملاك الكبار والمتوسطين الذين حافظوا على قوة حضورهم..... 227
- عالم الريف الفقير وأبناؤه المشاهير الأقوياء... كما عبّر عنهم بومدين..... 229
- الجد والأب والحفيد الوزير... في الاتجاهات الكبرى..... 236
- الفقير والغني... تقييم الأبناء لمكانة العائلة الاجتماعية..... 239
- أبناء الفقراء... البكر الذي يدخل سوق العمل مبكرا.
- حالة عبد الله عرباوي الوزير الذي تم التنكيل به..... 242
- نظرة أبناء الأغنياء..... 245
- نظرة أبناء المتوسطين المترددين.. شوية، بين ما فوق وما تحت المتوسط..... 247

مقدمة عامة

سنخصّص هذا الجزء من الدراسة بالكامل لإنجاز عملية حفر في المنحدرات الاجتماعية للوزير الجزائري للتعرف بدقة على الأوساط الاجتماعية التي أنتجت للجزائر وزيرها بعد الاستقلال¹ من مختلف الجوانب السوسولوجية والثقافية والجغرافية، والاطلاع - لاحقا - على المواقع التي احتلها داخل الهيئة التنفيذية بعد متابعة الاستراتيجية المتخذة في الوصول إلى المنصب. ففي المرحلة الأولى، وكإطار عام، سنحاول التعريف بأهم خصائص المجتمع الجزائري في اللحظات التاريخية التي أُنتج فيها هذا الوزير، لنقوم في المرحلة الثانية بالتعرف مباشرة على المحيط العائلي والمنحدرات الاجتماعية للوزير الجزائري كوسط اجتماعي وثقافي من خلال عدة مؤشرات لأكثر من جيل، كتلك المعطيات المتعلقة بمهنة الجدّين والأب، ومهنة الوزير ذاته قبل وصوله إلى الوزارة.

لهذا الغرض سنتطرق إلى القوى الاجتماعية التي أفرزتها التحولات العميقة التي عاشها المجتمع الجزائري منذ الغزو الاستعماري في 1830، وميزان القوى الاقتصادي والاجتماعي بين هذه الطبقات والفئات والشرائح في علاقاتها البينية وبين النظام الاستعماري الاستيطاني من خلال مسألة الملكية العقارية، بأشكالها المختلفة كالنزع والمصادرة والشراء، سيكون من أهداف هذا الفصل الذي سنركز فيه على النظرة الديناميكية المتغيرة وما أنتجته من إفرزات على أكثر من صعيد كلي وجزئي، سواء أتعلق الأمر بالريف أو بالمدينة.

وقد ارتكزنا في إنجاز هذا البحث - كمقام أول - على معطيات حصلنا عليها في مقابلات مباشرة مع مجموعة كبيرة من الوزراء الذين وصلوا إلى عضوية الحكومة في فترة ما بعد الاستقلال، واعتمدنا على استمارة مقابلة زاجنا فيها بين الأسئلة المفتوحة والمغلقة، زيادة على ما استطاعت أن تسعفنا به الدراسات الأكاديمية في مختلف حقول المعرفة الاجتماعية التي تطرقت إلى المجتمع الجزائري خلال هذه المرحلة الطويلة من تاريخه، بالإضافة إلى ما كتب من مذكرات من قبل الوزراء والوزيرات ورؤساء الحكومات أنفسهم أو ما كُتب عنهم، باللغتين العربية والفرنسية - في الغالب - في الجزائر وخارجها، وقد زاد عددها

1. حالات قليلة جدا لوزراء كانت لهم تجربة داخل الحكومة المؤقتة - كما هو حال أمين خان وعبد الحميد مهري - واستمروا بعد الاستقلال، نبهنا لها ونحن نتكلم عنهم، وكيف تم تهميشهم من قبل نظام بومدين الذي لم يكن راضيا عنهم.

وتحررت أكثر من حيث محتواها بعد الإعلان عن التعددية الحزبية بداية من تسعينيات القرن الماضي².

إنَّ المجتمع الجزائري، بعد الغزو الفرنسي في 1830، عرف عمليات تحول عميقة وعنيفة تركزت حول ملكية الأرض أساسا، كان من نتائجها المباشرة الكثير من السيورات، وعلى رأسها عمليات المصادرة الواسعة التي تعرضت لها الملكية العقارية الجماعية والفردية للجزائريين، فالأرض كانت - واستمرت لوقت طويل - رأسمالهم الجماعي والفردى الأساسي وقاعدة حياتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية³.

القضاء على النظام الحِرْفِيّ بخصائصه ومستوى تطوره في المدينة الجزائرية، كان هو الآخر من النتائج المباشرة للغزو الاستعماري الرأسمالي. عمليات التحطيم والبناء هذه التي ارتبطت بتحويلات عميقة في مواقع وأدوار الكثير من القوى الاجتماعية، بعد أن تدهورت حالات الكثير من الفئات والطبقات الاجتماعية في المدينة والريف، مع كل ما حملته وارتبط بها من قيم وتنظيمات اجتماعية، كالقبيلة والنظام القبلي، لتتمكن قوى اجتماعية من الصمود والصعود، ولو في وقت لاحق، بعد التحويلات العنيفة والتكيف الذي قامت به خلال النصف الأول من فترة الغزو الاستعماري - كما تبينه الكثير من الدراسات التاريخية - مما يفرض علينا القبول بالتحقيب الذي اعتمدته الكثير من المراجع والدراسات عند حديثها عن التحويلات المختلفة التي أفرزها النظام الاستعماري الاستيطاني في الجزائر، طول مدة بقائه الطويلة لأكثر من قرن.

بالفعل، فالكثير من المؤرخين يمنحون سنوات (1870-71) مكانة خاصة في هذا الصدد ؛ فقد كانت نهاية مرحلة الانتفاضات الشعبية المسلحة التي قادتها قوى ريفية تقليدية، دينية في الكثير من الأحيان، محصلة هذه الانتفاضات التي كانت نتائجها تعبيرا واضحا عن نجاح عمليات المصادرة والتحطيم التي لازمتها، للكثير من القوى الاجتماعية في الريف الجزائري. كما كان هذا التاريخ، بكل ما تزامن معه من أحداث مختلفة في الجزائر وفرنسا، نقطة تحول في التعامل السياسي للظاهرة الاستعمارية نفسها، وهي تغير في نمط تعاملها مع المجتمع الجزائري، مركزة على المدى الطويل، بعد أن ترسخت لديها فكرة الانتصار والبقاء في الجزائر.

2. سيطرة القطاع العمومي على النشر في الجزائر إلى غاية الإعلان عن التعددية لم يساعد النخب - بمختلف مكوناتها - على التعبير عن نفسها بالكتابة التي تمت - على قَلْبَتِها - في التراب الفرنسي كما كان الحال مع كتابات المؤرخ محمد حربي ومصطفى لشرف ؛ عكس مرحلة التعددية التي عرفت انتشارا كبيرا نسبيا للمؤلفات بمختلف أنواعها، تطرقت إلى مواضيع لم تكن ممكنة في مرحلة الأحادية...

3. انظر في هذا الصدد :

أطروحة الدولة في القانون للسيدة سعاد بن جاب الله، وخاصة فصولها الأربعة ص 118/9.

Bendjaballah Souad, *Droit foncier étatique et stratégies locales ; les réponses plurielles à la violence des politiques domaniales en Algérie entre 1962/95*, Thèse d'Etat en droit, option anthropologie juridique, Université de Constantine, juin 1997, 429 pages.

في المقابل حلّ نوع من اليأس والركون للأمر الواقع لدى القيادات والنخب الاجتماعية الجزائرية التقليدية التي ارتبطت بقيادة المقاومة الشعبية في مرحلتها الأولى، في الريف على وجه الخصوص، علما بأن هذه الفترة التاريخية الهامة هي التي يمكن عدها - من دون كثير عناء - فترة مولد الجدد بالنسبة للوزراء الصغار في السن، والأب بالنسبة للكبار. هذا الوزير الذي أنتجته التجربة السياسية الجزائرية، سنقوم - قبل التطرق إلى عائلته والوسط الاجتماعي الذي أنتجه - بالحديث عن الظروف العامة التي وُلد فيها وما ميزها من خصائص وشروط.

الإطار العام الاقتصادي والاجتماعي للدراسة

المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون في كتابه تاريخ الجزائر المعاصرة⁴ يمنح الكثير من التفاصيل عن مرحلة المقاومة الشعبية التي عرفت عدة مناطق من البلاد، والتذبذب في الموقف الفرنسي الرسمي في بداية الاحتلال نتيجة للتحويلات التي عرفت الساحة السياسية الفرنسية نفسها داخليا من جهة، وللمقاومة الشعبية التي واجهتها من جهة أخرى؛ فقبل الوصول إلى مرحلة الاحتلال الكلي، كانت الحرب والعملية الاستعمارية طويلة ووحشية في غالب الأحيان، مثبتة للعزائم بالنسبة للجنود والضباط الفرنسيين، الذين حُضروا لكي يفقدوا كل إحساس، واستمروا رغم ذلك تحت تأثيرات هذه الحرب التي كانت من أكثر الحروب كلفة على المستوى البشري مقارنةً بأيّ حرب استعمارية أخرى، من جراء عيوب الإمدادات ونقص الخدمات الصحية. أما بالنسبة للمسلمين المهزمين فالحصيلة كانت أثقل بكثير، فقد تم تحطيم البلد في وقت تدهور الوضعية الاقتصادية بسبب سياسة الهجمات المباشرة (Les razzias)، المنسقة والدائمة، لتحطيم مخازن الحبوب واختطاف المواشي ونزع الأشجار؛ مما أدى بالضرورة إلى ظهور الأوبئة والأمراض التي قضت على السكان الذين كانوا تحت تأثير سوء التغذية⁵...

فقد كانت الحرب الديموغرافية من أولى محطات الاستعمار الاستيطاني الذي عرفتة الجزائر، وكانت «... أكبر من وباء، إذ تسببت في موت مجتمع، أحسّ به أفرادُه على هذا الأساس...» هذا ما جاء في مؤلف Annie Rey-Goldzeiguer, *Le Royaume arabe* الذي يذكره جيلالي صاري في مؤلفه⁶ حول النكبة الديموغرافية.

كانت هذه هي نتيجة الأربعين سنة الأولى الطويلة من الاستعمار، من المقاومة، من التكاليف المتعدد الأوجه لجيش محترف مصمم على احتواء شعب كامل، ومن الاحتكاك

4. Charles-Robert Ageron, *Histoire de l'Algérie contemporaine*, Éd. Puf, Paris, 1970.

5. نفس المرجع المذكور، ص 19.

6. Djilali Sari, *Le désastre démographique*, Éd. SNED, Alger, 1982, 260 pages.

العنيف لاقتصاد نقدي باقتصاد تقليدي وحرية المبادلات التجارية. وكانت السنوات الأخيرة من هذه المرحلة ذات نتائج نهائية، فقد انهارت الجزائر التقليدية خلال عشر سنوات.. كما تستخلص ري فولدزيفر، التي تعمقت في دراسة هذه الفترة (1960-70) «... كانت العوامل الإنسانية - أي تلك السياسية والعسكرية والاقتصادية منها، وبما لا يُقَارَن بالعوامل الطبيعية الأخرى - هي المحددة في حصول هذه النكبة الديموغرافية التي ذهب ضحيتها مليون جزائري خلال فترة قصيرة نسبيا (1866-1872)».

شارل روبير أجرون، نفسه، وفي مؤلف أشمل، يذهب في نفس الاتجاه للحديث عن نفس الظواهر⁷ والنتائج، فالانفتاح الذي عرفه الاقتصاد التقليدي للجزائر داخل الحالة الاستعمارية الاستيطانية التي فرضت عليه عنوة... هو الذي يفسر - جزئيا على الأقل - النتائج المدمرة للمواسم الزراعية السيئة. فبلد، مخازن الحبوب فيه فارغة وبوسائل نقل بدائية، ومجتمع بدأت تتباعد فيه العلاقات بين الخماسين والمالكين، وبين الأغنياء والفقراء، أصبح أكثر هشاشة... مثل المغرب. فالجزائر عرفت بين 1858 و1865 أزمة أكثر كارثية، الأخطر في تاريخها، فقد كانت - كما يبدو - أكثر مأساوية مما حصل في تونس والمغرب. فالكل يمكن أن يتصور نتائج ثلاث سنوات متتالية من الجفاف (1865-67) مضافا إليها نتائج غزو الجراد (1864-66-68) والأمراض التي تعرضت لها قطعان المواشي لتهلك نصف أعدادها، ناهيك عن المجاعة التي ضربت بقوة، والكوليرا (1865-67) والتيفوئيد (1868-69) و variole حتى 1872، قضوا على السكان الجائعين.

رغم أنه من الصعب تقدير نتائج الخسائر البشرية (تقديرات بين 200 ألف و500 ألف إنسان)، لكن التقلص الكبير في مداخيل الضرائب وإفقار القيادات التقليدية، يمكن أن يُبَيِّنَا كمؤثرين، حدة الضربة الموجهة التي تعرض لها المجتمع التقليدي. هذه الحرب الديموغرافية - بكل نتائجها البشرية - لم تكن ممكنة لولا سياسات المصادرة المنهجية والعنيفة التي فرضها النظام الاستعماري الاستيطاني على الملكية الزراعية للجزائريين أفرادا وجماعات، والخسائر البشرية لم تكن ممكنة لولا الإنهاك المبرمج الذي تعرضت له القاعدة الاقتصادية للجزائريين بما فيها من أراضي زراعية وغابات وشروط الاقتصاد الرعوي الذي كان يعتمد عليه كثير من الجزائريين كنشاط رئيسي أو ثانوي في بعض الجهات... فقد ارتبطت الظاهرة الاستعمارية الفرنسية بالعنف في ذهن الجزائريين. وليس في نيتنا الدخول في تفاصيل عمليات نزع الملكية المعروفة، والتي يمكن العودة إليها في مراجع كثيرة تحدثت عنها بدقة⁸، فنكتفي في هذا الفصل بالتعرف على نتائج

7. Charles-Robert Ageron, *Les Algériens musulmans et la France 1871/1919*, tome 1, Éd. Puf, Paris, p. 375.

8. انظر على سبيل المثال ما جاء في مؤلفات شارل روبير أجرون المعروفة من المؤرخين الفرنسيين، كما يمكن العودة إلى بعض المؤلفات الجزائرية الاقتصادية مثل مؤلفات بن أشهو أو جيلالي صاري أو عبد المالك صياد. (انظر قائمة المراجع).

العملية من خلال ما أفرزته من تحولات عميقة عاشها الريف الجزائري بعد عدة عقود من الغزو، على أن نتوقف عند نفس التحولات التي عاشتها المدينة الجزائرية بمختلف قواها الاجتماعية، والتي طورت عدة استراتيجيات في التعامل مع الظاهرة الاستعمارية بكل أبعادها كما كان حال القوى الاجتماعية الريفية.

الموت، الإفكار، والهجرة

في كتابه المعروف⁹ « تاريخ الجزائر المعاصرة » (Histoire de l'Algérie contemporaine)، يصف شارل روبير أجرون وضعية المجتمع الجزائري خلال الفترة الواقعة بين 1870 و1930 بهذه الصيغة: « المجتمع المسلم لم يتمكن من مقاومة زحف الاستعمار، فقد تحطمت أطره وانهار عملياً ». انحطاط العائلات الكبرى الذي بدأ خلال حكم الملكية الثانية، ازداد تسارعا بعد 1870. هذه العائلات المشكوك في ولائها والفاقة عمليا للقيادة، ازدادت فقرا؛ فالأرستقراطية التقليدية التي حُوربت بقوة لم يعد في مقدورها التكيف مع الأوضاع من جديد، لتختفي تماما بعد 1900، والقيادات الكبيرة (Les grands chefs) لم يتم تعويضهم، فلم تنجُ منهم إلا بعض العائلات « المرابطة » أو بعض الأسماء البطيركية (Patriarcales) في الجنوب، علما بأن هذه الأوساط الاجتماعية الميسورة قد لجأت - كاستراتيجية - إلى الهجرة خارج الجزائر في الكثير من الأحيان، وهو ما يذكره أكثر من مرجع تاريخي، كما تعرضت للنفي مثل ما حصل مع قيادات ثورة 1871، فقد قُدرت مصادر فرنسية عدد سكان مدينة الجزائر الذين غادروها بعد الغزو بـ 10 آلاف ساكن في 1834 وهو ما يمثل حوالي ثلث السكان الجماعي¹⁰ للمدينة، يغلب عليهم العنصر الغني والمتعلم، مما كانت له نتائج سلبية على العملية التجارية والحياة الاقتصادية والفكرية ككل في المدينة والبلد، كما تذكر ذلك نفس المصادر.

يضيف المؤرخ الفرنسي، فيما يتعلق بالمدن الجزائرية خلال هذه الفترة، أن البرجوازية التقليدية الحضرية - المكونة من المتعلمين والقضاة والتجار - ضعيفة الحضور أصلا، واختفت هي الأخرى تحت وقع الصدمة الاستعمارية، ولم تتمكن من النهوض مرة أخرى إلا بداية من سنة 1900 وتحت شكل جديد. الحرف التقليدية للأهالي تآثرت هي الأخرى ولم تصمد إلا في بعض المدن التقليدية مثل تلمسان وقسنطينة، في حين لم يبق في الجهات الأخرى إلا بعض الصناعات العائلية الصغيرة.

9. نفس المرجع، ص 57.

10. هذا ما يذكره شارل روبير أجرون في دراسته حول الطبقات الوسطى في الجزائر، ص 55.

Les classes moyennes dans l'Algérie coloniale, origines, formation et évaluation quantitative, in Les classes moyennes au Maghreb, cresp, Éd. CNRS, Paris, 1980.

عن الريف وقواه الاجتماعية التي تمثل الأغلبية الساحقة من الجزائريين، يقول نفس المؤرخ الفرنسي : « ... إن الفلاحين العرب كانوا ضحية مصادرة ملكيتهم العقارية المتزايدة، والتي استفحلت جراء بيع الأراضي من قبل الفلاحين المفلسين... نتيجة النظام الضريبي المفروض على الفلاحين الجزائريين والذي كان يهدف إلى تحقيق هذا الغرض بالذات... » فالفلاحون العرب - كما يصفهم الباحث - كانوا إلى غاية 1919 تحت وطأة نظام ضريبي خاص قاسٍ وصارم، محرومين من كل قرض زراعي، ولم يكونوا مع ذلك يعيشون بعيدين عن نظام التسويق الاقتصادي للأوروبيين¹¹، مما زاد في إفقارهم وتدهور وضعهم الاقتصادي، نتيجة لعدم المساواة التي تُميّز العلاقة بين الاقتصاد التقليدي والعصري.

بعد عمليات المصادرة الكبيرة التي تعرضت لها الأراضي الفلاحية التي يمتلكها الجزائريون، تحت أشكال مختلفة، يقول الباحث الفرنسي أن الفلاحين الجزائريين لم يقبلوا بسهولة الاشتغال كعمال زراعيين لدى الفرنسيين، مفضلين في البداية العمل كخماسين¹². وعلى العموم فإن المعمرين كانوا هم بدورهم يفضلون اليد العاملة الأوروبية. فأول الأجراء من الأهالي في القطاع الزراعي كانوا الحصادين، ثم ظهر العمال الموسميون أو بالقطعة. كان لا بد من انتظار بداية القرن حتى يظهر عمال الزراعة الدائمون الذين عوضوا اليد العاملة الأوروبية. السبب حسب المؤرخ الفرنسي راجع لكون الدخل المالي - كعامل زراعي، وحتى في زراعة الكروم - كان أقل من دخل استغلال قطعة أرض خاصة مهما كان حجمها، أو حتى الخماسة¹³. السبب الذي يفسر - حسب الباحث - التأخر في ظهور العمل المأجور وأهميته المحدودة¹⁴.

عمليات التخطيط / البناء كان من نتائجها الأساسية ظهور مجتمع جزائري جديد، تحت ضغط العنف والتحويلات العميقة والمتسارعة. وحسب المؤرخ شارل روبر أجرون دائما، فإن التركيبة الاجتماعية للجزائر خلال بداية القرن كانت كالتالي : الملاكون والمؤالون المستقلون يمثلون 52% من الفلاحين الجزائريين، أما الخماسون فنسبتهم كانت 30%، في حين لا تتجاوز نسبة عمال الزراعة 12%، أما أصحاب المزارع فكانت نسبتهم 5% فقط. تطورت هذه النسب بهدوء إلى غاية 1930، وإذا كانت نسبة الملاكين والمؤالين¹⁵ قد استقرت في حدود 52% من مجموع القوى الريفية، فإن مُلاك الأراضي قد تقلصت نسبتهم إلى حدود 24% فقط، في حين زادت نسبة عمال الزراعة بـ 18% وتقلصت نسبة الخماسين بـ 18% وأصحاب المزارع بـ 2%.

11. نفس المرجع، ص 59.

12. أي العمل مقابل الحصول على خُمس المنتوج وليس بأجر.

13. من خُمس، أي الفلاح الذي يشتغل مقابل الحصول على خُمس الإنتاج من صاحب الملكية.

14. نفس المرجع، ص 60.

15. ... الجزائر بلد الخروف، كان يعيش فيها 8 ملايين رأس حوالى سنة 1865 ليتقلص العدد إلى 7.7 مليون في سنة 1885 و6.3 مليون في 1900 حسب شارل روبر أجرون في المرجع المذكور، ص 58.

رغم هذه المعطيات التي يقدمها الباحث الفرنسي المتخصص في تاريخ الجزائر المعاصر، فإنه يذكر أن هذه المعطيات الكلية تبقى - مع ذلك - عاجزة عن إفادتنا بفكرة دقيقة عن حجم الكدح Prolétarisation الذي عاشه الفلاحون الجزائريون، وهو نفس الرأي الذي يذهب إليه باحث جزائري، خصص مؤلفات كثيرة لدراسة مصادرة أراضي الفلاحين الجزائريين¹⁶ من خلال مقارنة بين الدراسات الفرنسية وبين الكثير من المعطيات الإحصائية التي تقوم بحوصلة لمساحة الأراضي المنزوعة من الجزائريين والتي يقدرها بحوالي مليوني هكتار من أحسن الأراضي، مضافا إليها حوالي 1.300.000 هكتار من الملكية الرسمية وحوالي مليون هكتار كملكية خاصة للمعمرين، هذا دون الملكيات القريبة من المناطق الغابية التي نُزعت من ملاكها الجزائريين أثناء عمليات تحديد المناطق الغابية.

جيلالي صاري الذي يؤكد أن هذه المعطيات قريبة من تلك التي يقدمها Peyerimhoff وشارل روبير أجرون، والمقدرة بحوالي أربعة ملايين هكتار سنة 1920، منها 914.249 هكتار تمت عن طريق البيع، و 976.795 هكتار بعد تطبيق القانون بداية من 1887 ولغاية 1900، و 3114792 هكتار بين 1900 و 1920، وهذا رغم كل التحفظات التي يقدمها بصدد هذه المعطيات التي تبقى عاجزة - حسب وجهة نظره - عن الإلمام بكل المأساة ومن مختلف أبعادها¹⁷، ورغم هول هذه الأرقام المتعلقة بالمصادرة وسعتها.

عمليات تحوّل عميقة عاشتها مختلف جهات الجزائر وتكيفت معها بطرق مختلفة، كما هو واضح من خلال الاختلاف الموجود بين المناطق في الشرق والغرب، الريف والمدينة، الساحل والهضاب العليا... بالطبع عمليات التكيف هذه كانت مختلفة بدورها بين كل قوة اجتماعية وأخرى، دون إهمال للتغيرات المهمة في هذه الإستراتيجيات الفردية والاجتماعية في بُعدها الديناميكي، فقد غيرت الكثير من القوى الاجتماعية - مع الوقت - طرق تعاملها وتعايشها مع الظاهرة الاستعمارية، ليس في المجال الاقتصادي فقط بل الثقافي والسياسي كذلك.

فالمؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون، يوضح من خلال حالة الجهة الشرقية (منطقة قسنطينة) أن الملكية الخاصة الصغيرة كانت هي السائدة حسب ما يبدو من خلال الجدول التالي، رغم ملاحظة الباحث الهامة التي يؤكد من خلالها أن أغلبية الملكيات الزراعية الكبيرة (أكثر من 100 هكتار) في هذه المنطقة كانت مُجرّاة إلى قطع صغيرة، لكن ورغم ضعفها الإحصائي الكمي، إلا أن هذه القوى الاجتماعية المالكة، تمتلك قوة حضور اجتماعي هام¹⁸، في حين يقول عن البرجوازية العقارية أنها لم تكن معروفة في هذه الجهة الشرقية من البلاد.

16. Djilali Sari, *La dépossession des fellahs*, Éd. SNED, Alger, 1975.

17. جيلالي صاري، المرجع المذكور، ص 86.

18. انظر شهادة المجاهد عبد الله بن طوبال عن أدوار عائلة بوصوف السياسية والاجتماعية في منطقة ميلة بالشرق الجزائري، كعينة من العائلات المالكة الكبيرة مقارنة بعائلته المتوسطة.

Daho Djerbal, *Lakhdar Bentobbal. Mémoires de l'intérieur*, Éditions Chihab, Alger, 2021.

الجدول رقم 1 : يبين توزيع الملكية بين الجزائريين
في منطقة قسنطينة في حدود سنة 1900¹⁹

المساحة	نسبة المالكين %
أقل من 10 هكتار	55
من 11 إلى 20 هكتار	20
من 21 إلى 30 هكتار	12.4
أكثر من 100 هكتار	0.8

بالإضافة إلى المنطقة الشرقية، يقدم الباحث معطيات أخرى عن منطقة الشلف الفلاحية في غرب البلاد، والتي يرى بصدها أن الملكيات الزراعية الكبيرة فيها تكون قد أفلتت من قبضة الأرستقراطية التقليدية لصالح فئة من الأغنياء الجدد، ففترة ما بين الحربين العالميتين تكون قد مثلت وقت ظهور فئة وسطى مالكة تمثل حوالي 10% من العالم الريفي...²⁰ هذه المرحلة بالذات هي التي يعتبرها الكثير من المؤرخين الجزائريين والأجانب مرحلة ظهور المجتمع الكولونيالي في الجزائر بكل خصائصه التي عُرف بها، وبميزان القوى الاجتماعي والاقتصادي الذي ظهر به داخليا وفي علاقات مختلف قواه الاجتماعية بالظاهرة الاستعمارية.

... وتوسيع الملكيات

التعرف على توزيع الملكية العقارية في الجزائر خلال بداية هذه المرحلة، يمكن أن يكون مدخلا جيدا للكلام عن هذا المجتمع الجديد، لما لهذه القوى الاجتماعية المالكة من دور في عملية إنتاج النخبة السياسية بمفهومها الواسع وليس الوزارية فقط.²¹ فبالإضافة إلى هذه المعطيات الخاصة ببعض المناطق - على قلتها - والمتعلقة بتقسيم الملكية الزراعية في الريف الجزائري، حاولنا أن نعرض في جدول عام تقسيم الملكية كما ظهرت في سنة 1930، وهي الفترة التي تؤكد الدراسات أنها بداية لإمكانية الحصول على معطيات إحصائية أكثر دقة واتساعا بالمقارنة مع الفترة السابقة لها والتي تبقى المعطيات الإحصائية حولها ناقصة رغم أهميتها من الناحية التاريخية.

19. الجدول قمنا بتركيبه من المعطيات المتوفرة في كتاب شارل روبيير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ص 61.

20. شارل روبيير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصر، ص 61.

21. انظر في هذا الصدد : مؤلف محمد حربي المعروف والمذكور في المراجع أكثر من مرة.

Mohammed Harbi, *Le FLN: mirage et réalité. Des origines à la prise du pouvoir 1945-62*, Éd. Naqd-Enal, Alger, 1993.

الجدول رقم 2 : تقسيم الملكية الزراعية في الريف الجزائري

نسبة المالكين %	معدل الملكية %	نسبة الأراضي %
1.13% من الملاك	198 هكتار	21% من مجموع الأراضي
06% من الملاك	43.1 هكتار	21% من مجموع الأراضي
23% من الملاك	18.8 هكتار	35% من مجموع الأراضي
70% من الملاك	4 هكتار	23% من مجموع الأراضي

يقول المؤرخ الفرنسي، مُعلِّقًا على هذه الإحصائيات، أنها تُظهر ثلاث معطيات رئيسية : وجود ملكية عقارية كبيرة يمتلكها 1.13% من سكان العالم الريفي، فهُم رغم نسبتهم الضئيلة يستحوذون على 21% من الأراضي بمعدل 198 هكتار. الملاحظة الثانية تتعلق بوجود برجوازية صغيرة يذكر الباحث أنها قد تكون حديثة النشأة تمثلها 18.8 هكتار كمعدل وربما أكثر من ذلك، وهي الفئة التي تحتل أكبر مساحة من الأراضي الزراعية الخاصة كما هو موضح في الجدول (35%). المعطى الثالث الهام يتعلق بعملية الإفقار التي مست الغالبية العظمى من سكان الريف من الملاك الصغار الذين يمثلون حوالي نصف مليون مالك صغير (434.537) والذين لا يملكون كمعدل عام إلا 4 هكتارات أي 23% من الأراضي الإجمالية. إفقار يقول عنه الباحث أنه يُحسب على ظاهرة تزايد السكان فقط، بسهولة مربية²².

جيلالي صاري، وهو يدرس عمليات المصادرة التي تعرضت لها ملكية الجزائريين، يلاحظ - كما لاحظ ذلك الكثير من الباحثين المهتمين بمسألة الملكية وتوزيعها غير العادل في مجتمع كولونيالي مثل الجزائر²³ - أنه بالإضافة إلى الملكيات الواسعة من الأراضي التي استولى عليها الأوروبيون وبطرق مختلفة، لا بد من الانتباه أن أكثر من نصف مليون هكتار (582.102 هكتار) تم الاستحواذ عليها عن طريق الشراء من قبل أقلية من الأهالي بين 1909 و1917 فقط، مضيفا أنها تمت لصالح أقلية متميزة من المالكين العقاريين الكبار ذوي الأصول الريفية أو الحضرية.

إنهم الملاك العقاريون الكبار وتجار الحبوب الذين استغلوا السنوات الصعبة ذات المردود الضعيف كما حصل في 1904 و1909 و1912 لتوسيع ملكيتهم... إذن، فبالموازاة مع تكديح الأغلبية، تمت عملية بناء قوى اجتماعية مالكة جديدة، ليست بالضرورة هي نفس القوى التي كانت مسيطرة قبل الغزو الاستعماري؛ فقد أنتجت التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي تمت خلال العقود الأولى من الاستعمار مجتمعا جديدا بكل خصائصه وقواه الاجتماعية.

22. نفس المرجع والصفحة.

23. جيلالي صاري، ص 80، 81.

بعض دراسات الحالة

هذه السيرورات التاريخية المعقدة التي عاشها المجتمع الجزائري، قد تكون أكثر وضوحا إذا تم التطرق لها على المستوى « الميكرو » من خلال حالة جهات معينة أو مدن محددة، كما هو حال مدينة ندرومة التي رغم بعض خصوصياتها كفضاء حضري، تمكنت من المحافظة على الكثير من توازناتها الاجتماعية والاقتصادية، بما فيها الطابع التجاري والحرفي. إلا أنها ستكون مفيدة في التعرف على الوضع الجزائري العام.

دراسة مدينة ندرومة، كما يؤكد ذلك الباحث الفرنسي جيلبار غران غيوم في مقدمة مؤلفه « مهمة لأكثر من سبب » : « ... فهذا الوسط ممثل للجزائر برمته، لأننا نجد فيه أهم مميزات التركيبة الاجتماعية، بدءا من البرجوازية الحضرية التقليدية... لغاية الفئات الكادحة المبلترة (من بروليتاريا Prolétarisées أو مادون البروليتاريا) ذات الأصول الحرفية أو الفلاحية المنزوعة الجذور. إذن فدراسة المدينة من هذه الزاوية يمكن أن تكون مفيدة لفهم الجزائر الحديثة ؛ فقد شهدت ولو بطريقة مصغرة كل الظواهر الكبرى التي ميزت تطور البلد، مثل الرأسمالية المانيفاكتورية، ودخول الفلاحين للمدن، و"تبرقُط" البرجوازية الصغرى... »²⁴

جيلالي صاري هو الآخر كان قد قام بنفس الدراسة المونوغرافية من وجهة نظر مقارنة أوسع، ويذكر كخلاصة جزئية لدراسته المقارنة²⁵ للمدن الثلاث (ندرومة ومازونة والقلعة)، أن تَمَرُّز الملكية العقارية لصالح بعض العائلات الجزائرية والمعمرين على حساب المزارعين والحرفيين هي القاعدة، فقد تمكن آغا ترارة وأحد ورثته من الاستحواذ على 200 هكتار خلال ثلاثين سنة فقط (بين 1870 و1900) بندرومة بالذات، وهو نفس الشيء تقريبا الذي تمكن معمران اثنان من الاستحواذ عليه في غزوات، داخل الأراضي²⁶ المحاذية للمدينة.

وفي نفس العمل الذي قام به الباحث، لاحظ نفس الاتجاهات فيما يتعلق بالمدينتين الأُخَرَيَيْن (القلعة ومازونة) : تَمَرُّز ملكية عقارية على حساب الملكيات غير القابلة للتجزئة الصغيرة للفلاحين أو الحرفيين، ولصالح أقلية من المعمرين والجزائريين من الملاك الكبار... كما يلاحظ - في هذه الدراسة -²⁷ أن المعلومات الإحصائية المتوفرة عن الملكية العقارية في الثلاث مدن المدروسة، والمشهورة بطابعها التجاري والحرفي زيادة على النشاط الزراعي، تُبَيِّن ثلاثة اتجاهات رئيسية :

24. Gilbert Granguillaume, *Nedroma, l'évolution d'une medina*, Éd. E.J. Brill, Leiden, 1976.

25. Djilali Sari, *Les villes précoloniales de l'Algérie occidentale, Nedroma, Mazouna, Kalaa*, Éd. SNED, Alger, 1969.

26. نفس المرجع، ص 8.

27. نفس المرجع، ص 77.

- العدد الكبير للملكية الصغيرة والمتوسطة.
 - التمرکز العقاري لصالح أقلية من المالكين.
 - استمرارية، بل ازدياد الملكية العقارية من الأراضي لسكان المدن.
 فالملكية التي تقل عن 10 هكتار في الثلاث مدن المذكورة تمثل على التوالي 70% و77% و86% في مازونة القلعة وندرومة من المالكين، و26.6% من المساحات الكلية للأراضي في مازونة و22% في القلعة و45% بالنسبة لأراضي ندرومة.
 يضيف الباحث أن نصف هؤلاء المالكين، لا يملكون في حقيقة الأمر إلا أقل من خمس هكتارات كمعدل، هذه الملكية التي تبقى عاجزة عن سد الحاجيات الأساسية والاكتفاء الذاتي للعائلة.

أما فيما يتعلق بالملكية المتوسطة²⁸ المتراوحة بين 10 و50 هكتار، فهي تمثل ثلث مساحة الأراضي في القلعة و47% في مازونة و50% بندرومة. أما بالنسبة للمالكين فهي تمثل 17% في المدينة الأولى والربع في الثانية وحوالي 12% بالأخيرة. نفس الظاهرة تلاحظ عندما يتعلق الأمر بالملكية المتوسطة، فالمعدل الفعلي يتراوح بين 10 و20 هكتار فقط، والتي تبقى عاجزة عن سد حاجيات الاكتفاء الذاتي.

فيما يتعلق بالملكية الكبيرة التي تتجاوز 50 هكتار، هي من احتكار أقلية من سكان المدن، فإذا كانت الثلاث ملكيات الكبيرة في ندرومة لا تمثل إلا 13.8% من الأراضي الخاصة فإن 40 مالكا مازونيا وقلعيا يسيطرون على ما نسبته 29.6% و45% من الأراضي. التمرکز يظهر أكثر فيما يتعلق بالملكية الكبيرة التي تتجاوز 100 هكتار، فستة مالكين في مازونة و18 بالقلعة يملكون 8.6% و28.3% من الأراضي الإجمالية في الحالتين، يقول الباحث أن هذه الملكية تابعة لعائلات قديمة من مرحلة ما قبل الاستعمار أو تلك التي استفادت منها فيما بعد عن طريق عمليات بيع وشراء²⁹.

هذه الاستمرارية / القطيعة التاريخية التي عاشتها بعض المدن الجزائرية وعائلاتهما، سنحاول التعرف عليها عن قرب أكثر من خلال حالة مدينة ندرومة بالغرب الجزائري، والتي خصص لها الباحث الفرنسي جيلبار غران غيوم دراسة مونوغرافية لنيل شهادة جامعية. الباحث الذي يذكر بهذه الملاحظة التي يكون قد قام بها مقيم فرنسي سابق وهو يزور المغرب بعد أن لاحظ كثرة الموظفين من أصول ندرومية، تعبيرا عن ظاهرة التبقرط التي مست الكثير من أبناء الفئات الوسطى، فتساءل من تكون ندرومة هذه... مشتلة الموظفين³⁰... فرغم تغير السياسة الاستعمارية في الجزائر إلا أنها اعتمدت في تسييرها،

28. نفس المرجع، ص 81.

29. نفس المرجع، ص 88.

30. نفس المرجع، ص 38.

منذ البداية ولغاية 1880، على النخب المحلية التي تمثلها العائلات الكبرى لمرحلة ما قبل الاستعمار ؛ لكن، وتحت ضغط المعمرين، تغيرت هذه السياسة المعتمدة على التسيير غير المباشر نحو تسيير أكثر مباشرة عن طريق الإدارة الفرنسية³¹.

عن نفس المدينة يقول الباحث : « ابتداءً من سنة 1945 بدأت المدينة في الخروج من سكونها والتفتح على الأفكار السياسية، فقد تمكنت حركة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA من إيجاد موقع قدم لها بين أبناء البرجوازية الحضرية بالمدينة، لكن الأكثر حضوراً كانت أفكار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ابتداءً من سنة 1949³²، رغم معاداتها للزوايا التي كانت إحدى دعائم الإيديولوجية الدينية الحضرية لغاية هذه الفترة، مما جعل المدينة تستعصي على الفكر الإصلاحي ».

يلاحظ الباحث الفرنسي الاستمرارية التاريخية لهذه العائلات الندرومية، رغم كل التحولات التي عاشتها الجزائر والمدينة : « ... إن العقيد غنيم، أحد أحفاد القائد نقاش، قائد المدينة أثناء الاستعمار الفرنسي، هو الذي كان المسؤول العسكري للقوات المحلية LA FORCE LOCALE التي سیرت مرحلة ما قبل الاستقلال مباشرة، بُعيد اتفاقية إيفيان ؛ ليكون أول سفير للجزائر المستقلة أحد أبناء عائلة رحال المشهورة (عبد اللطيف)³³ والتي ارتبط اسمها بالمدينة جراء الأدوار الكبيرة الفكرية والسياسية والاقتصادية التي قامت بها داخل ندرومة وخارجها³⁴ ».

في نفس الإطار دائماً، يذكر المعلم الندرومي جباري بن عمر³⁵ - كشاهد من أبناء المدينة -، أن عائلة غنيم قد منحت أكثر من ضابط عسكري داخل الجيش الفرنسي، مثل الرائد غنيم مصطفى - ابن غنيم لمنور الكاتب العمومي - الذي توجه منذ صغره نحو المدارس العسكرية الفرنسية التي تخرج منها كضابط، وتوفي كرائد بالجيش الفرنسي. في حين يذكر غران غيوم في دراسته المونوغرافية لمدينة ندرومة، الابن الثاني للعائلة الجنرال غنيم رضا الذي احتل الأمانة العامة لوزارة الدفاع الوطني بعد الاستقلال (سنة 2000)³⁶.

31. نفس المرجع، ص 28.

32. انظر الملاحظات التي يقوم بها القيادي لخضر بن طوبال في مذكراته عن حالة مدينة ميلة فيما يتعلق ببعض خصائص القاعدة الاجتماعية جمعية العلماء في المدينة وحزب فرحات عباس الاتحاد الديمقراطي، ضمن المرجع المذكور في هذه الدراسة.

33. نفس المرجع، ص 166.

34. انظر - على سبيل المثال - المقالة التي خصصها عبد القادر جغلون ضمن مؤلفه تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية، دار الحداثة، بيروت، 1981، لمحمد بن رحال ومسألة تعليم الجزائريين، ص 59-124.

35. الذي اهتمن حرفة التدريس لعدة سنوات في مدينته قبل الانتقال إلى المغرب أثناء حرب التحرير للقيام بنفس المهنة في ثانوية مولاي يوسف المشهورة بالرباط.

36. غران غيوم، ص 113.

أزمة مجتمع، أم أزمة رأسمالية كولونيالية ؟

من الدراسات الاقتصادية/الاجتماعية المعروفة التي اهتمت بمسألة الملكية الزراعية في الجزائر ضمن الجو السياسي والفكري الذي ميز جزائر السبعينيات من القرن الماضي، والمتأثر بالتحولات الاقتصادية/الاجتماعية (الثورة الزراعية...)، زيادة على ما ذكرنا حتى الآن، دراسة عبد اللطيف بن أشنهو³⁷، والتي تعود بنا إلى مرحلة مفصلية لفهم التحولات الاقتصادية/الاجتماعية ؛ حيث يرى أن تحليل القوى الاجتماعية الموجودة حوالي 1930 ضروري لتحديد الظروف الاجتماعية لأزمة التراكم الرأسمالي بدأ من هذا التاريخ، وكيف أن هذه الأزمة أثرت بدورها على مختلف القوى الموجودة... فقد أدى نمو الرأسمالية في الأرياف الجزائرية إلى تمركز قوي ملكية الأرض بين أيدي برجوازية أوروبية وجزائرية، وهو الوضع الذي أدى إلى حركة تكديح عميقة جدا في وسط السكان الزراعيين الجزائريين، دون أن ينتج عن ذلك الاستغلال المستمر من قبل الرأسمال³⁸. بروز على شكل عمل مأجور. للحدث عن هذه التحولات الاقتصادية/الاجتماعية التي عاشها المجتمع الجزائري قرناً كاملاً بعد انطلاق الظاهرة الاستعمارية، قد نكون في حاجة إلى بعض المعطيات الإحصائية الكلية الضرورية قبل البدء في أي تحليل، وقد تعرفنا على نفس المعطيات في بعض المدن والجهات.

الجدول رقم 3 : بنية الملكية العقارية في الجزائر وتطورها بين 1930 و1941

حجم الملكية	العدد	المساحة الكلية	النسبة المئوية	العدد	المساحة	النسبة المئوية
أقل من 10 هكتار	434.537	1.738.806	% 23	391.000	1.850.000	% 24
من 10 إلى 50 هكتار	140.010	2.635.275	% 35	118.000	3.014.000	% 40
من 50 إلى 100 هكتار	10.035.962	1.595.398	% 21	17.400	1.226.000	% 16
أكثر من 100 هكتار	7035	1.593.498	% 21	5.600	1.584.000	% 20
المجموع	617.544	7.562.980	% 100	532.000	7.675.000	% 100

37. عبد اللطيف بن أشنهو، تكوّن التخلف في الجزائر - محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي 1962/1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

38. بن أشنهو، ص 291.

هذه الإحصائيات التي تبين أن البرجوازية العقارية الكبرى التي تملك أكثر من 100 هكتار (318 كمعدل بالنسبة للأوروبيين و198.3 هكتار فقط كمعدل بالنسبة للجزائريين) تتألف أساسا من الملاك الأوروبيين الكبار.

ينبه الباحث أننا قد نساق، بعد هذه القراءة البسيطة لإحصائيات الملكية، إلى ضمّ الملاك العقاريين الجزائريين الذين يملكون أكثر من 100 هكتار.. وحتى أكثر من 50 هكتار، إلى هذه الشريحة ضمن الطبقة المسيطرة؛ وهو ما سيكون خطأ حسب بن أشنهو.

يضيف الباحث: « نتيجة السيطرة السياسية للأوروبيين في مجموعهم، بفعل الوضع الاستعماري، فإن البرجوازية العقارية الجزائرية تشكل جزءا من الطبقة المسيطرة من وجهة النظر الاقتصادية وليس من وجهة النظر السياسية، فهي مبعدة عن السلطة السياسية بحكم الواقع الاستعماري، وبالتالي لا تمارس أي هيمنة ». لقد جرى حصول هذه البرجوازية على الأرض ضمن ظروف متنوعة جدا، ولكنها في كل الأحوال أصعب من تلك التي واجهت البرجوازية الاستعمارية.

وعن مواقفها السياسية، يضيف الباحث: « إن هذه البرجوازية العقارية تبقى في كل الأحوال متحالفة سياسيا مع البرجوازية الاستعمارية، لأنها نمت في ظلها، وهي تقوم بمهام قمعية من خلال المناصب الإدارية ووظائف التمثيل التابعة لها والتي تتنازل عنها البرجوازية والإدارة الاستعمارية العليا»، وبتعبير آخر، يقول الباحث أنها ترضى بتبعيةها السياسية وحدود التراكم الرأسمالي الخاص بها، غير أنها تناضل في الجمعيات التي تشارك فيها من أجل المساواة في الاعتماد، ولا يتعدى طموحها السياسي التلاحم الخاص والبسيط للجزائر مع فرنسا³⁹. نتيجة توصل إليها الباحث دون الانتباه إلى التحولات الجيلية التي عرفها أبناء هذا الوسط الذي عرف استفادة كبيرة على مستوى انتشار التعليم، والتي تكون قد ساعدتهم على التوجه نحو مواقف سياسية جذرية وهي تعيش حالة عدم المساواة مع أبناء المعمرين منذ التحاقها بمؤسسات التعليم، وسنلاحظها عند بعض أبناء هذا الوسط الذي التحق بثورة التحرير في سن مبكرة، كما حصل مع بعض أبناء البشاغات والقياد - من الملاك الكبار - الذين سنستعرض حالاتهم في هذه الدراسة لتأكيد القطيعة التي قام بها أبناء هذا الجيل الصغير الذي عاش في الأجواء السياسية لمرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية وبروز الحركة الوطنية التي التحق بتياراتها الاستقلالية الجذرية المطالبة بالاستقلال.

فيما يتعلق بالفئات الوسطى من هذه البرجوازية العقارية المالكة، الجزائرية، يقول الباحث أننا هنا كذلك قد نكون منساقين لأن ندرج الملاك الجزائريين لمساحات بين 10 و50 هكتار، والمستفيدة من استغلال قوة العمل، ضمن البرجوازية الوسطى، فالباحث

39. عبد اللطيف بن أشنهو، ص 293.

يرى أنها مثل البرجوازية الكبرى، بل بدرجة أكبر منها، خاضعة للسيطرة الاقتصادية والسياسية للقسم المهيمن ضمن الرأسمالية، فحصلوا على الاعتمادات المالية ضعيف جداً، وهي لا تملك أي سيطرة على نظام الأسعار، فرغم انصرافها بصورة عامة إلى زراعة الحبوب لا تحصل إلا على أرباح ضئيلة، تحملها أعباء معيشة جزء كبير من أفراد العائلة، يُضعف، بل وقد يُزيل كل إمكانية للتراكم لديها... فغالبا ما تعطي الأرض للمحاصصة وتوزع أقساما للخماسين. هنا كذلك نحن أمام شريحة طبقية تنتقل نحو الرأسمالية.

فيما يتعلق بما سماه الباحث بالفئات البرجوازية الصغرى، وبعد المقارنة بين واقع الشريحة الأوروبية منها وإمكانات تطورها نحو مستقبل رأسمالي أكيد، يرى أن الأمر ليس كذلك بالنسبة للفلاحين الجزائريين ذوي الملكية الزراعية، فهؤلاء لا يريدون أكثر من مجرد استمرارهم في الحياة، وقد انصرفوا بصورة أساسية لزراعة الحبوب وإلى حد ما لزراعة الأشجار المثمرة. عندما تقوم هذه الفئة بتسويق إنتاجها لدفع الضرائب أو شراء بعض السلع المصنعة، فإنها تقع تحت سيطرة التجارة المحلية وتضطر، تحت ضغط تزايد عدد الأشخاص الذين يجب إعالتهم وتقلبات الطقس، للجوء إلى المرابين، وهو ما يؤدي إلى نزع الملكية. إنها فئة تسير لسبب أو لآخر نحو التكدح. فلم يعد في مقدور الأبناء أن يكسبوا عيشهم من أرض الآباء، فيغادرونها لبيع قوة عملهم للأوروبيين أو ليصبحوا خماسين لدى الجزائريين، أو ليهاجروا نحو المدن أو إلى الخارج. وقد يلجأ أرباب العائلات أنفسهم إلى هذه الدخول المساعدة... لأن التراكم الرأسمالي مرتبط مباشرة بإفكار هذه الفئة⁴⁰.

ضمن نفس المؤلف المذكور، يحاول بن أشنهو دراسة هذه القوى الاجتماعية المختلفة وعلاقاتها بحرب التحرير⁴¹، كمحصلة ومحطة سياسية هامة، منطلقا من فئة الفلاحين الفقراء المحرومين من الأرض، والذين يقول بصددهم أنه لا يمكن فهم وضعيتهم الاقتصادية دون العودة إلى المسألة الديموغرافية في علاقاتها بالأرض وملكيته، فقد فجر الضغط السكاني الملاحظ في الجزائر، منذ بداية الثلاثينيات، سلسلة من السيورات الاجتماعية، كان على رأسها تفكك الملكية المشاعة وهو ما انعكس - بكل تأكيد - في شكل تقطيع للأرض وتعدد الأجزاء الصغيرة...⁴² فلم تعد تتجاوز الملكية لدى هذه الفئة كمعدل إلا 3.7 هكتار. مقابل الوضعية الاقتصادية الصعبة، بل الإفكار الذي لحق بالفلاحين الصغار والكادحين من عمال الأرض والخماسين، يلاحظ الباحث أن وضعية البرجوازية الريفية المالكة عرفت تحسنا أكيدا، دعمت من خلاله مكانتها المتميزة في الريف الجزائري، فقد زادت استفادتها

40. عبد اللطيف بن أشنهو، ص 295-296.

41. عبد اللطيف بن أشنهو، الفصل الثالث، ص 240.

42. عبد اللطيف بن أشنهو يذكر في ص 442 من مؤلفه المذكور أن عدد الفلاحين الذين يملكون أقل من 10 هكتار عام 1940 كان 391 ألف بـ 23% من الأراضي. لكن هذه النسبة تقلصت إلى 18.7% وزاد عدد الفلاحين إلى 438 ألف في سنة 1951.

من القروض⁴³ مما جعلها تُقدّم على استثمارات كبيرة في ميدان المكننة وتزداد حصتها في الإنتاج والتصدير.

خلاصة هذا الوضع الطبقي الذي ميز الريف الجزائري خلال أواخر المرحلة الكولونيالية، يقدمها بن أشنهو في الصورة التالية، ليس في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية فقط، بل حتى في بعض ملامحها السياسية...⁴⁴ : « ... فلاحين فقراء في طريقهم للتحويل إلى جماهير كادحة من العمال الزراعيين والعاطلين من جهة، وبرجوازية المعمرين الواقفة موقف الدفاع، والتي تواجه ركودا في قاعدتها الاقتصادية لكنها تحاول أن تستفيد أعظم الفائدة من المكننة، ثم البرجوازية العقارية الجزائرية التقليدية القائمة على استغلال الخماسة والمرتبطة بالقوى الاجتماعية الإسلامية المتخلفة والمتمتعة بدعم فرنسا السياسي في الأرياف. وهناك أخيرا قسم برجوازي يدير رأسمالية زراعية حية تتسع قاعدتها الاقتصادية باستمرار لكن وجود المعمرين وأشباه الإقطاعيين الجزائريين يقف في وجه مصالحها الاقتصادية والسياسية.

لهذه الأسباب جميعا (يقول الباحث) فإن الأرض أصبحت عاجزة عن أن تستوعب أو تعيل هذا العدد المتزايد بسرعة، فلم يبق أمام الفلاحين الفقراء إلا الهجرة⁴⁵ نحو المدن أو إلى الخارج ».

المدينة الجزائرية ميدان للتكديح

لم تكن الحالة الاستعمارية الاستيطانية مقتصرة على الريف في الجزائر، فالمدينة هي الأخرى كانت ميداناً لبروز الكثير من الظواهر المرتبطة بهذا الوضع الاستعماري بكل تداعياته، كالبطالة الكلية أو الجزئية، ناهيك عن سوء ظروف المعيشة والحياة، فقد كانت هي السائدة بالنسبة لأغلبية المقيمين فيها من الجزائريين، الجدد منهم والقدامى. يذكر عبد اللطيف بن أشنهو أنّ التطور الرأسمالي في المدن كان معاقا من طرف النظام الكولونيالي وبنية السلطة الاقتصادية كما كان الحال في الريف، فإذا كان لا يسمح إلا بآفاق اجتماعية محدودة للفلاحين المصادرة أراضيهم، في وقت تحطيمه للحرفة، كان يسمح - بالعكس - بالتوسع الاقتصادي لجزء صغير من البرجوازية التجارية الجزائرية، وللبرجوازية الصناعية والتجارية ذات الأصول الأوروبية⁴⁶. ليضيف الباحث... أن نمو الرأسمالية بما يؤدي إليه من تطور في نشاطات الاستيراد والتصدير وتوسيع جزئي للأسواق، يدعم الأسس

43. عبد اللطيف بن أشنهو، ص 457.

44. نفس المرجع، ص 460.

45. مليون ونصف جزائري هاجروا من الريف نحو المدن بين 1930 و1960 حسب المؤلف، ص 461.

46. عبد اللطيف بن أشنهو، نفس المرجع، ص 302.

الاقتصادية للبرجوازية التجارية والصناعية. وتستفيد هذه البرجوازية من التراكم رغم أن رأس المال الفرنسي أو الأجنبي يسيطر عليها ويرسم لها حدودها، ويصل عدد قليل من الجزائريين داخلها إلى مساواة الأوروبيين ؛ في حين أن القسم الأكبر من رأس المال الجزائري شهد تراكما محدودا، ضمن قطاعات محددة للتراكم : التجارة بالجملة، بنصف الجملة، بالمفرق، وبعض مؤسسات التبغ والأغذية والصناعات النسيجية⁴⁷.

لم تكن المدينة الجزائرية الكولونيالية مكاناً واسعاً للعمل المأجور، فلم يتجاوز عدد العمال الجزائريين 98000 عامل سنة 1925، في كل القطاعات الصناعية بمفهومها الواسع بما فيها البناء والأشغال العمومية، مع سيطرة واضحة لعمال الصناعات التحويلية المرتبطة بالزراعة والنقل والبناء بالطبع. هنا كذلك كانت الفروق واضحة بين العامل الجزائري والعامل الأوروبي، ليس من حيث الأجور وشروط العمل الأخرى، بل حتى في المواقع والتأهيل⁴⁸؛ مما يجعل الهجرة إلى أوروبا - وفرنسا تحديداً - من الحتميات الاجتماعية أمام الكثير من الجزائريين الذين طردتهم ظروف الحياة من وسطهم الريف، ولم تتمكن المدن بما تقترحه من مجالات فرص عمل من استيعابهم.

نفس الصورة التي يتوصل إليها المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون عند التطرق إلى التحولات التي عاشتها المدينة الجزائرية، حتى قبل هذه الفترة التي تكلم عنها الباحث الجزائري.

فإذا أردنا العودة إلى مراحل تاريخية أقدم لمعرفة أحوال هذه المدينة الجزائرية الكولونيالية، نجد شارل روبير أجرون الذي يذكر أن الاقتصاد الأهلي في سنة 1870 كان يضم قطاعا صناعيا صغيرا لم يرح المرحلة الحرفية : صناعة الأقمشة والبرانيس، الفخار، الزرابي، الأسلحة والجلود... وهو ما كان يسمح بمعيشة عدد كبير نسبيا من سكان المدن (في حدود 5%)، وهذه الصناعات كانت تدر أرباحا إضافية على بعض القبائل المتخصصة فيها ؛ فالتداخل بين المدينة والريف يمكن ملاحظته كذلك على هذا المستوى، وقد لاحظنا ذلك ونحن نتحدث عن الملكية الزراعية الكبيرة لبعض سكان المدن.

يرى الباحث الفرنسي أن التجربة قد بينت أن هذا النوع من الحرف التقليدية لم يصمد في مختلف بقاع العالم أمام منافسة السلع الأوروبية، ففي الجزائر لا بد من الاعتراف أن Les corporations traditionnelles قد اختفت عمليا في 1870، باستثناء حالات تلمسان وقسنطينة وبعض الحالات في منطقة القبائل ؛ مما أدى عمليا إلى القضاء نهائيا على الفئات الحرفية الحضرية. هذا الوضع الذي لم يفلت منه إلا بعض المصانع (Fabrications) العائلية التي لا يمكن وصفها بالصناعية، وأغلب منتجيتها من النساء.

47. نفس المرجع، ص 303.

48. انظر ما جاء في مؤلف عبد اللطيف بن أشنهو المذكور، ص 295.

الموظف الاستعماري... الربا وتوسيع الملكيات

يلاحظ عبد اللطيف بن أشنهو، في مؤلفه سابق الذكر⁴⁹، كيف بدأت صيرورة تراكم وتمايز داخل الريف الجزائري استفادت منها بعض الفئات عن طريق الشراء لتوسيع ملكيتها الزراعية : « تكشف مشتريات الجزائريين خلال هذه الفترة، وهي حوالي 205000 هكتار بين 1900 و1914، عن عملية التمايز الاجتماعي التي حصلت بين السكان الجزائريين. ففي حين يتخلى الفلاحون الذين دمرهم الربا والقوانين العقارية عن مساحات كبيرة من الأراضي للأوروبيين، يستفيد بعض الجزائريين الأثرياء بفضل الربا والتجارة واستغلال الفلاحين، كما هو الحال في نظام الخماسة ».

عمليات البيع للجزائريين التي استمرت بعد الحرب، لاحظها أكثر من مهتم وباحث منهم ريفيير وليك (Rivier et Lecq) : « لو فحصنا الأشياء بعمق ربما اكتشفنا أن استعادة السكان المحليين لأراضيهم من الأوروبيين قد جرت تقريبا فقط لصالح طبقة قليلة مكونة من المرابين المحليين، العرب، وخاصة القبائل، وأن نتيجة عمليات البيع بين السكان المحليين هي التمرکز العقاري بين أيدي كبار الملاكين العقاريين »⁵⁰

معلومات أخرى عن توزيع الملكية في الريف الجزائري يمكن الحصول عليها من خلال الدراسات التاريخية الفرنسية التي اهتمت بهذا الموضوع، والتي تؤكد كلها على أننا أمام عمليات استقطاب اجتماعي عاشه الريف الجزائري، ولا يمكن فهمها دون العودة إلى خصوصيات النظام الاستعماري نفسه وما كان يسمح به من إمكانيات فعلية لمختلف الأطراف.

بن أشنهو دائما، في دراسته المذكورة وبعد أن تتبع عمليات نزع الملكية بعدة طرق من بينها الربا، يقول أن الذي يحدث في الغالب « هو أن المُقرض ليس سوى إحدى الشخصيات المهمة في المنطقة، موظف لدى الحكومة الفرنسية، متمتع حيال مواطنيه بالسلطة التي يعترفون له بها بصفته شخصا رسميا أو ملاكاً ثرياً محلياً تكفي ثروته لإفساد القاضي ونيل عطفه... وأن غالبية الثروات العقارية الكبيرة العائدة للسكان الأصليين لها أصل مشابه كما ذكرنا، يبدأ المواطن من أصل محلي بالحصول على جزء من ملكية الشيوع أو يطرح نفسه كدائن مقابل رهن لأحد الشركاء في الملكية. وشيئا فشيئا يوسع دائرة عملياته إلى جيرانه ويصل تدريجيا إلى إزاحة المالكين السابقين بواسطة سلفيات بسيطة جدا »⁵¹

49. عبد اللطيف بن أشنهو، تكون التخلف في الجزائر - محاولة لدراسة حدود التنمية الرأسمالية في الجزائر بين عامي 1830 و1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

50. هذا ما يذكره بن أشنهو في ص 223 اعتمادا على دراسة ريفيير وليك، مبحث في الزراعة الاستعمارية، 1911، ص 235.

51. عبد اللطيف بن أشنهو، نفس المرجع، ص 230.

فقد ساهم أصحاب المناصب الإدارية في تطوير سيرورة الربا ونزع الملكية من الفلاحين وهو ما حدا بالحاكم العام الفرنسي إلى إصدار قانون في 15/جوان/1906 : لا يحق في المستقبل للموظفين المحليين والقضاة والضباط الوزاريين والمعلمين المسلمين ورجال الدين الإسلامي ممارسة الرهنية بأي وجه من الوجوه في مكان الإقامة أو دائرة ممارسة الصلاحيات.⁵²

انحطاط وضع العائلات الكبرى

في بحثه عن التدهور الذي لحق بالعائلات التقليدية الكبرى، يقول نفس الباحث أن ذلك يرجع إلى عدة أسباب منها الاقتصادية ومنها ما هو مرتبط بالإصلاح الذي عرفه جهاز العدالة والإدارة. فهذه العائلات التي أبعدت عن القيادة اكتفت في الغالب بمناصب وأدوار متواضعة كموظفين. الغريب بالنسبة لنا (يقول الباحث) أن هذه المناصب رغم تواضعها بقيت مطلوبة كثيرا. فمنصب مثل خوجة مكتب عربي أو في بلدية مشتركة، يدر على صاحبه 600 فرنك سنويا في حدود سنوات 1978/1880 مقابل 900 أو 1200 فرنك في 1859، مع ذلك نجد هذه المناصب مقدرة تقديرا جيدا ومحل صراع كبير بين الأهالي، لأنها تسمح بالاتصال بالسلطات الإدارية الفرنسية. المواطنون من الأهالي الذين يبالغون في قوة التأثير الممنوحة لأصحاب هذه المناصب، يعاملون هؤلاء الأمناء المتواضعين كأصحاب نفوذ أقوى، وهو ما يستغله المعنيون بقوة في الحصول على الكثير من التقدير والمكاسب المختلفة. المهم في هذا المنصب أنه قد لا يكون إلا منصبا مؤقتا نحو مناصب أخرى أحسن وأربع⁵³، كما يمكن أن يكون في بعض الأحيان نحو مناصب أقل بالنسبة لبعض أبناء العائلات التقليدية المعروفة. وهو نفس الرأي الذي أكدته دراسة كوليت استابليت المخصصة لقياد قبيلة النماشة المذكورة ضمن الدراسة.

في نفس الاتجاه، نجد المؤرخة الفرنسية آني راي فولدزيغر⁵⁴ وهي تدرس مرحلة الأربعينيات (1940-1945) وما عرفته من أحداث اعتبرتها تمهيدا لحرب التحرير، والتي خصصت جزءا من دراستها لما سمته بعالم الجوار *Le monde du contact, une fausse charnière* للحديث عن أعوان السلطة ومن بينهم القياد خلال هذه المرحلة المتأخرة من الحضور الاستعماري الفرنسي. فقالت عنهم أنهم أعوان السلطة، يمثلون منذ الغزو العائلات المتعاونة التي اختارت الجزائر الفرنسية. فأبناء العائلات الكبرى لما قبل 1830 المنحدرين من عائلات نبيلة اندثروا كلهم تقريبا، فسلطتهم الإقطاعية كانت متناقضة

52. Charles-Robert Ageron, *Les algeriens musulmans et la france 1871/1919*, tom 1, Éd. Puf, p. 374.

53. انظر بعض العينات المذكورة من هذه المناصب، ص 391، نفس المرجع.

54. Annie Rey-Boldzeiguer, *Aux origines de la guerre d'algerie 1940/45 de mers elkebir aux massacres du nord constantinois*, Casbah Éditions, Alger, 2003, p. 82.

مع السيطرة الفرنسية، مما جعل الاستعماريين يعوّضونهم بقيادات من أصول أدنى (Des chefs d'occasions)، يدينون بكل ما وصلوا إليه للحضور الفرنسي الذي يمنح لهم جزءًا بسيطًا من السلطة على القبائل المفككة، طابعًا منهم تأطير ذرات بشرية (Les poussières d'individus) لكي يقوموا بدفع الضرائب ومراقبة تنقلاتهم وتوطين السكان الرُّحل منهم جزئيًا.

المؤرخة الفرنسية تقول فيما يخص القياد بالذات.. أنهم من صنع « المكاتب العربية »، تحت الرقابة المستمرة والتوجيه والتوبيخ، والتخطيط إذا اقتضت الضرورة ؛ فكل ثروتهم وسلطتهم متأتية من الوجود الاستعماري، وهو ما يقومون بتحويله إلى أبنائهم لضمان استمرارية الإرث، فالقياد هم حلقة الوصل بين الجماهير المسلمة والنظام الاستعماري الذين يقومون بنقل أوامره، فهم مكلفون في الأصل بمهمة الربط بين الإدارة وسكان الريف لتطبيق القوانين... ومن مهامهم نجد جمع الضرائب بعد تحديد قيمتها حسب تقديرهم لثروة الدواوير، ليكون من حقهم أخذ نسبة معينة منها، نسبة يمكن أن تتوسع عن طريق العطايا والهدايا المتراوحة من حيث طواعيتها...⁵⁵

وعن معاملاتهم وذمتهم المالية، تقول المؤرخة الفرنسية أن الملفات الإدارية الشخصية للقياد تعج بقضايا الرشوة والفساد وتحويل الأموال، فهم مكلفون بإشعار الإدارة الاستعمارية والقيام بتحريات حول اتجاهات وعمل الزوايا وكل أنواع المعارضات السياسية... وأخيرا فهم مكلفون بحفظ الأمن، لذا يستطيعون الاستحواذ على عدد من البنادق والخيول، تمكنهم من التدخل ضمن محيط عملهم المباشر. فالسلطة الاستعمارية تغضض عينها حول الأساليب المستعملة مادام النظام مستتباً.⁵⁶

وعن علاقات القياد بالمؤسسات الاستعمارية الأخرى مثل الجيش الفرنسي، تضيف المؤرخة الفرنسية أن الكثير من عائلات القياد قد استطاعت أن تدمج أبناءها ضمن قوات الجيش الفرنسي - كما سلاحظ ذلك في دراستنا للنخبة السياسية - فقد كانوا يتميزون بحضور كبير بين الزواف وأتراك الجزائر (Les zouaves et les turcos) وهم كانوا من التجوال في العالم مع القوات الفرنسية في القرم والمكسيك، تحت حكم الإمبراطورية الثانية، وفي أفريقيا وآسيا تحت سلطة الجمهورية الثالثة... إلخ.⁵⁷

الفئات الوسطى... في حالة استعمارية استيطانية

بالإضافة إلى هذه الدراسات، الكلي منها والجزئي، والتي حاولنا من خلالها القيام بدراسة ديناميكية لأهم التحولات التي عاشها المجتمع الجزائري، مقترحين فيها أن نقرب منه تاريخيا

55. نفس المرجع المذكور أعلاه، ص 82.

56. نفس المرجع، ص 45.

57. نفس المرجع ونفس الصفحة.

منذ فترة دخول الاستعمار الفرنسي لغاية ثورة التحرير والاستقلال من الناحية التاريخية، والانطلاق من الاقتصادي/الاجتماعي نحو السياسي كما عبر عن نفسه خلال هذه المراحل. من الدراسات التي حاولت القيام بحوصلة ديناميكية للتحويلات التي عرفتتها التشكيلة الاجتماعية الجزائرية بالتركيز على الفئات الوسطى، وبالإضافة إلى تلك التي قمنا بعرضها حتى الآن، دراسة المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون حول الفئات الوسطى في الجزائر⁵⁸، التي نبه في بدايتها إلى حاجزين معرفيين، يمكن أن يحجبا الكلام عن هذه الفئات الوسطى خلال المرحلة الاستعمارية : نقص المعطيات الإحصائية⁵⁹ حول التطور الطبقي للجزائر خلال هذه المرحلة وعدم دقتها، إضافة إلى ذلك الاعتقاد الشائع ذي المصدر الإيديولوجي الذي يركز على تجانس المجتمع الجزائري ككل في مواجهة الظاهرة الاستعمارية. «... فالجزائريون الذين تعرفت عليهم بين 1947 و 1957 (يقول المؤرخ الفرنسي) كانوا يملكون نزعة قوية - لأسباب تكتيكية واضحة - في تقديم أنفسهم كلهم كبروليتاريين متساوين جميعهم أمام الاستغلال الاستعماري، باستثناء حفنة من الإقطاعيين والبرجوازيين الكبار (بني وي وي)⁶⁰... لم يكن الجزائريون وحدهم، هم الذين يفضلون تقديم صورة متجانسة عن مجتمعهم، فالفرنسيون كذلك بما فيهم المتخصصون، قاموا بنفس المسعى، خاصة عندما يتعلق الأمر بجزائر ما قبل الغزو. فالنظام التركي، حسب أوغسطين برك الذي يستشهد به أجرون، يرى أنه لم يكن هنا في الجزائر أي برجوازية. الأستاذ لوتورنو هو الآخر كانت أطروحته أنه قبل مجيء الفرنسيين إلى الجزائر، لم تكن هناك فئات وسطى بالجزائر. فالملكية الخاصة للأراضي عندما تكون موجودة، هي من نصيب بعض البرجوازيين الأغنياء أو الإقطاعيين. »

ليضيف : «... في المدينة، عالم التجارة، لا يملك إلا بعض الإمكانات المادية المحدودة والقليل من المعرفة والعلم لا يؤهلانه للتمايز عن الأغلبية الساحقة من سكان المدن، من الرعا. أما بعض التجار الأغنياء، والمتعلمين منهم خصوصا، فهم أقرب إلى الطبقات العليا الحاكمة التركية أو العربية-البربرية ». رأيي يقول أجرون أنه غير متفق عليه بين المسلمين التقليديين والمؤرخين الغربيين الذين تبثوا وجهة نظرهم. فسكان المدن من البلدية - بسكون اللام - الذين تعرفهم الكثير من المدن الجزائرية، يمثلون أحسن تمثيل هذه الفئات الوسطى، بتحكمهم في قواعد الآداب والسلوك الحضرية أذواقهم وطريقتهم

58. Charles-Robert Ageron, *Les classes moyennes dans l'Algérie coloniale, origines, formation et évaluation quantitative*, in *Les classe moyennes au Maghreb*, cresp, Éd. CNRS, Paris, 1980, p. 52-75.

59. يقول المؤرخ الفرنسي أنه لا يمكن الكلام عن إحصائيات جديدة، ليس فقط منذ 1830 بل حتى منذ 1900 لغاية 1954، فالإنسان الذي اشتغل حول هذه الإحصائيات ما قبل 1950 هو الأقدر على القول أنها - في الغالب الأعم - ذات مصداقية ضعيفة... ص 52.

60. نفس المرجع، ص 53.

المتميّزة في العيش وقواعد الشرف لديهم، ورغم أنها - كلّها - تقربهم من الفئات الحاكمة والبرجوازية، إلا أن تواضع مداخيلهم المالية والعمل اليدوي الذي يقوم به أغلبهم يجعلهم بعيدين عن هذه الفئات الحاكمة. كعينة عن هذه المدن يذكر المؤرخ الفرنسي مدينة قسنطينة التي بادر أعيانها المتعلمون في سنة 1834 بالاتصال بالبرلمان البريطاني عن طريق عريضة ممضاة من طرف عائلات كبيرة تميّزت بإنتاجها لمفيتين مشهورين بالمدينة زيادة على القضاة والأساتذة ومُسيّري المساجد فيها⁶¹.

أجرون يفرق جيدا بين الطبقات الوسطى الحضرية التقليدية وبين ما سماه بالطبقات الوسطى الجديدة بنت الظاهرة الاستعمارية التي تتكون - حسب وجهة نظره - من عدة فئات، كتلك الفئات المتعلمة الجديدة⁶²، منتوج المدرسة الفرنسية والتي قد تكون من أصول شعبية واضحة، بعد الرفض الذي قوبلت به المدرسة الفرنسية في بداياتها من قبل العائلات الميسورة التقليدية... زيادة على المجندين في الجيش الفرنسي⁶³ وفئة التجار وصغار الصناعيين⁶⁴ والفئات الموظفة الجديدة، وحتى بعض الفئات التجارية الجديدة المستفيدة من السوق السوداء⁶⁵، دون أن ينسى إضافة تلك الفئات الوسطى التي ولّدتها الهجرة إلى فرنسا⁶⁶. عن الفروق بين الطبقة الوسطى التقليدية والحديثة، يقول أجرون... أن تأثيرها قد تقلص بشكل ملحوظ، بعد الحرب العالمية الأولى، تحت تأثير الكثير من العوامل، لتظهر الكثير من علامات التجانس الداخلي بين مختلف الفئات المكونة لها... هكذا تبرز طبقة وسطى متجانسة، ليس في مستوى معيشتها، لكنها متقاربة في العلاقة التي وضعتها إزاء التقليد، فيما يخص طريقة لباسها القريبة من اللباس الأوروبي ومط سكنها وتأثيرها الداخلي نصف الأوروبي، متجانسة ليس بالعادات المادية وطموحاتها الأخلاقية فقط. فإذا كان الاستقرار العائلي والاهتمام بتربية الأبناء ونوع من التدين الهادئ من خصائص البرجوازية، فليس هناك شك أن الطبقات الوسطى الجزائرية تتجه نحو « البرجزة »⁶⁷.

موقع الطبقات الوسطى في الجزائر لم يكن محتكرا من قبل المدينة وسكانها فقط، فالريف الجزائري هو الآخر يعرف وجود هذه الفئات الاجتماعية، خاصة وأن الريف قد احتوى دائما على القوة الحيوية للجزائر⁶⁸، رغم التطور الكبير الذي عرفته المدينة الجزائرية

61. نفس المرجع، ص 54-55.

62. نفس المرجع، ص 60.

63. نفس المرجع، نفس الصفحة.

64. نفس المرجع، ص 62.

65. نفس المرجع، ص 61.

66. نفس المرجع، ص 62.

67. نفس المرجع، ص 64.

68. نفس المرجع، ص 64.

بين 1920 و1960. هذه الفئات الوسطى ينفي المؤرخ الفرنسي وجودها إذا اكتفينا بمرحلة النصف الأول من القرن التاسع عشر.. فالملكيات الزراعية الخاصة قبل هذه المرحلة إما أنها ملكية برجوازيين من سكان المدينة أو أنواع مختلفة من « الإقطاعيين »⁶⁹. الإجابة بالنفي التي توصل إليها المؤرخ الفرنسي عندما كان الأمر يتعلق بوجود فئات وسطى ريفية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كانت بالإيجاب هذه المرة وهو يتساءل عن مرحلة النصف الثاني من القرن، إذ يقول : « نعم، فقد كان ظهور هذه الفئات الزراعية المالكة مفخرة الإدارة الفرنسية التي قضت على الملكية الجماعية للأراضي، جراء تطبيق قوانين 1887/1873 وقانون 1897⁷⁰... فقد سمحت هذه القوانين - زيادة على المعمرين - بظهور فئات جزائرية مالكة ملكيات كبرى ومتوسطة، على حساب الأراضي الجماعية والفلاحين الصغار ».

المؤرخ الفرنسي يتساءل عن المقصود بالضبط عند الكلام عن « برجوازية ريفية » أو « مالكين ميسورين » المشهورة في الجزائر لغاية نهاية القرن التاسع عشر. بالنسبة للإدارة، الأمر يعني حتى تلك الفئات التي لا تملك إلا عربة أو اثنتين للحرث وما بين 10 أو 20 هكتارا قابلة للحرث لتبقى بورا ومن دون حرث كل سنتين حسب التقاليد السائدة. على سبيل المثال، يذكر المؤرخ الفرنسي أن تسمية « مالك ميسور » في منطقة القبائل تطلق على كل من يملك على الأقل ستة هكتارات من الأراضي وقطيعاً من البقر؛ مما يجعلنا نتصور أن هذه الفئات الميسورة يمكن أن توجد بين الملاك أو المستأجرين لما مساحتها تتراوح بين 20 و40 هكتاراً من الأراضي، في حين أن الواقع يقول لنا أن هذه المعطيات الإحصائية ليست لها قيمة فعلية، فـ 10 هكتارات في مناطق التل المسقية ذات مردودية أكبر من 50 هكتاراً في مناطق جافة⁷¹. رغم هذه التحفظات، يرى الباحث أنه سيكون من المهم بالتأكيد أن نعرف - على وجه الدقة - حضور هذه الفئات التي تملك بين 20 و40 هكتاراً أو حتى 50 هكتاراً في المجتمع الجزائري خلال مرحلة نهاية القرن التاسع عشر دائماً. نُقص المعلومات الإحصائية يقف حاجزاً هنا أيضاً، فكل ما نملكه بالدقة الكافية هو توزيع الملكية في جهة قسنطينة سنة 1914، القرية من المعطيات المذكورة ضمن هذه الدراسة، والتي قمنا بحوصلتها على شكل جدول من مؤلف آخر لنفس الباحث.

النتيجة التي يتوصل إليها الباحث، بعد التذكير بنفس المعطيات، أن فئة الذين يملكون بين 21 و40 هكتاراً كمعدل في منطقة قسنطينة تعادل بالتقريب حوالي 20.1 بالمائة من مجموع فلاحِي المنطقة⁷²، أي خمس الفئات الفلاحية المالكة التي تكون بدورها

69. نفس المرجع، ص 64.

70. نفس المرجع، ص 65.

71. نفس المرجع، ص 65.

72. نفس المرجع، ص 65.

نصف المجتمع الريفي (51.67 بالمائة) في نفس المنطقة، علماً (يضيف المرجع) أن هذا المعدل الخاص بمنطقة قسنطينة هو أكبر من المعدل الوطني الجزائري الذي لا يزيد عن 17 أو 18 بالمائة. المعلومة الأخرى المهمة أن هذه الفئة قد تقلصت داخل المجتمع الجزائري بين 1900 و1914 من 55 بالمائة إلى 48.6 بالمائة.

يشير نفس الباحث، وفي نفس المؤلف، أنه ورغم التوسع الذي عاشته هذه الفئة الريفية المالكة المتوسطة بين 1930 و1950 إلا أن الاتجاه الغالب خلال فترة 1914/1950 كان التقليل من حجمها داخل المجتمع الجزائري. المؤلف الذي يرى أن هذا المقياس (ملكية ما بين 11 و50 هكتاراً) قد لا يكون المقياس الأكثر قرباً من حقيقة اليسر الاجتماعي التي تتكلم عنها الوثائق الرسمية الفرنسية عند الكلام عن هذه الفئات المالكة الجزائرية؛ فالأحسن - بالنسبة للباحث - أن نحدد اليسر بملكية تتراوح بين 20 و50 هكتاراً بدل تلك التي تحددها الإحصائيات الرسمية بـ 50/11 هكتاراً، فأصحاب الملكية المتراوحة بين 11 و20 هكتاراً في المناطق الجبلية والسهوب لا يسدون حتى حاجياتهم الذاتية⁷³.

لكن متى ظهرت هذه الفئات المالكة الوسطى الجزائرية في الريف؟ المؤرخ الفرنسي المعروف بتفضيله للمراجع والمعلومة المكتوبة، يرى أنه لا يستطيع أن يبدي رأياً جازماً فيما يخص فترة ما قبل 1914، رغم أن « مصلحة شؤون الأهالي » تفضل أن يكون ظهور هذه « البرجوازية الريفية » مرتبطاً بتطبيق قانون 1897. الباحث يدقق أكثر للقول أن هذا القانون الذي سهل عملية شراء أراضي العرش والكراء الخاص للأراضي الجماعية البلدية، يكون قد سرّع في سيرورة تاريخية انطلقت مع قوانين 1873/1887، وحتى قبل ذلك مع قانون 1863، فالإحصائيات المحلية القليلة تثبت زيادة سريعة في عدد الملاكين الكبار الذين تزيد ملكيتهم عن 100 هكتار بين سنوات 1890 و1914، وهي نفس الملاحظة عندما يتعلق الأمر بالملاك المتوسطين (بين 20 و40 هكتاراً)، علماً (يضيف المرجع) أن عائلات الأعيان الصغار الريفية - التي بدأت الإدارة عدّها في إحصاء 1898 - هي في الغالب من العائلات التي بدأت في البروز ابتداءً من 1860/1870، مما يعطي فكرة عن تاريخ انطلاق الظاهرة⁷⁴.

يذكر الباحث بعض الميكانيزمات التي طورتها هذه الفئات لتوسيع ملكيتها الزراعية، فبالإضافة إلى تلك المترتبة عن القرب من الإدارة الفرنسية وخدمتها، يذكر عملية استغلال الظروف الاقتصادية الصعبة للفلاحين الصغار خلال سنوات الأزمة كما حصل بين 1930 و1936⁷⁵. ممارسات يصفها الباحث - على غرار أوغسطين بيرك - بـ « اللأ أخلاقية »... مبينا الكثير من مؤشراتها كانهخفاض عدد الفلاحين الصغار من خدمات المؤسسات الفلاحية Sociétés indigènes de prévoyance، وزيادة كبيرة في عدد حالات الإفلاس وبيع

73. نفس المرجع، ص 66.

74. نفس المرجع، ص 67.

75. نفس المرجع ونفس الصفحة.

العقارات، وأخيرا في كثافة عملية البيع والشراء بين الجزائريين المالكين، دون نسيان عمليات شراء أراضي المعمرين الصغار التي قامت بها عائلات جزائرية؛ فقد باع الأوروبيون للمسلمين - بين الحربين - أزيد مما اشتروا هم أنفسهم، واسترجعت هذه الفئات 25000 هكتار بين 1918 و1920، و43000 بين 1941 و1946، المستفيد الأساسي منها كان هؤلاء الملاك العقاريين الكبار والبرجوازية الصغيرة المسلمة.

البرجوازية الصغيرة التي عرفت وضعيتها الاقتصادية تحسنا نسبيا ابتداءً من الحرب العالمية الثانية، وإلى غاية الحرب (1954/1962)... فمن يكون قد استولى على الـ 250000 هكتار في 1958 والتي كان يُفترض أن توزع في مدة خمس سنوات من خلال مشروع قسنطينة؟ يتساءل الباحث ليؤكد - اعتمادا على دراسات قام بها سمير أمين⁷⁶ حول تطور مستويات المعيشة - ما ذهب إليه من تطورات عاشتها هذه الفئات المالكة المتوسطة والصغيرة... هناك فعلا طبقة وسطى ريفية مسلمة، تمثل ما نسبته حوالي 22 بالمائة من السكان الزراعيين وتستفيد من دخل يتراوح بين ثلاث وخمس مرات دخل الجماهير الريفية الفقيرة.

هذه البرجوازية الصغيرة الريفية، التي نقوم بتجاهلها في الغالب عند الحديث عن الطبقة الوسطى، لم تكن مقطوعة الصلة بالمجتمع الجزائري رغم ما يمكن قوله حول شروط استفادتها الاقتصادية ومستوى معيشتها؛ فالتجار الصغار الذين لاحظنا سيرورة استقرارهم في المدن (يقول المؤرخ الفرنسي) هم من سكان الريف الميسورين نسبيا، فهم أبناء الملاكين الصغار والمتوسطين من منطقة القبائل وقسنطينة كالطاهير والميلية والشقفة الذين سيطروا على تجارة المواد الغذائية في قسنطينة على سبيل المثال، والبعض منهم قد استفاد من عمليات مصاهرة مع بنات الفئات الوسطى الحضرية زادت في فرص اندماجهم أكثر⁷⁷.

تضيف الدراسة أن هذه البرجوازية الصغيرة قد ساهمت بقوة في إنتاج موظفين ضمن الحالة الاستعمارية، فنصف القياد المتواجدين في مناصبهم خلال عقد الثلاثينيات (350 من مجموع 721 في سنة 1938) من أبناء هذه الفئة الريفية الميسورة. لم تكتف هذه الفئات الوسطى - بما فيها البرجوازية الصغرى - بمد الحالة الاستعمارية بقيادها فقط، بل حتى بمعلميها - الابتدائيين على وجه التحديد - حتى ولو أنهم قد وجدوا منافسة كبيرة من أبناء العائلات « البلدية » الذين قرروا الدفاع عن أنفسهم والاستمرار من خلال العصرية التي يمكن الحصول عليها عن طريق المدرسة الفرنسية. لضيف المؤرخ الفرنسي أن فرضية توجه أبناء هذه الفئات الريفية الميسورة نحو التعليم التقليدي والمهن المرتبطة به أكثر من الفئات الوسطى الحضرية، يمكن أن تكون فرضية معقولة لتحخيص ذلك التصور المبسط الذي يرى أن هذه الفئات الوسطى كانت الفئة الأكثر فرسة⁷⁸.

76. Samir Amine, *L'économie du Maghreb*, Les éditions de minuit, paris, p. 130-131.

77. نفس المرجع، ص، 69.

78. نفس المرجع ونفس الصفحة.

كخاتمة لدراسته، وبعد عرض الكثير من المعطيات الإحصائية ومناقشة الأرقام التي توصل إليها باحثون آخرون - مثل سمير أمين - حول نفس الظاهرة، يتوصل شارل روبير أجرون إلى بعض النتائج، منها أن الطبقة الوسطى في الجزائر خلال عقد الخمسينيات كانت تمثل حوالي 4 بالمائة من مجموع السكان، مقابل 6 بالمائة بالمغرب، و 5.1 بالمائة في تونس، وهو ما يجعلها أقل من المعدلات المسجلة في الكثير من مجتمعات العالم الثالث التي تتراوح فيها سماكة هذه الطبقة بين 5 و 10 بالمائة من السكان، عكس الدول المتقدمة التي تسجل سماكة أكثر (من 30 إلى 40 بالمائة).

يضيف الباحث أنه يمكن التركيز على مسألتين هامتين فيما يتعلق بالجزائر: الأولى هي احتمال ازدياد حجم هذه الفئات جزئيا خلال الفترة الاستعمارية، جراء ضم هذه الطبقة لفئات عديدة من بينها أبناء العائلات المسيطرة التقليدية القديمة والأعيان من سكان المدن، وأبناء الفئات الحضرية الجديدة، وحتى الفئات الريفية الرثة (Plebiens ruraux) التي تعيش عملية حراك طبقي.

الخلاصة الثانية التي تتوصل إليها الدراسة مرتبطة بتأثير الحالة الاستعمارية الاستيطانية التي عرفت الجزائر والتي أدت موضوعيا إلى ضعف سُمك هذه الطبقة بالمقارنة حتى مع مجتمعات قريبة وزراعية من العالم الثالث. وهي حالة منطقية جراء سيطرة المعمرين على مقاليد الأمور في الجزائر.

في ختام هذه المحاولة التاريخية في تحديد مكانة الطبقة الوسطى في الجزائر، في الريف والمدينة، والديناميكية التي عاشتها ضمن الحالة الاستعمارية الاستيطانية وكل السيرورات التي تعرضت لها في تنوعها، يحاول الباحث طرح بعض الأسئلة ذات البعد السياسي المرتبطة بدور ومكانة الفئات الوسطى الجزائرية خلال مرحلة الحركة الوطنية والاستقلال، من بين هذه الأسئلة: هل استطاعت الفكرة الوطنية أن تُقَرَّب بين هذه الفئات ذات الأصول المتنافرة وغير المتجانسة، المختلفة الاتجاهات نحو النموذج الغربي والشرقي...؟ هل استطاعت هذه الفئات التعبير عن نفسها من خلال الاستمرارية الملاحظة داخل تيارات مثل حركة الفتيان Le mouvement jeune-algerien، والاتحاد الديمقراطي، بل حتى حركة الانتصار و«المركزيين»؟ وهل هناك فعلا إيديولوجية خاصة بهذه الفئات الوسطى وهل تطورت بعد الاستقلال؟ وأخيرا ألم تكن هذه الفئات هي المستفيد الرئيسي من الاستقلال ومغادرة الأوروبيين الجزائريين؟⁷⁹

الدور الذي لعبته هذه الفئات في إنتاج نخبة جزائر ما بعد الاستقلال وحتى ما قبل، كما هو واضح من خلال هذه الدراسة، يمنح قوة تفسيرية كبيرة لهذه الأسئلة التي طرحها المؤرخ الفرنسي والتي سنحاول التأكد منها هذه المرة ونحن نتابع مسار التحولات

الاقتصادية والاجتماعية للكشف عن تلك الفئات التي تكون وراء إنتاج النخبة الوزارية الجزائرية، مركزين هذه المرة على نتائج بحثنا حول النخب الوزارية، منطلقين من مرحلة جدّ الوزير نفسه، بعد أن تعرفنا على الإطار العام الاجتماعي والاقتصادي الذي أنتج هذه الفئات بكل خصوصيات الحالة الاستعمارية التي عرفتھا الجزائر.

الوزير الجزائري: هل تفسر الأصول الاجتماعية المواقع السياسية؟

بعض القضايا المنهجية

إنها الصورة العامة التي ظهر بها المجتمع الجزائري بالتحويلات التي عاشها خلال أزيد من قرن والتي أردنا - عن قصد - منح الكلمة فيها للباحثين والمختصين في التاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد، الذين درسوا هذه الفترة من تاريخ الجزائر، للتعرف على أهم الاتجاهات التي أخذتها هذه التحويلات في خطوطها العامة على الأقل وبما تسمح به المعطيات الموضوعية المتوفرة. صورة عامة يمكن أن تساعدنا كإطار عام في فهم موضوع البحث مباشرة ونحن نتحدث عن الجذور الاجتماعية والعائلية للوزير الجزائري.

للتعرف على المنحدرات الاجتماعية للوزير الجزائري، اخترنا من جهتنا الانطلاق بذلك من مهنة الجدّين كمؤشر سوسيولوجي مهم في مجتمع ضعيف التمايز الاجتماعي، لتحديد المواقع الاجتماعية لهذه النخبة الوزارية، ثم مهنة الأب، لقياس التحويلات التي عاشتها التشكيلة الاجتماعية الجزائرية بين جيلين، في مناطق مختلفة من التراب الوطني، في مواقع اجتماعية لم تعرف في نهاية الأمر - كما سيتبين ذلك خلال الدراسة - تنوعاً كبيراً، ارتبطت في مجملها - كما رأينا ذلك - بالظاهرة الاستعمارية وخصائصها المشكّلة لها. مهنة الجدّين إذن ستكون أول محطة في عملية الغوص في أعماق المجتمع الجزائري.

منهجياً، سنقوم في المرحلة الأولى بتقديم كل الفئات الاجتماعية التي ساهمت في عملية إنتاج النخبة الوزارية، من خلال مهنة الجدّين والأب، على أن نقوم بمقارنة بين الجيلين (الأب والجدّين) للتعلم أكثر في ظاهرة الحراك الاجتماعي الذي عرفته هذه الفئات الاجتماعية والمجتمع الجزائري ككل، والحديث عن الاتجاهات العامة التي يمكن الوصول إلى تحديد خطوطها العامة، ضمن هذا السياق التاريخي العام، بعد عملية المقارنة داخل نفس الجيل (الجدّين) بما تعكسه علاقات المصاهرة من ارتباطات مختلفة، والتي سنحاول العودة لها بالتفصيل من خلال الحديث عن عائلة الوزير الجزائري التي سنخصص لها جزءاً من الدراسة كعملية إنتاج وإعادة إنتاج، ووسط اجتماعي تميز بخيارات معينة وهو يدخل في علاقات مصاهرة مع أوساط وعائلات... وهو يقوم بالتعامل مع مؤسسات اجتماعية وثقافية كالمدارس والزوايا والأحزاب والجمعيات..

لن نكتفي، ضمن عملية التقديم هذه، بالمعطيات الإحصائية الكمية ذات الطابع الكلي، والمتمثلة في جداول إحصائية أعدناها اعتمادا على نتائج المقابلة التي اقتصرنا فيها على عينة من 100 وزير ووزيرة فقط للتعرف على الاتجاهات العامة، لكننا سندعم هذا التحليل الإحصائي الكمي بتحليل نوعي يصل إلى حوالي 150 وزيرًا ووزيرة، أجرينا معهم مقابلات شخصية خلال مدة الدراسة الطويلة التي تجاوزت ثلاثة عقود (بدأت المقابلات سنة 1992 ولم تتوقف إلا في 2024)⁸⁰ لربط الجانب الكمي من الدراسة بالتحليل النوعي من خلال الحالات الفردية الممثلة والمعبرة عنها.

حالات يمكن أن تفتح آفاقا أكبر ونحن نناقش نتائج البحث، إيماننا بأن عملية رصد مسار الأفراد داخل العائلات والأوساط الاجتماعية في هذه الجزائر المتحركة والمضطربة، يبقى من أصدق المقاربات لفهم وتتبع ما حصل فعلا. حتى وإن كنا لم نُفصل في هذا القسم من البحث الذي خصصناه للنخبة الوزارية، إلا في بعض الحالات الفردية التي اخترناها وليس كلها، حفاظا على ظهور الكتاب بحجم مقبول وتجنبنا لتكرار ما جاء في كتابنا الأول⁸¹ الذي حررنا مادته على شكل بورترية فردية للنخبة الوزارية، عكس هذا القسم من الدراسة الذي جاء أكثر تحليلاً، اعتمدنا فيه على عرض معطيات كمية قدمناها على شكل جداول، زيادة على ما تمكنا من الحصول عليه من معلومات نوعية اعتمدنا في الوصول إليها على المقابلات⁸² التي أجريناها مع أعضاء النخبة السياسية وما توفر لدينا من مراجع أكاديمية، ومعلومات مستقاة من المذكرات التي أنجزها بعض أعضاء العينة⁸³. عملية التقديم للمعطيات الإحصائية التي لا تجعلنا نتساهل مع العوائق المنهجية المطروحة، والتي كان من بينها صعوبات تحديد المهن خلال هذه الفترة التاريخية القديمة نسبيا في مجتمع كولونيالي مهيكّل بطريقة مشوهة، كما كان الحال في الجزائر. صعوبات لا تتعلق فقط بالظاهرة الاستعمارية في أبعادها السياسية، كما يمكن تخيل ذلك، بل كذلك بالكثير من التحولات الموضوعية التي عاشتها التشكيلة الاجتماعية الجزائرية خلال هذه الفترة الطويلة من تاريخها؛ فمن الصعب على سبيل المثال الكلام عن مهنة واحدة واضحة المعالم عند الكلام عن الكثير من الفئات المهنية الاجتماعية خلال هذه الفترة التي عرفت تحولات عميقة⁸⁴.

80. اهتمامات بحثية أخرى جعلتنا نقطع لفترات مختلفة عن إتمام العمل الذي أنجزنا منه مؤلف صدر 2011 عن دار الشهاب الذي نعود له في هذه الدراسة.

81. ناصر جابي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، دار الشهاب، الجزائر، 2011.

82. انظر ماجا في كتابنا: الوزير الجزائري. أصول ومسارات، الصادر عن دار الشهاب بالجزائر في 2011 حول ظروف إنجاز المقابلات مع الوزراء والصعوبات التي واجهناها رغم قتلها.

83. أقلية فقط من الوزراء كتبوا مذكراتهم كما كان حال أحمد طالب الإبراهيمي وعبد السلام بلعيد ومصطفى لشرف وعبد الحميد الإبراهيمي وخالد نزار من العسكريين، وليلى عسلاوي وزهور ونيسي من النساء الوزيرات.

84. انظر في هذا الصدد القسم المخصص للجوانب المنهجية والصعوبات المرتبطة بالدراسة.

سيكون إذن من المفيد بالنسبة لدراستنا العودة للوراء لتلمس عن قرب خصوصيات التحولات التي عاشها المجتمع الجزائري، من خلال التعرف على جيل الجدّين من الأب والأم، لمعرفة أكثر دقة للأوساط الاجتماعية التي كانت وراء إنتاج النخبة الوزارية الجزائرية لما بعد الاستقلال. جيل الجدّين اللذين يسمحان لنا بالعودة إلى فترة قديمة نسبيا من تاريخ التشكيلة الاجتماعية الجزائرية، فإذا افترضنا أن معدل تاريخ مولد أب الوزير بصفة عامة هو البدايات الأولى للقرن الماضي، فإن الحديث عن الجدّين معناه الكلام عن الربع أو الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، أي حوالي نصف قرن بعد التواجد الاستعماري في الجزائري، وهي الفترة التي بدأت فيها ملامح الظاهرة الاستعمارية في البروز والتشكل، وهي تمنح الجزائر الحديثة صورتها التي عُرفت بها، كما أكدت ذلك الكثير من الدراسات المذكورة.

جيل جدّ الوزير. نخبة وزارية غنية لمجتمع فقير

الجدول رقم 4 : يبين مهنة جد الوزير من الأب

النسبة %	التكرار	مهنة الجد من الأب
31	31	مالك عقاري / موال كبير ومتوسط
24	24	مالك عقاري / موال صغير
17	17	حرفي / مقاول صغير/تاجر
9	9	أجير صناعة / خدمات / زراعة
12	12	موظف صغير /مدرس / عسكري
6	6	باشاغا / قايد / موظف سام
1	1	أخرى
100	100	المجموع

يخبرنا الجدول أعلاه، الذي يتحدث عن مهن جيل الجد من الأب، عن تلك القوى الاجتماعية التي ساهمت أكثر من غيرها في إنتاج النخبة الوزارية الجزائرية لفترة ما بعد الاستقلال⁸⁵، بعد كل التحولات التي عرفتها الجزائر وعلى رأسها تلك التي عبرت من خلال الفترة الاستعمارية نفسها، وهي تساهم في إنتاج قوى اجتماعية جديدة كتلك البيروقراطية الناشئة في المدينة، وتضعف أخرى كما كان الأمر مع بعض أصحاب المهن الحرفية في المدينة وأصحاب الأملاك العقارية الكبرى في الريف التي تمت مصادرة أراضيهم في بداية الاحتلال، لينتفش وضع قوى أخرى لاحقا في المرحلة الأخيرة من الاستعمار. ناهيك

85. بعض الوزراء القليلين من العينة كانوا وزراء قبل الاستقلال ضمن الحكومة المؤقتة كما كان حال عبد الحميد مهري ولين خان على سبيل المثال.

عن أصحاب الملكيات الزراعية الصغيرة الذين كانوا ضحية تفتيت ملكيتهم للتوجه نحو التكديح ونزع الملكية عنهم في الأخير، مهما كان تواضعها، للالتحاق بالبطالة والعمل المأجور في أحسن الأحوال، وهذا في ظل تزايد ديموغرافي واضح عاشه المجتمع الجزائري في المرحلة الثانية من التواجد الاستعماري، أثر سلبا على الحالة الاقتصادية لهذه الفئات الاجتماعية الواسعة.. بعد التفتيت الذي تعرضت له الملكيات المتوسطة والصغيرة.

فترة عرفت بداية انتشار للتعليم بنوعيه الأساسيين : الرسمي الذي كانت وراءه الدولة الفرنسية، والأهلي الذي كانت وراءه جمعية العلماء المسلمين والأهالي وبعض الأحزاب الوطنية كحزب الشعب⁸⁶، واستفادت منه فئات مختلفة كانت على رأسها هذه الفئات المالكة الصغيرة في الريف وتلك المتواجدة بالمدينة بمختلف مواقعها الاجتماعية، بما فيها الشعبية والفقرية. مسارات تاريخية ارتبطت بأحداث كبرى كالانتفاضات الشعبية وحرب التحرير وقبلها الحركة الوطنية، بما ميزهما من عمليات استقطاب اجتماعي/سياسي وتحوّل في المواقع، عكست نفسها على المستوى السياسي ؛ وهو ما يجعلنا نطرح هذا السؤال : هل الوزير الجزائري ابن الاستمرارية السوسيولوجية، كما أكدت ذلك بعض الدراسات، أم ابن القطيعة التي ارتبطت بالكثير من المحطات السياسية كالانتفاضات المسلحة والثورات، كما حصل في 1871⁸⁷ ؟ هذه المحطات تمس مناطق الريف في الشرق الجزائري أكثر من غيرها، تحت قيادة بعض العائلات والقوى التقليدية التي وظفت الطرق الدينية والزوايا لتجنيد قوى شعبية واسعة في الريف وهي تعيش حالة مواجهة غير متكافئة مع مجتمع ودولة في حالة صعود على مختلف الأصعدة.

وهو نفس ما حصل مع انتفاضة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الغربي⁸⁸ قبل ذلك بسنوات (1880-1864) أو كما كان الحال مع حرب التحرير لاحقا والتي كانت أكثر انتشارا من الناحية الجغرافية، وهي تعتمد على قوى شعبية أوسع في المدينة والريف خاصة، وفي المهجر، ليس في فرنسا فقط بل تونس والمغرب كذلك.

نفس السؤال الذي يمكن طرحه على مستوى الجيل الثاني، جيل الآباء، فهل هي نفس القوى الاجتماعية التي استمرت في عملية إنتاج الوزير الجزائري للجيل الثاني ؟ السؤال الذي يُفترض أننا نطرح من خلال الإجابة عنه مسألة نوعية التحولات التي عرفها المجتمع

86. انظر على سبيل المثال الشهادة التي يقدمها العقيد علي كافي في مذكراته عن مرحلة الدراسة التي قام بها في مدرسة حزب الشعب قسنطينة وكيف التقى فيها بالشاب محمد بوخروبة (هوارى بومدين) الذي استفاد من الدراسة في هذه المدرسة.

87. Idir Hachi, *Mille huit cent soixante et onze ; une levée en armes pour l'honneur et la terre*, Chihab Éditions, Alger, 2021.

88. مرجع حول انتفاضة أولاد سيدي الشيخ، انظر :

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%88%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85_%D8%A8%D8%B3%D8%A7%D9%8A%D8%AD

الجزائري خلال هذه الفترة المضطربة من سيرورته، بما فيها ظاهرة الهجرة من الريف نحو المدينة وكل التحولات في المواقع الاجتماعية وعلاقات المصاهرة التي تمت خلال هذه الفترة التي سنتعرف عليها ونحن نقارن بين مهنتي الجدّين (من الأب والأم). هذه المتابعة التاريخية لهذه الفئات الاجتماعية المختلفة من خلال جيلين يمكن أن تساعدنا في فهم جزء كبير نسبيا من هذه التحولات التي عاشها المجتمع الجزائري، ونحن نعين كيف ظهرت فئات اجتماعية بقوة في إنتاج النخبة الوزارية واختفت أخرى أو قل دورها.

قبل الدخول في تفاصيل المشهد السوسولوجي الجزائري وهو ينتج نخبه السياسية بدءا من جيل الجدّين، يمكن أن نلاحظ الدور المهم للفئات البرجوازية الصغيرة في الريف والمدينة وعلى رأسها القوى الزراعية المالكة الصغيرة من فلاحين وموَالين (24 بالمائة) الممثلة لعالم الريف كفئة كانت على رأس ضحايا النظام الاستعماري في مناطق كثيرة من التراب الوطني، والتي تشكّل نوعاً من الأغلبية البسيطة إذا أضفنا إليها القوى البرجوازية الصغيرة الحرفيّة والتجار (17 بالمائة) من أهل المدن، الذين قاوموا بأشكال عديدة غزو السلع الصناعية التي فرضتها الرأسمالية الكولونيالية، زيادة على الموظفين الصغار من معلمين وعسكريين وكل بيروقراطية الدولة الكولونيالية (12 بالمائة) التي تطورت مع الوقت. سنكون بالتالي أمام أغلبية بسيطة (53 بالمائة) من أبناء هذه البرجوازية الصغيرة، وهي التي تكفلت بإنتاج النخبة الوزارية للجزائر المستقلة. نتيجة متوقعة في مجتمع مثل المجتمع الجزائري وهو تحت وطأة الظاهرة الاستعمارية، حافظت فيه هذه الفئات على الحد الأدنى من استقلاليتها المادية في مجتمع عانى من العسر الاقتصادي وانتشار البطالة. ما ليس متوقّعا في المقابل هو ذلك الدور الكبير الذي تميّزت به الفئات الغنية والميسورة التي تمثلها الفئات المالكة الفلاحية صاحبة الملكية الكبيرة والمتوسطة (31 بالمائة) في إنتاج النخبة الوزارية ونحن ننطلق من جيل الجدّين. حضور قوي سيزداد بروزا إذا أضفنا إليه فئة البشاعات والقياد التي تملك مواقع متأرجحة بين الريف والمدينة في الحالة الجزائرية (6 بالمائة) كما بينته الدراسات التاريخية المعروضة في هذا البحث، وهي تحدد المدينة كمركز سياسي أساسي بالنسبة لنشاط هذه الفئات التي بقيت مرتبطة بالريف كمجال لفرض سيطرتها على القوى الريفية الشعبية المكلفة بتأطيرها، لتبقى من الفئات الميسورة المتداخلة بقوة مع الفئات المالكة ملكية كبيرة ومتوسطة، زيادة - بالطبع - على ما يميّزها من ارتباط بالظاهرة الاستعمارية. حضور هذه الفئات لم يتأثر بحالات القطيعة التي مثلتها حرب التحرير وكل ما ميز التاريخ السياسي للجزائر، لتتمكن بالتالي من إيصال أبنائها وأحفادها إلى هذه المواقع السياسية في الجزائر المستقلة بهذا الحجم والنوع الذي أثار ومازال يثير الكثير من النقاشات السياسية والإيدولوجية حول حضور أبناء هذه الفئات

داخل مؤسسات دولة ظهرت للوجود بعد حرب تحرير شعبية، وهي تنافس بشكل قوي حتى الفئات البرجوازية الصغيرة ومختلف الفئات الشعبية الأخرى. لتبقى أخيرا فئة الأجراء (صناعة، خدمات، زراعة...) كأضعف فئة اجتماعية شعبية في إنتاج هذا الجزء من النخبة السياسية (حوالي 9 بالمائة) كمؤشر عن ضعف حضور العمل المأجور في الجزائر خلال هذه الفترة التاريخية التي لم تعرف توسعا كبيرا في تقسيم العمل. فئة أجراء يمكن أن تزداد أهميتها إذا وسعنا رؤيتنا ونحن نضيف لها فئة الموظفين الصغار (12 بالمائة) التي تبقى مختلفة عنها على الأقل من الناحية الثقافية باعتبارها فئات متعلمة حتى ولو كان ذلك بالحد الأدنى، ومن ناحية الموقع القريب من الظاهرة الاستعمارية وهي تنافس من قبل أبناء المعمرين الذين تخصصوا في احتلال هذه المواقع المهنية الوسطى، جراء ما يفرضه هذا الموقع من علاقات وأدوار ضمن النسق الاستعماري الاستيطاني وما يتطلبه من مستوى تعليمي، مهما كانت بساطته، مقارنة بعمال الصناعة والزراعة الذين رأينا كيف تأخر ظهورهم في الحالة الجزائرية الكولونيالية. معطيات تحتم علينا الانطلاق في تقديم هذا الجزء من الدراسة بالفئة الأكثر حضورا في إنتاج الوزراء وهي فئة الملاك الكبار والمتوسطين التي نضم إليها دائما فئة الموالين (مربي المواشي) الأكثر حضورا في مناطق الهضاب العليا والصحراء لما لهذه النشاطات من تداخل. وهو نفس التقديم الذي نقوم به عندما يتعلق الأمر بأصحاب الملكية الصغيرة والموالين الصغار.

الوزير ابن القوى الزراعية المالكة الكبيرة والمتوسطة. بعض الاعتبارات المنهجية

أولى الملاحظات الهامة التي يمكن استشفافها من خلال الجدول رقم 1، أن القوى الريفية المالكة الكبيرة والمتوسطة (من مزارعين وموالين)⁸⁹ تأتي على رأس أهم الفئات الاجتماعية التي ساهمت في إنتاج النخبة الوزارية، انطلاقا من محطة جيل الجد من الأب، بحيث نجد أن وزيراً واحداً من ثلاثة (31 بالمائة) ينتمي إلى هذه الفئات الميسورة، الحاضرة بقوة في عملية الإنتاج النخبوي حتى ونحن نقارنها بالفئات المالكة صاحبة الملكية الصغيرة التي أنتجت ما يقارب ربع عينة الوزراء (24 بالمائة) إذا بقينا على مستوى جيل الجدّين... في المجتمع الجزائري الذي قضت الظاهرة الاستعمارية فيه على الملكية الزراعية الجماعية وفتتها معلنة فيه عن عمليات تكديح واسعة للكثير من الفئات المالكة، كما بينت ذلك أكثر من دراسة.

89. قمنا بالربط بين الفلاحين والموالين ضمن نفس الخانة، احتراما للواقع الموجود في الكثير من المناطق، خاصة الهضاب العليا، التي تتميز بالمزاوجة بين النشاط الفلاحي وتربية المواشي، وهو النشاط الذي يمكن أن يمتد جزئيا على الأقل إلى التجارة.

النسبة العالية لحضور هذه القوى الريفية المالكة والميسورة منها على وجه الخصوص والذي لا علاقة له بحجمها الضعيف ديموغرافيا في المجتمع الجزائري، تزيد في منح دور أكبر للريف في إنتاج النخبة الوزارية، خاصة إذا أضفنا لها نسبة أبناء الفئات المالكة الصغيرة التي تبقى الأكثر حضورا وانتشارا من الناحية الديموغرافية، جراء العمليات التاريخية التي اشتغلت داخل الجسم الاجتماعي الجزائري والتي تعرفنا على بعضها، لنكون أمام مساهمة كبيرة للقوى الريفية بمختلف فئاتها في إنتاج النخبة الوزارية على مستوى هذا الجيل بالطبع. نتيجة يمكن القول أنها منطقية مع خصائص التركيبة الاجتماعية الكلية وطابعها الريفي الغالب.

هذه المعطيات التي تؤكد أهمية الريف كقوى اجتماعية فاعلة، حتى هذه الفترة داخل التركيبة الاجتماعية الجزائرية، رغم ما تعرضت له وما عاشته من ويلات. بالطبع سيكون من المفيد التدقيق في هذه المعطيات الكلية لمعرفة القوى التي ساهمت أكثر من غيرها في إنتاج هذه النخبة، حسب الجهات الجغرافية، لعدم التجانس القوي الذي يميز هذه القوى الريفية التي لا تملك نفس العلاقة مع الملكية الزراعية، التي تختلف من حيث نوعية تربتها وقيمتها المادية وقدرتها على الإنتاج.

لذا سنقوم بتقديم حالات فردية كثيرة ومتنوعة للتعرف عن قرب على هذه الفئات المالكة الكبيرة والمتوسطة من خلال أبنائها وأحفادها لاحقا الذين وصلوا إلى عضوية الحكومة في الجزائر المستقلة، التي عرفت - تاريخيا - عدة محطات قطيعة كالانتفاضات الشعبية التي كانت حاضرة بقوة في المراحل الأولى للاستعمار، وحرب التحرير بمستوى التجنيد الشعبي الذي عرفته.

فئة يمكن إضافة الباشاغات والقياد لها للتداخل الكبير الذي يميزها مع فئة المالكين الزراعيين الكبار والمتوسطين على مستوى الملكية الزراعية، فالسائد أن يكون الباشاغا والقايد مالكا زراعيا كبيرا أو متوسطا، رغم أن بعض الدراسات المذكورة ضمن المراجع تؤكد أن وضعية القايد قد عرفت تدهورا مع الوقت. فئات تتميز بحضورها المتأرجح بين الريف والمدينة، نظرا لتنوع ملكيتها الحاضرة في الريف والمدينة، رغم التميز المهني الذي تملكه هذه الفئة نتيجة قربها الكبير من الظاهرة الاستعمارية والأدوار التي تقوم بها لصالحها كقاعدة عامة، رغم بعض الاستثناءات الفردية التي برزت لدى الأجيال الصغيرة. فئة رغم ضعفها الديموغرافي أنتجت ما يقارب 6 بالمائة من وزراء الجزائر المستقلة، إذا أخذنا مؤشر مهنة الجد؛ وهو ما قد يعني للوهلة الأولى أن فكرة الطابع الشعبي لنظام الحكم الذي ظهر في الجزائر بعد الاستقلال التي يصر عليها الخطاب السياسي والإعلامي الرسمي، يمكن مناقشتها، بل ودحضها، اعتمادا على هذه المعطيات.

سنركز - ونحن نقدم أبناء هذه الفئات من الوزراء، كما هو حال الفئات الأخرى، طول الدراسة، زيادة على هذه المواقع الاجتماعية - على تتبع المسار التعليمي الذي اهتمنا به كمؤشر مفسر ومهم للفرز الاجتماعي، في مجتمع سادت فيه الأمية ولم يعرف انتشار التعليم بالتساوي بين فئاته، رغم التوسع النسبي الذي عرفه قبيل الحرب العالمية الثانية، ما يمنح قيمة كبيرة لمسألة أجيال الوزراء واختلاف تواجدهم بين الريف والمدينة، لتفسير أهمية القرب الجغرافي من المدرسة المختلف عن القرب الاجتماعي منها، والتدقيق - من جهة أخرى - في الأدوار الخاصة التي قامت بها بعض أنواع التعليم باللغات المختلفة المستعملة داخلها، كما هو حال المدرسين - بمدارسه الثلاث المعروفة بكل من العاصمة قسنطينة وتلمسان ذوي التكوين المزدوج لغة وثقافة وأبناء جمعية العلماء وخريجي الجامعات العربية المشرقية.

ناهيك عن الجامعات الجزائرية لاحقا والمدارس الكبرى - كما هو حال المدرسة الوطنية للإدارة⁹⁰ التي تخرجت منها الكثير من النخب الوزارية الصغيرة في السن - بمختلف تخصصاتها العلمية ودورها في إنتاج النخبة الوزارية بنوعها التكنوقراطي والبيروقراطي، داخل مجتمع تنوع فيه العرض التعليمي وتطور كمي مع الوقت، خاصة إذا أضفنا إلى ذلك الدور الذي قامت به الجامعات الأجنبية، كما كان حال الجامعات العربية والفرنسية. نفس الشيء الذي قمنا به فيما يخص دور الزوايا كتنظيم ثقافي واجتماعي تقليدي في المساهمة كخلفية في إنتاج النخبة الوزارية وقرب بعض العائلات منها في أكثر من منطقة من التراب الوطني.

نفس السياق الذي جعلنا نهتم ببعض التجارب السياسية في بُعدها التعليمي والثقافي التي مدت الجزائر بالكثير من وزرائها في مراحل تاريخية محددة، كما كان الحال مع جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين⁹¹، دون إهمال لدور الأحزاب السياسية بالطبع ومحطة الانتخابات - التي اقتزنت بها قبل الإعلان عن التعددية وبعدها - في إنتاج هذه النخبة الوزارية، مثل المرور على بعض المواقع داخل مؤسسات سياسية بعينها، كما هو حال رئاسة الجمهورية التي تبينت لنا - من خلال هذه الدراسة - أهميتها كموقع لنسج العلاقات والتعرف على مكونات النخبة السياسية والعسكرية التي تحسم الوصول إلى موقع الوزارة والعودة إليها أكثر من مرة. في نظام سياسي احتكرت النخبة المدنية المواقع الوزارية داخل الهيئة التنفيذية حتى ونحن نلاحظ حضور بعض الوزراء من أصحاب الخلفية العسكرية الذين عاشوا في بعض الحالات هذا الموقع كقرار إبعاد وليس ترقية.

90. أنتجت المدرسة الوطنية للإدارة عدداً كبيراً من الوزراء ورؤساء الحكومات، كان من بينهم الرئيس عبد المجيد تبون الذي وصل إلى رئاسة الجمهورية في 2019 بعد المرور على عدة قطاعات تسيير وزارية كالسكن والإعلام، وبعد تجربة طويلة كوال في عدة مدن.. زيادة على أحمد أويحيى وعبد المالك سلال ونور الدين بدوي كرؤساء حكومات.. والعديد من الوزراء.

91. Clement Moore Henry, *L'UGEMA.1955-62, Témoignages*, Casbah Éditions, Alger, 2011.

نفس الاهتمام الذي أوليناه للموقع المهني لجَدّ الوزير والأب لاحقاً، منحناه للموقع المهني للوزير ذاته قبل الوصول إلى الوزارة، لفهم كيف وصل إلى احتلال هذا المنصب على مستوى الهيئة التنفيذية، انطلاقاً من القطاعات المهنية التي اشتغل فيها، ومتى كان هذا وكم دام وهل عاد إلى نفس المواقع المهنية للتعرف على المهن والقطاعات الحاضرة أكثر أو أقل داخل الهيئة التنفيذية أم لا.

اللحظة الفارقة التي تفسر هذا الوصول كمحطة وعلاقات اجتماعية ومهنية وحتى جهوية، سنحاول التعرف عليها هي الأخرى لتتابع حضورها كعامل تفسير في احتلال هذا الموقع الذي يبقى مهماً في المسار المهني لأصحابه؛ ورغم الأهمية النسبية له كموقع سياسي، إلا أن ما يميز النظام السياسي من خصائص جعلته يفقد بريقه مع الوقت، كما يظهر من خلال طرق التعيين والإبعاد من الحكومة⁹²، وسنرى ذلك بالتفصيل ونحن نتكلم عن مراحل اضطرب فيها النظام السياسي وهان فيها موقع الوزارة، كما زاد عن حده في بداية السنوات الأخيرة لحكم الرئيس بوتفليقة، حين اشتداد أزمة النظام السياسي وتدهور أداء مؤسساته. فلم يعد الوزير يستمر في موقعه إلا أياماً معدودات، بل ويبعد مباشرة بعد الإعلان عن تعيينه الرسمي في جو سادته الكثير من الغموض.

التعيين والطريقة التي يتم بها ومدة الاستمرار في المنصب الوزاري... كل هذا سيكون من المواضيع التي سنتطرق إليها في هذه الدراسة للتعرف على الوجوه التي اتسم حضورها بالاستمرارية وتلك التي غادرت المنصب بسرعة ولم تعد إليه⁹³، والتعرف أيضاً - في هذا السياق - على « اللحظة » التي تفسر هذا الوصول إلى الحكومة، ونرى كيف كان المرور على رئاسة الجمهورية أحد أهم محطاته، لنتعرف في الأخير على تلك الوجوه السياسية التي عاشت موقع الوزارة كنوع من الإبعاد لها، ولم تكن راضية عنه مقارنة بالمناصب التي احتلتها قبل الوصول إلى الحكومة، في مؤسسات الحزب أو الجيش والأمن، كما كان الحال مع محمد شريف مساعدي الذي عُيِّن على رأس وزارة المجاهدين في بداية فترة الرئيس الشاذلي وهو يغادر موقعه على رأس المؤسسة الحزبية، أو العقيد أحمد بن شريف وهو يغادر موقع قائد الدرك الوطني نحو منصب وزارة الري واستصلاح الأراضي والبيئة التي غادرها بسرعة (1977-1978). نفس الشيء الذي يمكن قوله حول أحمد دراية عند مغادرته منصب المدير العام للأمن الوطني نحو وزارة النقل بعد التعديل الوزاري الذي أجراه الرئيس بومدين في 1977 كما سنرى ذلك بالتفصيل. وهو نفس ما حصل لاحقاً

92. فضل سميّر شعبانة، الصحفي والنائب البرلماني السابق، عدم التخلي عن جنسيته الفرنسية المكتسبة، حيث يرفض القانون الجزائري تجنس النواب بجنسية أخرى غير الجزائرية. وغادر الحكومة مباشرة بعد الإعلان عن انضمامها لها في 23 جوان 2020.

93. هذا ما كان مع حالات مثل الشيخ بوعمران والعربي دماغ العتروس على رأس وزارة الثقافة في بداية التسعينيات. للتعرف أكثر على الحالتين انظر :

ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 281-356.

للهادي لخضيري الذي انتقل هو الآخر من مديرية الأمن التي استقر على رأسها لسنوات نحو وزارة النقل لمدة قصيرة في بداية التسعينيات.

أبناء الأغنياء الذين حكموا الجزائر بعد الاستقلال. حالات واتجاهات

من أبناء هذه الفئات الغنية في المنطقة الشرقية للجزائر، نجد جد نور الدين حربي نائب وزير التعاون الدولي في بداية النصف الثاني من الثمانينيات، فقد كان جده من الأب من الملاك الفلاحين الكبار⁹⁴ بولاية سكيكدة، المعروفة بنوعية تربتها الزراعية. نور الدين حربي، الذي قضى فترة طويلة من مسيرته المهنية كسفير في الخارج قبل الوصول إلى عضوية الحكومة كنائب وزير للتعاون الدولي خلال فترة (1984-86) في حكومة عبد الحميد الإبراهيمي التي كانت من أكثر الحكومات تعيينا لنواب الوزراء (15 نائب وزير في الحكومة الأولى و13 في الحكومة الثانية زيادة على 27 وزيراً) تجربة خرج منها أغلبية من تم تعيينهم في هذا المنصب - كما كان الحال بالنسبة للتجارب التي ظهرت لاحقا - بموقف سلبي لم يساعد على استقرار الحكومة ذاتها ولم يمنحها فعالية عمل أكبر.

الابن نور الدين حربي الذي يعرفه الجزائريون من خلال الأخ الأكبر محمد حربي المؤرخ ومناضل الحركة الوطنية وحرب التحرير والخال علي كافي قائد الولاية الثانية ورئيس مجلس الدولة بعد الاستقلال... وسط عائلي ميسور جدا لم يمنع الابن نورالدين - كما كان الحال مع الأخ الأكبر محمد - من الانضمام إلى الحركة الوطنية الجذرية - الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية MTLD - منذ مرحلة الدراسة في الثانوية التي انخرط فيها ليستمر في فرع اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين بمدينة غرنوبل الفرنسية التي درس فيها الأدب الفرنسي لغاية اندلاع الاضراب الذي دعا إليه اتحاد الطلبة، وتم إلقاء القبض عليه في 1958، وأطلق سراحه في 1961 وفُرضت عليه الإقامة الجبرية في مدينته سكيكدة. وبعد الاستقلال، عاد للدراسة في باريس (1964)، كما كان الحال مع الكثير من قدماء الحركة الطلابية الوطنية، وتخصص هذه المرة في العلوم السياسية للتكيف أكثر مع وسطه المهني الجديد في الخارجية الجزائرية، والذي انطلق فيه مباشرة بعد الاستقلال.

نفس الحال بالنسبة لجَدّ وزير العمل والشؤون الاجتماعية في النصف الثاني من الستينيات ضمن طاقم حكومة بومدين، زرداني عبد العزيز، الذي زواج جَدُّه - كالكثير من الجزائريين من أبناء هذه الفئات الميسورة - بين الملكية الزراعية الواسعة والتجارة في منطقة أم البواقي، وأصل عائلة زرداني غير بعيد عن هذه المنطقة، وقد كانت بينها وبين عائلة حربي علاقة صداقة من خلال جيل الابن محمد حربي.

94. انظر المعلومات الدقيقة التي يمنحها الأخ البكر المؤرخ محمد حربي عن العائلة وأدوارها وعلاقاتها في الجزء الأول من من مذكراته التي ترجمت إلى الأمازيغية عند دار نشر جزائرية (كوكو) سنة 2024.

Mohammed Harbi, *Une vie debout*, Casbah Éditions, Alger, 2002.

دائما في المنطقة الشرقية من الجزائر، في سوق أهراس تحديدا، سنجد عائلة حراي مصطفى (وزير التجهيز 1991-92) التي كان الجد فيها من الفلاحين الكبار المعروفين بملكيتهم الزراعية الواسعة في هذه المنطقة الفلاحية من الشرق الجزائري... لنكون أمام أبناء برجوازية ريفية من الشرق الجزائري استطاعت أن توصل أبناءها إلى مواقع الوزارة بعد الاستقلال، في مواقع تقنية - غالبا - ولمدة قصيرة، بعد مسارات مهنية طويلة داخل القطاعات المهنية التي ارتبطوا بها كما كان الحال مع الخارجية بالنسبة لحري والصناعة لحراي، مقابل المسار الأكثر سياسية والمتقطع لابن الأوراس زرداني الذي ارتبط بمهنة المحاماة بعد تجربة الوزارة القصيرة والمضطربة التي انتهت بسجنه.

حالات أنجزت قطيعة سياسية واضحة مع وسطها الاجتماعي المالك الكبير بالتوجه نحو التيارات الجذرية للوطنية الجزائرية، عبرت عن نفسها، كما كان الحال مع عبد العزيز زرداني، بالالتحاق بجبال الولاية الأولى في مارس 1955 قبل إعلان إضراب اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين في جوان من نفس السنة مما جعله يتوقف عن دراسته التي لم يعد إليها إلا بعد الاستقلال للتخرج من كلية الحقوق والعمل كمحامي لاحقا. الولاية التي ارتبط الرجل بها سياسيا بعد الاستقلال من خلال قائدها ورئيس الأركان العقيد الطاهر زبيري الذي تزامن معه عند فشل انقلابه في 1967 ضد الرئيس بومدين. تضاؤم أوصل الرجل إلى السجن هو وزوجته مريم بلميهوب - زرداني التي التحقت بالحكومة لاحقا في 1992⁹⁵.

شريف رحماني⁹⁶، وزير الشباب والرياضة، التجهيز، التهيئة العمرانية والبيئة، والصناعة لاحقا لمدة قاربت العشرين سنة منذ 1988، تاريخ أول تعيين له في حكومة قاصدي مرباح، يمكن عده أحسن من يمثل هذه العينة من العائلات الغنية بكل المقاييس، وهي تنوع في ملكيتها ونشاطاتها منذ جيل الجدين والأب لاحقا، والتي تراوحت بين تربية المواشي والزراعة والملكية العقارية المتنوعة في الكثير من مدن الوسط الجزائري، انطلاقا من ولاية الجلفة شبه الصحراوية موطن العائلة.

فقد وُلد الابن شريف في سنة 1945 لأب مالك زراعي وموال كبير، مزواج، كما كانت العادة عند أبناء هذا الوسط في هذه الجهة، أنجب 23 ولدا وبناتا من زوجاته ليكون الطفل شريف بكر زوجته الأخيرة من عرش بلحشر - عائلة بن شريف، والتي كانت تملك مستوى تعليميا متوسطا باللغتين لم يكن متوقفا لدى بنات جيلها في هذه المنطقة المشهورة بقلّة انتشار التعليم عند الإناث قبل الذكور، في حين كان الأب أميا... كما كان سائدا لدى أبناء هذه الجهة من الهضاب العليا الوسطى التي كانت على الدوام ضعيفة الحضور السياسي بعد الاستقلال لأسباب يملك الابن شريف المتخصص في العمران تفسيرها لها.

95. انظر القسم المخصص للنساء الوزيرات ضمن هذا المؤلف.

96. متحصل على شهادة الدكتوراه من مدرسة عليا فرنسية مشهورة - EPHE 1978-82 بعد التخرج في سنة 1969 من المدرسة الوطنية للإدارة والحصول على البكالوريا من ثانوية ابن عكنون - مزدوجة اللغة.

يفسر شريف رحماني هذا الضعف لفهم كيف تحولت الجهة مع الوقت إلى قوة إسناد سياسي وليس قوة اقتراح، بتدني انتشار التعليم وقلة العمران، زيادة على الهزائم التي لحقت بالمثلثين السياسيين لهذه الجهة، كما حصل مع محمد الشعباني قائد الولاية السادسة في السنوات الأولى للاستقلال وما حصل قبيل ذلك من هزيمة للولاية الرابعة في صيف 1962 والتي تضم جزءاً كبيراً من الهضاب العليا الوسطى التي تنتمي لها ولاية الجلفة.

انطلق شريف رحماني بعد التخرج مباشرة في العمل داخل قطاع الإدارة المحلية على المستوى المركزي والمحلي، كما كان الحال عندما عُيِّنَ والياً على رأس ولاية تبسة؛ التجربة التي جعلت الرجل معروفاً ومحط أنظار - دامت سنتين (1984-86) - لينتقل إلى نفس المنصب على رأس ولاية العاصمة التي تحولت كمدينة كبيرة إلى مشتلة لإنتاج الوزراء. مهام أخرى قام بها الرجل كمفتش عام برئاسة الجمهورية لمدة قصيرة (1985) ووزارة الداخلية التي عُيِّنَ أميناً عاماً لها، قبل الانتقال إلى حكومة قاصدي مرباح كوزير للشباب والرياضة، الحكومة التي تميزت بترقية الكثير من الأمناء العامين للوزارات إلى منصب الوزير، والتي خرج بانطباع جيد عنها وعن رئيسها، عكس الكثير من زملائه الوزراء.

بعد تجربة وزارة الشباب والرياضة مع قاصدي مرباح، انتقل رحماني للعمل كوزير مع حكومة مولود حمروش (وزارة التجهيز) لفترة قصيرة انتهت بابتعاده عن الحكومة قبل تعديلها في جويلية 1990 وتعويضه بأحد المقربين من رئيس الحكومة (محمد قنيفة)... المشكل خلال هذه التجربة مع حكومة حمروش التي تقدم شريف رحماني بعدة استقالات منها، هي ما سماه الرجل بالعصابة المحيطة برئيسها... ناس من دون بُعد سياسي ولا رؤية عامة للدولة...

غادر شريف رحماني الساحة السياسية بعد هذه التجربة الحكومية ليهتم - كبر للعائلة - بشؤون عائلته ومصالحها الاقتصادية، لمدة أربع سنوات تقريبا، ليعود فيها إلى الواجهة كما حصل له أكثر من مرة... « جماعة حمروش لم يعجبهم أنني لم أنكسر وأنا أباشر تجربة وزارة التجهيز التي تمكنت من خلقها وتنظيمها مع حكومة سيفي في 1994، خلال ستة أشهر فقط ».

بعد تعيين الجنرال ليامين زروال رئيسا للدولة من قبل ندوة الوفاق الوطني، لم يرجع شريف رحماني إلى الحكومة مع حكومة أحمد أويحيى التي عوضت حكومة سيفي، بل طلب منه رئيس الحكومة الجديد تسيير ولاية العاصمة بمنصب وزير، في أول تجربة من هذا النوع في الجزائر العاصمة، مما جعله يترشح للانتخابات التشريعية لتمثيل ولايته (الجلفة) التي تملك فيها عائلته حضورا متميزا على أكثر من صعيد، لينجح فيها ككل مرة ككثير من الإطارات الذين كَوَّنوا خزاناً بشريا لهذه التجربة الحزبية الرسمية التي شارك فيها الكثير من أعضاء الحكومة داخل صفوف حزب السلطة الجديد (التجمع الوطني الديمقراطي) الذي تحول إلى منافس قوي لجهة التحرير (1997).

انتهت هذه التجربة الجديدة على رأس ولاية العاصمة بعد الهجوم الذي شنه الرئيس بوتفليقة عليه مباشرة في التلفزيون، دون أن يمنعه هذا الإبعاد العنيف من العودة لاحقا لاحتلال موقع وزاري مع حكومات بوتفليقة التي كان على رأسها أحمد أويحيى وعبد العزيز بلخادم (2008)، كما عرف أن يعود كل مرة بعد ابتعاد مؤقت كممثل لولايته من الجيل الجديد، لتكلم الكثير من الأوساط على إمكانية احتلاله لمواقع مهمة استمر الحديث عنها لغاية 2022، رغم تقدمه في السن (من مواليد 1945)، هو الذي عرف كيف يختفي لفترات طويلة وكيف يسكت وكيف يسوق نفسه على المستوى السياسي في الداخل وعلى المستوى الدولي، عبر الاهتمام بالصحراء وموضوع البيئة بعد ابتعاده عن المواقع الرسمية، في انتظار مواقع أخرى.

وزير آخر معروف قريب جدا من عائلة رحماني (أحد أخواله) احتل هو الآخر وزارة البيئة واستصلاح الأراضي والموارد المالية في وقت أقدم من تجربة شريف رحماني عندما ظهرت هذه الوزارة (البيئة) لأول مرة في تاريخ التجربة الحكومية الجزائرية، حيث كانت من نصيب العقيد أحمد بن شريف عندما عُيِّن في آخر حكومة للرئيس بومدين (1977-78) لفترة قصيرة، بعد إبعاده من قيادة الدرك الوطني التي بقي على رأسها منذ استقلال البلاد في 1962، وهو العضو السابق لمجلس الثورة، المؤسسة التي حكمت الجزائر منذ إبعاد الرئيس بن بلة في (1965-1978). بن شريف الذي تربطه علاقة قرابة مباشرة بشريف رحماني (أم شريف رحماني من نفس عائلة بن شريف) وبالتالي ينتمي إلى نفس الوسط الغني الموال المعروف بملكته الزراعية الكبيرة في منطقة الجلفة شبه الصحراوية. عائلة كان الجد من الأب فيها خليفة للزاوية الرحمانية⁹⁷ بهذه المنطقة، في حين كان الجد من الأم المعروف هو الآخر بملكته الزراعية الكبيرة ونشاطه الرعوي الواسع، بشاغا. في عائلة كانت معروفة بنفوذها الكبير في الجهة وارتباطها بالظاهرة الاستعمارية الذي عبرت عنه بأشكال مختلفة كان من بينها التحاق أبنائها من مختلف الأجيال بالجيش الفرنسي، كما حصل مع الشاب أحمد بن شريف الذي حارب مع الجيش الفرنسي في منطقة الهند الصينية لغاية 1952 كضابط صف، بمستوى تعليمي لم يتجاوز مرحلة التعليم الابتدائي في مدينته الجلفة المعروف عنها تاريخيا شح انتشار التعليم بين سكانها⁹⁸.

97. لمزيد من التفاصيل عن هذه الزاوية انظر :

عبد المنعم قاسمي الحسني، الطريقة الخلوتية الرحمانية منذ ظهورها لغاية الحرب العالمية الأولى، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2008.

http://biblio.univ-alger.dz/jsui/bitstream/1635/11363/1/KACIMIELHASSANI_ABDELMOUNAIM.PDF.pdf.

98. بعد ستين سنة من الاستقلال مازالت ولاية الجلفة تسجل أدنى مستويات التمدرس والنجاح في البكالوريا على المستوى الوطني.

حين اندلاع ثورة التحرير، كان أحمد بن شريف ضمن القوات الفرنسية، ليقرر سنتين بعد ذلك (1956) الالتحاق بجيش التحرير، على رأس مجموعة من الجنود الجزائريين، بل وحتى قطع خط موريس على الحدود الشرقية في 1960 للدخول للجزائر تطبيقاً لتعليمات المجلس الوطني للثورة الجزائرية الذي كان عضواً به، ممثلاً للولاية الرابعة التي تتبع لها ولاية الجلفة. خصلة عسكرية لهذا الرجل المعروف باندفاعه وصراحته، لم تتوفر عند قدماء الجيش الفرنسي، منحته الكثير من الشرعية بعد الاستقلال، وسمحت له بالوصول إلى مراكز القرار الهامة كمجلس الثورة، وإنجازه للكثير من المهام داخل مؤسسات الثورة على الحدود التونسية والمغربية في المكتب الثاني، بالقرب من وزير الدفاع كريم بلقاسم وداخل مؤسسات التكوين التابعة لجيش الحدود. قبل الدخول إلى الجزائر للوصول إلى عضوية مجلس قيادة الولاية الرابعة، لوقت قصير قبل إلقاء القبض عليه من طرف الجيش الفرنسي بعد معركة مع قواته في سنة 1960، ليُحكم عليه بالإعدام من قبل محكمة المدينة العسكرية. حكم بقي من دون تنفيذ لغاية الاستقلال⁹⁹.

القرار الذي اتخذته الرائد بن شريف وهو يؤيد الثنائي بن بلة وبومدين المدعومين من جيش الحدود أثناء أزمة صيف 1962 في مواجهة قيادة ولايته الرابعة المؤيدة للطرف المقابل المتمثل في الحكومة المؤقتة، جعل الرجل ممثلاً دائماً - مع بعض الوجوه القليلة الأخرى، كما رأينا ذلك مع بوعلام بن حمودة على سبيل المثال - لهذه الولاية المهزومة، طول فترة ما بعد الاستقلال لدى المجموعة الحاكمة الجديدة التي احتل فيها العقيد أحمد بن شريف موقعا مهما كقائد للدرك الوطني.

ليعيش الرجل محطة الوصول إلى منصب الوزارة كإبعاد له من مركز القرار العسكري المهم والحساس الذي كان على رأسه وعرف به بعد الاستقلال على المستوى الوطني... « بومدين طلب مني أن آخذ أي وزارة ماعدا وزارة الدفاع عندما طلب مني مغادرة قيادة الدرك بحجة التجديد... » وبدل ذلك اكتفى الرجل برأس المجلس الأعلى للشباب لمدة قصيرة واحتلال موقع حزبي مؤقت، قبل الاختفاء نهائياً عن الساحة السياسية التي لم يكن يحسن فنونها ومراوغاتها، هو صاحب المسار العسكري واللغة المباشرة التي ميزته - كالكثير من أبناء الهضاب العليا - طول مساره السياسي والعسكري... « بومدين لم يكن يملك الشجاعة لتأميم أراضي عائلتي، كما فعل مع الكثيرين، أثناء مرحلة الثورة الزراعية التي كانت من أتعس القرارات التي اتخذها الرجل » يقول زميله العسكري في مجلس الثورة الذي كان الرأي العام الشعبي يعرف تحفظه على الكثير من قرارات بومدين وعلى رأسها الثورة الزراعية التي كان بومدين ابن الفلاح الصغير الفقير مُصرّاً عليها أكثر من أي قرار آخر، رغم التحفظات التي أبدأها حولها بعض أعضاء مجلس الثورة أنفسهم. موقف لم يتم التعبير عنه علناً ليبقى في الغالب

99. Ahmed Bencherif, *Parole de baroudeur*, Éditions Anep, Alger, 2003.

من أسرار الجلسات الخاصة بين أهل الثقة خوفا من التبعات السياسية، باعتبار أن أي موقف علني كان يعني حتما الخروج إلى المعارضة في ظل نظام بومدين وثقافته السياسية السائدة، كما حصل مع بعض الشخصيات : قايد أحمد عضو مجلس الثورة ومسؤول الحزب¹⁰⁰ وابن يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة قبله، المختلفين جدا من حيث خصائص شخصياتهما رغم اقترابهما من حيث الأصول الجهوية التي يلتقي فيها الرجلان في الهضاب العليا بوسط الجزائر ؛ فقد كان بن خدة يتميز بالهدوء والقدرة على الإنصات والتواصل، كما عبّر عنه سياسيا وهو يتخذ مواقف مع المركزيين قبيل مرحلة اندلاع ثورة التحرير، عكس شخصية قايد أحمد التي عُرفت بالحدة عند المواجهة والتعبير العلني عن المواقف.

الموقف النقدي لأحمد بن شريف لم يقتصر على بومدين، فقد كان للرجل نفس الرأي فيما يخص بن بلة قبله والشاذلي بن جديد بعده الذي حاول منافسته في الوصول إلى الرئاسة في 1978، لولا تدخل شخصيات سياسية قريبة منه - كان من بينهم أحمد طالب الإبراهيمي - أقنعتة بعدم الترشح. نفس الترشح للانتخابات الذي حاول القيام به مرة ثانية، دون تسجيل أي نجاح يُذكر... ليختفي الرجل عن الأنظار وهو في بداية الخمسينيات من العمر (53 سنة بالضبط) وبصحة جيدة، كما حصل مع الكثير من أبناء هذا الجيل الذي ظهر على الساحة السياسية وهو صغير في السن، مما أعطى الانطباع بأنه عمّر طويلا على رأس السلطة التي غادرها نهائيا باستثناء تلك التصريحات المدوية التي عُرف بها بمناسبات تاريخية، بقيت من دون أثر سياسي.

مع أبناء الزوايا الأغنياء مرة أخرى

بالإضافة إلى حالة أحمد بن شريف مع الزاوية الرحمانية، سجد الزاوية حاضرة مرة أخرى بشكل أوضح في حالة جد غلام الله بوعبد الله وزير الشؤون الدينية ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى لاحقا، في الجهة الغربية هذه المرة، ممثلة في حالة زاوية « سيدي عدة » بلدية سيدي الحسني بولاية تيارت التابعة للطريقة الشاذلية الدرقاوية، التي كان يسيرها ويعلم فيها الجد من الأب والأب نفسه لاحقا. فعكس الجد من الأم أصيل ولاية الشلف، صاحب التعليم المتواضع والملكية الزراعية الصغيرة، كان الجد من الأب صاحب ملكية زراعية كبيرة منتشرة في أكثر من ولاية من ولايات الغرب الجزائري كوادي رهيو بولاية غليزان التي وُلد فيها الحفيد الوزير سنة 1934.

الحفيد الذي بدأ بالتعليم التقليدي بزاوية العائلة حتى بداية الخمسينيات، لينتقل إلى الزيتونة للحصول على شهادة الأهلية والعودة ثانية لقسنطينة لإتمام دراسته بمعهد

100. يمكن العودة إلى ما كتبه كمال بوشامة عن قايد أحمد، هو الذي عرفه واشتغل معه داخل هياكل الحزب. Kamel Bouchama, Kaïd Ahmed, homme d'Etat, Éditions Enag, Alger, 2019.

جمعية العلماء، بعد طرده من تونس نتيجة نشاطاته الطلابية. تونس التي عاد إليها الطالب غلام الله في أول سنة لاندلاع ثورة التحرير للفوز بشهادة التحصيل والتوجه من هناك إلى دمشق للقيام بدراسات عليا في العلوم الاجتماعية - بعد الحصول على منحة من الحكومة المؤقتة - إلى غاية الاستقلال.

شهادات علمية هي التي سمحت لغلّام الله بالتوجه نحو التعليم الثانوي والجامعي لاحقا بعد حصوله على شهادة دبلوم الدراسات المعمقة، دون أن يمنعه ذلك من الاهتمام بالعمل الإعلامي لدرجة وصوله على رأس مديرية جريدة الشعب بين 1969 و1971... منصب أبعده منه أحمد طالب الإبراهيمي وزير الإعلام في تلك الفترة كما جاء في المقابلة مع الرجل... ليتوجه بعد ذلك نحو العمل الإداري بنفس الوزارة، بعد مغادرة طالب لموقعه الوزاري لاحتلال موقع مدير للتعليم الأساسي هذه المرة، بعد مرحلة المفتشية العامة والوصول إلى منصب أمين عام الوزارة نفسها مع وزير القطاع ابن الأغواط مصطفى بن عمر (1988).

وبعدها صرف اهتمامه لشؤون زاوية العائلة إلى غاية 1997... يقول : « ... 1997 تاريخ تنظيم الانتخابات التشريعية التي شاركت فيها ممثلا عن ولاية تيارت ضمن قوائم الحزب الجديد، التجمع الوطني الديمقراطي... عبد القادر بن صالح الذي كنت قد تعرفت عليه خلال تجربة جريدة الشعب هو الذي أفنّعني بالترشح خاصة بعد تفجير دار جاري والي الولاية من قبل مجموعة مسلحة خلال هذه الفترة المضطربة أمنيا ».

ليتنقل الرجل إلى عضوية الحكومة كوزير للشؤون الدينية لفترة دامت سبعة عشرة سنة كاملة (1997-2014) خلال فترة كان فيها حزب التجمع الوطني الديمقراطي ورئيسه - أحمد أويحيى - قويا وحاضرا. الرجل الذي ارتبط معه غلام الله بعلاقة متينة ومباشرة... يقول : « هو شخصا الذي اتصل بي ليخبرني بتعييني في الحكومة فترة طويلة تلتها مرحلة رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى المستمرة منذ 2016 ».

استمرارية قد يفسرها جزئيا على الأقل تكوين الرجل العلمي والديني المتنوع الذي أُلّف فيه بين الديني التقليدي في زاوية العائلة والزيتونة، مروورا بمعهد ابن باديس وصولا إلى جامعة دمشق والجزائر لاحقا، زيادة على التمكن من الفرنسية، ولغة الأم العربية بالطبع. في وقت بروز تيارات دينية متطرفة إلى السطح في الجزائر، هددت استقرار الدولة والمجتمع، كانت السلطة السياسية في حاجة إلى تقديم وجوه بهذه الخلفية التي يتمتع بها غلام الله لدحض ما تدعو إليه هذه التيارات العنيفة، مع تنامي الصراع المعروف الذي كان دائما حاضرا على موقع وزارة الشؤون الدينية في الجزائر، بين مختلف مدارس الإسلام في الجزائر التي يمثل غلام الله توليفة يمكن أن ترضي أكثر من طرف نتيجة تكوينه الديني المتنوع، زيادة على ما تمتع به من قرب من أصحاب القرار الذي جسده وهو يترشح للانتخابات التشريعية في قوائم حزب السلطة الجديد، التجمع الوطني الديمقراطي.

مصطفى الشريف وزير التعليم العالي (1990-91) ابن جندل بولاية الشلف، يمكن ضمه بسهولة إلى هذه الفئة الاجتماعية الميسورة صاحبة الملكية العقارية الواسعة التي ساهمت بقوة في إنتاج النخبة الوزارية في الجزائر. لعائلة قريبة هي الأخرى من زاوية سيدي محمد بن يوسف في مليانة التي تحوّل الأب للعمل فيها كإمام بعد الجد من الأب، المفتي الذي يحسن الفرنسية زيادة على العربية، كما كان الحال مع الأم ابنة البشاغا، المالك الزراعي الكبير، التي كانت هي الأخرى متمكنة من الفرنسية، عكس ما كان شائعا على مستوى بنات جيلها من الجزائريات، لتشبه في ذلك أم شريف رحماني ابن الجلفة الذي ينتمي إلى نفس الفئات المالكة الميسورة التي استفادت بناتها على مستوى هذا الجيل من تعليم بالفرنسية مهما كان بسيطا داخل المدرسة الفرنسية التي تميزت هذه الفئات بقرب اجتماعي منها، رغم البعد الجغرافي في بعض الحالات.

مصطفى الشريف الذي لم يتمكن من الاستمرار طويلا على رأس وزارة التعليم العالي - التي غادرها بعد استقالة حكومة مولود حمروش الثانية والتي عُيِّن فيها لمدة عشرة أشهر فقط (بين جويلية 1990 وجوان 1991) - هو الذي يمنح أهمية كبيرة للعامل الجهوي في ضعف حضور أبناء منطقته « الوسط الغربي » كما يسميها، والتي كانت تتميز على الدوام بتواضع حضورها على المستوى السياسي بسبب هزيمة الولاية الرابعة بُعيد الاستقلال في صراعها مع جيش الحدود ونظام بومدين الذي منح حق تمثيل الجهة لشخص واحد أو اثنين مثل بوعلام بن حمودة ابن شرشال الساحلية أو كمال بوشامة لاحقا، لتبقى المناطق الداخلية لهذه الجهة الوسطى من دون تمثيل سياسي فعلي.

مصطفى الشريف الذي استغل وجوده على رأس جامعة التكوين المتواصل (جامعة ليلية) للتقرب من رئيس الحكومة مولود حمروش - دون أن يكون له قرب سياسي أو شخصي منه - عبر نشاطات كثيرة قام بها للتعريف بهذه التجربة الجديدة في الجزائر، دون أن يتمكن من النجاح في الانتخابات التشريعية التي ترشح لها وهو على رأس الوزارة، في قوائم جبهة التحرير عن دائرة مليانة موطن العائلة...

« رغم عدم نجاحي في الدور الأول من هذه الانتخابات، كنت أملك حظوظا كبيرة في الفوز في الدور الثاني لو لم يُلغَ بعد فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ... » يقول الرجل الذي عُرف بقدرته الكبيرة على التواصل والعمل مع وسائل الإعلام خلال هذه الفترة¹⁰¹.

101. من مؤلفات الدكتور مصطفى الشريف، نذكر :

L'Émir Abdelkader, apôtre de la fraternité, Éditions Odile Jacob, Paris, 2016.

L'alliance des civilisations, Casbah Éditions, Alger, 2018.

La civilisation musulmane ; modèle du juste milieu, Éditions Anep, Alger 2019.

Face à la pandémie, l'humanité au défi, Éditions Anep, Alger, 2021.

ليتحول الرجل إلى العمل الدبلوماسي كسفير للجزائر في القاهرة لمدة طويلة (1994-2002) بعد هذه التجربة الوزارية القصيرة التي أنهاها على وقع قضية إعلامية، تسبب فيها طباح السفارة الذي اتهمه بابتزازه ماليا، وقد تكون السبب في عدم عودته لاحتلال أي موقع رسمي بعد هذه التجربة الدبلوماسية، رغم الحضور الإعلامي الذي حاول أن يكون حاضرا فيه على المستوى الفكري والعلاقات مع الفاتيكان وهو يحظى باستقبال من البابا شخصيا.

عمر بوجلاب وزير صحة هوارى بومدين لمدة سبع سنوات كاملة (1970-77) الذي سبر تجربة الطب المجاني، منذ بداية السبعينيات، كان جده من الأب - هو الآخر - من أغنياء ولاية المدية، بالتيطري المحاذية لولاية الجلفة، وصلت ملكيته الواسعة إلى العاصمة مرورا بالمدية والبليدة لتأخذ عدة أشكال وتمس أكثر من نشاط.

حالة بوجلاب التي ستكون فرصة لنا لمناقشة عدة قضايا سوسيولوجية كالدور المهم الذي لعبه الجد من الأب الغني في التأثير على الحفيد وتوجهاته بما فيها تلك المتعلقة بالقضايا الخاصة كالزواج الذي أصر فيه الجد على أن يكون مع جزائرية وليس أجنبية، عندما توجه الحفيد إلى الدراسة في فرنسا¹⁰²، ليرتبط الحفيد في نهاية الأمر مع ابنة خالته، كما يحصل عادة عند هذه الأوساط الغنية التي تفضل الزواج الداخلي، خاصة عندما يكون الجدّان من نفس الأوساط الاجتماعية الغنية، كما هو حالة جدّي بوجلاب. تأثير الجد الذي ظهر مرة أخرى وهو يوصي الحفيد بعدم الاقتراب من السياسة، بعد تجربة الأب الذي أوصلته إلى السجن أثناء فترة الحركة الوطنية، كما أخبرنا الابن بذلك.

حالة بوجلاب التي تعطينا من جهة أخرى صورة واضحة عن دور العلاقات الشخصية في تفسير السلوك السياسي للرئيس بومدين ابن الفلاح الفقير الذي عيّن هذا الطبيب ابن العائلة الغنية لتطبيق سياسة الطب المجاني، في نفس الوقت الذي كان فيه يؤمم أراضي عائلته، كما فعل مع العائلات صاحبة الملكية الكبيرة... « بومدين لم يكن يريد أن تصل تجربة سياسة الطب المجاني إلى الحد الذي وصلته... عناصر يسارية داخل نقابة الأطباء هي التي فرضت هذا التوجه الجذري الذي لم يكن حاضرا في البداية عند بومدين... »

فقد تعرف عمر بوجلاب على بومدين والكثير من الوجوه التي حكمت الجزائر بعد الاستقلال عندما كان طبيبا-ضابطا على تراب الولاية الخامسة، بعد انتهائه من دراسته في فرنسا قبيل الاستقلال (1961) ... « كنت قريبا من ناس الولاية الخامسة لدرجة أنني اتخذت مواقف ضد ولايتي الرابعة التي أنتمي إليها جهويا عندما حصلت أزمة 1962 بين الولايات الداخلية وجيش الحدود ». ليقرر الضابط-الطبيب طلب تسريحه من الجيش

102. صرح لنا بوجلاب وهو يضحك أن الجد كان مقتنعا أن الزوجة الفرنسية ستأخذ أبناءها معها إلى فرنسا وتهرب بهم لتترك زوجها الجزائري وحيدا.

لإكمال دراسته المتخصصة في أمراض القلب والتوجه إلى العمل في عيادة خاصة فتحتها بوسط العاصمة لغاية صيف 1970. الابتعاد عن الجيش بعد الاستقلال كان شبه قاعدة لدى الكثير من المتعلمين وأبناء الأثرياء الذين فضلوا الحياة المدنية على البقاء داخل الجيش بعد استقلال البلاد الذي استهوى أبناء الفقراء والأوساط الشعبية.

... « ما زلت أتذكر أنني كنت في مكتب عيادتي في صيف 1970 عندما استقبلت اتصالاً من رئاسة الجمهورية، اعتقدت للوهلة الأولى أن مسؤولاً كبيراً مريض ويحتاج فحصاً في أمراض القلب¹⁰³ ... لكن عندما استقبلني بومدين توضح لي الأمر؛ فمن دون مقدمات طلب مني التوجه غدا نحو وزارة الصحة « ... لأنني عينتك وزيرا للصحة » قالها وهو بيتسم، هو الذي كان يعرف كيف يستعمل علاقاته الخاصة لتدعيم سلطته الشخصية خارج قنوات التجنيد السياسية الرسمية... كل الناس تشتغل مع إخوانها، لماذا لا أقوم بنفس الشيء؟ (وهو يستطرد في حديثه) إنه كوزير للدفاع وقائد الولاية الخامسة قبل ذلك... « حسب علمي لم أمض لك يوما قرار تسريحك من الجيش، وعلى أي حال لن تبقي في هذا المنصب لوقت طويل »... كان رده عندما قلت له أنني غير مهتم بالعمل السياسي وأنني وحيد والذي من الذكور وعندي مسؤوليات عائلية لا تسمح لي بالتفرغ لوظيفة وزير. بدل السنة أو السنتين التي كنت أظن أنني سأقضيها على رأس الوزارة، استمرت سبع سنوات كاملة، بكل التحولات التي عاشتها الجزائر وعاشها قطاع الصحة ».

غادر بوجلاب الحكومة في آخر تعديل كبير للرئيس بومدين...

« ... بومدين الذي طلب مني التوجه نحو البرلمان كنائب، كما كان الحال مع الكثير من الوزراء، لكنني اعتذرت له، فهو كان يعرف أنني غير موافق على سياسته التي اتجهت يسارا كثيرا خاصة في الميدان الزراعي مع التأميمات التي مست أملاك عائلتي... بومدين كانت عنده طريقة ذكية لكي يشير إلى موقفه النقدي من سياسته... كان يناديني بالرجعي في مزج بين الجدّ والمزاح... كنا ضد بن بلة لأنه توجه يسارا بالجزائر فإذا بنا قبلنا بومدين الذي كان أكثر يسارية » يقول الرجل وهو يتحدث بلهجته « القبلية » التي لم تغادره رغم مولده في العاصمة (في 1930).

لم يعد عمر بوجلاب إلى الظهور أو احتلال أي منصب عمومي بعد هذه التجربة التي قام بها لوقت طويل باسم الصداقة مع بومدين. الصداقة والعلاقات الشخصية التي كانت مثل الجهوية وسيلة ناجحة لاختراق المجال السياسي الذي يضعف أمام هذا النوع من العلاقات بين البشر، والتي كان بومدين يحسن استعمالها رغم الصورة الجادة التي يظهر بها كرجل سياسي منح الكثير من صفاته للنظام السياسي الذي كان على رأسه.

103. كان الطبيب عمر بوجلاب ضمن الفريق الطبي الذي تكفل بالرئيس بومدين عند مرضه في خريف 1978 قبل وفاته.

بوعلام بسايح المالقاش الفرنكو-إسلامي الذي عمّر طويلا

قد تكون عائلة بوعلام بسايح، وزير الإعلام والثقافة والمواصلات والخارجية ورئيس المجلس الدستوري في عهدَي الأحادية والتعددية، أحسن من يمثل هذه الفئة من الموالين الكبار ذوي الحضور الكبير في منطقة البيّض وكل الهضاب العليا الغربية شبه الصحراوية، بالإضافة إلى عائلة بن شريف ورحماني الجلفاوية. بوعلام بالسايح الذي تميز حضوره السياسي باستمراره مُلفتة للنظر بعد الاستقلال، اخترق خلالها حكم كل رؤساء الجزائر بعد الاستقلال بداية من بن بلة وإلى غاية بوتفليقة.

قبل الدخول في تفاصيل المحطات التاريخية التي تفسر هذا الحضور السياسي للرجل، يمكن أن نذكر المواصفات المتعلقة بالمسار التعليمي التي قد تفسر هذه الاستمرارية السياسية لابن الموال الكبير، الأمّي على غرار الجدّين حتى ولو كان الجد من الأم أقل ثراءً من الناحية المالية، رغم ما ميّز الأب الأمّي من قرب من التيار الديني الإصلاحي الذي عبّر عنه باستقبال الشيخ عبد الحميد بن باديس عند زيارته إلى البيّض قبيل الإعلان عن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الجمعية الإصلاحية التي لجأت إلى التواصل مع هذه الأوساط الميسورة لتلافي الصعوبات الكبيرة في التوسع في هذه المنطقة من التراب الوطني في بداية ظهورها، نتيجة للسيطرة التي فرضتها عليها الطرقية والزوايا التي كانت حاضرة بقوة في المنطقة الغربية من البلاد.

كان من حظ الابن بوعلام، السادس ضمن إخوته الأربعة عشر، إتمام كل تعليمه في مدينة البيّض قبل التوجه إلى تلمسان للدخول إلى مدرستها الثانوية التابعة للنظام المزدوج (Franco-musulman) التي سمحت له بالتمكن من اللغتين العربية والفرنسية، والذي سنعرف كيف كان نقطة قوة عند هذا الشاب عندما يتقرب من مؤسسات الثورة قبل الاستقلال والدولة الوطنية لاحقا، كما كان الحال عند زميله إسماعيل حمداني مزدوج اللغة وخريج نفس النظام التعليمي.

بعد ثانوية تلمسان التي زاول فيها تعليمه الثانوي إلى غاية الحصول على البكالوريا، توجه الشاب بوعلام بسايح نحو جامعة الجزائر التي أنهى دراسته الجامعية الأدبية فيها سنة 1950 للعودة إلى مسقط رأسه للعمل كمعلم في المرحلة المتوسطة...

« الأخ الأكبر مني توفي، الوالد هو الذي أصر علي لكي أتوجه للتعليم وأعوضه في وظيفة التعليم التي كان يقوم بها ».

بعد هذه التجربة المهنية التي دامت ست سنوات (1950-56) التحق المعلم بوعلام بسايح بالثورة على تراب الولاية الخامسة التي تغطي كل تراب الجهة الغربية (1957)، لنكون بذلك أمام محطة مهمة في مسار الشاب بسايح تفسر بكل تأكيد سر ديمومته

السياسية بعد الاستقلال ؛ فقد انضمّ ابن البيّض إلى وزارة التسليح والاتصالات العامة التي قادها طول فترة الثورة العقيد بوصوف عبد الحفيظ الذي تعرف عليه في 1958، ليتوجه معه لاحقا نحو القاهرة ثم المغرب أين أشرف على مدرسة الناطور لتكوين الإطارات في مجال المخابرات (1960)، وبعدها نحو الحدود التونسية كمشرف وطني عام داخل هذا القطاع الحساس، برتبة رائد.

منصب مهم آخر وصل إليه سي لمين (الاسم الحربي للرجل) خلال هذه المرحلة الحساسة من تاريخ الثورة : الأمانة العامة للمجلس الوطني للثورة الجزائرية (1959-62) ليكون أول منصب للرجل بعد الاستقلال داخل مكتب الرئيس بن بلة الذي طلب منه التوجه نحو المجلس التشريعي كمكلف بالترجمة مع منصب والي... منصب غادره بسرعة وانتقل إلى بروكسل كسفير للجزائر لمدة طويلة (1963-70) على غرار ما كان شائعا لدى قدماء « المالحق » (وزارة التسليح والاستعلامات) الذين احتلوا مواقع دبلوماسية مهمة في أكبر العواصم العالمية.

بعد بروكسل توجه بسايح إلى القاهرة أين اشتغل في نفس المنصب لمدة قصيرة خلال سنة 1970، ليعود بعد وفاة الزعيم المصري جمال عبد الناصر إلى وزارة الخارجية كأمين عام (1971-74) مع صديقه الوزير عبد العزيز بوتفليقة الذي ساءت العلاقات معه لاحقا، مما جعله يستغل فترة الابتعاد عن المناصب في التسجيل للحصول على الدكتوراه وتأليف كتاب حول الشاعر محمد بلخير ابن جهته، قبل الانتقال إلى الكويت كسفير (1978-80). لتتطلق مرحلة المناصب الوزارية بعد وصول الرئيس الشاذلي بن جديد كوزير للإعلام والثقافة (1980-84) والبريد والمواصلات (1984-86) والثقافة والسياحة (1986-88) وصولا إلى وزارة الخارجية (1988-89) مع حكومة قاصدي مرباح، زميله السابق في المخابرات.

ابتعاد مؤقت عن الواجهة السياسية الرسمية في بداية التسعينيات، عاشه الرجل بعد هذه التجارب السياسية خلال هذه الفترة المضطربة من تاريخ الجزائر، ليعود من جديد عبر الغرفة الثانية (1996) ضمن قائمة الثلث الرئاسي الذي عيّنه فيه الرئيس زروال، وتأكدت عودته أكثر بعد تعيين الرئيس بوتفليقة الذي كان على رأس مسانديه طول فترة حكمه بدءا من مرحلة تعيينه سفيرا للجزائر بالعاصمة المغربية الرباط (2001) ليُنصَّب كمتحدث رسمي لمؤتمر جبهة التحرير الثامن الرافضين لترشح الأمين العام للحزب علي بن فليس لمنافسة بوتفليقة في رئاسيات 2004 والذي نُظم في مدينة الجلفة، قبل التوجه نحو رئاسة المجلس الدستوري (2006) حيث حظي بأهمية أكيدة كمركز قانوني وسياسي إثر التعديل الدستوري الذي سمح لبوتفليقة بفتح العهود الرئاسية (2008) واستقبال الترشيحات الرسمية للانتخابات الرئاسية والمصادقة عليها.

في نفس منطقة الجنوب الغربي ونحن نتجه جنوبا سنجد عائلة معمّر بن قربة وزير العمل في حكومة عبد السلام بلعيد (لمدة سبعة أشهر فقط بين جويلية 92 وفيفري 93) الذي يمثل أحسن تمثيل هذا الوسط الموالي في منطقة الجنوب الغربي بولاية بشار أين كان الجدّان الموالان الغنيّان يتاجران بالإبل، قبل الدخول لاحقا على مستوى جيل الأب إلى مدينة بشار...

« الوالد وحيد أبيه لم يعرف كيف يحافظ على ثروة العائلة... كان « زهوانيا » مُحبّا للحياة... فضّل الدخول إلى بشار والعمل كتاجر بعد قطع صلاته بتربية الإبل... رغم أنني قد وُلدت أنا الطفل الثاني للعائلة في خيمة ببادية بشار في 1943 للوالد الذي أنجب عشرة أبناء وبنات ».

أتمّ الطفل معمّر بن قربة كل تعليمه الابتدائي وجزءا من الجامعي في الجزائر، وتخرج من معهد الاقتصاد بجامعة الجزائر قبل التوجه لفرنسا والحصول على شهادة الدكتوراه (الدرجة الثالثة) في الاقتصاد من جامعة باريس الخامسة، للانطلاق بعد ذلك في حياة مهنية ارتبطت بالقطاع الصناعي في مؤسسات القطاع وهيكل الوزارة المركزية، إلى أن بدأ العمل التشريعي كبرلماني (1982) ضمن قوائم جبهة التحرير ممثلا لولاية البيّض وليس بشار التي ترشح فيها الأخ الأكبر المتقاعد كضابط في جيش التحرير، ليفشل الرجل في الترشح مرة ثانية في 1987 كممثل هذه المرة لولايته الأصلية بشار، بعد الرفض الذي لاقاه من بيروقراطية جبهة التحرير التي لم ترحب بهذه العناصر التكنوقراطية التي اهتمت بالعمل البرلماني في وقت بدأت علامات الانفتاح على جبهة التحرير تظهر على الفئات الوسطى مع بداية استفحال أزمة تمثيلها وأدوارها السياسية كما تبيّن بعد سنة من ذلك خلال أحداث أكتوبر 1988.

تجربة برلمانية قام بها هذا التكنوقراطي بعد الإبعاد الذي تعرض له من القطاع الصناعي هو المحسوب على التجربة البومدينية التي كان يمثلها على رأس القطاع الصناعي عبد السلام بلعيد والذي طلب منه الالتحاق بحكومته كوزير للعمل والشؤون الاجتماعية لمدة سبعة أشهر فقط (جويلية 1992-فيفري 93) إلى غاية استقالته بعد سوء التفاهم مع رئيسه ومع جهات سياسية أخرى على خلفية تسيير ملف النقابة الإسلامية للعمل التابعة للجبهة الإسلامية للإنقاذ والتي تضاربت الآراء بصدها : هل يتم حل النقابة كما تم حل الحزب أم تُعلق فقط لمدة قابلة للتجديد، كما حصل في الأخير خلال هذا الظرف السياسي المتوتر الذي زاد فيه منسوب التصادم مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

رغم التقييم السلبي الذي قام به بن قربة لتجربته الحكومية مع عبد السلام، إلا أنه عاد للعمل الرسمي، وهذه المرة مع أحمد بن بيتور كمدير مكتب له بعد تعيين هذا الصحراوي مثله على رأس الحكومة في 1999 في بداية حكم بوتفليقة الذي عرف من خلال تجربته السابقة معه في السبعينات، عندما كان الرجل ضمن الوفد الجزائري للمفاوضات حول قضايا

البترو... العمل لم يكن سهلا معه. وهو ما حصل فعلا فقد أقيمت حكومة بن بيتور بعد تجربة قصيرة ليعود الرجل إلى عمله كخبير دولي في الميدان الاقتصادي، الذي يلجأ إليه كلما ضاق به الأمر مع العمل السياسي.

مصطفى لشرف : المثقف الذي وجد نفسه تحت الأضواء

من الشخصيات المعروفة من أبناء هذه الفئات الاجتماعية الميسورة يمكن ذكر مصطفى لشرف وزير التربية خلال الفترة الأخيرة من حكم الرئيس بومدين (1977-79)، تعود أصوله إلى الهضاب العليا الوسطى، وبالتحديد قرية بوزيان بالقرب من سيدي عيسى في منطقة الحضنة التي وُلد بها سنة 1917. كان جدّه - صاحب التعليم البسيط بالعربية - موالا كبيرا، رغم ملكيته الزراعية المحدودة من الأراضي، لكنه عُرف باليسر والغنى عن طريق المتاجرة بالمواشي، بما فيها الإبل التي كانت تشتهر بها المنطقة. أما أب لشرف فقد احترف القضاء (باش عادل)، كما كانت تصنف هذه المهنة المكلفة بشؤون الأهالي الخاصة) وهذا بعد دراسة باللغتين في الجزائر العاصمة، ومثله فعل الابن مصطفى الذي أتمّ دراسته في نفس المدرسة الثعالبية المزدوجة بالعاصمة، قبل التوجه نحو جامعة السوربون التي تخرّج منها بشهادة ليسانس في الآداب. تعليم مزدوج (ثقافيا ولغويا) استفاد منه الشاب لشرف وبقي معجبا به وهو يحاول الدفاع عنه وتطبيقه، دون نجاح، عندما وصل على رأس وزارة التربية (1977-79).

انخرط مصطفى لشرف في حزب الشعب خلال مرحلة الدراسة بباريس - كما كان الحال مع الأخ الأكبر محمد لشرف، الطبيب - وعُرف (مصطفى) بين قياداته كمثقف تخصص في كتابة مقالات سياسية وفكرية منذ مرحلة دراسته في باريس، ليصل إلى رئاسة تحرير *L'étoile algérienne* مروراً بجريدة *Le parlement algérien* و *L'action algérienne* قبل التوجه إلى نوع من الاحتراف السياسي في اللجنة الفيدرالية لحزب الشعب وحركة الانتصار لاحقا والتي قام بتسيير أمانة نوابها في البرلمان الفرنسي (1946-47) مما جعله يتعرف مباشرة على مصالي والكثير من وجوه الحركة الوطنية، رغم عدم موافقته على تجربة الدخول في الانتخابات خلال هذه المرحلة وموقفه النقدي من سلوكيات بعض النواب.

لم يتخذ لشرف موقفا علنياً من أزمة الحركة الوطنية بين 1950 و1954 إلى غاية اندلاع ثورة التحرير التي جعلته يعود إلى عمله السياسي والفكري إلى أن أُلقي عليه القبض سنة 1956 مع زعماء الثورة في الطائفة المغربية المتوجهة بهم إلى تونس (آيت أحمد ومحمد خيضر وبن بلة وبوضياف)؛ قرصنة جعلت هذا المثقف العضوي معروفا وعلى صفحات الجرائد الدولية، هو الذي تعوّد على الابتعاد عن الأضواء واحتلال المواقع الأمامية التي تركها للسياسيين. هذه الحادثة سمحت لمصطفى لشرف بالتعرف مباشرة على هذه

القيادات - التحق بهم رابع بيطاط لاحقا - والتقرب منها أثناء سجنهم الذي استمر إلى غاية استقلال البلاد. تقرب لشرف أثناء هذه الفترة من بوضياف لأسباب سياسية زيادة على القرب الجهوي (الاثنان من أبناء الحضنة)، عامل جهوي يكون قد ساعد على هذا القرب السياسي الذي تعمق أثناء فترة السجن بفرنسا، وهو ما جعله يقبل الانضمام للمجلس الوطني الاستشاري في 1992 الذي قام ببعض أدوار البرلمان بعد إلغاء نتائج الانتخابات التشريعية التي فازت بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، كآخر نشاط سياسي للرجل الذي اتجه أكثر لإصدار كتب فكرية وتاريخية ارتبطت في بعض مناحيها بالسيرة الذاتية¹⁰⁴. قبل ذلك كان الرجل قد التحق برئاسة الجمهورية كمستشار للرئيس بومدين في المجال الثقافي (1970-74) الذي يملك تقييما إيجابيا منه بعد الاحتكاك المباشر معه... « بومدين تطور مع الوقت وأصبح أكثر اطلاعا لدرجة ازعاج محيطه السياسي المباشر الذي بدأ يخاف من هذا التطور الفكري ».

تقييم إيجابي لن نجده حاضرا عندما يتعلق الأمر بالرؤساء الآخرين الذين عرفتهم الجزائر واشتغل معهم كالشاذلي بن جديد وأحمد بن بلة قبله الذي طلب من لشرف العمل معه بعد وصوله إلى رئاسة الجمهورية مباشرة بعد الاستقلال.

« اعتذرت عن العمل معه مما حولني إلى معارض محتمل لنظامه من وجهة نظره، في وقت انطلق فيه في سجن معارضيهِ وتعذيبهم... وضعية جعلتني أقرر التوجه إلى فرنسا للاهتمام بنشر كتابي « الجزائر أمة ومجتمع »... بن بلة عرفته عن قرب وأنا سجين معه في فرنسا... وأعرف مستواه الفكري الضعيف جيدا ».

توجه مصطفى لشرف نحو العمل الدبلوماسي الذي عُرف به في دول أمريكا اللاتينية، كالأرجنتين التي اقترن فيها بزوجته من أصول عربية وهو في الخمسين من العمر وأنجب منها ثلاث بنات.

مواقع دبلوماسية لم تمنعه من المساهمة مع وجوه سياسية أخرى في تحرير ميثاق الجزائر المستقلة بدءا من ميثاق طرابلس مباشرة بعد خروجه من السجن مع مجموعة من المثقفين كأحمد طالب الإبراهيمي ورضا مالك الذي كان قريبا منه فكريا عكس طالب الذي يصف دوره داخل مؤسسات النظام الجزائري - هو وجمعية العلماء التي يمثلها - أنه كان مضرًا جدًا (Très nuisible).

كان وصول مصطفى لشرف إلى وزارة التربية في 1977 مفاجأة ضمن هذه الحكومة الأخيرة للرئيس بومدين التي حملت الكثير من المفاجآت بدءا من طريق الإعلان عنها

104. أصدر مصطفى لشرف خلال هذه الفترة عدة مؤلفات زيادة على كتابه المشهور الجزائر أمة ومجتمع الصادر في 1964، منها :

Mostefa Lachref, *Des Noms et des Lieux, mémoires d'une Algérie oubliée, souvenirs d'enfance et de jeunesse*, Casbah Éditions, Alger, 2005.

الذي تم على فترات متقطعة عكس ما كان يحصل في العادة، زيادة بالطبع على تشكيلتها البشرية التي عكست نهاية حقبة سياسية.

حقبة انتهت بالنسبة لوزير التربية مصطفى لشرف بالإبعاد من الحكومة الجديدة التي كونها الرئيس بن جديد بعد وفاة بومدين الذي دافع إلى حد كبير عن وزيره، دون أن يستطيع لجم الحملة السياسية الإعلامية التي قادتها ضده قيادات من جبهة التحرير (محمد صالح يحيايوي ومحمد الشريف مساعدي) عبر جريدة الشعب وهي تنشر مقالات ضد سياسة الوزير، بقلم أستاذ الفلسفة د. عبد الله شريط، الذي ينتمي إلى نفس التيار العربي الذي يتخذ لشرف موقفا نقديا تجاهه وهو يصفه بالبعثي.

بومدين الذي قال لوزيره عندما جاء يشتكي من الحملة الموجهة ضده بعد أن أبعد حوالي خمسة وعشرين إطارا من وزارة التربية... وصلت إلى حد تنظيم شبه مظاهرة ضده في زيارة له كوزير إلى مدينة قالمة بمناسبة الاحتفال بأحداث 8 ماي 1945 :

« سي مصطفى ما قمت به في الوزارة من إبعاد لهذه الإطارات أنا رئيس الجمهورية لا أستطيع فعله. تحمل مسؤولية أفعالك ودافع عن قراراتك... »

موقف الرئيس بومدين الذي يعكس حدة الصراعات الأيديولوجية بين النخب السياسية والفكرية التي لا تتوانى عن استعمال كل الوسائل للدفاع عن قناعاتها، لدرجة ووقوف الرئيس عاجزا أمامها حتى وهو يستغلها لدعم نظام حكمه الشخصي.

عاد مصطفى لشرف إلى عمله الدبلوماسي في أمريكا اللاتينية واليونيسكو لفترة قصيرة قبل التوجه إلى التقاعد في سنة 1986، ليختفي هذا الرجل الخجول وصاحب الشخصية الحادة عن الساحة العمومية التي فضّل المواقع الخلفية فيها على الدوام، رغم الأقدار التي دفعت به إلى الواجهة.

عندما تتدهور الحالة الاقتصادية للعائلة. بشير بومعزة وآخرون

في أقصى الشرق الجزائري، ومن العائلات التي زاوجت - على مستوى جيل الجد من الأب والأب لاحقا - بين الفلاحة وتربية المواشي بمنطقة تبسة بأقصى شرق الجزائر على الحدود التونسية، نجد جد محمود فنز وزير المجاهدين خلال فترة حكم الرئيس هواري بومدين، الذي كان جده من الأم (من بوشبكة) أكثر يسرا من جده من الأب. رغم الأمية التي سادت لدى هذا الوسط الفلاحي المزواج الذي عُرف بضعف استفادته من التعليم لغاية الابن محمود الذي لم يتسنَّ له تجاوز المرحلة الابتدائية من التعليم التي أتمها بمسقط رأسه. وحفاظاً على الوضع الميسور للعائلة، استمر الأب في القيام بنفس النشاطات الاقتصادية المعتمدة على الزراعة والرعي. عائلة ابتعد عنها الشاب محمود في سن مبكرة للانخراط في الكشفة الإسلامية، ما سمح له بزيارة مناطق عديدة من التراب

الوطني بالقرب من الحدود الشرقية لغاية التراب التونسي الذي كانت تملك داخله العائلة امتدادات عرفت لاحقا كيف توظفها في جمع السلاح لصالح الثورة.

« كنت أعود لمنزل العائلة مثل الضيف، فقد كبرت خارج سلطة العائلة والأب ».

التحق الشاب محمود بتراب الولاية الأولى في السنة الثانية للثورة وعمره لا يتجاوز 21 سنة قبل التوجه سنة 1958 إلى الحدود التونسية للعمل في مجال التسليح والتموين برتبة رائد داخل جيش التحرير.

« بعد اندلاع الاضطرابات التي عاشتها الوحدات المرابطة على الحدود التونسية بمناسبة قضية العمومي، عدت إلى هذه المنطقة - بطلب من كريم بلقاسم وزير الدفاع » برتبة نقيب هذه المرة بعد التخفيض في رتبته العسكرية التي فشل في تفسيرها، قبل التوجه إلى أقصى الجنوب إلى غاية الاستقلال برتبة رائد وترك جيش التحرير. للتوجه نحو العمل السياسي كنائب في المجلس التأسيسي - عضو في لجنة الدفاع والداخلية - 1963.

تجربة سياسية متنت علاقات الرجل مع الرئيس بن بلة وصديقه رئيس المجلس الحاج بن علة اللذان عيّناه على رأس قيادة الميليشية العسكرية التي أسسها نظام بن بلة في 1964 والتي مازال يصّر أنه كان بعيدا عن الممارسات التي قامت بها، في حالة واضحة للاعتقالات والتعذيب الذي مارسه ضد المعارضين في 1964.

« في الواقع لم أكن نزيهاً مع بن بلة، وعن قصد، لأنني كنت مرتبطاً مع جماعة بومدين والطاهر زبيري... بن بلة لا يملك الحد الأدنى من المسؤولية... كان تحت تأثير التروتسكيين من أمثال Raptis و Hervé Bourges ».

رغم القرب من المجموعة التي قادت الانقلاب على بن بلة في 1965 إلا أنهم فضلوا إبعاده عن الجزائر للإشراف على ودادية الجزائريين في أوروبا بمدينة باريس لغاية 1967 ليعود إلى الحزب كنائب لمسؤول الحزب قايد أحمد بشكل مؤقت دون تعيين رسمي في المنصب، مما يؤكد سوء العلاقة مع بومدين وعدم الثقة في الرجل، جعلته يقطع اجتماعات الحزب لغاية انتباه بومدين لذلك في 1970 تاريخ الاتصال به من طرفه ليقترح عليه منصب وزير المجاهدين.

موقع الوزارة الذي غادره قفز على وقع خلاف مع بومدين الذي... «...وصلته شائعات عن بنائي لمسبح في فيلتي كلفني 200 مليون في تلك الفترة... استقبلني بومدين وهو في حالة غضب واضحة... كلمني بحدة وهو يقول لي : "ماذا سيقول الناس عنا يا سي محمود؟"... » ليتأكد سوء التفاهم مع بومدين حين رفض الرجل ملء استمارة طلبتها الرئاسة من الإطارات العليا... « قلت لبومدين أطلب هذه المعلومات من الناس الذين لا تعرفهم، أما أنا فتعرفني ». ليمت توجيه الرجل نحو المجلس الشعبي الوطني في موقع نائب لرئيس المجلس بعد المصادقة على الدستور الجديد والميثاق الوطني الذي استغله

بومدين للتخلص من الكثير من الوجوه المغضوب عليها في إطار تدوير معروف للنخب السياسية المركزية. تجربة لم تستمر كثيرا بعد شعور الرجل بالكثير من التهميش جعله يغادر الجزائر بحجة الدراسة في لندن (44 سنة من العمر)، لتتوقف هذه الرحلة بعد وفاة بومدين إذ عاد سريعا إلى الجزائر ليعيش حالة تهميش أكبر نتيجة توقيف عضويته باللجنة المركزية للحزب...

« لم أكن متفقا مع الرئيس الجديد الشاذلي بن جديد وسياسته الجديدة... » لينتهي به المطاف في وضع نفسي واجتماعي سيء ميزته العزلة، أكدته لنا حالة منزله المهترئة الذي استقبلنا فيه لإجراء المقابلة معه وهو في وضع صحي ونفسي صعب... بعد تواتر شائعات عن سوء تسييره لوزارة المجاهدين ووفاته زوجته الأولى التي أعاد الزواج بعدها مرتين كما ساد في هذا الوسط الاجتماعي.

عائلات أخرى، رغم يسرها ووضعيها الاقتصادية المتميزة، عرفت وضعية الجَدّ فيها تدهورا في المكانة الاقتصادية من جراء الأحداث التي ميزت بعض المناطق كالثورات الشعبية التي قامت بها الكثير من القوى الريفية خلال هذه الفترة (1871) كما كان الحل مع جد بومعزة بشير عضو مجلس الثورة ووزير الإعلام والاقتصاد خلال الستينيات ورئيس مجلس الأمة في بداية حكم الرئيس زروال، الذي تضررت عائلته من جراء مشاركتها في ثورة المقراني التي انطلقت من منطقة القبائل الصغرى، موطن عائلة بومعزة، لتمس نتائج هذه الانتفاضات الشعبية الكثير من المناطق المجاورة، بل وحتى جد عبد الله عرباوي من عرش سيدي عطا لله بتيارت بالهضاب العليا الذي تدهورت وضعية عائلته بسرعة أكثر، كما سرى ذلك عند التطرق بالتفصيل لمهن الجيل الثاني، جيل الآباء.

هذه الفئة الغنية والميسورة التي ساهمت أكثر من غيرها في إنتاج النخبة الوزارية لجزائر ما بعد الاستقلال والتي قمنا بتصنيفها على أساس ملكيتها، تضم في نفس الوقت فئة أصحاب الملكيات الوسطى الذين يصعب دمجهم ضمن الفئات المالكة الصغيرة التي أكدت أكثر من دراسة الاتجاهات المرتبطة بها والمتوجهة نحو تكديح أكثر، جراء عدم قدرة ملكيتها الصغيرة على تلبية حاجاتها الاقتصادية، خاصة مع التطورات الديموغرافية التي عرفها المجتمع الجزائري وما تولد عنها من تفتيت للملكية.

في نفس الوقت الذي قد لا تكون فيه هذه الفئة صاحبة الملكيات المتوسطة قريبة من الفئات المالكة الغنية المتميزة بملكيتها الكبرى التي تبقى كفئة صغيرة العدد وذات وضع خاص في المجتمع الجزائري، كما بينت ذلك الدراسات المذكورة في البحث، رغم هذا التعسف المتولد عن التصنيف الذي تبرره خصوصيات ما تعرض له المجتمع الجزائري من عمليات نزاع ملكية وتكديح مست الكثير من الفئات، مما قد يعني مكانة خاصة لظاهرة الملكية مهما كان حجمها. ملاحظة أخرى لا بد من الحديث عنها هنا وتتعلق بتلك النزعة التي لاحظناها

عند الكثير من المبحوثين عند الحديث على ملكية العائلة ومحاولة تحديدها، فالوسطية هي المكانة المفضلة بالنسبة للكثير من الحالات، عند الحديث عن حجم الملكية. تحديد ملكية العائلة التي تزيد من صعوباتها اختلاف نوعية الأراضي وقيمتها من منطقة جغرافية لأخرى، فالعائلة المالكة في الهضاب العليا بأراضيها الشاسعة ومردوديتها الضعيفة، لا تملك نفس العلاقة مع المساحة والتقييم الكمي مثل العائلات المالكة في المناطق الجبلية أو الساحل، المعروفة بكتافتها السكانية ومحدودية أراضيها ونوعية تربتها الجيدة، مما يصعب موضوعيا عملية التصنيف التي سنعود إليها بالتفصيل عند الحديث على عملية التقييم التي يقوم بها الأبناء الوزراء للوضع الاقتصادي، الاجتماعي للعائلة.

حالة الأخوين شيبان : مسارات تعليمية مختلفة ومصير واحد

من أبناء هذه الفئة صاحبة الملكية المتوسطة في منطقة القبائل الصغرى بولاية البويرة الفلاحية، نجد عائلة شيبان على تراب بلدية الشارف بالقرب من مشدالله التي أنتجت وزيرين للشؤون الدينية في فترتين تاريخيتين قريبتين، رغم اختلاف المسار المهني لهذين الأخوين : عبد الرحمن مفتش التعليم (من مواليد 1918، والسعيد أستاذ طب العيون من مواليد 1925)، عائلة تميزت بحضورها الديني والفكري منذ جيل الجد، علي شيبان الإمام المعروف في كل منطقة القبائل الصغرى، ثم جيل الأب الذي كان يحسن الفرنسية والعربية في هذه المنطقة التي عُرفت بإنتاج كبير للنخبة الدينية التقليدية التي كانت وراء انتشار التعليم الديني التقليدي المعروف بالزوايا المنتشرة في هذه المنطقة من منطقة القبائل، كالزاوية السحنونية التي تَعَلَّم الابن عبد الرحمن بمعهد الإسلام في صغره. نُخب كانت حاضرة على الدوام على رأس وزارة الشؤون الدينية منذ فترة وصول مولود قاسم ابن بجاية إلى منصب الوزارة، في هذا القطاع الحساس الذي سيطر فيه أبناء المنطقة حتى عندما يتعلق الأمر بالبيروقراطية الدينية الصغيرة والمتوسطة التي سيرت الشأن الديني الرسمي لجزائر ما بعد الاستقلال.

كان التعليم أكثر دينية وتقليدية بالنسبة للابن عبد الرحمن، على غرار الأجيال القديمة من أبناء عائلة شيبان التي كان فيها الجد من الأم كذلك مالكا عقاريا متوسطا من بني منصور القريبة، مثل الجد من الأب. بعد الانتهاء من مرحلة التعليم التقليدي الذي كان مضمونا داخل الجزائر، توجه الابن عبد الرحمن إلى تونس للانضمام إلى الزيتونة، وهناك نال شهادة التحصيل وليس العالمية كما كان ينوي في 1947، ليعود ابن الشرفة إلى الجزائر بطلب من جمعية العلماء للتدريس كمعلم بقسنطينة في مدارس الجمعية التي زاد عددها في هذه الفترة. قسنطينة التي تزوج فيها المعلم عبد الرحمن للمرة الثانية بعد وفاة الزوجة الأولى، مما جعل الأبناء يفقدون التواصل بالأمازيغية داخل هذه العائلة المرابطة.

المسار التعليمي للابن سعيد شيان كان أكثر استقراراً، رغم أهوال الحرب العالمية الثانية التي فرضت عليه التوقف عن الدراسة الثانوية بعدما انطلق فيها بثانوية بن عكنون بالعاصمة... ثم توجه إلى جامعة ستراسبورغ الفرنسية وفيها أنهى دراسته في طب العيون. « بعد رفض تسجيلي في جامعة الجزائر في القسم التحضيري، بسبب ميولي الوطنية كما فهمت، أحمد الله أنني قُبلت في هذه المدينة الهادئة بدل باريس أو أي مدينة فرنسية أخرى كانت تعرف فيها الحركة الطلابية الصراعات السياسية والثقافية التي عشت جزءاً منها في ثانوية بن عكنون التي كانت تعرف حضوراً قوياً لما سُمّي لاحقاً بالتيار البربري... زيادة على الصراع بين المصاليين وجبهة التحرير خلال فترة حرب التحرير... »

يستمر المسار المهني والعلمي للأخ سعيد شيان على نفس المنوال من الهدوء، حتى وهو يتوجه نحو تونس للالتحاق بجيش التحرير، سنة واحدة قبل الاستقلال، كطبيب مع الفريق الصحي الذي كان يقوده في تلك الفترة الدكتور نقاش على الحدود؛ في حين كان التحاق الأخ عبد الرحمن بمؤسسات الثورة في تونس أقدم (1956) إثر انضمام جمعية العلماء إلى ثورة التحرير، للعمل مع هيئة تحرير جريدة « المقاومة » والالتحاق بفيدرالية تونس لجبهة التحرير في نفس الوقت قبل التوجه إلى طرابلس الليبية لاحتلال موقع نائب رئيس بعثة جبهة التحرير في هذه المدينة التي تحولت في السنوات الأخيرة من ثورة التحرير إلى نقطة ارتكاز مهمة لدى جيش وجبهة التحرير. ليصل عبد الرحمن شيان إلى المجلس التأسيسي في سنوات الاستقلال الأولى ممثلاً لولاية سطيف (1962-64) خلال هذه الفترة المضطربة من تاريخ الجزائر السياسي الذي زاد فيه منسوب الصراع بين قيادة جمعية العلماء ممثلة في رئيسها الشيخ الإبراهيمي والرئيس بن بلة.

« ... أهم عمل أنجزته خلال هذه الفترة كان قرار دمج المعلمين الأحرار- كانت أغلبيتهم من أبناء جمعية العلماء ونظام التعليم التقليدي - ضمن صفوف وزارة التربية الذي ساعدني فيه وزير التربية في تلك الفترة شريف بلقاسم... »

بعد هذه المرحلة السياسية عاد عبد الرحمن شيان إلى التعليم كمفتش عام للغة العربية بوزارة التربية لغاية تعيينه وزيرا للشؤون الدينية في بداية فترة حكم الرئيس الشاذلي بن جديد (1980-86)...

« الهادي لخضيري، المدير العام للأمن الوطني، هو الذي اتصل بي على تلفون المنزل... ليخبرني... أن الجماعة في الرئاسة في انتظارك لأمر مهم... تعجبت من هذا الاتصال وقلت لمحدثي أكيد فيه خطأ... ليس لي موعد بالرئاسة... اتصل بي الرجل مرة ثانية ليخبرني أنني أنا المعني وأعطاني رقم تلفونه لتأكيد الأمر... »

استمر عبد الرحمن شيان على رأس هذه الوزارة لمدة ست سنوات كاملة...

« أظن أنهم كانوا يريدون دورا معنا للوزارة، بعد تجربة مولود قاسم الخاصة جدا لكنهم اكتشفوا أنني لا أصلح لهم فأتوا بإسلام العمائم والزوي، إسلام "راقدا" مثله بوعلام باقي الذي عاد بعدي مرة ثانية على رأس الوزارة، بدل الإسلام الواقف الذي كنت أنادي به... فجاءتهم هذه البلوة (يقصد الإرهاب الذي كان وراءه التيار الإسلامي المتطرف) بعد أن قضوا على التعليم الأصلي وحاربوا جمعية العلماء، نتيجة هذه السياسة العرجاء التي اتبعوها منذ الاستقلال... ».

الرجل رغم هذا الموقف النقدي من الرؤية الرسمية لدور الوزارة لا يزال مؤمنا أنه كان وزيراً كامل الصلاحيات داخل قطاعه...

« ... كما بينت ذلك بإعادة الحياة إلى مجلة العصر والتجديد الذي قمت به في مواضيع مؤتمرات الفكر الإسلامي، وخاصة الدور الذي قمت به في دعوة الشيخ الغزالي للمجيء إلى الجزائر... لما للقرب الكبير بين حركة الإخوان المسلمين وجمعية العلماء التي كانت تجربة رائدة في الجزائر والعالم العربي... ».

بعد أقل من ثلاث سنوات فقط من مغادرة عبد الرحمن شيبان وزارة الشؤون الدينية، التحق بها الأخ الأصغر طبيب العيون سعيد ضمن حكومة مولود حمروش الذي كان قد تعرف عليه بمناسبة توزيع جائزة الرئيس الشاذلي للعلوم الطبية...

« مولود حمروش هو الذي اتصل بي مباشرة في تلفون مكتبي بالمستشفى... طلب مني التوجه إلى مكتبه أين اقترح علي المنصب الذي قبلته ... منصب بقيت فيه طول فترة حكومة حمروش (1989-91) دون أن أترشح للانتخابات التشريعية التي ترشح لها كثير من الوزراء... كنت ومازالت مؤمنا أن وزارة الشؤون الدينية لا بد أن تبتعد عن العمل السياسي... هي وزارة للإجماع الوطني... ».

في حين استمر الأخ الطبيب نشاطه الإعلامي في التلفزيون العمومي من خلال الحصص الدينية باللغة الفرنسية التي كان ينشطها بانتظام، وصل الشيخ عبد الرحمن إلى قيادة جمعية العلماء بعد ابتعاده عن منصبه الرسمي في الحكومة (1999-2011).

طبيب آخر على رأس وزارة الشؤون الدينية في ظرف صعب

طبيب آخر احتل وزارة الشؤون الدينية، وهذه المرة مختص في أمراض الجلد، من أبناء العاصمة التي تميزت كمدينة بحضورها الضعيف على مستوى النخبة الوزارية، خاصة عندما يتعلق الأمر بهذا القطاع الذي سيطر عليه أبناء مناطق ريفية على غرار منطقة القبائل. يتعلق الأمر بمحمد بن رضوان الذي كان - لوقت قصير - على رأس هذه الوزارة (19 جوان 1991 - فيفري 1992) ضمن حكومة سيد أحمد غزالي الأولى. وهو ينتمي إلى نفس الأوساط الاجتماعية الوسطى الحاضرة بين العاصمة ومنطقة متيجة الفلاحية

(منطقة بوينان) التي هاجر إليها الجد من الأب العاصمي، وعُرف فيها الأب كمُسير لمزارع فلاحية في هذه المنطقة التي شهدت بواذر ظهور العمل الزراعي المأجور المبكر في الجزائر، وهي المهنة التي حافظ عليها الوالد، في حين كان الجد من الأم من وسط أكثر تواضعا (حلاق). أوساط لم تُعرف إلا بمستويات تعليمية بسيطة رغم نشأتها في العاصمة التي حافظت فيها على أملاك عقارية عديدة بمنطقة بوزريعة.

في هذه المنطقة بالذات من العاصمة كان اللقاء الذي أوصل الابن محمد الطبيب المتخصص في أمراض الجلد بمستشفى ابن مسوس إلى منصب الوزارة...

« الكثير من الأطباء وحتى عمال المستشفى بعد أن تيقنوا من تحكيمي في القضايا الدينية والفقهية، طلبوا مني أن أُمهم في مسجد المستشفى الذي لم يكن يتوفر على إمام. وهو ما قمت به في أكثر من مسجد بأعالي العاصمة كمسجد « لا كولون » (La Colonne) بالقرب من حي حيدرة الراقي... الكثير من الإطارات كان يصلي في هذا المسجد بما فيهم القريين من رئيس الحكومة سيد أحمد غزالي الذي اتصل بي لكي يقترح علي تولي وزارة الشؤون الدينية في هذه الفترة الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر... قبلت المنصب بعد أن أخبرني رئيس الحكومة أنني إذا رفضت المنصب سيعين أستاذًا جامعياً معروفاً بعداوتة للتيارات الإسلامية... لم أكن مناضلاً في الحركة الإسلامية ولا متحزباً، لكنني قبلت المنصب في هذا اللقاء الأول مع رئيس الحكومة سيد أحمد غزالي الذي كان يستقبل خلال هذه الفترة الوزراء ليقترح عليهم التعيين في حكومته... »

لم يدم المقام بالطبيب بن رضوان طويلا على رأس هذه الوزارة التي غادرها في أول تعديل وزاري بعد تنصيب المجلس الأعلى للدولة إثر استقالة الرئيس بن جديد وإلغاء الدور الأول من الانتخابات التشريعية التي فازت بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ (فيفري 1992).

« لم أكن منتمياً لأي حزب سياسي بما فيها الأحزاب الدينية، رغم أنني كنت أعتبر نفسي مناضلاً في الحركة الإسلامية بمفهومها الواسع والتي كنت أعرف أغلبية قياداتها من كل التيارات... »

وزارة تحولت إلى فضاء للاستقطاب السياسي بين الكثير من التيارات والوجوه القريبة من التيار الدينية التي تم استدراجها للقبول بهذا المنصب بعد إقناعها بالابتعاد عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ، والتيارات الإسلامية المعارضة والجذرية، كما حصل لاحقا مع ساسي العموري وهو يخلف بن رضوان على رأس الوزارة، والذي لم يكن معروفاً بانتمائه للجبهة الإسلامية عكس أحمد مراني الذي كان مسؤولاً عن الشؤون الاجتماعية بالجبهة الإسلامية ليحتل موقع وزارة الشؤون الدينية في حكومة أويحيى الأولى (1996-97) هو والسعيد قشي العضو المؤسس لها الذي عُيّن على رأس وزارة التشغيل والتكوين المهني

قبله في حكومة غزالي (فيفري - جويلية 1992) للانتقال لاحقا إلى الدبلوماسية كسفير للجزائر في السعودية، كما ساد عند الشخصيات السياسية القريبة من مراكز السلطة التي تضمن لها موقع السفارة بعد الوزارة.

عاد محمد بن رضوان بعد مغادرة الوزارة إلى نشاطه المهني كطبيب متخصص، زيادة على أدواره على مستوى التلفزيون في تنشيط الحصص الدينية وهو مقتنع أن الظرف الذي قبل فيه بالمنصب قد تغير كليا مما جعل مغادرته منصبه ضرورية.

« ... رغم الاستقبال الجيد الذي لقيته من قبل بيروقراطية الوزارة التي يغلب عليها العنصر القبائلي... علما بأنني تلقيت الكثير من الرسائل المجهولة التي نبهتني إلى سيطرة أبناء المنطقة على الوزارة لكنني لم أعرها أي اهتمام... تعاملت مع الأمر كواقع ».

الظهور المتقطع لأبناء الغرب قبل وصول بوتفليقة

من أبناء المالكين المتوسطين الذين احتلوا مواقع وزارية بعد الاستقلال، تذكر المعطيات المتوفرة لدينا أسماء مثل بن داود عبد القادر وزير فلاحية حكومة مولود حمروش وعضو المكتب السياسي لجبهة التحرير، الذي كان جده من الفلاحين/الموالين بجباله ولاية تلمسان، والذي تميز مساره السياسي داخل الحكومة بالانقطاع التام بعد هذه التجربة الوزارية التي قام بها في بداية التسعينيات لفترة قصيرة.

وهو نفس حال لحسن سوفي وزير العدل المسيردي¹⁰⁵ (من مسيردة بولاية تلمسان)، ابن هذه الفئات الفلاحية الوسطى لجيلي الجدّين والأب في أول حكومة للشاذلي بن جديد (1979) التي حاول فيها التجديد واقتراح أسماء غير معروفة ليكون من حظ هذا العسكري (قائد قطاع عسكري) الذي أبعد من الجيش سنة 1975 من قبل بومدين لتعيينه واليا في تمناست وعين تموشنت وتيارت دون علمه وبغير رضاه... موقع وزاري لم يستمر طويلا على رأسه (15 شهرا) هذا العسكري المعرب، صاحب الميول المحافظة والدينية والمسار التعليمي المتقطع في الجامعات العربية الذي انطلق فيه من القرويين بفاس إلى معهد بن باديس بقسنطينة وصولا إلى الأزهر، وأخيرا جامعة الجزائر للحصول على ليسانس حقوق بعد الاستقلال (1973) كالكثير من أعضاء النخبة الرسمية.

« أثناء مرض بومدين وهو يحتضر، قمت بعمل لصالح تعيين الشاذلي مع مجموعة من الولاة من بينهم محمد الشريف خروبي، وهو ما سمح لي بأن أعين في مكتب مؤتمر حزب جبهة التحرير الذي عين الشاذلي لرئاسة الجمهورية، لأتدخل بالتالي في تعيين أعضاء اللجنة المركزية والوصول لاحقا إلى عضوية الحكومة. الشاذلي كنت قد عرفته مباشرة عندما كنت على رأس القطاع العسكري لعنابة الذي كان يتواجد بالقرب من منزله في نفس المدينة ».

105. ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 430.

علاقة لم تشفع للرجل، وطلب منه الرئيس الشاذلي مغادرة موقعه الوزاري دون أن يمنحه - وهو في مكتبه بالرئاسة - حق مناقشة أسباب الإبعاد الذي يعرف الوزير بعض خلفياته المتعلقة بتسييره وزارة العدل التي رفض أثناءها بعض التدخلات من محيط الرئيس¹⁰⁶ ... ليرفض بعد أيام من هذا الإبعاد التوجه إلى صنعاء كسفير للجزائر في اليمن. عاد الرجل إلى الواجهة السياسية عندما منع الحزب الذي كان وراءه هو ومجموعة من النخب العسكرية من الغرب الجزائري - حزب القوى الجزائرية للعدالة والتجديد - الذي اتهمته السلطات بالدفاع عن فكر جهوي. خلال حكم الرئيس زروال الذي زاد فيه الإحساس بالطابع الجهوي لنظام الحكم في الجزائر من قبل نخب أبناء المنطقة الغربية التي أحست بتهميشها لغاية وصول بوتفليقة إلى الرئاسة الذي أعاد الكفة لصالحها بشكل كبير علما بأن الرجل كانت علاقاته متوترة خلال الكثير من المحطات التاريخية كما حصل له وهو طالب في تونس مع أحمد محساس. مواقف معارضة عبّر عنها من خلال تقربه من التيارات الإسلامية الجذرية على المستوى الوطني والإقليمي¹⁰⁷.

أبو بكر بلقايد الوزير السياسي

عالم حَرْف النسيج بقواه الاجتماعية التي اشتهرت بها مدينة تلمسان وكانت السباقة تاريخيا في إنتاج نخب متعددة وبكم كبير ومتنوع، كان من بينها هذه الحالة التي نقدمها في الميدان السياسي - كما قدمنا حالات مشابهة - ممثلة في شخص الوزير أبي بكر بلقايد، من مواليد سنة 1934، كان جده من الأب مؤالا كبيرا، عكس الجد من الأم ذي الأصول الكرغلية¹⁰⁸، من عائلة عقباني التي كانت أقرب للعمل التجاري والثقافي في هذا الوسط الحضري الذي تمثله مدينة تلمسان، في حين كان الأب حَرْفياً في ميدان النسيج الذي اشتهرت به هذه المدينة التي حافظت على حَرْفها التقليدية. عائلة كان أحد أبنائها وراء ظهور الزاوية البلقايدية الهبرية التي انتشر تأثيرها في كل المنطقة الغربية التي اشتهرت بقربها من الزوايا والفكر الديني الصوفي الذي لم يتمكن من الصمود في نهاية الأمر أمام التيارات الفكرية السياسية العصرية التي كان من بينها التيار الوطني الاستقلالي الذي انتمى إليه الشاب أبو بكر بلقايد وهو طالب في ثانوية تلمسان؛ خيار أكده بعد انتقاله إلى فرنسا لإنجاز دراسته الجامعية التي لم يتمكن من الاستمرار فيها نتيجة انغماسه في العمل السياسي الوطني كالكثير من طلبة تلك الفترة المضطربة من حياة الجزائر السياسية.

106. أثناء المقابلة مع لحسن سوفي صرح لنا أنه رفض تدخلات الرئيس لإطلاق سراح مواطنين سويسريين بتهمة المتاجرة بالذهب بشكل غير قانوني وعدم القبض على مطلوبين للعدالة عند دخولهم إلى الجزائر.

107. ناصر جابي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، دار الشهاب، الجزائر، 2011، ص 433.

108. الكراغلة هم أبناء العثماني من أم جزائرية.

في باريس، عاش الشاب بلقايد تجربة سياسية مركزية لم تؤثر عليه وهو مقيم في العاصمة الفرنسية فقط، بل لاحقته لسنوات بعد ذلك وهي تحدد له مساره المهني والسياسي بعد الاستقلال، ونوعية علاقاته الاجتماعية المتنوعة التي سمحت له بلعب الأدوار التي قام بها كفاعل سياسي من الدرجة الأولى، وكان قريباً فيها - على الدوام - من العلاقات التي نسجها أثناء تجربة فيدرالية جبهة التحرير التي كان من ميزاتها تمثيل عناصرها لكل مناطق التراب الوطني وقربها من الفكر العصري العلماني الذي دافع عنه بلقايد في فترات الاستقطاب السياسي الذي عاشته الجزائر بحدة أكبر بعد الإعلان عن التعددية الحزبية وبروز تيارات سياسية متصارعة إلى السطح.

لم يكتفِ الطالب بلقايد بالتوقف عن الدراسة في 1956 بعد الإضراب الذي دعا له اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، بل دخل السرية في باريس باعتباره من الوجوه المعروفة لفيدرالية جبهة التحرير في فرنسا؛ ليلقى عليه القبض من البوليس الفرنسي في السنتين الأخيرتين من ثورة التحرير، بعد أن لاحظت الشرطة الفرنسية دوره في لجنة الدفاع عن المساجين السياسيين المكونة من محامين جزائريين وفرنسيين. نفس النشاط الذي كان يقوم به داخل هياكل الودادية العامة للعمال الجزائريين AGTA التي كانت الواجهة الرسمية للاتحاد العام للعمال الجزائريين الذي تم حله من قبل الإدارة الفرنسية خلال هذه الفترة التي زاد فيها منسوب القمع ضد الجزائريين على التراب الفرنسي وداخل الجزائر.

عند خروجه من السجن في 1962 وجد بلقايد أن الكثير من الأمور قد حُسمت على المستوى السياسي، ليقرر الالتحاق بالقوى السياسية الداعمة للحكومة المؤقتة التي كانت فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير قريبة منها، فشارك في تكوين حزبين معارضين اثنين خلال هذه الفترة الحرجة من بداية الاستقلال: حزب الثورة الاشتراكية الذي كان على رأسه الوجه التاريخي المعروف محمد بوضياف الذي حافظ على علاقات سياسية متينة مع مناضلي الفيدرالية التي سيرها ذات يوم، كما شارك في الاجتماع المؤسس لجبهة القوى الاشتراكية...

« ذهب مع وفد من المشاركين في الاجتماع إلى بلدة ماکلة بجبال جرجرة، لإقناع حسين آيت أحمد بتأسيس الحزب الجديد... لأننا كنا في حاجة إلى وجه وطني معروف في تلك الفترة يكون على رأس هذا التنظيم السياسي الجديد ».

عرف بلقايد السجن مرة أخرى خلال هذه الفترة لمدة أربعة أشهر (1963-64) كالكثير من الوجوه السياسية خلال فترة حكم الرئيس بن بلة ابن تلمسان...

« تجربة السجن أثرت علي وجعلتني أغير توجهي... النضال بالنسبة لي أصبح يعني بناء الدولة قبل كل شيء ».

هذا ما انطلق فيه بلقايد بعد أن تواصل معه وزير الصحة والشؤون الاجتماعية، الدكتور محمد الصغير نقاش - الذي كان مقرَّبًا جدا من الرئيس بن بلة -¹⁰⁹ ابن تلمسان، ليقتراح عليه منصب مكلف بمهمة ونائب مدير للتكوين المهني لاحقا. التكوين المهني الذي تحوّل إلى مهنة دائمة عند الرجل وهو يُنصَّب لمدة طويلة على رأس المعهد الوطني للتكوين المهني، لمدة ست سنوات كاملة (1964-70)، ليتوجه لاحقا إلى فرنسا، بعد الزواج مع سيدة فرنسية، كمسؤول عن تسيير ملف عودة العمال الجزائريين المؤهلين الذين كانت الجزائر في حاجة إلى عودتهم بعد انطلاق مشاريع التنمية خلال فترة حكم الرئيس بومدين. بعد هذه التجربة الفرنسية توجه الرجل مباشرة لاحتلال موقع مدير مكلف بالشؤون الثقافية والاجتماعية برئاسة الجمهورية في فترة حكم الرئيس بومدين (1973-77).

« ... بومدين الذي كان ابن الشعب وإنتاج ثورة التحرير، لم يتأثر مطلقا بالفكر الاستعماري، كما كان حاصلًا مع الشخصيات التي كانت حاضرة في الحركة الوطنية... السلطة لديه كانت وسيلة قبل كل شيء، ولم يكن مادّيًا في نظرتة إلى مواقع السلطة ». مباشرة بعد هذه التجربة، التحق بلقايد بوزارة البناء كأمين عام للوزارة مع صديقه عبد المجيد أوشيش، لمدة خمس سنوات كاملة (1977-84)، لينضم للحكومة بعد ذلك كنائب وزير مكلف بالبناء لأول حكومة لعبد الحميد الإبراهيمي (1984-86) الذي يتخذ تجاهه - على غرار الكثير من الوزراء الذين اشتغلوا معه خلال هذه الفترة - موقفا غاية في السلبية... « الرجل جاء للانتقام من التجربة البومدينية، هذا هو مشروعه ». هذا الموقف السلبي من الإبراهيمي لم يمنعه من العمل معه لاحقا كوزير للعمل والتكوين المهني (1986) والتعليم العالي إلى غاية أحداث أكتوبر ومغادرة الإبراهيمي رئاسة الحكومة... « استمررت مع حكومة الإبراهيمي لأنني لست محسوبًا على مجموعة أذهب معها عندما تغادر. أنا موظف دولة (je suis un commis de l'État) وهو ما جعلني أرفض الانخراط في حزب جبهة التحرير طول هذه الفترة ».

ازداد الحضور السياسي لأبي بكر بلقايد بعد الإعلان عن التعددية التي أعقبت أحداث أكتوبر 1988 وهو يحصل على منصب وزير الداخلية في هذه الحكومة السياسية التي قادها مدير المخابرات السابق قاصدي مرباح، لفترة عشرة أشهر فقط بين نوفمبر 1988 وسبتمبر 1989، تم الاعتراف فيها بالجبهة الإسلامية للإنقاذ وإصدار قانون الأحزاب وتسيير كم هائل من الحركات الاحتجاجية والإضرابات - من كل نوع - التي عاشتها هذه الفترة، وانتهت بإقالة الحكومة بقرار من الرئيس الشاذلي على وقع صراع بينه وبين رئيس حكومته في أول قراءة للتعديل الدستوري الجديد الذي نظم العلاقات داخل رئيسي السلطة التنفيذية.

109. كان من الوجوه السياسية القليلة التي أُلقي عليها القبض ليلة إبعاد الرئيس بن بلة في 19 جوان 1965.

ابتعد بلقايد عن الواجهة السياسية الرسمية بعد إقالة حكومة مرباح وتعيين مولود حمروش في جو من التشنج السياسي، لينتقل الرجل للقيام بأدوار سياسية داخل الفضاءات الجديدة التي ظهرت تحت مسمى « المجتمع المدني »، والتي لعبت فيها الحركة النسوية أدواراً مركزية وهي تتحالف مع ما سمي بالقطب الديمقراطي في اللغة السياسية الإعلامية في الجزائر، والذي كان قريباً من اليسار والتيارات الثقافية الأمازيغية التي طالبت لاحقاً بإلغاء الدور الثاني من الانتخابات التشريعية التي فازت بها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، من قبل حكومة سيد أحمد غزالي الذي التحق به بلقايد على رأس الوزارة المكلفة بالعلاقات مع البرلمان والإعلام والثقافة (جوان 1991 - فيفري 1992)، بعد استقالة الرئيس الشاذلي وتنصيب المجلس الأعلى للدولة برئاسة محمد بوضياف الذي لعبت شخصيات قريبة من بلقايد¹¹⁰ دوراً محورياً في إقناعه بقبول عرض قيادة الجيش لرئاسة الدولة التي كلفته حياته بعد ستة أشهر من تنصيبه، كما كلفت صديقه أبا بكر بلقايد ثلاث سنوات بعده - سبتمبر 1995 - بالعاصمة وهو متوجه إلى حضور اجتماع لقدماء فيدرالية جبهة التحرير بالجزائر العاصمة.

الانتشار الوطني لأبناء الفئات الوسطى المالكة

زيادة على هذه القائمة للوزراء من أبناء الفئات الوسطى من أبناء الجهة الغربية، يمكن أن نضيف اسم العربي دماغ العتروس وزير الثقافة في بداية التسعينيات ضمن طاقم حكومة غزالي الذي يمكن تصنيف جده من الأب كمالك متوسط بـ 30 هكتاراً التي كان يملكها في المنطقة الجبلية لأولاد حبابة بولاية سكيكدة في الشرق الجزائري، الولاية التي غادرها وهو صغير للتوجه نحو تلمسان للعيش مع عمه القاضي الذي تكفل بتعليمه ضمن النظام التعليمي الفرنسي المخصص للأوربيين. استفادته من هذا التعليم لم تشفع للشاب العربي دماغ العتروس للذهاب بعيداً في تعليمه الجامعي العصري، ليكتفي بالتعليم الحر المتقطع، رغم براعته في تعلم اللغات والترجمة التي زاولها كمهنة بالموازاة مع اهتماماته السياسية التي وجهته نحو الحركة الوطنية الاستقلالية، وليس جمعية العلماء التي لم يكن بعيداً عنها من الناحية الفكرية - كما ظهر ذلك خاصة مع تقدمه في السن - ليكون أحد الوجوه السياسية لهذا التيار المحافظ داخل دوايب السلطة.

اهتمامات سياسية هي التي تفسر وصول الرجل على رأس وزارة الثقافة في بداية التسعينيات لمدة قصيرة جداً (أقل من أربعة أشهر) في هذا الطرف الصعب الذي اشتغلت فيه حكومة سيد أحمد غزالي بين أكتوبر 1991 وفيفري 1992.

110. على غرار علي هارون وزير حقوق الإنسان لفترة قصيرة في حكومة سيد أحمد غزالي 1991 قبل وصوله لاحقاً إلى عضوية المجلس الأعلى للدولة مع الرئيس بوضياف في بداية 1992.

« العربي بلخير وزير الداخلية هو الذي اتصل بي لإقناعي بقبول المنصب وليس غزالي الذي قيل لي أنه كان خائفا من إمكانية رفضي للاقتراح »، يقول الرجل عن الاتصال الرسمي الأول معه... اتصال يكون قد جاء بعد أن أقنعت بعض الشخصيات الرئيس الشاذلي أن هناك إسلاميين عاقلين من نظيفي اليد يمكن أن يكون التعامل معهم بداية لتصور جديد للنظام في هذا الوقت المتميز بصعود الإسلام السياسي العنيف...

« كنا مجموعة صغيرة فعلا نشأت داخل هذه الحكومة »، الحكومة التي خرج منها الرجل بانطباع سيء للغاية كالكثير من الوزراء الذين التحقوا بها...

الرجل المعروف بدفاعه القوي عن اللغة العربية كممثل لهذا التيار السياسي والفكري العروبي الإسلامي في الجزائر، الحاضر ضمن فسيفساء الفكرة الوطنية الجزائرية، مازال يتذكر كيف تدخل في إحدى اجتماعات مجلس الحكومة ليطلب من الوزراء التحدث بالعربية بدل الفرنسية... فاحتجوا ورفضوا، وكان على رأس المحتجين خالد نزار وزير الدفاع... ليغادر الرجل المعروف بشخصيته الحادة الحكومة، بعد أن تكلمت الصحافة الوطنية عن توجيهه صفعة لصحفية جزائرية أثناء ندوة صحفية تكون قد أزعجته بسؤالها، تبين لاحقا أنها ابنة محمد حربي ابن ولايته سكيكدة...

« اتصل بي مدير مكتب غزالي، محمد الياسين، في المساء ليخبرني أن وزارة الثقافة قد دُمجت بوزارة الإعلام... ليؤكد لي غزالي بعد مدة قصيرة خبر إبعادي عن الحكومة في مكالمة تلفونية ثانية ».

إنهاء مهام لم يعد بعده الرجل إلى واجهة العمل السياسي الرسمي بعد قضاء أكثر من ربع قرن كسفير للجزائر في عدة عواصم عربية وإسلامية بداية من مرحلة ما قبل الاستقلال ؛ هو الذي كان يحسن عدة لغات، زيادة على العربية والفرنسية والإنجليزية التي تعلمها بطلب من حزب الشعب الذي تقدم تحت رايته للانتخابات (المجلس الجزائري 1948-54) لحين اعتقاله بعد اندلاع ثورة التحرير مع عدد كبير من أعضاء اللجنة المركزية للحزب (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) إلى غاية صيف 1955، حيث توجه نحو باريس للعمل في اللجنة الإعلامية للثورة، ثم نحو القاهرة للاستمرار في أداء مهام إعلامية وديبلوماسية لصالح مؤسسات الثورة إلى غاية الاستقلال الذي عاد أثناءه إلى تولي مسؤوليات دبلوماسية ونيابية بالبرلمان الجزائري (1987-91) إلى أن تمّ تعيينه كوزير للثقافة في بداية التسعينيات لمدة قصيرة جدا، وعاد إلى اللجنة المركزية لجهة التحرير بعد أحداث أكتوبر في ظل قيادة عبد الحميد مهري القريب منه جيليا وجهويا باعتبار الاثنين من ولاية سكيكدة ودائرة الحروش تحديدا، زيادة على البعد الفكري الذي يقربهما كالدفاع عن اللغة العربية التي كانت محل صراع بين النخب السياسية داخل وخارج المؤسسات الرسمية.

حال ابن ولاية سكيكدة الآخر إبراهيم شيبوط وزير المجاهدين في بداية التسعينيات الذي قد يكون أقرب للفئات العليا ضمن هذه الفئات الوسطى المالكة صعبة التصنيف. الجنرال رشيد بن يلس وزير النقل وعضو المكتب السياسي لجبهة التحرير هو الآخر ابن لهذه الفئات المالكة الوسطى الريفية، قبل دخول العائلة إلى المدينة على مستوى الأب وربما قبل ذلك نتيجة الازدواجية في النشاطات الاقتصادية التي ميزت الكثير من العائلات. أحمد بن فريحة الذي عُيِّنَ وزيراً أكثر من مرة خلال حكم الرئيس الشاذلي بن جديد هو الآخر من أبناء هذه الفئات المالكة الوسطى التي استمرت في العمل الزراعي بالريف بمنطقة غريس الغنية في ولاية معسكر بالغرب الجزائري.

عندما يصل الإخوان المسلمون إلى الحكومة

ستكون فرصة تقديم حالة أبو جرة سلطاني، رئيس حركة مجتمع السلم والوزير أكثر من مرة في حكومات بوتفليقة بداية من منتصف التسعينيات، فرصة للكلام عما يميز وزراء حركة مجتمع السلم (حمس) من خلال الكثير من المؤشرات، كالأصول الاجتماعية والجغرافية والوسط الثقافي والمستويات التعليمية... إلخ. حركة كانت وجوهها المؤسسة قد دخلت، بداية من السبعينيات، في مواجهة مع نظام الرئيس بومدين أدت إلى سجن شيوخها الذين كان على رأسهم الشيخ محفوظ نحناح بين 1975 و1980، بعد اتهامهم بتقطيع كوابل الهاتف في منطقة المتيجة، التي كانت الحركة حاضرة فيها، تعبيرا عن رفضهم للسياسة الاقتصادية والخيارات الفكرية السياسية لنظام بومدين المنادية بالاشتراكية¹¹¹. الحركة التي انتقلت إلى مواقف مهادنة للسلطة القائمة بعد الاعتراف القانوني بها في بداية التسعينيات والخروج من مرحلة السرية، وصلت إلى حد ترشح رئيسها الشيخ نحناح لرئاسة الجمهورية في 1995¹¹². خلال هذه المرحلة المضطربة أمنيا وسياسيا التي وقفت فيها الحركة مع توقيف المسار الانتخابي الذي فازت به غريمها الجبهة الإسلامية للإنقاذ والتي استطاعت تجنيد قوى شعبية أوسع، تحت غطاء خطاب ديني وسياسي جذري، فشلت حركة الشيخ نحناح الإخوانية في منافسته انتخابيا وشعبيا¹¹³؛ فشل كرس ضعف التيار الإخواني طول مدة حضور هذا الإسلام الشعبي الجذري الذي مثلته الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

هذا الوضع لم يسمح للحركة بتبوء مواقع نوعية داخل مؤسسات الدولة، كما عبّر عنه حضورها داخل الهيئة التنفيذية الذي وصل إلى أربعة مواقع كما كان الحال في حكومة

111. كناي مخفي، الخلفيات السوسيو-أنثروبولوجية للعنف السياسي عند الحركة الإسلامية في الجزائر، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع السياسي، جامعة الجزائر2، ص 69-72.

112. تم رفض ترشحه في انتخابات 1999 بحجة عدم مشاركته في ثورة التحرير.

113. رغم فوزها بـ 368.697 صوتا في تشريعات 1991 لأنها لم تحصل خلال الدور الأول على أي مقعد نيابي نتيجة ما ميز قانون الانتخاب.

أويحيى خلال فترة حكم الرئيس زروال، غلب عليه الطابع التقني البعيد عن العلاقات مع المواطنين والذي كانت تحبذه الحركة، كما تؤكد حالة أبو جرة سلطاني التي انطلقنا منها للكلام عما ميز هذه المشاركة السياسية للتيار الإخواني في الجزائر، فهو لم يحصل إلا على منصب كاتب دولة للصيد البحري في ديسمبر (1995-97) في أول تجربة وزارية له مثل فيها هذه العائلة السياسية¹¹⁴، للتوجه بعدها نحو وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة (1997-99) والعمل والشؤون الاجتماعية بعد وصول بوتفليقة للرئاسة (2000-21)، وزارة العمل التي كانت تقليدياً من نصيب العناصر المحسوبة على التيارات اليسارية، القريبة من السلطة في إطار التحالفات المعروفة عن النظام السياسي الجزائري عندما كان عالم الشغل في موقع قوة. ثم وزير دولة من دون حقيبة بين 2004 و2009 كممثل لحركة مجتمع السلم باعتباره طرفاً في التحالف الرئاسي بعد وفاة الشيخ نحناح مؤسس الحركة الذي خلفه سلطاني على رأسها. سلطاني الذي كانت له تجربة برلمانية، كالكتير من وزراء الحركة، مثل فيها ولاية تبسة مسقط رأسه خلال عهديتين (بين 1997 و2007)¹¹⁵، بعد العودة للمسار الانتخابي والمشاركة في مؤسسات المرحلة الانتقالية التي غيب فيها الإسلام السياسي الجذري ممثلاً في الجبهة الإسلامية للإنقاذ.

أبو جرة سلطاني الذي ينتمي إلى تلك الفئات الاجتماعية التي حافظت على علاقاتها بالأرض وعالم الريف خلال جيلي الجد والأب كفلاحين متوسطين، في تراب ولاية تبسة الحدودية التي لم تعرف بجودة نوعية أراضيها السهبية ولا دخول العمل المأجور إليها بشكل قوي، لدى هذه العائلة التي حافظت على ملكيتها المقسمة على أكثر من مكان، مما يجعل ضم عائلة أبو جرة إلى هذه الفئات الوسطى ليس بالدقة المطلوبة حتى وهو يحدد اثناء المقابلة معه أن ملكية الأب التي ورثها عن الجد كانت في حدود 40 هكتاراً. أبو جرة سلطاني الذي امتن مهناً قريبة من تكوينه الديني الذي حصل عليه في نظام التعليم التقليدي قبل الالتحاق بجامعة قسنطينة لدراسة الشريعة والتي تحصل فيها على شهادة الماجستير (1994)، في نفس الوقت الذي كان ينشط فيه داخل الحركة الإسلامية بعاصمة الشرق في مجال الدعوة والعمل السري الذي قرّبه من التيار الإخواني، وعرضه إلى محاولة اغتيال¹¹⁶ في 1994 بالقرب من منزله في مدينة قسنطينة التي انتقل للعيش فيها، هو المولود بمدينة الشريعة في ولاية تبسة الحدودية بأقصى الشرق الجزائري سنة 1954.

114. انظمت للحكومة قبل هذا التاريخ قيادات سياسية منشقة عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ كما كان الحال مع الساسي لعموري وأحمد مراني وزيرا الشؤون الدينية. زيادة على بعض الوجوه الإسلامية المحسوبة على التيار الوطني كما كان الحال مع وزير الثقافة العربي دماغ العتروس أو محمد بن رضوان.

115. لا يسمح القانون الانتخابي في الجزائر بالجمع بين منصب الوزير والنائب البرلماني وهو ما يفرض على النواب المنتخبين مغادرة البرلمان بعد تعيينهم في الحكومة.

116. أغلبية وزراء حركة مجتمع السلم الذين جرت معهم المقابلات صرحوا أثناءها أنهم كانوا مهتدين بالقتل بعد تعرضهم لتهديدات مختلفة.

استمرت علاقة أبو جرة مع التيار الإخواني ممثلا في حركة مجتمع السلم التي تقلد فيها عدة مناصب من بينها عضوية مجلس الشورى الوطني بين 1991 و 2009، ورئاسة نفس مجلس الشورى (1991-92) وأخيرا رئاسة حركة مجتمع السلم بعد وفاة مؤسسها الشيخ محفوظ نحناح في صيف 2003، وبقي على رأسها لعهدتين متتاليتين (2003-2013) رغم المنافسة التي وجدها من قيادات الصف الأول التي لم تقبل به بسهولة في أول ترشح له على منصب الرئاسة في 2003، نافسه عليه عبد الرحمن سعيدي ابن ولاية البليدة مثل الشيخ نحناح، الولاية التي تملك فيها الحركة حضورا متميزا... لتكون المنافسة في العهدة الثانية مع عبد المجيد مناصرة ابن ولاية باتنة، وزير الصناعة الذي انشق لاحقا ثم عاد إلى أحضان الحركة بعد ابتعاد أبو جرة عنها.

أبو جرة الذي أعاب عليه منافسوه، داخل الحركة وخارجها، قربته الكبير من السلطة ودفاعه عنها، لتتم منافسته على موقع رئاسة الحركة واستمرت بأشكال مختلفة من قيادات متشابهة في أصولها الاجتماعية والجغرافية وحتى مسارها السياسي، مما يكون قد زاد في حدة هذا التنافس ومنحه بُعداً شخصيا بحمولة نفسية كبيرة، بعد إعلان الرجل عن مواقف قربته من الرئيس بوتفليقة وهو يطالب بعهدة رئاسية ثالثة في 2009، ظهرت على شكل انشقاقات كان على رأسها وزراء قدامى مثلوا الحركة في حكومات بوتفليقة المتعاقبة، من أمثال عبد المجيد مناصرة وعمار غول وعبد القادر بن قرينة الذين توجهوا نحو تكوين أحزاب سياسية جديدة... أجرينا مع بعضهم¹¹⁷ مقابلات في إطار هذه الدراسة، يمكن العودة إلى تفاصيلها ونحن نتطرق إلى الأصول الاجتماعية لهؤلاء الوزراء الذي يغلب عليها الطابع الريفي كأصل اجتماعي عائلي قبل الدخول إلى المدن الصغيرة والمتوسطة في مرحلة الآباء - كما ساد وطنيا كاتجاه عام بينته هذه الدراسة - التي غادرها في الغالب الأبناء الوزراء إلى المدن الكبرى في الداخل والخارج لإنجاز دراستهم الجامعية التي تمت في الجزائر وفرنسا وحتى أمريكا بالنسبة لسيد أحمد بويل وزير النقل الذي يمثل الاستثناء بين أبناء الحركة كنمط شخصية هادئة وأصول اجتماعية وجغرافية... هو ابن المدينة الكبيرة وهران لأكثر من جيل.

تجدر الإشارة إلى أن الحركة لم ترشح نساءً لتولي مناصب وزارية، عكس البرلمان والأحزاب السياسية الأخرى التي قدمت أكثر من امرأة لتمثيلها في الحكومة كما كان الحال مع التجمع الوطني الديمقراطي وقبله جبهة التحرير، تأكيداً لهذا الطابع المحافظ الذي ميز الحركة.

117. زيادة على أبو جرة سلطاني رئيس الحركة، أجرينا ضمن هذه الدراسة مقابلات مع قيادات الحركة الوزراء، من بينهم : عبد المجيد مناصرة وزير الصناعة وإعادة الهيكلة (1997-2002)، وعبد القادر سماري وزير الصناعة الصغيرة والمتوسطة (2001-2002)، وعبد القادر بن قرينة وزير السياحة والصناعات التقليدية (1997-99)، وبويل سيد أحمد وزير النقل (1997-99).

عبد القادر سماري يمثل بصدق هذا المسار العام الذي تكلمنا عنه، هو الذي كان جدّه، مثل أبيه، مالكا زراعيا متوسّطاً بتراب بلدية قصر الأبطال جنوب ولاية سطيف على أراضي عرش أولاد كثير. الملكية التي لم تمنح الجد ولا الأب من ممارسة مهنة التعليم القرآني بالموازة وتسيير زاوية العائلة (الحاج الضيف) بقصر الأبطال التي أنجب فيها الأب عشرة أبناء وبنات، كما كان يحصل عادة لدى هذه الأوساط الريفية خلال هذه الفترة من تاريخ الجزائر الديموغرافي.

انتقل الابن عبد القادر للدراسة في مدينة برج بوعريريج القريبة، وسطيف لاحقا التي تخرج من جامعتها بعد حصوله على شهادة الدراسات المتخصصة، قبل الانطلاق نحو جامعة غرنوبل الفرنسية التي حاز فيها على دكتوراه في الكيمياء الفيزيائية، بعد استفادته من منحة دراسية من قبل وزارة التعليم العالي، كما كان الحال مع أبناء هذا الجيل، حتى عندما يتعلق الأمر بأبناء الفئات الشعبية وهي تستفيد من مجانية وانتشار التعليم. لقاء مهم حصل مع الشيخ محفوظ نحناح بمدينة بوردو الفرنسية سنة 1984، كان محطة مهمة في تاريخ هذا الشاب السطايفي...

« أنا الذي بادرت بالاتصال به بعد نهاية محاضراته مع الطلبة، أعجبت بكلامه وهو يقول للطلبة «لا أطلب منكم معارضة الدولة في الخارج...» في نهاية اللقاء تعاهدنا ألا نفرقنا إلا الموت بعد أن جمعنا الدين وحب الوطن والدفاع عن الدولة ».

هذا ما حصل بالفعل عند عودة الشاب عبد القادر وهو يلتحق بجامعة سطيف للتدريس وتحمل مسؤوليات التسيير الإداري والبيداغوجي...

« كنت معروفاً من جهة أخرى بالمدينة وكل جهة الشرق الجزائري كمسؤول في الحركة خلال فترة السرية لحين الخروج إلى العلن وترشيحي للانتخابات التشريعية في 1997... علما بأنني مثلت الحركة في مؤسسات الحوار الوطني قبل هذا التاريخ الذي تعرضت فيه إلى تهديدات بالاعتقال ».

لم يُنهِ الدكتور عبد القادر سماري مدة عهده التشريعية، لِيُعيّن وزيرا للمؤسسات الصناعية الصغرى والمتوسطة في حكومة علي بن فليس لمدة 13 شهرا فقط، إذ غادر منصبه الوزاري بعد الإعلان عن نتائج تشريعات 2002 التي فاز بها حزب جبهة التحرير، والتي ترشح لها لتمثيل ولاية سطيف للمرة الثانية (2002-2007)، بعد هذه التجربة الوزارية التي خرج منها بانطباع إيجابي من حيث صلاحياته كوزير وعلاقته مع رئيس الحكومة ؛ موقف إيجابي قد يفسره المنصب التقني الممنوح له ولبقية أبناء هذا التيار السياسي الأيديولوجي الذين أبعادوا - عن قصد - عن المناصب السياسية والاجتماعية في هذه الحكومات، كما رأينا ذلك مع حالات عبد المجيد مناصرة وأبو جرة سلطاني بكل الصعوبات التي عرفها القطاع الصناعي وإعادة الهيكلة التي تعرض إليها خلال هذه الفترة بالذات.

اللقاء بين محفوظ نحناح والطالب بوليل سيد أحمد كان في نفس السنة التي التقى فيها الشيخ بسماري عبد القادر (1984)، لكن هذه المرة في مدينة دلاص بالولايات المتحدة الأمريكية التي كان يدرس فيها الطالب الوهراني للحصول على ماستر في هندسة الطيران بجامعة سياتل الأمريكية. بوليل الذي تميز ضمن هذه النخبة الوزارية الإخوانية بأصوله الاجتماعية الحضرية (من مدينة وهران) التي احترف فيها الأب والجد قبله إصلاح السيارات في ورشته التي يملكها، عكس الجد من الأم المالك العقاري المتوسط صاحب المستوى التعليمي الابتدائي... وسط حضري استفادت فيه الجدة من الأم صاحبة المستوى التعليمي الابتدائي، المتحكمة في الفرنسية والإسبانية التي كانت منتشرة كلغة عند هذه الأجيال من سكان الغرب الجزائري، بما فيهم نساء هذا الجيل، نتيجة الاحتكاك الواسع مع المعمرين الإسبان من أصحاب الأصول الشعبية الذي ميز الغرب الجزائري.

لم يكن يعرف الشيخ نحناح أن الطالب الذي التقى به في دلاص الأمريكية كان يمر بوضع نفسي صعب، هو الذي فقد أخاه الأصغر منذ مدة قصيرة وهو يشارك في منافسة في كرة اليد التي كان يزاولها أبناء هذه العائلة الوهرانية...

« لم أكن أصلي بانتظام ولا مهتمًا كثيرًا بالشأن الديني، وبعد هذا اللقاء مع الشيخ زاد اهتمامي بالقراءة أكثر حول الإسلام والانتظام في صلاتي التي زادت بالاحتكاك مع الحركة الطلابية الإسلامية بسياتل الأمريكية داخل مسجد كان قد بناه أحد الأثرياء الخليجيين ». بعد الانتهاء من الدراسة في أمريكا والعودة للجزائر في 1985، لم ينشط الشاب الوهراني داخل هياكل الحركة وهي في السرية، فقد فضل - بالعكس - التوجه نحو الجامعة للتدريس بعد انتهائه من أداء خدمته الوطنية التي انطلق فيها مباشرة بعد دخوله إلى الجزائر... « وجدت الشرطة في انتظاري في ميناء وهران لأنني تعطلت سنة كاملة، عملت فيها بأمريكا، دون تجديد التأجيل المطلوب مني من مصلحة الخدمة العسكرية ».

مديرية جامعة التكوين المتواصل بوهران كانت آخر موقع مهني للرجل قبل الالتحاق بالحكومة كوزير للنقل بين جوان 1997 وديسمبر 1999 ضمن تشكيلة حكومة أحمد أويحيى...

« اقترحت الحركة في الأول وجوهاً أخرى من مدينة وهران، احتراماً لنوع من التمثيل الجهوي الذي تصر عليه الحركة وهي تقترح من يمثلها في الحكومة... لكونهم تجار هم الذين اقترحوني بدلهم... ليطلب مني الاتصال بوالي وهران لكي يسهل لي السفر إلى العاصمة بسرعة لأن أويحيى ينتظرنى... »

نفس الوالي الذي كان قد رفض استقبالي عندما اتصلت به لأكلمه حول التهمة التي وجهت لي كمدير لجامعة التكوين المتواصل... بأنني قد وظفت هياكل الجامعة لدعم مرشحي الحركة في انتخابات 1997 التي رفضت الترشح لها... بمجرد وصولي إلى العاصمة اتصلت بمقر

قيادة الحركة ورئيس الحكومة بعد أن اشترت بدلة جديدة وحذاء يليق بالمناسبة... فقد كنت بعيداً عن أجواء العاصمة الرسمية، فأنا ابن الهياكل المحلية بمدينة وهران... رئيس الحكومة أحمد أويحيى كان يرفض لي كل الاقتراحات التي قدمتها كوزير للنقل بالتعيين في هياكل القطاع، مما جعلني أفكر في الاستقالة التي كلمت عنها الشيخ نحناح الذي رفضها... وزراء الحركة كنا خضرة فوق عشاء، كما يقول المثل الشعبي، الثقة معدومة فينا...».

تقييم سلبي خرج به هذا الوزير الشاب وهو على رأس قطاع النقل، عكس زملائه في الحكومة من أبناء الحركة.

عاد بوليل للعمل كمتطوع داخل هياكل الحركة بالعاصمة خلال فترة ابتعاده عن الحكومة، العاصمة التي لم يرتح لها ابن وهران لا هو ولا زوجته الماكثة في البيت الحاصلة على شهادة البكالوريا التي أنجب معها ولدًا واحدًا وبنيتين...

« لم نكن نملك أصدقاء عندما سكنا نادي الصنوبر، ليستمر الأمر معنا بعد ذلك، فالعاصميون لا يفتحون بيوتهم بسهولة لمعارفهم الجديدة. كان يحصل نفس الشيء بين أبناء الحركة، حتى عندما يتعلق الأمر بالمناسبات العائلية...».

تقييم سلبي لنوعية العلاقات الاجتماعية في العاصمة يشترك فيه ابن وهران مع الكثير من أبناء مدينته الكبيرة الذين يضطرون للعمل في العاصمة، كما هو حال الوزراء. زيادة رها على ما ميز شخصية ابن وهران من هدوء وميل للتوازي والعزلة حتى داخل الحركة وبين أبنائها من نفس الجيل.

ترشح بوليل أثناء هذه الفترة (2002) للانتخابات التشريعية بوهران...

« الشيخ نحناح هو الذي أصر على ترشح الوزراء القدامى لمعرفة المواطنين لهم... وكنوع من احترام للتمثيل الجهوي على رأس قيادة الحركة وتمثيلها الوطني في البرلمان... ومع ذلك جاء من يتهمني بالجهوية، من داخل الحركة هذه المرة، بعد التعيينات التي قمت بها داخل هياكل قطاع النقل الذي سيرته كوزير... لأن بعض من تم تعيينهم أو ترقيتهم كان بالصدفة من وهران...».

على عكس ما ميز شخصية الوزير بوليل المهادنة، نجد عبد القادر بن قرينة وزير السياحة والصناعات التقليدية (1997-99) في نفس حكومة أحمد أويحيى الائتلافية التي ضمت أربعة وزراء من حركة مجتمع السلم بعد ما سمي بالعودة إلى المسار الانتخابي في 1997، كان فيها النظام السياسي في حاجة إلى توسيع قاعدته الاجتماعية وتحالفاته السياسية. بن قرينة الذي يقدم نفسه باعتباره أول وزير في تاريخ الجزائر من أبناء ولاية ورقلة الجنوبية، وأول من حصل على البكالوريا في سنة 1982 في قرية بوعامر القرية من مدينة ورقلة... من مواليد سنة 1962، وهو ابن حارس المدرسة الأمي، المنتمي إلى عرش الشعانبة الكبير التي تعود إليه قبيلته « أولاد إسماعيل »، العرش المنتشر في كل منطقة

الجنوب وداخل البلدان المجاورة مثل ليبيا ومالي والنيجر، والذي كانت له أدوار متعددة في تاريخ أقصى الجنوب الجزائري ومنطقة الساحل على أكثر من مجال اقتصادي وسياسي وعسكري.

أنتم الطفل عبد القادر، أصغر إخوته الخمسة، كل تعليمه الابتدائي والثانوي في مدينة ورقلة، قبل الانتقال إلى جامعة باتنة للانطلاق في دراسة الإلكترونيك أين حصل على دبلوم الدراسات المتخصصة في سنة 1986 بعد أربع سنوات من حصوله على البكالوريا. تخصص علمي لم يمارسه كمهنة، مثل الكثير من وزراء حركة مجتمع السلم الذين توجهوا مبكرا نحو العمل السياسي، الأمر الذي قد يكون مرتبطاً بضعف التحكم في اللغة الفرنسية وهشاشة التكوين العلمي كالعديد من أبناء الجنوب الذين لم تسمح لهم ظروفهم بإتقان هذه اللغة المسيطرة في عالم الشغل بالجزائر، زيادة على حاجة الحركة المبكرة لهذا الجيل الأول من أبنائها...

« لو سألتني الآن عن أي موضوع في الإلكترونيك فلن أستطيع أن أجيبك، فقد كنت مهتماً منذ صغري بالعمل السياسي ».

رغم أن الشاب عبد القادر لم يلتحق بشكل منتظم بحركة مجتمع السلم إلا في سنة 1994، ولم يعرف فترة الإرشاد والإصلاح التي كانت قبلها، الشيء الذي يفسره بضعف الاهتمام بالعمل الاجتماعي والخيري... رغم علاقاته الأقدم مع التيار الإخواني وميوله الدينية السياسية التي قربته من هذا التيار منذ خروج الشيخ نحناح من السجن في 1984. الشيخ نحناح الذي ربط مع هذا الشاب الشعانبي علاقات مباشرة بعد ذلك، كما فعل مع الكثير من الوجوه التي دعمها للوصول إلى الحكومة والترشح للانتخابات لاحقاً، عندما انطلقت مرحلة الخروج من السرية والتعاون مع النظام السياسي التي دشنتها الحركة مباشرة بعد الاعتراف القانوني بها...

« كان هناك خوف كبير من العمل السري، خاصة وأننا كأبناء جنوب كنا نخطر في الحركة كعائلات وأبناء قبيلة وعرش وليس كأفراد فقط... مما يمكن أن يعرضنا إلى عقوبات جماعية قاسية كأبناء وسط فقير ومن دون حماية ».

قبل الانتقال إلى احتراف العمل السياسي، لم تتميز الحياة المهنية للشباب عبد القادر، فقد التحق بالتدريس في الثانوية قبل الوصول إلى مديرية التكوين المهني الولائية بورقلة لوقت قصير، كالعديد من أبناء الحركة الإسلامية الذين استهواهم التدريس كمجال عمل متاح لهم ومجال للصراع السياسي والإيديولوجي الذي يفضلونه عن غيره من المجالات الأخرى. فترة جرب فيها العمل النقابي داخل الاتحاد العام للعمال الجزائريين وداخل الاتحاد الوطني للشبيبة ومع حركة « إحسان » التي كونها التيار الإسلامي الإخواني كنفابة عمالية لكنها فشلت كتجربة... « لأن الناس الذين كانوا على رأسها لم يكونوا في المستوى ».

الالتحاق بالمجلس الوطني الانتقالي الذي قام بمهام البرلمان CNT كان أهم تجربة سياسية انطلق منها بن قرينة وهو يُنتخب رئيساً للجنة الشؤون الرياضية والطفولة ولجان أخرى قبل الوصول إلى نيابة رئيس المجلس نفسه، تعرف خلالها على كواليس العمل السياسي ورجاله في هذه المرحلة المضطربة التي مر بها النظام السياسي الوطني...

« عمل أحمد أويحيى ومحمد بتشين - مدير المخابرات الأسبق ومستشار الرئيس زروال لاحقاً - المستحيل لكي أفضل في الانتخابات الداخلية للمجلس، لكنني نجحت رغم ذلك ». تجربة سياسية دعمها الرجل بالترشح للانتخابات التشريعية (1997) بولاية ورقلة قبل الانتقال في نفس السنة إلى عضوية الحكومة كوزير للسياحة والصناعات التقليدية (1997-1999) في حكومة أحمد أويحيى...

« قمت أثناءها بعمل دبلوماسي لتعريف البعثات الدبلوماسية بالإمكانيات السياحية للجزائر، خاصة تلك المتواجدة بالجنوب، في وقت كانت فيه الوضعية الأمنية لا تزال سيئة... عمل لم يعجب وزير الخارجية في ذلك الوقت ».

تجربة حكومية عمل خلالها بن قرينة مع أحمد أويحيى...

« ... الذي لم يكن ضد الأشخاص بقدر ما هو ضد الحركة التي لم يكن يريد لها أن تنجح في هذه التجربة التي دخلتها خلال هذه المرحلة بثلاث¹¹⁸ وزراء بما فيهم رئيسها أبو جرة سلطاني على رأس وزارات صناعية، في وقت كان يعيش فيها عالم الصناعة مشاكل من كل نوع... »

ليبقى موقف الرجل سلبياً إلى حد كبير من رئيس الحكومة إسماعيل حمداي (الذي خلف أويحيى بعد استقالة الرئيس ليامين زروال)...

« ... الذي لم يكن يرد على مكالمتي التلفونية عندما أبادر بالاتصال به... »

موقف سلبي من رئيس الحكومة إسماعيل حمداي يشترك فيه مع رئيس الحركة أبو جرة سلطاني الذي انشق عنه بن قرينة هو ومجموعة من القيادات الحزبية التي وصلت إلى عضوية الحكومة لتكوين أحزاب منافسة...

« أبو جرة ورط الحركة أكثر من مرة... »

عودة مرة ثانية إلى الترشح للمجلس النيابي قام بها عبد القادر بن قرينة سنة 2002 بعد ابتعاده من الحكومة، في الجزائر العاصمة هذه المرة وليس في ورقلة، وبدعم واضح من الشيخ نحاح، رغم الرفض الذي قوبل به هذا الترشح من قبل بعض وجوه الحركة... « ... التي تركت الامتياز للشيخ نحاح في تعيين المرشح الأول والثاني على رأس كل

الولايات، وهو ما قام به في العاصمة، رغم الشوشرة التي قام بها البعض ضدي ».

118. زيادة على عبد القادر بن قرينة، كان أبو جرة سلطاني الذي احتل وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وكان عبد المجيد مناصرة وزير الصناعة وإعادة الهيكلة.

نحناح الذي كان له دور محوري في التواصل مع هذه الوجوه ودعمها داخل الحركة لتوسيع قاعدة الحركة بين الأوساط والجهات الحاضرة فيها.

عاد اسم بن قرينة للبروز بعد سنوات، حين انشق عن الحركة الأم على مرحلتين : وهو يشارك في تكوين « حركة الدعوة والتغيير » سنة 2009 مع الوجه القيادي المعروف عبد المجيد مناصرة، لينشق مرة أخرى ويكوّن « حركة البناء » سنة 2013، التي شارك باسمها في الترشح للانتخابات الرئاسية لسنة 2019، وقبلها الانتخابات التشريعية والمحلية. وهو يتقرب بشكل واضح من النظام السياسي الرسمي أكثر فأكثر، وتوطدت العلاقات أكثر في فترة الرئيس تبون الذي دعمه للترشح لعهدة ثانية (2024) مع الأحزاب الرسمية القريبة من السلطة كالتجمع الوطني الديمقراطي وجبهة التحرير بعد فترة الرئيس بوتفليقة تبون الذي كان قد « نافسه » في العهدة الأولى (ديسمبر 2019).

نفس الأصل الريفي الفقير سنجده حاضرا عند عبد المجيد مناصرة، وزير الصناعة وإعادة الهيكلة لمدة سبع سنوات كاملة (1997-2002)، ابن بلدية أريس بولاية باتنة، ابن عرش بني بوسليمان الذي كان الجد من الأب فيه معلما قرآنيا، بكل ما تعرفه هذه الوظيفة من هشاشة اقتصادية، في هذا الوسط الاجتماعي والثقافي الريفي الفقير ؛ على عكس الجد من الأم، الفلاح صاحب الملكية الزراعية المتوسطة والأُمِّي، ابن نفس المنطقة. عبد المجيد مناصرة الذي التحق بالحكومة كممثل لحركة مجتمع السلم التي رشحت هذا المهندس في الميكانيك، خريج معهد بومرداس الذي نشط فيه الشاب الشاوي في الوسط الطلابي...

« اكتشفت المسألة الأمازيغية في هذه المدينة الواقعة بين العاصمة ومنطقة القبائل ... » الفترة التي تواصل فيها مع الشيخ نحناح وهو في سنته الدراسية الجامعية الأولى (1982) بالمدينة الجامعية ببومرداس، للتحول إلى أحد قيادات العمل الطلابي السري ليكون ضمن المجموعة القيادية الأولى عند تكوين الاتحاد الطلابي الحر.

المهندس الذي لم يعرف من المهن إلا التعليم الثانوي لمدة لا تتجاوز السنة، قبل الالتحاق بمديرية أسبوعية النبا التابعة للحركة والعودة مرة ثانية لموقع النيابة في الهيئة التشريعية، بعد مغادرة الحكومة ممثلا عن ولاية باتنة للمرة الثانية. كان المطلوب ترشيح قيادات من الصف الأول بمسار سياسي لعضوية الحكومة، عبرت عنها حالة عبد المجيد مناصرة بعد تجربة نيابة رئاسة المجلس الانتقالي (1994) الذي دعمته الحركة بعد إلغاء نتائج الانتخابات التشريعية التي فازت فيها الجبهة الإسلامية.

ليعيش هذا القيادي الشاب (من مواليد 1964) حالة الانشقاق والدخول في حالة صراع مع وجوه قيادة أخرى في ظل رئاسة أبو جرة سلطاني للحركة، وصلت حد تكوين حزب جديد (حركة الدعوة والتغيير)، لم ينجح كبقية الأحزاب المنشقة عن الحركة في

التموقع داخل الساحة السياسية الوطنية. تجربة انشقاق دامت سنوات طلقها القيادي عبد المجيد مناصرة في 2013 بعد إبعاد أبو جرة سلطاني من رأس الحركة الأم والذي كان قد نافسه على رئاستها قبل أن ينسحب في المؤتمر الثالث سنة 2009 ليتم تجسيد عودته للحركة الأم في سنة 2017. نفس المنافسة التي حاول القيام بها الرجل في سنة 2023 بمناسبة المؤتمر الثامن للحركة، لينسحب في آخر دقيقة قبل انطلاق الاقتراع على منصب رئاسة الحركة الذي فاز به بالتزكية في نهاية الأمر حساني عبد العالي ابن ولاية المسيلة، مسؤول التنظيم المدعوم من القيادة التي سيطرت على الحركة في غياب مناصرة، ليتم ترشيحه لرئاسيات 2024 كممثل للحركة بدعم من ابن المسيلة عبد الرزاق مقري الذي استمر لعهدتين على رأس الحركة (قوانين الحركة لا تسمح بأكثر منهما).

عبد المجيد مناصرة الذي التحق أبوه المجاهد بالعمل كضابط بسجن تازولت المشهور بالقرب من مدينة باتنة، رغم مستواه التعليمي الذي لم يتجاوز مرحلة التعليم القرآني البسيط، المتزوج من إحدى بنات عرشه وأنجب معها عائلة كبيرة العدد (10 أبناء وبنات) ربما لم تساعد هذا الموظف المتوسط على دخول مرحلة اليسر المادي الذي لم يعرفه في صباه، هو الذي ينتمي إلى عائلة بسيطة كان فيها الجد الفلاح الصغير يزاول مهنة التعليم القرآني المشهورة في الأرياف الجزائرية، في حين كان الجد من الأم الأمي فلاحا أكثر يسرا بملكته المتوسطة في بلاد الشاوية بولاية باتنة.

يشبه المسار التعليمي والمهني لهذا الشاب الشاوي، الذي فشل مرتين في الوصول إلى رئاسة الحركة، مسارات كل مجموعة وزراء الحركة التي عرفت قفزة نوعية، بعد حصولهم على مواقع قيادية داخل الحركة لكي تترجم لاحقا في وصولهم إلى عضوية الحكومة التي كانت أول موقع مهني مهم بالنسبة لهم في الغالب. مهدوا للوصول إليه عبر الانتخابات التشريعية التي ترشحوا لها في ولاياتهم الأصلية لأكثر من عهدة واحدة في الغالب¹¹⁹ بعد تجربة مهنية متواضعة كانت في الغالب الأعم بعيدا عن مجال تخصصهم العلمي الذي أنجزوه في جامعات بالجزائر والخارج، في تخصصات تكنولوجية وعلمية دقيقة بالنسبة لأغليبيتهم¹²⁰، كان من نقاط ضعفها عدم التحكم في اللغة الفرنسية بالقدر الكافي، الأمر الذي وقف حاجزا أمام مسارهم المهني؛ فهي لم تكن لغة تعامل يومي لدى أبناء هذا الوسط الريفي كما كان يحصل في الغالب لدى أبناء النخب الحضرية في الجزائر التي

119. ترشح عمار غول على رأس قائمة حركة مجتمع السلم في العاصمة على رأس قائمة تحالف بين حركة مجتمع السلم والنهضة، حصلت على الموقع الثالث بعد جبهة التحرير والتجمع الوطني الديمقراطي (49 موقع نيابي من بينهم 5 نساء) بـ 475 صوتا مثلت 5.09 من 5.09. انظر لمزيد من التفاصيل : <https://journals.openedition.org/anneemaghreb/6203>.

120. تخرج عبد المجيد مناصرة مهندسا في الميكانيك من معاهد بومرداس في حين تخرج سيد أحمد بلويل في الطيران من سيئات الأمريكية وتخرج عبد القادر سماري من جامعة غرونوبل الفرنسية في تخصص الكيمياء الصناعية.

تُكثر من التعامل بها داخل وسطها العائلي. زيادة بالطبع على الالتزامات السياسية داخل الحركة التي تكون قد أعاقَت المسار المهني لهذا الجيل الذي عرف العمل السري داخل التيار الإسلامي الإخواني، قبل الانتقال إلى العلنية بعد الإعلان عن التعددية الحزبية في بداية التسعينيات.

مسار مثلت فيه الحركة الطلابية، التي انطلقت بالنسبة للبعض من مرحلة الدراسة الثانوية، أهم محطات العمل السياسي بالنسبة لأغلبية أبناء هذا الجيل الذي تم تجنيده من مختلف مناطق البلاد تحت الإشراف المباشر لشيخ الحركة محفوظ نحناح الذي استطاع ربط علاقات شخصية ومباشرة معهم كأبناء جيل تواصل معهم داخل وخارج الجزائر خلال سفرياته العديدة التي قام بها لدول الغرب (أمريكا وبريطانيا) بعد إطلاق سراحه من قبل الرئيس الشاذلي بن جديد في بداية الثمانينات. لقاءات مع الشيخ نحناح تمت تحت غطاء المشاركة في ندوات فكرية وتجمعات طلابية استفاد فيها الشيخ عربيا ودوليا من علاقته مع حركة الإخوان المسلمين العالمية.

جيل وجد نفسه في المواقع الأمامية على رأس الحركة وهي تخطو خطواتها السياسية الأولى خلال هذه المحطة السياسية التي استفحلت فيها أزمة النظام السياسي وزاد فيها منسوب العنف السياسي، فرض عليه الانفتاح على هذا التيار الديني الواسطي وهو في مواجهة التيار الإسلامي الجذري الذي مثلته الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالعنف الذي لجأت إليه الكثير من روافدها.

أبناء الفلاحين الصغار الحاضرون في أكثر من موقع

لم يكن عالم الريف الجزائري - الفقير والواسع ديموغرافيا، الذي تعرض إلى عملية إفقار وتكديح واسعتين، تزامنت مع حالة عنف عامة، منذ بداية الظاهرة الاستعمارية الاستيطانية - ممثلا على مستوى عملية إنتاج النخبة السياسية من قبل القوى المالكة الغنية التي تعبّر عنها القوى الريفية صاحبة الملكية الكبيرة والمتوسطة فقط، فهذا العالم الريفي الشعبي الواسع قد مثلته كذلك القوى الريفية صاحبة الملكية الصغيرة أحسن تمثيل، ولحقب طويلة وعلى أكثر من صعيد. فالريف الجزائري، ديموغرافيا، في جزء كبير منه، هو هذه القوى الاجتماعية صاحبة الملكية الصغيرة، ليس في المجال السياسي فقط بل حتى في المجالات الثقافية والفنية، وبكل خصوصياتها الاقتصادية والاجتماعية، مهما كان المجال الجغرافي، سهوب وهضاب عليا أو ساحل ومناطق جبلية أو حتى مناطق صحراوية. رغم قوة حضور هذه الفئات الشعبية، لم تكن هي الأكثر تمثيلا للريف على مستوى هذا الجيل، جيل الجد، في عملية إنتاج النخبة الوزارية. الوضع الذي يتغير نسبيا إذا وسعنا مجال الدراسة إلى هذه الفئات البرجوازية الصغرى الحضرية، ففي هذه الحالة

نجد أنفسنا أمام حضور قوي للفئات البرجوازية الصغيرة، والذي يصبح أكبر في العملية الإنتاجية للنخبة السياسية، حتى أنه يضاوي قوة حضور الفئات المالكة الكبرى والوسطى التي بقيت قوية على مستوى جيل الجد.

إذا اكتفينا بالفئات الريفية صاحبة الملكية الصغيرة، نجد أن الجد من الأب لعبد الرحمن بلعياط الوزير أكثر من مرة والبرلماني والقيادي الحزبي بجهة التحرير خلال فترتي الأحادية والتعددية، يمكن أن يمثل أحسن تمثيل هذه القوى في الهضاب العليا بولاية سطيف التي كان يزاوج فيها الجد بين العمل الزراعي والرعي، على عادة أهل الهضاب العليا التي صنفها الحفيد عبد الرحمن نفسه - هو العارف بتفاصيل المشهد الاجتماعي الجزائري - بأنها أقل من المتوسط، لتكون أقرب للفئات المالكة الصغيرة منها إلى المتوسط باليسر النسبي الذي تعرفه، خاصة إذا ربطنا ذلك بالحجم الديموغرافي الكبير الذي ميز هذه الأوساط (سبعة إخوة وأخوات، سلوك ديموغرافي استمر مع جيل الابن عبد الرحمن نفسه الذي أنجب ثمانية أبناء من زواجين اثنين).

في حين احترف الأب بلعياط مهنة صناعة الحلويات التي تعلمها في بعض مدن الشرق الجزائري كعنابة وسكيكدة وقسنطينة التي تعرّف فيها على زوجته الشاوية...
« كنت أنا كبير إخوتي من الذكور، أبيع الحلوى في سطيف أثناء عطلة الوالد الذي كان لا يتوقف عن العمل حتى وهو في عطلة للتكفل بمصاريف عائلته الكبيرة ».

استفاد الطفل عبد الرحمن من سكن العائلة في مدينة سطيف لكي يتعلم في المدرسة الفرنسية الرسمية ومدارس جمعية العلماء للحصول على شهادة الأهلية؛ تعليم سمح للشاب عبد الرحمن بإتقان اللغتين العربية والفرنسية، هذا قبل الالتحاق في 1956 بقوات الولاية الأولى...

« عندما حان وقت الجدّ ذهبت عند أخوالي ».

قضى المجاهد عبد الرحمن بلعياط كل فترة الثورة في جبال الولاية الأولى لغاية الاستقلال في 1962، تاريخ طلب تسريحه من الجيش والتوجه نحو الحياة المدنية، كما كان الشأن مع الكثير من المجاهدين الحاصلين على مستوى تعليمي مقبول في مجتمع تغلب عليه الأمية مقبل على تحولات عميقة بعد الاستقلال¹²¹.

هذا ما حصل فعلا مع الشاب عبد الرحمن بعد الاستقلال (كان عمره 24 سنة في 1962 تاريخ الاستقلال) الذي التحق بالمدرسة الوطنية للإدارة في 1965، بعد مرور سريع كمعلم في التعليم الابتدائي بمدينة عنابة، ليتخرج بعد أربع سنوات من هذه المدرسة التي انطلقت

121. ابتعاد العناصر المتعلمة من جيش التحرير أثر سلبا على المستويات التعليمية لجيش التحرير وبعده الجيش الوطني الشعبي. لمزيد من التفاصيل انظر :

Saphia Arezki, *De l'ALN à l'ANP. La construction de l'armée algérienne*, Éditions Barzakh, Alger, 2018.

منذ تلك الفترة في إنتاج النخبة البيروقراطية-السياسية التي تحتاجها الجزائر، والتحق بعدها بولاية العاصمة للعمل في مختلف مصالحها الإدارية إلى غاية 1977. لم ينقطع عبد الرحمن عن النشاط الحزبي داخل هياكل جبهة التحرير منذ ابتعاده عن الجيش، ولا عن الاهتمام بتحصيله العلمي الذي استمر فيه حتى تحصل على شهادة دراسات متخصصة DES في القانون العام، سمحت له بالتسجيل كمحام في غرفة المحاماة بباتنة والتسجيل للدراسة بمركز البحوث والدراسات الديموغرافية والاقتصادية، بالموازة مع معهد الترجمة بجامعة الجزائر، ما أكد شغفه بتعلم اللغات والاستفادة من فرص التعليم التي وفرتها الدولة الوطنية بُعيد الاستقلال لهذا الجيل الذي حرّم الاستعمار من فرص الدراسة.

ستكون سنة 1977 محطة محورية في حياة هذا الموظف غير النمطي الذي ترشح للانتخابات التشريعية ضمن قوائم حزب جبهة التحرير في مسقط رأسه بسطيف، ليحتل مواقع مهمة في مؤسسات المجلس التشريعي كمقرر للجنة العمران إلى غاية تعيينه كوزير للسكن والعمران في حكومة الإبراهيمي لمدة سنتين (1984-86)...

« تعرفت مباشرة على عبد الحميد الإبراهيمي أثناء اجتماعات اللجنة المركزية التي كنت عضوا فيها، لكن علاقتي معه ساءت بسرعة، ليتم إبعادي من الحكومة في أول تعديل لها... حتى الآن مازلت متعجبا من تعييني، فأنا كنت نقديا كثيرا في المجلس، كما أنني متعجب لحد الآن من طريقة تعييني وطريقة إبعادي... في التعيين كنت في زيارة إلى صنعاء العاصمة اليمنية، ضحكت عندما ناداني سفيرنا هناك بسيدي الوزير وهو يحدثني، صحت له الأمر ليخبرني أنه قد تم فعلا تعييني وزيرا في الحكومة... بعد تأكيد الخبر مررت من باريس لكي أشتري بدلات جديدة تليق بمنصبي الجديد، وعدت إلى الجزائر ليتم تنصيبني متأخرا أسبوعا كاملا. نفس الشيء حصل لي بمناسبة الإبعاد... سمعت به وأنا في زيارة لورشة بناء كوزير للسكن ».

بعد هذه التجربة الحكومية الأولى، عاد بلعياط لموقعه الوزاري في 1997 ضمن طاقم حكومة أحمد أويحيى خلال فترة حكم الرئيس زروال - ابن الولاية الأولى - في نفس الموقع الوزاري تقريبا (وزارة التجهيز والتهيئة العمرانية) إلى غاية مجيء بوتفليقة للحكم في 1999 ؛ لتكون هذه التجربة آخر علاقة له مع الهيئة التنفيذية. عكس مجلس الأمة الذي عينه فيه بوتفليقة في 2001 رغم مواقفه المؤيدة لمنافسه علي بن فليس في الانتخابات الرئاسية 2004...

« وقفت مع الأمين العام بن فليس من باب الانضباط الحزبي ».

أما الحكومة فلم يعد إليها. واستمرت علاقة بلعياط بحزب جبهة التحرير في مرحلة التعددية، كما كانت في الأحادية، احتل فيها مواقع مهمة في اللجنة المركزية والمكتب السياسي جعلته يساهم بقوة في إبعاد عبد الحميد مهري من رأس جبهة التحرير في 1996- ما سمي

بالانقلاب العلمي - المغضوب عليه نتيجة محاولة منح جبهة التحرير استقلالية أكبر في علاقاتها بالسياسة الرسمية المطبقة من رئاسة الجمهورية التي كان على رأسها ابن الولاية الأولى الجنرال ليامين زروال خلال هذا الظرف السياسي المضطرب الذي عاشته البلاد.

وزراء أبناء منطقة القبائل من الهجرة إلى العمل النقابي

خارج منطقة الهضاب العليا، ومنطقة القبائل، بالتحديد بلدية لربعاء ناث ايراثن بولاية تيزي وزو، سنجد جد عمار عزوز، نائب وزير العمل في منتصف الثمانينيات، الذي كان يعيش من ملكيته الزراعية الصغيرة في هذه المنطقة الجبلية وعرة التضاريس، ذات الكثافة البشرية العالية التي فرضت الهجرة خارجها كحلّ أمام سكانها، اقتربت في الغالب بترقية اجتماعية نقلت هذه الأوساط من موقع الملكية الفلاحية الصغيرة بالمناطق الريفية إلى العمل التجاري الحر بالمدن مهما كان بسيطا، كما حصل مع أب عمار عزوز وهو يستقر في مدينة الدويرة بالقرب من العاصمة. الهجرة التي واصلها الابن عمار بالتوجه نحو فرنسا ساعده فيها خاله الذي كان قد هاجر قبله، كما ساد عند أبناء منطقة القبائل وهم يستعملون القرابة العائلية كحامل اجتماعي للهجرة. هجرة نحو باريس شجعه عليها سوء المعاملة التي تلقاها ابن اخته من زوجة الأب التي أنجبت مع الأب لاحقا 14 طفلا. كان الشاب عمار (من مواليد 1934) منوّعا في نشاطاته بفرنسا على أكثر من صعيد نقابي وسياسي وفني، ما سيجعله أكثر قربا من اليسار داخل مؤسسات جبهة التحرير بالمهجر، وبعد الاستقلال أوصلته إلى منصب أمين عام وزارة العمل ونائب وزير للعمل (1983-86)، مرورا بموقع نيابي في البرلمان الجزائري، غادره بعد أن تيقن من ضعف لغته العربية التي لا تسمح له بأداء مهامه التشريعية على أحسن وجه...

« استقلت لأنني رفضت أن يتم التعامل معي كمتعاون تقني داخل المؤسسة التشريعية... وهو ما جعلني أطلب التوجه إلى القاهرة سنة 1976 لتعلم العربية ». تجربة الإقامة في فرنسا لمدة عشر سنوات تقريبا (1952-62) مع الأوساط العمالية المهاجرة لم تُنسِه الاهتمام بحبه الأول : الموسيقى التي تحولت إلى مهنة أساسية له بعد الاستقلال كملحن وكاتب كلمات بالأمازيغية، لدرجة دخوله السجن بعد ترجمته أغنية أم كلثوم « على بلدي المحبوب » إلى الأمازيغية، إذ حملتها الشرطة الفرنسية أبعادا سياسية مرتبطة بالحالة في الجزائر...

« ... رغم أنني لا أستسيغ كلمات أغاني أم كلثوم الصعبة بالنسبة لي، تماما كما كان الحال مع كتاب الرأسمال لكارل ماركس الذي قرأته عدة مرات دون أن أفهمه جيدا ». وبعكس الحياة المهنية ذات الوجوه المتعددة التي انطلق فيها الشاب عمار عزوز، والتي تراوحت بين النشاط الحزبي والنقابي والفني، كانت الحياة الزوجية للرجل هادئة

وتقليدية، هو الذي اختار الزواج مع عاصمية من بنات منطقة القبائل من عائلة ياسف التي كان أبوه قد تعرف على والدها في السجن أثناء الفترة الاستعمارية. لم يتمكن من الإنجاب معها، ما جعله يتنكب من أبناء عائلته وعائلة زوجته التي اختارها، كما يفعل الكثير من أبناء المنطقة المعروفين بالهجرة بكل أنواعها الداخلية والخارجية، للحفاظ على العلاقة مع وسطهم الثقافي والجغرافي الذي ابتعدوا عنه.

حياة مهنية وزواج لم يجعل الشاب عمار عزوز ينسى العودة إلى الدراسة وهو في مواقع مهنية وسياسية عديدة على رأس جريدة العامل الجزائري التابعة للاتحاد العام للعمال الجزائريين¹²² والكثير من المواقع المهنية الأخرى التي وصل إليها بعد الاستقلال في أكثر من مؤسسة اجتماعية واقتصادية، بما فيها هياكل حزب جبهة التحرير الذي انظم داخله إلى ما أطلق عليه «يسار جبهة التحرير» مع مجموعة من الوجوه، على غرار محمد السعيد معزوزي الذي يعتبره الرجل أباه الروحي والذي ارتبط به مهنيًا لوقت طويل بداية من مرحلة وصول معزوزي على رأس ولاية تيزي وزو إلى فترة وزارة العمل الطويلة التي دعمها بومدين شخصيًا. بومدين الذي لا يزال عمار عزوز يضع صورته في مكتب شركته الفنية بالعاصمة، رغم سوء التفاهم السياسي الذي اعتري علاقتهما بعد 19 جوان 1965 وإبعاد الرجل من العمل النقابي، ودخوله في المعارضة السرية عن طريق الانخراط في حركة المقاومة الشعبية ORP التي قادتها عناصر يسارية ضد انقلاب بومدين، الذي يصير الرجل على رفض تسميته بالانقلاب رغم الشائعات التي روجت ضده باعتباره انقلابًا يمينيًا ضد رئيس يساري (بن بلة). خلال هذه الفترة، تحصّل عمار عزوز على شهادة ليسانس في علم الاجتماع (1968)، وسجّل لستين في القانون، لم يتمكن من إنهاهما كموظف وطالب في نفس الوقت ربعا للوقت الذي ضاع منه هو ابن الوسط الفقير اجتماعيا وثقافيا واليتيم خلال الفترة الاستعمارية. نفس المسار المرتبط بالهجرة بصنفيها الداخلي والخارجي سنكون أمامه مع مولود أومزيان وزير العمل والتكوين المهني (1979-84) الذي وصل عمار عزوز إلى الأمانة العامة لوزارة العمل خلال فترة انضمامه إلى حكومة العقيد أحمد بن أحمد عبد الغني في بداية حكم الرئيس الشاذلي الأولى (1979-84). مولود أومزيان ابن مدينة قسنطينة بالتبني، تعود أصوله العائلية في حقيقة الأمر إلى منطقة القبائل الصغرى، بالتحديد أقبو بولاية بجاية، التي هاجرت منها العائلة نحو قسنطينة التي ولد فيها الابن مولود سنة 1920 لدى عائلة تنتمي - على مستوى جيل الجد - إلى وسط فلاحي صغير قبل دخول مدينة قسنطينة التي اشتغل فيها الأب كعامل بسيط قبل التحول إلى بيع الصوف

122. ابتعد عن موقعه داخل الثورة والعمل كرئيس تحرير بعد تغيير عنوان الجريدة إلى الثورة والعمل، ليعتد نهائيا من النقابة بعد المؤتمر الثالث (1963) الذي سيطر فيه الجناح القريب من قائد أحمد مسؤول الحزب على العمل النقابي.

كتاجر صغير. عائلة حافظت عن طريق الزواج بجهة أصلها، كما كان الحال عند الأب والابن مولود أومزيان وهو ينجب تسع أبناء كان من بينهم الطبيب والمهندس والضابط العسكري داخل صفوف الجيش الشعبي الوطني.

مولود أومزيان الذي تعلم أبجديات العمل النقابي في تونس عندما سافر للعمل هناك في مخبر بحري بداية من منتصف الثلاثينيات داخل صفوف الكونفدرالية العامة للشغل 1945cgt. للدخول إلى الجزائر بعد أحداث 8 ماي 45 للعمل كمخبري في مستشفى قسنطينة، وتمثيل العمال داخل نفس النقابة الفرنسية القريبة من الشيوعيين.

تجربة نقابية استفاد منها الرجل وهو يساهم في تكوين الاتحاد العام للعمال الجزائريين في 1956 بعد الانضمام لجبهة التحرير، في السرية دائماً، إلى غاية مغادرته الجزائر نحو المغرب في 1958. عمَل نقابي استمر فيه الرجل بعد الاستقلال في مدينة قسنطينة إلى أن تم انتخابه أميناً عاماً للاتحاد العام للعمال الجزائريين في المؤتمر الثاني (مارس 1965)...

« ... ضد إرادة السلطة القائمة التي لم تكن راضية عن وصولي إلى هذا المنصب. لتأكد نوايا النظام أكثر في 1969 بمناسبة تنظيم المؤتمر الثالث الذي سيطر عليه قايد أحمد مسؤول الحزب وعضو مجلس الثورة. لم يعد ممكناً أن أبقى أنشط في العمل النقابي بعد سيطرة حزب جبهة التحرير التي تأكدت بمناسبة هذا المؤتمر، فابتعدت نهائياً عن العمل النقابي ».

كعادة بومدين في تسيير الوجوه التي تبدو عليها علامات المعارضة لنظامه ضمن مساره المهني أو السياسي، طلب من الأمين العام السابق للنقابة أن يكون على رأس أحد الصناديق التابعة لقطاع الشغل إلى غاية 1977...

« ... إلى غاية تاريخ اقتراح ثاني قدمه لي بالتوجه نحو البرلمان كنائب عن قسنطينة بداية من 1976، رغم أنني كنت ساكناً بالعاصمة منذ مدة ».

فترة دعم فيها الرجل علاقاته مع بعض الوجوه السياسية على غرار محمد الصالح يحياوي الذي يصر الرجل أنه هو الذي كان وراء تعيينه كوزير خلال هذه الفترة الأولى لحكم الشاذلي التي كان فيها الرجل مسموع الكلمة عند الرئيس الجديد.

« ... تعرفت على يحياوي عندما كان في الحزب، كما تعرفت على الشاذلي بن جديد عندما كان في الجيش في أكثر من موقع في وهران وقبلها قسنطينة ».

الحزب الذي عاد الرجل إلى عضوية لجنته المركزية كوزير للعمل بين 1979 و1984، دون أن يتوقف عن اتخاذ مواقف نقدية منه ومن تجربته كوزير...

« في النظام السياسي الجزائري، الوزير من دون صلاحيات فعلية، عليه أن ينفذ قرارات تُتخذ خارج مجلس الوزراء، والمطلوب تطبيقها دون مناقشات كثيرة ».

الرجل الذي مازال مقتنعاً أنه كان تحت رقابة الشرطة السياسية حتى وهو وزير. قناعة ترسخت لديه عندما طلب منه العربي بلخير مراقبة الشيوعيين الموجودين داخل

هياكل وزارة العمل وهو على رأسها ؛ هي التي كانت معروفة كقطاع بحضور قوي للكثير من العناصر اليسارية القريبة من التيار الشيوعي.

الوزراء المتعلمون من أبناء الريف الفقير

سنتكلم في هذا القسم من الدراسة عن جيلٍ أصغر من الوزراء وصل إلى عضوية الحكومات عن طريق مسار زواج فيه بين التجربة السياسة والموقع الإداري الهام. ميزتهم الأساسية كانت مستويات تعليمية عالية حصلوا عليها في تخصصات علمية دقيقة في جامعات غربية في الغالب، كانت من نصيب هذه الأجيال من الجزائريين وأوصلتهم إلى مواقع وزارية كانت في الكثير من الحالات قصيرة المدة ومتذبذبة، لا يمكن تفسيرها إلا بالاضطراب الكبير الذي عرفته المرحلة السياسية التي وصلوا فيها إلى الحكومة، كما كان حال حكومات مولود حمروش (1989-91) التي استعانت بهذا النوع من الإطارات من أصحاب التجربة المهنية المشهود لهم في قطاعات عملهم التي عُرفوا بها، كما يظهر من خلال حاليّ علي راشدي ومراد خلادي اللتان لن نطيل في تقديمهما، عكس حالة محمد عبو المشابهة لهذه الفئة من الوزراء حتى وإن كان متأخرا عنهما في الوصول إلى الحكومة. وزراء لم يعودوا إلى المواقع التي انطلقوا منها داخل هذه الفئة التكنوقراطية المؤسسة التي غادرت مواقعها دون العودة إليها مرة ثانية هي صاحبة التجربة المهنية الطويلة والتأهيل العالي الذي يكون قد جعلها أكثر تحررا في علاقاتها بالسياسة.

جدّ علي راشدي الوزير المنتدب المكلف بالتعليم العالي هو الآخر الذي يمكن إضافته إلى هذه الفئة، فقد مارس الجد راشدي زراعته الجبلية بالقرب من مدينة عنابة الساحلية، المدينة التي كانت مجال التسويق الأساسي لمنتوج هذه الملكية الصغيرة المتواجدة في أعالي جبل الإيدوغ المحاذي للمدينة. أمّا الأب فكان مراقبا في مستشفى عنابة، التي تزوج فيها من إحدى بنات منطقة القبائل لينجب معها 11 مولودًا. أمّ كان لها تأثير كبير على توجهات الابن وهو يتبنى المسألة الثقافية الأمازيغية دون أن يصل إلى إجادة الحديث بها، حتى وهو يتزوج إحدى بنات منطقة القبائل التي تعرف عليها في العاصمة.

علي راشدي أستاذ الطب الذي تولى تسيير معهد الطب بجامعة الجزائر. منصب مهّد له الطريق للالتحاق بمجموعة التفكير التي كوّنوها مولود حمروش وهو على رأس الأمانة العامة للرئاسة التي كانت مشتتة لحكوماته التي أسّسها عندما وصل إلى رئاسة الحكومة، والتي غادرها علي راشدي كوزير منتدب مكلف بالتعليم العالي بعد أن نجح في تمرير قانون إنشاء معهد للثقافة الشعبية بجامعة تيزي وزو. لم تكن هذه التجربة السياسية الوحيدة لأستاذ الطب راشدي، إذ وصلت به طموحاته السياسية التي ميزت مساره إلى محاولة الترشح لمنصب رئيس الجمهورية (2004) مروراً بمواقع قيادية داخل جبهة القوى

الاشتراكية التي وصل باسمها إلى قبة البرلمان في 2002، وجبهة التحرير قبلها التي ترشح باسمها كمناضل إلى المجلس الشعبي الولائي للعاصمة في مرحلة الأحادية 1976. أحزاب غادرها الرجل بعد أزمات مع قياداتها، ليحاول تكوين أحزاب كالبدليل والسبيل لم تنجح في التوقيع داخل الساحة السياسية؛ ليختفي الرجل عن الساحة السياسية تماما بعد هذه التجارب المتنوعة في عدة أحزاب خلال مرحلتَي الأحادية والتعددية¹²³.

في أقصى الغرب الجزائري يمكن أن نضيف إلى أبناء هذه الفئة الفلاحية الفقيرة جَدّ مراد خلادي¹²⁴ كاتب الدولة للبحث العلمي الذي انضم إلى حكومة غزالي لمدة قصيرة بين فيفري وجوان 1992 خلال فترة حكم المجلس الأعلى للدولة تحت رئاسة محمد بوضياف، فقد كان الجد خلادي هو الآخر يملك قطعة أرض صغيرة بمنطقة بني سنوس الأمازيغية، بولاية تلمسان الحدودية. أمّا الأب فكان معلّمًا بالفرنسية ثم مدير مدرسة ابتدائية، المهنة التي زاولها في فرنسا ثم الجزائر. تماما كما فعل الابن البكر مراد الذي انتقل إلى الدراسة في فرنسا للحصول على دكتوراه في علوم الهندسة، بعد الحصول على منحة حكومية. إقامة في فرنسا أنهاها بعد عشر سنوات سمحت له بالتعرف على الكثير من الوجوه الطلابية بالمهجر التي عادت للعمل في الجزائر في مختلف المواقع المهنية، بما فيها الأوساط الطلابية المعارضة التي التقى مع بعض وجوهها عندما وصلت مع الرئيس محمد بوضياف إلى رئاسة الجمهورية خلال هذه الفترة الصعبة من تاريخ الجزائر السياسي.

وبعدها توجه للعمل لمدة سنتين في الولايات المتحدة في ميدان الفيزياء النووية (1974-75)، سمحت لهذا الباحث بتعلم الإنجليزية في الوقت الذي ضاعت منه اللغة العربية التي لم يستعملها لمدة طويلة في المهجر. وعاد ثانية إلى فرنسا كباحث في المحافظة الوطنية للطاقة النووية (1976-78) ليقرر الشاب السنوسي، وهو في منتصف الثلاثينيات، الدخول إلى الجزائر رغم العروض الكثيرة التي قدمها له الطرف الفرنسي في ميدان تسيير البحث النووي الحساس...

« ... فقد أحسست أنني سأتحول إلى حركي.. أنا ابن العائلة المجاهدة الذي يشعر أنه قريب من اليسار، لو قبلت العروض الفرنسية وبقيت أشتغل مع الفرنسيين ».

اهتم مراد خلادي بتسيير البحث داخل وزارة التعليم العالي أكثر من التدريس الجامعي خلال هذه الفترة التي ارتبط فيها مع أستاذة لغة إنجليزية بجامعة الجزائر أنجب معها بنتًا وولدًا واحدًا كعادة هذه الفئات الوسطى الحضرية المتعلمة قليلة الإنجاب. تمّ تعيينه على رأس مديرية البحث العلمي، بعد العمل كمستشار مع عدة وزراء، ثم انتقل إلى

123. انظر البورتري الذي أنجزناه مع علي راشدي اعتمادا على مقابلة معه. ضمن مؤلفنا : ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، دار الشهاب، الجزائر، 2011، ص 369.

124. انظر تفاصيل البورتري الذي قمنا بإنجازه مع مراد خلادي ضمن مؤلفنا : ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، دار الشهاب، الجزائر، 2011، ص 348.

الأمانة العامة للوزارة المنتدبة للبحث العلمي (1989-91)، وأخيرا كاتب دولة للبحث العلمي في حكومة سيد أحمد غزالي...

« ... التي كاد ألا يعينني فيها... فقد كانت الحكومة متهمه بضم عدد كبير من الوزراء من أبناء تلمسان مثلي ومثل رئيسها الذي يشبهني في مساره العلمي، هو المتخرج من المدرسة العليا للمهندسين ».

بعد انتهاء هذه التجربة الحكومية الطويلة في ميدان تسيير البحث العلمي في مواقع عدة، توجه الدكتور خلادي نحو العمل مع البنك الدولي - كما يحصل عادة مع الوزراء المؤهلين وهم يغادرون مواقعهم الرسمية - رغم العروض الرسمية الكثيرة التي تلقاها من مؤسسات وطنية عديدة.

عندما يصل أبناء الفقراء إلى الحكومة

محمد عبو، وزير الإعلام والثقافة في حكومة بن فليس (2001-2002)، يمكن أن يكون من الوزراء الممثلين لهذه الفئة الفقيرة والأمية في المنطقة الغربية من الجزائر، على مستوى جيلي الجد والأب؛ فكل ما كان يملكه الجد هو قطعة أرض صغيرة في ولاية غليزان كانت عاجزة عن تلبية حاجيات هذه العائلة الكبيرة من الأولاد والبنات الذين أنجبهم الوالد عامل البناء : 13 ولداً وبناتاً كان من بينهم أربعة أبناء صُم بُكم، بعد وفاة زوجته الأولى وزواجه مع ابنة خالته. زواج داخلي في هذا الوسط الاجتماعي الفقير الذي زادت صعوباته بسبب ويلات حرب التحرير في منطقة القلعة، الموطن الأصلي للعائلة، فرض عليها الهجرة إلى مدينة غليزان للإقامة في حي شعبي فقير : « فيلاج الرق ».

« كنت أقطع الطريق إلى المدرسة حافيا خوفا على حذائي الوحيد الذي كنت أملكه والذي كنت أضعه في "قلمونة" القشابية بدل لبسه ».

لم يكن أمام الطفل محمد بكر العائلة إلا التركيز على التعليم للخروج من هذه الظروف الاجتماعية بالغة السوء، وهو ما قام به للحصول على دكتوراه في الاقتصاد من جامعة Montpellier الفرنسية بعد استفادته من منحة حكومية - كما كان شائعاً خلال هذه الفترة في الجزائر وهي تنتج نخبها العملية - بالموازاة مع ماجستير حقوق بجامعة Perpignan سمحت له لاحقا بالعمل كمحام، قبل احتلال موقع رئيس جامعة وهران لمدة عشر سنوات كاملة (1979-89) الفترة التي نسج فيها شبكة علاقات واسعة على المستويين المحلي والوطني، مهدت له الانتقال إلى رئاسة الجمهورية كمستشار مكلف بالتعليم العالي خلال فترة حكم ابن تلمسان بوتفليقة، قبل الانتقال إلى عضوية الحكومة كوزير للثقافة والإعلام في حكومة بن فليس (2001-2002)...

« ... فقد تعرفت خلال فترة عملي على رأس جامعة وهران على كل ولاية الجهة الغربية وقيادات الناحية العسكرية الثانية زيادة على كل فواعل المجتمع المدني بما فيهم أبناء المجاهدين والشهداء وحزب جبهة التحرير ».

باختصار، تحوّل الرجل ابن الوسط الشعبي الفقير إلى أحد أعيان الجهة الغربية... وترشح مرتين لتمثيل ولايته الأصلية غليزان في الانتخابات التشريعية (2002 و 2007) بعد ابتعاده عن الحكومة.

« أعتقد أن بوتفليقة وجماعة الرئاسة اهتموا بي بعد سلسلة المقالات التي كنت أكتبها أسبوعيا في يومية *Le Quotidien d'Oran*. مما سمح لي بالظهور كأحد الوجوه المثقفة عبر كل الجهة الغربية من البلاد ».

وضع يفسر كيف اتخذ الرجل موقفا واضحا لصالح الرئيس بوتفليقة في صراعه مع رئيس حكومته والأمين العام لجبهة التحرير علي بن فليس، بمناسبة الانتخابات الرئاسية لسنة 2004 التي زاد فيها بقوة الاستقطاب الجهوي العمودي شرق-غرب على رأس السلطة. سعيد بن داكير، وزير النقل لمدة سنة ونصف بين جانفي 1996 وجوان 1997 في حكومة أحمد أويحيى الأولى، ينتمي إلى تلك الفئات الريفية الفقيرة - تشبه كثيرا كوست اجتماعي حالة زميله محمد عبو - التي كانت من دون ملكية تقريبا إذا استثنينا تلك القطعة الصغيرة من الأراضي التي تركها الوالد الشهيد بقرية بني فتح بالعنصر من ولاية الميلية بشرق الجزائر، وكانت لا تكفي لسد حاجيات هذه العائلات الريفية الفقيرة التي سادت لديها الملكية الصغيرة والأمية لأكثر من جيل. وأبوه شهيد توفي خلال حرب التحرير في هذه المنطقة من الولاية الثانية (الشمال القسنطيني) التي عاشت الكثير من الأحداث خلال فترة حرب التحرير لا يزال الطفل سعيد متأثرا بها جدا وهو يتحدث كيف عاش ويلاتها :

« كدت أن أقتل أكثر من مرة، مما دفع الوالدة لاتخاذ قرار الانتقال من قرية بني فتح بالقرب من العنصر إلى مدينة ميلة في 1958، بعد أن تزوجت مرة ثانية... لتنجب ثمانية إخوة وأخوات غير أشقاء كنت على رأسهم، مما حملني لاحقا مسؤوليات كبيرة إزاء إخوتي من أمي ».

للخروج من هذا الوضع الاجتماعي، الذي يصفه الابن بالفقر جدا، لم يكن أمام الطفل سعيد إلا التعويل على التعليم الذي وفرته الدولة الوطنية بعد الاستقلال... « نجحت في نيل شهادة البكالوريا سنة 1972، وتوجهت نحو بريطانيا أين تحصلت على شهادة الماستر في الرياضيات المطبقة على الإعلام الآلي، وعدت مباشرة إلى الجزائر في 1976 في وقت كانت الجزائر لا تزال تشكو من شح الإطارات العلمية... بعد أسبوع من نهاية الدراسة عدت،

نحن أبناء الفقراء لم يكن من حقنا اللهو وعيش فترة شبابنا... عدت مع اثنين أو ثلاثة من طلبة الدفعة من مجموع ثلاثين طالباً».

للتوجه مباشرة إلى قطاع النقل البري الذي ارتبط به الرجل طول حياته المهنية. « ساعدني التحكم في اللغة الإنجليزية والدراسات التي قمت بها أثناء تحضير المخطط الخماسي والتي وصلت أصدائها إلى مجلس الوزراء، فاقترحتني مديري السابق على مستوى مؤسسة للنقل البري للذهاب معه إلى وزارة التخطيط للالتحاق بمديرية علاقات التعاون الدولي، مما جعل البعض يربط بين هذا الانتقال إلى الوزارة بعوامل جهوية لوجود عبد الحميد الإبراهيمي - ابن ميله - على رأس الوزارة خلال نفس الفترة. شائعات لم تمنع الرجل من الالتحاق بالوزارة الأولى مع الإبراهيمي مباشرة بعد وصوله إلى رئاسة الحكومة... » الذي فقد الكثير من صلاحياته بهذا التعيين على رأس الحكومة مقارنة بالوزارة... بلخير كان وراء إضعافه، ثم تبعه حمروش في هذا المسعى... »

استمر الرجل برئاسة الحكومة مع قاصدي مرباح ومولود حمروش...

« ... رغم أن الجميع استمر في التعامل معي باعتباري من بقايا فترة عبد الحميد الإبراهيمي... حتى حمروش الذي عرفته ضمن مجموعة الإصلاحات قبل وصوله إلى رئاسة الحكومة، ابتعدت عنه لغاية تعييني مرة ثانية على رأس مديرية مؤسسة النقل البري من قبل وزير النقل حسن كحلوش وباقتراح منه... الرجل الذي طلب مني القبول بالمنصب بدل مديرية الخطوط الجوية الذي لمحت له به وهو يقول لي : « هذا المنصب بالذات يتطلب تدخل جهات أخرى » وهو ينظر إلى السقف. بقيت في منصبي الجديد-القديم إلى غاية تعييني كوزير للنقل في حكومة أويحيى سنة 1996... تم الاتصال بي على الثامنة والنصف صباحاً.. لم أصدق المتصل، لذا أعدت الاتصال مرة ثانية لأتأكد من المعلومة...

عندما استقبلني أويحيى قلت له أنني لا أملك إلا تجربتي ونزاهتي... فأنا أسكن في شقة من ثلاث غرف في حي الكوييماد¹²⁵. رد أويحيى كان : « أنا جارك في حي العناصر 2 ». ساءت علاقتي مع الرجل بعد أن رفض لي تعيينات في الوزارة بحجة أن التقارير الأمنية كانت ضد الأسماء المقترحة فيما يتعلق بأمور تخص حياتهم الشخصية... في الحقيقة أنا الذي غيرت رأيي في الكل، بعد أن اكتشفت أن الأمور لم تكن تسير الفوق، كما كنت أظن ». كما كان الحال مع وزراء حكومة أويحيى من التكنوقراط، ترشح بن داكير في ولايته إلى الانتخابات التشريعية في 1997 تحت راية حزب السلطة الجديد (التجمع الوطني

125. حي الكوييماد والعناصر 1 و2 من الأحياء الجديدة التي بنيت في العاصمة في عقدي السبعينيات والثمانينيات. تم إيواء الكثير من الإطارات الوسطى فيها قبل أن ينتقل أغلبيتهم إلى أحياء أرقى في أعالي العاصمة للسكن - في الغالب - في فيلات تم بناؤها في إطار سياسية تشجيع البناء الذاتي، استفاد منها الكثير من الإطارات العليا، ليكون من حظ البعض الحصول على فيلات من الفترة الاستعمارية في إطار التنازل عن أملاك الدولة بالدينار الرمزي في أحيان كثيرة.

الديمقراطي)، هو الذي رفض الانخراط في جبهة التحرير في السابق كالكثير من التكنوقراط، ليتخذ مواقف مؤيدة لصالح الطاهر بن بعيبش أمين عام التجمع ضد منافسيه بما فيهم أحمد أويحيى.

« هنا كذلك أتهمت بالجهوية، رغم أنه بالنسبة لي حسبها سياسيا، فأغلبية المجلس الوطني للحزب كانت مكونة من أعضاء منظمة أبناء الشهداء التي كانت قريبة من بن بعيبش كأمين عام سابق للمنظمة ».

موقف سياسي آخر كان له تأثير كبير على المسار السياسي للرجل لاحقا، ويتعلق الأمر برفض تأييد ترشح بوتفليقة ودعم الحزب له.

« ... ضد أن يتحول الحزب إلى لجنة تأييد ومساندة ».

موقف قد يكون وراء اختفاء الرجل لاحقا وعدم عودته لاحتلال أي موقع سياسي طول فترة حكم الرئيس بوتفليقة الطويلة.

رابح بيطاط وشريف مساعدي... اللذان كانا أكثر من وزير

مقابل هذه الفئة من الوزراء من أبناء الفئات الشعبية الفقيرة التي اعتمدت على تعليمها العالي الذي حصلت عليه في الجامعات الغربية وفي تخصصات دقيقة، للوصول إلى موقع الوزير الذي لم تستقر فيه طويلا حتى وهي تلجأ إلى التنوع في استراتيجياتها للوصول إليه، عبر الحزب السياسي والموقع البرلماني وما يضمنه لها الانتماء الجهوي والتجربة المهنية الطويلة المحصورة في الغالب في قطاع محدود عادة ما تعين لتسييره وهي تنضم للهيئة التنفيذية، ليكون هذا الموقع الوزاري خاتمة لمسارها المهني الذي تنهيه بالتوجه نحو المؤسسات الدولية الذي يؤهلها له تكوينها العالي والعلاقات الشخصية التي نسجتها.

على العكس، سنكون في حالة رابح بيطاط أمام الوجه التاريخي المعروف ؛ عضو مجموعة الستة و22 المفجرة للثورة، ووزير الدولة المكلف بقطاع النقل خلال مرحلة حكم الرئيس بومدين ومحمد شريف الذي ارتبط اسمه بتجربة حزب جبهة التحرير في ظل الأحادية، ثم وزير المجاهدين لفترة محدودة من الشخصيات السياسية المهمة التي كانت أكبر من منصب الوزير الذي عاشت توجه نحوه كمرحلة تهميش سياسي لها، ولم تكن راضية عنه رغم قبولها به احتراما لثقافة النظام السياسي التي تشربها خلال احتكاكها الطويل مع مؤسسات النظام السياسي.

لم يتمكن جد رابح بيطاط، الشخصية التاريخية المشهورة، من الحفاظ على ملكيته الزراعية الصغيرة على تراب بلدية عين الكرمة بالقرب من قسنطينة، والتي فضل بيعها ودخول مدينة قسنطينة للعمل في مهن بسيطة، كما كان الحال مع الأب لاحقا والذي احترف مهنة الحدادة ؛ ما يؤكد شعبية وفقر هذا الوسط العائلي الذي لم يخرج من حالة

الأمية التي ارتبطت به لغاية جيل الابن رابح - يفضل أصدقائه مناداته بريوج، كما جرت العادة في تصغير اسم رابح بقسنطينة - الذي لم يستفد داخل مدارسها إلا من السنوات الأولى للمرحلة الابتدائية في هذه المدينة التي وُلد فيها سنة 1925، في عائلة أنجب فيها الأب الحداد مع إحدى بنات القرارم من نفس الأوساط الفلاحية الصغيرة، عائلة مكونة من 13 أخًا وأختًا توفوا كلهم وهم صغار ولم يعيش منهم إلا الطفل رابح وأخوين آخرين (كدليل إضافي على شعبية هذا الوسط وفقره المدقع).

غادر الطفل رابح مدينة قسنطينة وكل جهة الشرق بعد وفاة الوالدة وإعادة الوالد للزواج من امرأة ثانية، وانخرط في العمل السياسي بشكل دائم، داخل حزب الشعب- حركة انتصار الحريات، في العاصمة التي ارتبط بها على المستوى السياسي لدرجة تعيينه على رأسها لقيادة الثورة في اجتماع 22 المشهور.

قبل هذا عاش بيطاط كل أهوال العمل السري في أكثر من منطقة من التراب الوطني، على غرار الجهة الغربية¹²⁶ والأوراس، قبل الانتقال إلى فرنسا ثم العودة إلى الجزائر بعد انطلاق الاتصالات لتكوين مجموعة 22 التي انضم إليها بيطاط، ليتم تعيينه على رأس منطقة العاصمة بعد أن تحفظ عليه قياديون قسنطينيون عندما سمعوا بتعيينه على رأس المنطقة الثانية (قسنطينة) بدل ديدوش مراد ابن العاصمة الذي كانوا يفضلونه.

لم يستمر رابح بيطاط على رأس منطقة العاصمة بعد إلقاء القبض عليه من الشرطة الفرنسية في مارس 1955 وإلى غاية 1962¹²⁷، تاريخ استقلال البلاد وزواجه مع المجاهدة زهرة ظريف. تعرّف رابح بيطاط في السجن أكثر على الوجوه التي كانت تنشط الساحة السياسية بالقرب من السلطة والمعارضة كحسين آيت أحمد ومحمد بوضياف وأحمد بن بلة، الذين حاول الرجل أن يصلح بينهم أثناء أزمة صيف 62.

« دخلت إلى العاصمة - بعد أن تزوجت في تونس مع زهرة ظريف - مع مجموعة الحكومة المؤقتة التي كنت عضوا فيها منذ فترة السجن. موقع لم يمنعني من التوجه إلى تلمسان للتواصل مع بن بلة وبومدين وقيادة الأركان لمحاولة حل الخلافات بين الطرفين.. دون جدوى ».

ساءت علاقات الوجه التاريخي مع رئيس الجمهورية أحمد بن بلة بسرعة، رغم المنصب الذي احتله في مؤسسات النظام كنائب رئيس مجلس الوزراء وعضو للمكتب السياسي مكلف بالحزب في بداية الاستقلال ولغاية 1964...

126. مازال بيطاط يتذكر أن الشرطة الفرنسية كادت أن تلقي عليه القبض لولا تقديمه وثيقة تثبت أنه كان لا يزال متربصا في مؤسسة صناعية. في حين كان العربي بلمهيدي يحمل معه دائما صندوق تمر يدعي أنه جاء لبيعه من بسكرة في منطقة الغرب الجزائري.

127. انظر كيف تم إلقاء القبض على بيطاط ومن المتسبب فيها حسب ماجاء في كتاب المؤرخ محمد حربي: Mohammed Harbi, *Le FLN, mirage et réalité. Des origines à la prise du pouvoir*. Éditions Naqd-Enal, Alger, p. 123.

« ... مما جعلني أقرر الهروب نحو فرنسا متنكرا على شكل عامل في ميناء العاصمة، بلباس «شغهاي» وقبعة بحار على رأسي وأنا أحمل صندوق سردين¹²⁸ حتى لا تعرفني مصالح الأمن بالميناء... بعد أن أكد لي مناضلو العاصمة الذين كانوا يتحكمون في جهاز الشرطة - على غرار زيير بوعجاج وفتال - أن بن بلة يخطط لسجني كما فعل مع الكثير من القيادات السياسية للثورة خلال هذه الفترة ».

شخصية بيطاط المهادنة هي التي تكون قد سولت لبن بلة الاتصال به في منفاه الباريسي لكي يدعوه للمشاركة في مؤتمر جبهة التحرير في 1964 بشرط ألا يتدخل في النقاش العام أثناء جلسات المؤتمر ويوافق على انتخاب بن بلة من المؤتمر مباشرة ويندد بخيضر وآيت أحمد وبوضياف.

« ردي على مبعوث بن بلة كان : فرنسا نفسها لم تشتتر علينا مثل هذه الشروط عندما كنا في سجونها ».

لم يستمر الوضع طويلا لكي يبعد بن بلة من رئاسة الجمهورية ويحصل أول لقاء مباشر بين بيطاط والعقيد هوارى بومدين رئيس مجلس الثورة الجديد الذي لم ينتسب إليه بيطاط بسبب تواجده في فرنسا أثناء التحضير له.

« بومدين شخصا هو الذي طلب مني التدخل لدى قيادة فيدرالية جبهة التحرير للجزائر العاصمة التي اتخذت مواقف معارضة من التغيير السياسي الذي أبعد بن بلة... كان يعرف أن قيادات العاصمة كانت تسمع إلي ».

ما كان متوقعا حصل في 1966 عندما عيّن بومدين هذه الشخصية الوطنية وزير دولة في حكومته، ليقاطع الرجل اجتماعات مجلس الوزراء بداية من سنة 1967...

« كنت أذهب كل يوم إلى مكتبي أطالع الجرائد وأعود إلى المنزل بعد الظهر ؛ بومدين لاحظ غيابي فأرسل لي بتفليقة الذي أخبرني أن بومدين ينتظري في المساء في بيته لمشاهدة فيلم وشرب الشاي معه... كانت هذه هي تقنية بومدين في فتح الحوار.. بومدين كان ذكيا جدا ويقدر الناس، عكس بن بلة ». مباشرة بعد هذا اللقاء، تم تعيين بيطاط وزيرا للدولة مكلف بالنقل لمدة عشر سنوات كاملة (1967-77)، علما بأن موقع وزير دولة لم يحصل عليه خلال هذه الفترة إلا شخصيات سياسية قليلة من ذوي المكانة كشريف بلقاسم العضو البارز في مجلس الثورة.

توجه رابع بيطاط بعد هذا المنصب التنفيذي نحو البرلمان ليكون أول رئيس لهذه التجربة البرلمانية الأحادية الباهتة التي انطلقت في فترة بومدين بعد المصادقة على الدستور الجديد وانتخاب بومدين رئيسا للجمهورية في 1976. موقع لم يغادره الرجل إلا في 1990 على

128. يقول رابع بيطاط : « محمد حربي هو الذي أقنع بن بلة بأنني معارض لنظامه وهو يقول له أن هناك نوعين من المعارضين : المعلن بشكل سافر، وغير الظاهر... وهو يقصدي ».

إثر استقالة تقدم بها لنواب المجلس بعد ظهور بوادر سوء تفاهم كثيرة بينه وبين المجموعة الحاكمة التي جاءت مع الرئيس بن جديد مثل جاره مولود حمروش رئيس حكومته...
 « إجراءات كثيرة لم أكن راضيا عنها مثل الإصلاحات الاقتصادية التي تمت من دون ضوابط، وتلك الاتصالات مع قيادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي تمت وراء ظهرنا، وخاصة ما كان يروّج من أفكار بمناسبة زيارات الرئيس للخارج التي أقنعه فيها الفرنسيون وحتى الألمان بأنه رجل تاريخي يملك مهاما تاريخية.. لدرجة أنه بدأ يتكلم عن سرقة الرئيس السوفيتي غورباتشوف لأفكاره الإصلاحية... اتصالات كان الهدف منها حث الرئيس على إبعاد حزب جبهة التحرير من السلطة التي اقتنع بها الشاذلي وحاول تطبيقها فعلا...»
 اختفى رابح بيطاط بعد هذه الاستقالة من رئاسة المجلس الوطني، إلا من بعض الحضور في نشاطات جبهة التحرير التي اقترب فيها من بعض الوجوه التاريخية كما كان الحال مع شريف مساعدي.

عندما كان مساعدي يريد الالتحاق بالمرشح

رغم الصعوبات المنهجية التي تخلقها حالة محمد الشريف مساعدي - وزير المجاهدين بين مارس 1979 وجويلية 1980 - للدراسة، ونحن نصنف وضعه الطبقي بداية من جيل الجدين والأب لاحقا، إلا أننا فضلنا الكلام عنه ونحن نتحدث عن هذه الفئات الشعبية صاحبة الملكية الصغيرة التي أنتجت وجوهاً سياسية قوية وحاضرة بعد الاستقلال. هو ابن هذا الوسط الفلاحي الذي استطاع، رغم ملكيته الصغيرة، أن يحسن من حالته الاقتصادية عن طريق كراء الأراضي، ما جعله يقترب من الفئات الوسطى، بعد أن اشترى رحي وحاصدات عصرية. حالة صعود اجتماعي واقتصادي أنجزها جيل الأب الذي يحسن الكتابة والقراءة بالعربية ويحفظ جزءاً من القرآن، كثقافة سائدة لدى هذه الأوساط الشعبية الريفية. مظاهر تغير اقتصادي واجتماعي وثقافي يمكن عدّها جزءاً من التحولات التي عاشها الريف الجزائري خلال فترة ما بين الحربين التي انعكست على المستوى السياسي كذلك، عبّرت عن نفسها من خلال صعود للتيارات السياسية الوطنية وطلب كبير على التعليم من أبناء هذه الفئات الريفية التي حصلت عليه لدى المنظومة التعليمية التي بنتها جمعية العلماء بكل الآثار التي تركتها على السلوكيات الثقافية لهذه الفئات الشعبية.

فقد أوقف الأب مساعدي « الزردة » التي تعودت العائلة، منذ جيل الجد، على تنظيمها لصالح زاوية سيدي محمد الهوام التي كانت قريبة منها. الأب الذي أصر على مقاطعة المدرسة الفرنسية وفضّل توجيه الابن محمد الشريف وعمره عشرون سنة (1947) نحو جامع الزيتونة بتونس القريبة، بعد الانتهاء من التعليم الابتدائي الذي أمّه

في مسقط رأسه بالمدرسة الحرة التابعة لجمعية العلماء التي كانت حاضرة بقوة في هذه المناطق من الشرق الجزائري.

لم ينتسب محمد الشريف الطالب الزيتوني إلى أي تنظيم حزبي وهو يدرس في تونس، رغم قربهِ السياسي من حزب الشعب-حركة الانتصار...

« تعاطفت مع الكثير من التيارات بما فيها جمعية العلماء، بحكم تكويني، لكنني فضلت الحركة الوطنية الاستقلالية... كنا وطنيين في العائلة... ».

وهو ما جسده الشاب الزيتوني وهو يلتحق بجيش التحرير بالقاعدة الشرقية في مارس 1955، والتي تعرف فيها على الكثير من الوجوه التي حضرت معه لاحقا فيما سمي بقضية العموري¹²⁹ (نهاية سنة 1959)، مثل أحمد دراية المدير العام للأمن الوطني بعد الاستقلال، والعقيد عبد الله بلهوشات، وحتى بومدين الذي كان في الجهة المقابلة التي حكمت على النقيب مساعدي بالتجريد من رتبته العسكرية وتوجيهه بعد العفو عليه نحو أقصى الجنوب الذي استمر فيه لغاية ما بعد الاستقلال، عكس قائد المجموعة محمد لعموري الذي نفذ فيه حكم الإعدام¹³⁰.

منطقة أقصى الجنوب التي ترشح فيها محمد الشريف لمساعدة للوصول إلى المجلس التأسيسي بداية الاستقلال، والذي ترأس فيه لجنة الدفاع والأمن التي طُوّر من خلالها علاقاته مع العقيد هواري بومدين وزير الدفاع الذي كان قد تعرّف عليه أثناء الثورة قبل محنة قضية العموري...

« كنت مرافقا له أثناء زيارته إلى الحدود في تراب المنطقة الشرقية. التيار مرّ بيننا بسهولة... كنا نتحدث بالعربية الفصحى أثناء هذا اللقاء... ».

بعد هذه التجربة البرلمانية توجه مساعدي نحو قسنطينة كمحافظ للحزب بين سنتي 1965 و1967، في هذه الولاية التي لم تتعافَ تماما من الصراعات التي عاشتها بُعيد الاستقلال بين نُخبها السياسية والعسكرية في صيف 62، واستمرت لاحقا على شكل ظهور مجموعات مسلحة في الجبال القريبة من المدينة، قيل عنها في تلك الفترة أنها تابعة لحزب محمد بوضياف المعارض (جبهة الثورة الاشتراكية).

ارتبط المسار السياسي لمحمد الشريف مساعدي منذ هذه اللحظة بما كان يسمى في تلك الفترة بجهاز الحزب - الذي سيطرت على قياداته العليا نُخب معربة من أبناء الجهة الشرقية للجزائر بعد الاستقلال - بعد أن التحق بقسم التوجيه داخله لفترة طويلة (1972 - 77) وإبعاد شريف بلقاسم الرجل القوي السابق في مجموعة وجدة وتعيين قايد

129. انظر ما كتبه المؤرخ محمد حربي حول هذه القضية في مجلة نقد الجزائرية رقم 14-15 الصادرة سنة 2001.

130. انظر ما جاء في شهادة لخضر بن طوبال وزير الداخلية للحكومة المؤقتة التي حاکمت العقيد محمد لعموري : Daho Djerbal, Lakhdar Bentobbal. La conquête de la souveraineté, Chihab Éditions, Alger, 2022, p. 155-160.

أحمد على رأسه والذي دخل هو الآخر في معارضة بومدين الذي قال عنه مساعدية أنه « وضع الحزب، طول هذه المدة، في ثلاجة ».

عاش محمد الشريف مساعدية بداية من هذه الفترة مرحلة إبعاد على مراحل، بدأت من مؤسسات حزب جبهة التحرير التي سيطرت عليه مجموعة سياسية منافسة بقيادة العقيد محمد الصالح يحياوي، ليصل الأمر إلى تعيينه على رأس وزارة المجاهدين التي عاشها الرجل كإبعاد له وهزيمة سياسية مؤقتة دامت لمدة أقل من سنة ونصف بين مارس 1979 وجوان 1980، في بداية مرحلة حكم الرئيس الجديد الشاذلي الذي وصل إلى السلطة بعد وفاة بومدين. الرئيس الشاذلي الذي يملك الرجل منه موقفا سلبيا يختلف عن الإعجاب الذي لا يزال يكنه للرئيس بومدين...

« بومدين ممثل حي للوطنية الجزائرية... وصفته بأنه أرق من الورد وأقصى من الحديد، رغم بعض هفواته السياسية كذلك التحالف مع الفارين من الجيش الفرنسي الذي كان يراه تكتيكيا فتحول إلى تحالف استراتيجي ».

عاد محمد الشريف إلى قيادة حزب جبهة التحرير بعد إبعاد محمد الصالح يحياوي، لرئاسة الأمانة الدائمة للحزب وعضوية المكتب السياسي لغاية 1988. ليتعرض إلى إبعاد نهائي من الواجهة الحزبية التي عوضه فيها عبد الحميد مهري، بعد الاضطرابات التي عرفتها الجزائر في أكتوبر 1988 والتي كانت فرنسا وراءها - حسب القراءة التي يقوم بها الرجل - وهي تقنع الرئيس الشاذلي بتحطيم جبهة التحرير...

« الرئيس ميتران دخل في اتصال مباشر مع الشاذلي عن طريق مستشاره أتالي الذي كان يقوم بزيارات مكوكية للجزائر ويقيم لأيام في إقامة زوالدة التابعة للرئاسة... المؤامرة على جبهة التحرير شاركت فيها فرنسا وأكثر من طرف أجنبي زيادة على فرنسا... أمريكا وحتى الاتحاد السوفييتي الذي أقلقناه بعلاقاتنا القوية مع الأنظمة اليسارية في أمريكا اللاتينية وإفريقيا ».

قناعة كنا قد رأيناها عند زميله رابح بيطاط الذي كان قريبا منه خلال هذه الفترة. اختفى مساعدية عن الواجهة السياسية طول مرحلة التعددية الحزبية إلى غاية 2001 تاريخ تعيينه من قبل الرئيس بوتفليقة على رأس مجلس الأمة بدل بشير بومعزة المغضوب عليه...

« علاقتي ببوتفليقة تعود إلى مرحلة قضية العموري... عندما أبعدنا إلى منطقة أقصى الجنوب التي كان يتواجد فيه عبد القادر المالي (بوتفليقة) في المرحلة الأخيرة من ثورة التحرير.

حالات وزراء معروضة تبين بشكل جلي - كما أكدته دراسات عديدة كتلك التي أنجزها المؤرخ محمد حربي - أنه ورغم كون السيطرة في إنتاج النخبة السياسية داخل

عالم الريف الجزائري على مستوى هذا الجيل (جيل الجد) ليست لصالح الفئات صاحبة الملكية الصغيرة، كما رأينا ذلك، إلا أن بروز الكثير من الأسماء السياسية المعروفة داخل النخبة السياسية بنت هذه الفئات الشعبية نفسها وما أنتجته من تصورات إيديولوجية وسياسية بعد الاستقلال، جراء قيادتها تجربة حرب التحرير والحركة الوطنية، منح حضور هذه الفئات قوة سياسية كبيرة لا علاقة لها بوزنها الفعلي على مستوى الريف بالمقارنة مع القوى المالكة الكبيرة والمتوسطة؛ فقد أنتجت هذه الفئات الشعبية الريفية الواسعة أسماءً مثل هوارى بومدين ومولود حمروش ورابح بيطاط ومحمد الشريف مساعدية وغيرهم من المشاهير السياسيين المعروفين، إذا اكتفينا بعينة الدراسة من الوزراء.

حضور سياسي وديموغرافي على المستوى البشري، وحضور سياسي نوعي على مستوى النخبة، يمكن تفسيره بالهيمنة الإيديولوجية والسياسية التي فرضتها هذه الفئات داخل المجتمع الجزائري بعد الاستقلال على وجه الخصوص وقبل ذلك داخل الريف وهي تقود الحركة الوطنية وثورة التحرير، مانحة لأدوارها المختلفة الاجتماعية والسياسية فعالية وحضوراً قد يكونان أكثر من حجمها الحقيقي والفعلي إذا نظرنا إليه من جهة الحضور الاجتماعي والاقتصادي. سمح لأبناء هذه الفئات باستعمال قربها من الفئات الشعبية لقيادة كل أنواع الحراك السياسي والفكري الذي عرفه المجتمع الجزائري بما فيها الحركات السياسية بكل أطرافها والاستفادة منها كمثلة للمجتمع الجزائري حتى على حساب أبناء الفئات الغنية والميسورة التي لم تنجح في الوصول إلى مواقع قيادة هذه الحركات السياسية.

الوزراء أبناء المدن... وعدم التجانس

رغم أن القوى الحضرية المختلفة لم تكن لها الصدارة في عملية إنتاج النخبة الوزارية على مستوى هذا الجيل (بل كانت لصالح القوى الريفية صاحبة الملكية الكبيرة والمتوسطة)، فإنها ذات حضور أكيد ومساهمة كبيرة في عملية الإنتاج، رغم ما يميزها من عدم تجانس اجتماعي، كما كان الحال بالنسبة للقوى الريفية وربما بدرجة أكثر حدة. فنحن أمام حالة شبه تساوي بين القوى الأجيال والمالكة ضمن الفئات الحضرية في عملية إنتاج النخبة الوزارية، لنجد على رأس هذه الفئات أبناء الحرفيين والمقاولين والتجار كفئة مالكة؛ فإذا كان الريف قد مثلته القوى المالكة الكبيرة والمتوسطة، فالمدينة الجزائرية يبدو أن تمثيلها كان أكثر تنوعاً وشعبية.

... أبناء التجار والحرفيين الذين استفادوا من القرب الجغرافي من المدرسة

هذه الفئات المالكة الشعبية التي تمثل البرجوازية الصغيرة، التي لم تفقد العلاقة مع الريف بشكل نهائي، سواء اجتماعياً أو اقتصادياً، إذ استمرت على شكل مبادلات تجارية ومصالح، وعلاقات اجتماعية عن طريق المصاهرة التي كانت دعامة أساسية لعلاقات

الجهة التي لم تفقد أهميتها، ليعاد إنتاجها في المدينة التي دخلها الجزائريون بشكل فجائي بُعيد الاستقلال للاستقرار في أحيائها، اعتمادا على عامل القرب العائلي والجهوي في الغالب، مما منح هذه الأحياء طابعا جهويا واضحا؛ فهذه الفئات عبّرت عن نفسها ثقافيا على مستوى اللهجات بحمولتها الجهوية، كما عبّرت عن ذلك اقتصاديا نظرا للطابع الجهوي الذي فرض نفسه على مجال العمل، كما ظهر في القطاعين العام والخاص، الذي اعتمد على العائلة والجهة كحامل اجتماعي داخل هذا الوسط واسع الانتشار الذي يمثله الكثير من الوزراء من مختلف الأجيال والجهات الجغرافية، لدرجة أننا لا يمكن أن نقوم بتقديمهم في هذا القسم من الدراسة إلا جزئيا ومن خلال حالات محددة.

موقع اجتماعي سنلاحظ أنه أصبح من الصعب الاعتماد عليه اقتصاديا لوحده بالنسبة للكثير من العائلات في ظل الزيادة الديموغرافية التي عاشتها هذه الأوساط؛ مما يجبرها على التنوع في نشاطاتها الاقتصادية، كما هو مبين من خلال الكثير من الحالات التي يتم اللجوء فيها - لدى الأجيال الأصغر سنا - إلى مهن إضافية كالتجارة الصغيرة والتعليم بمختلف أشكاله، خاصة الحر منه والقرآني الذي توسع كإمكانية بعد التحسن النسبي في انتشار التعليم بداية من جيل الأبناء.

على مستوى النخبة الوزارية يمكن أن نذكر على سبيل المثال حالة عبد الحق رفيق براحي وزير التعليم في السبعينيات ووزير الشبيبة والرياضة إلى غاية 1988، الذي كان جده من الأب تاجرا صغيرا في خنشلة بالشرق الجزائري. عبد الكريم بن محمود وزير التربية بعد 1965 كان جده هو الآخر تاجرا صغيرا بمدينة قسنطينة قبل هجرة العائلة إلى سطيف. جد لمين خان وزير الأشغال العمومية والبناء ابتداء من 1966 كان تاجرا قبل أن يتدرج إلى مهن أجيرة بسيطة، بعد صراع مع الإخوة حول إرث الأب في مدينة القل بولاية سكيكدة. في حين كان جد أحمد غزالي رئيس الحكومة 1991/1992 والوزير أكثر من مرة منذ الستينيات، كان حرفيا في مهن النسيج، كالكثير من أبناء العائلات الندرومية التي يمكن عدّها من المذن القليلة التي حافظت على جزء من صناعتها التقليدية، كما بينت ذلك الدراسات التاريخية المذكورة.

حرفة النسيج التي عُرفت عند الكثير من أبناء تلمسان وحواضرها مثل جد حاجيات كميل كاتب الدولة في حكومة غزالي في السنة الأخيرة من عمر الحكومة. المزاوجة بين العمل التجاري ونشاطات أخرى بما فيها الزراعة كانت من العادات السائدة لدى الكثير من العائلات الجزائرية خلال هذه الفترة من تاريخ الجزائر الاقتصادي والاجتماعي. من الوزراء الذين عُرف عن أجدادهم القيام بنشاطات حرفية، زيادة على العائلات التلمسانية المعروفة والمرتبطة بحرفة النسيج على وجه الخصوص نجد، جد باباس محمد الصغير وزير الصحة والسكان في بداية التسعينيات الذي كان يحترف مهنة صناعة الأحذية في قامة

بأقصى الشرق الجزائري، وهي نفس حالة جد بن يسعد حسين وزير الاقتصاد في حكومة أحمد غزالي الذي كان جده ينشط في ميدان الجلود لصناعة الأحذية في مدينة البويرة، حتى ولو أنه قد يكون دخل مرحلة الصناعة وبارح مواقعه الاجتماعية الأصلية نحو مواقع أكثر يسرا... في حين لم يغادر جد باباس محمد الصغير المرحلة الحرفية على ما يبدو.

علي هارون الذي كان يريد الاستقالة من المجلس الأعلى للدولة

أوساط اجتماعية شعبية عُرِفَتْ بها مدينة الجزائر العاصمة كانت وراء إنتاج وجوه سياسية معروفة، كما كان الحال مع جد علي هارون وزير حقوق الإنسان ضمن طاقم حكومة غزالي في بداية التسعينيات (بين جوان 1991 وجانفي 1992) وعضو المجلس الأعلى للدولة بعد ذلك (1992-94)؛ كان حَرْفِيًّا صغيراً، يخطط البرانيس بقرية قلعة بني عباس بمنطقة القبائل الصغرى التي غادرتها العائلة نحو العاصمة أين ولد الطفل علي بقصبتها في أواخر العشرينيات من القرن الماضي (1927). القصبة التي كانت الحي الشعبي الأكثر استقبالا لهذه الأوساط الشعبية من أبناء منطقة القبائل قبل أن يتوزعوا على أحياء أخرى عندما تحسنت وضعيتهم الاجتماعية.

لُيَعْرِف الأب هارون بعمله كحرفي في ميدان إصلاح كهرباء السيارات، ما مَكَّنَه من إعالة عائلته الكبيرة (تسعة أبناء وبنات)، ورغم فقره تمكن من الاستفادة المبكرة من المدرسة الفرنسية داخل مدينة الجزائر، كما كان الحال مع أبناء هذا الوسط الفقير والأمي لعدة أجيال.

أتمَّ الطفل علي هارون كل تعليمه الابتدائي بحي المرادية الذي استقبل الكثير من أبناء منطقة القبائل الصغرى، ليحصل على شهادة البكالوريا من ثانوية عقبة سنة 1946، ويلتحق بكلية الحقوق بجامعة الجزائر لمباشرة تعليمه الجامعي في سنته الأولى. تعليم أنْهَاه الطالب علي هارون في كلية الحقوق في باريس بالحصول على شهادة الليسانس ودبلوم الدراسات المتخصصة DES في 1949، ليبدأ حياته المهنية كمحام في باريس سنة بعد ذلك (1950). مهنة لم تُثْنِ المحامي ابن هذا الوسط المتعطش للعلم عن مواصلة تعليمه لغاية الحصول على الدكتوراه سنة 1974 في نفس الجامعة الباريسية، سنوات بعد استقلال البلد.

حياة علمية ومهنية لم تمنع هذا الشاب المحامي من العمل لصالح الحركة الوطنية منذ مرحلة باريس التي استهلها بالتواصل مع مقر الأمم المتحدة الذي كان متواجد في تلك الفترة في العاصمة الفرنسية، بعد التعرف على محمد يازيد الذي كان مسؤول حزب الشعب في باريس...

« توقفت عن كل نشاط أثناء أزمة الحركة الوطنية بين 1950 و1953... رفضت أن أتخذ موقفاً لصالح أي طرف - رغم أنني كنت أعبد مصالي الحاج، كالكثير من الوطنيين

الجزائريين - قبل (1955-56) تاريخ تكوين مركز الإعلام التابع للثورة بمدينة تيطوان المغربية، إثر الاتصال الذي أجراه معي بن بلة وبوضياف وليامين دباغين، ليطلب منا عban رمضان بعد ذلك التوجه إلى تونس للاستمرار في تجربة إصدار جريدة المجاهد التي صدر العدد الأول منها في تيطوان المغربية».

مرحلة تيطوان التي اكتسب منها الشاب الأمازيغي لهجته المغربية عندما يتحدث بالعربية، هو المتعود يوميا على الحديث بالفرنسية.

بعد تونس، كانت الوجهة هذه المرة إلى باريس - بعد مرور سريع على مدريد - التي عاد إليها الرجل بعد انقطاع لسنوات، للعمل كمسؤول عن الإعلام بداية من 1958 لغاية الاستقلال. تجربة سياسية مركزية كانت البؤرة الأساسية لهذا المثقف¹³¹ وهو ينسج علاقات الصداقة التي عاشها خلال هذه التجربة. فقد تعرف الرجل على وجوه سياسية وطنية ارتبط بهم لوقت طويل، كما كان الحال مع محمد بوضياف الذي كان على رأس من أقنعوه بقبول رئاسة مجلس الدولة في 1992 مع صديقه، وأبي بكر بلقايد والكثير من الشخصيات التي ارتبطت بهذه التجربة وهي تأخذ اللون السياسي العصري الذي عُرفت به لاحقا عندما زادت حدة الصراعات السياسية في الجزائر...

« كنت ولا أزال إلى آخر يوم في حياتي مع إلغاء المسار الانتخابي الذي فاز به الإسلاميون... في ظرف خاص جدا.

احتل علي هارون بهذه الصفة، مع أربع قيادات من فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير، موقعه في المجلس الوطني للثورة الجزائرية بداية من سنة 1960، وكان نائبا في المجلس التأسيسي بعد الاستقلال مباشرة (1962-64)، فترة كاد أن يتعرض فيها إلى الاعتقال من قبل نظام بن بلة الذي يملك عنه الرجل صورة في غاية السلبية...

« وصول بن بلة إلى السلطة في الجزائر بعد الاستقلال كان خطأ تاريخيا كبيرا. نظامه مثل نظام بومدين لاحقا، عانى من نقص فادح في الشرعية ».

عاد الرجل إلى الاهتمام بالشأن السياسي بعد أحداث أكتوبر 1988 - بعد انقطاع طويل اهتم فيه بحياته المهنية، إذ كان محاميا مشهورا متخصصا في قضايا المال والأعمال

131. تميز علي هارون بغزارة إنتاجه السياسي بعد الاستقلال. من كتبه يمكن أن نذكر :

La 7^e Wilaya. La guerre du FLN en France (1954-1962), Seuil, Paris, 1986.

L'été de la discorde, Algérie, Casbah Éditions, Alger, 2000.

L'éclaircie, Casbah Éditions, Alger, 2011.

Le rempart - La suspension des élections législatives de janvier 1992 face à la terreur djihadiste, Casbah Éditions, Alger, 2014.

Le Second Front - Écrits et documents de la Fédération de France du FLN 1954-1962, Casbah Éditions, Alger, 2021.

في الداخل والخارج - وهو يشارك في الندوة الوطنية للديمقراطيين التي كان على رأسها الوجه التاريخي المعروف لخضر بن طوبال...

« خلال هذه الفترة اتخذت مع زملاء محامين موقفاً من التعذيب الذي مورس ضد مواطنين أثناء أحداث أكتوبر... على هذه الخلفية اتصل بي رئيس الحكومة سيد أحمد غزالي للانضمام إلى حكومته كوزير لحقوق الإنسان، من جوان 1991 إلى جانفي 1992.. وهو يحاول إقناعي بقبول المنصب الذي سيكون أول تجربة في المنطقة العربية، في وقت عرفت فيه الجزائر الكثير من التجاوزات من كل نوع ». منصب لم يدم فيه المحامي علي هارون طويلا، وخرج منه بصورة سلبية، للانتقال إلى رئاسة الجمهورية كعضو بمجلس الدولة مع صديقه محمد بوضياف بعد استقالة الشاذلي الذي لا يزال يذكر أنه إنسان مهذب لكنه غير جدي وهو يؤدي وظيفته كرئيس... لتستمر هذه التجربة بعد اغتيال رئيس مجلس الدولة عند تعويضه بالعقيد علي كافي الذي لم تكن علاقات الرجل معه على ما يُرام...

« هددت بالاستقالة من المجلس الأعلى، بعد أن تأكد لي أن علي كافي كان يريد الترشح لرئاسة الدولة، رغم القَسَم الذي أخذناه على أنفسنا كأعضاء في المجلس بمغادرة مواقعنا بعد انتهاء فترة ما تبقى من حكم سنوات الرئيس الشاذلي... رفضت أن أسكت على هذا التجاوز وهددت بتنظيم ندوة صحفية للتعبير عن رفضي لهذا الترشح، بعد أن أعربت عن رفضي أكثر من مرة للأمر داخل المجلس.. لكن خالد نزار، الذي كان الرئيس الفعلي لمجلس الدولة، أثباني عن ذلك وقال أن فكرة الاستقالة ستعطي صورة سيئة عن المجلس للجزائريين وهم يعيشون وضعاً صعباً على جميع الأصعدة.

لم ينقطع علي هارون عن الاهتمام بالشأن العام بعد هذه التجربة السياسية التي خرج متأثراً جداً منها، بعد اغتيال صديقه بوضياف الذي كان على رأس المتصلين به لإقناعه بالحضور إلى الجزائر وترؤس المجلس الأعلى للدولة ؛ فقد التحق بحزب صديقه رضا مالك (التحالف الوطني الجمهوري) الذي كوّنه معه خلال هذه الفترة (1995)، ليستمر على المستوى الخارجي في توظيف علاقاته الدولية لشرح ما حصل في الجزائر من أحداث سياسية وأمنية وهو يدافع عن قناعاته المعادية للإسلام السياسي.

الظهور الضعيف والمتقطع لأبناء التجار المزابيين

يبقى أبناء منطقة غرداية من بني ميزاب، أبناء المذهب الإباضي، أحسن من يمثل فئة أبناء التجار داخل الحكومات الجزائرية المتعاقبة لما لهذه المهنة من حضور تقليدي بين أبناء المنطقة، تعودوا على القيام بها داخل منطقتهم وخارجها، في مدن الشمال بالجزائر وخارجها كما كان الحال في فرنسا، التصقت بهم كنشاط اقتصادي رئيسي. هم الذين

عُرفوا بتمثيلهم الضعيف داخل النخبة السياسية¹³² بما فيها الهيئة التنفيذية، كأبناء أقلية مذهبية ضعيفة الحضور الديموغرافي كما هو حال أبناء الصحراء الآخرين في الجزائر. أبناء هذه العائلات الإباضية التي تعودت على القيام بالنشاط التجاري السائد بين أبناء المذهب بالموازاة مع العمل الثقافي والتعليمي داخل وخارج الجزائر، كما كان الحال في تونس مع أعضاء البعثة التعليمية، قبل التحولات التي عرفت المنطقة بالتوجه نحو العمل الصناعي الذي أنتجته نواة رأسمالية صناعية، زيادة على النشاط الزراعي التقليدي المرتبط بالواحات الذي عُرفت به هذه الجهة الصحراوية بكل ما ميز أبناءها من جدّ في العمل المقترن بقيم التضامن الاجتماعي.

حضور ضعيف لأبناء المنطقة يمكن تعميمه على كل مواقع السلطة في الجزائر، سواء أعلق الأمر بالمجال السياسي والحزبي - كما يظهر داخل الأحزاب السياسية - أو الإداري أو العسكري الذي يكاد ينعدم، رغم التحسن الملاحظ في السنوات الأخيرة مع بروز النخبة الميزابية والزيادة في كثافتها وانتشارها، نتيجة التوسع في التعليم العالي في الجزائر الذي استفاد منه أبناء المذهب كبقية الجزائريين. وضع يعكسه ظهور أول رئيس للمجلس الشعبي الوطني بعد انتخابات 2021 ممثلا في إبراهيم بوغالي ابن قصر بني يزقن بغرداية¹³³، الذي ترشح على رأس قائمة « الوحدة والتداول » المستقلة كما هي عادة أبناء المنطقة كسلوك سياسي انتخابي يتم في الغالب بعيدا عن الأحزاب السياسية التي يبقى أبناء المنطقة ضعيفي الحضور داخلها بعد الإعلان عن التعددية الحزبية في 1989 وحتى قبلها في ظل الحزب الواحد.

في المقابل لم نسجل إلا بعض الحالات التي لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة من الوزراء الميزابين داخل الحكومات الجزائرية المختلفة منذ الاستقلال، أحصينا منهم خمسة وزراء ومندوبي وزراء¹³⁴، كما كان الحال مع أول وزير ميزابي في شخص محمد خبزي وزير التجارة في أول حكومة للجزائر المستقلة المعلن عنها في 27 سبتمبر 1962 إلى أن أعلن عن إبعاده في 4 سبتمبر 1963، بعد انفجار الأزمة مع العقيد محمد شعباني قائد الولاية السادسة

132. ناصر جاي (إشراف)، الحركة الأمازيغية في شمال إفريقيا: النخب، أشكال التعبير والتحديات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2018.

133. من مواليد 1963 حاصل على شهادة الليسانس في العلوم السياسية من جامعة الجزائر 1986. اشتغل في قطاع المالية والسياحة داخل القطاع العام. فاز على رأس قائمة الوحدة والتداول بما نسبته 11.44 من الأصوات المعبر عنها بمجموع 5260 صوتاً في هذه الانتخابات التي تميزت بضعف المشاركة فيها في منطقة ضعيفة الكثافة الديموغرافية، فلم تتجاوز نسبة المشاركة في غرداية 14.66 بالمئة مقابل نسبة مشاركة وطنية لم تتجاوز ثلث الأصوات المسجلة.

134. زيادة على محمد خبزي وزير التجارة في بداية الاستقلال، يمكن ذكر سليمان الشيخ وزير التربية والثقافة بين 1988 و1997، وعبد الوهاب بكلي وزير السياحة في حكومة عبد السلام بلعيد 1992، والشريف حاج سليمان الوزير المنتدب للبحث العلمي والتكنولوجي في حكومة حمروش 1990، وأخيرا وزير المالية حاجي بابا عمي في حكومة سلال الرابعة 2016، الذي أنهى مساره المهني بالوقوف أمام العدالة بتهمة فساد تم الحكم عليه فيها في البداية بأربع سنوات سجن لم تنفذ نتيجة إطلاق سراحه. لتضم الحكومة الحالية (2025) وزيرا من أبناء المنطقة في شخص وزير الثقافة زهير بللو.

(الصحراء) الذي كان داعمه الرئيسي في الوصول إلى هذا المنصب في إطار موازين القوى السياسية الهشة التي عرفتها مرحلة بُعيد الاستقلال.

محمد خبزي المولود سنة 1927 بمدينة بسكرة (الولاية التي ينتمي إليها العقيد المتمرّد محمد شعباني)، من أصول تعود إلى مدينة القنطرة بـمنطقة غرداية الإيباضية التي تملك فيها العائلة وضعا اقتصاديا ميسورا جدا. عاد الابن محمد إلى الاهتمام بتسيير شؤونه بعد الابتعاد عن الحكومة إلى غاية وفاته¹³⁵، كما جرت العادة عند بني ميزاب الذين لا يقطعون الصلة مع منطقتهم مهما طالت الإقامة في موطن هجرتهم الجديد... وهو ما حصل في حالة محمد خبزي في مدينة بسكرة التي تعرف فيها على الكثير من الوجوه الثورية بدءا من مرحلة دراسته التي أنهاها في ميدان المحاسبة، كما كان الحال مع العربي بن مهيدي ومحمد شعباني والكثير من الوجوه الأخرى التي أنتجتها عاصمة الزيبان بسكرة التي تعاملت مع محمد خبزي كأحد أعيان بني ميزاب وهي تستغل علاقاته الوطنية مع تجار أبناء منطقته المنتشرين في كل ربوع الوطن، زيادة على إمكانيات النقل والتخزين المملوكة لهم في نقل البضائع والرجال والأموال، للتهرب من المراقبة البوليسية أثناء ثورة التحرير.

نشاطات أهّلت الرجل لاحتلال موقع رئيس بلدية بسكرة خلال المرحلة الانتقالية التي مهدت للاستقلال، للتوجه لاحقا إلى عضوية المجلس التأسيسي، ثم عضوية الحكومة التي كان يشترط دستور 1963 أن يكون ثلثا أعضائها من النواب¹³⁶.

من الوجوه السياسية التي نالت حظا وافرا في تمثيل هذه المنطقة بكل خصوصياتها السوسيو ثقافية والمذهبية، سليمان الشيخ - ابن الشاعر المعروف مفدي زكريا خريج الخلدونية التونسية، الذي اهتمن التجارة على غرار الجدّين كما شاع لدى أبناء المنطقة، زيادة على دوره الفكري والسياسي الذي قربّه من التيار الوطني الاستقلالي ممثلا في حزب الشعب وزعيمه مصالي الحاج، مما جعله يزور السجن أكثر من مرة خلال المرحلة الاستعمارية. الرجل الذي فضل الإقامة في تونس والمغرب خلال فترة ما بعد الاستقلال تأكيدا لقناعاته المغاربية والعلاقات التي ربطها منذ تلك الفترة مع نخب البلدين، كما كان الحال مع الرئيس التونسي لحبيب بورقيبة الذي دعمه بعد بروز الكثير من علامات التوتر في علاقات الرجل مع حكام الجزائر الجدد بدءا من مرحلة بن بلة¹³⁷ إلى بومدين ولغاية وفاته في تونس في أوت 1977 - فقد احتل الشيخ سليمان موقع الوزارة لمدة عشر سنوات

135. انظر مجريات التكريم الذي نظّمته جمعية مشعل الشهيد لمحمد خبزي بالجزائر العاصمة بمناسبة ذكرى وفاته. <https://www.youtube.com/watch?v=IFFcmMZFu6k&t=2489s>

136. المادة 47 من الدستور. الذي صدر بعد الإعلان عن الحكومة. انظر : <http://www.majlisloulma.dz/index.php/ar/2016-07-19-12-56-20/2016-07-19-13-25-03/1018-1963>.

137. انظر نص الرسالة التي وجهها مفدي زكريا للرئيس بن بلة يلومه فيها ويعبر فيها عن نقاط الخلاف مع سياسته والدعم الذي وجده من الرئيس بورقيبة. في هذا الموقع في 17 ماي 1965. <https://aayaneisguen.com>

تقريبا بين 1988 و1997 كوزير للتربية والثقافة بعد تسيير جامعة الجزائر، التي تكون قد جعلته معروفا أكثر لدى أصحاب القرار، ومن بينهم رئيس الحكومة الجديد العقيد قاصدي مرباح مدير المخابرات السابق الذي طعم حكومته بعد أحداث أكتوبر 1988 بوجوه جديدة التحقت بالحكومة لأول مرة.

الدكتور سليمان الشيخ الذي كان قد سَيَّر معهد العلوم السياسية الذي انتمى إليه كأستاذ بعد عودته من دراسته العلوم السياسية في جامعة Aix en Provence الفرنسية قبل وصوله إلى منصب رئيس جامعة الجزائر، ليختار الرجل هذه الفترة للزواج من إحدى بنات المنطقة المقيمة مع عائلتها في ولاية سطيف، أنجب معها بنتين وثلاثة أولاد... ربما تعويضا عن العدد القليل من الإخوة والأخوات (بنتين وولد واحد) إذ لم يتمكن الوالد من إنجاب الكثير نتيجة الحل والترحال.

هجرة مازالت لحد الآن، يفضل أبناء المذهب أثناءها ترك نسايم في موطنهم الأصلي تحت رقابة وسطهم العائلي والاجتماعي، كما هو سائد تاريخيا كقاعدة عامة¹³⁸. هم الذين يفضلون - كقاعدة عامة أيضا - الزواج الداخلي الذي لا نجد ما يشبهه لدى أبناء المناطق الأمازيغية الأخرى، وهو مرتبط بخصوصية الانتماء المذهبي أكثر من المسألة اللغوية التي يشتركون فيها مع أبناء مناطق أمازيغية أخرى كما هو حال أبناء منطقة القبائل والشاوية الذين يعبرون عن نزعة اندماج أكثر لا نجدها حاضرة في الحالة الميزابية¹³⁹. وتبقى العوامل الديموغرافية حاضرة هنا كذلك لتفسير هذه السلوكيات من مجموعة عرقية ولغوية قليلة العدد يغلب عليها الطابع الحضري داخل فضاء جغرافي صحراوي بدوي، يجعلها تملك نقاط تشابه مع حالة الطوارق في أقصى الجنوب لنفس الاعتبارات الديموغرافية، حتى ولو اختلفت بعض الجوانب السوسيولوجية كالطابع البدوي والترحال المرتبط به الذي يميز الطوارق قبل الاستقرار في مدن المنطقة، كما يبين ذلك الباحث المتخصص في المسألة الطرقية د. ديدا بادي وهو يوجه الاهتمام إلى الأبعاد الحضرية التي تهملها الدراسات لصالح الأبعاد المركزة على البداوة والترحال لدى الطوارق، بعد الاستقرار الذي بدأ يميز الطوارق في الجزائر وباقي منطقة الساحل¹⁴⁰.

138. انظر هذه الدراسة الحديثة التي أنتجتها الباحثة نورا قليان حول تجربة انتقال التجار الميزابيين في منطقة برج بوعريريج وتنظيم حياتهم فيها :

Nora Gueliane, *L'insertion des Mozabites d'Algérie dans les territoires d'accueil, organisation et solidarité de la communauté mozabite hors du Mzab, l'exemple de la djemaa de bordj Bou Arreridj*, in <https://hal.science/hal-02508991/document>.

139. انظر القسم المخصص لمنطقة ميزاب في مؤلفنا الذي أشرفنا عليه حول المسألة الأمازيغية في شمال إفريقيا المذكور في مراجع هذا القسم من الدراسة.

140. Dida Badi, *La terre, les femmes et le pouvoir chez les Touaregs. Le cas des Kel Azjer*, in Actes du colloque identité langue et état organisé par le haut commissariat pour l'amazighité. Alger, mars 2003.

ترشح سليمان الشيخ كنائب مستقل في ولايته (دائرة بنورة) للفوز في الدور الأول لهذه الانتخابات التشريعية التي ألغي فيما بعد دورها الثاني (1992) بعد الفوز الساحق فيها للجبهة الإسلامية للإنقاذ التي فشلت في الانغراس لدى أبناء المذهب. نجاح يكون قد ساعد هذا الأستاذ الجامعي في الوصول إلى رئاسة الجمهورية كمستشار لرئيس المجلس الأعلى للدولة علي كافي سنة 1992 في عز اضطراب أداء هذه المؤسسة السياسية المركزية التي تضمن لمن التحق بها علاقات متينة ضمن شبكة العلاقات بين مكونات النخبة السياسية، تسهل الاستمرارية في المواقع والتنوع فيها، بل والعودة إليها بعد مغادرتها. تعيين سليمان الشيخ، ابن المذهب الإباضي، في مناصب على رأس وزارتي التربية والثقافة، يفيد وكأن النظام السياسي الجزائري قد تجاوز القضية المذهبية ضعيفة الحضور أصلا في الجزائر حتى ولو تعلق الأمر بمرحلة سياسية زادت فيها حدة الصراعات الدينية والثقافية بين الجزائريين، كما عبرت عنها ما سمي بأحداث غرداية بين أبناء المذهب وسكان المنطقة الآخرين من أبناء القبائل السنية المالكية¹⁴¹. لينهي الرجل مساره المهني والسياسي على عادة النخبة السياسية الرسمية بالتوجه نحو مجلس الأمة ضمن الثلث الرئاسي الذي عينه داخله الرئيس ليامين زروال سنة 1997 ليتوجه من هناك إلى القاهرة كسفير للجزائر في مصر سنة 2001 بتعيين من الرئيس بوتفليقة هذه المرة.

وزير ميزابي آخر عُيِّن على رأس وزارة السياحة في طقم حكومة عبد السلام بلعيد بين 1992 و1993، ويتعلق الأمر بعبد الوهاب باكلي المولود سنة 1940 في بريان، لأب عُرف بمهنة تجارة اللحوم التي اشتهر بها سكان مدينتي بريان والعطف بين أبناء المنطقة، وكذلك كان الحال مع الجدين التاجرين...

« ... رغم أن الوالد لم يكن شاطراً كأبناء الجهة في العمل التجاري ». لذا قرر، بعد محاولات فاشلة عديدة في أكثر من جهة من الجزائر كروبية والعاصمة، التوجه أخيرا نحو التدريس بمسقط رأسه بريان. هو خريج مدارس تونس التي تعود أبناء بني ميزاب التوجه نحوها لإكمال تعليمهم الثانوي والعالي¹⁴². تونس التي كان الأب قد تعرف فيها على الحبيب بورقيبة - كما كان الحال مع الشاعر مفدي زكريا - وعمل بالقرب من رئيس

Haut-Commissariat l'Amazighité, *Actes de colloques, Identité langue et État*, Alger, 2003, p 57-73. <https://cnrpah.academia.edu/DidaBAD>.

141. انظر مقالنا حول أحداث غرداية التي حصلت في سنة 2015 الصادر في موقع مبادرة الإصلاح العربي. تحت عنوان غرداية بين شح العمران وكثافة التاريخ. <https://www.arab-reform.net/ar/publication>.

142. لمزيد من التفاصيل حول النظام التعليمي التقليدي الخاص بأبناء المذهب يمكن العودة إلى هذه المقالة القصيرة حول معهد الحياة بالقرارة - غرداية التي كانت تستقبل منذ 1925 زيادة على أبناء المنطقة طلبة من أبناء المذهب من تونس - جربة والليبيين من أبناء المذهب.

د. عبد القادر قوبع، مدرسة الحياة بالقرارة، غرداية، النشأة والدور، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجلفة. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/196999>.

البعثة التعليمية الشيخ أبي اليقظان ليساهم أثناءها في تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

في تونس بالذات، كان الشاب عبد الوهاب قد تعرف على عبد السلام بلعيد الذي انضم إلى حكومته كوزير للسياسة. علاقة توطدت في الشهور الأولى للاستقلال في بومرداس خلال تجربة الهيئة التنفيذية المؤقتة التي مهدت لاستقلال الجزائر، عندما كان يترجم لعبد السلام من الفرنسية إلى العربية...

« هو الذي نصحني، بعد تجربة في قطاع الصناعة دامت عشر سنوات تقريبا، بالتوجه نحو الإدارة العامة للعمل كرئيس دائرة لمدة طويلة... غادرتها بعد أن تأكدت أنني لن أرتقي إلى منصب والي أو حتى أمين عام ولاية، رغم 12 سنة من الخبرة كرئيس دائرة وشهادتي الجامعية في التجارة... توجهت بعدها إلى المجلس الشعبي الوطني كنائب لغرداية سنة 1987. خلال هذه التجربة عُيِّنْتُ كرئيس لجنة التحقيق حول 26 مليار التي فجرها رئيس الحكومة الأسبق عبد الحميد الإبراهيمي... لأعود مرة أخرى إلى عضوية لجنة أستاذ القانون محند يسعد في 2001 ».

لجنة محند يسعد التي نصبت للتحقيق في أحداث منطقة القبائل... كدليل ربما عن السمعة الجيدة التي يملكها ابن بريان، واستطاع أن يحافظ عليها طول هذه المدة في زمن كانت فيه الجزائر تمر بحالة اضطراب كبيرة مست سمعة الرجال والمؤسسات، كما أكدته التعامل الرسمي مع تقارير لجان التحقيق البرلمانية التي بقيت بعيدة عن أعين المواطنين، والتي زادت في تدهور سمعة المؤسسة البرلمانية.

العمل برئاسة الجمهورية كقوة دفع لأبناء بيروقراطية ناشئة

نفس الاتجاهات السوسيولوجية التي لاحظناها عند هذه الفئات المنتمية لعالم الريف الفقير، نجدها مجسدة عند عائلة حكيمي كمال وزير السكن (1996-97) التي تنتمي إلى هذه الفئات الفلاحية الفقيرة على مستوى الجدين في منطقة بني عزيز بشمال ولاية سطيف الجبلية ذات الكثافة الديموغرافية العالية، والتي تحول فيها الأب إلى التعليم القرآني بالمواظاة مع تجارة التمور التي اهتمنها، لتحسين وضع العائلة الاقتصادي الذي أصبح من الصعب ضمانه اعتمادا على قطعة الأرض الصغيرة التي يملكها الجد... طبات.. كما يصفها الحفيد، لا يكفي منتوجها حتى للاستهلاك الذاتي للعائلة، في ظل الزيادة الديموغرافية التي عرفتها العائلة وهي تهاجر من موطنها الأصلي نحو مدينة العلمة بعد أحداث 8 ماي 1945 التي تأثرت بها الجهة بشكل كبير.

شاهدنا كيف كانت تلجأ الكثير من العائلات الجزائرية إلى المواظاة بين التعليم القرآني وبين التعليم العصري الذي تقدمه المدرسة الفرنسية بالنسبة إلى هذه الأجيال التي يذهب

فيها الأطفال إلى الكتاتيب في الصباح الباكر قبل فتح المدرسة العصرية لأبوابها على الثامنة صباحا، لنكون أمام تقسيم صارم للوقت والفضاءات الثقافية كاستراتيجية للحفاظ على العلاقة مع الموروث الثقافي التقليدي الذي يأتي على رأسه الدين الإسلامي واللغة العربية ؛ استراتيجية تقتضي من العائلات التكفل بمصاريف هذا النوع من التعليم الأهلي بما فيه أجرة المعلمين الذين يقومون بوظيفة الإمام والمعلم القرآني في نفس الوقت، والتي لم يكن من الوارد أن تتكفل بها الإدارة الفرنسية التي حاربت، بمختلف الأشكال، هذا التعليم الشعبي الذي كان تحت الرعاية التامة للمواطنين.

التحق الشاب كمال حكيمي بوزارة السكن في أول ظهور لها في 1974 عندما كان على رأسها عبد المجيد أوشيش ابن ولاية برج بوعريريج القريبة، وكان يبحث عن إطارات شابة للعمل في المواقع المهنية التي وفرتها هياكل هذه الوزارة الجديدة.

عشرون سنة قضاها هذا القاضي المتخرج من المدرسة الوطنية للإدارة للتخصص في قطاع السكن... لتكون النقلة النوعية في حياته هي ذلك الانتقال الذي قام به إلى رئاسة الجمهورية للعمل كمكلف مهمة، في فترة حكم الرئيس زروال الذي فتح أبواب هذه المؤسسة السياسية، بعد العودة إلى المسار الانتخابي وتخطي مرحلة الأزمة التي عاشتها مؤسسات الدولة بما فيها رئاسة الجمهورية عصب مؤسسات الدولة، تعرّف فيها القاضي حكيمي مباشرة على الكثير من الوجوه التي وجدها معه عند تعيينه كوزير للسكن بين 1996 و1997 ضمن طقم حكومة أحمد أويحيى خريج نفس المدرسة، وكان من بينهم بعض خريجي المدرسة الوطنية للإدارة من زملاء دفعته الذين ساهموا في تكوين حزب السلطة الجديد (التجمع الوطني الديمقراطي) خلال نفس الفترة، رغم بعدهم عن الممارسة السياسية تقليديا وعدم قدرتهم على تكوين « شلة سياسية » فاعلة، هم الذين تمت تنشئتهم داخل المدرسة ليكونوا رجال تسيير إداري وبيروقراطي وليس سياسي وعمل حزبي. حزب لم ينجح في إنتاج قيادات وطنية تحظى بالقبول، كما حاول أن يفعل أحمد أويحيى ذلك دون جدوى رغم الفراغ السياسي. حزب ترشح معه حكيمي وفاز بمنصب نائب عن ولاية سطيف في 1997 و2002 في هذه الانتخابات التي اشتكى من التزوير الذي وقع فيها، لتخرج مسيرات منددة بالتزوير في شوارع العاصمة، تميزت بمشاركة الكثير من الوجوه السياسية التابعة للأحزاب المتضررة من هذا التزوير من كل الطيف السياسي... ليختفي هذا الرجل صاحب الشخصية الهادئة دون ضجيج سياسي - كما فعل بعض زملائه - بعد انتهاء عهده الانتخابية مباشرة، والتي تعامل معها كواجب مهني.

عمار قارة محمد، الوزير المنتدب للتشغيل طول فترة حكومة مولود حمروش (لمدة 21 شهرا بين سبتمبر 1989 وجوان 1991)، من أبناء الفئات الحرفيّة التي عُرفت بها بعض ولايات الشمال القسنطيني والتي أنتجت الكثير من الحرفيين والتجار الصغار، مثلما كان

الحال مع جدّي عمار قارة محمد : التاجر الصغير من الأب والحلاق من الأم، أبناء الميلية بالشرق الجزائري. أما الأب، الذي فضل الزواج من ابنة خاله، فقد تمكّن من الوصول إلى مهنة «أوكيل قانوني»، بعد الدراسات التي قام بها في مدرسة قسنطينة التي تخرج هذا النوع من الموظفين لقطاع العدالة الخاص بالجزائريين الأهالي، خلال الفترة الاستعمارية. لم تكن الدراسة الثانوية سهلة بالنسبة لهذا الجيل (من مواليد 1940) الذي كان عليه السفر للمدن الكبرى من أجلها، لعدم توفر التعليم الثانوي في الأرياف والمدن الصغرى، بل حتى السفر خارج البلاد كما كان الحال بالنسبة للشباب محمد الذي توقف عن مساره التعليمي لمدة سنتين تطبيقا لتعليمات الإضراب الذي دعا إليه اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين في صيف 1956...

« كان علي الانتقال إلى فرنسا والمكوث هناك، حتى أنني انضمت لجهة التحرير في الدائرة السادسة بباريس أين أصبحت مسؤول الفوج... تبناني فيها بعض العمال والتجار من أبناء جهتي في باريس... كنت المتعلم الوحيد بينهم في هذا الوسط العمالي المعروف عن الهجرة الجزائرية في تلك الفترة... كنت أكتب وأقرأ لهم الرسائل التي تأتيهم من أهاليهم والرسائل الإدارية ».

بعد هذه التجربة الباريسية التي دامت سنتين تقريبا، عاد الشاب محمد إلى ثانوية سكيكدة بالجزائر لإكمال دراسته والحصول على البكالوريا في سنة الاستقلال، ثم انتقل إلى كلية الحقوق بالعاصمة أين تحصّل على الليسانس وتوجه مباشرة إلى العمل في شركة الكهرباء الوطنية سنة 1965، والتي احتل فيها عدة مواقع في قطاع تسيير الموارد البشرية، إلى غاية توجهه نحو العمل في رئاسة الجمهورية 1984 لمدة خمس سنوات كاملة كمدير دراسات في زمن الرئيس الشاذلي بن جديد. الرئاسة التي تعرف فيها على الكثير من الوجوه، على رأسهم مولود حمروش الذي كان يحتل موقع الأمانة العامة للرئاسة الذي انضمّ إلى فريق عمل الإصلاحات الذي كوّنه الرجل كرئيس فوج لعلاقات العمل بالرئاسة قبل الانضمام إلى حكومته التي عُيّن فيها وزيرا منتدبا للتشغيل.

لنكون بذلك أمام حالة أخرى يلعب فيها العمل بالرئاسة محطة مهمة قبل احتلال موقع الوزارة، بعد الدخول في شبكة العلاقات التي يوفرها العمل بمؤسسة رئاسة الجمهورية بالقرب من أصحاب القرار.

رغم التدهور الذي طرأ بسرعة على العلاقة بين الرئيس الشاذلي وهذه الحكومة التي تميزت بطريقة تشكيلها وانطلاقها الأولى، حكومة مولود حمروش التي توفرت على فرصة لم تحصل عليها حكومات أخرى في تاريخ الجزائر السياسي ؛ فقد شكلها رئيسها مولود حمروش¹⁴³ عندما كان يشغل برئاسة الجمهورية كأمين عام بين 1986 و1998، اعتمادا

143. انظر القسم المخصص لرؤساء الحكومات ضمن هذه الدراسة.

على مئات الإطارات الحاضرة في مختلف القطاعات¹⁴⁴. فرصة لم تتوفر لرؤساء حكومات آخرين. لم تمنع هذه الحكومة من تلقي الضربات من مراكز قرار من داخل الرئاسة نفسها وخارجها بعد الانطلاق في عملها الذي حصل في مرحلة انتقال سياسي واقتصادي صعبة للغاية¹⁴⁵ لم يحصل قبلها التوافق المطلوب في مثل هذه الحالات، كما كان الشأن بالنسبة للانتخابات التشريعية والتعامل مع التيارات الإسلامية الجذرية التي اكتسحت الساحة السياسية، وتكون قد أثرت على الرئيس الشاذلي نفسه الذي غيّر موقفه الإيجابي من هذه الحكومة ورئيسها...

« الرئيس الشاذلي كان يقول عن حكومة حمروش أنها أحسن حكومة منذ الاستقلال، لكن بعد ذلك تركنا وحدنا في مهب الريح ».

ترشح ابن الميلية في مدينته للانتخابات التشريعية (ضمن قوائم جبهة التحرير) التي نظمتها حكومة غزالي في ديسمبر 91 بعد استقالة حكومة حمروش إثر الإضراب الذي دعت إليه الجبهة الإسلامية للإنقاذ الذي انطلق في الأصل ضد قانون الانتخابات وتقسيم الدوائر الانتخابية على وجه الخصوص. لكن إلغاء الدور الثاني لم يسمح للرجل بالتأكد من حظوظه الفعلية بعد اجتيازه الدور الأول؛ ليكون هذا القرار آخر حضور سياسي له، كالكتير من وزراء حمروش الذين استمروا في علاقاتهم الشخصية برئيسهم، رغم فشل مشروعهم في تكوين تيار إصلاحي داخل جبهة التحرير الذي سيطرت عليه عصب منافسة بتأييد من مراكز القرار التي واجهت حكومة حمروش داخل رئاسة الجمهورية وخارجها.

بوعلام باقي، الوجه المحافظ للوطنية الجزائرية

الصعوبات المنهجية التي تكلمنا عنها أكثر من مرة ضمن هذه الدراسة، عندما يتعلق الأمر بتصنيف الأصول الاجتماعية للنخبة الوزارية اعتمادا على مهن الجدين من الأب والأم، نجدها أمامنا في حالة بوعلام باقي الذي لم يحدد مهنة واضحة للجد من الأب أثناء المقابلة معه، والذي فضل الكلام عنه كشهيد في الانتفاضة الشعبية لأولاد سيدي الشيخ التي مست الجنوب الغربي في الجزائر، موطن الرجل، عكس الجد من الأم القاضي؛ وهذا ما جعلنا نقدم بوعلام باقي اعتمادا على مهنة الجد من الأم (القاضي) وليس مهنة الأب البسيطة (حلاق) مما يعني أننا أمام حالة تدهور في المكانة الاجتماعية لهذه العائلة التي

144. Fatiha Talahit, *Réformes et transformations économique en Algérie*, Rapport en vue de l'obtention du diplôme. Habilitation à diriger des recherches. 2010, Université Paris Nord 13. <https://tel.archives-ouvertes.fr/tel-00684329/document>.

145. انظر دراستنا ضمن هذا المؤلف الجماعي تحت عنوان: كيف تولّد النظرة المبتورة إلى الآخر العنف، ص 95-122. طارق متري - ساري حنفي (تحرير)، الدولة العربية القوية والضعيفة. المآلات بعد الانتفاضات العربية، الدار العربية للعلوم ناشرين، بيروت، 2019.

يمكن تفسيرها بكل سهولة بآثار الانتفاضة الشعبية التي عاشتها المنطقة الجنوبية الغربية التي تنتمي إليها، وهي التي قد تفسر أيضا اتخاذ الابن بوعلام مواقف جذرية اقترَب فيها من التيار الوطني الاستقلالي، رغم أن مساره التعليمي كان يمكن أن يقربه أكثر من التيارات الدينية المحافظة كجمعية العلماء التي احتك بها في أكثر من مناسبة، كما حصل معه عند وصوله إلى وزارة الشؤون الدينية التي سيرتها قبله وبعده وجوه تابعة لهذا التيار، كما كان الحال مع عبد الرحمن شيبان الذي كان له موقف نقدي منه ومن تسييره بعد أن فضل النظام « أبناء الزوايا والعمائم » - كما جاء في المقابلة معه - بدل الإسلام الوسطي الذي تمثله جمعية العلماء.

باقي بوعلام الذي تم تعيينه وزيرا للشؤون الدينية في أول حكومة للرئيس الشاذلي بن جديد (1979-80)¹⁴⁶، لم يكتفِ بهذا المنصب الذي يؤهله له مساره التعليمي والمهني، بل احتل موقعا أكثر أهمية في وزارة العدل - زيادة على عضوية المكتب السياسي لجبهة التحرير - لمدة طويلة خلال فترة حساسة من تاريخ الجزائر السياسي، تميزت ببروز مؤشرات كثيرة عن توجهات سياسية واجتماعية جديدة تريد القطيعة مع ما كان سائدا خلال المرحلة البومدينية، ظهرت أكثر مع حكومات عبد الحميد الإبراهيمي التي استمر فيها بوعلام باقي في وزارة العدل لمدة ست سنوات كاملة (1980-86)، بادرت بقانون الأسرة الجديد الذي قاومته الكثير من القوى النسوية التي رأت فيه انتكاسة فكرية لحقوق المرأة في وقت برزت فيها بقوة في الحياة الاجتماعية كطالبة وعاملة، نتيجة التحولات التي عاشتها الجزائر في عقدها الثاني من الاستقلال، أخافت الكثير من القوى المحافظة.

بوعلام باقي الذي عاد، بعد هذه التجربة السياسية الهامة على رأس وزارة العدل، إلى وزارة الشؤون الدينية مع حكومة قاصدي مرباح - الذي كان زميله في حكومات فترة الثمانينيات قبل الوصول إلى رئاسة الحكومة - التي أنهى معها مشواره السياسي كوزير. لذا سيكون مفيدا بالنسبة لدراستنا التعرف على هذا الرجل كمواقع اجتماعية ومسار تعليمي ومهني لفهم هذا الحضور القوي له في هذه الفترة بالذات.

علما أن بوعلام باقي يمكن عده من الأجيال الكبيرة في السن بالنسبة للوزراء الجزائريين في عينة الدراسة، فهو من مواليد 1922 في مدينة البيض بالجنوب الغربي لعائلة تعود أصولها إلى قصر الشلالة بنفس الولاية، توفي فيها الجد من الأب في ثورة أولاد سيدي الشيخ¹⁴⁷ التي عاشتها هذه المنطقة من التراب الوطني، في حين كان الجد من الأم قاضيا والأب حلاقا بسيطا. عائلة يقول عنها الابن بوعلام بأنها رغم ذلك تملك موقعا روحيا مهما في المنطقة.

146. الرئيس الشاذلي الذي رأينا كيف جدد في النخبة الوزارية باقتراح وجوه جديدة اعتمادا على علاقاته الشخصية المباشرة، كما كان الحال مع بوعلام باقي وغيره من وزراء هذه المرحلة التي دشنها بعد وصوله إلى الرئاسة.

147. انظر هذا الموقع حول انتفاضة أولاد سيدي الشيخ، بحوص مالك، ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، 2004.

أنتم الطفل بوعلام دراسته الابتدائية في البيض، وانتقل إلى تلمسان التي أنهى فيها تعليمه الثانوي، ثم توجه إلى المعهد العالي للدراسات الإسلامية في الجزائر العاصمة، والذي تخرج منه سنة 1943. وكانت لهذه الفترة من حياته التعليمية أهمية قصوى في صقل توجهاته الفكرية والسياسية التي كان التيار الوطني الاستقلالي حاضرا فيها بدءا من ثانوية تلمسان إلى غاية معهد العاصمة...عكس جمعية العلماء التي لم تكن تهتم إلا بالبعد الروحي وليس السياسي، كما كان الشأن مع حزب الشعب.

مواقف سياسية أكدها الرجل في انتخابات 1948 تحت راية حركة انتصار الحريات الديمقراطية، ليفوز بموقع نائب في المجلس الجزائري كممثل لمنطقة الجنوب الغربي، ويسجن في جوان 1948 بعد إلقاء القبض عليه من داخل المجلس ذاته والحكم عليه بسنتين سجنا والنفي من جهته لمدة عشر سنوات...

مهنيا، توجه المعلم بوعلام باقي، مناضل حزب الشعب-حركة الانتصار، نحو مدارس جمعية العلماء - بعد أن أغلقت في وجهه أبواب المدرسة الرسمية التي كان يُدرّس فيها وفترة الحكم عليه بالسجن والنفي - في غليزان (1950-53) وسطيف لاحقا، إلى غاية 1956 تاريخ التحاقه بصفوف جيش التحرير بالولاية الخامسة. انتقل إلى المغرب بعد وعكة صحية ألمت به، ولم يمنعه تواجده في المغرب من الاستمرار في عمله بالقرب من مؤسسات جيش التحرير وجهته داخل اتحادية جبهة التحرير بالمغرب التي كلف فيها بقسم التنظيم.

عاد الرجل إلى الجزائر مباشرة بعد الاستقلال، كالأغلبية الساحقة من الجزائريين الذين فرضت عليهم ظروف الحرب اللجوء نحو المغرب أو تونس، واشتغل كمفتش تربوي في المرحلة الابتدائية ومفتش عام لاحقا، دون الابتعاد عن النشاط السياسي داخل هياكل حزب جبهة التحرير المحلية بمدينة وهران التي فضلها كمكان إقامة كالكثير من أبناء المنطقة الغربية، بعد مغادرتها من قبل الكثير من سكانها الأوروبيين، ليحتل فيها موقع نائب محافظ للحزب، إلى غاية سنة 1977 تاريخ انتخابه نائبا في المجلس التشريعي الذي انتخب داخل هياكله مقررا للجنة المالية ؛ موقع سمح له بالتعرف على الكثير من أعضاء الهيئة التنفيذية، في العاصمة مباشرة هذه المرة، ليُعيّن في منتصف عهده الانتخابية (1979) وزيرا للشؤون الدينية في حكومة العقيد عبد الغني، بعد انتخاب الرئيس الشاذلي بن جديد لرئاسة الجمهورية. ليصل لاحقا إلى عضوية اللجنة المركزية (1980) والمكتب السياسي للحزب (1993).

الرئيس الشاذلي الذي كان قد تعرف عليه مباشرة في أكثر من مناسبة، في مدينة وهران تحديدا عندما كان قائدا للناحية العسكرية الثانية لمدة طويلة...

« فقد تعرفت مباشرة على العقيد الشاذلي عندما كان رئيسا للجنة بناء مسجد عبد الحميد بن اديس، بمدينة وهران، في منتصف السبعينيات. الجمعية التي كونت محطة

مهمة للكثير من نخب الجهة الغربية، من البروز والتقرب من أصحاب القرار... كان يتصل بي بانتظام عندما كنت على رأس الشؤون الدينية بالولاية لكي اختار له من يقوم من الائمة بالوعظ والإرشاد داخل مؤسسة الجيش خاصة عندما يتعلق الأمر بشهر رمضان « الرجل مازال يحتفظ بصورة إيجابية عن الرئيس الشاذلي الذي ... كان انسانا مستقيما ومتدينا ... علما أن بوعلام باقي لم يقم بهام وعظية ودينية فقط داخل مؤسسات الدولة، فالرجل كان قد عين لوقت طويل في محكمة الجرائم الاقتصادية (1968-75) منذ مرحلة الرئيس هواري بومدين. مما يعني أننا أمام شخصية عرفت كيف تولف بين المستويات المحلية والوطنية وكيف تتعامل مع كل القوى الفكرية والدينية الحاضرة في القطاعات التي كان عليه تسييرها كما كان الحال في وزارة الشؤون الدينية التي عرف فيها كيف يتعامل مع أبناء جمعية العلماء المنافسين له على غرار أبناء الزوايا الذين عرف كيف يصل معهم إلى توازنات داخل هذه المؤسسة الحساسة.

الهادي خذيري الذي لم يكن يصلح ليكون وزيرا

ونحن نتتبع مسار عائلة الهادي خذيري، وزير الداخلية في آخر حكومة لعبد الحميد الإبراهيمي (1987) والنقل في حكومة قاصدي مرباح (1988) ومولود حمروش (1989)، سجد أنفسنا أمام عائلة تراوحت مواقعها بين العمل الحرفي الصغير، كما كان الحال مع الجد من الأب (خياط)، والتجارة الصغيرة التي كانت مهنة الجد من الأم، حتى وهو يضيف إليها مهنة تعليم القرآن التي كانت متاحة لهذه العائلة المنتمية إلى الفئات الريفية الشعبية، وهي تستقر داخل مدينة تبسة للسكن في حي الزاوية الشعبي، قادمة من منطقة الماء لبيض، بلدة دكان بالضبط.

تبسة التي تحوّل فيها الأب إلى العمل المأجور في قطاع السكك الحديدية كساعي بريد، بعد الحصول على تعليم ابتدائي باللغتين، أتيح له بفضل تواجده داخل مدينة تبسة. تنوع في المهنة لدى هذه العائلة سيزداد بروزا ونحن نكتشف مهنة القايد التي تحصل عليها عم الوالد في هذه العائلة التي تنتمي إلى قبيلة النمامشة المعروفة في منطقة الشرق الجزائري¹⁴⁸، من عرش أولاد خليفة.

أنهى الطفل الهادي كل تعليمه الابتدائي في مدينة تبسة قبل الانتقال إلى قسنطينة أين تحصّل على البكالوريا (رياضيات) سنة 1955 بعد استفادته من منحة دراسية. انتقل بعدها إلى جامعة الجزائر لدراسة الرياضيات (1955-56)، الدراسة التي لم يكملها بسبب أوضاع الحرب إثر الإعلان عن إضراب الطلبة، مما فرض على الطالب الهادي تغيير وجهته بالتوجه نحو جامعة مارسيليا سنة 1957 لإتمام دراسته الجامعية التي لم يتمكن من الاستمرار فيها بالجزائر.

148. انظر الدراسة الفرنسية التي تكلمنا عنها في المقدمة المخصصة لقياد قبيلة النمامشة.

توقف آخر عن الدراسة عاشه طالب الرياضيات هذه المرة في جامعة مارسيليا، منع من نيل شهادة الليسانس التي سجل للحصول عليها... في هذه المدينة التي نشط فيها طالب الرياضيات داخل خلايا جبهة التحرير لينسج فيها علاقات صداقة بقيت حاضرة معه طول حياته المهنية والسياسية، كما كان الأمر مع المحامي مولود إبراهيمي الذي كان حاضرا بالقرب منه كناشط حقوقي وسياسي بعد الاستقلال في أكثر من محطة.

قبل الاستقلال، توجه طالب الرياضيات نحو منطقة الحدود الجزائرية التونسية للانخراط في جيش التحرير (1960-62) أين تعرف على الكثير من الوجوه العسكرية والسياسية التي كان لها شأن سياسي في جزائر ما بعد الاستقلال، كالعقيد هوارى بومدين الذي حث الملازم الأول الهادي خذيري على البقاء في صفوف الجيش... « بومدين كان يريد منذ تلك الفترة تقوية جيش الحدود بالاعتماد على العناصر المتعلمة، بعد أن أحس أن هناك أطرافاً منافسة أخرى كانت تريد إضعافه من خلال إبعاد هذه العناصر المتعلمة عن جيش الحدود الذي اعتمد عليه في وصوله للسلطة ».

منصب متواضع كان في انتظار الهادي خذيري بعد الاستقلال مباشرة، داخل وزارة البريد كرئيس وكالة محاسبة، لمدة قصيرة، قبل الانتقال إلى منصب أهم في وزارة الخارجية كمدير للإدارة العامة، ولاحقا كرئيس ديوان مع الوزير الجديد عبد العزيز بوتفليقة، بعد اغتيال أول وزير للخارجية محمد خميسي في ربيع 1963... في وقت كانت الجزائر في حاجة إلى إطارات للعمل في المناصب الشاغرة مهما كان مستواهم التعليمي.

بعد هذه التجربة المهمة في وزارة الخارجية - رغم قصرها - وجد الهادي خذيري نفسه هذه المرة معتقلاً في سجن « دار النخلة » بالعاصمة، الذي حصل على شهرة كبيرة بين النخب السياسية خلال هذه الفترة المضطربة من سنوات الاستقلال الأولى تحت حكم الرئيس بن بلة، بعد اتهامه بحضور اجتماع أحد أحزاب المعارضة (اللجنة الوطنية للدفاع عن الثورة الجزائرية CNDR) في مدينة وهران من طرف الميليشيات التي كوّنها بن بلة تحت قيادة المدعو فتال. يقول الرجل بعد عدة عقود من هذه التجربة وهو يكاد يبكي : « بقيت سنة تقريبا في سجن لامبيز (باتنة) بعد المرور على دار النخلة... ما حَزَّ في نفسي أكثر أنني وجدت نفسي مسجوناً مع الحركي، بعد استقلال البلاد... علما أن بن بلة تأكد فيما بعد أنني لم أحضر الاجتماع، لكنه تمادى في سجنني الذي توطدت فيه علاقاتي مع أحمد طالب الإبراهيمي الذي كان مسجوناً معي خلال نفس الفترة... » ليضيف الرجل وهو يتبسم : « الغريب أن بومدين الذي كان وزيرا للدفاع ونائبا لرئيس مجلس الوزراء، استطاع أن يقنع الجميع ألا علاقة له بهذه الاعتقالات، ليكون على رأس المستفيدين منها ».

ما حصل للسجن السياسي الهادي خذيري خلال صيف 1965 يمكن أن يعطينا صورة واضحة عن الجو السياسي الغريب الذي كان سائدا خلال هذه المرحلة من تاريخ الجزائر ؛

فقد تم إطلاق سراح الرجل قبل شهر من الانقلاب على بن بلة، ليجد نفسه على رأس نيابة المديرية العامة للأمن الوطني التي كان على رأسها أحمد دراية، ابن سوق أهراس القريبة من تبسة، والذي التحق بمجلس الثورة بعد الانقلاب مباشرة.

موقع المدير العام بالنيابة الذي احتله الهادي خذيري لمدة طويلة بين 1965 و 1977 إلى غاية إبعاد دراية من هذا المنصب نحو قطاع النقل كوزير، والذي تزامن مع إبعاد أحمد بن شريف القائد العام للدرك الوطني في آخر حكومة للرئيس بومدين التي جدد فيها وتخلص من زملائه أعضاء مجلس الثورة بتعيينهم داخل الحكومة في مناصب تقنية من دون تأثير سياسي.

احتل الهادي خذيري منصب المدير العام للأمن الوطني لمدة عشر سنوات كاملة (1977-1987) خلال جزء من حكم الرئيسين بومدين والشاذلي بن جديد، تحول خلالها إلى شخصية مهمة داخل النظام السياسي الجزائري وهو يعيش تحت ضغوط الوضع الاقتصادي والاجتماعي الصعب...

« بداية من السنوات الأخيرة لحكم الرئيس بومدين، بعثت بتقارير عديدة للرئيس عن الأوضاع في العاصمة من خلال المعطيات الكثيرة التي تراكمت لدى المؤسسة... كان لا يحب العاصمة لأسباب سياسية كموقف الولاية الرابعة منه خلال أزمة صيف 62 والانقلاب على بن بلة في 65 الذي اتخذت منه النخب السياسية العاصمة موقفا معارضا، زيادة على أصوله الريفية ربما التي لم تساعده على القرب العاطفي من سكان هذه المدينة التي لم يكن يعرفها جيدا... كان عادة ما يردد : "لا يهمني موقف سكان العاصمة، لكنني أبدأ اقلق عندما أسمع أن سكان البيض أو تبسة غير راضين عن الأوضاع"... ».

لم يكتف سي الهادي - كما كان يناديه أصدقاؤه ومعارفه - بدوره المهم على رأس المديرية العامة للأمن الوطني كنائب مدير ومدير عام بعد ذلك لمدة عشرين سنة كاملة، بل تحول إلى رجل « مفتاح » داخل النظام السياسي الذي كان يطمح إلى تحسين أدائه عندما عينه الرئيس الشاذلي على رأس اللجنة الوطنية لتنظيم مؤتمر الحزب في 1984... بعد أن تحول الحزب إلى أب مزعج...

« رغم أنني حتى الآن لم أفهم لماذا عينني الرئيس في هذا المنصب المهم... حررنا الوثائق التي كان من المفروض أن تناقشها قاعدة الحزب، تكلمنا فيها عن حق المواطنين في الترشح... وصلتنا مئات المكالمات والبرقيات تنبهنا أن هناك خطأ في الوثائق التي تكلمت عن المواطنين بدل المناضلين... الاقتراح الذي تم رفضه من قبل مساعدة شخصيا الذي انتقل عندنا في مكان اجتماع اللجنة ليوقف المبادرة... ».

خذيري الذي بقي مقتنعا أن المنصب الذي حصل عليه كوزير للداخلية في آخر حكومة لعبد الحميد الإبراهيمي (1987) كان لإبعاده من رأس المديرية العامة للأمن الوطني...

« لم أكن أصلح لأكون وزيرا، دوري المهم كان على رأس مديرية الأمن التي قمت داخلها بالكثير من الإصلاحات المهمة، جعلت المؤسسة الأمنية تقف بنجاح في وجه الكثير من الأحداث المهمة، كما حصل في منطقة القبائل في 1980 وسطيف في 1984، بالاعتماد على ثقافة المؤسسة التي كرسناها بين رجالها ونسائها ».

أحداث مهمة عاشها الرجل وهو على رأس وزارة الداخلية، كما حصل في أحداث أكتوبر 1988¹⁴⁹ التي تسببت في إقالة الحكومة على وقع شائعات حول دور المؤسسة الأمنية خلالها والصراعات مع مراكز قوى سياسية داخل الرئاسة وقيادة حزب جبهة التحرير التي لم تكن موافقة على النفس الإصلاحي لسي الهادي الذي عبر عليه وهو يتقرب من القوى السياسية المدافعة على فكرة المجتمع المدني والجمعيات التي بدأت في البروز في الجزائر خلال هذه المرحلة، كما كان الحال مع صديقه القديم مولود الإبراهيمي وزميله أبي بكر بلقايد...

« مازلت مقتنعا أن التسيير السياسي الذي اعتمد على وجوه سيئة هو الذي ورط المؤسسة الأمنية التي رفضت كمسؤول عنها تدخلها في خصوصيات الحياة الشخصية للجزائريين (العلاقات مع الجنس اللطيف واستهلاك الكحول تحديدا)، عندما يتعلق الأمر بالتعيينات في المناصب العليا، مما أعطى صورة سيئة عن الشرطة لدى النخب خاصة ».

عاد الهادي خذيري إلى حكومة زميله السابق مدير المخابرات العسكرية قاصدي مرباح كوزير للنقل، المنصب الذي عُيِّن فيه مرة أخرى في حكومة مولود حمروش لوقت قصير، ليتم إبعاده في أول تعديل جزئي للحكومة في جويلية 1990...

« لم أتفاهم مع "شلة" حمروش لا داخل الحكومة ولا في الحزب، والتي وقف لي عناصرها بالمرصاد عندما اقتربت من حزب جبهة التحرير الذي أردت أن أترشح ضمن قوائم، مما فرض عليّ التقدم كمرشح حر وأُفشل في الوصول إلى المجلس التشريعي (1991) ».

بعد هذه التجربة الحكومية توجه الهادي خذيري إلى العمل الدبلوماسي لمدة أقل من سنة كسفير في تونس بين (1992-93)، لينتهي مساره المهني والسياسي عند هذا الحد.

أبناء الموظفين الصغار الذين أصبحوا كبارا

المدينة الجزائرية لا يمثلها فقط أبناء الفئات المالكة والميسورة نسبيا وأبناء البرجوازية الصغرى، فهناك كذلك أبناء الفئات الأجيرية الموظفة بمختلف مواقعها المهنية، التي تأتي في المرتبة التالية كفئة منتجة للنخبة الوزارية لما بعد الاستقلال. فئة الموظفين والعسكريين الصغار والمدرسين الذين كان حضورهم داخل هذه الشريحة أكبر من فئة الأجراء وعمال

149. انظر المقابلة المطولة التي أنجزها الصحفي سفيان سيد أحمد مع الهادي خذيري حول أحداث أكتوبر وغيرها من المحطات المهمة مثل أحداث جامعة تيزي وزو : <https://algeria-watch.org/?p=68071>.

قطاعات الصناعة والخدمات. هنا كذلك نجد أنفسنا في المدينة الجزائرية كما كان الحال في الريف أمام نفس الظاهرة الاجتماعية، إنتاج النخبة الوزارية كان أكبر نسبيا من قبل القوى الأكثر يسرا في الريف والمدينة، فقد تغلب الموظف على العامل الأجير، داخل المدينة، في عملية إنتاج النخبة السياسية الجزائرية، كما تغلبت الفئات المالكة صاحبة الملكيات الكبرى والمتوسطة على الفئات صاحبة الملكيات الصغيرة. فقد مالت الكفة في الريف والمدينة لصالح الفئات الأكثر يسرا.

مراد مدلسي، ابن تلمسان الذي اخترق الزمن السياسي

قد تكون حالة مراد مدلسي الذي وصل إلى الوزارة عدة مرات ولوقت طويل بداية من 1988 من أكثر الحالات تمثيلا لأبناء هذه الفئات البيروقراطية الصغيرة على مستوى جيليّ الجدّين والأب. فقد كان الجد من الأب مسيرا لفندق في مدينة تلمسان، في حين كان الجد من الأم مساعد موثق في نفس المدينة؛ لنلاحظ استقرارا اجتماعيا عند هذه العائلة التي احتل فيها الأب نفس المواقع تقريبا وهو يتزوج من ابنة عمه، حفاظا على هذا التميز مهما كان بسيطا داخل مجتمع تسيطر عليه الأمية والفقر، تحوّل فيه الحصول على منصب عمل ودخل مالي دائم إلى ميزة كبرى. هو الذي كان موظفا صغيرا في قطاع الصحة، ليستقر في الأخير كموظف في البلدية. وظائف فرضت على الأب - كما كان الحال في تلك الفترة - التنقل بين عدة مناطق من التراب الوطني، ما جعل الابن مراد يتلقّى دراسته الابتدائية في مدينة سوق أهراس بأقصى الشرق الجزائري، هو ابن أقصى الغرب. مواقع مهنية للجدّين والأب كانت تفترض الحصول على مستوى تعليم ابتدائي بالفرنسية تحديدا للوصول إلى هذه المواقع المهنية التي لم تكن متاحة للكثير من الجزائريين في هذه الفترة التاريخية؛ على عكس هذه الفئات الحضرية من أبناء تلمسان التي كانت السبابة في إنتاج هذه البيروقراطية الصغيرة التي عُرفت بها المدينة، كما رأينا ذلك ونحن نتكلم عن شروط انتشار التعليم بين الجزائريين خلال المرحلة الاستعمارية، والتي يتحكم فيها نوع من القرب الجغرافي، استفاد منه أبناء المدن قبل غيرهم ابتداءً من جيل الجدّين وحتى الأم التي تمكنت من الخروج من الأمية كدليل على هذا التميز الذي عُرف به أهل تلمسان من أبناء هذه البيروقراطية الناشئة.

مسار تعليمي دعمه الابن مراد (من مواليد 1943) الذي تلقّى تعليمه الثانوي في مدينة تلمسان، قبل الحصول على البكالوريا في أول سنة للاستقلال (رياضيات) والتوجه إلى فرنسا لإنجاز دراسات في الرياضيات والفيزياء، لم يتمكن الطالب مدلسي من الانطلاق فيها...

« عدت مع حوالي 300 طالب تلبية لنداء بن بلة الذي طلب منا العودة إلى الجزائر التي كانت في حاجة إلينا مباشرة في الشهور الأولى للاستقلال... للمساهمة في معركة البناء كما كان شائعا خلال تلك الفترة ».

توجه مراد مدلسي عند دخوله إلى الجزائر، نحو معهد الاقتصاد بجامعة الجزائر للحصول على ليسانس في هذا التخصص (1966) سمحت له بالعمل وحتى الزواج وهو لا يزال طالبا، كما كان الحال بالنسبة لهذه الأجيال التي استفادت من شروط الانطلاقة التي ميزت هذه الفترة بما كان فيها من فرص كثيرة متاحة أمام الشباب المتعلم.

تنقل مراد مدلسي بين عدة مؤسسات صناعية كان من بينها سونلغاز والشركة الوطنية للتبغ لاحقا، بعد تجربة شركات القطاع الصناعي المختلط بين الجزائر وأطراف أجنبية فرنسية وسويسرية في ميدان الإعلام الآلي والهياكل القاعدية، ليصل في 1980 وإلى غاية 1988 إلى الأمانة العامة لوزارة التجارة التي كانت آخر منصب له قبل الوصول إلى عضوية الحكومة في نفس قطاع التجارة ضمن حكومة قاصدي مرباح التي عُرفت كتجربة بأنها « حكومة الأمناء العامين » التي تشكلت منهم، كما كان الأمر مع مراد مدلسي، الأمين العام لوزارة التجارة لمدة ثماني سنوات كاملة، اشتغل فيها مع عدة وزراء، منهم : محند شريفي وعلي أوبوزار وعبد العزيز خلاف ومصطفى بن عمر...

« خلال هذه الفترة عرفت الكثير من الوزراء لأنني كنت أحضر اجتماعات مجلس الحكومة عند غياب وزير القطاع... قاصدي مرباح هو الذي اتصل بي... ولأنه لم يجديني في المنزل أعدت الاتصال به في المساء ليبادرني : "عندي منصب وزير في الحكومة أقترحه عليك... ما هو رأيك؟" ثم تدارك بسرعة قائلا : "هذا أمر..." »

بعد استقالة حكومة مرباح، عاد مدلسي إلى الحكومة مع سيد أحمد غزالي الذي لم يكن يعرفه شخصيا، رغم الأصل الجغرافي الواحد والانتماء لنفس المواقع الاجتماعية والجيل نفسه...

« كنت أعرف إخوة غزالي. تعرفت عليه هو عندما كان وزيرا معي في حكومة مرباح الذي يصفه بأنه "كان مشككا كثيرا" عكس غزالي الذي كان أكثر جماعية في العمل ». موقف إيجابي من عمل غزالي كرئيس حكومة لم يمنعه من وصف التجربة التي عاشها معه كوزير منتدب للمالية (1991-92) مع وزير المالية بن يسعد بأنها « كانت أسوء تجربة مهنية-سياسية عشتها في حياتي... كل وقتي ضاع في حراسة متبادلة بيني وبين الوزير حسين بن يسعد الذي كان مقربا من جبهة القوى الاشتراكية... إلى غاية إقالته وأخذ غزالي مكانه كوزير للمالية إضافة إلى رئاسة الحكومة ».

مسار سياسي صاعد تميز به مراد مدلسي بعد وصول بوتفليقة ابن تلمسان إلى الحكم، فقد عاد الرجل إلى وزارة التجارة (1999-2001) كما كان الحال مع مجموعة بوتفليقة

من الوزراء المقربين منه الذين تربطهم به علاقة الجهة، والذين يقومون بالانتقال بسهولة بين الحكومة ورئاسة الجمهورية كمستشارين، كما حصل مع مدلسي لمدة ثلاث سنوات بين 2002 و2005 للعودة إلى الحكومة كوزير للميزانية (2005-2007) للانتقال إلى وزارة الخارجية لمدة أطول فاقت الست سنوات (2007-2013)، جعلت الرجل يتحدث عن جهوية معكوسة (Un régionalisme à rebours) وهو يتكلم عن هذا الحضور المتميز لأبناء المنطقة الغربية في مراكز السلطة بداية من هذه الفترة، لم تمنعه من العمل مع بوتفليقة بعد أن كان قد اشتغل مع سيد أحمد غزالي الذي اتخذ مواقف معارضة واضحة من الرئيس الجديد. اشتغل مدلسي مع كثير من رؤساء الحكومة خلال حكم بوتفليقة الطويل (أحمد أويحيى، علي بن فليس، عبد العزيز بلخادم...)، ليعرف الرجل نفس الاستقرار على رأس المجلس الدستوري الذي احتله بين 2013 و2019 لحين وفاته في 28 جانفي 2019. المؤسسة التي أصبحت ذات أهمية قصوى ضمن استراتيجية بوتفليقة وهو يقرر البقاء في السلطة بعد تعديل الدستور وفتح العهود الرئاسية (2012).

الشيخ بوعمران الذي شاهده الرئيس الشاذلي في التلفزيون

زيادة على حالة مراد مدلسي، يمكن أن نضيف بعض الوزراء من أبناء مناطق وأجيال مختلفة إلى هذه الفئات البيروقراطية الجديدة المرتبطة بالإدارة الفرنسية التي عرفت صعودا قويا خلال فترة الجدين، كما بيّنا ذلك في بداية دراستنا ونحن نتحدث عن التحولات السوسيو-سياسية التي عاشها المجتمع الجزائري وهو ينتج نخبه السياسية داخل الفضاءات الحضرية تحديدا التي توجه الجزائريون للعيش فيها بداية من القرن العشرين نظرا للفرص التي وفرتها الإدارة الفرنسية وهي تتوسع في تأطير المجتمع الجزائري، تمامًا كحالة جد الشيخ بوعمران وزير الثقافة في بداية مرحلة التعددية السياسية الذي لم يدم فيها أكثر من أربعة أشهر بين جوان وأكتوبر 1991 في حكومة سيد أحمد غزالي¹⁵⁰، التي وصلها في ظرف سياسي يتسم بالكثير من الاضطراب، بعد مسار جامعي طويل كأستاذ للفلسفة في جامعة الجزائر، وحصوله على الدكتوراه من جامعة السوربون في 1974 وهو في الخمسين من العمر (من مواليد 1924).

حالة ابتعاد عن الحكومة في هذا الوقت القياسي، تُبَيِّن بشكل سافر فوضى عملية انتقاء النظام السياسي الجزائري لوزرائه خلال هذه الفترة، مما جعل الرجل لا يستقر في منصبه إلا مدة عطلة الصيف... لتلاحقه شائعات كثيرة حول تاريخه السياسي الذي تميز بانعدام أي مشاركة في الحركة الوطنية وثورة التحرير، جعلت بعض مؤسسات الدولة النافذة تقف

150. انظر المزيد من التفاصيل حول سيرة الشيخ بوعمران المهنية وشهادة سيد أحمد غزالي رئيس الحكومة في ظروف تعيينه ضمن مؤلفنا: ناصر جاني، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، دار الشهاب، الجزائر، 2011، ص 281.

في وجه تقليده أي منصب سياسي، الأمر الذي عوضه بحضور لافت على مستوى المشاركة في الكثير من اللجان العلمية والجمعيات كاتحاد الكتاب الجزائريين والنقابات، وكما كان الحال مع نقابة أساتذة التعليم الابتدائي التي وصل إلى رئاستها في فترة سيطرة حزب جبهة التحرير عليها في 1969، زيادة على الكشافة الإسلامية واللجنة الوطنية لليونيسكو.

رغم شهاداته العلمية وحضوره الإعلامي الكبير، تحفظ عليه صاحب القرار الرسمي ؛ وقد يكون ذلك مرتبطاً - حسب بعض الشائعات - بدور محتمل للرجل في مراحل محددة من تاريخ ثورة التحرير في سنواتها الأخيرة، في علاقة بملف المفاوضات بين جبهة التحرير والجانب الفرنسي الذي كان يشجع على بروز قوة ثالثة تتكلم باسم سكان الجنوب... وقد يفسر من جهة أخرى حالة الاضطراب المهني التي عاشها الرجل في المراحل الأولى للاستقلال وجعلته لا يستقر في موقع مهني واحد، انتقل فيها للعمل كمفتش للتعليم الابتدائي بين ثلاث ولايات مستغانم ووهران والأغواط (1959-62) لكي يقبل بمناصب متواضعة في مؤسسات التعليم الجامعي كمدير لمعهد الفلسفة بجامعة الجزائر (1965-1991)، رغم شهادته العلمية وحضوره الإعلامي الذي جعل الرئيس الشاذلي بن جديد صاحب الثقافة السمعية البصرية يبادره بالقول عند تقديمه له في أول اجتماع لمجلس الوزراء : « نعم أنت أعرفك.. شاهدتك في التلفزيون ».

وضع زاد في اضطراب مسار الرجل بعد بروز خلافات عائلية مع حفيده، وصلت إلى الصحافة الوطنية وهو على رأس الوزارة في صيف 91 ؛ ليختفي الرجل عشر سنوات كاملة عن الأنظار، إلى غاية تعيينه على رأس المجلس الإسلامي الأعلى في 2001 لغاية وفاته في سنة 2016 وتعويضه بأستاذ فلسفة آخر بمسار سياسي وفكري مختلف على رأس هذه المؤسسة التي لم تعرف كيف تتحول إلى مركز إشعاع ثقافي وديني كانت الجزائر في أمس الحاجة إليه وهي تعيش حالة استقطاب حاد حول المسألة الدينية. تعيين لم ترض عنه الكثير من الأوساط الإسلامية الحاضرة في المجلس التي لم تتعامل معه كأحد أبنائها وهي تلاحظ هذا التغيير في مقاييس التعيين لدى الجهات الرسمية التي تعاملت مع المجلس الإسلامي الأعلى بمقاييس تختلف عن تلك الحاضرة عندما يتعلق الأمر بالتعيين في المواقع الحكومية.

موقع مهني قريب من ذلك الذي ميز جد الشيخ بوعمران، يمكن أن نضيف إليه جد وزير البريد وتكنولوجيا الإعلام في حكومة علي بن فليس (2002-2003) المنتمي إلى جيل أصغر : يويي زين الدين (المولود في 1961) الذي تعود أصول عائلته إلى بلدية عمي موسى في ولاية غليزان، رغم أن العائلة كانت قد استقرت بفرندة، ولاية تيارت، التي اشتغل فيها الجد من الأب موظفا في الدائرة، في حين كان الجد من الأم مالكا زراعيا كبيرا في هذه المنطقة من الهضاب العليا المعروفة بجودة أراضيها الواسعة المخصصة لإنتاج الحبوب

والرعي. الارتباط بالعمل في الوظيفة العمومي الذي استمر عند عائلة يوبي لأكثر من جيل أكده توجه الأب للعمل في سلك الشرطة الذي سمح له به مستواه الدراسي الابتدائي. الدكتور يوبي زين الدين الذي كان ضمن مجموعة الوزراء الجدد الذين وصلوا إلى الحكومة مع الأمين العام لجهة التحرير علي بن فليس (2002-2003) من الذين تميزوا بمسارهم العلمي الأكاديمي (أستاذ علوم الطيران خريج مدرسة تولوز العليا)، لم يمنع ابن الشرطي المنضبط من الانخراط في جبهة التحرير وهو طالب بجامعة وهران في 1983، ليكون على رأس قائمة جبهة التحرير التي رشحته للانتخابات التشريعية في 2002 في ولاية البليدة التي كان يتأخر جامعتها بعد تسييره لمعهد الطيران بنفس الجامعة، ما سمح له بتطوير علاقاته مع المؤسسة العسكرية في هذه المدينة التي تشتهر بثكناتها العسكرية الكثيرة كمقر للناحية العسكرية الأولى.

ليكون الوزير يوبي على رأس قائمة الوزراء الذين أبعدهم الرئيس بوتفليقة مباشرة بعد إقالة علي بن فليس من رئاسة الحكومة، هو الذي كان المسؤول الأول عن حملته الانتخابية وهو يترشح للانتخابات الرئاسية في مواجهة بوتفليقة الذي قيل له من محيطه أن الوزير يوبي كان ضمن المجموعة المقربة من رئيس الحكومة داخل الحزب والحكومة مما يتطلب إبعاده... كما كان الشأن مع الوزراء الآخرين على دفعات. إبعاد توجه على إثره الوزير الشاب نحو الاهتمام أكثر بمساره الجامعي الذي ربطه بعالم المقاولات الخاصة. حميد سيدي السعيد وزير البريد والمواصلات ثم الصحة في حكومة مولود حمروش (1989-91)، عُرف جده من أبيه بمهنة خوجة، وهاجر أبوه للعمل في القطاع الصناعي كعامل أجير في مصانع شركة رونو للسيارات بفرنسا، كالكثير من أبناء منطقة القبائل التي تميز أبنائها بهذه الهجرة العمالية كما عرفنا ذلك في عدة حالات من هذه الدراسة. حميد سيدي السعيد، وحيد والده الذي التحق بالحكومة عبر منصب الولاية الذي احتله في تيزي وزو وقسنطينة وعنابة بين 1979 و1984، في أوقات صعبة عاشتها هذه المدن في ثمانيات القرن الماضي كأحداث أكتوبر 1988 ومظاهرات قسنطينة 1986 وقبلها أحداث الربيع الأمازيغي التي اشتهرت بها ولاية تيزي وزو 1980، كممثل من أصول قبائلية لهذه النخبة التي ارتبطت بحزب جبهة التحرير خلال مرحلة الأحادية، إضافة إلى العمل الإداري الذي ارتبط به بعد التخلي عن العمل في التعليم الابتدائي بالفرنسية الذي بدأ به حياته المهنية، نتيجة تواضع مستواه التعليمي الذي لم يوصله إلى المرحلة الثانوية¹⁵¹. علاقة مع جبهة التحرير لم تستمر على نفس المنوال بعد الإعلان عن التعددية، مما جعل الرجل يستقيل من اللجنة المركزية للحزب تعبيرا منه عن رفض موقف الحزب من القضية الأمازيغية التي

151. من قلائل الوزراء غير الجامعيين، حاصل فقط على شهادة مستشار تعليم ولم يتجاوز المرحلة التكميلية من التعليم.

لم تعجبه. هو الذي كان لفترة طويلة جزءًا من النخبة القبائلية الحاضرة لتمثيل الجهة داخل الحزب والإدارة العمومية في المرحلة الأحادية... كما ساد لدى هذه العائلة التي أمدّت مؤسسات النظام بالكثير من الوجوه، كان منها ابن العم عبد المجيد الأمين العام للاتحاد العام للعمال الجزائريين، والابن كمال مسؤول الإعلام في رئاسة الجمهورية منذ وصول عبد المجيد تبون إلى رئاسة الجمهورية الذي كان واليا مثل الأب.

أبناء القطار الذين وصلوا من جهات مختلفة

عكس التعليم وبعض المهن التقليدية الأخرى، العمل في قطاع النقل بالسكك الحديدية لم يكن منتشرًا بالقدر الكبير، وبالتالي ليس معروفًا بين الجزائريين، رغم الظهور القديم للقطاع نسبيًا في البلد كما يؤكده انطلاق أول خط سكة حديد في 1853¹⁵² بين البلدة والعاصمة ضمن حالة استعمارية، وقبل ذلك في منطقة عنابة اهتم أساسًا في بدايته باستغلال مناجم الحديد بالشرق الجزائري وبشار (منجم القنادسة) لاحقًا والمساعدة على تصدير المنتجات الفلاحية، عبر موانئ المدن الساحلية، قبل التوسع كوسيلة نقل للمسافرين. مهن لم تكن تنتظر ظهورها على مستوى جيل الجدين إلا في حالات استثنائية، لارتباط هذه المهن بالتعليم الذي كان قليل الانتشار بين الجزائريين لدى جيل الجدين، كما ستبينه الحالات المعروضة في هذا القسم من الدراسة التي تؤكد الحالة الكولونيالية المعروفة في الجزائر على مستوى عالم الشغل الذي تتم بموجبه سيطرة أبناء الأقلية الأوروبية على مواقع العمل العليا وحتى المتوسطة في بعض الأحيان عندما نكون أمام قطاع مهني جديد.

كما كان حاصلًا في قطاع النقل بالقطار المعروف بأرستقراطية العمالية التي لم يستفد منها أبناء الجزائريين إلا كاستثناء حتى وهم يحصلون على مواقع مهنية دنيا بالنسبة للأوساط التي تمكنت من الحصول على موقع عمل دائم في هذا القطاع المتميز بقوة تأطيره النقابي وظروف عمله المعقولة مقارنة بقطاعات الشغل الأخرى التي كانت من نصيب الجزائريين، ليكون حظ بعض الأوساط الاجتماعية من سكان المدن الكبرى والمتوسطة أحسن بعد الاستفادة التي نالتها قبل ذلك من التعليم.

كان هذا حال جد محمد الصغير باباس من الأم، العنابي، الحاصل على شهادة الكفاءة من ثانوية دلس التقنية. الجد الذي ربط بين هذه المهنة وبين الانخراط في العمل النقابي، بل وحتى النشاط الحزبي الذي اقترب فيه من الحزب الشيوعي. يقول الحفيد: « لقد أثر كثيرا على تربيتي، بعد انتقالنا للعيش معه في عنابة طول مرحلة الدراسة الابتدائية »، في غياب الأب المسجون بعد حوادث 8 ماي 1945 التي اشتهرت بها مدينة قالمة الموطن الأصلي لعائلة باباس.

152. <https://www.cdha.fr/la-premiere-ligne-de-chemin-de-fer-en-algerie>.

عناية الساحلية المعروفة بانفتاحها الاجتماعي ودور المرأة المتميز داخلها عند هذه الفئات « البلدية » الميسورة التي تنتمي لها عائلة الجد من الأم محمد بن الصديق، المعروفة بملكيتها العقارية ويسرها المادي. تأثير الجد الذي يكون قد ظهر لاحقا عند الشاب محمد صغير وهو يقرر الارتباط بسيدة فرنسية للزواج منها وإنجاب طفل واحد، كما ساد عند هذه الفئات الاجتماعية الوسطى المقلّلة في الإنجاب.

محمد الصغير باباس الذي كان من الإطارات المفرنسة القليلة التي تمكن حزب جبهة التحرير من استقطابها حتى قبل الانطلاق في مشواره المهني (من خلال تجربة شبيبة جبهة التحرير) في الإدارة المحلية بولاية عنابة والعاصمة لاحقا... تجربة تدعمت بالعلاقة التي أقامها ابن قائمة مع القيادي الحزبي المعروف عبد الرزاق بوحارة، ابن القل، الذي اشتغل بالقرب منه في أكثر من موقع بدءا من ولاية العاصمة، مروراً بهياكل الحزب المركزية وصولاً إلى وزارة الصحة التي عُيّن على رأسها بوحارة في سنة 1979... وهو ما جعل الشاب محمد الصغير باباس يقول أنه لم يحس بالغربة بين إطارات جبهة التحرير...

« ربما بسبب العامل الجهوي، باعتباري من المنطقة الشرقية التي سيطر أبناؤها تقليدياً على قيادة الحزب... لدرجة تحسّن لغتي العربية التي كانت لغة التعامل والعمل لدى هذه الإطارات الحزبية... التي كانت في حاجة من جهة أخرى إلى تمكّني من اللغة الفرنسية كخريج للعلوم السياسية ».

خلال نفس الفترة، تعرّف ابن قائمة على زهور ونيسي¹⁵³ التي طلبت منه الالتحاق بها كأمين عام لكتابة الدولة للشؤون الاجتماعية، بعد تجربة تسيير صندوق الضمان الاجتماعي (1981-86). ليلتحق الرجل بعد ذلك برئاسة الجمهورية للعمل في مجموعات التفكير حول هياكل الشؤون الاجتماعية التي كوّنوها مولود حمروش في رئاسة الجمهورية... « حمروش الذي اختار التضامن مع أحد أفراد شلته الذي ساءت علاقتي معه (غازي حيدوسي) الذي كان يتعامل كـ « وليد حومة » داخل المجموعة... ربما كانت هناك مشاكل نفسية أخرى... لا أعرف... المهم أنني لم أرتح في العمل مع حمروش ومجموعته... الذي رفض لي لاحقا الترشح في الانتخابات التشريعية (1990) بحجة أنني تجاوزت الأربعين سنة من عمري... كما فعل مع عبد العزيز زيارى والهادي خذيري... بعد سيطرته هو وعصبته على مقاليد لجنة الترشيحات داخل هياكل جبهة التحرير.

التقيت بالصدفة بسيد أحمد غزالي في عطلة الصيف بنادي الصنوبر، الذي طلب مني أن التحق للعمل معه كمندوب للإصلاحات الاقتصادية برئاسة الحكومة... ربما يكون قد سمع بخلافي مع حمروش وأراد أن يستغل ذلك لإنجاز نوع من التوازن الجهوي داخل حكومته التي سيطر أبناء الغرب داخلها، وجعلت الصحافة ومَن وراءها من المناوئين لها

153. زهور ونيسي كانت أول امرأة وزيرة في الجزائر. انظر القسم المخصص للوزيرات ضمن هذه الدراسة.

يسمونها «سلطنة تلمسان». مجموعة كان على رأسها أبو بكر بلقايد بالعلاقة الخاصة التي يملكها مع غزالي مباشرة».

تجربة باباس محمد الصغير مع حكومة عبد السلام بلعيد، التي خلفت حكومة غزالي، كانت أسوء بكثير...

«فكرت أكثر من مرة في الاستقالة من منصبى كوزير للصحة والسكان...عبد السلام كان أسوء رئيس حكومة عرفته... خشن في معاملاته... لا يثق في أحد... يُهين معاونيه بشكل علني أمام الملأ... من حسن الحظ أن الحكومة أُقيلت بسرعة».

ليستمر باباس في منصبه مع رئيس الحكومة الجديد، رضا مالك الذي كانت العلاقات معه أحسن من عبد السلام...

استمرارية سياسية للرجل تأكدت وهو يعود لرئاسة الجمهورية مع الرئيس بوتفليقة للعمل كمستشار، قبل الانتقال إلى رئاسة المجلس الوطني الاقتصادي، بعد استقالة محمد الصالح منتوري لغاية وفاته في مارس 2017. منصب رئاسة المجلس الاقتصادي والاجتماعي الاستشاري الذي عرف حالة ركود كبيرة خلال فترة حكم الرئيس بوتفليقة وهو يتحول إلى موقع يُمنح لأبناء الجهة الشرقية كتعويض عن إبعادهم من المواقع الأخرى داخل الهيئة التنفيذية التي سيطر عليها أبناء الجهة الغربية خلال فترة حكم الرئيس بوتفليقة، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمنصب النوعية كالدخالية والخارجية والعدل والمالية.

زيادة على حالة جد باباس محمد الصغير من الأب الأقدم تاريخيا، لم نفاجئ على العكس بحضور هذه المهنة الجديدة على الجزائريين المتمثلة في العمل في السكك الحديدية، على مستوى جيل الآباء، كما تبينه حالات أب محمد جغابة وزير المجاهدين في حكومة الإبراهيمي وقاصدي مرباح (1986-90) الذي ينتمي إلى الفئات الريفية الشعبية من أصحاب الملكيات الصغيرة على مستوى جيل الجدين، في صحراء عين الناقة في بلاد الشاوية قبل الاستفادة من دخول المدينة (بسكرة) أين حصل الأب جغابة على هذا المنصب في السكك الحديدية، بعد الاستفادة من مستوى تعليم ابتدائي أخرجه من الأمية في هذا الوسط الشعبي الفقير والامي.

ليصل الابن محمد إلى وزارة المجاهدين التي كانت تعرف نوعًا من التداول على رأسها بين ممثلي الولايات التاريخية، فكان قد عُين على رأسها محمد جغابة ابن الولاية السادسة الذي التحق بجيش التحرير سنة واحدة فقط بعد اندلاع ثورة التحرير (1955)، بعد بختي نميش ابن الولاية الخامسة (الجهة الغربية على الحدود المغربية)، لتنتقل إلى أحد أبناء الولاية الثانية (الشمال القسنطيني) بعد مغادرة جغابة للوزارة ممثلا في إبراهيم شيبوط ابن ولاية سكيكدة.

محمد جغابة الذي كانت له تجربة تسيير صناعي في بداية مشواره المهني بعد الاستقلال مباشرة، قبل التوجه نحو النشاط الحزبي على المستوى المركزي الذي عُرف به بداية من 1964 والذي وصل فيه إلى عضوية اللجنة المركزية والمكتب السياسي لاحقا، زيادة على دوره في المجلس الوطني للمجاهدين، ليصل إلى وزارة المجاهدين مع حكومة الإبراهيمي (1986-90) وقاصدي مرباح بعد ذلك. مشوار سياسي أنهاه ابن القنطرة في بولونيا كسفير للجزائر لمدة قصيرة (1991-92) على غرار الوزراء من أصحاب الخطوة السياسية الذين عادة ما ينهون مشوارهم السياسي بمنصب سفير. مسار سياسي لم يمنع الرجل من التسجيل للحصول على ليسانس في الحقوق من جامعة الجزائر في 1975 وهو على رأس أكبر المسؤوليات كما كان شائعا خلال هذه الفترة عند الكثير من المسؤولين.

زيادة على محمد جغابة، يمكن أن نذكر من بين من سميناهم بأبناء القطر : عبد العزيز زيارى، الوزير أكثر من مرة من بداية التسعينات ورئيس المجلس الشعبي الوطني (2007-2012)، الذي ارتبط مساره السياسي بحزب جبهة التحرير. والعقيد سليم سعدي الوزير أكثر من مرة بين 1979 و2001 هما فيها وزارة الداخلية (1993-94) والنقل (2001-2002). والهادي خذيري المدير العام للأمن الوطني ووزير الداخلية والنقل (1988-1992). وكذلك بايو لخضر كاتب الدولة للحرف التقليدية (1989) والوزير المنتدب للصناعات التقليدية والحرف (1991-92)، وعمار بن تومي أول وزير عدل للجزائر بعد الاستقلال (1962)، وهذان الأخيران يمثلان الحالات الأكثر تواضعا من الناحية الاجتماعية، ضمن هذه العينة من الوزراء الذين ارتبطوا عائليا بمهن القطر.

فقد كان أب بايو لخضر شبه أمي إذا استثنيا حفظ بعض الآيات القرآنية التي تسمح له بالصلاة، كما هو الشأن لدى هذا الوسط الريفي الفقير الذي كان فيه الجدّان عاملين زراعيين في منطقة التيطري، من دون أي ملكية زراعية في هذه المنطقة التي عرفت الظهور المبكر للرأسمالية الزراعية. وسط اجتماعي يكون قد استفاد من دخول العاصمة، على مستوى جيل الأب، قادما من قصر البخاري بولاية المدية، الجهة التي لم تُعرف بإنتاجيتها النخبوية الكبيرة، والتي اشتكى منها بايو لخضر أثناء المقابلة معه وهو يربطها بمساره المهني والسياسي المتعثّر وثقيل الخطوات.

لنكون أمام تشابه في الأصول الاجتماعية مع حالة أب عمار بن تومي، أول وزير عدل للجزائر المستقلة، ابن العائلة القبائلية (منطقة عين الحمام) المهاجرة إلى قسنطينة على مستوى الجد هذه المرة. عائلة انتقلت لاحقا إلى العاصمة، القصة تحديدا - كما كان حال الكثير من أبناء منطقة القبائل - بعد الزواج في قسنطينة من ابنة تاجر صغير. على عكس الأب بايو، نجد أنفسنا في حالة الأب بن تومي أمام استفادة من تعليم ابتدائي بالفرنسية، ميز الأب، قد يكون عامل تفسير للعمل في قطاع السكك الحديدية، رغم تواضع المنصب.

انتشار للعمل في هذا القطاع الذي احتل فيه الجزائريون مواقع وسطى في أحسن الحالات حتى ونحن نلاحظ تحسُّناً في المستوى التعليمي لدى آباء هذا الجيل الذي استفاد من انتشار التعليم لدى أبناء هذه العائلات التي سكنت مدن الشمال، والتي وصلتها المدرسة الفرنسية قبل القطار، كقسنطينة وتبسة والجزائر العاصمة والقنطرة، رغم أصولها الريفية الفقيرة في الغالب الأعم؛ فقد استفادت من هذا القرب الجغرافي من المدرسة الفرنسية بداية من جيل الأب.

فأب العقيد سليم سعدي، الشاوي، الحركاتي (ولاية أم البواقي)، على سبيل المثال، انتقل للعيش في مدينة سطيف التي تزوج بإحدى بناتها، هو الحاصل على المستوى الثانوي من التعليم باللغتين، وهو ما سمح له بالحصول على موقع رئيس مصلحة في قطاع النقل بالسكك الحديدية، وقد كان الجد قبله موظفاً في قطاع الجمارك، أما الجد من الأم فقد احتل موقعاً مهنياً أكثر تواضعاً ككاتب عمومي؛ ما يعني أننا أمام عائلة ارتبطت بالوظيفة العمومي، في وقت مبكر وداخل مواقع متوسطة لم تكن سائدة لدى الجزائريين في تلك الفترة، بعد خروجها من الأمية، منذ مرحلة جيل الجدين.

حالة تأكدت على مستوى جيل الحفيد سليم الذي توجه - بعد فشله في امتحان السنة السادسة - للحصول على تكوين عسكري في مدرسة مليانة لأشبال الجيش الفرنسي المكلفة بإنتاج نُخب عسكرية متوسطة، بعد اثنين من إخوته أكبر منه، كما ساد لدى هذه الفئات الاجتماعية المرتبطة مهنياً بالحالة الاستعمارية. وضع لم يمنع الملازم الأول سليم سعدي الذي طور لاحقاً استفادته من فرص التكوين داخل المؤسسة العسكرية الفرنسية، ثم الالتحاق بجيش التحرير بعد أربع سنوات من اندلاع حرب التحرير (1958) وعمره اثنان وعشرون سنة (من مواليد 1936) على الحدود الجزائرية التونسية التي تعرّف فيها على الكثير من الوجوه التي حكمت الجزائر بعد الاستقلال، كما كان الحال مع هوارى بومدين والشاذلي بن جديد وعبد الغني الذي التحق بحكومته كوزير للفلاحة (1979-84) في أول تجربة تسيير سياسي لهذا العسكري المحترف.

مواقع عسكرية مهمة احتلها النقيب سليم سعدي بعد الاستقلال، وهو يزواج - كما كان سائداً - بين التكوين في المدارس العسكرية العليا السوفيتية (فريسني) والفرنسية؛ مواقع كمديرية النقل في بداية مشواره العسكري بُعيد الاستقلال، وقيادة الناحية العسكرية الثالثة التي ترسخت على ترابها العقيدة العسكرية للجيش الجزائري بعد الاستقلال على الحدود الجزائرية المغربية، في وقت ساءت فيه العلاقات مع المغرب نتيجة أزمة الصحراء المغربية، وقبلها مسألة الحدود بكل خلفيتها التاريخية المعروفة المرتبطة بحرب الرمال في 1963¹⁵⁴.

154. انظر الشهادة التي يقدمها الجنرال خالد نزار وزير الدفاع في مذكراته، عن تجربته في مدرسة مليانة لأشبال التي كان فيها مع سليم سعدي، ولاحقاً عن تجربته أثناء حرب الرمال مع المغرب :

قيادة الناحية العسكرية الثالثة التي كانت آخر منصب لهذا العسكري المحترف الذي تخصص في المدرعات (1974-79) إلى حين مبادرته بطلب مغادرة الجيش لقناعة تكونت لديه...

« إن الأمور ذاهبة في اتجاهات أخرى بعد وفاة بومدين، لا يمكن أن أقبل بها كعسكري محترف ».

لم يمنع هذا الحكم على هذه المرحلة السياسية ورجالها من قبول هذا العسكري المحترف بمنصب وزير في أول حكومة للرئيس بن جديد الذي وازن داخلها بين قدماء الهاربين من الجيش الفرنسي، كما كان حال سليم سعدي ومحمد زرقيني كوزير للمواصلات الذي كان الضابط الأعلى (رتبة نقيب) لهذه المجموعة التي تصر المجموعات المناوئة لها على الوصف القدحي « الهاربين من الجيش الفرنسي » (DAF - Déserteur de l'armée française) وهي تتحدث عنها وعن عبد المجيد علاهم (وزير السياحة) مقابل ضباط جيش التحرير، كما كان الأمر مع عبد الرزاق بوحارة (وزير الصحة) ولحسن سوفي (وزير العدل) وصالح قوجيل (وزير النقل).

ليكدّب سليم سعدي ما يقال عن الفارين من الجيش وتجانسهم الفكري والسياسي المفترض وحتى إمكانية استفادتهم من قربهم من بومدين، على حساب ضباط جيش التحرير أو الضباط المكونين في الجيوش العربية (العراق وسوريا)... « دون أن يعني ذلك عدم وجود تنافس مهني عادي بين أصحاب نفس المهنة، كما يقول المثل الجزائري المعروف : « عدوك صاحب مهنتك »، رغم أن البعض حاول أن يستغل هذا الصراع الوهمي سياسيا وللعب عليه ».

استمرارية سياسية ميّزت هذا العسكري كوزير وهو ينتقل من قطاع الفلاحة (1979-84) إلى الصناعة مع حكومة الإبراهيمي (1984-86) بينما كان حاضرا على مستوى اللجنة المركزية لجبهة التحرير، كما كانت العادة في تلك الفترة بالنسبة للقيادات العسكرية (1979-88).

غاب الرجل بعد هذه التجربة الحكومية إلى غاية بداية التعددية، حيث توجه للمشاركة في تكوين حزب سياسي كان على رأسه رئيس الحكومة الأسبق رضا مالك مع مجموعة من الأصدقاء الذين عُرفوا بمواقفهم المعارضة للإسلام السياسي الجذري والنعيف، الحاضر سياسيا بقوة خلال هذه الفترة التي كان فيها سليم سعدي على رأس وزارة الداخلية (1992)، ليعود إلى حكومة علي بن فليس كممثل لحزبه وزيرا للري ولاحقا

مراجع اللواء خالد نزار الصادرة بدار الشهاب بالجزائر باللغتين التي يمكن العودة إليها، منها المذكرات الكاملة اللواء خالد نزار من جزئين حول المسار العسكري والسياسي، إضافة إلى مؤلفات أخرى تجعل نزار من أكثر الوزراء والشخصيات الجزائرية تعبيرا عن رأيه فيما يخص مراحل عدة من تاريخ الجزائر.

للأشغال العمومية (2002) لحين مقاطعة حزبه للانتخابات التشريعية (2002) وظهور بوادر معارضة للأوضاع القائمة، لم تكن غائبة منذ مرحلة الرئيس الشاذلي... الذي يتذكر سليم سعدي أن التيار لم يمر معه منذ أول مجلس وزراء...

حاز أب الهادي خذيري على المستوى الابتدائي، كما عرفنا ذلك ونحن نتكلم عن مسار الابن الهادي. تعليم باللغة الفرنسية كان الشرط الضروري للحصول على منصب في هذا القطاع الذي كان الأوروبيون يحتكرون المواقع العليا وجزءاً من المتوسطة داخله كقاعدة عامة، بحيث لا تبقى إلا المواقع الدنيا منه للجزائريين القلائل الذين يكون من حظهم الانضمام لهذا القطاع المتميز خلال هذه الفترة.

مهن كانت تسمح للمنتسب إليها بوضع اقتصادي متوسط ومرتاح، يتميز بدخل مالي شهري منتظم وظروف عمل مقبولة، زيادة بالطبع على الاستفادة من خدمات تعليمية وصحية وقرب من الإدارة الفرنسية نظراً للانتساب إلى الوظيفة العمومي الذي كان يصنف داخله قطاع النقل بالسكك الحديدية، في مجتمع تسود فيه البطالة وظروف العمل الصعبة في القطاعات المهنية الممنوحة للجزائريين كالعمل الزراعي بنوعيه الموسمي والدائم والصناعي على قلته.

الوزراء أبناء القطر، كما كانوا مختلفين من حيث أصولهم الجغرافية ومنحدراتهم الاجتماعية واستفادتهم كوسط اجتماعي من التعليم، بداية من جيل الأب، كانوا مختلفين في علاقاتهم بالسياسي ونحن نقيسه بحضورهم على مستوى الهيئة التنفيذية بعد الاستقلال حتى وهو يجمع مع مناصب سياسية عليا أخرى، في بعض الحالات، كما هو حال المواقع الحزبية في ظل الأحادية وما يمكن أن توصل إليه، وحال البرلمان أو المجلس الاقتصادي والاجتماعي... لنكون أمام بعض الوزراء الذين لم يعودوا إلى الحكومة بعد التجربة الأولى، مثل عمار بن تومي الذي توجه بعد تجربة الحكومة إلى السجن مباشرة (1964) ليكون أكثر ارتباطاً بمهنته كمحام معروف، في حين عاد الآخرون إلى الحكومة أكثر من مرة وهم يتحصلون على مواقع مهمة كرئاسة المجلس الوطني التشريعي، مثل ما كان مع عبد العزيز زيارى (2007-2012)، والمجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي بالنسبة لباباس محمد الصغير (2005-2017) الذي قبل بالوظيفة الباهتة التي منحه إيّاها الرئيس بوتفليقة في هذه الهيئة الاستشارية بعد تجربة محمد الصالح منتوري الأكثر حضوراً.

عكس حالة لخضر بايو الذي عُرف كأقدم أمين عام لوزارة الصناعة (سبع سنوات) قبل تعيينه في حكومة قاصدي مرباح ككاتب دولة للحرف والصناعات التقليدية (1989) والذي رفض لرئيس حكومته، مدير المخابرات السابق، الدخول معه في علاقات خارج الإطار المهني...

« مباح كان يصير كل مرة على دعوتي لزيارته في منزله، لكنني كنت أعذر كل مرة... كنت أرفض أن أحسب على مجموعته، خاصة وأن جماعة حمروش بدؤوا يلصقون بي هذه الصفة-التهمة... زيادة على أنني لم أكن أستطيع مجاراته في وتيرة عمله... مباح كان يشغل 12 ساعة يوميا ».

نفس الموقع المتواضع تمّ تعيينه فيه داخل حكومة سيد أحمد غزالي كوزير منتدب للمؤسسات الصغرى والمتوسطة (1991-92)، ليغادر الحكومة دون عودة وعمره لم يتجاوز الخمسين سنة (من مواليد 1942) كما حصل للكثير من الإطارات خلال هذه الفترة المضطربة التي تم فيها إهدار الكثير من الكفاءات الوطنية ساهمت في القضاء على ذاكرة الدولة، كما تجسدت في ابن التيطري (قصر البخاري) الذي يمثل الفئات الاجتماعية الأكثر فقرا ضمن هذه المجموعة الممثلة لما سميناه بأبناء القطار.

أبناء المعلمين والأئمة ... على رأس وزارتي التربية والثقافة

عكس بعض المهن الحديثة التي تأخر ظهورها في المجتمع الجزائري، تعرّف الجزائريون على مهن التعليم والمعلمين منذ القديم. تعليم كان معروفا بمختلف أشكاله ولغاته وأنظمته التربوية، سواء أعلق الأمر بالتعليم العصري الفرنسي والوطني الأهلي لاحقا كما كان الحال مع مدارس جمعية العلماء والحركة الوطنية الاستقلالية، أو بالتعليم التقليدي القرآني البسيط الأقدم حضورا في المجتمع الجزائري، المرتبط بالزوايا والتعليم القرآني الذي يتم في الغالب توليفه مع مهن أخرى كالعمل الحرفي أو الفلاحي نظرا لهشاشته كوضع اقتصادي واجتماعي. توليفة كانت ضرورية للحفاظ على استقلالية الفعل الثقافي الأهلي الذي قام به التعليم في هذه الحالة الاستعمارية الاستيطانية وهو يدافع عن اللغة العربية والدين الإسلامي. توليفة يمكن رؤيتها مجسدة يوميا في البرنامج اليومي للتلميذ الجزائري الذي عادة ما ينتسب للمدرسة القرآنية لتعلم العربية في الصباح الباكر، ثم يتوجه مباشرة إلى المدرسة الفرنسية باقي ساعات اليوم. تعليم استفادت منه البنت الجزائرية كذلك، بشكل أقل، للخروج من عتبة الأمية عندما يتعلق الأمر بالفئات الشعبية الريفية والحضرية قبلها التي تجاوزت هذا المستوى لدى بعض الفئات مستفيدة من قربها الجغرافي والاجتماعي من المدرسة، كما كان الحال مع المدرسة الفرنسية العصرية بالنسبة لسكان بعض المدن كالعاصمة وقسنطينة وتلمسان، أو مدارس جمعية العلماء¹⁵⁵ التي درس فيها معلمون من مختلف الأجيال داخل نفس الأوساط الاجتماعية والعائلية أنتجتهم في الغالب داخل نفس النظام التعليمي ؛ لنكون بذلك أمام تراكم ثقافي لدى نفس الأوساط الاجتماعية وهي

155. انظر الدراسة الرائدة لعلي مراد حول جمعية العلماء

Ali Merad, *Le reformisme musulman en Algerie de 1925-60* (Essai), Éditions Mouton, 1967.

تقوم بنفس الأدوار الثقافية، حاولت الحفاظ عليه وتثمينه في بعض الأحيان عن طريق الزواج الداخلي وهي تختار استراتيجية مصاهراتها على أكثر من جيل، دعمت به تميزها الثقافي كما سنلاحظ ذلك في حالة أول وزير تربية في الجزائر المستقلة.

انطلاق الصراع على المدرسة في أول سنة للاستقلال

من الوزراء الذين كانت مهنة الجد عندهم مرتبطة بالتعليم بمختلف مراحل ووضعياته القانونية، نجد جد أول وزير تربية للجزائر المستقلة عبد الرحمن بن حميدة، الإمام والأستاذ بزوايا منطقة القبائل ومنها زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي التي سمي الطفل عبد الرحمن تيمنا باسم شيخها. نفس المهنة التي كان الجد من الأم (الإمام المعروف بن ناصر) يزاولها بالعاصمة كمفتي أكبر للمذهب المالكي. الزاوية التي تخرج منها الأب بن حميدة الفلاح الذي ابتعد عن مهنة التعليم. عائلة من الفئات المالكة الكبيرة والغنية، زيادة على إشعاعها الفكري والديني الأكيد الذي تجاوز منطقة دلس (ولاية بومرداس الحالية) التي تنتمي لها العائلة، ليصل إلى العاصمة، كما حصل مع الجد من الأم بن ناصر. تلقى الطفل عبد الرحمن كل تعليمه الابتدائي والمتوسط في مدينة دلس بولاية بومرداس موطن العائلة، بالمدرسة الفرنسية العمومية التي زواج فيها بين الدراسة في زوايا المنطقة التي درس فيها الجد وتعلم فيها الأب وهو يقوم بالتوليف بين الانتساب إلى مدرسة حزب الشعب والكشافة الإسلامية، قبل التوجه نحو العاصمة للالتحاق بالمدرسة الثعالبية، ثم بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية في جامعة الجزائر، والتي عُرفت لاحقا بمدرسة الجزائر، التي كان من ميزات التعليم فيها تخرّج طلبة مزدوجي اللغة والثقافة، كانوا أقلية داخل النخبة الجزائرية أحادية اللغة ؛ وهو ما قد يفسر احتلاله لمنصب أول وزير تربية للجزائر المستقلة، والذي غادره بعد سنة واحد (سبتمبر 1962- أكتوبر 1963) قبل أن يكون نائبا في المجلس التأسيسي ويتخصص فيما بعد في المناصب الثقافية ذات الصلة بالتعريب، بعد وصوله إلى عضوية اللجنة المركزية لجهة التحرير (1964).

رغم هذا التكوين الديني والارتباط بزوايا تقليدية جزئيا، والأصل الاجتماعي الميسور، اتجه الابن عبد الرحمن نحو مواقف قرّبتة من الحركة الوطنية الاستقلالية التي دشنها بالانخراط في حزب الشعب-حركة الانتصار وجهة التحرير منذ نشأتها، مواقف أوصَلته إلى السجن والحكم عليه بالإعدام بعد إلقاء القبض عليه من طرف الجيش الفرنسي في 1957، كما كان الحال مع ابن خالته محمد السعيد معزوزي قبل ذلك بسنوات.

كان بن حميدة مسؤولاً سياسيا عن المنطقة الحرة للعاصمة التي تم الإعلان عنها بعد مؤتمر الصومام، وكان ذلك آخر منصب سياسي له قبل السجن، وعند خروجه من السجن بعد الاستقلال، وجد بن حميدة مدينته بالتبني الجزائر العاصمة، في وضع سيء على

المستوى السياسي... « كل الأطراف المتصارعة تريد السيطرة عليها... القرار الذي حسمه محمد خيضر، القيادي العاصمي المعروف، بالوقوف بجانب جماعة تلمسان بدل جماعة الحكومة المؤقتة الذين كنا قريبين منهم سياسيا وحتى سوسيولوجيا ». ليحتل الرجل منصب منسق سياسي لاتحادية العاصمة لجهة التحرير، وهو نفس الموقع تقريبا الذي كان يحتله قبل دخوله السجن.

« محمد خيضر الذي دعم موقعه بالقرب من بن بلة كشخصية سياسية وطنية وازنة خلال هذه الفترة¹⁵⁶، هو الذي اقترحت كوزير للتربية بدل توفيق المدني المرشح من قبل عناصر قريبة من جمعية العلماء ».

جمعية العلماء التي اهتمت أكثر من غيرها بموقع وزارة التربية بالذات، والتي دخلت في منافسة للظفر به مع أبناء تيارات أخرى، كمؤشر عن الصراع الفكري والإيديولوجي الذي ازداد حدة بعد الاستقلال، بين مختلف النخب التي تعايشت حتى الآن داخل جبهة التحرير ومؤسسات الثورة.

علّق عبد الرحمن بن حميدة كل نشاطاته السياسية تعبيراً منه عن موقفه الراض للانقلاب على الرئيس بن بلة في 1965... الموقف نفسه الذي كانت قد تبنته وجوه قيادية معروفة كانت على رأس فيدرالية العاصمة، مما زاد في حدة الصراعات مع الحكام الجدد الذين جاؤوا بعد الانقلاب على بن بلة، وجعل العاصمة تقاطع تكوين مجلس الثورة، على سبيل المثال، الذي لم تكن ممثلة فيه...

« أغلبية العناصر التي جاءت مع الانقلاب كانت وجوهاً عسكرية من وسط ريفي، متخوفة من العاصمة التي لم تكن تسيطر على تفاصيل العمل السياسي داخلها، وحتى العلاقات الاجتماعية في هذا الوسط الحضري البعيدة عنه ».

انطباعات ذات بُعد اجتماعي-نفسي زادت في حدة القطيعة بين النخبة السياسية الممثلة للعاصمة وحكام الجزائر الجدد بعد الإطاحة بن بلة، وبين أبناء نخبة سياسية عاشت لفترة طويلة مرحلة العمل السري في مناطق جغرافية مختلفة.

بدل العمل الحزبي والسياسي، توجه الرجل نحو التسيير الاقتصادي على رأس الكثير من الشركات العمومية الصناعية إلى غاية الإعلان عن التعددية في بداية التسعينيات، والتي حاول فيها العودة للنشاط الحزبي مع رئيس الحكومة المؤقتة بن يوسف بن خدة الذي كان بن حميدة قد اتخذ ضده مواقف معارضة في الأيام الأولى للاستقلال لصالح مجموعة بن بلة

156. غادر محمد خيضر الجزائر خلال فترة حكم الرئيس بن بلة بعد أن أعلن عن معارضة صريحة للنظام، عبر عنها بالتصرف في أموال جبهة التحرير التي كانت موضوعة باسمه في أحد البنوك السويسرية كمسؤول عن حزب جبهة التحرير الوطني. تم اغتيال الرجل في مدريد في 4 جانفي 1967 خلال حكم الرئيس بومدين. لمزيد من التفاصيل انظر شهادة طارق خيضر ابن محمد خيضر في :

Tarek Khider, *L'Affaire Khider, histoire d'un crime d'État impuni*, Édition Koukou, Alger, 2017.

وقيادة الأركان، دون أن يكون مقتنعا بها تماما، كانت أكثر تعبيرا عن انضباط حزبي من أي شيء آخر. ليعود الرجل مع بن خدة إلى نوع من النشاط السياسي عبّر عنه من خلال الانضمام إلى الحزب السياسي الذي أعلن عنه (حزب الأمة) مع وجوه سياسية قديمة وكبيرة في السن، لم يكتب له النجاح.. ليختفي بسرعة في ظرف تميز بحالة اضطراب قصوى وكثرة الأحزاب. بن خدة الذي يتشابه معه بن حميدة في الكثير من الصفات على المستوى الشخصي كالهدهوء الذي يميز شخصيتيهما وبعض محطات المسار السياسي وهما يلتحقان بأحزاب الحركة الوطنية الاستقلالية الجذرية التي لا تتناسب مع هذه الخصائص النفسية؛ ليعود الرجلان إلى مواقف أكثر اتساقا مع شخصياتهما الهادئة وهما في سن متقدمة.

لم يمنع الاهتمام بتدريس اللغة العربية والعلوم الدينية - المرتبطة بقوة بهذا النظام التعليمي التقليدي - عائلة أحمد طالب الإبراهيمي من التوليف مع المهنة التجارية التي زاولها أكثر من فرد من العائلة على مستوى أكثر من جيل، فقد كان هذا حال العم المكي الذي يصف ابن الأخ أحمد حالته بأنه كان أكثر يسرا من الوالد. نفس وضعية الأخ البكر محمد الذي وجهته العائلة نحو الأعمال التجارية الحرة، هو بكر عائلة محمد البشير الإبراهيمي التي سُمّيت بهذا الاسم « طالب » لمزاولتها مهنة التعليم على أكثر من جيل، انطلاقا من بلدة أولاد براهيم بولاية برج بوعريرج التي اشتق لقب العائلة منها. وهي نفس مهنة الجد من الأم التونسية ذات الأصول التركية التي تعرّف عليها الوالد وتزوجها¹⁵⁷ في دمشق عندما كان يمتحن تدريس اللغة العربية بالمدرسة السلطانية في عاصمة الأمويين. زاول الطفل أحمد¹⁵⁸ (من مواليد 1932) تعليمه الابتدائي في مدينة تلمسان، التي توجه إليها الشيخ البشير لتمثيل جمعية العلماء المسلمين، قبل الانتقال إلى العاصمة أين تحصل على البكالوريا وانطلق في دراسة الطب بداية من 1949، وبعدها باريس التي انتقل إليها ليعيش ما سماه الرجل بأخصب فترات حياته السياسية وأثرها، والتي اقترنت برئاسة اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين (1955) وقيادة فيدرالية جبهة التحرير في فرنسا (1956) بطلب من عban رمضان شخصا وهو يطبق سياسة توسيع قاعدة الثورة في اتجاه عائلات سياسية وفكرية التحقت بالثورة بعد 1954، كجمعية العلماء التي يمثلها أحمد طالب الذي لا يزال يكن لعبان الكثير من الاحترام... « مع العربي بن المهدي اللذين خسرتها الجزائر المستقلة، رغم الصراعات التي عاشها الرجل مع أبناء التيار البربري بعد الاستقلال، المتبني لعبان رمضان ».

157. الزواج بالشاميات استمر مع عائلة طالب للجيل الثاني بعد زواج الابن أحمد من سيدة لبنانية سنة 1966 لينجب منها ولدين اثنين تخرجا كمهندسين من مدارس جزائرية وأمريكية.

158. غادر الطفل أحمد مسقط رأسه سطيف وعمره لا يتجاوز سنة واحدة، ليعيش كل طفولته في تلمسان دون أن يتخلص من لهجته السطايفية التي حافظ عليها.

استمر طالب على رأس فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير إلى غاية فبراير 1957، تاريخ إلقاء القبض عليه من طرف الشرطة الفرنسية ودخوله السجن في 1962... « أطلق سراحى ثلاثة أشهر قبل الاستقلال لأسباب صحية أثناء فترة حبسي في فرنسا، أين تعرفت مباشرة على زعماء الثورة المسجونين... الذين خاب ظني فيهم عموماً... الإنسان يتعزى وتظهر كل عيوبه وخصاله وهو محبوس عندما تكون فترة السجن طويلة... فقد تعرفت على محمد بوضياف مباشرة... كان عصامياً وصاحب شخصية قوية، معتدا بنفسه، عكس آيت أحمد الذي كان مغروراً جداً... في بعض الأحيان كان يكلمنا بالإنجليزية وهو يتفاخر بأصله المرابط الميسور... عكس بيطاط الذي كان بسيطاً جداً في مستواه وطريقة تفكيره ».

أما بن بلة فكان موقف طالب منه نقدياً بشكل واضح، فالرجل كان، حسب رأيه، من دون عمق، يمكن أن يتبنى بسهولة الفكرة الدينية والاشتراكية اليسارية والعروبية على التوالي بسرعة، من دون تمحيص، كما حصل معه بعد الاستقلال ووصوله إلى رئاسة الجمهورية.

بن بلة الذي طلب من طالب الإبراهيمي الانضمام إلى المكتب السياسي لجبهة التحرير. اقترح رفضه الرجل ليدفع ثمن رفضه هذا غالباً...

« من باب أن الذي ليس معك هو ضدك.. فقد تم إلقاء القبض علي في 1964 لأسجن وأعذب - كما حصل مع الكثير خلال هذه الفترة - وهو ما حز في نفسي كثيراً... » يقول الرجل بتأثر كبير بعد عقود من هذه التجربة القاسية... وهو ما جعله يقتنع أن إبعاد بن بلة كان ضرورياً ومطلوباً، بعد أن أصبح السجن والنفي والتعذيب هي لغة التعامل السائدة لديه، ليس مع المعارضين فقط، بل مع الأخوة والرفاق...

على عكس بومدين الذي لم يجد صعوبة كبيرة في إقناع طالب بالقبول بمنصب وزاري في أول حكومة يشكلها الرجل في 1965، حتى وهو يسمع بعض التحفظ من الرجل وتفضيله الاستمرار في عمله كطبيب في المستشفى... « هل ترفض أن تكمل ما قام به الوالد... بتدشين المدارس والثانويات، كما كان يفعل... » وكأن بومدين يعترف لطالب بهذا الدور الممنوح له في تمثيل جمعية العلماء في نظامه الجديد الذي وسع في تمثيل عدة عائلات سياسية داخله قام هو كشخص بتسييرها السياسي لصالحه في المقام الأول، اعتماداً على علاقات شخصية مباشرة مع ممثلي هذه العائلات السياسية والجهات.

كان أول منصب لطالب على رأس وزارة التربية لمدة خمس سنوات (1965-70) ليستمر على رأس عدة وزارات كالثقافة والإعلام لمدة سبع سنوات أخرى (1970-77) ويلتحق بعدها برئاسة الجمهورية كوزير مستشار في آخر فترة حكم الرئيس بومدين وبداية حكم الرئيس الشاذلي (1977-82) الذي استمر في التعامل معه، كما كان يفعل

بومدين ممثلاً لتيار فكري وسياسي وليس وزيراً عادياً مثل الآخرين. تمثيل يفسر الديمومة والاستمراريتها التي ميزته كوجه سياسي لمدة 23 سنة متتالية كوزير في مواقع مهمة يغلب عليها الطابع الثقافي كوزارة التربية والثقافة كما كان الحال مع هذا النوع من الوزراء من أبناء المعلمين والأئمة والإفتاء.

رغم الموقف النقدي من الرئيس الشاذلي كسياسي وإنسان، استمر طالب في العمل معه لعشر سنوات كاملة...

« كان كسولا ومحدود التفكير، تنازل عن صلاحياته لمحيطه القريب مثل مولود حمروش والعربي بلخير... لتكون أخطر قراراته تعيين خالد نزار وزيراً للدفاع (1990-93)... » خالد نزار الذي كان ممثلاً لمجموعة الفارين من الجيش الفرنسي الذي يشكك أحمد طالب في شروط هروبها من هذا الجيش...

« كل الدلائل تشير أن الرئيس الفرنسي، الجنرال ديغول، هو الذي بعث إلينا بهذه المجموعة... التي كانت ظروف « هروبها » من الجيش الفرنسي مريبة فعلاً، جاؤوا بشنطهم أمام الملاء وتوجهوا رأساً نحو بومدين وقيادة الأركان، بعد لقائهم في ألمانيا بشكل شبه علني، هم الذين كان يفترض أن الشرطة الفرنسية تبحث عنهم... كان لهم دور محدد في إبعاد العناصر الوطنية الممثلة داخل الولايات الداخلية وعلى الحدود... »

تمثيل طالب لفكر جمعية العلماء المحافظ وهو على رأس مناصبه الرسمية في الحكومة، جعله يدخل في صراعات فكرية عديدة مع ممثلي عائلات سياسية أخرى ؛ كما حصل له في أوت 1966 عندما تم اتخاذ قرار تعريب السنة ثانية من التعليم الابتدائي...

« قدمت المشروع في اجتماع مجلس الوزراء، الكل كان ضدي بما فيهم قايد أحمد ومدغري، وحتى بن محمود وتيجاني هدام¹⁵⁹، اتخذوا موقفاً معادياً إلى حين تدخل بومدين الذي دافع عن المشروع وهو يعلن أمام الجميع أنه هو الذي طلب مني تقديم المشروع. إعلان أسكت الجميع، رغم أن هذا الأمر لم يكن صحيحاً ». طالب الذي مازال يؤمن أن قوى سياسية معادية له كإليسا هي التي تقف وراء المظاهرات التي قام بها الطلبة عندما كان وزيراً في تلك الفترة...

« محمد حربي هو الذي قام بالتنظير لهذه الفكرة التي روجت لاحقاً... وهو يتحدث عن « مدرسة أحمد طالب » التي فرخت الإسلاميين في الجزائريين. فكرة تبناها الكثير على المستويين السياسي والإعلامي، دون تمحيص... »

159. التيجاني هدام طبيب من مواليد تلمسان (1921) عرف بمواقفه السياسية والفكرية القريبة من التيارات الدينية والمحافظ. وزير الشؤون الدينية والصحة (1964-65). سفير للجزائر في تونس (1970) والرياض (1982). عميد لمسجد باريس قبل تعيينه عضواً بالمجلس الأعلى للدولة (1992) كممثل لهذه التيارات والجهة الغربية باعتباره الوحيد، داخل المجلس من أبناء الغرب الجزائري، الذي تعود على تمثيله من قبل النخبة التلمسانية.

استقال طالب من منصبه كوزير خارجية بعد أحداث أكتوبر 1988، ومن قيادة جبهة التحرير أيضا، وهو مقتنع أن أحداث أكتوبر استُغِلَّت من قبل قوى استعمارية وتبشيرية كانت وراءها فرنسا لضرب استقرار الجزائر من خلال إضعاف حزب جبهة التحرير... لم ينته طالب من الناحية السياسية بعد الإعلان عن التعددية، فقد تم الحديث عن الرجل كحلّ في الكثير من المحطات السياسية المتأزمة التي مرت بها الجزائر، مثل ما حصل في بداية التسعينيات بكل الغموض التي اكتنفها. وقد ترشح لرئاسة الجمهورية في 1999 لينسحب ليلة انطلاق الاقتراع مع المرشحين الآخرين، وتمّ رفض ترشّحه في 2004. كما حاول تكوين حزب سياسي تم رفض اعتماده ليختفي لاحقا بعد إعلانه عن اعتزاله السياسي في 2010 رغم تداول اسمه مرة أخرى أثناء فترة الحراك الشعبي مع شخصيات أخرى¹⁶⁰. زيادة على ما عرفناه عن جدّي عبد الرحمن بن حميدة أول وزير تربية في الجزائر المستقلة، وجدّي أحمد طالب الإبراهيمي وزير التربية والثقافة، الوزارة التي عادت أكثر من مرة إلى أبناء هذه العائلات المثقفة التي امتهنت لأكثر من جيل وظائف التعليم والإمامة، كما سنعرف ذلك من خلال حالة عائلة عبد المجيد مزيان وزير الثقافة (1982-86) الذي كان جده من أبيه مثل جده من أمه « فقيها » ومعلّما بتلمسان. نفس مهنة الأب لدى هذه العائلة التي اختارت استراتيجية الزواج الداخلي لأكثر من جيل، حفاظا على هذا التميز الثقافي في المجتمع الجزائري الذي عانى طويلا من الأمية. حافظ الابن عبد المجيد أيضا على هذا التميز وهو يتّم دراسته في مدرسة تلمسان مزدوجة اللغة التي تخرّج منها كثير من الوزراء كما عرفنا، قبل أن يتوجه إلى الرباط المغربية لإكمال تعليمه بجامعة في الفلسفة. مسار تعليمي سمح لابن الفقيه بالتمكن من عدة لغات بدرجات متفاوتة، فزيادة على العربية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية، تعلّم لغات أخرى في مدرسة تلمسان كاللاتينية واليونانية والأمازيغية التي تمكن من الحديث بثلاث ألسن منها... سمحت للرجل بالعمل لاحقا كمذيع في إذاعة الجزائر الحرة المكافحة التابعة لجبهة التحرير (1956-57) في نفس الوقت تقريبا الذي وصل فيه إلى الأمانة العامة لفيدرالية المغرب لجبهة التحرير.

توجه ابن تلمسان إلى الساور، واليًا لولاية بشار، مباشرة بعد الاستقلال في 1962 ولمدة سنة، في وقت زادت فيه أهمية المنطقة الحدودية مع المغرب بعد انفجار حرب الرمال... قبل أن ينتقل إلى وهران لاحتلال نفس الموقع لنفس المدة تقريبا، ثم إلى رئاسة الجمهورية هذه المرة لتسيير ديوان الرئيس أحمد بن بلة إلى غاية الانقلاب عليه في 19 جوان 1965.

160. لمزيد من التفاصيل عن هذه الفترة، انظر القراءة التي يقوم بها طالب لأحداث هذه الفترة في الجزء الرابع من مذكراته الصادرة في جانفي 2023 : أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري، الجزء الرابع مخاوف وآمال، 1988-2019، دار القصة للنشر، الجزائر، 2023.

تجربة مهنية ألصقت بالرجل صفة « البن بلية » التي كلفته الإبعاد السياسي طول مدة حكم الرئيس بومدين، استفاد فيها من مناقشة دكتوراه في الفلسفة السياسية ونشرها على شكل كتاب حول الفكر الاقتصادي الخلدوني الذي كان من الكتب القليلة لهذا الرجل المُقِلّ في إنتاجه الفكري المكتوب. فترة إبعاد سياسي لم يخرج منها الرجل إلا في سنة 1981 عندما تم تعيينه رئيسا لجامعة الجزائر التي أنتجت - كموقع مهني - عدة وزراء ثقافة، قبل أن يصل إلى عضوية الحكومة كوزير للثقافة في بداية فترة حكم الرئيس الشاذلي بن جديد ضمن حكومة عبد الغني في تجربة أولى قبل التعيين مرة ثانية في حكومة الإبراهيمي الأولى إلى غاية 1986.

لم يتمكن عبد المجيد مزيان خلال هذه الفترة وهو على رأس وزارة الثقافة من الوصول إلى عضوية اللجنة المركزية للحزب، كما كان الحال مع أغلبية الوزراء خلال هذه الفترة، مما قد يفسر موقفه النقدي من تسيير الحزب الذي لم تتحسن علاقته مع قيادته... « طلبت الإعفاء من منصبي بعد أن كثرت التقارير ضدي من قبل الشرطة والحزب، وأنا على رأس وزارة الثقافة، باتهامي الكاذب بتشجيع المعارضة السياسية ».

لم يتوقف النشاط الثقافي والفكري لعبد المجيد مزيان بعد اختفائه عن الساحة السياسية، فقد اختار الرجل خلال هذه الفترة، التي زاد فيها حضور المواقف الدينية المتشجعة والعنيفة وطنيا، الدفاع عن إسلام مغاربي وسطي وعقلاني، بواسطة حضور قوي في وسائل الإعلام، بما فيها التلفزيون الفرنسي. قبل تعيينه على رأس المجلس الإسلامي الأعلى في 1998 إلى غاية وفاته في 2001.

كان أبناء المعلمين مهمين كقوة بعد انتشار التعليم بكل أنواعه.. عند الكلام عن جيل الآباء. ومن أبناء الأئمة والمعلمين يمكن إضافة : مناصرة، كان جده معلم قرآن. مهري، كان هو وأخوه معلمين. كمال حكيمي، أبوه كان معلم قرآن. مراد خلادي، أبوه معلم بالفرنسية. سماري، أبوه معلم قرآن. عبد اللاوي، جده كان معلم قرآن. محمد الياسين، أبوه كان معلما بالفرنسية.

مهنة التعليم كانت منتشرة بين الوزراء أنفسهم في مراحل معينة من مسارهم المهني، ومنهم بلعياط عبد الوهاب المزاري، وأحمد حوحات، وسيدي سعيد.

الأئمة التقليديون بعمقهم الشعبي الريفي والفقير في الغالب الذي يفرض عليهم عدم الاكتفاء به كمهنة، كانوا يحاولون في الغالب الجمع بينه وبين مهنة أخرى حرفية أو تجارية كما رأينا ذلك في عدة حالات، زيادة على تواضع تحصيلهم التعليمي ؛ كانوا حاضرين كموقع اجتماعي في إنتاج النخبة الوزارية في بعض الجهات المعروفة بعدم استفادتها من التعليم العصري الرسمي، كما هو حال منطقة الجلفة التي تمثلها حالة عيسى عبد اللاوي الوزير أكثر من مرة غير ممثل لهذه الفئة العوددة إليه عند الكلام عن القيادة، هي

الجهة التي كانت على الدوام ضعيفة الحضور على مستوى إنتاج النخب بكل أنواعها، كما عرفنا ذلك ونحن نتكلم عن بعض أبنائها من الوزراء المعروفين كأحمد بن شريف وشريف رحمانى اللّذين ينتميان إلى فئات مالكة وغنية، عكس عيسى عبد اللاوي الذي كان جده من الأم مدرس قرآن بالشارف، المنطقة الغابية في ولاية الجلفة شبه السهبية. في حين كان الجد من الأب حارس غابات، حاصلًا على الشهادة الابتدائية باللغة الفرنسية في تلك الفترة؛ ما يعني أننا أمام وسط عائلي تمكن من الخروج من دائرة الأمية، بداية من هذا الجيل، في هذه الجهة، مما يمنحه موقعًا متميزًا أكيدا في تلك الفترة، قد يدلنا من جهة أخرى على المكانة المتميزة الممنوحة من قبل الإدارة الفرنسية لمنصب حارس الغابات، في بعديها الأمني والاقتصادي، كما بينته الدراسات التاريخية.

وضع عائلي سيكون أكثر ارتباطًا بالإدارة الفرنسية ونحن نعاين حصول الأب الضابط في الجيش الفرنسي (ملازم) على موقع قائد بنفس المنطقة (الجلفة) لدى عائلة عبد اللاوي التي ارتبطت بالغابة بشكل واضح، بداية من جيل الجد من الأب، حارس الغابات لغاية الحفيد عيسى الذي تولى منصب وزارة الغابات مرتين على الأقل؛ كنائب وزير للغابات (1984-88) ووزير الأشغال العمومية (1988-89) مع الرئيس الشاذلي بن جديد، وأخيرا كوزير للري والغابات بين 2001 و2002 مع الرئيس بوتفليقة الذي عاد في بداية عهده للحكومة مع علي بن فليس. علاقة عائلة عبد اللاوي مع الغابة التي تدعمت بعد زواج الحفيد عيسى نفسه من تقنية سامية في مجال الغابات، تعرّف عليها عندما كان مديرا للديوان الوطني للغابات بالجهة الغربية من البلاد، وابنته الوحيدة توجهت نحو دراسات جامعية في مجال الغابات هي الأخرى.

عيسى عبد اللاوي الذي كان قد أتمّ دراسته في معهد الحراش الفلاحي كمهندس للاتحاق بمعهد نانسي الفرنسي للتخصص في الري الزراعي، مما جعله يحتل عدة مواقع تسييرية في الجزائر بعد الاستقلال، من بينها مديرية معهد مستغانم الفلاحي، وقبلها محافظة الغابات في الجهة الغربية لمدة طويلة جعلته يتعرف مباشرة على قائد الناحية العسكرية الثانية العقيد الشاذلي بن جديد، والذي انضم كوزير إلى الحكومة التي أسسها رئيسا حكومته عبد الحميد الإبراهيمي وقاصدي مرباح في منتصف فترة حكمه.

عبد اللاوي الذي فضل أكثر من مرة التوجه نحو العمل في المؤسسات الدولية كخبير زراعي بعد كل إبعاد من مناصبه السياسية التي لم تكن طويلة، إذا استثنينا مروره بأول تجربة له كنائب وزير للغابات (1984-88) في حكومة الإبراهيمي التي عُرفت بتعيين كبير لنواب الوزراء (14 نائب وزير مقابل 27 وزيرا) جعلت أغلبية من التحقوا بها كوزراء ونواب وزراء غير راضين عن أدائها وأداء رئيسها المتهم من طرف الكثير منهم أنه جاء بفكرة « الانتقام من الإرث البومديني ».

وضع قد تفسره الهشاشة السياسية لهذا التكنوقراطي الذي كان قد عايشه في 1979 عندما عُيِّن في عضوية اللجنة المركزية، دون أن يكون حاضرا أصلا في مؤتمر حزب جبهة التحرير؛ مما فرض على إدارة الحزب شطب اسمه بعد ظهوره في القوائم الأولى، وجعل الرجل يقتنع أكثر أن جهته (الجلفة وكل الولاية السادسة التاريخية) قد فقدت الكثير من حظوظها السياسية بعد فشل تمرد قائد الولاية محمد شعبنا في السنوات الأولى للاستقلال. من وزراء الثقافة في الجزائر الذين ارتبطت عائلاتهم بالمواقع التعليمية والثقافية التقليدية، يمكن أن نذكر عز الدين ميهوبي وزير الثقافة والاتصال في حكومة بوتفليقة الأخيرة (2015-2019) الذي كان جده إماما ومعلم قرآن (الشيخ محمد الدراجي) بمدراس جمعية العلماء التي أرسلته إلى منطقة آريس بولاية باتنة، للقيام بوظيفته التعليمية في هذا الوسط المختلط لغويا بين الأمازيغية والعربية. تنقل استغله الرجل للزواج من إحدى بنات المنطقة للمرة الثانية، أنجب معها أكثر من عشرة أبناء وبنات، هو ابن الحضنة القريبة المعروفة كوسط اجتماعي وثقافي بتعدد الزوجات وكثرة الإنجاب ليبقى الأب ميهوبي بعد الاستقلال قريبا من نفس الوسط المهني والثقافي وهو يحتل أكثر من موقع مهني¹⁶¹ داخل قطاع الشؤون الدينية كناظر ومفتش ومدير للشؤون الدينية بنفس ولاية باتنة القريبة.

في حين التحق الابن عز الدين (من مواليد 1959 بالعاصمة) للتسجيل بالمدرسة الوطنية للإدارة (1980-84) التي تخرج منها الكثير من أعضاء النخبة الوزارية، دون أن تجعله الدراسة في هذه المدرسة - التي فتحت أبوابها بطريقة استثنائية باللغة العربية لهذه الدفعة - من إهمال ميوله الأدبية والإعلامية التي استمر في التركيز عليها، فبمجرد تخرجه توجه لرئاسة المكتب الجهوي لجريدة الشعب الحكومية، في مدينة سطيف التي استقر بها هذا الشاب الدراجي¹⁶² - حتى وهو يفضل الارتباط بسيدة بجاية صاحبة تعليم بسيط، تعرف عليها عن طريق أخيها، وتزوجا في 1989، وأنجبا بنتين وولداً واحداً فقط، عكس الأب ابن الوسط كثير الإنجاب (13 ابناً وبناتاً) - ليصل أخيرا إلى رئاسة تحريرها في العاصمة بالذات (1990-92) في الوقت الذي كان دراجي آخر (كمال عياش) على رأس مؤسسة الشعب. وعاد إلى سطيف بعد التدهور الأمني في الجزائر العاصمة، مقارنة بعاصمة الهضاب العليا التي كانت من المدن الهادئة نسبيا خلال هذه الفترة العنيفة التي عاشتها الجزائر... وكانت فرصة للشباب الصحفي للانطلاق في مشروع إعلامي خاص

161. انظر: السيرة الذاتية في هذا المرجع الذي يتكلم بالتفصيل عن عدد زوجات الشيخ محمد الدراجي وحجم عائلته الكبير. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/125196>.

162. أولاد دراج من القبائل الجزائرية الكبيرة الناطقة بالعربية، المنتشرة في أكثر من ولاية انطلاقا من موطنها بالحضنة بين ولايتي باتنة ومسيلة وصولا إلى ولايتي سوق أهراس وتبسة بأقصى الشمال الشرقي للجزائر.

استمر على رأسه لأربع سنوات (1992-96)، توجه بعده نحو مديرية الأخبار بالتلفزيون الوطني (1996-97) عندما كان ابن قبيلته ميهوب ميهوبي¹⁶³ على رأس وزارة الإعلام والثقافة، ليجد نفسه لاحقا في مديرية الإذاعة الوطنية (2006-08) ثم المكتبة الوطنية (2010-13)، تولى رئاسة المجلس الأعلى للغة العربية (2013-15) وكان ذلك آخر منصب له قبل الانضمام للحكومة كوزير للثقافة (2015-19) في آخر حكومة للرئيس بوتفليقة... علما بأن عز الدين ميهوبي كانت له تجربة سابقة ككاتب دولة للاتصال لمدة سنتين (2008-10). حياة مهنية عاشها الرجل بموازاة نشاط سياسي وحزبي أوصله إلى البرلمان ممثلا عن التجمع الوطني الديمقراطي (1997-2002) حزب السلطة الجديد الذي كان الشاب الشاعر والروائي من مؤسسيه، عكس جبهة التحرير التي لم ينخرط فيها رغم هذا المسار المهني الرسمي الذي أوصله إلى مرحلة التفكير في الترشح لرئاسة الجمهورية الذي دعمته فيه أحزاب مثل جبهة التحرير زيادة على حزبه التجمع الوطني الديمقراطي، الحزب الذي وصل إلى قيادته بعد سجن أمينه العام أحمد أويحيى، مما ساعد على الترويج أن جزءاً مهماً من القيادات العسكرية التي كانت على رأس المؤسسة خلال فترة الانتخابات (ديسمبر 2019) كانت وراء هذا الدعم إلى حين إبعادها من مواقعها القيادية ودخلها السجن، كما كان الحال مع الجنرال وسيني بوعزة، في إطار الصراع الذي عاشته المؤسسة العسكرية خلال هذه الفترة الحرجة من تاريخ الجزائر السياسي. لينتهي المسار السياسي لميهوبي بالإعلان عن اعتزاله العمل الحزبي والسياسي في جانفي 2023 في رسالة للرأي العام الوطني أعلن فيها تفرغه نهائيا للكتابة والعمل الأدبي.

أبناء معلمي اللغة الفرنسية... القبائل وأبناء تلمسان

عكس التعليم التقليدي بالعربية الذي كان منتشرا على المستوى الوطني، سنكون ونحن نتكلم عن الوزراء أبناء الأوساط الاجتماعية المرتبطة بالمدرسة العصرية الفرنسية والتعليم بهذه اللغة، أمام تمرکز واضح لهذه الأوساط في مناطق جغرافية محددة، تأتي على رأسها منطقة القبائل الريفية وبعض الأوساط الحضرية بمدن معروفة، كما هو حال تلمسان وحواضرها. كما تؤكد حالة عائلة بومنجل وزير الأشغال العمومية (1962-64)، ابن منطقة القبائل التي حافظت على نفس مهنة التعليم وباللغة الفرنسية على مستوى جيلين كاملين¹⁶⁴؛ فقد كان الأب محمد بومنجل نفسه معلماً باللغة الفرنسية، التي كانت هي نفسها مهنة الابن أحمد قبل الترقية والانتقال إلى مهنة المحاماة التي مارسها أبناء

163. الوزير والدبلوماسي ميهوب الميهوبي ينتمي جغرافيا إلى ولاية تبسة، لكنه ينتمي إلى قبيلة أولاد دراج التي تملك امتدادا في هذه الولاية وبعض الولايات الشرقية الأخرى.

164. انظر لمزيد من التفاصيل الكتاب الذي خصصه المؤرخ صادق سلام لأحمد بومنجل في فصله الأول تحت عنوان معلم من الأب إلى الابن ص 23-36.

الجيل الثاني وليس الأول الذي اكتفى بالترقية التي حصل عليها عن طريق مهنة التعليم، والتي سمحت له بالتعرف على الكثير من مناطق البلاد نتيجة التنقل الذي كان يُفرض على المعلمين خلال تلك الفترة.

المحاماة التي امتنها بعد التخرج من جامعة باريسية، كما كان يحصل لدى أبناء بعض العائلات التي لم تكتف بمهنة التعليم التي فقدت بريقها مع الوقت، عكس المحاماة التي استمرت مطلوبة كتأهيل وموقع اجتماعي، كما تبينه حالة الابن أحمد الذي استمر الطلب على خبرته القانونية لمدة طويلة، في الكثير من المحطات السياسية التي عرفت بها الجزائر قبل الاستقلال وبعده.

أحمد بومنجل ابن توريرت آيت منقلات، بعين الحمام في ولاية تيزي وزو، ينتمي للجيل الكبير من الوزراء (1980-1982)، أتمّ تعليمه في مدرسة بوزريعة للمعلمين التي كانت معروفة كوسط فرنكفوني، قريب سياسيا من الأطروحات الاندماجية التي كانت حاضرة عند الأب محمد بومنجل، المعلم باللغة الفرنسية هو الآخر، عبر المجلة المشهورة *La voix des humbles* التي دافعت عن أطروحات هذا التيار الاندماجي¹⁶⁵. لم يمنع في الأخير أحمد بومنجل، ابن هذا الوسط الريفي القبائلي الذي كان على رأس المستفيدين من المدرسة الفرنسية حتى ونحن نقارنه بأوساط حضرية، من التقرب لاحقا من التيار السياسي الاستقلالي كمناضل سياسي في الأول ومحام لاحقا، وهو يدافع عن الكثير من الوجوه المنتمة لهذا التيار كمصالي الحاج وحتى الحبيب بورقيبة الذي ارتبط بعلاقة صداقة معه منذ تلك الفترة... ليستمر في أداء نفس المهمة مع قيادات الثورة المسجونة في فرنسا ومع شباب الحركة الطلابية كالعياشي ياك¹⁶⁶ وأحمد طالب الإبراهيمي اللذين كانا قرييين منه سياسيا وسوسيولوجيا.

فقد اقترب الرجل من حزب الشعب لوقت قصير، ليباعد بسرعة عن هذا الحزب الشعبي الجذري وهو يتجه نحو التيار الليبرالي الممثل داخل الحركة الوطنية من قبل عباس فرحات بالأحزاب السياسية التي عبر سياسيا من خلالها كالاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (UDMA). كما كان الحال مع الكثير من المثقفين في الجزائر الذين لم تستهويهم الأفكار الاستقلالية الجذرية، بعمقها الشعبي وأساليب عملها الثورية. هو الذي اختار أسلوب التنافس الانتخابي الذي أوصله إلى المجالس المحلية بالجزائر وباريس وحتى

Sadek Sellam, Ahmed Boumendjel-1908-1982. *De la conquête morale à la reconquête de la souveraineté nationale*, Barzakh Éditions, Alger, 2022.

165. Fanny Colonna, *Instituteurs algériens 1883-1939*. Éditions Presse de la fondation des sciences politique, Paris, 1975.

166. العياشي ياك¹⁶⁶. العياشي ياك¹⁶⁶ وزير تجارة بومدين في السبعينيات (1969-77) كان من الطلبة القلائل الممثلين لحزب عباس فرحات، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA داخل اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين.

سيناتور في الاتحاد الفرنسي (1948)، مما سمح له بالتعرف على الكثير من وجوه النخبة الإفريقية الإصلاحية كهفوات بواني الإيفواري وسنغور السينغالي الذين ربط معهم علاقات دامت إلى ما بعد الاستقلال عندما وصل الرجلان إلى موقع الرئاسة في بلديهما، وظفها الرجل لصالح القضية الجزائرية في بداية الستينيات وهو يقوم بدور دبلوماسي.

استمر المحامي أحمد بومنجل في أداء الكثير من المهام القانونية كمحام وخبير قانوني في الكثير من الملفات السياسية والقانونية الذي كلفته بها جبهة التحرير، بعد التحاق عباس فرحات بها بعد 1956، إلى غاية اغتيال الأخ الأصغر علي، المحامي هو الآخر في 1957¹⁶⁷، من طرف الجيش الفرنسي مما فرض عليه المغادرة إلى تونس، التي عاش فيها وحده دون عائلته الصغيرة التي كونها مع معلمة فرنسية¹⁶⁸ أنجب معها بنتين فقط : الأولى تخرجت كترجمة في حين اختارت الثانية الطب. هو الذي تربى في عائلة كبيرة مكونة من سبعة إخوة وأخوات وُلدوا في مناطق مختلفة من الجزائر نتيجة تنقل الأب المعلم...

« الوالد لم يكن راضيا عن السلوكيات التي لاحظها لدى النخبة السياسية والعسكرية الجزائرية في تونس، ربما بسبب الفارق في السن واختلاف المشارب الثقافية » تقول البنت أستاذة الطب¹⁶⁹.

استمر أحمد بومنجل في أداء مهامه السياسية داخل مؤسسات الثورة كالمجلس الوطني للثورة الجزائرية الذي مثل داخله تياره السياسي، وكخبير قانوني أثناء مفاوضات لاروس وإيفيان التي أفضت إلى استقلال الجزائر، خاصة عندما كان يتعلق الأمر بملف الصحراء الشائك. أدوار أخرى قام بها الرجل على المستويين الدبلوماسي والإعلامي عندما شارك مع بعض وجوه النخبة مثل الطبيبين بيار شولي وفرانز فانون في تسيير مكتب إعلام الحكومة المؤقتة والكتابة في جريدة المجاهد. الموقف المؤيد الذي اتخذه عباس فرحات من مجموعة تلمسان التي كان يقودها الثنائي بومدين وبن بلة هو الذي يفسر وصول بومنجل على رأس وزارة الأشغال العمومية (1962-64) والتي غادرها بعد تدهور العلاقة بين الطرفين، كما عبرت عنها استقالة عباس فرحات من رئاسة المجلس التشريعي في 1963. رغم هذه الاستقالة، لم تنقطع تماما علاقة المحامي بومنجل بالنظام الجديد الذي جاء بعد إبعاد بن بلة وهو يركز على جانب التأهيل القانوني لدى الرجل قبل الأبعاد

167. يمكن العودة لمزيد من التفاصيل للكتاب الذي خصصته له المؤرخة مليكة رحال Rahal Malika, Ali Boumendjel, une affaire française, une histoire algérienne, Éditions Barzakh, Alger, 2011.

168. ساهمت السيدة بومنجل في الكتابة الصحفية لصالح القضية الجزائرية.

169. أجرينا المقابلة مع السيدة شيتور ابنة بومنجل أستاذة الطب. انظر البورتري الذي أنجزناه حول الأب أحمد بومنجل في : ناصر جاني، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 296.

السياسية لشخصيته. فقد اقترح عليه بومدين عدة مناصب كالأمانة العامة للحكومة وسفارة الجزائر في السويد، ليقبل في الأخير بمنصب ممثل الجزائر في الأمم المتحدة بجنيف (1965-68)، واستمرت هذه العلاقة مع النظام الجديد بعد العودة من جنيف على شكل تكليف بملفات قانونية طلبها نظام بومدين للاستفادة من الخبرة القانونية للرجل، مثل ملف محمد خيضر المختال في مدريد في 1967، في شقها المالي خاصة، لتكون هذه المهمة آخر علاقة للرجل مع نظام بومدين.

تميّز منطقة القبائل في إنتاج هؤلاء الوزراء من أبناء المعلمين بالفرنسية تأكد مرة أخرى مع عبد الحميد عباد، وزير التكوين والتعليم المهني ضمن طقم حكومة علي بن فليس (2002-2003) الذي ينتمي إلى جيل أصغر (من مواليد 1950) والذي كان أبوه معلما بالفرنسية ومدير مدرسة. مهنة التعليم بالفرنسية التي كانت مهنة الأم كذلك والجد من الأم، ابن بلدية الشميني بولاية بجاية الساحلية، خريج مدرسة بوزريعة للمعلمين، كما كان حال أبناء عائلة بومنجل. مهنة التدريس التي فرضت على الزوج عباد التنقل بين عدة مدن كسطيف للاستقرار أخيرا في حي الحراش الشعبي بالعاصمة، بعد إنجاب 11 ولدا وبنات، تخرّج منهم خمسة أطباء، على غرار الأخت الكبرى أستاذة الطب، وثلاثة مهندسين، وعقيد في سلاح البحرية؛ دليل على تثمين هذا الرأسمال النخبوي الذي ميز عائلة عباد للجيل الرابع.

حي الحراش الذي ارتبط به الابن عبد الحميد على أكثر من صعيد، رغم أن هذا الحي كان معروفا أكثر داخل العاصمة باستقبال كبير لأبناء منطقة الوسط - ولايتي البويرة والمسيلة تحديدا - وليس أبناء منطقة القبائل، كما هو حال أحياء أخرى مثل الأبيار أو بن عكنون بأعالي العاصمة. أنهى عبد الحميد دراسته في ثانوية عبان رمضان الكائنة في الحراش، الفترة التي مارس فيها الشاب رياضة كرة القدم في فريق اتحاد الحراش الذي انتمى إليه خلال هذه الفترة مع شبيبة جبهة التحرير. وبعدها أنهى دراسة الطب في جامعة الجزائر، تخصص طب الأذن والأنف والحنجرة، فتح عيادته الطبية في الحراش دائما، وتزوج لاحقا من إحدى بنات الحراش، الحاصلة على ليسانس إنجليزية.

علاقة مع هذا الحي وصلت إلى المستوى السياسي عندما اختار هذا الطبيب الشاب الانخراط في فرع قسمة جبهة التحرير وهو لا يزال طالب في الجامعة، والترشح لاحقا للانتخابات المحلية ليقل له.. أن ملفه الإداري قد ضاع...

« كانت فرصة لأكتشف أنه داخل جبهة التحرير كان هناك خوف من العناصر المتعلمة التي تريد الالتحاق بالحزب خلال هذه الفترة 1984 ».

لم يبتعد الطبيب الشاب عن جبهة التحرير، بعد الإعلان عن التعددية، رغم هذا الفشل في الترشح للانتخابات المحلية؛ ليأتيه أول اقتراح سياسي للترشح هذه المرة من

الجهة الإسلامية للإنقاذ في 1990¹⁷⁰، والذي رفضه، ليقبل - على العكس - بمنصب رئيس مندوبية على أنقاض حل المجلس الشعبي البلدي الذي فازت به قائمة الجهة الإسلامية للإنقاذ، كما ساد في مدينة الجزائر العاصمة...

« لم أبقَ إلا ستة أشهر على رأس المندوبية التي غادرتها بعد تفشي ظاهرة الاغتيالات التي طالت رؤساء المندوبيات المعينين الذين تعاملت معهم المجموعات المسلحة التابعة للإسلام السياسي كأهداف للاغتيال ».

كان لا بد من انتظار سنة 2002 لكي يترشح ابن حي الحراش للانتخابات التشريعية في العاصمة تحت راية حزبه جبهة التحرير...

« خلال الحملة الانتخابية تعرفت على الكثير من الوجوه، كان من بينهم علي بن فليس الأمين العام للحزب الذي اقترح علي منصب وزير التكوين المهني في أول حكومة له... وزارة كان على رأسها ابن بجاية، كريم يونس الذي سمعت منه أن الرئيس بوتفليقة كان قد طلب منه قبل مغادرة موقعه إلى رئاسة المجلس الشعبي الوطني أن يختار وزير التكوين المهني من رجال ثقته ».

طلب قد يفهم بسهولة إذا عرفنا أن الأخ الأصغر للرئيس (ناصر بوتفليقة) هو الذي كان آمينا لهذه الوزارة. موقع لم يغادره طول بقاء الأخ الأكبر في قصر المرادية.

في حين غادر عباد موقعه الوزاري في أكتوبر 2004 بطلب من الأمين العام للحزب علي بن فليس بعد التدهور السريع لعلاقاته مع رئيس الجمهورية، على وقع انتخابات العهدة الثانية للرئيس بوتفليقة التي نافسه عليها الأمين العام للحزب وأدت إلى تجميد مالية الحزب وإلغاء نتائج مؤتمره...

« أحمد أويحيى الذي عوض بن فليس كرئيس حكومة هو الذي طلب مني البقاء في مناصبي، لكنني رفضت الاقتراح احتراما للانضباط الحزبي، أنا وسبعة وزراء من جبهة التحرير الذين قدم لهم أحمد أويحيى نفس الاقتراح في إطار لعبة سياسية يمكن أن نتوقع بسهولة أن الأمين العام المنافس علي بن فليس هو الذي كان المقصود به ».

ليعود الرجل إلى عيادته في الحراش والتكفل بفيدرالية جبهة التحرير في هذا الجو المضطرب، والبقاء بعيداً عن أي ظهور سياسي أو إعلامي.

ليس غريبا أن تكون تلمسان بطابعها الحضري المتميز، عكس منطقة القبائل الريفية، هي التي تميزت بإنتاج وزراء من ذوي هذه الخلفية الاجتماعية المرتبطة بالمدرسة الفرنسية، بداية من جيل الجد. والتي عرفنا كيف كانت الاستفادة منها أكثر حضورا في بعض المدن القديمة كتلمسان التي تميزت على الدوام بإنتاجيتها الكبيرة من النخب المختلفة، كما تبيينه حالة عائلة مصلي التي تملك علاقة قرابة بالزعيم الوطني مصالي الحاج.

170. استراتيجية الجهة الإسلامية للإنقاذ الانتخابية كحزب سياسي جديد اعتمدت على استقطاب وجوه معروفة ومنغرسه محليا لتقدمها للانتخابات المحلية والتشريعية. كانت لها إيجابيات كثيرة كما أظهرت نتائج الانتخابات ذلك. لكن كان لها سلبات أخرى مثل إمكانية الاختراق التي حصلت والانشقاق لاحقا بعد مرور مرحلة الصعود.

عائلة مصلي التلمسانية التي كان فيها الجدان من الأب والأم معلّمين بالفرنسية، زيادة على تمكنهما المعقول من اللغة العربية كالكثير من هذه الأوساط التلمسانية الحضرية التي انتشر فيها التعليم لدرجة وصوله إلى إناث العائلة، كما كان الحال مع أم الياس مصلي نفسها الحاصلة على الشهادة الابتدائية. في حين فضّل الوالد، المتحصل على شهادة الأهلية، التوجه نحو العمل الحرفي، في ميدان النسيج الذي اشتهرت به المدينة.. هو الذي تميز بتمكن أكثر بالفرنسية من العربية.

لم يكن مطلوبا من أبناء تلمسان الخروج من مدينتهم لإتمام كل تعليمهم إلى نهاية المرحلة الثانوية، وهو ما فعله الشاب لياس ثم واصل دراسته في مدرسة الحراش التي تخرّج منها كمهندس زراعي في 1966، ولم يغادر العاصمة بعد ذلك، بل توجه نحو مديرية الفلاحة ليُنصّب على رأسها في 1969 بعد ثلاث سنوات فقط من العمل، كما كان شائعا خلال هذه الفترة التي كانت يشكو فيها البلد قلة الإطارات. انتقل إلى مدينة مستغانم سنة 1974 لتولي نفس المسؤولية، ثم عاد إلى منصبه القديم في العاصمة إلى غاية 1976. العاصمة التي تزوج فيها المهندس الزراعي من إحدى بناتها التي أنهت تعليمها كمهندسة زراعية (أخت زوجة الوزير ورئيس الحكومة عبد السلام بلعيد) وأنجبا ثلاث بنات تخرجن كطبيبات.. دعما لهذا المسار النخبوي لهذه العائلة التلمسانية.

نقلة وظيفية مهمة حصل عليها ابن تلمسان وهو ينتقل إلى مقر وزارة الفلاحة لتولي مسؤولية مدير عام (1976-84)، ثم مدير للدراسات في الوزارة الأولى (1984-88)، واشتغل بعدها في صندوق مساهمة الصناعات الغذائية (1988-90)، قبل أن يعرف نقلة نوعية أخرى في مساره المهني وهو يُعيّن واليًا لولاية البليدة لمدة سنة واحدة فقط (1990-91)، وصل بعدها إلى وزارة الفلاحة كوزير ضمن طاقم حكومة غزالي ابن مدينته تلمسان، واستمر في نفس المنصب مع عبد السلام بلعيد، رئيس الحكومة الذي خلف غزالي خلال هذه الفترة المضطربة. مصلي الذي بقي صامدا في منصبه طول بقاء الحكومتين (1991-93)، غادر موقعه المهني على رأس وزارة الفلاحة دون العودة لأي منصب سياسي أو دبلوماسي بعد ذلك، واكتفى بكتابة مقالات غير منتظمة في الصحافة الوطنية وإصدار كتاب حول قضايا الفلاحة في الجزائر التي احترفها كمهنة وتخصص دراسي¹⁷¹.

الوزير ابن العامل الأجير المتنقل بين الضفتين

فئة الأجراء بمختلف شرائحهم التي كانت ممثلة بما مقداره حوالي 9 بالمائة في إنتاج النخبة الوزارية منذ جيل الجد، وهي تحتل المرتبة الرابعة بعد الملاك الكبار والمتوسطين

171. Mohamed Elyes Mesli, *Les origines de la crise agricoles en Algérie, du cantonnement de 1946 à la nationalisation de 1962*, Dahlab Éditions, Alger, 2011.

والملاك الصغار والحرفيين، ولا تضم فقط الموظفين الصغار، كما بيّنا، بكل الخصوصيات التي تميزهم، فهي تضم أيضا أجراء الصناعة والخدمات وعمال الزراعة الأكثر تواضعا وقربا من الفئات الشعبية، حتى ولو كانت هذه الفئة الأخيرة (عمال الزراعة) تُحسب على الريف وليس المدينة. أهمية هذه الفئة (العمال الأجراء) تكمن في كونها من الفئات الشعبية القليلة التي ساهمت في إنتاج النخبة الوزارية الجزائرية، إذا استثنينا فئة الفلاحين الصغار. علما أن الدراسات الاقتصادية والاجتماعية تؤكد أن العمل المأجور بمفهومه الرأسمالي الحديث لم يكن منتشرا كثيرا داخل نمط الإنتاج الكولونيالي الذي ميز الجزائر خلال هذه الفترة التي نتحدث عنها، فالدراسات التاريخية تؤكد أنه وحتى عندما تعلق الأمر بالعمل المأجور في القطاع الزراعي الذي كان الشكل الأوسع انتشارا، مقارنة بالصناعة، فإنه قد تأخر عن الظهور لعدة أسباب متعلقة بالطابع الكولونيالي للرأسمالية نفسها، كما بينت ذلك جيدا الدراسات المعروضة في مراجع الدراسة التي تكلمت عن هجرة الكثير من الجزائريين للعمل في فرنسا بداية من مرحلة الحرب العالمية الأولى التي زادت فيها حاجة المصانع الفرنسية إلى اليد العاملة الجزائرية، كما تتبعنا ذلك من خلال حالة جد إيسلي محمد أرزقي، نائب وزير مواد البناء ووزير النقل خلال مرحلتي نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، الذي هاجر جده للعمل بفرنسا بعد التخلي عن العمل الفلاحي في منطقته بالقبائل الصغرى، داخل ملكيته الصغيرة. إيسلي الذي عُرف بقربه من عبد السلام بلعيد كأحد التكنوقراط الذين استطاع تجنيدهم هذا الوجه السياسي المعروف منذ انطلاق التجربة البومدينية، وهو نفس حال جد بوجمعة عبد القادر وزير الشباب والرياضة داخل حكومة مولود حمروش، الذي هاجر للعمل في فرنسا هو الآخر، والذي ينتمي إلى نفس الجهة الجغرافية تقريبا بمنطقة القبائل (المناطق الأمازيغية الجبلية بـ برج بوعريج) التي عرفت هي الأخرى هجرة عمالية لفرنسا بداية من جيل الجد. تجربة سياسية للرجل لم تدم طويلا داخل هذه الفترة القصيرة لحكومة حمروش التي خرج منها بانطباع سيء عن تسييرها وعلاقة وزرائها برئيس الحكومة وهو يتكلم عن حكومتين لحمروش واحدة في النهار التي ينتمي لها وزير الشباب والرياضة - كان يفضل الحصول على وزارة الصحة هو أستاذ الطب - وأخرى في الليل تعتمد على بعض الوزراء المقربين من رئيس الحكومة. أما جد لخضر بايو، كاتب الدولة ونائب الوزير للصناعات الصغيرة والمتوسطة لمدة قصيرة بعد الإعلان عن التعددية الحزبية (1989-92)، فكان عاملا زراعيا أجيرا ولم يُعرف عنه أي شكل من أشكال الملكية الزراعية مهما كان حجمها؛ مما يصنفه ضمن الفئات الأكثر فقرا في المجتمع الجزائري، والتي ساهمت بقسط ضعيف في إنتاج النخبة الوزارية في البلد. كما يؤكد حال لخضر بايو الذي وصل إلى مواقع غير مهمة لفترة قصيرة مع حكومتَي قاصدي مرباح وسيد أحمد غزالي، بعد فترة سبع سنوات كاملة قضاها كأمين عام لوزارة الصناعة.

تشابه كبير يمكن أن نلاحظه بين حالة لخضر بايو كأصول اجتماعية ومواقع وزارية متواضعة مع حالة محمد سلوقي الوزير المنتدب للمناجم لمدة سنة واحدة (1990-91) في حكومة حمروش الذي لم تُعرف عن جده مهنة محددة. كان أقرب فيها لحالة البروليتاريا الرثة التي ارتبطت بالعمل المؤقت في أكثر من قطاع مهني، بما فيها العمل الزراعي. فئات فقيرة أمدت الطبقة العاملة على مستوى جيل الأبناء بالعمل المأجور، حتى ونحن نلاحظ تلك الاستفادة التي استطاعت تحقيقها على مستوى التعليم بعد الالتحاق بمدينة قسنطينة كما حصل مع الأب سلوقي الحاصل على الشهادة الابتدائية سنة 1924 التي لم تشفع له في الحصول على موقع مهني مهم، سمح له فقط بالانتقال للعمل كعامل بأجر دائم في منجم الوزنة بأقصى الشرق الجزائري.

ليتولى الابن محمد لاحقا، كوزير منتدب، تسيير نفس القطاع الذي كان يشتغل فيه الأب كعامل منجمي، كدليل على القفزة النوعية التي حققتها الكثير من الأوساط الشعبية بعد الاستقلال. الابن محمد الذي مر على عدة مواقع تسيير داخل قطاع المناجم الذي لا يعرف غيره، وصولا إلى عضوية الحكومة التي لم يكن يحضر اجتماعاتها لكونه وزيرا مُنتدبا وليس وزيرا كامل الصلاحيات. لهذا الأب عامل المناجم الذي عوض موقعه المهني البسيط بنجاح كبير في تعليم أبنائه الثمانية الذين وُلدوا كلهم بمدينة قسنطينة، كما كان الحال مع الابن محمد أصغر إخوته الذي تخرج كمهندس من الاتحاد السوفييتي، ليتمكن بكر العائلة من الحصول على شهادة الدكتوراه في الطب والتخصص في الأمراض الصدرية داخل مؤسسة الجيش، وكان ضمن المجموعة التي تكفلت صحيا بالرئيس بومدين عند مرضه...

« أعتقد أنه هو الذي كلم حمروش عني، والذي لم أكن أعرفه ».

في حين تخصص أخوان آخران في العلوم الاقتصادية كأستاذين جامعيين في الجزائر والخارج.

رغم هذا النجاح العائلي الذي جسده جيل الأبناء، مازال الابن محمد كثير التذمر من تجربته في القطاع الصناعي ومن عبد السلام تحديدا الذي لا يزال يتذكر كيف أنه... « كان يتحدث بالأمازيغية قبل الانطلاق في الاجتماعات الرسمية كدليل على ذلك الحضور القوي لأبناء منطقته في قطاع الصناعة الذي سيره الرجل لسنوات كوزير خلال فترة الرئيس بومدين، ليصل به الأمر إلى اتهامه بالجهوية لأنني وظفت إطارا من قسنطينة ». لم يعد محمد سلوقي إلى الحكومة مرة أخرى، بل توجه نحو العمل كخبير دولي وتسيير مؤسسة خاصة لاحقا...

« فأنا مازلت مقتنعا أنني رجل تكنوقراطي وليس سياسي، رغم أنني انخرطت في جبهة التحرير تحت إلهام بعض الأصدقاء... علما أن فترة العمل كمدير السنة التي قضيتها كوزير منتدب أرحم بالنسبة لي... كنت أستطيع الأكل في المنزل مع الأولاد، عكس فترة

التسيير في القطاع الصناعي الذي كنت أشتغل فيه 12 ساعة يوميا تحت ضغوط النقابة التي كانت حاضرة بقوة داخل القطاع... لم أستفد من عملي كإطار... كنت أسكن في شقة من ثلاث غرف وحتى عندما بنيت فيلا في ضواحي العاصمة لم أسكنها لسنوات بسبب الوضع الأمني».

محمد مغلاوي وزير السكن والنقل والمواصلات السلكية واللاسلكية من بداية التسعينيات إلى 2007، كان جده من الأب هو الآخر عامل مسح topographe بمنجم فليفلة قرب سكيكدة، موطن العائلة. موقع مهني يؤكد حضور العمل المنجمي في إنتاج بواكير هذه الطبقة العاملة الجزائرية بداية من جيل الجد من الأب التي ساهمت بهذا الحجم الضعيف في إنتاج النخبة الوزارية. في وقت كان فيه الجد من الأم، الزيتوني، صاحب الملكية الزراعية المتوسطة (150 هكتارا) ينشط كتاجر كذلك زيادة على هذه الملكية الفلاحية التي بقيت دون تقسيم على شكل ملكية عائلية جماعية في هذه المنطقة المعروفة بالتنوع الجيدة لأراضيها، لتعيش هذه العائلة تدخلاً في المواقع المهنية- الاجتماعية، مما يزيد في صعوبات التصنيفات التي قمنا على أساسها بتحديد هذه الفئات الاجتماعية المنتجة للنخبة الوزارية، دون أن يجعلنا نعيد النظر في موقع هذه العائلة الاجتماعية التي من السهل ضمها إلى الفئات المتوسطة الميسورة كما صنفها الحفيد محمد : « عائلتي كانت غنية بمقاييس القرية والعالم الريفي التي كانت تعيش فيه »، وكما أكدته العائلة نفسها وهي تستفيد من تعليم عال انطلق من جيل الجد من الأم، خريج الزيتونة، وحتى الأم التي استفادت من تعليم بالعربية إضافة إلى الفرنسية بالنسبة للأب (ابن عمها). استفادة من هذا التعليم سمحت له بالحصول على مهنة عصرية داخل القطاع المنجمي الذي عُرفت به منطقة فليفلة الجبلية بمنجمها الكثيرة. وسط حافظ على الزواج الداخلي حتى هذا الجيل للحفاظ على هذه المواقع الاجتماعية والثقافية المتميزة. ارتبط محمد مغلاوي ابن هذه المنطقة المنجمية بقطاع الحديد والصلب بمدينة عنابة التي التحق بها للعمل والعيش فيها كالكثير من أبناء منطقته الأصلية القريبة سكيكدة.. أين احتل الكثير من المواقع القيادية على رأس مؤسسات القطاع لغاية 1987 تاريخ ترشيحه من قبل حزب جبهة التحرير لتمثيل مدينته بالتبني التي عُرفت بالانفتاح على الكثير من الهجرات التي التحقت بها كما هو حال أبناء وادي سوف والشاوية وأبناء المناطق الريفية من ولاية سكيكدة القريبة التي تنتمي لها عائلة مغلاوي. خلال هذه الفترة التي حاول فيها حزب جبهة التحرير الانفتاح على المجتمع باحتشام، سنة واحدة قبل أحداث 5 أكتوبر 1988 في آخر انتخابات أحادية، وهو يقبل بتقديم ثلاثة مرشحين إلى المنصب نيابي بدل اثنين، كما كان الحال دائما وهو يفتح على نخب التصنيع من الإطارات التي عُرفت تقليديا ببعدها عن النشاط السياسي في ظل الحزب الواحد.

ترشح محمد مغلاوي ونجح في هذه الانتخابات، وانتقل إلى العاصمة وتم تعيينه في أول موقع كوزير منتدب للسكن في حكومة غزالي (1991)، إلى غاية التعديل الذي أدخل على الحكومة بعد تعيين المجلس الأعلى للدولة في جانفي 1992... « كانت تجربة سيئة للغاية... لم نكن نملك قنوات اتصال خاصة بنا كوزراء منتدبين... الموظفون كانوا يخافون من التعامل معنا... موقع كاتب الدولة كان أحسن من الوزير المنتدب ».

لم يبتعد محمد مغلاوي عن المواقع الحكومية منذ تلك الفترة، فقد عُيِّنَ وزيرا للسكن في 1992 بعد تجربة قصيرة على رأس ولاية العاصمة خلال فترة حكومة عبد السلام بلعيد في ظرف أمني وسياسي كارثي... « نحن جماعة التصنيع لم نكن نقدر أن نرفض العمل مع عبد السلام، مهما كان الموقع الذي يقترحه علينا ».

لينتقل خلال نفس السنة إلى وزارة البريد والمواصلات سنة 2000، وكان وزيرا للنقل مرتين بين 2004 و2007 مع بن فليس وبن بيتور قبله، والذي كان قد تعرف عليه في كندا عندما كان يدرس للحصول على شهادة ماستر في فترة السبعينات. مرحلة كان الرجل قد عاش خلالها تجربة نيابية أخرى، بعد عودة الجزائر إلى المسار الانتخابي (1997) الذي فاز فيه بموقع نيابي أوصله إلى رئاسة لجنة الدفاع بالمجلس عن ولايته الأصلية سكيكدة هذه المرة وليس عنابة كما كان الحال في الأولى، ثم عودة ثالثة بعد انتخابات 2002. ليتكفل بعد إبعاده من الحكومة بملف العلاقات مع المنتخبين داخل التجمع الوطني الديمقراطي، الحزب الذي انتمى إليه منذ 1997. إبعاد حصل بعد انتقادات حادة وجهها له الرئيس بوتفليقة مباشرة على التلفزيون العمومي أثناء زيارة لورشة بناء مطار الجزائر الدولي، رغم أنه كان من المؤيدين للرئيس داخل البرلمان والتجمع الوطني خلال محطات سياسية مهمة، كما كان الأمر في الانتخابات الرئاسية 2004. فكما كان التلفزيون وسيلة للوصول إلى المواقع السياسية كان، في حالة مغلاوي وآخرين، وسيلة للإبعاد منها، داخل نظام سياسي لا يملك فيه الوزير أدنى فرصة للدفاع عن نفسه أمام رئيس الجمهورية وهو يوبخه على المباشر.

أحفاد البشاغات والقياد الذين حافظوا على حضورهم

على عكس هذه الفئات الشعبية والفقرية ضعيفة الحضور في عملية الإنتاج النخبوي بالمدينة والريف على مستوى جيل الجدين، فإن سيطرة أبناء العائلات الغنية والمالكة ازدادت وضوحا لصالح القوى الميسورة إذا أضفنا إليها النسبة العالية (حوالي 6 بالمائة مقارنة مع حضورهم الديموغرافي) من الذين كان جدهم بشاغا أو آغا أو قايد أو موظف سام، وهي من الفئات التي يمكن ضمها بسهولة إلى فئة مالكي الريف الكبار والمتوسطين،

زيادة على ما يميزها من ارتباط وظيفي بالظاهرة الاستعمارية نفسها. فئات، يؤكد حضورها على مستوى عملية الإنتاج، أن تاريخ المجتمع الجزائري لم يكن دائما وفي كل الحالات مجتمع القطيعة السوسولوجية والسياسية، فالاستمرارية لم تكن بعيدة عنه حتى في هذه المجالات السياسية. وهو ما يؤكد حضور أبناء هذه العائلات المرتبطة وظيفيا بالظاهرة الاستعمارية بعد الاستقلال مباشرة وبعد ثورة تحرير جذرية في هذه المناصب السياسية كوزراء في الكثير من الحكومات.

دراسة كوليت إستبليت¹⁷² التي خصصتها لدراسة ظاهرة القيادة في الجزائر من خلال حالة قياد قبيلة النمامشة بأقصى الشرق الجزائري خلال الفترة المتراوحة بين 1851 و1912، تؤكد من خلال دراسة الحالة هذه ما ذهبت إليه الدراسات التاريخية الكلية من... « أن فرنسا وفي المرحلة الأولى من الاستعمار كانت قد لجأت إلى عائلات موسعة كانت معروفة بسيطرتها على الجهة منذ قرون، تعاملت سابقا أو لم تتعامل مع الأتراك، عائلات أكثر ارتباطا بالمجالات الحضرية من البداوة¹⁷³، ليتغير خيار الإدارة الفرنسية (تقول الباحثة) نحو أبناء القبائل بما فيهم أبناء القبيلة المدروسة (النمامشة) وأولئك الذين خدموا في الجيش الفرنسي كمقابل عن الخدمات المقدمة للفرنسيين، بالإضافة إلى الكراغلة¹⁷⁴ المعتودين على العمل الإداري. لتلاحظ الباحثة كيف ضعفت سيطرة العائلات القديمة الممتدة، لصالح العلاقات المباشرة داخل نفس العائلة، فمنصب القائد تحول إلى موقع يورث في المقام الأول للأبناء والإخوة¹⁷⁵... »

الباحثة الفرنسية عند حديثها عن تطور هذه المواقع في منطقة تبسة بأقصى الشرق الجزائري ترى... أن المصادر الفرنسية المستعملة في هذه الدراسة لمدة نصف قرن سمحت لها بالتعرف على تطور التسيير الفرنسي لهذا المجتمع البدوي الجزائري؛ فقد زاد عدد الذين وظفتهم هذه الإدارة: أعضاء الجماعة، كبار، شيوخ وقياد، فلم يكن هناك أي فراغ في هذه المناصب، فكل تعيين لقائد أو حتى شيخ كان فرصة لظهور خصومات عفوية بين الأهالي، مما سمح لفرنسا أن تختار حسب مقاييس تطورت مع الوقت من يكون الأحسن لخدمتها من زاوية نظرها. لكن ومهما كان الشخص المختار والمقاييس المطلوبة فإن مصيرهم - القيادة والشيوخ، الفئة الوحيدة التي يمكن تتبع مسارها المهني اعتمادا على المراجع الفرنسية المكتوبة - (تقول صاحبة الدراسة) كان مصيرا صعبا؛ « فأكثر من نصف

172. Colette Establet, *Être caïd dans l'Algérie coloniale*, Édition du CNRS, Paris, 1991.

173. نفس المرجع المذكور أعلاه، ص 30.

174. أبناء الزيجات التي تمت بين جزائريات وأتراك عثمانيين من كل الشعوب التي دخلت الجزائر مع الحكم التركي.

175. نفس المرجع، ص 35.

111 الشيوخ المعينين وثلاثة أرباع القياد تم فصلهم.مصر صعب يجعلنا نتساءل أكثر من مرة : "لماذا يصر الإنسان أن يكون قايد ؟"¹⁷⁶».

الإجابة عن هذا السؤال قد نجدها في نفس الدراسة المختصة لقياد قبائل النمامشة التي تؤكد صاحبها أن... القياد تحصلوا من خلال مناصبهم الرسمية على دخول رسمية وغير رسمية هامة تسمح لهم حسبما يبدو بتخزين وتراكم احتياطي من الرجال والخبرات في اقتصاد مُعرّض لحوادي المناخ وépizootiques. لدرجة أن مواجهة الندرة ضمن هذا الوضع تتحول إلى امتياز يشبه امتيازات الإقطاعيين في المجتمعات الغربية. علما بأن القياد لم يكونوا وحدهم على رأس عملية تسيير ومراقبة الأهالي ضمن هذه السيرورة البيروقراطية، فالمؤرخة تذكر ما سمتهم بـ الكبار والخليفة والخيالة والسبايس وزمالة القايد وأخيرا الكتاب والخوجة، علما بأن الدراسة لم تهتم إلا بالقياد الذين تلاحظ أن عددهم قد زاد مع الوقت، فقبيلة النمامشة على سبيل المثال التي كانت من دون قايد ومن دون قاضي حتى سنة 1860 أصبحت مُسيّرة من قبل ثلاثة قياد و27 شيخاً بعد خمسين سنة من ذلك¹⁷⁷.

ظاهرة حضور الدولة الاستعمارية وتبقرط الكثير من الفئات التي لاحظتها أكثر من دراسة يمكن تلمسها من خلال مسارات العديد من الوزراء الذين كان جَدُّهم يحتل هذه المواقع الهامة ضمن البيروقراطية الكولونيالية، رغم كل ما يمكن قوله حولها من حيث صلاحياتها المحدودة ووضعها الاقتصادي-الاجتماعي الهش الذي تركّز عليه الدراسات التاريخية الفرنسية من حيث جذورها الاجتماعية التي اختلفت مع الوقت، لتنتقل من مرحلة سيطرة الفئات والأوساط ذات النفوذ التقليدي القديم، والذي يمتد إلى مرحلة ما قبل الاستعمار في بعض الأحيان، إلى الفئات والعائلات الأكثر تواضعا بنت تحولات مرحلة ما بعد دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر.

العربي بلخير ابن القايد صانع الرؤساء

قد يكون الجنرال العربي بلخير- وزير الداخلية في حكومة غزالي لمدة قصيرة (عشرة أشهر فقط 1991-92) الملقب بالكاردينال - أحسن من يمثل هذه الفئات الريفية المالكة الكبيرة في منطقة تيارت المعروفة بجودة أراضيها وتنوع نشاطاتها الزراعية-الرعية. فقد كان جدّه من الأب مالكا فلاحيا كبيرا، وقايد وشيخ زاوية (زاوية بلحرش التابعة للعائلة). وضع ورثه الأب بكل تفاصيله وروابطه مع العالم الريفي في بعده الديني الثقافي والسياسي. الأب الذي كان لا يحسن إلا العربية، ارتبط مع ابنة مالك وراع كبير، أميّة، من

176. نفس المرجع، ص 144.

177. نفس المرجع، ص 345.

نفس المنطقة، أنجبا تسعة أبناء وبنات احتل الطفل العربي الموقع الرابع في ترتيبهم. درس الشاب العربي بلخير في ثانوية بلعباس ووهران قبل التوجه إلى فاس لتعلم العربية... « الوالد كان يحس بحرج عندما كان يقال له أن ابنك لا يعرف العربية... النتيجة كانت أنني لم أعد إلى كنف عائلتي التي غادرتها وعمري عشر سنوات منذ تلك الفترة إلى الآن ».

العربي بلخير كان حاضرا كوزير داخلية في حكومة سيد أحمد غزالي، رغم قصر مدتها في مرحلة مفصلية من تاريخ الجزائر السياسي بالأحداث التي عرفتها كاستقالة الشاذلي بن جديد من رئاسة الجمهورية وإلغاء نتائج الدور الأول من الانتخابات التشريعية التي فازت بها جبهة الإنقاذ وتعيين المجلس الأعلى للدولة واغتيال رئيسه محمد بوضياف لاحقا في نهاية جوان 1992 بعنابة.

رغم أن هذا المنصب الحساس الذي احتله بلخير لم يكن أهم منصب لهذا الجنرال الذي تحول إلى لاعب سياسي مركزي كأحد الوجوه الفاعلة ضمن مجموعة قدماء الجيش الفرنسي لمدة طويلة خلال حكم الرئيس الشاذلي بن جديد الذي تعرف عليه في السنوات الأخيرة لحرب التحرير على الحدود التونسية، بعد التحاقه بجيش التحرير في 1958. هو الذي كان قد التحق قبل ذلك بالجيش الفرنسي لمدة سنتين (1956-58) على غرار الأخ الأكبر لهذه العائلة الغنية والمرتبطة وظيفيا بالإدارة الفرنسية التي تعرف كيف لا تضع كل بيضها في سلة واحدة، كما كان حال الكثير من عائلات هذا الوسط الاجتماعي الغني، خاصة إن تعلق الأمر بهذه السنوات المضطربة من تاريخ البلد السياسي بعد اندلاع حرب التحرير. عائلة يصر الرجل على وصفها بالوطنية رغم ذلك وهو يحدد جيل الأب تحديدا... « فقدت الكثير من مصالحها أثناء ثورة التحرير ».

بعد تجربة جيش الحدود التي عاشها كالأغلبية الساحقة من قدماء الجيش الفرنسي، التحق الشاب (من مواليد 1938 بتاخمالت بالقرب من فريدة ولاية تيارت) العربي بلخير بالجيش الوطني الشعبي داخل صفوف الدرك الوطني، لكي تنطلق تجربة هذا الملازم بعد الاستقلال التي استفاد فيها بالكثير من التربصات في الاتحاد السوفييتي وفرنسا، إلى غاية التحاقه بالناحية العسكرية الثانية في 1974 والتي كانت تحت قيادة العقيد الشاذلي بن جديد الذي كان قد تعرف عليه قبيل الاستقلال على الحدود مع الكثير من الوجوه العسكرية الأخرى من أبناء الولاية الثانية...

« حتى بومدين تعرفت عليه لكن ليس بشكل مباشر، من بعيد فقط ».

لقاء مع الشاذلي كان محددا في المسار السياسي للرجل، في علاقة¹⁷⁸ تدعّمت أكثر خلال فترة البحث عن رئيس يخلف بومدين المتوفى في ديسمبر 1978 التي تنافس فيها الكثير.

178. العلاقة التي أقامتها مجموعة الفارين من الجيش الفرنسي كانت على رأس الانتقادات التي وجهها أحمد طالب للرئيس الشاذلي بن جديد. انظر: أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري، الجزء الرابع مخاوف وآمال، دار القصة للنشر، 2023.

فقد كان الرجل على رأس المدرسة العسكرية المتعددة التقنيات (منذ 1975) التي تكون قد استقبلت الاجتماعات التي تم فيها الاتفاق بين القيادات العسكرية على الشاذلي بن جديد كخليفة لبومدين بدل الأسماء المتداولة الأخرى بما فيهم بوتفليقة الذي دعمه للوصول إلى رئاسة الجمهورية في وقت لاحق.

ليلتحق العربي بلخير برئاسة المجلس الأعلى للأمن كأمين عام لهذه المؤسسة الحساسة (1980-82) قبل ترسيم وجوده في رئاسة الجمهورية كأمين عام لمدة أربع سنوات (1982-86) رئاسة الجمهورية التي لم يغادرها الرجل بعد هذا المنصب المهم، حتى وهو يغير موقعه داخلها بعد الانتقال إلى موقع مدير ديوان رئيس الجمهورية (1986-89)، المنصب الذي كان يحتله قبله مولود حمروش الذي تميزت العلاقات معه على الدوام بالكثير من الحساسية والتنافس، بل العداوة، ليكون موقع الأمانة العامة للرئاسة - كان منصب مولود حمروش الذي غادر الرئاسة في خريف 1989 للتوجه إلى رئاسة الحكومة - هو آخر منصب للجنرال العربي بلخير برئاسة الجمهورية قبل التوجه إلى وزارة الداخلية في حكومة سيد أحمد غزالي لمدة عشرة أشهر فقط، مازال الرجل يتذكر كيف زاد فيها منسوب الشائعات حول وزرائها الذين قيل عنهم أن أغلبهم متزوجون بفرنسيات، وأنه هو شخصيا له أخ ضابط في الجيش الفرنسي يشغل مع ميران¹⁷⁹. الحكومة التي خلفت حكومة حمروش... الشخصية السياسية التي عمل معها الرجل والتي تبقى نظرتة إليه سلبية نتيجة طموحاته الكبيرة في الوصول إلى رئاسة الجمهورية، بل وحتى التلميح بأنهما حاولا استغلال أحداث أكتوبر 1988 التي لعبت فيها الأجهزة أدوارًا غريبة...

« كنت على اتصال مع الأمن ليلة الخامس من أكتوبر، طمأنوني وأخبروني أن الأمور عادية... لم أنم بعد أن أخبرني الأبناء والزوجة أن كلاً كبيراً يدور بين أصدقائهم عن الإضراب المزمع تنظيمه يوم الخامس من أكتوبر ».

موقف سلبي يعممه الرجل على حزب جبهة التحرير الذي تحول إلى معرقل فعلي لأي إصلاح للنظام السياسي، بداية من منتصف الثمانيات..

مناصب برئاسة الجمهورية بالقرب من الرئيس الشاذلي بن جديد مكنت الرجل من التعرف عن قرب على هذا الرئيس الذي قيل عنه أنه كان يملك ذكاء الفلاحين وهو يصحح : « تم الترويج عنه أنه كان رئيساً ضعيفاً لأنه كان يستشير كثيراً من المسؤولين الأمنيين والحزبيين كأعضاء المكتب السياسي، لكنه في الأخير كان يقرر وحده... الرئيس الشاذلي كان ضحية محيطه العائلي لزوجته الثانية... كنت أول من يعرف بالقرارات التي كانت تُتخذ أثناء عطلة الأسبوع من خارج المؤسسات... كنا نسميها في الرئاسة بقرارات نهاية الأسبوع ».

179. هذا ما تكون قد كتبه جريدة النهضة التابعة لحركة النهضة التي يرأسها عبد الله جاب الله الذي يكون قد اتصل بالعربي بلخير من إيران أين كان يقوم بزيارة للاعتذار من العربي بلخير.

لم ينته المسار السياسي للجنرال بلخير ولا علاقته برئاسة الجمهورية مع هذه التجربة الطويلة مع الرئيس الشاذلي بن جديد الذي...

« لم ألتق به أكثر من خمس سنوات خلال هذه الفترة ».

ليعود الرجل، بعد عشرية كاملة من الاختفاء عن الأنظار اهتم فيها باستثماراته الاقتصادية، إلى نفس الموقع مع الرئيس الجديد، عبد العزيز بوتفليقة، كرئيس ديوان (2001) قبل الانتقال إلى سفارة الجزائر بالرباط (2005) إلى غاية وفاته في 2010. ما يؤكد الحضور السياسي للرجل الذي كان من المدافعين عن وصول بوتفليقة للحكم في 1999، عكس ما قام به في 1978 عندما فضل العقيد الشاذلي عليه.

طبال فاروق ابن النخبة التلمسانية في أوضح تجلياتها

لم تتميز تلمسان بكم إنتاجها من النخبة بمختلف مكوناتها بما فيها النخبة السياسية فقط، بل كذلك بنوعيتها كما سيظهر مع حالة طبال فاروق وزير السكن في حكومتَي ابن تلمسان سيد أحمد غزالي وعبد السلام بلعيد التي خلفتها (1991-92). فقد كان الجد من الأب في هذه الحالة بشاغا صاحب أملاك عقارية كبيرة، في ريف تلمسان « أين كان يقال عن العائلة أننا عروبية ». الحفيد الوزير الذي ظهر أثناء المقابلة غير معقد من هذا الموقع للجد، فقد ضحك أثناء المقابلة وهو يقول عنه : « الجد كان يشغل مع فرنسا، ثم دورها بعد ذلك ».

في حين كان الجد من الأم قاضيا والأب طبيبا. أما الابن (من مواليد 1946) فقد قام - بتوجيه من الأب الطبيب - بدراسات في الهندسة في أكبر المدارس العليا في باريس (مدرسة Ponts et chaussées) بين سنتي 1964 و1970، للتوجه لاحقا نحو جامعة بيركلي الأمريكية للحصول على ماجستير في الهندسة المدنية (1970-72). الأب الذي كان قريبا من الحركة الوطنية الاستقلالية لدرجة نفيه إلى المغرب، هو الذي أصر على هذا التخصص العلمي...

« الجزائر في حاجة إلى مهندسين وتقنيين وليس إلى أطباء ومعلمين ».

نشط الطالب فاروق خلال دراسته في باريس وكاليفورنيا ضمن صفوف الحركة الطلابية ضد الحرب في فيتنام وتأييد القضية الفلسطينية في هاتين المدينتين النشيطتين سياسيا خلال هذه الفترة. لم يعرف هذا المهندس الشاب من قطاعات الشغل إلا قطاع البناء الذي انخرط فيه وهو يقضي فترة الخدمة الوطنية داخل مؤسسة الشركة الوطنية للبناء التابعة لوزارة الدفاع DNC-ANP.

مشوار مهني جعله يحتل عدة مواقع مهنية في مؤسسات القطاع المختلفة، حتى وصوله إلى مديرية ديوان وزير السكن في حكومة مولود حمروش، لتحصل القفزة النوعية

الفعلية عند هذا المهندس مع سيد أحمد غزالي الذي عيّنه وزيرا للسكن في حكومته التي عرفت فترة تعيينها اضطرابا سياسيا كبيرا نتيجة الأحداث السياسية الكبرى التي شهدتها، كإلغاء نتائج الانتخابات التشريعية التي فازت بها الجبهة الإسلامية وإقالة الشاذلي بن جديد وتعيين المجلس الأعلى للدولة...

« اتصل بي في البداية كرماني الوزير بالحكومة وصديق رئيسها غزالي، واتصل بي غزالي مرة أخرى ليقول لي مدير مكتبه محمد الياسين قبل أن أدخل عنده : "لا حق لك في الرفض هذه المرة" «... وهو ما أكده لي غزالي نفسه : "أنا الذي أتصل بك مباشرة، وأطلب منك مساعدتي".»

اتصال قد تكون عدة اعتبارات شجعت غزالي عليه، كالانتماء لنفس الأوساط الاجتماعية والجغرافية التي تلتقي في مدينة تلمسان، بما فيها الدراسة في نفس المدرسة الباريسية العليا حتى ولو كان ذلك في فترات تاريخية مختلفة نتيجة الفارق في السن. طبال الذي كان قد رفض اقتراحاً أقدم للوصول مع قاصدي مرباح لعضوية الحكومة في 1989...

« كنت دائماً مقتنعا أنني لا أصلح لمنصب وزير، فأنا لست رجلاً سياسياً...»

« Je suis plus intéressé par le para sismique que par le politique »

فاروق طبال الذي استمر في نفس المنصب مع حكومة عبد السلام التي خلفت حكومة غزالي...

« استقبلني عبد السلام مباشرة في مكتبه وبادرني دون أن يسمح لي بالكلام : "أنا لا أعرفك لكن في المجلس الأعلى للدولة طلبوا مني أن أبقى في الحكومة" أعتقد أنه رضا مالك الذي كنت قد التقيته بمناسبة توزيع الشهادات على طلبة متسابقين في مدرسة تكوين المهندسين بالحراش الذي كان ابنه متسابقاً ناجحاً فيها...»

الصبر الذي كان حاضرا عند هذا المهندس المعماري للبقاء في حكومة غزالي التي كانت « تحتكر فيها القرار السياسي مجموعة صغيرة من الوزراء المقربين منه » لم يكن حاضرا وهو يعيش نفس التجربة مع عبد السلام الذي ساءت علاقته مع الكثير من وزرائه من غير المقربين منه...

« عبد السلام كان لا يستمع كثيرا لكنه يقرر، عكس غزالي الذي كان يستمع كثيرا لكنه لا يقرر في نهاية الأمر...»

بعد أشهر قليلة تقدم الرجل باستقالته من حكومة عبد السلام...

« لكن رئيس الحكومة رفض استقبالي مما دعاني لتركها مكتوبة لدى مدير مكتبه محمد لياسين الذي طلب مني الذهاب في عطلة سنوية بطلب من عبد السلام وهو ما رفضته... أعتبر نفسي مستقيلاً من الآن وسأذهب في عطلة إلى الخارج. هذا ما قلته لمدير

مكتب رئيس الحكومة... من حظي أن الحكومة أقيمت بعد عشرين يومًا من تقديم استقالتي منها... بطلب من المجلس الأعلى للدولة الذي كان على رأسه خلال هذه الفترة العقيد علي كافي... عكس بوضياف الذي كان يريد التعرف مباشرة على الوزراء والذي ذكّرني بالوالد وأنا أزور معه ولاية تمنوشنت في أول خرجة رسمية له. كافي كان في المقابل لا يعرف أسماء الوزراء... ينطقها خاطئة في اجتماعات مجلس الوزراء ولا يتناقش إلا مع إبراهيم شيبوط وزير المجاهدين ابن ولاية سكيكدة والولاية الثانية مثله «.

تجربة حكومية لا يزال طبال فاروق مُصرًا على تقييم سلبي لها على أكثر من صعيد خلال هذه الفترة المضطربة من تاريخ الجزائر السياسي التي اشتغل فيها... « انتقلت فيها الجزائر من التسيير القمعي للمسألة العقارية نحو تسيير يتسم بالكثير من اللامبالاة والإهمال التام... من جهة أخرى وجدت مقاومة كبيرة من الأمين العام للنقابة المركزية الذي كان يدعم نقابيين كانوا ضد تصفية مؤسسات خاسرة. رغم أنني كنت أملك الكثير من الصلاحيات كوزير وعلاقات حسنة مع الوزراء الجامعيين، عكس قدماء النظام الذين كانت العلاقات معهم صعبة للغاية «.

لم يعد هذا التكنوقراطي للظهور بعد هذه التجربة الحكومية، وانتقل للعمل في البنك الدولي في الخارج، كالكثير من وزراء هذه الفترة من التكنوقراط من خريجي الجامعات الغربية الكبرى الذين تميز حضورهم داخل الحكومات بالقصر على رأس مواقع تقنية لم يحاولوا تجاوزها نحو مواقع سياسية رغم ما كانت تسمح به أصولهم الاجتماعية والجغرافية، وحتى تحالفاتهم العائلية كما يظهر بجلاء في حالة طبال الذي تصاهر مع عائلة زرهوني التلمسانية المعروفة بإنتاجيتها النخبوية الكبيرة، من خلال زواج وصفه بالتقليدي عبر تفاهم بين العائلتين القريبتين جغرافيا واجتماعيا.

بالطبع لم يكن جد طبال فاروق البشاغا الوحيد في هذا العدد المحدود من الوزراء، فجد معزوزي محمد السعيد وزير العمل والمجاهدين خلال الفترة البومدينية كان قائد منطقة تقزيرت البحرية بالقبائل كما رأينا ذلك ونحن نتكلم عن حفيده وزير العمل. من الوزراء والشخصيات السياسية النافذة داخل النظام السياسي خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات التي ينتمي جدها إلى هذه الفئات المرتبطة مهنيًا بالإدارة الاستعمارية، يمكن ذكر جد كمال بوشامة وزير الشباب والرياضة في حكومة الشاذلي بن جديد، بمنطقة شرشال، الذي اشتغل لاحقًا كنائب رئيس بلدية شرشال ذاتها، والتي كان قد التحق بإدارتها الأب بوشامة كموظف في قسم الحالة المدنية بعد الاستقلال. قرب وظيفي من الإدارة الفرنسية لم يمنع الأب من التوجه نحو أحزاب الحركة الوطنية حسب ما جاء على لسان الابن كمال بوشامة نفسه وهو يتكلم عن سجن الأب في معتقل لامبيس بتازولت بالقرب من باتنة، قبيل الحرب العالمية الثانية.

نفس الانتماء الاجتماعي نجده حاضرا عند مصطفى شريف وزير الجامعات في حكومة مولود حمروش في نهاية الثمانيات، الذي كان جده من الأم بشاغا هو الآخر، في منطقة الشلف. وهو نفس حال جد أحمد بن شريف من الأم كذلك الذي كان بشاغا. في حين كان جد عبد المجيد أوشيش، كما رأينا ذلك ونحن نتكلم عن الحفيد الوزير والضابط، قايد في منطقة برج بوعريريج؛ موقع وظيفي زاد عليه باليسر المالي والملكية العقارية الواسعة كما كان الشأن مع هذه الفئات.

الجدول رقم 5 : مهنة الجد من الأم

النسبة %	التكرار	المهنة
26	26	مالك عقاري/موال كبير ومتوسط
21	21	مالك عقاري / موال صغير
17	17	حرفي / مقاول صغير / تاجر
8	8	أجير صناعة / خدمات/ زراعة
17	17	موظف صغير/ مدرس/ عسكري
7	7	باشاغا / قايد / موظف سام
4	4	أخرى
100	100	المجموع

عندما يتشابه جدّ الوزير

رغم الأهمية المختلفة، كمعطى سوسولوجي وثقافي، لمكانة الجد من الأب وأدواره الأساسية التي يقوم بها على مختلف الأصعدة، بما فيها الجوانب الاقتصادية المرتبطة بظاهرة الإرث، بالمقارنة مع مكانة وأدوار الجد من الأم. مكانة مختلفة يمكن تلمسها جزئيا في تلك العلاقة التي يقيمها الوزير مع تاريخ عائلة الأم في الثقافة الاجتماعية الجزائرية الأبوية التي تبقى علاقة عاطفية من دون عمق اقتصادي فعلي عموما، رغم بعض الحالات الاستثنائية التي لاحظناها ونحن نتابع مسيرة هذه العائلات التي قام فيها الجد من الأم والأحوال بأدوار ثقافية وتعليمية عند استقبال الحفيد للدراسة وهو ينتقل من مكان إقامة الأب والجد من الأب عند عائلة الجد من الأم كما يكون عادة في أوقات الحرب أو الإضطراب السياسي نتيجة سجن الأب أو وفاته. أدوار مختلفة للجدين لاحظناها حتى على مستوى الذاكرة العائلية؛ فإذا كان من النادر ألا يتعرف الوزير على

مهنة جده من الأب ويتحدث عنها بإسهاب، فقد لاحظنا نسبة أعلى من الوزراء الذين يجهلون مهنة أو مهن الجد من الأم أو لا يمنحونها نفس الأهمية عند الحديث عنها. رغم هذه الملاحظات، فإننا قد حاولنا معرفة ما هي الأصول الاجتماعية للجد من الأم لدى الوزير الجزائري لتحديد نوعية الوسط الذي أنتج الوزير بطريقة أشمل وأكثر دقة، علما أن التعرف على المكانة الاجتماعية للجد من الأم لا تخلو من الأهمية. النتيجة كانت - كما يمكن ملاحظة ذلك - تقارباً مذهباً بين الواسطين الاجتماعيين على مستوى جيل الجدين؛ لنكتفي بالقول هنا أن هذا التجانس الكبير الذي يميز وسط الوزير على مستوى جيل الجدين له أكثر من دلالة، فهو يؤكد علاقات القرابة التي تربط الواسطين (علاقة العمومة خاصة)، كما قد يطرح مسألة القرب الجغرافي في هذا الوسط الجزائري الذي كان فيه التنقل والسفر خارج مناطق الأصل من الأمور غير الميسرة، لدرجة أنه حتى في حالة الهجرة عن الوسط الأصلي، فإن المصاهرات تعيد إنتاج علاقات الجهة؛ فالهجرة الداخلية وحتى الخارجية (فرنسا) - كما بينت ذلك أكثر من دراسة - تتم وفق منطق جهوي واضح، مما قد يزيد من شروط التجانس داخل نفس الأوساط الاجتماعية والجغرافية القريبة. هذا التجانس أخيراً الذي يؤكد نوعية المصاهرات القريبة اجتماعياً التي كانت ومازالت تميز الكثير من الأوساط الاجتماعية في هذه الجزائر التي عرفت تحولات عميقة صمدت أمامها العائلة واستراتيجيات المصاهرة.

المصاهرة والقرابة عند عائلات الوزراء

كان هذا حال سقفاي زين الدين نائب وزير السياحة في حكومات الشاذلي بن جديد، على سبيل المثال، إذ كان جداه تاجرَين، حتى ولو عاشا في مدينتين مختلفتين، فالجد من الأب كان تاجراً من جيجل، في حين كان الجد من الأم تاجر لحوم عاصمياً (من حيث مكان الإقامة على الأقل)، رغم أصوله الجيجلية هو الآخر. فالحنين إلى بنات الجهة كان أقوى من أن تعكره المسافة مهما طالت.. كما ظهر لنا في أكثر من حالة تذهب فيها العائلة إلى البحث عن زوجة في جهة الأصل.

في تلمسان نجد تطابقاً كبيراً بين جدّي عبد المجيد مزيان وزير ثقافة حكومة بن جديد، فقد كان جده من الأم فقيهاً ومعلماً بالعربية، وهي نفس مهنة الجد من الأب وحتى الأب بعد ذلك، مما يعني أننا أمام حالة تطابق كلي زادها عمقا ظاهرة الزواج الداخلي بين بنات وأبناء العائلة لأكثر من جيل، فقد تزوج الابن عبد المجيد ابنة عمته، على غرار أبيه الذي تزوج من ابنة عمه في هذا الوسط التلمساني المحافظ المتعلم.

نفس التشابه في الوسط العائلي نجده لدى عائلة تلمسانية أخرى هي عائلة مصلي الياس وزير الفلاحة في بداية التسعينيات الذي كان جداه معلّمين في مدينة تلمسان التي عُرِفَتْ بهذه الإنتاجية الكبيرة من النخب الثقافية والعلمية استمرت إلى فترة ما بعد

الاستقلال. نفس الصورة تقريبا نجدها عند عائلة الوزير المنتدب في حكومة حمروش، هني بن علي، العائلة المازونية التي احترفت مهنة الإفتاء بهذه المدينة التقليدية، أين كان الجدّان مفتيين ومثلهما كان الأب، زيادة على الملكية الزراعية. الجدّان المفتيان اللذان قررا الزواج الداخلي فتزوج الأب هني ابن المفتي من ابنة عمه المفتي هو الآخر.

استراتيجية تؤكد أن هذه الأوساط الاجتماعية، كما كان الحال مع عائلة مزيان التلمسانية أو مصلي أو حتى هني بن علي المازونية، لا تريد أن تتقاسم ما يميزها من علم مع باقي المجتمع الذي يشكو من نقص فادح فيه ؛ مما يمنحنا تلك الصورة التي رأيناها أكثر من مرة : تراكم علمي ثقافي لدى أبناء عائلات محدودة وفقير ثقافي لدى الأغلبية كرسه أكثر غياب دور المدرسة لوقت طويل.

عائلة حراثي مصطفى، وزير التجهيز في بداية التسعينيات، ذات الأصول الفلاحية الميسورة (مُلاك كبار) التي فضلت الزواج الداخلي، فقد تزوج الأب حراثي ابن الفلاح الميسور، ابنة خاله الفلاح الغني هو الآخر. الوسط الفلاحي الميسور الذي يؤكد هذه القاعدة في أكثر من حالة وهو يُسيج عن طريق الزواج الداخلي على ثروة العائلة. وكذلك كان الزواج عائليا داخل عائلة بن شريف حين قرر جده من الأب شيخ زاوية الرحمانية وخليفة أولاد نايل مصاهرة ابن عمه البشاغا الجد من الأم.

قاعدة تأكدت مرة أخرى على مستوى الفئات الوسطى المالكة الريفية مع بشير ولد رويس وزير المواصلات والإعلام في حكومة الشاذلي خلال الثمانينيات، حين قرر الجدّان، الفلاحان المتوسطان بمنطقة المدية المعروفة بطابعها الفلاحي المحافظ، المصاهرة المباشرة من خلال أبنائهما.

سيد أحمد غزالي، الذي نأخذه هنا كوزير كان جده من الأب « درّازاً » في قطاع النسيج، في حين كان جده من الأم موظفا صغيرا في قطاع الصحة، وهو ما يعني أننا لم نغادر الطبقة الوسطى بفتاتها الدنيا والمدينة كفضاء اجتماعي، رغم الانتقال من قطاع الصناعات التقليدية والحرفة نحو الوظيف العمومي وقطاع الخدمات التي كان يحتل فيها الجد موقعا مهنيا كعون. Auxillaire de la santé.

يمكن القيام بنفس الملاحظة على جدّي مصطفى لشرف، فقد كان جده من الأب مؤالا ميسورا بمنطقة الحضنة، أما جده من الأم فكان مالكا عقاريا كبيرا بالعاصمة، التي هاجر إليها من منطقة جيجل والشمال القسنطيني، فقد كان اليسر المادي شرطا ضروريا بالنسبة لأبناء الريف للزواج من بنات الحضر، خاصة إذا كُنَّ من بنات العائلات الغنية، كما هو حال عائلة الجد الجيجيلية (من عائلة بو حيرد¹⁸⁰ التي تعود أصولها إلى الأندلس، حسب شهادة الحفيد مصطفى لشرف).

180. Lachref Mustapha, *Des noms et des lieux, mémoires d'une Algérie oubliée, souvenirs d'enfance et de jeunesse*, Casbah Éditions, Alger, 1998.

نفس الاستراتيجيات يمكن ملاحظتها لدى عائلة محمد السعيد معزوزي الذي قرر جده القايد في منطقة تيقزيرت البحرية مصاهرة عائلة بن ناصر المفتي العاصمي الذي كان من أغنياء مدينة العاصمة. حالة العائلات الريفية الميسورة التي تتمكن من مصاهرة عائلات حضرية متعلمة في الغالب وذات مكانة ثقافية تتأكد مرة أخرى في حالة عائلة أبي بكر بلقايد الذي تمكن جده الموال الميسور من مصاهرة عائلة « عقباني » الكرغلية، الجد من الأب الذي كان من أعيان الزاوية الهبرية البلقايدية بالغرب الجزائري.

المصاهرة بين الفئات المالكة الحضرية، وذات الملكية الصغيرة والمتوسطة على وجه الخصوص، والفئات الموظفة حديثة النشأة، يتأكد أكثر من مرة كما هو حال عائلة أمين خان التي كان فيها الجد من الأب تاجرا للحبوب، قبل أن تتدهور وضعيته نظرا للغبن الذي سُلط عليه من إخوته، عند توزيع إرث الجد، في حين كان الجد من الأم شرطيا Police municipale، لأب قايد، مما يعني أننا هنا كذلك لم نغادر المدينة (القل في هذه الحالة) وفئاتها التقليدية والحديثة القريبة من الحالة الكولونيالية في حالة الأم التي تملك وضعها ثقافيا متميزا.

نفس الشيء تقريبا يمكن قوله عن عائلة باباس محمد الصغير التي كان فيها الجد القالمي حرقيا صغيرا في ميدان الجلود، في حين كان الجد من الأم (من عنابة القريبة) إطارا متوسطا في السكك الحديدية، قريبا من الحزب الشيوعي الذي كان يتميز حضوره بقوة داخل نقابة الكنفدرالية العامة للشغل (CGT) التي انخرط فيها الجد من الأم الذي لم يكن يكتفي بدخله من هذه المهنة، فقد تميز بملكية عقارية وزراعية في مدينة عنابة وضواحيها.

الارتباط بالريف من خلال المصاهرة، بالنسبة لهذه الفئات البيروقراطية الجديدة كان بارزا بالنسبة للكثير من العائلات، منها - على سبيل المثال - عائلة الشيخ بوعمران الذي فضل جده، الموظف بالمحكمة، الزواج من ابنة فلاح متوسط الحال من نفس منطقته (الببّض) بالهضاب العليا الغربية شبه الصحراوية. علما بأن خيار الاستمرار في العلاقات الريفية لم يكن هو الدائم بالنسبة لكل عائلات هذه البيروقراطية الناشئة، فسلیم سعدي، عقيد الجيش الوطني الشعبي والوزير أكثر من مرة خلال فترة حكم الرئيس الشاذلي بن جديد، فضل جده من الأب - الذي كان موظفا صغيرا بالجمارك - الزواج من ابنة كاتب عمومي يحسن الفرنسية ويعيش منها كمهنة مثله.

العلاقة بين الريف والمدينة في الحالة الجزائرية التي لم تكن بعيدة أصلا، قاربت بينها أكثر مهن عديدة ومواقع اجتماعية بالإضافة إلى المصاهرات التي تتم داخل العائلات ؛ حال عائلة زرداني تؤكد هذه الفكرة التي يمكن تلمسها في أكثر من حالة، فقد تزوج الأب زرداني، ابن الفلاح الميسور والمالك العقاري (أراضي فلاحية وعمارات)، من ابنة خوجة متعلم، حاصل على شهادة الأهلية في تلك الفترة.

داخل هذه الفئات البرجوازية الصغرى المرتبطة وظيفيا بالدولة الفرنسية، بفعل مواقعها المهنية داخل الإدارة الفرنسية، نجد عائلة بكة عبد النور العسكري، وزير البريد والمواصلات والشبيبة والرياضة في بداية الثمانيات، فجد بكة عبد النور من الأب هو الآخر كان أميناً عاماً لبلدية، في حين كان الجد من الأم إمام/عادل بمحكمة مسيلة التي هاجرت إليها العائلة من منطقة القبائل الصغرى. نفس الاستمرارية التي لاحظناها لدى عائلة سليم سعدي وبعض العائلات التي ارتبطت وظيفيا بالإدارة الفرنسية بما فيها الجيش الفرنسي ذاته، يمكن ملاحظتها لدى عائلة بكة التي كان الجد فيها هو الآخر مترجم/خوجة. استمرارية نجدها حاضرة لغاية الحفيد عبد النور بكة الذي التحق بمدرسة التكوين العسكري التابعة للجيش الفرنسي في مليانة، قبل أن يقرر الفرار من الجيش الفرنسي والالتحاق بجيش التحرير في صيف 1958.

من حالات التشابه الكبير على مستوى الجدين ما يمكن ملاحظته على عائلة محمدي وزير داخلية حكومة حمروش التي كان فيها الجدان قاضيين، رغم أن الجد من الأب الحركاتي الشاوي كان من عين البيضاء، في حين كان الجد من الأم القاضي من قسنطينة المدينة. فالمهنة هنا كذلك كما كان الحال في العديد من المرات وسيلة تقارب ومصاهرة بين العائلتين، سهله التشابه بين قسنطينة وعين البيضاء الشاوية كوسط ثقافي ونخبوي، رغم الاختلاف في الحجم الديموغرافي والخصوصية اللغوية-الثقافية التي تميز عين البيضاء المتكلمة بالأمازيغية جزئياً على الأقل.

الأوساط الاجتماعية الريفية الشعبية المتواضعة يمكن أن نلاحظ عندها نفس الخيارات تقريباً حتى وإن كان التركيز على العلاقات العائلية والزواج الداخلي أقل، على سبيل المثال فقد كان جَدًا محمد سلوقي الوزير المنتدب للمناجم في بداية التسعينيات، من الأب والأم، عاملين زراعيين، من دون أدنى ملكية بجهة الميلية. نفس الوضع تقريباً الذي يلاحظ على عائلة كاتب الدولة للصناعات الحرفية في حكومة قاصدي مرباح، لخضر بايو ابن قصر البخاري، والتي كان فيها الجدان عاملين زراعيين هما كذلك من دون أي ملكية زراعية.

على مستوى القوى العمالية الصناعية المهاجرة بنت العالم الريفي هي الأخرى، يمكن ملاحظة نفس الظاهرة من خلال عائلة إيسلي محمد أرزقي وزير النقل في حكومة عبد السلام الذي هاجر جده من الأب إلى فرنسا للعمل هناك مثل الأب والجد من الأم الذي توفي هناك في حادث عمل، ليدفن في فرنسا ذاتها. وهي نفس حال جد عمارة بن يونس الذي انتقل من موقع العامل في النسيج إلى التجارة في نفس القطاع. نفس حالة زميله لوناوسي عبد الحميد الذي مثل حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الذي امتحن العمل المنجمي في فرنسا؛ موقع مهني كانت له نتائج مباشرة على صحته ليتوفي وهو صغير في العمر... عكس الجد من الأم معلم الفرنسية خريج مدرسة بوزريعة الذي

استقر في الدويرة بالقرب من العاصمة كتاجر صغير، بعد أن رفضت زوجته تحت ضغط والدها الالتحاق به في تنقلاته التي كانت تفرضها مهنة التعليم العصري بالفرنسية في تلك الفترة التاريخية المتميزة بندرة المعلمين باللغة الفرنسية، والتي تميز فيها أبناء منطقة القبائل الذين كانوا على رأس المستفيدين من مدرسة بوزريعة.

حالات عدم التجانس الاجتماعي داخل الوسط المنتج للوزير

حالات عدم التجانس الاجتماعي على مستوى جيل الجدين، على قلتها، موجودة فعلا. الظاهرة التي قد تكون أكثر ارتباطا بالهجرة وامتغيات أخرى كثيرة كالحراك الاجتماعي الذي عاشه المجتمع الجزائري خلال هذه الحقبة الطويلة من تاريخه.

على سبيل المثال فقط، نجد أن الجد من الأب لمحمد سراج، وزير البريد والمواصلات في حكومة مولود حمروش، الفلاح الصغير بمنطقة « تمزوغة » القرية من مدينة وهران والمتوفى صغيرا، تمكن ابنه اليتيم - العامل البسيط في مزرعة الكروم، قبل الانتقال إلى العمل كحارس بمستشفى وهران - من الزواج من ابنة قاضي بمدينة وهران متحصلة على الشهادة الابتدائية، بعد قصة حب تجاوزت كل العقبات والمواقف الاجتماعية المتصلبة. علاقة مصاهرة تكون قد سهلها الطابع المتسامح اجتماعيا لمدينة وهران.

في الجهة الغربية من البلاد دائما، كنا قد عرفنا جدّي الشيخ بوعمران المنتميين إلى فضاءين مختلفين، فالجد من الأب المتحصل على الشهادة الابتدائية والموظف بمحكمة فضل مصاهرة فلاح متوسط الحال كما صنف وضعيته حفيده الشيخ بوعمران نفسه. علاقة مصاهرة بين المدينة والريف ليست غريبة على الكثير من العائلات الجزائرية التي حافظت - كما رأينا ذلك - على الكثير من الروابط والعلاقات بين الفضائين، ليس في المجال الاقتصادي والنشاطات المرتبطة به بل على المستوى الاجتماعي والثقافي والقيمي.

حالات الحراك الاجتماعي التي عاشتها الكثير من العائلات الجزائرية يمكن أن تكون فرصة للتقرب بين بعض الأوساط الاجتماعية حتى وإن كانت بعيدة نسبيا، وهو ما يمكن أن يُستشف من حالة مسعود زيتوني وزير الصحة في حكومة قاصدي مرباح، والذي أفلس جده من الأب صاحب الملكية الزراعية الصغيرة ؛ إفلاس يكون قد قرب من الجد من الأم العامل الزراعي في منطقة القل، لتكون المصاهرة بين هذين الوسطين القريين.

في عالم الريف بالمنطقة الغربية سنكون مرة أخرى أمام مصاهرة بين جدين بموقعين اجتماعيين مختلفين داخل عائلة غلام الله بوعبد الله الذي كان جده من الأب مالكا زراعيًا كبيرا على رأس زاوية، في حين كان الجد من الأم أكثر تواضعا، هو الذي كان فلاحا صغيرا بمنطقة تنس الساحلية بولاية الشلف القريبة.

جيل الآباء... بين الاستمرارية والقطيعة

قد يكون من الأنسب للدراسة ككل - بدل القيام بقراءة داخل نفس الجيل للتعرف على تفاصيل مشهد إنتاج النخبة الوزارية في الجزائر، خلال محطة تاريخية محددة، مهما كانت قيمة النتائج العلمية والمعرفية المتوصل إليها - أن نقوم بمقارنة أكثر ديناميكية بين جيليَّ الجدّين وأب الوزير ذاته للتعرف في الأول على الاستمرارية التي قد تكون موجودة في عملية الإنتاج النخبوي لدى مختلف الفئات الاجتماعية، ثم التعرف على القطيعة التي تكون قد حدثت فعلا في عملية الإنتاج هذه لتحديد الفترة التاريخية التي حصلت فيها والفئات والمناطق الجغرافية التي عاشتها أكثر من غيرها في الحالة الاستعمارية التي عرفتھا الجزائر.

قبل الدخول في تفاصيل المقارنة الجيلية هذه، يمكن القول بصفة عامة أن عائلة الوزير، وخلال جيل واحد، قد عاشت نفس الاتجاهات العامة التي عرفھا المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة من حياته المضطربة والعنيفة، فقد اتجهت عائلة الوزير نحو تكديح نسبي أكثر وهي تنتقل من الريف نحو المدينة، أين ارتبطت بالعمل البيروقراطي الإداري المأجور والأعمال الحرفية والتجارية الحرة، بدل الارتباط الكبير الذي لوحظ على مستوى جيل الجدّين بالملكية الزراعية الكبيرة والمتوسطة على وجه الخصوص، كما هو مبين في الجدول أدناه الذي تظهر من خلاله مهن آباء الوزراء.

كما سنلاحظ من خلال الحالات فقد ارتبطت مهن الكثير من آباء الوزراء بقطاعات عصرية جديدة، خدماتية في الغالب، مرتبطة مباشرة بالدولة الاستعمارية كالإدارة والتعليم والعدالة والصحة والسكك الحديدية وغيرها من المهن المأجورة. مهن كان يفترض في الوصول إليها الاستفادة من الحد الأدنى من التعليم بوجهه العصري وباللغة الفرنسية بكل النتائج التي أنجزتها هذه المدرسة الفرنسية كما تحدث عنها الباحث عمار كارلي وهو يربطها بإعادة تشكيل النخبة الجزائرية وتغيير موازين القوى بين الكثير من القوى الاجتماعية التي استفادت من التعليم أو لم تستفد داخل المجتمع الجزائري الواقع تحت وطأة الاستعمار¹⁸¹ بعد توسع التعليم خلال هذه الفترة بهدف إنتاج هذه البيروقراطية التي تحتاجها الآلة الاستعمارية لتسيير المجتمع الأهلي.

181. Omar Carlier, *Entre nation et jihad, histoire sociale des radicalismes algériens*, Presses des sciences po., Paris, 1995, p. 140.

الجدول رقم 6 : مهنة أب الوزير

النسبة %	التكرار	مهنة الأب
14	14	مالك عقاري / موال كبير ومتوسط
9	9	مالك عقاري / موال صغير
24	24	حرفي / مقاول صغير / تاجر
13	13	أجير بالصناعة / الزراعة/ الخدمات
28	28	موظف صغير ومتوسط / مدرس / عسكري
11	11	باشاغا/قايد / موظف سامي
1	1	مهن حرة / طبيب / محامي / صيدلي
100	100	المجموع

وصول أبناء البيروقراطية الناشئة

لعل أول ما يبدو واضحا من هذا الجدول الذي لخصنا فيه مهن أباء الوزراء أنه وبديل مهن الملاك والموالين الكبار والمتوسطين الريفية التي كانت مهيمنة في إنتاج النخبة الوزارية على مستوى الجدين، نلاحظ سيطرة بديلة لصالح فئة الموظفين والعسكريين الصغار والمدرسين الذين ساهموا بحوالي 28 بالمائة من وزراء الجزائر المستقلة ؛ وهو ما يؤكد ظاهرة التبرقظ التي مست هذا الوسط والتي لاحظتها دراسات تاريخية معروفة كنا قد تطرقنا إليها ونحن نتكلم عن تاريخ الجزائر الاجتماعي والثقافي مباشرة بعد احتلال البلد من قبل الجيش الفرنسي، بعد أن استفادت الكثير من القوى الاجتماعية المتواجدة بالمدينة أو تلك المهاجرة للمدن حديثا من عمليات التحول التي عاشها المجتمع الجزائري المرتبطة بالتعليم والوظيفة الرسمية بأشكال غير متساوية.

المدينة الجزائرية التي دعمت حضورها كقوى اجتماعية في عملية الإنتاج النخبوي السياسي إذا أضفنا لها فئة التجار والحرفيين والمقاولين الصغار الممثلين على مستوى هذا الجيل بربع العينة تقريبا (24 بالمائة بالضبط)، ليصل إلى أكثر من نصف العينة (52 بالمائة) وهو ما يعني أن مركز إنتاج النخبة السياسية على مستوى هذا الجيل قد انتقل إلى المدينة بدل الريف الذي كان فيه على مستوى جيل الجد. عكس فئة الأجراء بمختلف مجالات نشاطهم (الصناعي والفلاحي والخدماتي) التي كانت الدراسات التاريخية قد لاحظتها في الحالة الكولونيالية في الجزائر. المدينة التي تحولت بداية من منتصف القرن العشرين إلى المجال الأول للحياة السياسية في الجزائر مع بداية ظهور الأحزاب السياسية والجمعيات

وكل النشاط الثقافي كالمسرح والإعلام التي كانت وراءها هذه الفئات الجديدة¹⁸² على حساب الريف وقواه الاجتماعية التي كانت تحتل مركز الصدارة، سواء أتعلق الأمر بالمقاومة المسلحة التي قادتها بعض القوى الاجتماعية التي كانت على رأسها كما كان الحال مع القيادات القبلية التقليدية، أو بالحياة الثقافية والدينية التي كانت وراءها هذه القوى الاجتماعية التي احتلت مكان الصدارة على رأس التحولات التي عاشها المجتمع الجزائري بعد الغزو الفرنسي بداية من 1830.

عكس أبناء الوزير الذين التحقوا من جديد بالمهن الحرة وهم يستفيدون من موقع الأب والعائلة بعد مجمل التحولات التي عاشها المجتمع خلال هذه الفترة الطويلة من تاريخه، كذلك الانفتاح الذي عاشته الجزائر منذ بداية تسعينات القرن الماضي على المبادرة الخاصة... رغم أننا لم نتطرق بالتفصيل في كل الحالات المذكورة إلى جيل أبناء الوزير في هذه الدراسة باستثناء بعض الإشارات الصغيرة التي تكلم فيها بعض الوزراء عن المسار العلمي والمهني لأبنائهم وبناتهم.

التمثيل الوطني الواسع جغرافيا لأبناء المعلمين والأئمة

سنبداً في هذا القسم من الدراسة بالأسماء المعروفة التي كانت مهنة الوالد فيها مرتبطة بالتعليم كما هو حال أحمد طالب الإبراهيمي الذي كان أبوه الشيخ محمد البشير من أساتذة اللغة العربية في دمشق بالشام قبل العودة إلى الجزائر لرئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيما بعد. الشيخ الذي درّس بالكثير من مدارس الجزائر قبل التوجه للإقامة الطويلة في تلمسان التي ارتبط بها عائلياً على مستوى جيل الأبناء.

في قرية جباله بتلمسان نجد أب عبد القادر بن داود وزير الفلاحة ضمن طاقم حكومة حمروش في بداية التسعينيات الذي قام بالتدريس لمدة قصيرة ضمن مؤسسات النظام التقليدي، بعد الدراسات التي قام بها بجامعة القرويين بفاس المغربية، حسب شهادة الابن الوزير، ليستشهد أثناء ثورة التحرير في نفس الولاية.

في الجهة الشرقية من البلاد سنجد أب عبد الحميد مهري الشخصية السياسية الوطنية المعروفة الذي تقلد عدة مناصب من بينها وزارة الإعلام والثقافة عند انطلاق حكم الشاذلي

182. انظر الفصول الثلاثة الأولى في القسم الأول من كتاب عمار كارلي الذي جاء تحت عنوان تنشئة وتجنيد بغية السيطرة على الفضاء العام الذي تكلم فيه عن فئات السن والمدينة والحزب داخل المدينة وبين المدينة والريف. العلاقة التي تكلم فيها من خلال سرد حالة الشمال القسنطيني ومدنه الكبرى كقلمة وسكيكدة وعنابة وقسنطينة. بين الصفحة 32 و100.

Omar Carlier, *Entre nation et jihad, histoire sociale des radicalismes algériens*, Presses de sciences po., Paris, 1995.

بن جديد (1979) والذي دخل معه في علاقة مصاهرة فيما بعد على مستوى جيل الأبناء¹⁸³. مهري الذي كان قد تقلد منصب وزارة الشؤون المغاربية والاجتماعية والثقافية في الحكومة المؤقتة بعد تاريخ تأسيس هذه الحكومة (1959) ليختفي سياسيا في فترة حكم الرئيس بومدين ... كان هناك نص غير مكتوب خلال فترة حكم بومدين تم بموجبه إبعاد أعضاء الحكومة المؤقتة من المناصب السياسية...¹⁸⁴ علما بأن الأب مهري قد احترف مهنة الإمامة بمساجد الخروب وواد زناقي في النظامين الرسمي والحر، مدينة واد زناقي بولاية قالملة التي هاجرت إليها العائلة كالكثر من أبناء الشمال القسنطيني. حرفة لم تكن بعيدة في نهاية الأمر عن التعليم بمختلف نظمه المعروفة في الحالة الجزائرية، كما تبين ذلك حالة عائلة عبد المجيد مزيان الذي احتل هو الآخر وزارة الثقافة خلال نفس فترة حكم الشاذلي بن جديد. في تلمسان يمكن عد أب عبد المجيد مزيان وزير الثقافة في حكومة الرئيس الشاذلي ضمن هذا الوسط الاجتماعي المرتبط بالتعليم بمختلف أنواعه، كأحسن من يمثل هذه الفئة التي اتمهنت التعليم لأكثر من جيل حتى وهو يتوجه إلى التعليم العالي أين درّس في قسم الفلسفة بجامعة الجزائر، عكس مهري الذي اكتفى بالتدريس في المرحلة الابتدائية وتسيير مدرسة تكوين المعلمين لعدم توفره على الشهادات العلمية المطلوبة التي لم يحصل عليها نتيجة اهتماماته السياسية داخل الحركة الوطنية.

مزيان الذي يشترك مع مهري في أوجه تشابه أخرى، زيادة على الارتباط بمهن التعليم لأكثر من جيل قبل الوصول على رأس وزارة الثقافة، بالأبعاد الذي تعرض له خلال فترة حكم الرئيس بومدين بعد أن حُسب على تجربة الرئيس أحمد بن بلة الذي ارتبط بها، زيادة على الانتماء إلى نفس الجهة -تلمسان-، فترة إبعاد قضاها في الجامعة كأستاذ في قسم الفلسفة ليكون بذلك الجيل الثاني من المعلمين -الفقهاء داخل هذه العائلة. الأب مزيان الذي زاد على الجيل الأول تمكّنا معقولا من اللغة الفرنسية حتى ولو أنه لم يدرّس بها كما فعل أب أحمد بومنجل ابن منطقة القبائل الكبرى التي حافظت فيها العائلة الريفية الفقيرة على مهنة التدريس بالفرنسية لأكثر من جيل، وأب محمد الياسين وزير الصناعات الثقيلة في آخر حكومة للرئيس هواري بومدين (1977) في دلس على حدود منطقة القبائل، وكذلك أب مراد خلادي كاتب الدولة للبحث العلمي في حكومة غزالي الثانية (1992) الذي كان، زيادة على التعليم، مسيرًا لمدرسة ابتدائية، كما كان شائعا خلال تلك الفترة لقلة الموارد البشرية المؤهلة.

مهن التعليم والإمامة احترفتها بعض العائلات لعدة أجيال لما تقتضيه من تراكم ثقافي مثلت العائلة وعاءه الاجتماعي الأساسي، في مجتمع تميز في المقابل بضعف مؤسسات

183. أحد أبناء الرئيس الشاذلي من زوجته الثانية متزوج من ابنة عبد الحميد مهري.

184. ناصر جاب، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 623.

التعليم المنتشرة في التراب الوطني وشحها، حتى وإن راعينا ذلك الحضور الذي ميز الشرق الجزائري كما عبرت عنه جمعية العلماء المسلمين بطابعها الوطني. وزيادة على هذه المهن (التعليم والإمامة) يمكن أن نضيف بعض أسماء الوزراء المرتبطين بالبيروقراطية التي ظهرت كقوة إمداد للإدارة الفرنسية بالقرب التي تتمتع به من الظاهرة الاستعمارية، مقارنة بالاستقلالية النسبية التي كان يتمتع بها المعلمون والأئمة، خاصة أولئك الذين كانوا ينتمون إلى نظام التعليم الحر الذي كان وراءه الجهد الأهلي، كما عبرت عنه جمعية العلماء المسلمي، والذين سنقدم عنهم عينة ممثلة لمختلف الجهات الجغرافية والأجيال والمراحل التاريخية التي وصلوا فيها لموقع الوزارة بعد الاستقلال.

ضمن هذه العينة نجد، على سبيل المثال، أب محمد السعيد معزوزي الذي كان موظفا بمصلحة الضرائب في منطقة تيفزيرت البحرية بالقبائل الكبرى، علما أن الجد - كما بينا ذلك من قبل - كان قايّد، فنحن أمام حالة ارتباط وظيفي قوي بالإدارة الفرنسية لجيلين، لم تمنع الابن محمد السعيد¹⁸⁵ من الانخراط في العمل السياسي الثوري المبكر، والذي أدى به إلى السجن لمدة طويلة (1945-62)، كما لم يمنعه هذا الوسط الاجتماعي من البروز بعد الاستقلال كشخصية سياسية قريبة من التيارات اليسارية، من خلال تجربة وزارة العمل التي عرف بها لمدة طويلة خلال فترة حكم الرئيس هواري بومدين.

ليستمر الرجل في أداء وظائف سياسية نوعية، بالقرب من محمد بوضياف هذه المرة، بعد عودته من منفاه لقيادة تجربة مجلس الدولة في بداية التسعينيات... « اقترح علي محمد بوضياف عضوية مجلس الدولة لكنني اعتذرت لأقبل بعضوية المجلس الاستشاري الذي اقترح علي - في الأصل - محمد بوضياف رئاسته ». معزوزي الذي أكد خياراته السياسية والفكرية بعد هذه التجربة مع صديقه رضا مالك وهو يلتحق بالحزب الذي أسسه خلال هذه الفترة.

عبد الكريم بن محمود وزير الشباب والرياضة، ثم التربية والتعليم خلال بداية الفترة البومدينية، يمكن إضافته إلى هذه الفئة من أبناء البيروقراطية المرتبطة بالحالة الاستعمارية مهنيًا، فقد كان الأب موظفا في مصالح الشرطة الفرنسية. وخارج هذه المهنة المرتبطة بالإدارة الاستعمارية مباشرة، سنجد أن مهنة أب باباس محمد الصغير من قائمة بأقصى الشرق كانت المحاسبة، بعد التوقف عن الدراسة في المرحلة التكميلية.

185. لمزيد من التفاصيل انظر السيرة الذاتية لمحمد السعيد معزوزي.

Mohamed Saïd Maazouzi, *J'ai vécu le pire et le meilleur. Mémoires recueillis par Lahcen Moussaoui*, Casbah Éditions, Alger, 2015.

الوزراء أبناء العائلات المهاجرة إلى المغرب. شريف بلقاسم الأكثر من وزير

إنتاج النخبة الوزارية في الجزائر لم تساهم فيه العائلات المقيمة داخل التراب الوطني فقط، فقد ساهمت فيه كذلك عائلات مهاجرة، كتلك التي هاجرت إلى المغرب، وبدرجة أقل تونس، أما فرنسا فلم تنتج العائلات المهاجرة إليها وزراء¹⁸⁶، نظرا لما ميز نوع الهجرة الجزائرية إلى هذا البلد، والتي كان يقوم بها الجد أو الأب وحيدا تاركا أفراد عائلته في الجزائر إلى مرحلة متأخرة من تاريخ هذه الهجرة التي غلب عليها الطابع العمالي الفقير من أصول ريفية¹⁸⁷.

عكس العائلات المهاجرة إلى المغرب، والتي يمكن، بكل سهولة، أن نقوم بدمج بعضها ضمن فئة الموظفين الصغار المنتمية إلى البرجوازية الصغرى المتعلمة، الذين كانوا على رأس الفئات المنتجة للنخبة الوزارية على مستوى جيل الآباء بنسبة عالية (28 بالمائة)، ضمت العسكريين من ذوي الرتب البسيطة والمعلمين والموظفين الصغار، كما كان حال أب شريف بلقاسم، الوزير بين 1962 و1974 في أكثر من موقع، كوزارة التوجيه (كانت تضم قطاع التربية والثقافة والإعلام) في بداية الاستقلال، والتي وصل إليها بعد التعديل الذي أدخل على حكومة الرئيس بن بلة الأولى في 1963.

مرّ شريف بلقاسم قبل ذلك بموقع برلماني في المجلس التأسيسي كمسؤول عن الميزانية، الذي احتله هذا الشاوي الحركاتي كممثل عن ولاية تلمسان مباشرة بعد الاستقلال، هو الذي كان قد تحصل على تجربته العسكرية كضابط في جيش التحرير، بداية من رتبة ملازم أول (1957) على تراب نفس الولاية التي كانت تابعة للولاية الخامسة (منطقة صبرا)، وصولا إلى رتبة رائد التي أنهى بها حرب التحرير ليكون على رأس القوات التي دخلت إلى الجزائر من الحدود الغربية قبيل استقلال البلاد¹⁸⁸.

شريف بلقاسم المولود بالمغرب في 1933، تم تسجيل ولادته في عين البيضاء بعد الاستقلال. حصل على كل تربيته تحت رعاية أمه المغربية¹⁸⁹، بعد وفاة الأب وهو في سن

186. لم نلاحظ طول هذه الدراسة حالة وزراء من مواليد فرنسا، عكس أبناء العمال المهاجرين الذين التحقوا بالتراب الفرنسي بعد ولادتهم في الجزائر، وأبناء العائلات المهاجرة إلى المغرب الذين ولدوا على تراب هذا البلد.

187. يمكن العودة كمثال معبر عن هذه الهجرة إلى حالة إسماعيل قومزيان وزير التجارة في حكومة حمروش الذي انتقل إلى فرنسا وهو لا يتجاوز الخمس سنوات من عمره. هو المولود في منطقة القبائل، مما خلق له صعوبات كثيرة في التعامل باللغة العربية عندما التحق للحكومة. انظر الكتاب - السيرة الذاتية.

Smaïl Goumeziiane, *Fils de novembre*, Éditions Edif 2000, Paris, 2004.

188. أصر الشريف بلقاسم على التذكير أكثر من مرة أثناء المقابلة التي تمت في بيته بالعاصمة أنه كان على رأس قوات جيش التحرير التي دخلت من الغرب برتبة رائد، في حين كان يومدين على رأس قوات جيش الحدود التي دخلت من جهة الحدود الشرقية -تونس.

189. انظر كيف يتكلم شريف بلقاسم عن والدته المغربية التي يمنحها أصولاً « بدوية » ضمن هذا المؤلف : الشهادة حول مجموعة وجدة، الذي أنجزه معه فوزي رزيق.

Fawzi Rouzeik, *Le groupe d'Oujda*, Revisité par Chérif Belkacem, Éditions l'Harmattan, Paris, 2016.

العاشرة من عمره هو واثان من إخوته الذكور، مما جعله يحافظ على لهجته المغربية حتى توفي سنة 2009، دون التمكن من الأمازيغية التي لم يسعه تعلمها مع وفاة الأب المبكرة والعيش في المغرب. اشتغل أبوه الشاوي الحركاتي بمصالح العدالة المغربية كمساعد مترجم متخصص في ألسن اللغة الأمازيغية ولهجاتها المختلفة، زيادة على العربية والفرنسية التي كان يحسنها ابن عين البيضاء الذي هاجر إلى المغرب وحيدا قبل استقلال المغرب، كالكثير من الجزائريين الذين عوضوا النقص الذي كان يعانيه المغرب من اليد العاملة المؤهلة وهو تحت الحماية الفرنسية.

وضع سمح للشباب شريف بلقاسم بإتمام دراسته في المغرب إلى غاية الحصول على البكالوريا ثم التسجيل لنيل ليسانس حقوق من جامعة الدار البيضاء المغربية (كانت تابعة بيداغوجيا لجامعة غرنوبل الفرنسية)، لكنه في نهاية الأمر لم يتمكن إلا من إتمام سنته الأولى فيها.

دراسة لم تمنع هذا الشاب الشاوي من الانضمام إلى الحركة الطلابية الوطنية (اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين) وهو يزاوج بينها وبين العمل داخل صفوف الحركة الوطنية المغربية بالقرب من حزب الاستقلال المغربي (1949-50) لدرجة حصوله على وسام استحقاق من قبل ملك المغرب بعد الاستقلال.

شريف بلقاسم الذي كان - قبل انسحابه من الحياة السياسية في 1974 - من الوجوه الفاعلة داخل المجموعة الحاكمة في مجلس الثورة المعروفة بمجموعة وجدة، نتيجة قربه الكبير من بومدين الذي تعرف عليه منذ أيام المغرب...

«علاقاتي به كانت قوية، كان ينادي الوالدة «أمي»، كما كنت أفعل أنا مع والدته». وهو ما جعل بن بلة يعمل المستحيل للتقليص من صلاحياته كأحد أعضاء المجموعة البارزة المقربة من بومدين، كما كان الأمر مع بوتفليقة الذي انفجر الصراع بين مجموعة وجدة والرئيس بن بلة بسببه عندما حاول إبعاده من وزارة الخارجية قبيل انقلاب 19 جوان 65...

لم يتوجه سي جمال (الاسم الحربي للشريف بلقاسم) مباشرة لاحتلال موقع تنفيذي داخل حكومة صديقه بومدين، بعد الانقلاب على بن بلة. فقد فضل الرجل الموقع الحزبي كمسؤول للهيئة التنفيذية ليكتشف بسرعة أن بومدين لم يكن ينوي منح دور مهم للحزب في التجربة السياسية التي انطلق على رأسها بعد إبعاد بن بلة...

شريف بلقاسم الذي أكد أكثر من مرة أثناء المقابلة معه أنه كان من داخل النظام وليس من خارجه وهو يحدد أن هناك *et les passagers les permanents* - الدائمون والمؤقتون - وهو ما جعله يختار التوجه نحو وزارة المالية والتخطيط بمنصب وزير دولة إلى غاية 1974. موقع وزير دولة الذي لم يشاركه فيه خلال هذه الفترة إلا رابح بيطاط

الشخصية التاريخية المعروفة من مجموعة الستة المفجرة للثورة. لتكون وزارة المالية والتخطيط أهم تجربة تنفيذية له، مقارنة بالدور الاستشاري للمجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي الذي وصل على رأسه بعد تكوينه لأول مرة بعد الاستقلال... « أنا أنظر للسياسة نظرة واسعة، ليست مرتبطة بالضرورة بالسلطة والموقع الرسمي ». ليستمر حال الرجل على هذه الحال إلى تاريخ انفجار الصراع داخل مجموعة وجدة وتواريه عن الساحة السياسية الرسمية.

صراع ظهر للعلن بعد وفاة وزير الداخلية أحمد مدغري (10 ديسمبر 1974)، الوجه الآخر المهم في مجموعة وجدة، تزامن مع انتشار شائعات كثيرة حول جوانب شخصية مرتبطة بهذه المجموعة، انطلقت بما قيل أنه كتاب ألفته زوجة شريف بلقاسم السويدية التي لم يتحدث عنها طول المقابلتين التي استقبلنا فيها بمنزله المتواضع بحي المرادية بالعاصمة القريب من مقر رئاسة الجمهورية، للتركيز عن مساره السياسي وهو يصف نفسه بأنه « حيوان سياسي » بعلامات ذكاء حادة وقوة شخصية لا يمكن ألا يلاحظها من قبله حتى وهو يختار النكتة والاستهزاء للتعبير عن مواقفه من الرجال والأحداث مهما كانت جديتها وخطورتها.

شائعات لم تكن بعيدة من جهة أخرى عن ظروف مقتل زميله في مجلس الثورة أحمد مدغري التي تم الكلام رسميا عنها كعملية انتحار في حين راجت شائعات كثيرة عن تصفية جسدية للرجل. زواج بومدين نفسه يكون قد ساهم في إفساد العلاقات بين أعضاء هذه المجموعة المغلقة التي حكمت الجزائر ليلا، من خارج مؤسسات الدولة، بعيدا عن أعين المواطن الجزائري، بعد ما انتشر عن عدم اعتراض أعضائها على هذا الزواج الذي لم يلقَ إجماعاً بينهم. مجموعة اختلط فيها السياسي العام بالشخصي الخاص، منذ سنوات العمل معا على رأس مؤسسات جيش الحدود على الحدود المغربية، يكون قد ساهم بقوة هو الآخر في سوء العلاقات بين أعضاء المجموعة، مما أدى في النهاية إلى انفجارها من الداخل. مازال يصر سي جمال على وصف ما كان يميز العلاقات بين أعضاءها وهو يقصد أكثر العلاقة بينه وبين بومدين، الأقرب إليه من بين أعضاء المجموعة...

« كنا أنقياء كنواة، نحب ونحترم بعضنا البعض... كنا صغاراً، تربطنا علاقات أخوة فيها الكثير من الخصال... لم نكن نقبل بدخول النساء داخل المجموعة في سهراتنا... مهامنا كانت تقتضي ذلك... ».

اختفى سي جمال بعد استفحال هذه الشائعات التي أثرت كثيرا على علاقته ببومدين... « بعثت له باستقالة مكتوبة مع محمود قنز ».

وكانت آخر علاقة له مع رفيق دربه بومدين إلى غاية وفاته (بومدين) في نهاية 1978. رغم العودة الباهتة التي سجلها في 1999 حين حاول الترشح لرئاسة الجمهورية ضد بوتفليقة الذي لم يغادره الموقف النقدي الحاد منه، لم يكن يتحرج في التعبير عنه أثناء

مقابلاته الكثيرة مع زواره من إعلاميين ورجال سياسة¹⁹⁰ في منزله المتواضع بحي المرادية بالعاصمة الذي يعيش فيه بعد طلاقه من زوجته الثانية، الطيبية من أصول قبائلية التي تزوجها في 1975 وأنجب معها بنتاً واحدة وولدين.

سي جمال لم يكن المنشق الوحيد عن مجموعة وجدة التي استفحلت أزمتها بعد وفاة مدغري في ديسمبر 1974، فقد انشق كذلك قايد أحمد (سي سليمان) في نفس السنة تقريبا بعد أن اتخذ مواقف علنية معارضة ضد نظام بومدين، وغادر الجزائر وأقام في الخارج إلى أن توفي في 5 مارس 1978 بالعاصمة المغربية الرباط¹⁹¹. مجموعة ضمت تلك الوجوه التي يربط بينها اللقاء على تراب الولاية الخامسة أثناء ثورة التحرير، رغم مساراتهم السياسية المختلفة وانتماءاتهم الجهوية المتنوعة¹⁹² وهُم بالقرب من بومدين المحرك الرئيسي لمجلس الثورة الذي كوّن الغطاء السياسي للتجربة البومدينية بعد الانقلاب على الرئيس بن بلة¹⁹³.

العائلات المهاجرة إلى المغرب. الوصول إلى القصر العلوي

أبناء العائلات الجزائرية المهاجرة إلى المغرب لم يكونوا كلهم من أبناء هذه البيروقراطية الصغيرة¹⁹⁴، كما كان حال أب شريف بلقاسم، مساعد الترجمان (commis d'interprète)، الشاوي الحركاتي؛ بالعكس، فقد ضم هذا الوسط عائلات ميسورة وصلت لغاية القصر الملكي بالمغرب، مثل أب معاوي عبد العزيز وزير السياحة لمدة 12 سنة كاملة (1965-77) والسفير في أكثر من عاصمة كواشنطن ومديرو تونس التي عاد إليها في ظل حكم الرئيس بوتفليقة (1999-2008) الذي عاد معه إلى العمل الدبلوماسي، هو الذي

190. حصل هذا مع أستاذ العلوم السياسية فوزي رزقي الذي اعتمد على مقابلات مطولة مع شريف بلقاسم لإصدار كتاب حول مجموعة وجدة. تم التركيز فيها بشكل ملفت على حالة زميله بوتفليقة. شريف بلقاسم الذي يكون حسب الكثير من الشائعات وراء الكثير من المعلومات التي وردت في الكتاب الذي ألفه الصحفي محمد بن شيكو حول بوتفليقة، الممنوع في الجزائر والذي يكون وراء سجن الصحفي.

Mohamed Benchicou, *Bouteflika, une imposture algérienne*, Le Matin Éditions - Jean Picollec, 2004.

Fawzi Rouzeik, *Le groupe d'Oujda*, revisité par Chérif Belkacem, Édition L'Harmattan, Paris, 2016.

191. انظر المذكرة السياسية التي بعث بها قايد أحمد لأعضاء مجلس الثورة قبيل انشقاقه في 1972 في المرجع التالي ص 437-476. Kamel Bouchama, *Kaïd Ahmed, homme d'état*, Enag Éditions, Alger, 2019.

192. زيادة على بوتفليقة ابن العائلة التلمسانية المهاجرة إلى وجدة المغربية، كان من بينها قايد سليمان من تيارات وأحمد مدغري من سعيدة، وكذلك شريف بلقاسم ابن العائلة المهاجرة إلى المغرب من أصول شاوية.

193. تكونت المجموعة الطلابية القريبة من بومدين كأحمد مدغري وبوتفليقة وشريف بلقاسم المحرك الرئيسي لمجلس الثورة. زيادة على قايد أحمد لغاية خروجه إلى المعارضة العلنية.

194. د. محمد أمطاط، الجزائريون في المغرب بين 1930 و1962. مساهمة في تاريخ المغرب الكبير المعاصر، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، 2008.

كان قد سبق له أن اشتغل معه كأمين عام لوزارة الخارجية قبيل الانقلاب على بن بلة في منتصف الستينيات. معاوي الذي كان أبوه التلمساني، خريج الزيتونة، موظفًا ساميًا في القصر العلوي، أمّا الجد من الأب فقد كان معلمًا ومدير مدرسة لاحقا في فاس المغربية وقبلها تلمسان المدينة التي كونت عائلاتها الميسورة والمتعلمة أحد الروافد المهمة للهجرة الجزائرية إلى المغرب، كما تؤكد حالة الجد من الأم العزايي السكيكدي، الفلاح الميسور. مازال الرجل يتذكر - عندما التقيته في فيلته الفخمة بأعالي العاصمة في منتصف التسعينيات، لإجراء المقابلة معه - أن بومدين وهو يخبره بانتهاء مهمته على رأس وزارة السياحة التي بقي على رأسها بين 1965 و1977، قد أعاد تذكيره بما قاله له في 1965 عندما عينه في أول حكومة له...

« أنت قلت لي أنك تريد الذهاب إلى الخارج كسفير... اذهب فقد عينتك سفيرا في واشنطن ». بومدين صاحب الذاكرة السياسية القوية، كان يعرف أن أبناء هذه العائلات الميسورة من قداما عناصر المخابرات الجزائرية الملتحقين بوزارة التسليح الذين استعملهم للانقلاب على بن بلة، يفضلون العيش في عواصم الدول الكبرى بعد الاستقلال، مهما كانت نوعية المناصب التي يتحصلون عليها داخل البلد.

وهو ما جعله ينتقل بين أكثر من عاصمة، بعد تجربة واشنطن كمدير التي طور فيها تحكمه في اللغة الإسبانية، زيادة على الفرنسية والعربية والإنجليزية، هو ابن هذا الوسط الميسور الذي استفاد أبناؤه من وجودهم في المغرب أين تمكن كل إخوته من دخول الجامعة، على عكس بنات العائلة اللائي اكتفين بالدراسة لحد المرحلة الثانوية، كما كان سائدا لدى هذه العائلات المحافظة التي تفضل تزويج بناتها من هذا الجيل في سن صغيرة.

قبل ذلك كان الشاب التلمساني قد التحق بمصالح الحكومة المؤقتة ضمن صفوف وزارة التسليح والاتصالات العامة التي كان يقودها عبد الحفيظ بوصوف « سي مبروك » الرجل القوي في الحكومة المؤقتة، بعد إيقاف دراسته نتيجة الإضراب الذي دعت إليه الحركة الطلابية الوطنية، والتوقف عن دراسته القانونية في جامعة الرباط... « التي بدأتها قبل الثورة ولم أنتهِ منها إلا بعد الاستقلال ».

ليرتبط مسار هذا الشاب (من مواليد 1929 بالمغرب) بهذه المؤسسة المركزية التي احتل رجالها مواقع مهمة داخل مؤسسات الدولة، فقد اشتغل في بداية مشواره المهني مباشرة بعد الاستقلال مع وجوه مجموعة وجدة كمدير ديوان للرجل القوي أحمد مدغري وزير الداخلية، لينتقل إلى وزارة الخارجية مع بوتفليقة كأمين عام، قبل أن ينفجر صراع بين هذه المجموعة والرئيس بن بلة استفاد منه هذا « المالكاش »¹⁹⁵ ليُعين في منصب وزاري في قطاع السياحة في أول حكومة للرئيس بومدين الذي عرف كيف يعتمد على

195. نسبة إلى المالك (وزارة التسليح والاتصالات العامة) Ministère de l'Armement et des Liaisons générales

مجموعة وجدة بما فيهم التلمسانيين، ليس في صراعه مع بن بلة فقط، بل حتى وهو يبعد بوصف بعد الاستقلال اعتمادا على أبناء المؤسسة الذين وجدوا في بومدين ابن جيلهم بديلا عن قائدهم التاريخي عبد الحفيظ بوصوف وزير الاتصال والتسليح والرجل القوي في الحكومة المؤقتة إلى بُعيد الاستقلال.

أبناء القضاة ومهن العدالة المتوسطة الأخرى

يذكر مصطفى لشرف في آخر مؤلفاته - التي اقترَب فيها من السيرة الذاتية¹⁹⁶ وهو يتكلم عن المسار المهني لوالده القاضي (باش عادل) الذي امتنهن القضاء الأهلي الخاص بالجزائريين - أن هذه الفئة المثقفة من القضاة، المعبرة عن الثقافة المحلية لمالكية، كانت لها أدوار مهمة في قيادة الانتفاضات الشعبية، كما كان الحال مع انتفاضة 1871 وبعدها انتفاضة الجنوب الغربي التي قادها الشيخ بوعمامة (1881) التي كان حاضرا على رأسها تسعة قضاة على الأقل. فئة يقول عنها مصطفى لشرف أنها قامت تاريخيا بالتأطير الفكري للمجتمع الجزائري، بما تمتعت به من تكوين علمي يتراوح بين العالي والمتوسط (عادل، باش عادل، وقاضي) بقيت مسموعة على الدوام من قبل الجزائريين، وظفتهم الإدارة الاستعمارية لاحتلال هذه المواقع المهنية في المحاكم الخاصة بالأهالي، اعتمادا على مقاييس علمية ومعرفة قانونية مشهودة لها، عكس القياد والآغات الأُميين، من بقايا المخزن التركي من الإقطاعيين المتعاونين مع الاستعمار الفرنسي. موقف يعممه لشرف على كل الحالة المغاربية وهو يُذكر بحالة عبد الكريم الخطابي، قائد ثورة الريف بالمغرب الذي يذكر أنه كان قاضيا معروفا.

مهن العدالة المخصصة للجزائريين لم تكن تقتصر على القضاة، فهي تضم عدة مهن مجاورة كانت في الغالب الأعم، مخصصة لأصحاب التعليم المزدوج، المتوسط والعالي الذي تخصص نظام التعليم المدرسي في انتاجهم اعتمادا على مدارسه الثلاث - كما يظهر من خلال هذه الحالات المعروضة - التي تتعلق بالمرترجمين القانونيين والوكلاء القانونيين (جمع وكيل) والعدول والباش عدول وغيرها من المهن التي تفرض وجودها هذه العدالة الكولونيالية التي تسير بسرعتين وتتعامل مع مجتمعين داخل نفس البلد.

عبد الحميد أبركان الوزير رئيس البلدية

من الحالات التي تعرفنا عنها في مقابلاتنا ونحن ننجز هذا البحث، حال أب قارة عمار وزير التشغيل داخل حكومة مولود حمروش الذي امتنهن حرفة oukil judiciaire بعد أن تخرج من مدرسة قسنطينة. نفس المدرسة، ونفس المهنة خوجة-مترجم كانت من نصيب

196. Mostefa Lacheraf, *Des noms et des lieux. Mémoires d'une Algérie oubliée*, Casbah Éditions, Alger, p. 53.

أب عبد النور بكة في مدينة المسيلة التي هاجر إليها من منطقة القبائل الصغرى، وكذلك أب عبد الحميد أبركان الذي عمل كترجمان في الكثير من مدن الشرق الجزائري وصولاً إلى سور الغزلان بالوسط، فقد كان الأب أبركان - ابن الوسط الفلاحي الصغير بمنطقة تكسانة الجبلية بولاية جيجل - ترجمانا من خريجي مدرسة الجزائر التي ساهمت في إنتاج الكثير من النخبة الوزارية، كما رأينا من خلال أكثر من حالة، وهي تمد قطاعات العدالة الخاصة بالأهالي بالكثير من الإطارات الوسطى التي كان من ميزاتهما التحكم في اللغتين والثقافتين. للعمل كوسطاء بين الإدارة الفرنسية والجزائريين من الأهالي، زيادة بالطبع على ما أنتجته من معلمين وأساتذة. كان من حظ هذا الجيل من الأطباء، خاصة عندما يمارسون مهنتهم خارج العاصمة، الاستفادة من ترقية مهنية سريعة، كما حصل مع الطبيب عبد الحميد وهو يحتل موقع عميد جامعة قسنطينة (1970-74) حتى قبل الانتهاء من دراسته المتخصصة، عندما كان محمد الصديق بن يحيى، ابن جيجل، على رأس وزارة التعليم العالي. انتقل بعد ذلك إلى مدينة عنابة لاحتلال نفس الموقع (1980-84)، ثم عاد إلى قسنطينة واشتغل في موقعه القديم (1988) قرب مدينة الخروب مسقط رأسه (من مواليد 1945)، إلى أن حصل اللقاء الذي غيّر مسار الرجل المهني؛ فقد نظم عبد الحميد أبركان، أستاذ الطب وعميد جامعة قسنطينة، ندوة دولية حول الإنعاش الطبي لدى الأطفال، والتي حضر لتدشينها وزير الصحة في تلك الفترة، العقيد قاصدي مرباح مع زميله وزير التعليم العالي أبوبكر بلقايد... « كان هذا أول لقاء شخصي لي بالرجلين. كانت لي صورة معيّنة حول مرباح كمدير سابق للمخبرات، تغيرت مع الوقت لدرجة اقترنا فيها من علاقة الصداقة... وهو ما جعلني أقبل اقتراح العمل معه كوزير عندما كلمني حول الأمر، في لقاء بوزارة الصحة التي كان على رأسها، قبل أن يطلب منه الرئيس الشاذلي تشكيل الحكومة بعد أحداث أكتوبر، الحكومة التي دامت أقل من سنة واحدة بين 9 نوفمبر 1988 وسبتمبر 1989... كنت أظن أن الاقتراح يتعلق بوزارة الصحة، مادام اللقاء تم في مقر هذه الوزارة، لكنني اكتشفت أنه يقترح عليّ وزارة التعليم العالي... كانت تجربة قصيرة ضاع جزء كبير منها في فك الإضرابات المتتالية التي عاشها قطاع التعليم العالي في فترة الغليان هذه التي أعقبت أحداث أكتوبر... وعندما بدأت أفكر في جلب العائلة من قسنطينة أقيلت الحكومة (متزوج من قاضية)... الحكومة التي لم أكن موافقاً على رأي رئيسها قاصدي مرباح في تفسيره للدستور للبقاء في منصبه على رأس الحكومة ضد إرادة رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد، الذي كنت مع قراءته للدستور في أول تجربة تعيشتها الجزائر بعد أحداث أكتوبر وهي تسير هذا الصراع بين مركزي السلطة التنفيذية في تفسير مواد الدستور الذي عُدل جزئياً في 3 نوفمبر 1988.¹⁹⁷ »

197. https://constitutionnet.org/sites/default/files/coconstitutional_amendment_of_3_nov_1988.pdf

توجه عبد الحميد أبركان، أستاذ الطب، بعد إقالة الحكومة نحو تجربة جديدة كان حتى الآن من القلائل الذين قاموا بها، وهي الاهتمام بالشأن المحلي في مدينة الخروب في الميدان الصحي والرياضي وحتى الترشح لقيادة مجلسها الشعبي البلدي الذي فشل في الوصول إليه سنة 1991 نظرا للمنافسة التي وجدها من ممثلي الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي اكتسحت بلديات المدن الكبرى والمتوسطة في أول انتخابات محلية تعددية (جوان 1991).

عاد الرجل إلى خوض نفس التجربة في 1997 تحت نفس الراية الحزبية (جبهة التحرير) التي ترشح معها للفوز هذه المرة برئاسة المجلس الشعبي البلدي لمدينته الخروب التي ولد فيها، وترأس لوقت فريقها لكرة القدم...

« رغم أنهم في قسنطينة يقولون عني خروبي وفي العاصمة ينادونني بالقسنطيني ». فوز حصل في انتخابات محلية، قيل الكثير حول عدم نزاهتها من قبل الأحزاب بعد تلك التحولات السياسية التي عاشتها الجزائر وهي تمر بما يشبه الحرب الأهلية... ليتم تعيين أستاذ الطب (تخصص إنعاش أطفال) في مجلس الأمة ضمن حصة الرئيس بوتفليقة قبل انتهاء عهده على رأس المجلس الشعبي البلدي لمدينة الخروب.

كانت العودة الثانية لأستاذ الطب عبد الحميد أبركان إلى عضوية الحكومة مع حكومة علي بن فليس الأمين العام لجبهة التحرير، كوزير للصحة هذه المرة. منصب غادره في 2004 بعد اشتداد الصراع بين رئيس حكومته والرئيس بوتفليقة على خلفية الانتخابات الرئاسية لسنة 2004 التي واجه فيها الأمين العام لحزب جبهة التحرير رئيس نفس الجبهة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة. انتخابات كادت أن تفجر جبهة التحرير على أسس جهوية واضحة¹⁹⁸ وهي تخلق شرخاً سياسياً عميقاً داخل النخب السياسية، امتدت إلى القاعدة الشعبية داخل وخارج حزب جبهة التحرير كما حصل في البرلمان.

لم يظهر عبد الحميد أبركان بعد هذه التجربة على مستوى الساحة السياسية، بل فضل الاهتمام بنشاطاته المهنية والعلمية، إلى غاية نوفمبر 2015 تاريخ ظهور اسمه في رسالة مفتوحة لطلب استقبال تقدم به إلى الرئيس بوتفليقة، مع مجموعة من الشخصيات السياسية والعامة، للحوار معه حول ما سمته « قضايا وطنية بعد ظهور انحرافات تمس بالسيادة الوطنية واستبدال التسيير المؤسساتي الشرعي بتسيير مواز غير قانوني وغير شرعي ». مبادرة كلفت أستاذ الطب والوزير السابق الكثير من التحرش من محيط الرئيس بوتفليقة الذي تعامل مع طلب الاستقبال كطريقة ملتوية للتأكد من صحة الرئيس وقدرته على مزاولة وظائفه من قبل هذه الشخصيات التي ضمت وجوهاً كانت قريبة جدا من الرئيس ومدافعة عنه، كما هو حال المحامية والمجاهدة زهرة ظريف -بيطاط والوزيرة السابقة خليدة تومي.

198. بين عصبية أبناء الشرق التي يمثلها علي بن فليس (من مواليد باتنة) وعصبية أبناء الغرب التي يمثلها بوتفليقة ابن تلمسان.

الأمين خان. الانكسارات الاجتماعية والعائلية المولدة للجذرية السياسية

بالقرب من نفس المنطقة (مدينة القل، ولاية سكيكدة الحالية)، سنجد أب عبد الرحمن خان وزير الأشغال العمومية والبناء في نهاية الستينيات (1966-69)، الذي لم يُعَد إلى الحكومة مفضلا التوجه نحو منصب دولي كأمين عام لمنظمة التنمية التابعة للأمم المتحدة بمقرها في فيينا النمساوية لمدة¹⁹⁹ عشر سنوات كاملة (1975-85) بعد تجربة تسيير دولي داخل القطاع الصناعي عاشها الرجل بالقرب من صديقه عبد السلام بلعيد بعد الاستقلال...

« بن طوبال هو الذي أخبرني أن بومدين كان منزعجا مني نتيجة تدخلاتي في مجلس الوزراء... في الحقيقة بومدين لم يكن راضيا عن وجود أعضاء من الحكومة المؤقتة مثلي في حكومته... مما جعله يتصل بي ليخبرني أنه يريد تشييب الحكومة وعليّ مغادرة الحكومة... علما بأن عمري لم يكن يتجاوز خلال تلك الفترة 38 سنة، على عادة النظام السياسي الجزائري الذي يستعمل فيه السن لتصفية من لا يحظى بالقبول من صاحب القرار ».

عبد الرحمن خان المعروف بـ ملين خان الذي عاش ضمن وسط عائلي من التجار الميسورين المعروفين بمدينة القل، تخصصوا في تجارة الحبوب بالجملة، تميز مساره بانكسارات اجتماعية حادة بدءا من جيل الجد من الأب... الذي ظلمه إخوته الأربعة، مما جعله يقبل بمهن بسيطة عديدة منها الحلاقة وحتى Gargotier، عكس الجد من الأم الشرطي البلدي، ابن القايد، في نفس مدينة القل المعروفة بطابعها المحافظ الذي كان بارزا بقوة عند أبناء عائلة خان على غرار الابن عبد الرحمن.

نفس الانكسار الذي سنلاحظه عند جيل الأب الذي كان أوكيل (متمكن من اللغتين)، لكنه وحسب شهادة الابن رفض القيام بوظيفته الأصلية وفضل القيام بعمله كعون في المحاكم الخاصة بالمسلمين. انكسارات قد تفسر هذه الجذرية التي ميزت مسار الابن عبد الرحمن - رغم ما ميز شخصيته من هدوء كبير - هو الذي كان على رأس الجمعية العامة لاتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين (جوان 1956) التي قررت مقاطعة الدراسة والإعلان عن الإضراب العام في عز التحضير لامتحانات نهاية السنة. دراسة الطب التي لم يُعَد إليها الرجل إلا بعد استقلال البلاد في 1962 بجامعة الجزائر، وهذه المرة للتخصص في أمراض القلب.

التحق الشاب خان مباشرة بـ جبال الولاية الثانية²⁰⁰ التي كانت مدينته القل تابعة لها، بعد مقاطعة دراسة الطب في جامعة الجزائر التي كان قد جرب قبلها جامعة ستراسبورغ لمدة سنة واحدة فقط عاد بعدها إلى الجزائر (1952)...

199. يكون قد ساعده على هذا الاختيار تمكنه من اللغة الألمانية التي درسها كلغة أجنبية أولى منذ مرحلة الثانوية.

200. التحق عبد الرحمن خان بـ جبال الولاية الثانية مع صديقه علاوة بن بعطوش ابن نقاوس بولاية باتنة، الذي يقول عنه أنه كان وطنيا من الطراز الأول، لم تمنعه أصوله العائلية الميسورة القريبة من الإدارة الفرنسية

« كان منطقيًا جدًا بالنسبة لي الالتحاق بالثورة في جبال الولاية الثانية مباشرة... أنا الذي كنت منخرطًا في الحركة الوطنية (1947) عندما كان عمري لا يتجاوز 16 سنة، وهو ما سهل عليّ الأدوار السياسية التي قمت بها داخل الحركة الطلابية لاحقًا ».

تقلد خان عدة مسؤوليات أثناء هذه الفترة التي توجه فيها نحو جبال الولاية الثانية، منها عضو بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية 1957 وكاتب دولة في الحكومة المؤقتة 1958، قبل مغادرة جبال الشمال القسنطيني والالتحاق بتونس للعمل كمفتش عام لجهة التحرير، بعد وصول قائد ولايته العقيد بن طوبال على رأس وزارة الداخلية. فترة العمل كمفتش للمالية هي التي تسببت في سوء العلاقة بينه وبين قائد الأركان العقيد هواري بومدين الذي لم ينس أن خان كان في صف الحكومة المؤقتة...

« ... التي كان معها الحق دون أن تمتلك القوة في صراعها ضد قيادة الأركان. كانت هذه هي قناعاتي منذ تلك الفترة... رغم أنني كنت في صف بومدين حين قرر إبعاد بن بلة من الحكم وافتكاك الجزائر من مخالب الاتحاد السوفييتي والاشتراكية تأكيدًا لمواقف الرجل منذ تلك الفترة، قربته من الكثير من الوجوه المحافظة المعروفة بين أبناء التيار الوطني، كما كان الحال مع صديقه عبد السلام بلعيد ».

خان الذي غادر منصبه على رأس منظمة الأمم المتحدة للتنمية لأن الجزائر فضلت عدم دعمه لعهد جديد، بعد أن علم الرئيس الشاذلي أن خان لم يكن موافقًا على ترشيحه لرئاسة الجمهورية في 1979 عند وفاة بومدين. خان الذي فضل الابتعاد عن الساحة السياسية منذ تلك الفترة للاعتناء بعائلته²⁰¹ التي كوّنها مع طالبة عاصمية كانت تدرس الصيدلة، لم تنه دراستها بعد دخولها السجن أثناء ثورة التحرير ومشاركتها في الحركة الطلابية والنسوية القريبة من حزب الشعب-حركة الانتصار، اكتشف خان أنها أخت صديق له منخرط في حزب الشعب (عائلة مفتي)، والتي التحق أخوها بحكومة صديقه عبد السلام بلعيد في 1992.

محمدي محمد الصالح وزير الداخلية ابن القضاة لثلاثة أجيال

سلسلة من الوزراء من أبناء مهن العدالة المختلفة سنختمها بحالة محمدي محمد الصالح الذي امتهنت عائلته القضاء على مدار ثلاثة أجيال كاملة بداية من جيل الجدّين، ثم الأب، وأخيرًا الابن محمد الصالح الذي احتل مواقع عديدة في سلك العدالة مباشرة بعد حصوله على الليسانس وتخرجه من معهد باريس العالي قبل سنة من استقلال البلاد

كابن بشاغا من التوجه نحو جبال الولاية الثانية لاحتلال موقع عضو مجلس الولاية والاستشهاد لاحقًا (مارس 1958).

201. زاول أبناء عائلة خان تعليمهم في الطب والدبلوماسية في فيينا وبوسطن ولندن.

(1961). مسار مهني انتقل فيه هذا الشاب الشاوي الحركاتي (من مواليد 1939 بعين البيضاء ولاية أم البواقي) عبر مواقع مهنية؛ فكان الأمين العام لوزارة العدل سنة 1978، وبعدها رئيس المحكمة العليا (1981-86)، ثم الأمين العام للحكومة (1986-89)، وأخيرا وزير الداخلية في حكومة جاره مولود حمروش (1989-91).

محمد صالح محمدي الذي تعرف على مولود حمروش خلال مروره الطويل داخل مؤسسات الدولة المختلفة، ليبقى من أوفى وزرائه وهو يستمر في إقامة علاقات شخصية معه تجاوزت المستوى المهني، رغم ما عرف عن الرجل من عدم حب للظهور وهدوء كبير قد يكون ساعده على تسيير المرحلة الحساسة التي وصل فيها إلى وزارة الداخلية بأقل الأضرار، كفترة تأجيل الانتخابات التشريعية التي رفضتها الجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد الإضراب الذي دعت إليه في صيف 1991 لتفوز بالانتخابات المحلية (1990) عندما كان الرجل على رأس وزارة الداخلية، لم يغادرها إلا عند استقالة كل الحكومة. ولم يظهر الرجل بعدها ولم يتقلد أي منصب عام، واكتفى بتسيير شؤون عائلته التي كوّنها مع إحدى بنات عين البيضاء (طبيبة أسنان) أنجب معها ثلاثة أطفال، توجهوا كلهم نحو دراسات علمية دقيقة.. في قطيعة واضحة مع الإرث العائلي القانوني.

أبناء التجار الصغار الذين ارتبطت الهجرة لديهم بالترقية الاجتماعية

بالإضافة إلى أبناء الموظفين الصغار ومختلف مهن الوساطة المرتبطة بالمؤسسات الحديثة للدولة الاستعمارية كالصحة والإدارة والتعليم والسكك الحديدية والعدالة بمختلف مهنها، نلاحظ حضوراً قوياً لأبناء التجار والحرفيين والمقاولين الصغار، الذين يزيدون من تدعيم حضور أبناء الفئات الحضرية البرجوازية الصغرى على حساب أبناء الريف الذين فقدوا جزءاً كبيراً من سيطرتهم خلال جيل واحد فقط. فعكس الاتجاهات العامة للتكديح الذي ارتبطت في جزء كبير منها بالانتقال من الريف نحو المدينة، يمكن أن نلاحظ في بعض الحالات، عملية ترقية لجيل الآباء قامت بها الكثير من العائلات القبائلية على وجه التحديد وهي تستفيد من الهجرة خارج موطنها الأصلي الفقير والمكتظ ديموغرافياً، للانتقال إلى مواقع الملكية واليسر مهما كانت متواضعة، على الأقل في بداياتها الأولى، جعلت أبناء هذه الأوساط يقتربون من المدرسة التي استفادوا منها بشكل ملفت وهم يدخلون للإقامة في المدن الكبرى التي عاشوا فيها، ومن ذلك هجرة عائلة بوجمعة إلى وهران.

فأب عبد القادر بوجمعة - وزير الشباب والرياضة في حكومة حمروش - على سبيل المثال، عرف ترقية أكيدة من عامل أجير بمخبزة إلى حربي مالك لمخبزة بوهران التي هاجر إليها من مجانة بمنطقة القبائل الصغرى، القريبة من مدينة برج بوعرييج. لنكون أمام هجرة من الريف نحو المدينة مرتبطة بترقية اجتماعية أكيدة.

نفس المسار تقريبا نجده حاضرا في حالة أب عمار عزوز - نائب وزير العمل في منتصف الثمانينيات - الذي انتقل إلى منطقة الدويرة بالقرب من العاصمة للاستقرار وفتح دكان صغير كتاجر، بعد احتراف نفس المهنة كتاجر متجول، كما كانت عادة الكثير من أبناء منطقة القبائل الذين انتقلوا منها نحو مواقع أحسن، وكنا قد تعرفنا على بعض الحالات ونحن نتكلم عن جيل الجد.

نفس المسار أيضاً مع أب آيت مسعودان سعيد - وزير البريد والمواصلات، ثم الصحة، ثم الصناعات الخفيفة (1972-84) في حكومة بومدين والشاذلي - الذي استقر كتاجر بحد صحاري بولاية الجلفة الصحراوية البعيدة، بعد هجرته من قرية بني صدقة بواسيف بولاية تيزي وزو.

من أبناء العاصمة الممثلين لهذه الفئة، نجد أحمد حوحات كاتب الصيد البحري في حكومة الشاذلي الأولى لمدة قصيرة (1979-80)، هو الذي كان جده بائع خضر بالسوق الشعبية بالعاصمة (جامع اليهود)، ليستمر الأب في نفس المهنة وفي نفس الحي الشعبي على شكل تجارة صغيرة متواضعة قد لا تصنفه تماماً ضمن فئة التجار، لنكون أمام وسط عائلي فقير.

فئة التجار التي قد يمثلها أحسن أب بلقاسم نابي - وزير الصناعة في أول حكومة للرئيس الشاذلي - التاجر بمدينة المسيلة بالحضنة، وحتى أب بشير بومعزة الشخصية السياسية المعروفة الذي زواج بين التجارة (مواد غذائية بالتجزئة) وتدريس القرآن ك « طالب »، كما عرفنا في أقسام أخرى من هذه الدراسة.

هذه « الترقية » استفاد منها الكثير من آباء الوزراء مثل أب كميل حاجيات التلمساني - كاتب دولة في آخر حكومة لغزالي 1992 - البقال الصغير، ومسعود زيتوني - وزير الصحة داخل حكومة قاصدي مرباح - ابن التاجر العزايي بالقرب من مدينة سكيكدة وحتى أب مولود أمزيان - وزير العمل والتكوين المهني في بداية فترة الرئيس الشاذلي - الذي انتقل من العمل كأجير بسيط في قطاع الصحة بالجيش الفرنسي إلى العمل التجاري الحر والتخصص في بيع الصوف بقسنطينة.. انتقال قام به كذلك أب محمد قرطبي - وزير الأشغال العمومية في بداية الثمانينيات - فرغم أن الجد كان تاجرا صغيرا فإن ذلك لم يمنع الأب من التدرج من مرحلة التجارة المتنقلة إلى مرحلة التجارة المستقرة بعد شراء دكان، انتقال من العمل المأجور إلى العمل الحر والتجارة المتنقلة الذي قد لا يعني دائما وبالضرورة تحسنا ملحوظا في الوضع الاقتصادي للعائلة، إذا راعينا بساطة العمل التجاري وهشاشته الاقتصادية بالنسبة لهؤلاء التجار الجدد الذين هاجروا حديثا نحو المدينة، أو بالنسبة للبعض منهم على الأقل... استفادوا منه في تعليم أبنائهم كما ظهر على مستوى جيل الوزراء. تعليم الأبناء والاستفادة مما توفره المدينة كان حافزا كبيرا وراء هجرة هذه الأوساط الريفية.

رغم تواضع حالة التاجر الجزائري من الناحية الاقتصادية، فإنه يبقى في موقع متميز داخل الحالة الجزائرية العامة نتيجة استقلاله المادي المضمون، دون أن يعني هذا بالضرورة أننا لم نصادف حالات بعض التجار الميسورين فعلا والذين خرجوا من حالة الهشاشة التي ميزت الكثير من التجار الجزائريين الصغار الذين استعرضنا بعضهم حالاتهم.

أبناء الحرفيين الصغار وغياب أبناء أجراء الزراعة

بالإضافة إلى أبناء التجار الصغار، ضمن هذه الفئات البرجوازية الصغرى غير الأجيال، يمكن الحديث عن أبناء الحرفيين الصغار الذين يمثلهم الكثير من الوزراء الذين التقينا بهم لإنجاز هذا الكتاب، يمثلهم أحسن تمثيل - كما رأينا ذلك - أب بوعلام باقي - وزير العدل والشؤون الدينية قبل وبعد التعددية - الذي كان حلاقا صغيرا بالبليز بالهضاب العليا الغربية، كما قد يمثل هذه الفئة وشرائحها المتوسطة الكثير من أبناء العائلات التلمسانية الحرفية في ميدان النسيج مثل والد أبي بكر بلقايد ووالد لياس مصلي اللذين تعرفنا عن حالتهما بشكل مفصل ونحن نتكلم عن جيل الجد. أما عائلة عبد الغاني عقبي التي تخصصت لجيلين في دباغة الجلود فقد عاشت تدهورا في وضعها الاقتصادي والاجتماعي بسبب المنافسة مع السلع المصنعة الفرنسية التي لم تستطع الصمود أمامها لضعف استفادتها من الخدمات المرتبطة بالتسويق والتمويل المالي وحتى التكنولوجيا التي بقيت دون تجديد.

عائلات تمثل بشكل جيد هذه الفئات البرجوازية الصغرى وحتى المتوسطة التي استطاعت المحافظة على مواقعها الاجتماعية أمام غزو المنتجات الصناعية الفرنسية والأوروبية عموما. مواجهة قام بها أب حسين بن يسعد في شروط أحسن داخل قطاع صناعة الأحذية والجلود بالبويرة، حيث تمكن من تطوير عمله الحرفي والارتقاء به إلى المرحلة الصناعية الصغيرة مما يجعله أقرب للفئات الوسطى المالكة وشرائحها العليا، جراء هذا الطابع الصناعي الذي وصلته الملكية.

وعلى عكس الترقية التي حصل عليها أب حسين بن يسعد، فإن أب حسن كحلوش - وزير الصناعة والنقل ضمن طاقم حكومة مولود حمروش - لم يُسعه الحظ، وتدهورت وضعيته الاقتصادية وأفلس بعدما كان يملك شاحنة لنقل البضائع، مما جعله يعيش أوضاعا صعبة في العاصمة التي انتقل إليها من منطقة القبائل.

إذا كانت الأوساط الحرفية في تلمسان قد برزت بقوة نسبيا في عملية إنتاج النخبة الوزارية، فإن الوسط الحرفي في مدينة قسنطينة لم يكن حاضرا بنفس الكثافة كما يمكن افتراض ذلك إذا استثنينا بعض الحالات القليلة مثل تلك التي يمثلها أب زهور ونيسي الحرفي في ميدان البناء والقريب من جمعية العلماء التي كان يتطوع لترميم مرافقها

التعليمية (يمكن العودة إلى التفاصيل في الجزء المخصص للوزيرات)، أو حالة أب محمد زرقيني الذي احترف الخياطة، الأب زرقيني القبائلي الأصل (من درقانة بولاية بجاية) الذي تزوج من ابنة أخ الشيخ عبد الحميد بن باديس مما قرّبه أيضاً من جمعية العلماء المسلمين التي كانت حاضرة بقوة في مدن عُرفت بالمهنة التقليدية داخلها مثل تلمسان وقبلها قسنطينة.

عملية التكديح التي ارتبطت بالتحضر والدخول إلى المدينة، تترسخ أكثر كفكرة إذا أضفنا إلى هذه الفئات الحضرية الشعبية فئة الأجراء والعمال في مختلف القطاعات الصناعية والخدماتية التي تبقى محدودة بالمقارنة مع الأهمية العددية لأجراء الزراعة خلال هذه المرحلة من تطور العمل المأجور الذي غلب عليه الطابع الموسمي في الكثير من المناطق.

نلاحظ أن فئة أجراء الزراعة شبه غائبة في إنتاج النخبة السياسية، رغم حضورها الديموغرافي القوي نسبيا في الريف الجزائري الذي مثلته الفئات الغنية والميسورة بشكل واضح في إنتاج النخبة على مستوى جيل الجد من خلال الملاك الكبار والمتوسطين، وحتى الفئات المالكة الصغرى التي برز أبنائها على مستوى نوعية الإنتاج النخبوي أكثر من خلال الوجوه السياسية المعروفة التي قادت مرحلة ثورة التحرير، خاصة بعد التوجه نحو العنف الثوري الذي قاداته اعتمادا على مواقعها الريفية. عامل اجتماعي آخر قد يفسر هذا الحضور الضعيف لهذه الفئات الزراعية الأجيال يتعلق بضعف استفادة هذه الفئة من المدرسة التي كانت بعيدة عنها جغرافيا واجتماعيا، ناهيك على حالة عدم الاستقرار التي لازمت هذه الفئات الأجيال التي لم يكن الاستقرار المهني قاعدة لديها، وهذا لسيطرة العمل الموسمي، فالقاعدة كانت التنقل بين عدة مهن، كما يمكن أن نلاحظ ذلك عن قرب من خلال الحالات المدروسة. فالخروج من حالة البطالة لم يكن دائما باتجاه منصب العمل الدائم في الحالة الاستعمارية بنمط اقتصادها الكولونيالي الذي كان سائدا في الحالة الجزائرية خلال هذه المرحلة التاريخية.

أبناء الهجرة العمالية القبائلية: من مواقع المعارضة إلى مواقع السلطة

ليس غريبا أن يكون الوزراء من أبناء منطقة القبائل أحسن من يمثل تلك الأوساط البروليتارية الصناعية والخدماتية التي تكونت في المهجر وفرنسا تحديدا، باعتبارها مرحلة عبور نحو مواقع اجتماعية كانت في الغالب في اتجاه مواقع أحسن، بعد التخلص من العمل المأجور في اتجاه العمل التجاري الحر. فئة تميزت بحضور قوي لأبناء منطقة القبائل داخلها، وبعض بلدياتها تحديدا كعين الحمام ولربعاء ناث إيراثن الذين كانوا على رأس أقدم الهجرات الجزائرية بل والمغربية إلى فرنسا، منذ جيل الجدين، كما رأينا ذلك في أكثر من حالة.

منطقة نعود إليها أكثر ونحن نتكلم عن جيل آباء الوزراء بنوع من التفصيل من خلال حالتين كانت من ميزتهما أنهما مثّلتا حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية داخل الحكومة في بداية عهدة الرئيس بوتفليقة الأولى، لمدة قصيرة قبل الابتعاد عنه دون العودة إلى مواقع المعارضة التي تم الانتقال منها في الأول.. كما كان مع عمارة بن يونس وحميد لوناوسي، عكس حميد سيدي السعيد الذي عُرف بانخراطه في جبهة التحرير التي ابتعد عنها بعد الإعلان عن التعددية، بسبب مواقف هذا الحزب من القضية الأمازيغية التي لم تعجب الرجل حسب تصريحاته، فاختار الاستقالة من اللجنة المركزية (1994) في وقت زادت فيه حدة الصراعات الهوياتية في الجزائر، رغم المسؤوليات الكثيرة التي احتلها الرجل طول مساره المهني كوالٍ في مدن كبيرة مثل تيزي وزو (-84 1979) وقسنطينة (1984-87) وعنابة (1987-89)، كان على رأسها خلال عقد الثمانيات حين استفحلت الإضطرابات الاجتماعية والسياسية المهمة لأحداث أكتوبر 88. حضور للرجل داخل هياكل الدولة بما فيها حزب جبهة التحرير الذي وصل إلى لجنته المركزية (1989-94) على غرار بعض أبناء المنطقة الآخرين الذين تحولوا بموجب ذلك إلى ممثلين شبه دائمين لمنطقتهم « المتمرده » لدى صاحب القرار المركزي. حالة سيدي السعيد أكدت القاعدة التي لاحظناها في هذه الدراسة والتي تقول أن الوالي الذي يكون على رأس مدن كبرى كالعاصمة وعنابة وقسنطينة له حظوظ كبيرة في الوصول إلى الحكومة مع الوقت، كوزير وحتى كرئيس حكومة في بعض الحالات كما تأكدت مع حاليّ نور الدين بدوي وعبد المالك سلال وعبد المجيد تبون الذين انطلقوا من الولاية قبل الوصول إلى الوزارة ثم رئاسة الحكومة وحتى رئاسة الجمهورية كما هي حالة عبد المجيد تبون منذ 2019. في هذا السياق انتقل حميد سيدي السعيد إلى موقع الوزارة مع حكومة مولود حمروش على رأس قطاعي البريد والصحة (1989-91)...

« رغم تخوفي من هذه المواقع الوزارية التقنية، حمروش أقنعني بالعكس بالطابع السياسي لمنصب الوزير وهو يركز على تجربتي كوالٍ في مدن كبيرة، عرفت الكثير من حالات الاضطراب وأنا على رأسها »... « أعرفك أنت meneur d'hommes »... كلمة ردها حمروش أكثر من مرة أمام الرجل الذي انطلق في حياته المهنية كمعلم للفرنسية، هو وحيد أبيه الذي ارتبط بمعلمة مثله لإنجاب ثلاثة ذكور²⁰² وبنت واحدة، أنهاوا كلهم تعليمهم الجامعي في تخصصات حقوقية وعلمية وفي الترجمة، عكسه هو الذي اكتفى بشهادة تأهيل لم تسمح له بالعمل إلا كمعلم، ليتوجه لاحقا نحو مواقع السلطة المحلية الإدارية والحزبية بداية من المجلس الشعبي الولائي.

202. وصل أحد أبنائه إلى رئاسة الجمهورية كمستشار إعلامي مع الرئيس تبون (2022) الذي مر قبل الوالد على ولاية تيزي وزو كوالٍ (1989-91).

هو ابن العامل الأمي بمصانع رونو للسيارات بفرنسا، أما الجد من الأب فكان خوجة ترجمان²⁰³، في حين كان الجد من الأم فلاحا متوسطا في منطقة القبائل التي كانت عائلة سيدي السعيد معروفة فيها بإنتاجياتها النخبوية التي اعتمدت على انتشار التعليم باللغة الفرنسية بالمنطقة مهما كان بسيطاً، زيادة على ما عُرف عن المنطقة من انتشار للزوايا التقليدية بتعليمها الديني القاعدي باللغة العربية؛ ما سمح لأبناء العائلة بالتوجه في البداية للحصول على مناصب في التعليم باللغة الفرنسية، ثم القفز إلى مناصب وطنية في أكثر من قطاع، كما تبينه حالة ابن العائلة القيادي النقابي عبد المجيد سيدي السعيد وهو يستعمل القناة النقابية بداية من ولاية تيزي وزو وصولاً إلى الجزائر العاصمة²⁰⁴.

الهجرة إلى فرنسا التي سنجدها حاضرة مرة أخرى في حالة وزيرين من أبناء منطقة القبائل، ينتميان إلى جيل أصغر من حميد سيدي السعيد (من مواليد 1940) هما عمارة بن يونس (1958) وحميد لوناوسي (1955) المولودان في نفس المنطقة تقريبا: لربعاء ناث ايراثن بلدية آيت أومالو بالنسبة لحميد لوناوسي، وبلدية آيت زيري دائرة عين الحمام بالنسبة لعمارة بن يونس بولاية تيزي وزو دائما.

الوزيران اللذان ينتميان إلى هذا الوسط العمالي المهاجر إلى فرنسا والذي عرف ترقية أكيدة بالانتقال إلى العمل التجاري الحر، بداية من جيل الأب. فقد كان أب عمارة بن يونس عاملاً في قطاع النسيج قبل أن يتوجه نحو العمل التجاري في نفس القطاع، في فرنسا دائما. العمل الصناعي في فرنسا الذي كان نفس مهنة الجدين من الأب والأم كذلك عند هذه العائلة التي استشهد فيها الأب سنة 1961 بعد انضمامه لجيش التحرير بالولاية الثالثة؛ ليتولى الأخ البكر، رجل الأعمال، مسؤوليات هذه العائلة المكونة من أربعة أبناء، كما جرت العادة في هذه المنطقة المعروفة بقيم التضامن العائلي. الأخ البكر - المكنى بدانيال²⁰⁵ من قبل الوسط المهاجر الذي عاش فيه لسنوات طويلة بفرنسا - انخرط في فيدرالية جبهة التحرير أثناء الثورة، ثم اتخذ مواقف معارضة بعد الاستقلال يكون قد اقترب فيها من حزب جبهة القوى الاشتراكية كالكثر من أبناء منطقته، لينتهي به الأمر في مواقع السلطة كسيناتور بمجلس الأمة خلال فترة حكم الرئيس بوتفليقة، ممثلاً لمجاهدي فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير إلى أن وصل إلى رئاستها. تماما كما كان مسار الأخ الأصغر

203. بعد اللقاء مع المعني الذي تم في فندق عاصمي، اتصل بي مساءً ليحدد بالضبط مهنة الوالد التي أمر على توضيحها حتى لا تختلط مع المهن القريبة من الإدارة الفرنسية كموقع القاييد.

204. مسار عبد المجيد سيدي السعيد المعلم انطلق في الاتحاد الولائي لتيزي وزو لغاية العاصمة قبل الوصول إلى الأمانة العامة للاتحاد العام لفترة طويلة (1997-2019) قبل أن ينتهي به المقام في السجن بتهم فساد مثل نخب مرحلة بوتفليقة.

205. العمل لوقت طويل في المهجر في مهن مرتبطة بالمجتمع المستقبل، يفرض على بعض الجزائريين تغيير أسمائهم زيادة في الاندماج، خاصة عند هذا الجيل الذي ارتبط بالعمل السري أثناء ثورة التحرير والمعارضة لاحقا كما كان حال بن يونس أكلي المكنى بـ «دانيال».

عمارة، حتى عندما يتعلق الأمر بالانشقاق عن الأحزاب بكل الملابس التي حصلت فيها، في إطار الصراع المعروف بين نخب منطقة القبائل الذي عاشته عدة أجيال. صراعات سياسية كانت على الدوام بمنسوب ذاتي مرتفع كما تؤكد شهادة الدكتور سعيد سعدي في مذكراته حول ما يكون قد أخبره به حسين آيت أحمد حول الدمة المالية لأكلي بن يونس الذي يكون قد قام بتحويل جزء من أموال حزب جبهة القوى الاشتراكية²⁰⁶.

مسؤوليات عائلية فرضت على بكر العائلة (من مواليد 1936)، رجل الأعمال، استقبال الأخ الأصغر عمارة لإتمام دراسته الجامعية في باريس، أين تحصل على دكتوراه - الدرجة الثالثة في المالية الدولية من جامعة السوربون، وهذا بعدما أنهى الشاب بن يونس دراسته الثانوية في ثانوية لافيجري بالحراش التابعة للآباء البيض والتي كانت تتوفر على النظام الداخلي، ثم نال شهادة الليسانس في جامعة الجزائر...

«الوالدة فضلت هذا الحل لعدم معرفتها بأحياء العاصمة مع كل صعوبات التنقل من البيت».

وتوجه للعمل في وزارة الصحة مباشرة بعد عودته من دراسته في فرنسا (1987)، وانضم لاحقا إلى التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الذي مثله في الحكومة وترشح باسمه في الانتخابات التشريعية على رأس قائمة تيزي وزو (1997) ليكون على رأس كتلته البرلمانية، ونيابة رئيس الحزب (1998) ومدير مكتب رئيسه سعيد سعدي الذي عملت زوجته سكرتيرة له؛ الزوجة التي كان قد تعرف عليها الشاب عمارة بن يونس عندما زارت الجزائر في عطلة مع عائلتها التي تعود أصولها إلى مدينة بوغني بتيزي وزو، أنجبا بنتا وولدا كما أصبح سائدا عند هذه الفئات الوسطى المتعلمة، قليلة الإنجاب في الجزائر... «كنا نتكلم معهم بالقبائلية والفرنسية في المنزل إلى غاية التحاقهم بالمدرسة. بدأنا بعدها في إضافة العربية الدارجة ونحن نتعامل معهم».

التحق عمارة بن يونس بحكومة أحمد بن بيتور كوزير للصحة والسكان سنة 2000، ثم وزيرا للأشغال العمومية مع علي بن فليس، إلى غاية استقالته - مع زميله لوناوسي - في ماي 2001، احتجاجا على قمع التظاهرات التي شهدتها منطقة القبائل في تلك الفترة، بكم العنف الكبير الذي عرفته²⁰⁷. تجربة حكومية خرج منها الرجل بموقف إيجابي...

«رغم بعض المشاكل مع مناصلي الحزب أكثر الذين لم يفهموا بسهولة أننا داخل الحكومة وزراء للجمهورية وليس وزراء الحزب... سعدي هو الذي تفاوض مع بوتفليقة حول أسماء الوزراء والقطاعات الممنوحة للحزب».

206. Saïd Sadi, *Mémoires. Le pouvoir comme défi. Tome 4. 1997-2007*, Édition Frantz Fanon, Alger, 2024, p. 151.

207. عكست هذه المظاهرات تحولا داخل تأطير الحركة الأمازيغية بعد ظهور حركة العروش التي بينت بشكل جلي ضعف الأحزاب السياسية التي كانت تتكلم باسم أبناء المنطقة بما فيها التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الذي نافسته حركة العروش على قاعدته الاجتماعية.

معطيات أكدها سعدي في مذكراته وهو يتحدث عن تفاصيلها التي اشترط فيها من بوتفليقة أن يعلن في خطاب علني في التلفزيون العمومي لتأكيد نفسه الإصلاحية حول ملفات محددة مثل العدالة والمدرسة، وهو ما قام به بوتفليقة فعلاً²⁰⁸.

انشق عمارة بن يونس عن حزبه الأرسيدي، الذي لم يعرف غيره عكس أبناء جيله من القبائل الذين مروا على تجربة جبهة القوى الاشتراكية - إذا استثنينا نشاطاته السياسية والثقافية داخل الحركة الطلابية، كما كان الحال مع فرقة «دبزة» - بعد بروز سوء علاقات مع سعيد سعدي الذي اتهمه بأنه « سارق وعميل للمخابرات »، كما جرت العادة في الصراعات الحزبية بين النخب السياسية في الجزائر.

معلومات طورها سعيد سعدي في الجزء الرابع من مذكراته الذي تكلم فيه بإسهاب عن رفيقه السابق في الحزب الذي كان قريباً جداً منه حتى على المستوى العائلي.. وهو يتحدث عن تهم فساد تكون قد وصلت إلى مسامعه وهو على رأس وزارة الصحة والأشغال العمومية أنكرها الرجل بعد أن قام رئيس الحزب الدكتور سعدي بمصارحته حولها؛ ليتوصل إلى خلاصة أن مشاركة الحزب في الحكومة كانت فشلاً على مستوى التحدي المرفوع في مجال القيم²⁰⁹...

ليعلن لاحقاً عن تكوين حزبه السياسي الجديد (الحركة الشعبية الجزائرية) الذي دخل تحت رايته الانتخابات التشريعية في 2012، وأسس قبل ذلك يومية *La Dépêche de Kabylie*، تكفل بتسييرها الأخ الأصغر للعائلة التي عرفت كيف تحافظ على تضامنها في غياب الأب الشهيد²¹¹، كما هو معروف بين أبناء هذه المنطقة الجبلية الفقيرة التي لجأت إلى الهجرة نحو فرنسا وداخل الجزائر لتحسين الوضع الاقتصادي لأبنائها.

عاد بن يونس إلى عضوية الحكومة بعد عقد كامل من تجربته الوزارية الأولى لاحتلال مواقع وزارية على رأس وزارة البيئة وتهيئة الإقليم (2012) والصناعة (2013) والتجارة (2014) في حكومات عبد المالك سلال خلال تجربة بوتفليقة الطويلة التي تقرب فيها بن يونس منه ودافع عنه بقوة، إعلامياً وسياسياً، هو الذي كان يعد من المعارضين الشرسين للنظام في بداية مشواره السياسي، لتكون نهاية هذه التجربة في السجن الذي دخله بتهم

208. Saïd Sadi, *Mémoires. Le pouvoir comme défi. Tome 4. 1997-2007*, Édition Frantz Fanon, Alger, 2024, p. 125.

209. نفس المرجع أعلاه، ص 210.

210. انظر المرجع المذكور أعلاه، ص 229، حين ذكر الدكتور سعدي في مذكراته أن علي بن فليس رئيس الحكومة قد اتصل به مباشرة في مكتب الحزب ليخبره أن توفيق (مسؤول المخابرات في تلك الفترة) قد تواصل معه لكي يطلب منه تحويل 800 مليون سنتيم لصالح عمارة بن يونس ليطلق جريدته وهو يحدد أنها « ستكون ضد حزبك و ضدك شخصياً ».

211. تسببت محاولة فرض الأخ الأصغر على رأس قائمة الحزب لتشريعات 2017 في حدوث انشقاق رغم فشله في الوصول إلى البرلمان.

فساد، حُكِمَ عليه فيها بثلاث سنوات، في جوان 2019، خفضت عند الاستئناف إلى سنة واحدة فقط. ليختفي الرجل عن الأنظار بعد هذه التجربة ولم يعد للظهور إلا في مناسبات محدودة.

رغم التشابه الكبير في الأصول الاجتماعية والجغرافية والمسار السياسي بين حميد لوناوسي وزميله في الحزب عمارة بن يونس، إلا أنه يختلف عنه في نقطة الانتماء إلى حزب جبهة القوى الاشتراكية التي تبقى بسيطة ومن دون دلالات كبيرة ونحن نراعي مسار هذا الجيل السياسي من أبناء المنطقة الذي كانت خياراته الحزبية في الغالب محصورة بين الحزبين (جبهة القوى والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية) والتي يمكن أن تظهر في بعض الأحيان على شكل تنقل بينهما، كما كان الحال مع حميد لوناوسي الذي انتمى في الأول إلى الجبهة التي كانت خيارا سياسيا عائليا عبّر عنه في الأول الأخ الأكبر مولود الطيب، المناضل المعروف في الحركة الثقافية.

حميد لوناوسي الذي يؤكد البعد المتعلق بالهجرة لدى أبناء هذه المنطقة من الجزائر التي توفي فيها الجد من الأب الأمي صغيرا (19 سنة) بسبب تعرضه لأمراض مرتبطة بالمهنة التي زاولها في مناجم فرنسا. عكس الجد من الأم (ابن نفس المنطقة) الذي استفاد من التعليم في مدرسة بوزريعة المعروفة بتخريج المعلمين، المهنة التي لم يزاولها الجد، لأن زوجته رفضت التنقل معه، كما كان سائدا خلال هذه الفترة التي عرفت تنقل المعلمين داخل مناطق عديدة من التراب الوطني... « والدها هو الذي منعها من الابتعاد عن القرية واللاحق بزوجها، مما فرض عليه الابتعاد عن هذه المهنة التي تعلم من أجلها لصالح العمل التجاري الحر الذي قام به الجد بالدويرة بالقرب من العاصمة ».

تكررت الهجرة إلى فرنسا لدى هذه العائلة القبائلية الريفية على مستوى الجيل الثاني، مع الأب وحيد العائلة الحاصل على الشهادة الابتدائية، للعمل في قطاع الفنادق بفرنسا. مهنة تركها وعاد إلى الجزائر في فترة الحرب العالمية الثانية لفتح متجر للبقالة الرفيعة (épicerie fine) بحي المرادية موجهة للفئات الوسطى من المعمرين التي تسكن الحي المختلط الذي عُرف بحضور أبناء منطقة القبائل على غرار حي المرادية القريب.

الأب الذي انتهى به المقام بعد الاستقلال كموظف في وزارة المجاهدين، للتكفل بعائلته الكبيرة -نيتين وخمس أطفال - هو الابن الوحيد... بعد الابتعاد مكرها عن العمل التجاري نتيجة تفجير دكانه من قبل الجيش الفرنسي في السنوات الأخيرة لثورة التحرير. أتمّ الطفل حميد دراسته بالقرب من أبيه في حي لاردوت بالعاصمة، ثم انتقل إلى مستغانم للقيام بدراسات جامعية في الزراعة كمهندس تطبيقي (1978) والتي أنهارها في إسبانيا وتحصّل على ماستر علوم (1991). خلال فترة الدراسة هذه بمستغانم، حاول أن ينشط الطالب حميد لوناوسي سياسيا بتقربه من حزب الطليعة...

« ابتعدت عنهم بسرعة بعد أن اكتشفت قربهم من السلطة ودفاعهم عنها ». مروراً بتجارب جمعوية أخرى عاشها هذا الشاب القبائلي وهو يساهم في تكوين رابطة حقوق الإنسان وجمعية أبناء الشهداء واتحاد المهندسين لتكون الوجهة الحزبية هذه المرة كانت نحو حزب آيت أحمد جبهة القوى الاشتراكية والحركة الثقافية الأمازيغية التي كان الأخ الأكبر مولود قد التحق بها. حزب وصل إلى أمانته العامة في أحلك الظروف (1994) لكي يحصل الانفصال بسرعة مع الزعيم آيت أحمد بعد قراره بالمشاركة في اجتماع سانت إيجديو للأحزاب الجزائرية بحضور الجبهة الإسلامية للإنقاذ في جانفي 1995. استقالة من جبهة القوى كان المستفيد الكبير منها حزب الغريم سعيد سعدي الذي ترشح للرئاسيات في نفس السنة.

التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الذي ترشح باسمه حميد لوناوسي (1997) في قائمة تيزي وزو وراء زميله عمارة بن يونس، ومثله في الحكومة كوزير للنقل (2000-2001) في حكومتَي أحمد بن بيتور وعلي بن فليس، هو المهندس الذي لا يعرف من المهن إلا قطاع الفلاحة الذي اشتغل فيه على المستوى المحلي بولاية تيزي وزو. مشاركة في الحكومة لم يقبلها هذا المهندس الشاب بسهولة إذا صدقنا شهادة مسؤوله السياسي الأول سعيد سعدي وهو يذكر كيف كان مفروضاً عليه التدخل لدى مدير المخابرات توفيق مدين شخصياً لكي يعطل الطائرة التي كانت تقل الرجل نحو باريس في اليوم الذي كان يفترض أن يتم تعيينه في الحكومة²¹². الرجل لم يكن راضياً في المقابل عن مغادرتها حسب نفس الشهادة التي تؤكد ما حصل لوزراء من عائلات سياسية أخرى فضلت المنصب داخل الهيئة التنفيذية على الانتماء الحزبي بكل ما أفرزه من انشقاقات عرفتها الظاهرة الحزبية الهشة أصلاً في الجزائر.

حكومة استقال منها الرجل بعد أحداث تيزي وزو المعروفة بالربيع الأمازيغي (2001)²¹³. استقالة لم تمنعه من الاحتفاظ بصورة إيجابية عن تجربته الحكومية...

« كنت أسمع كثيراً قبل وصولي إلى هذا المنصب عن تدخلات في عمل الوزراء... لم أعش هذا خلال تجربتي التي كنت فيها حراً في كل تصرفاتي وقراراتي... الحكومة التي دخلناها عن قناعة بعد الموافقة على برنامج الرئيس بوتفليقة فيما يتعلق بالمدرسة والعدالة وإصلاح الدولة خلال هذه الفترة التي شهدت فيها العلاقة بين حزب التجمع

212. Saïd Sadi, *Mémoires. Le pouvoir comme défi. Tome 4. 1997-2007*, Édition Frantz Fanon, Alger, 2024, p. 132-133.

213. اندلعت الأحداث بعد مقتل الشاب ماسينسيا قرماع من قبل عناصر للدرك الوطني الذي احتجزته في بلدة بني دوالا، في وقت كانت المنطقة تحتفل بذكرى الربيع الأمازيغي. تقديرات كثيرة تتكلم عن مقتل 126 مواطن وجرح 500 آخرين، في غياب تقرير لجنة تحقيق وطني كان الرئيس بوتفليقة قد أعلن عن تنصيبها للتعرف على الأحداث.

وبوتفليقة شهر غسل قصير²¹⁴ ... سعدي طلب من الرئيس أن يعلن برنامجا على الشعب وهو ما فعله في خطاب علني كما ذكر سعدي في الجزء الرابع من مذكراته .»

عاد حميد لوناوسي إلى البرلمان مرة ثانية سنة 2007 تحت نفس راية التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، بعد انتخابات قاطعتها جبهة القوى الاشتراكية ليحصل الانفصال بداية من 2010 مع رئيس التجمع سعيد سعدي هذه المرة. لوناوسي الذي اختفى من الساحة العامة لأكثر من عقد كامل، إلى غاية 10 جوان 2021 تاريخ تعيينه مستشارا للرئيس تبون مكلفا بالمنظمات الوطنية والدولية غير الحكومية ؛ كما جرت عادة مؤسسة الرئاسة في ربط علاقات مع منطقة القبائل بتعيين أبنائها في مناصب بالقرب من رئيس الجمهورية، تزداد أهمية في حالة الرئيس تبون الذي فقد التواصل مباشرة مع المواطنين لقلّة زيارته إلى الولايات الداخلية، كما كان يفعل رؤساء الجزائر بما فيهم بوتفليقة قبل مرضه.

إيسلي محمد أرزقي... خادم الدولة الذي لا يستقيل

في منطقة القبائل، وبالتحديد في سيدي عيش بولاية بجاية، سنصادف دائما نفس ظاهرة الهجرة إلى فرنسا لجيلين كاملين في حالة أب إيسلي محمد أرزقي - نائب وزير مكلف بمواد البناء في حكومة عبد الحميد الإبراهيمي (1984-86) ووزير النقل في حكومة عبد السلام ورضا مالك ومقداد سيفي (1992-93). إيسلي الذي عمل والده دركيا لغاية بداية ثورة التحرير، ورفض أن يستمر في هذا الموقع بعد اندلاع ثورة التحرير، لكنه عاد إليه بعد الاستقلال إثر عودته من الهجرة في فرنسا كمدرّب هذه المرة لدى الدرك الوطني. وكان الجدّان أيضا قد مرا بتجربة الهجرة إلى فرنسا قبل الأب الذي رفض الاستفادة من الترفيقات المشهورة التي قام بها الحاكم العام لأكوست لأعضاء النخبة الجزائرية حسب شهادة الابن.

لنكون أمام مسار مهني مختلف لهذا الابن المهندس صاحب الشخصية الهادئة، الذي ينتمي لجيل أكبر (1939) ابن الدرّكي القريب من الحركة الإصلاحية، الذي تميّز بانضباط مهني كبير لم يجعله يفكر بالاستقالة التي يرفضها كفكرة بحجة أنه عون دولة (un commis d'état) بعيد عن السياسة... يقبل بالمنصب الذي يُعيّن فيه، لا يغادره إلا إذا طُلب منه ذلك كخادم للدولة، في نظام سياسي لم يكن يقبل بفكرة الاستقالة التي حاربها بقوة وتعامل معها كانشقاق سياسي بتبعات سياسية ومهنية خطيرة على الذي يغامر بها. لم تمنع هذه الرؤية هذا المهندس الشاب من الانخراط مبكرا في حزب جبهة التحرير خلال تجربة الحزب الواحد (1969) التي لم تكن من القيم السياسية السائدة لدى

214. وصل التفاهم بين سعدي وبوتفليقة لدرجة قبول للاسم الذي اقترحه سعدي على الرئيس بوتفليقة لرئاسة لجنة إصلاح العدالة المتمثل في محند يسعد. ليبقى تقرير اللجنة بعيدا عن عيون المواطنين كما حصل مع كل اللجان - بما فيها لجان التحقيق - التي كونتها الجزائر المستقلة.

هذه النخبة التكنوقراطية التي لم تُعرَف بانخراطها في الحزب، سمحت له بقيادة اتحاد المهندسين لفترة طويلة (1971-85)، وهو ما تطلَّب منه التوجه نحو القاهرة، مقر المنظمة العربية للتنمية الصناعية، باقتراح من عبد السلام شخصيا. فرصة استغلها الرجل لتعلم العربية التي كان يجهل حولها الكثير، ونفس الشيء بالنسبة للغة الإنجليزية بمناسبة منحة دراسية إلى الولايات المتحدة في جامعة هارفارد الأمريكية استفاد منها هذا المهندس خريج المدرسة الوطنية المتعددة التقنيات بالحراش التي تخرج ضمن أول دفعة لها... « كان المفروض أن يتَّأس بن بلة حفل التخرج في صيف 65 لكن الانقلاب عليه منعه من ذلك ».

مسار تعليمي مهني متميز عاد إلى استقامته بعد حالة الاضطراب التي مر بها قبل الاستقلال، يبين بشكل جلي الطموحات الكبيرة التي كان يتمتع بها هذا المهندس الذي عُرف كواحد من مجموعة عبد السلام في قطاع الصناعة الذي احتل فيه عدة مواقع تسيير وتعليم في معاهد بومرداس كالمعهد الوطني للتنمية وتطوير الإنتاجية الذي استمر على رأسه مدة طويلة (1966-81)، والتسيير الصناعي الذي قام به على رأس أكثر من قطاع كالنسيج.

وقد قبل بالانضمام لحكومة عبد الحميد الإبراهيمي التي كانت توجهاتها معاكسة للتجربة البومدينية التي عُرف بالقرب منها هو ومجموعة الصناعة التي كان على رأسها صديقه عبد السلام بلعيد الذي احتل معه لاحقا منصب الوزارة بعد تعيينه لمدة قصيرة كمكلف بمهمة (1992).

إيسلي الذي لم يعد للعمل الحكومي والرسمي بعد تجربة الحكومة، وقرر فتح مكتب دراسات خاص يقوم بتسييره مع ابن أخ له.. هو الذي فضل العزوبية والتركيز على حياته المهنية، وكان الوزير الوحيد غير المتزوج الذي التقينا به.

بوعلام بن حمودة الذي مثَّل ولايته التاريخية لأكثر من رُبع قرن

الباحث في ميدان التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للجزائر سيجد الكثير من الصعوبات في تحديد مهن الكثير من الجزائريين عندما يتعلق الأمر ببعض المراحل التاريخية القديمة نسبيا، ليس لعدم توفر المعطيات في بعض الأحيان وعدم دقتها فقط، بل للتنوع المهني الكبير الذي يمكن ملاحظته على المسارات المهنية لنفس الشخص، مما يصعب من عمليات التصنيف التي تعتمد على المهنة كمؤشر سوسيولوجي أساسي، وهو ما يمكن أن يتأكد بصورة ملموسة ونحن نتطرق إلى المواقع الاجتماعية لعائلة بوعلام بن حمودة الذي وصف حالة عائلته بالمتوسطة²¹⁵ مع أن الجد من الأب لم يكن إلا حارس غابات، رغم

215. بوعلام بن حمودة الذي اتصلنا به في مقر جبهة التحرير أصر على ملء الاستمارة بنفسه مما أثر سلبا على نوعية الإجابات التي جاءت على شكل تقرير جاف لم يتمكن من التدقيق فيها أثناء المقابلة كما حصل مع الأغلبية الساحقة من الوزراء المستجوبين.

مستواه التعليمي المعقول في تلك الفترة (حاصل على الشهادة الابتدائية وملم باللغتين العربية والفرنسية) في حين كان الجد من الأم تاجرا.

حراسة الغابات التي كانت تحظى كمهنة بأهمية أكيدة خلال الفترة الاستعمارية نظرا لدور الغابة الاقتصادي والأمني في عالم الريف، بكل الصراعات التي حصلت منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر حول الثروة الغابية بين المواطنين الجزائريين والإدارة الاستعمارية والتي كان من ورائها المعمرون الذين استفادوا من التسهيلات الممنوحة لهم.

أما الأب فكان حاصلاً على الشهادة الأهلية بالفرنسية، سمحت له بالعمل في مكتب موثق ككاتب، قبل الانتقال إلى مواقع مهنية أخرى ككاتب عمومي وحتى تاجر أثاث في مدينة شرشال دائماً. تنقل زاد من صعوبة تصنيف هذه العائلة من الناحية الاجتماعية، التي حافظت رغم ذلك على دخل مالي منتظم في مجتمع عانت فئات واسعة فيه من البطالة وانعدام الدخل المالي المنتظم.

تلقى الشاب بوعلام بن حمودة كل تعليمه في مدينة شرشال والعاصمة لاحقاً إلى غاية 1956 تاريخ التحاقه بجيش التحرير بتراب الولاية الرابعة، بعد الإعلان عن إضراب الطلبة الذي دعا إليه الاتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، إلى أن أُلقي عليه القبض من طرف الجيش الفرنسي (1957) وبقي في السجن حتى استقلت البلاد.

عرف المسار السياسي والمهني لبوعلام بن حمودة حالة صعود دائم واستقرار لم تتوفر للكثير من رفاقه وأبناء جيله (من مواليد 1933) في وقت اضطراب الحالة السياسية في الجزائر وهي على أبواب مرحلة الاستقلال؛ كأحداث ما سمي بأزمة صيف 1962 التي انقسمت فيها قيادة الولاية الرابعة بين عدة أجنحة، وكان بوعلام بن حمودة مع الطرف الذي اتخذ مواقف لصالح قيادة الأركان وجيش الحدود، الداعمة للشثائي بومدين-بن بلة الذي تمكن بسرعة من حسم الصراع لصالحه ضد الجماعة المقابلة التي دعمها الجزء الأكبر من قيادة الولاية الرابعة التي شهد ترابها معارك عسكرية بين الفريقين المتنافسين على السلطة وصلت إلى الاقتتال بين الجنود في خريف 1962.

تجربة أثرت لاحقاً على التمثيل السياسي لأبناء الولاية الذي اتسم طول فترة بومدين وحتى بداية مرحلة الشاذلي بالضعف والتذبذب، ليتحول الدكتور بن حمودة إلى ممثل قوي شبه دائم لهذه الولاية المهزومة سياسياً وعسكرياً في المواجهة الأولى لها بعيد الاستقلال. فترة انطلق فيها بوعلام حمودة لمتابعة دراسته كالكثير من المسؤولين للحصول على الدكتوراه في الحقوق من جامعة الجزائر (1971).

لا يمكن فهم المسار السياسي لبوعلام بن حمودة بعد الاستقلال دون الانطلاق من هذه اللحظة التاريخية ومن هذا الموقف السياسي الذي اتخذته الرجل في أول صراع مسلح على السلطة في صيف 62، وهو يسجل أول حضور سياسي له في عضوية المجلس

التشريعي (1962-63) واللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير (1964-63) ليحتل موقع وزارة المجاهدين بعد الانقلاب على بن بلة وحسم بومدين الصراع ضده (1965-70)، ثم موقعًا أكثر أهمية بداية من سنة 1973 على رأس وزارة العدل لمدة سبع سنوات كاملة (1970-77)، للانتقال لاحقًا إلى وزارة الأشغال العمومية (1977-79) بعد وفاة الرئيس بومدين الذي يعبر بن حمودة عن احترام كبير له وهو يتحدث عنه.

ليكتشف الرجل أن موت بومدين لم يؤثر على هذا المسار الصاعد، بالعكس.. فقد وصل الرجل إلى مواقع سيادية مهمة، من وزارة الداخلية في حكومة الرئيس الجديد الشاذلي (-82 1980) إلى وزارة المالية لمدة أربع سنوات (1982-86)، ثم عرف نوعًا من الإبعاد عن مراكز القرار بعد هذه التجربة الطويلة على رأس وزارات سيادية، وتوجه نحو مديرية المعهد الوطني للدراسات الاستراتيجية (1986-90) بعد بروز بوادر سوء تفاهم بينه وبين الرئيس الشاذلي الذي كان قريبًا منه إلى وقت قريب، فلم يكن يستشيريه في المسائل السياسية فقط، بل حتى عندما يتعلق الأمر بالقضايا العائلية، حسب الأصدقاء المتواترة بين أعضاء النخبة السياسية. سوء تفاهم مع الرئيس ومحيطه المباشر زاد منسوبه عندما بدأت مراكز قوى سياسية حاضرة برئاسة الجمهورية بالتوجه نحو ترسيم الإصلاحات التي نادى بها والتي كان بوعلام بن حمودة من الرافضين لها كأحد الوجوه المحسوبة على التيارات العروبية والإسلامية المحافظة التي تميزت بحضورها القوي داخل هياكل حزب جبهة التحرير.

علمًا بأن الرجل لم يغادر المواقع القيادية على رأس حزب جبهة التحرير طول هذه الفترة الطويلة التي قضاها داخل الحكومات المتعاقبة التي تزيد عن عشرين سنة، للوصول إلى قيادة جبهة التحرير نفسها كأمين عام بعد ما سمي بالانقلاب العلمي ضد عبد الحميد مهري في 1996، إلى غاية استقالته في 2010، والابتعاد عن كل نشاط رسمي.

هل مثل أبناء العمال الأجراء الفئات الشعبية الحضرية داخل الحكومات ؟

ونحن نتحدث عن أبناء القوى الريفية الشعبية الفقيرة داخل الحكومات الجزائرية، تبين لنا ذلك التمثيل المحتشم للفئات الريفية الأجيّة في عملية إنتاج النخبة الوزارية. نفس الظاهرة يمكن الكلام عنها ونحن نتكلم عن المدينة الجزائرية خلال هذه الفترة عندما يتعلق الأمر بنفس الفئات الأجيّة الصناعية والخدماتية التي تأخر ظهورها في الحالة الجزائرية مقارنة بحضورها على التراب الفرنسي كعمالة مهاجرة حين توجه الكثير من أبناء الريف الجزائريين للعمل في القطاع الصناعي والخدماتي، عكس الحالة في الجزائر التي لم يتطور فيها العمل المأجور في القطاعين الزراعي والصناعي، كما رأينا ذلك ونحن نعرض حالة أبناء منطقة القبائل.

الأجراء بمختلف فئاتهم الصناعية والزراعية والخدمية الذين لا يحتلون إلا الموقع الرابع بنسبة حضور لا تتجاوز 13 بالمائة، تقربهم من فئات الملاك العقاريين الكبيرة والمتوسطة التي تمثل 14 بالمائة، رغم الفارق في الحضور الديموغرافي بين الفئتين داخل المجتمع الجزائري، بعد الموظفين الصغار والمتوسطين من المدنيين والعسكريين الأكثر حضورا على مستوى هذا الجيل بنسبة 28 بالمائة وهم يحتلون المرتبة الأولى وبعد الحرفيين والمقاولين الصغار والتجار الذين يأتون في المرتبة الثانية في عملية إنتاج النخبة الوزارية بحوالي ربع العينة (24 بالمائة).

حضور ضعيف لهذه الفئات الشعبية الأجرة على مستوى جيل الأب يؤكد مرة أخرى ضعف الحضور الشعبي في عملية إنتاج النخبة، تمثلها الفئات العمالية الأجرة التي تمكنت رغم كل شيء من الخروج من حالة الهشاشة التي يعيشها أغلبية المجتمع الجزائري الذي تسود لديه البطالة كقاعدة عامة.

هذا ما سنجده حاضرا في حالة محمد سراج وزير البريد والمواصلات في بداية التسعينيات، الذي انتقل أبوه من العمل كعامل مزرعة لصناعة الخمر Caviste بالجهة الغربية من الجزائر المشهورة بإنتاجها من الخمر، إلى حارس مستشفى بمدينة وهران؛ انتقال جعل الرجل يتأرجح بين العمل الزراعي المأجور والوظيفة العمومية مهما كانت بساطة الموقع. وضعية الأجير البسيطة قد يمثلها كذلك أب لخضر بايو كاتب الدولة والوزير المنتدب خلال فترة التعددية، الذي بدأ كعامل شحن في ميناء العاصمة قبل الانتقال والقيام بترقية بسيطة من خلال العمل في قطاع السكك الحديدية كحارس رصيف.

إلى هذه القائمة من أبناء الأجراء، يمكن إضافة أب عبد الرحمن بلعياط - وزير التعمير والبناء خلال بداية النصف الثاني للثمانينيات، ووزير التجهيز في نهاية التسعينيات - الذي اشغل طول حياته تقريبا كعامل في مخبزة لإنتاج الحلويات بالكثير من مدن الشرق الجزائري. في عاصمة الشرق الجزائري، سجد أب رابع بيطاط الشخصية التاريخية المعروفة، الأب الذي عُرف عنه احتراف مهنة حداد بمدينة قسنطينة التي هاجر إليها الجد الفلاح الصغير، بعد بيع قطعة الأرض الصغيرة التي كان يمتلكها بعين الكرمة القريبة.

شخصية وطنية - بدرجة أقل ربما - أخرى عُرف والدها بمهنة مشابهة: المحامي علي هارون عضو المجلس الأعلى للدولة ووزير حقوق الإنسان في بداية التسعينيات الذي كان أبوه ميكانيكا بالعاصمة. مهنة سمحت له بإعالة عائلته الكبيرة المكونة من تسعة أبناء، تمكن الابن الثالث فيها من التخرج كمحام. استفادة لم تكن ممكنة لولا القرب الجغرافي من المدرسة الفرنسية الذي أتيح لهذه العائلة في مدينة الجزائر²¹⁶.

216. انظر أطروحة الدولة هذه في الحقوق التي تفضل في حالة تكوين المحامين في الحالة الاستعمارية في الجزائر بين 1930 و1962 :

Ataouia Krafla, *La profession de droit dans l'Algérie coloniale (1830-1962)*, Université de Bordeaux, 2016, file:///C:/Users/lenovo/Downloads/KRALFA_ATAOUIRA_2016%20(2).pdf.

نفس الوضع تقريبا كان من نصيب أب المحامي عمار تومي - أول وزير عدل في حكومة الاستقلال - الذي عُرف عنه تنقله بين عدة مهن متواضعة كنادل في مقهى و« حمال » على رصيف السكك الحديدية بالعاصمة وقبلها في قسنطينة التي هاجر إليها الجد من منطقة القبائل الكبرى-عين الحمام.

هي نفس حالة عائلة سلوقي كذلك التي كان فيها الجدّان عاملين باليوم، واستمرت في نفس المواقع على مستوى الجيل الثاني، فالأب سلوقي كان عليه أن يغادر منطقة الميلية وقسنطينة لاحقا، أين كان يشتغل كأجير باليوم، للعمل كمنجمي بمنجم الوزنة قرب تبسة، المنجم الذي كان يسيره في بداية التسعينيات الابن محمد المهندس كوزير منتدب ضمن طاقم حكومة مولود حمروش، مما يعني أننا أمام ترقية اجتماعية نوعية حصلت داخل هذه العائلة الفقيرة المنتمية إلى الفئات العمالية الأجيّة، تمكنت من الخروج منها بواسطة تعليم أبنائها الذين استفادوا من القرب الجغرافي من المدرسة في مدينة قسنطينة.

في تبسة أيضا سنلتقي الأب سيفي - الذي سنتعرف عليه بالتفصيل ونحن نتكلم عن فئة رؤساء الحكومات، هو الذي كان وزيرا أكثر من مرة قبل الوصول إلى رئاسة الحكومة، الذي كان يشتغل فيها كعامل أجير باليوم في ميدان البناء، بعد أن عجزت الملكية الصغيرة للجد عن تلبية حاجيات العائلة الكبيرة على مستوى الجيل الثاني، فكانت الهجرة إلى المدينة والعمل بالمأجور الموسمي في ميدان البناء.

في الجهة الغربية، وفي ميناء وهران البحري بالذات، سنجد أب عبد الله عرباوي كاتب الدولة للري خلال السبعينيات كعامل شحن-حمال (Manutentionnaire) بعد أن عجزت ملكية الجد الزراعية المتوسطة وحتى تربية المواشي التي لجأ إليها الجد في هذه المنطقة من الهضاب العليا (تيارت) من سد حاجات العائلة الواسعة. حالة عرباوي التي سنعود إليها بالتفصيل ونحن نتكلم على المصير الكارثي الذي انتهت إليه وضعية الابن كاتب الدولة بعد مسار سياسي ومهني عرف الكثير من الانكسارات.

فئة الأجراء لم تكن ممثلة فقط من قبل أبناء الفئات العمالية البسيطة كما هو واضح من خلال العينة المذكورة، فقد تكون ممثلة كذلك ببعض أبناء فئة التأهيل (La maîtrise) رغم قلتهم. كما كان حال أب نور الدين دلسي - وزير التجارة خلال النصف الثاني من الستينيات - الذي كان مراقب عمل (Contremaître) بأحد مصانع البلدية.

ظاهرة التبقير والالتحاق بالمناصب الإدارية والوظيف العمومي الملاحظة على مستوى جيل الآباء بالمقارنة مع جيل الجد الذي سبقه تتأكد هي الأخرى إذا انتبهنا إلى الزيادة الملحوظة في نسبة أبناء البشاغات والآغات والقياد من الوزراء.. وهي الظاهرة التي قد لا تعني دائما تحسّنا كبيرا في المستوى الاقتصادي للعائلة، كما تبينه الدراسات التاريخية التي لاحظت الوضع الصعب وغير الثابت للقياد على سبيل المثال في حالة اكتفائهم بدخلهم

المالي من هذا المنصب وعدم الاستفادة مما يمكن أن يحصلوا عليه من أنواع دخل أخرى لاحظتها نفس الدراسات، زيادة بالطبع على التوليف بين الملكية الزراعية وموقع القايدي الذي ساد كاتجاه عام لدى هذه العائلات التي تميزت بقربها من الحالة الاستعمارية.

أبناء القياد والبشاغات الذين تضاعف حضورهم

بعد تفريغ المعطيات الإحصائية التي تمكّنّا من الوصول إليها من خلال الدراسة، والتي تعاملنا معها كمؤشرات عن اتجاهات عامة في حاجة إلى تدقيق وتطوير في المستقبل من قبل دراسات أكثر شمولية من الناحية الكمية، نجد أن هذه الفئة ساهمت بحوالي 11 بالمائة من وزراء الجزائر المستقلة على مستوى الآباء بزيادة تقترب من الضعف، مقارنة بجيل الجد التي لم تكن تتجاوز 6 بالمائة. نسب تبدو عالية مقارنة بالحضور الديموغرافي الضعيف لهذه الفئة في المجتمع الجزائري الذي عرف مراحل قطيعة عدة وهو يعيش حالة استعمارية استيطانية دامت لأكثر من القرن وربع القرن، تمت الاستعانة داخلها بهذه الفئات لتسيير المجتمع الجزائري الأهلي من قبل الآلة الإدارية الاستعمارية الفرنسية التي انتقتها لهذا الغرض، سنحاول التعرف على مسارات إنتاجها عن قرب من خلال الحالات التي نستعرضها في هذه الدراسة من مختلف مناطق البلاد بكل ملابسات إنتاجها. لم نعتمد فيها فقط على المقابلات التي كانت وسيلتنا الأساسية لجمع المعطيات، بل على مراجع أخرى أيضاً، ومنها تلك المونوغرافية التي تتكلم عن عائلة أوشيش²¹⁷ وما كتبه مصطفى لشرف في كتابه المشهور²¹⁸ وغيرها من المذكرات المعروضة في قائمة المراجع مثل مذكرات المؤرخ محمد حربي²¹⁹ الذي استفدنا من المعطيات التي استعرضها حول عائلته التي أنتجت أخا وزيرا وخالا رئيس جمهورية²²⁰... كتابات من ميزاتنا أنها صدرت عن متخصصين في العلوم الاجتماعية بمفهومها الواسع، مما يمنحها مصداقية علمية كبيرة، حتى وهم يتحدثون عن أنفسهم كما كان الحال مع المؤرخ محمد حربي أو المتخصص في العلوم الإنسانية مصطفى لشرف أو زبيدة حداد الأستاذة في العلوم السياسية التي خصصت أطروحة دكتوراه الدولة التي ناقشتها في معهد العلوم السياسية بباريس لدراسة حالة عائلتها وأخوالها.

217. Zoubida Haddab, *Ambiguïté de la socialisation politique. Choix et contraintes de l'itinéraire d'une famille algériennes. 1890-1980*, thèse de doctorat, Soutenu sous la direction de Jean Leca, Institut de sciences politique de Paris, 1994.

218. Lacheraf Mostefa, *Des noms et des lieux, mémoires d'une Algérie oubliée, souvenir d'enfance de jeunesse*, Casbah Éditions, Alger, 1998.

219. Mohammed Harbi, *Une vie debout. Mémoires politique tome 1 (1945-62)*, Casbah Éditions, 2^e Éditions, Alger, 2003.

220. العقيد علي كافي رئيس الدولة بين 1992 و1994.

عبد المجيد أوشيش ابن البشاغا الذي كان يريد أن يبقى مديرا عاما

المقدم عبد المجيد أوشيش وزير البناء والسكن في آخر حكومة هوارى بومدين، الذي ينتمي لهذه العائلات الغنية صاحبة الملكية الزراعية والعقارية الواسعة بمنطقته الأصلية بشمال ولاية برج بوعريريج (آيت يعلى بالقرب من قنزات) وخارجها إذا راعينا ما كان يتمتع به الجد والأب والأبناء لاحقا من أملاك عقارية منتشرة في مناطق عديدة من التراب الوطني، بما فيها منطقة رغبة بالقرب من العاصمة التي استثمر فيها جيل الأبناء كما حصل مع بكر العائلة من الذكور، أستاذ طب العيون الذي استعان بالأخ الأصغر عبد المجيد في مرحلة الشباب لتسيير أملاكه بهذه الجهة الفلاحية على أبواب العاصمة.

في عائلة²²¹ تميزت بقربها من الظاهرة الاستعمارية بداية من جيل الأب على الأقل (من مواليد 1887) الذي احتل موقع خوجة -ترجمان لمدة أربع عشرة سنة (بين 1914 و1928) ثم قايد سنة 1928، و أخيرا باشاغا إلى غاية التقاعد ونهاية مساره المهني في 1954 سنة اندلاع ثورة التحرير²²². مناصب تسمح لنا بالكلام عنه ضمن فئة أبناء القياد والبشاغات بكل يسر. موقع مهني للأب، تمكن منه لحصوله على الشهادة الابتدائية بالفرنسية في هذه المنطقة من جبال القبائل الصغرى المشهورة بكثافة تعليمها الديني التقليدي باللغة العربية، كثافة لم تمنع هذا الوسط من المحافظة على اللغة الأمازيغية بلسانها القبائلي كلغة تعامل يومي إلى غاية الأجيال الصغيرة بعد الاستقلال، بعد الدخول للعاصمة وظهور الزواج المختلط بين أبنائها وبناتها خارج هذه الأسرة المرابطة التي كانت لا ترحب عادة بتزويج بناتها من خارج هذا الوسط المرابط حتى ولو تنازلت مع الوقت عندما يتعلق الأمر بالذكور. استراتيجيات مصاهرة كقاعدة أولى تعتمد فيها على الأفضلية المعطاة لأبناء العمومة،²²³ لیتم التراخي مع الوقت في تطبيق هذه الاستراتيجية العائلية بعد الابتعاد عن الوسط الأصلي للعائلة ودخول مدينة الجزائر بعد برج بوعريريج التي حافظت فيها العائلة على الكثير من خصائصها تحت سلطة الأب الباشاغا المباشرة إلى غاية وفاته.

221. معطيات استقيناها من الأطروحة الجامعية غير المنشورة التي تمت مناقشتها من قبل إحدى قريبات الوزير (ابنة أخته) التي جاءت على شكل دراسة مونوغرافية للعائلة، زيادة على ما توفر لدينا من خلال المقابلة التي قمنا بها مع فردين من العائلة الوزير عبد المجيد أوشيش والحفيد إسماعيل حمداني الذي ضمن المرحلة الانتقالية بين ملين زروال وبوتفليقة كرئيس وزراء لمدة قصيرة.

222. الكثير من العائلات الجزائرية بعد الاستقلال تعلن عن هذا التاريخ كمحطة لابتعاد أبنائها عن وظائفهم بالقرب من الإدارة الفرنسية. كما جاء في أكثر من مقابلة مع الوزراء الأبناء وهم يتحدثون عن آباءهم القياد والبشاغات وكل أصحاب المهن القريبة من الإدارة الاستعمارية التي لم يعد من المستحب الحديث عنها في جزائر ما بعد الاستقلال..

223. Zoubida Haddab, *Ambiguïté de la socialisation politique. Choix et contraintes de l'itinéraire d'une famille algériennes. 1890-1980*, thèse de doctorat. Soutenu sous la direction de Jean Leca. Institut de sciences politique de Paris. 1994, p. 49.

مواقع إدارية سمحت للأب بالتدخل لصالح ابنه « المشاغب » عبد المجيد، مرتين على الأقل : الأولى في 1945 على إثر مشاركته في مظاهرات 8 ماي، والثانية الأخطر عند إلقاء القبض عليه بعد سقوطه سجيناً بين أيدي جنود الجيش الفرنسي (1957) في منطقة بودواو بالقرب من العاصمة التابعة للولاية الرابعة التي التحق بجمالها في 1956. التدخل الذي سمح للابن بالاستفادة من حكم مخفف، على شكل سجن في سركاجي لمدة سنتين فقط، ليلتحق الشاب عبد المجيد بفرنسا مباشرة بعد خروجه من السجن (1959) للانضمام إلى فيدرالية جبهة التحرير بفرنسا والتسجيل في نفس الوقت في إحدى مدارسها الكبرى : المدرسة العليا للعلوم الاجتماعية²²⁴، لمدة سنة واحدة فقط قبل الانتقال إلى الحدود التونسية الجزائرية للتكفل بقرى المجاهد التي انطلق فيها جيش التحرير كتجربة خدمات اجتماعية لصالح جنوده إلى غاية الاستقلال.

تجربة سمحت لعبد المجيد أوشيش بالتقرب من كل القيادات العسكرية التي حكمت الجزائر بعد الاستقلال، كقائد الأركان العقيد بومدين الذي عينه بالمنصب الذي عُرف به بعد الاستقلال، كمدير عام لمؤسسة البناء التابعة للجيش الوطني الشعبي (DNC/ANP)، لمدة طويلة (1962-77)²²⁵، التي كانت وراء الكثير من المشاريع العملاقة التي ارتبطت بفترة الرئيس بومدين ؛ وصل عدد عمالها إلى أكثر من ستين ألف عامل، تم تسييرهم بواسطة قوانين خاصة، لم تكن تخضع فيها إلى التشريعات السارية في القطاع الاقتصادي العمومي، فلم تسمح بالعمل النقابي على سبيل المثال باعتبارها نواة لصناعة عسكرية. كان ابن الباشا، مقدم الجيش الوطني الشعبي، يريد تطويرها في أقصى الجنوب اعتماداً على شباب الخدمة الوطنية. كان التصور الأول للمشروع يذهب في اتجاه إقناع الشباب بالإقامة والسكن في الصحراء بشكل دائم بعد انتهاء فترة الخدمة العسكرية، المشروع الذي تكلم فيه الرجل مع بومدين الذي يكون قد أعجب في الأول بالفكرة... « ... لكنه تراجع بعد أن أخافته بعض عناصر قيادة الجيش منه ... ليتم إبعادي وتعييني كوزير للسكن والبناء وهو يقول لي : قم بتنفيذ مشاريعك هذه في وزارة البناء والسكن ».

للتوقف هذه المغامرة لسي عبد المجيد كما كان يناديه أصدقائه المقربون على رأس هذه المؤسسة العملاقة في 1977 بعد خمس عشرة سنة من انطلاقها، مباشرة بعد

224. هذا ما قام به صديقه أبو بكر بلقايد الذي تعرف عليه في باريس، لتدعم العلاقات معه لاحقاً في الجزائر على المستويين المهني والسياسي.

225. أثناء المقابلة مع عبد المجيد أوشيش في مكتبه، ذكر أن الكثير من المسؤولين كانوا يتصلون به لمساعدتهم في للحصول على مواد البناء للتأكيد على أهمية المؤسسة التي كان على رأسها. وهو يذكر أنه كان يتأخر عن قصد في استقبال العقيد الشاذلي بن جديد قبل وصوله إلى الرئاسة، والذي كان يتردد عليه لطلب مساعدته في الحصول على مواد البناء لانتهاء من مشروع بناء فيلته في وقت كانت سوق مواد البناء في الجزائر تعرف ندرة واضطراباً في التوزيع.

الاستقلال. تعامل معها الرجل كأبعاد مقنع من منصبه المهم على رأس هذه المؤسسة العملاقة، ليعين²²⁶ في آخر حكومة للرئيس بومدين كوزير للبناء والسكن، وكان يشتغل بالقرب منه ابن أخته إسماعيل حمداني برئاسة الجمهورية، والذي وصل إلى رئاسة الحكومة بعد استقالة الرئيس زروال²²⁷، زيادة على بعض من معارفه من تجربة فيدرالية جبهة التحرير بفرنسا كأبي بكر بلقايد، وما تولد من علاقات مع تجربة الحدود التونسية التي نسجت خلالها، والتي عرفنا من خلال الكثير من الحالات كيف كانت مهمة في تفسير مسارات الكثير من الشخصيات السياسية التي عاشتها.

حكومة 1977 التي وصفها الرجل بأنها كانت أحسن حكومة للرئيس بومدين الذي تخلص من قبضة جماعة وجدة وهو يعينها. الرجل الذي لم يغير من موقفه الإيجابي من بومدين كرجل دولة كبير، كان ينظر إليه كمستبد عادل، عكس الرئيس الشاذلي، الذي عينه سفيرا في الأرجنتين لمدة سنتين (1982-84) بعد إبعاده من الحكومة... « الشاذلي كان أميًّا، مثيِّرًا للشفقة... minable ».

تقييم يشترك فيه مع مجموعة الوزراء الذين كانوا قريبين منه سياسيا كأبي بكر بلقايد²²⁸ وعلي هارون الذين ارتبط معهم منذ تجربة باريس داخل هياكل فيدرالية جبهة التحرير التي عُرف عناصرها بتوجهات عصرية بمسحة علمانية واضحة بين أعضاء النخبة السياسية الوطنية.

رغم المنحدرات الاجتماعية التقليدية التي ميزت أوشيش ابن الباشا.. الذي حفظ جزءًا مهمًا من القرآن في المدرسة القرآنية ومدرسة جمعية العلماء لاحقًا، لم يكن مرتاحا لهما مما جعله يغادرهما كما غادر المدرسة الفرنسية بعد مشاجرة مع معلمها الفرنسي الذي تفوه بالفاظ عنصرية ضد تلميذ جزائري. المنظومة التعليمية التقليدية بما فيها مدارس جمعية العلماء التي مازال الرجل يقول عنها بأنها هي التي جعلته يكره العربية والقرآن الذي نسي بسرعة ما حفظه من آياته وهو صغير²²⁹؛ واتخذ الرجل مواقف نقدية - لا يعبر عنها في العادة إلا داخل الوسط العائلي بمناسبة اللقاءات العائلية - عندما يتعلق الأمر بدور الإسلام في المجتمع،²³⁰ هو العسكري الذي لم تُعرف له مواقف علنية

226. الفكرة اعتمدت على تجربة قرى المجاهد (160 قرية) التي انطلقت على الحدود التونسية كنشاط اجتماعي لصالح جنود جيش التحرير.

227. انظر القسم المخصص لرؤساء الحكومات ضمن هذا المؤلف لمزيد من التفاصيل حول إسماعيل حمداني.

228. التحق أبوبكر بلقايد بصديقه أوشيش لاحتلال موقع الأمانة العامة للوزارة وليخلفه لاحقًا في قطاع البناء ككاتب دولة (1984-86).

229. Zoubida Haddab, *Ambiguïté de la socialisation politique. Choix et contraintes de l'itinéraire d'une famille algériennes. 1890-1980*, thèse de doctorat, Soutenu sous la direction de Jean Leca. Institut de sciences politique de paris, 1994, p. 244.

230. نفس المرجع أعلاه، ص 257.

طول مساره المهني الرسمي، كأغلبية أعضاء النخبة الرسمية في الجزائر التي تكتفي عادة بالتعبير عن آرائها فيما يتعلق بهذه المواضيع الحساسة كمكانة الدين والسياسة داخل الفضاءات الخاصة وليس خارجها. نفس الموقف النقدي الذي اتخذته عندما تعلق الأمر بقرار تغيير عطلة نهاية الأسبوع الذي قام به بومدين في 1975، ولم يجعله لآخر أيامه يغير موقفه الإيجابي من بومدين، رجل الدولة.

الشاب عبد المجيد أوشيش الذي يمثل هذا الجيل الجزائري الذي حصل على تنشئته الأساسية داخل مؤسسات حديثة تعرف عليها في المدينة التي دخلتها العائلة وهو صغير في السن، لم تكن متوفرة للكثير من الجزائريين قبل هذا الجيل؛ كما كان الأمر مع الكشفة الإسلامية والحزب السياسي (حزب الشعب-حركة الانتصار) والنقابة (الكونفدرالية العامة للشغل CGT)²³¹ وجيش التحرير الذي التحق به في تونس على الحدود كالكثير من الشباب الجزائري من مناطق مختلفة²³²، عكس ما يحصل عادة عندما يلتحق أبناء الداخل بولاياتهم الأصلية داخل التراب الوطني. تنشئة كانت في جوانب كثيرة منها في مواجهة قيم العائلة، كما تعكسه المؤسسات التي مر بها الشاب ابن الباشا في مجتمع متحرك خلال هذه المرحلة التاريخية المفصلية، والصراعات التي دخل فيها الابن عبد المجيد مع الوالد الباشا وجعلته يغادر المنزل العائلي صغيرا للتوجه نحو العاصمة بالقرب من الأخ الأكبر الذي كان قريبا منه فكريا رغم الفارق في السن (يكبره بعشر سنوات)، في انتظار دخول بقية أفراد العائلة للعاصمة الذي حصل مع استقلال البلاد، كما كان الأمر مع أغلبية الجزائريين.

دون أن يعني ذلك أن الابن أوشيش قد انقطع كليا عن انتماءاته الطبقية، حتى وهو قريب جدا من نظام بومدين، كما يظهر من خلال مواقفه الرافضة للتسيير الذاتي في بداية الاستقلال وبعد ذلك الثورة الزراعية التي أمتت بعض أراضي العائلة. رفض يركز فيه على

231. مر عبد المجيد أوشيش بتجربة نقابية ضمن صفوف الكونفدرالية العامة للشغل القريبة من التيار الشيوعي (1946-50) داخل مطحنة رئيس بلدية برج بوعريج، صديق الوالد بعد خروجه من السجن إثر مشاركته في أحداث 8 ماي التي شارك فيها. انظر :

Zoubida Haddab, *Ambiguïté de la socialisation politique. Choix et contraintes de l'itinéraire d'une famille algériennes. 1890-1980*, thèse de doctorat, Soutenu sous la direction de Jean Leca. Institut de sciences politique de paris, 1994, p. 241.

232. يمكن العودة إلى المراجع المذكورة في الدراسة التي تكلمت عن تشكيل جيش الحدود بالصعوبات التي عرفها والتي كانت وراءها في جانب كبير منها الانتماءات الجهوية والصراع بين القيادات، كما جاء في مؤلف المؤرخ محمد حربي المعروف وبعض الدراسات الحديثة على غرار كتاب الباحثة الشابة صافية أرزقي، زيادة على ما جاء في المقابلات التي أجريناها مع الوزراء من أصحاب الخلفية العسكرية الذين التحقوا بجيش الحدود من أمثال بكة عبد النور وبلخير العربي وزرقيني محمد، في مؤلفنا حول النخبة الوزارية.

Mohammed Harbi, *Le FLN mirage et réalité. des origines a la prise du pouvoir 1945-62*, Édition Naqd-Enal, 1993.

Saphia Arezki, *De l'ALN à l'ANP, la construction de l'armée algérienne 54-91*, Édition Barzakh, Alger, 2018.

الأبعاد المتعلقة بغياب فاعلية التسيير الدّولي العمومي²³³. موقف نقدي وسعه الرجل ليشمل حزب جبهة التحرير كما كان حال الكثير من النخب المفروسة الحاضرة في عالم التسيير، والتي كانت في صراع قيمي ولغوي مستتر في الغالب مع النخب المعربة المتواجدة داخل مؤسسة الحزب، دون أن يتم التعبير عنه بشكل علني. صراع عرف الرئيس بومدين كيف يتم التعامل معه وتسييره لصالحه كشخص ولصالح نظامه دون هزات كبيرة كما تؤكد حالة أوشيش الذي استمر في الدفاع عنه كمستبد عادل صاحب مشروع وطني.

من بين ممثلي هذه العينة نجد عيسى عبد اللاوي وزير الأشغال العمومية، والري في منتصف الثمانيات²³⁴، الذي عاد للحكومة مع الرئيس بوتفليقة لمدة قصيرة في نفس القطاع تقريبا (الري والغابات) بين 2001 و2002، قبل التوجه للعمل في المؤسسات الدولية التي تعود الاشتغال فيها خلال فترة ابتعاده عن الحكومة. هذا المهندس الفلاحي الذي كان أبوه ضابطا بالجيش الفرنسي برتبة ملازم -قبل التحول لاحقا إلى قائد بمنطقة الشرف الغابية القريبة من منطقة الجلفة الصحراوية، والتي كان الجد من الأب حارسا لها، بمستوى الشهادة الابتدائية التي يمتلكها في تلك الفترة، تأكيداً لأهمية هذه المهنة في الجزائر خلال المرحلة الاستعمارية. في حين كان الجد من الأم معلم قرآن (طالب) بهذه المنطقة التي تميزت على الدوام ولغاية فترة ما بعد الاستقلال بشح انتشار التعليم بين أبنائها.

عائلة ارتبطت بالغابة في هذه المنطقة شبه الصحراوية لأكثر من جيل بداية من الجد من الأب الحارس إلى الابن الوزير مهندس الغابات خريج مدرسة نانسي الفرنسية وإلى الابنة المهندسة الفلاحية هي الأخرى.

عبد المجيد علاهم هو الآخر يمكن ضمه إلى هذه الفئة من العائلات التي عرفت بهذه العلاقة المتينة مع الظاهرة الاستعمارية من خلال الجيش الفرنسي، فقد التحق أكثر من فرد من عائلة علاهم بالجيش الفرنسي من خلال مدارسه العسكرية (مليانة في هذه الحالة) التي تخصصت في استقبال أبناء هذه الفئات من أصحاب التعليم المتوسط... « عمي الذي كان في الجيش الفرنسي هو الذي بعثني إلى هذه المدرسة التي كانت متخصصة في استقبال أبناء الفقراء والأيتام »... يقول الرجل وهو يصر على الأصول المتواضعة لهذه العائلة.

استمرارية لم تصمد لفترة طويلة، بفعل حرب التحرير التي جعلت أبناء هؤلاء القياد يلتحقون بجيش التحرير بعد فرارهم من الجيش الفرنسي كما هو حال أبناء عائلة علاهم من عرش أولاد ماضي بالحضنة، محمد وعبد المجيد الذي عُرف بدوره في رئاسة الجمهورية

233. Zoubida Haddab, *Ambiguïté de la socialisation politique. Choix et contraintes de l'itinéraire d'une famille algériennes. 1890-1980*, thèse de doctorat, Soutenu sous la direction de Jean Leca. Institut de sciences politique de Paris, 1994, p. 254.

234. أول منصب لهذا المهندس كان نائب وزير للغابات والبيئة لمدة أربع سنوات (1984-88)، ثم وزيرا للأشغال العمومية (1988-89).

ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 475.

بالقرب من الرئيس بومدين كمسؤول للتشريفات (1966-77) وأمين عام لهذه المؤسسة السيادية (1977-79) قبل التوجه نحو وزارة السياحة (1979-84) للانتقال لاحقا كالكثر من الشخصيات النافذة إلى موقع السفارة في أكثر من عاصمة دولية كبرن السويسرية وموسكو ونواكشوط وأخيرا الرباط التي كانت آخر مهمة دبلوماسية للرجل صادف حضوره فيها تعيين ابن عرشه (أولاد ماضي) محمد بوضياف رئيسا للدولة في 1992²³⁵ الذي كان مقيما في هذا البلد منذ مغادرته الجزائر كما كان الأمر مع الكثير من المعارضين الجزائريين الذين فضلوا المغرب كبلد إقامة وليس تونس التي لم تكن قادرة على تحمل الضغوط الجزائرية الرسمية عليها. فرنسا التي كان يرفضها المعارض الجزائري لاعتبارات سياسية مرتبطة بحساسية العلاقة بين البلدين إذا استثنينا حالة حسين آيت أحمد الذي فضل الإقامة في سويسرا.

من العائلات التي حافظت على مواقعها المتميزة ليس على مستوى الملكية الكبيرة فقط، بل بالارتباط القوي بالظاهرة الاستعمارية من خلال منصب القايد الذي توارثه الأبناء والمواقع داخل الجيش الفرنسي والجزائري لاحقا، نجد عائلة العربي بلخير الذي حافظ والده على هذه الوظيفة بعد الجد في نفس منطقة الهضاب العليا الغربية (تيارت) كما رأينا ذلك ونحن نتكلم عن جيل الجد، إذ كان يقوم بتسيير زاوية بلحشر زيادة على وظيفته الرسمية كقايد، لنكون أمام مزاجية بين المركز الديني والإداري.

من أبناء الموظفين السامين الذين كانت لهم تجربة متميزة، حتى بالمقارنة مع العائلات الجزائرية المهاجرة في المغرب، يمكن ذكر حالة عائلة معاوي عبد العزيز وزير السياحة في السنوات الأولى للاستقلال التي اشتغل فيها الأب كموظف سام بالقصر العلوي بالرباط، بعد القيام بدراسات عليا في الزيتونة بتونس، أما الجد فكان مديراً لمدرسة رسمية بتلمسان الموطن الأصلي للعائلة.

التعليم الذي انتشر نسبيا خلال هذه الفترة²³⁶ يتأكد من خلال الجدول الذي يتحدث عن مهن آباء الوزراء، إذ نلاحظ أن نتائجه لم تظهر كلها على مستوى هذا الجيل، فلم نلاحظ إلا نسبة ضئيلة جدا من الوزراء الذين لهم أب قام بدراسات عليا عصرية تسمح له بالعمل كطبيب أو محام أو أي مهنة حرة ذات تأهيل جامعي، باستثناء بعض الحالات التي فضلت العمل الرسمي والحر داخل نظام التعليم التقليدي كما هو حال الشيخ البشير الإبراهيمي بالنسبة للتعليم أو الأب معاوي الذي كان موظفا ساميا بالقصر الملكي العلوي، بعد الدراسات التي قام بها بالزيتونة بتونس أو الأب مالك الذي اشتغل بمواقع هامة بمقاييس الفترة داخل قطاع العدالة. ويمكن إضافة حالة محمدي محمد الصالح

235. ناصر جابي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 475.

236. للقيام بالحسابات الضرورية لمعرفة تاريخ مولد الأب يمكن العودة إلى تاريخ مولد الأبناء الوزراء ضمن الدراسة.

وزير داخلية مولود حمروش التي احترف فيها أبوه - خريج مدرسة قسنطينة - مهنة ترجمان قاضي، ليتخصص في النهاية في القضاء الذي كان مهنة الجدين. وهي نفس مهنة أب مصطفى لشرف كما عرفنا ذلك سابقا.

ليس بعيدا عن مهن العدالة العليا كالمحاماة والقضاء، نجد أب سقفالي زين الدين، نائب وزير السياحة في النصف الثاني من الثمانينيات الذي كان مكلّفا بتسيير قطاع الشؤون الدينية. منصب تقلّده بفضل حصوله على شهادة البكالوريا في تلك الفترة. أو الأب طوبال الذي كان طبيبا كما عرفنا ذلك ونحن نتكلم عن هذه العائلة التلمسانية التي تمثل هذا الوسط النخبوي الذي تميزت بإنتاجه مدينة تلمسان.

رغم النتائج التي بدأت في الظهور على مستوى أدنى من خلال المهن المختلفة التي احتلها المدرسون والمعلمون والموظفون الصغار الذين مثلوا نسبة حضور هامة، كما هو واضح من خلال المعطيات الإحصائية، والذين نجد وراءهم كمؤسسات إنتاج مدارس قسنطينة وتلمسان والعاصمة التي تخصصت في هذه المرحلة في إنتاج بيروقراطية متوسطة في ميادين العدالة والتعليم على وجه الخصوص كانت الدولة الفرنسية في أمس الحاجة إليها لتسيير المجتمع الجزائري²³⁷.

بما أننا سنقوم بالحديث بالتفصيل عن الجذور الثقافية والتعليمية للوزير في قسم مستقل من الدراسة، نكتفي بالقول هنا أن آباء الوزراء الذين استفادوا من التعليم التقليدي بالقرويين بفاس المغربية كما هي حالة أب عبد القادر بن داود، أو أب علي بن فليس وعبد الحق برارحي الذين استفادوا من تعليم تقليدي بالزيتونة بتونس وفضلوا العمل الحر كتجار وحرفيين أو العمل كأئمة وحتى المزاجية بين الاثنين لأسباب مرتبطة بالظاهرة الاستعمارية التي وقفت حاجزا أمام طموحات هذه الفئات الاجتماعية.

أبناء الريف من الملاك الكبار والمتوسطين الذين حافظوا على قوة حضورهم

عالم الريف الميسور والمتوسط على مستوى جيل الأب رغم فقدانه للسيطرة التي كان يفرضها على مستوى جيل الجدين لم يختلف تماما على مستوى جيل الآباء، فقد استمرت هذه القوى في تأثيرها على عملية الإنتاج النخبوي، حتى وهي تفقد السيطرة السابقة الملاحظة على مستوى جيل الجدين بشكلها الواضح الذي شهدناه. من ممثلي هذه القوى الذين حافظوا على نفس المواقع الريفية الميسورة نجد مصطفى حراثي، وزير التجهيز (1991-92) الذي حافظ أبوه على ملكية الجد الكبيرة رغم اقترابه من المدن الكبرى والمتوسطة التي استفاد منها الأبناء على مستوى التعليم خاصة، ليس في الجزائر فقط، بل

237. لمزيد من التفاصيل حول المدرسين وشروط تكوينهم والمناصب المؤهلين لها والممنوحة لهم فعلا، انظر دراسة عمار لرجان المذكورة بقائمة المراجع.

حتى في تونس بالنسبة لهذه العائلة السوقهراسية القريبة من الحدود الشرقية للجزائر. نفس وضع الأب شيبان الذي أنتج وزيرين للشؤون الدينية خلال الثمانينات، فقد حافظ الأب على الملكية العائلية بمنطقة الشرفة بولاية البويرة الزراعية؛ عائلة شيبان التي زاوجت على مستوى أكثر من جيل بين الملكية الزراعية المتوسطة والكثير من المهن الدينية والثقافية كالإمامة والتعليم الديني بكل منطقة البويرة بالقبائل الصغرى. وهو نفس حال أب أول وزير للتربية بعد الاستقلال، عبد الرحمن بن حميدة الذي يعد بحق من ممثلي هذه الفئات المالكة الميسورة بالمائة هكتار التي يمتلكها منطقة دلس بشرق العاصمة، علما بأن الجد كما عرفنا ذلك سابقا كان إماما وأستاذا بزوايا منطقة القبائل.

نفس المواقع الاقتصادية الاجتماعية المالكة الكبيرة نجدها حاضرة في حالة وزير الشؤون الدينية بوعبد الله غلام الله الذي كان أبوه مالكا زراعيًا كبيرًا وهو على رأس زاوية بولاية تيارت بالهضاب العليا الغربية؛ وضع ورثه عن الجد، حتى وهو يتوجه أكثر للاهتمام بتسيير زاوية العائلة التي أخذت منه وقتًا أكبر حسب شهادة الابن الوزير، فمن الصعب عدم تصنيفه كمعلم قرآني داخل نظام الزاوية التقليدي.

الزوايا التي يظهر من خلال هذه الحالات كيف استطاعت أن تسجل حضور أبنائها على رأس وزارات الشؤون الدينية والثقافة، كما كان الحال مع بوعبد الله غلام الله وقبله مع الأخوين شيبان وحتى عبد الرحمن بن حميدة وزير التربية. أسماء يمكن أن نضيف لها خليدة تومي ابنة الزاوية. وزراء راكموا هذه الاستفادة من خلال التوجه إلى جامعات عربية كالزيتونة وجامعة دمشق كما كان الحال مع بوعبد الله غلام الله الذي انتقل إلى تونس ودمشق بعد الانتهاء من التعليم الديني داخل زاوية العائلة.

في منطقة الهضاب العليا شبه الصحراوية بالغرب الجزائري، يمكن إضافة أب بوعلام بسايح - الوزير أكثر من مرة على رأس قطاعات الثقافة والإعلام والخارجية بداية من 1980 - كممثل لهذه القوى الريفية الغنية التي تخصصت - كما شاهدنا ذلك على مستوى جيل الجد - في تربية المواشي واحتفظت بها كمهنة غالبية حتى وإن زاوجت بينها وبين الزراعة وحتى التجارة في بعض الأحيان.

من أبناء العائلات ذات الملكية المتوسطة التي زاوجت بين العمل الزراعي والإفتاء في منطقة مازونة بالقرب من غليزان بالغرب الجزائري، يمكن الحديث عن عائلة بن هني علي الوزير المنتدب للجماعات المحلية في حكومة مولود حمروش، مما أضفى على هذه العائلة التي حافظت على هذه المزاجية بين الموقعين، هالة تقريبها من موقع « الأعيان » التقليدية في المجتمع الجزائري الريفي. هذه الأدوار المختلفة التي تجعل حجم ملكية الأب والعائلة ثانوية في بعض الأحيان إذا عرفنا كل الاستراتيجيات التي تلجأ لها العائلات للزيادة من دخلها وتوسيع ملكيتها، كما بيّنت ذلك الدراسات التاريخية والاقتصادية

المذكورة. هذه الاستراتيجيات التي تتمثل في كراء الأراضي لاستغلالها زيادة على تلك المملوكة لها مهما كان حجمها، وهو ما كان يقوم به أب وزير المجاهدين إبراهيم شيبوط بالحروش، قرب سكيكدة.

في نفس المنطقة (الحروش)، يمكن الحديث عن العربي دماغ العتروس وزير الثقافة لمدة قصيرة في بداية التسعينيات، والذي كان من أبناء الملكيات المتوسطة هو الآخر، فالأب كان فلاحا متوسطا في هذه المنطقة الجبلية من ولاية سكيكدة.

في منطقة جبلية أخرى وفي أقصى الغرب الجزائري على الحدود المغربية، نجد عائلة لحسن سوفي الذي عُرف عن أبيه ملكيته الفلاحية المتوسطة، وهو نفس حال أب محمود قنز وزير المجاهدين الذي زواج بين العمل الفلاحي وتربية المواشي في هذه المنطقة من ولاية تبسة شبه السهبية، القريبة من الحدود التونسية.

عالم الريف الفقير وأبناءؤه المشاهير الأقوياء... كما عبّر عنهم بومدين

عالم الملكية الريفية الصغيرة لم يكن حاضرا بنفس القوة التي يمكن توقعها في المجتمع الجزائري على مستوى جيل الآباء، ديموغرافيا على الأقل، ونحن نتابع أسماء الوزراء المعروضة في هذه الدراسة. عكس المكانة التي احتلها أبناء العائلات ذات الملكية الكبيرة والمتوسطة في الريف، وأبناء البيروقراطية الناشئة الحرفيون والتجار في المدينة؛ مما منح عدم تجانس على صورة النخبة كانت قد لاحظته الدراسات التاريخية التي اهتمت بموضوع الأصول الاجتماعية للنخبة السياسية، حتى عندما لم تركز على الوزراء تحديدا واهتمت بالنخبة السياسية بمفهومها العام بما فيها النخبة العسكرية والمرشحين للمجلس التشريعي خلال فترتي الحركة الوطنية وثورة التحرير إلى الاستقلال وما بعده، كما كان الشأن مع المؤرخ محمد حربي في مؤلفاته المشهورة مثل « جبهة التحرير الأسطورة والواقع » الذي يمكن العودة إلى نسخته المترجمة إلى العربية²³⁸، حتى وإن كنا قد فضلنا استعمال النسخة الأصلية بالفرنسية في هذا البحث توخيا للدقة.

حربي الذي منح قيمة تفسيرية كبيرة للطابع الاستيطاني للوضع في الجزائر وهو يقارنها مع محيطها المغاربي القريب (تونس والمغرب) الذي قادت فيه برجوازية وطنية مرحلة التوجه نحو الاستقلال. ليكون هذا الدور في الجزائر من نصيب عناصر بيروقراطية، دعمت حضورها أثناء مرحلة العمل السري في البداية ليتكرس أكثر أثناء الكفاح المسلح، وحصلت على تنشئتها السياسية تحت ضغوط القمع الاستعماري وتبعات ماضي ساد خلاله رفض الاعتراف بالفرد وقيم الحرية، كانت نتيجتها فرض هياكل تسلطية على الوطنية الشعبية

238. محمد حربي، جبهة التحرير الوطني بين الأسطورة والواقع، ترجمه كميل قيصر داعر، مؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة، بيروت، 1983.

وشكل محدد من العلاقة مع الشعب، تجعلنا نفهم تركيزها بشكل دائم على حماية التنظيم الذي أطي نزعته إلى السيطرة والشك في الجماهير²³⁹. ليشيف المؤرخ أن هذه العناصر التي كانت تعيش على هامش الاقتصاد والدولة الكولونيالية من دون تجربة تسيير للشأن العام، هي التي عوّضت بالتدريج برجوازية المدن الكبرى وأعيان الريف، لإنجاز مهمة تاريخية تتمثل في تحطيم الاستعمار وإعادة بناء البلد على أسس جديدة، كانت في الحقيقة نتيجة لتحلل اجتماعي. فالبيروقراطية الجزائرية هي نتاج انسداد النظام الاقتصادي بكل ما ارتبط به تدهور في المواقع الاجتماعية، ظهرت في البداية على شكل جهاز حزبي قبل أن تتحول إلى مشروع جنيني للدولة.

حربي الذي ينفي صفة البرجوازية الصغيرة على هذه العناصر التي يحيل إليها الفهم الماركسي المبتذل²⁴⁰، كما سماه، مدلا على ذلك بالمواقف التي عبرت عنها هذه العناصر البيروقراطية بعد انقلاب 19 جوان 65 الذي قاده العقيد هواري بومدين إزاء الفئات البرجوازية الصغيرة كالتجار والمنتجين الصغار.

فئات عبر عنها أبنائها من الشخصيات الوطنية المشهورة صاحبة الحضور السياسي الذي تجاوز في الكثير من الأحيان مكانة الوزير، كما سرى ذلك ونحن نتابع عينة من أسماء أبناء هذه الفئة الاجتماعية. التي عرفت كيف تعبر عن الراديكالية السياسية التي ميزت الفكرة الوطنية الجزائرية منذ بداية مرحلة الحركة الوطنية إلى غاية مرحلة ثورة التحرير، وكيف قاد أبناء هذه الفئات المالكة الصغيرة عالم الريف الذي كانت قريبة منه على أكثر من صعيد، سياسي وثقافي ووجداني... دافعت عنه وتبنت الكثير من قضاياها نحو رؤية أشمل ضمت لها أبناء الفئات المالكة المتوسطة والكبيرة.

من الوجوه²⁴¹ الممثلة لهذه الفئة على أكثر من صعيد، يمكن أن نذكر العقيد هواري بومدين وزير الدفاع ورئيس الدولة لاحقا، الذي²⁴² كان أبوه صاحب ملكية فلاحية صغيرة في منطقة قالمة بالشرق الجزائري، بعد هجرة العائلة من منطقة الشمال القسنطيني الجبلية الفقيرة²⁴³. المنطقة التي استمرت الأم في استعمال لهجتها طول حياتها التي أنجبت

239. Mohammed Harbi, *Le FLN mirage et réalité. Des origines à la prise du pouvoir* 45-62, Édition Naqd-Enal, Alger, 1991, p. 2.

240. نفس المرجع أعلاه، ص 3.

241. يمكن أن نضيف إلى هواري بومدين أسماء أخرى مثل رابح بيطاط وغيره من الشخصيات الأخرى التي يمكن التعرف عليها بسهولة في هذا العرض التفصيلي للأصول الاجتماعية للوزير الجزائري.

242. زيادة على زوجته، اتصلنا مع عدة شخصيات سياسية وعسكرية من مختلف التيارات والمواقع كانت مقربة في مرحلة ما من بومدين، في محاولة للتعرف على مساره وأصوله الاجتماعية، كان من بينها العقيد طاهر زبيري قائد الأركان الأسبق ومحمد الشريف مساعدية ود. محي الدين عميمور مستشاره الإعلامي، زيادة على بعض الوزراء الذين اشتغلوا برئاسة الجمهورية مثل مصطفى لشرف وبعض الوزراء كعبد السلام بلعيد. زيادة على المراجع التي تكلمت عن الرجل يجدها القارئ مذكورة في مراجع الدراسة.

243. لم نتأكد إن كانت العائلة تعود في أصولها إلى عرش بني عافر أو بني خطاب، بتراب ولاية جيجل، مما يقربه جهويا من الكثير من الوجوه السياسية المعروفة مثل عبد الحفيظ بوصوف وعبد الحميد مهري وعبد الله بن طوبال.

خلالها عائلة كبيرة من سبع أبناء، كان الابن محمد الذي عُرف لاحقا بهواري بومدين على رأس ذكورها. تلقى جزءاً من تعليمه الابتدائي في مدينة قالمة عند بعض العائلات التي لم ترتح لوجوده بينها، مما فرض على الأب التدخل كل مرة لتغيير إقامته بعد شكوى الابن الصغير من المعاملة عند كل زيارة يقوم بها الأب لمدينة قالمة وهو يتفقد أحواله، وعادة ما يكون محملاً أثاثها بالهدايا، رغم ضعف الحال.

توجه الابن بعد ذلك نحو قسنطينة للالتحاق بمدرسة الكتانية التابعة لحزب الشعب، والتي كانت تستقبل الطلبة الكبار في السن من الذين لم يتمكنوا من الالتحاق بنظام التعليم الفرنسي العمومي. الكتانية التي التقى فيها الشاب القالمي الفقير بعلي كافي ابن الوسط السكيكي الميسور، الذي حاول تجنيده داخل صفوف حزب الشعب-حركة الانتصار لكنه رفض بحجة أن والده أرسله لقسنطينة للدراسة وليس للقيام بنشاط سياسي²⁴⁴، وهو ما يعني أن بومدين لم يكن يملك تجربة حزبية كما أشيع عنه في بعض ما كُتب حوله... مما قد يفسر لاحقا الحذر الذي استمر معه إزاء الحزب السياسي عندما وصل للسلطة. موقف دعمته لاحقا تنشئته العسكرية داخل صفوف جيش التحرير.

من قسنطينة، توجه الشاب محمد بوخروبة نحو القاهرة مشياً على الأقدام، مع عدد قليل من الأصدقاء، ليصل إليها سنة 1951، دون الدراسة في الزيتونة²⁴⁵ كما شاع في بعض السِّير التي تكلمت عن مساره السياسي الذي بقي ملتصقا فيه بالفكرة الوطنية الجزائرية. رغم زخم الأفكار السياسية التي كانت حاضرة في هذه العاصمة العربية الكبيرة، كالماركسية والمدارس القومية العربية والدينية المتنوعة، لم ينخرط في أي حزب أو تيار طول بقاءه في العاصمة المصرية.

ليكتفي الشاب بوخروبة خلال هذه الفترة بالتسجيل في الأزهر كطالب حر مرورا بتجربة قصيرة في ثانوية مصرية خاصة حصل فيها على منحة فرنسية سرعان ما توقفت، مما فرض على الطالب بوخروبة المشاركة في احتجاج أمام القنصلية الفرنسية بالقاهرة، حسب تصريح زوجته لنا. دراسة وصفتها زوجته أثناء اللقاء معها أنه قام بها في ظروف

244. يقول علي كافي قائد الولاية الثانية ورئيس الدولة لاحقا في مذكراته عن هذا اللقاء : «...كنت من بين المكلفين بتوعية الطلبة الجدد وإقناعهم بالالتحاق بالحزب قاصدا حزب الشعب-حركة الانتصار. وكنت لا أجد صعوبة في ذلك خاصة وأنا في السنة الثالثة من الدراسة. في سنة 1948 قدم إلى المعهد طالب تبدو على وجهه مسحة البداوة وكأنه خائف من المدينة، كان يلبس برنوسا وكان لباسه رثا ووجد صعوبة في الالتحاق بالمعهد وتدخلنا لتسجيله. وكان من نصيبي وحاولت مرارا إقناعه بالانضمام إلى حركتنا، إلا أنه كان يمانع في كل مرة. وذات مرة صارحني بالسبب قائلا : « والدي أرسلني للدراسة وليس لممارسة السياسة ». كان هذا الشاب اسمه محمد بوخروبة وكان علينا أن نتركه لحاله ».

245. هذا ما جاء في كتاب السيرة الذي ظهر في السنوات الأخيرة لحكم بومدين، ولم يوزع في الجزائر. Ania Francos et J.P-Sereni, *Un algérien nommé Boumediene*, Éditions Stock, Paris, 1976, p. 9.

صعبة جدا، فالوضع الاقتصادي للعائلة لم يكن يسمح له بانتظار مساعدة مالية منها بعد توقف المنحة... كان يتذكر دائما كيف سُرق منه كتاب في حافلة نقل عمومي، اشتراه في القاهرة لتعلم الإنجليزية، ولم ينجح معها كما نجح مع الفرنسية التي تعلمها منذ المرحلة الابتدائية في مسقط رأسه ومدينة قلمة لاحقا، حتى وإن كان مقلا في استعمالها الذي لم يخرج عن الإطار المهني الضيق، ويفضل عنها عربية متوسطة من دون لكنة جهوية محددة، نتيجة هذا التنقل في مختلف ربوع الوطن والاحتكاك مع أبناء الكثير من المناطق الجزائرية، بداية من مؤسسة الجيش الوطني الشعبي التي كونت بوتقة اجتماعية انصهرت داخلها الكثير من الخصوصيات بما فيها تلك اللغوية المرتبطة باللهجات. لغة طورها بومدين مع الوقت بعد استعادته ثقة أكبر في نفسه نتيجة حصوله على شرعية سياسية أكبر في الداخل والخارج كما عبرت عنها كلمته في الأمم المتحدة بنيويورك (أفريل 1974) التي كانت باللغة العربية باسم دول العالم الثالث، تكريسا للتجربة التي اكتسبها في التحدث في لقاءات عامة بحضور المواطنين والإعلام لم يكن الرجل متعودا عليها خارج الإطار العسكري المنضبط أو داخل اللقاءات الضيقة المغلقة.

تواصل الشاب بوخروبة خلال تلك الفترة التي تواجد فيها بالقاهرة مع مكتب المغرب العربي ليستفيد من تدريب عسكري قصير مع الجيش المصري، حسب بعض الشهادات، للالتحاق مباشرة بجيش التحرير في ربيع 1955 مع حمولة من الأسلحة في باخرة دينا الشهيرة على تراب ما عُرف لاحقا بالولاية الخامسة بشرق المغرب؛ فكانت هذه أول تجربة لهذا الشاب داخل صفوف جيش التحرير الذي وصل فيه بسرعة إلى مواقع قيادية أوصلته إلى قيادة الولاية والأركان لاحقا.

بومدين الذي استغل موقعه داخل الجيش على الحدود الشرقية والغربية للتواصل مع الكثير من الجزائريين المتعلمين الذين التحقوا بجيش التحرير، ليتحول إلى عراب فعلي للكثير منهم، بما فيهم أبناء العائلات الميسورة التي كانت قريبة من الاستعمار الفرنسي كأبناء القياد و الباشاغات الذين عرضنا حالاتهم فيما سبق مثل عبد المجيد علاهم وعبد المجيد أوشيش إذا اكتفينا بهذه الأسماء القليلة من القائمة الطويلة التي كان وراء بروزها هذا العقيد الشاب (من مواليد 1932) قائد الأركان، طول مسيرته العسكرية-السياسية بمحطاتها الكثيرة، سواء أعلق الأمر بالحدود التونسية-غاردماو أو المغربية-وجدة، المدينة التي نسبت إليها المجموعة التي حكمت الجزائر بعد الانقلاب على بن بلة، والتي كان على رأسها بومدين نفسه، أو عند وصوله إلى وزارة الدفاع ورئاسة الحكومة والدولة بعد الاستقلال.

تجنيد ركز فيه بومدين على العلاقات الشخصية المباشرة، على حساب البعد السياسي الذي تجاوزه وهو يربط الكثير من العلاقات، اعتمادا على ما ميز شخصيته المعروفة

بنزعتها القوية إلى الحياء²⁴⁶ وقلة الكلام وتفضيل التواصل الإنساني المباشر خارج أوقات العمل والدوام الرسمي، أثناء السهرات الليلية التي تحولت إلى مجال لاتخاذ القرارات الحاسمة على حساب مؤسسات الدولة الرسمية، كما كان سائداً بين أعضاء مجموعة وجدة العازبة التي انطلقت في ثكنات جيش الحدود بالولاية الخامسة.

شخصية عرفت الكثير من التطور مع التجربة التي حصل عليها الرجل داخل المؤسسات السياسية والعسكرية التي سيرها أو كان على رأسها، بكم الاحتكاك مع الشخصيات الوطنية والدولية التي التقاها، رغم قلة سفرياته إلى الخارج التي ابتعد فيها عن العواصم الغربية الكبيرة كباريس أو واشنطن، لحين وفاته، مفضلاً عنها موسكو للتداوي فيها عندما تدهورت حالته الصحية بشكل مفاجئ.

زيادة على القراءات الكثيرة التي يكون قد قام بها باللغتين خلال هذه الفترة، كما أكد لنا ذلك الكثير من الشخصيات التي قابلناها ونحن ننجز هذا البحث على غرار مصطفى لشرف الذي اشتغل معه كمستشار في المسائل الثقافية برئاسة الجمهورية قبل تعيينه وزيرا للتربية في 1977²⁴⁷.

استطاع هذا العسكري المنضبط الكتوم والمقل في الحديث، نسج علاقات اخترت البعد الجهوي الحاضر بقوة بين أبناء النخبة السياسية الجزائرية، إذا عرفنا أن عائلة العقيد الرئيس هواري بومدين (بوخروبة) تعود في أصولها إلى منطقة الشمال القسنطيني كغيرها من عائلات مشهورة بإنتاجها لوجوه سياسية مهمة، مثل عائلة مهري وبوبنيدر اللتان استقرتا بواد زناقي بالقرب من قلمة في سهل السيبوس الذي استقبل هجرة متنوعة من مختلف مناطق البلاد، سواء أعلق الأمر بالشمال القسنطيني أو بواحات الجنوب الشرقي القريب من وادي سوف.

بومدين الذي استغل نقاط قوة مساره الشخصي، هو ابن الشرق الذي عاش تجربة سياسية-عسكرية في الغرب الجزائري، على رأس قيادة الولاية الخامسة بالقرب من عبد الحفيظ بوصوف وعبد الله بن طوبال ابنا ميله بمنطقة الشمال القسنطيني اللذان كونا دعامة سياسية له قبل أن يدخل معهما في صراعات أثناء أزمة قيادة الأركان مع الحكومة المؤقتة (كانا وزيرين داخلها) قبيل الاستقلال. اعتمادا على جيل صغير في السن، تمكن قائد الأركان من تزعمه للوصول إلى السلطة بعد الاستقلال، كما كان الحال مع مجموعة وجدة

246. من الكتب الأولى التي اقترنت في الستينيات والسبعينيات من شخصية بومدين، يمكن العودة إلى :

Ania Francos et J.P-Sereni, *Un algérien nommé Boumediene*, Éditions Stock, Paris, 1976.

Herve Bourges, *L'Algérie à l'épreuve du pouvoir*, Éditions Grasset, Paris, 1967.

247. ذهب لشرف في مقابلته معنا إلى حد تفسير الاضطرابات التي عرفها النظام السياسي خلال فترة حكم الرئيس بومدين بالتطور الكبير الذي عرفته شخصية هذا الأخير نتيجة قراءاته الكثيرة التي لم يتواكب معها محيطه المباشر.

المكونة في أغليبيتها من بعض الطلبة الثانويين الذين كانوا وراءه عند الانقلاب على أحمد بن بلة، ومجموعة الفارين من الجيش الفرنسي الذين استطاع فرضهم على قدماء جيش التحرير وخريجي الكليات العربية بحجة خبرتهم العسكرية، رغم عدم رضا الكثير من الوجوه بين هذه المجموعات على هذه التحالفات التي قام بها بومدين لصالحه شخصيا ولصالح نظامه وهو يقترب أكثر فأكثر من مراكز السلطة قبل الاستقلال.

بومدين الذي تمكن من حسم الصراع لصالحه كما حصل عندما كان على رأس جيش الحدود بُعيد الاستقلال في مواجهة مجموعة أكبر منه من حيث السن والتجربة السياسية والشرعية من أمثال محمد بوضياف وحسين آيت أحمد وكريم بلقاسم، حين عرف كيف يستميل زميلهم أحمد بن بلة لصالحه قبل الانقلاب عليه لاحقا بعد أن استغل الصراعات السياسية والشخصية الحاضرة بين هذه الزعامات، حتى قبل خروجها من السجن. لينجح لاحقا في استقطاب الكثير من الوجوه ضد حليفه السابق أحمد بن بلة لا يجمعها إلا حب التخلص من الرجل بعد استهلاك شرعيته بسرعة فائقة لم تتجاوز ثلاث سنوات إلا ببعض الأشهر بين سنتي 62 و65.

عامل العلاقات الشخصية الذي كان وراء الصعود السياسي لبومدين كان وراء ظهور التشققات الأولى على النظام السياسي الذي بناه عندما اهتزت مجموعة وجدة، النواة الصلبة للنظام، بداية من حادثة وفاة أحمد مدغري (ديسمبر 1974) وانسحاب قائد أحمد لأسباب سياسية ارتبطت أكثر بموقفه المعارض من الثورة الزراعية وتسيير النظام ككل الذي دخل في معارضة علنية له تقتضيها خصائص شخصيته، وشريف بلقاسم الذي غادرها في ظروف غامضة جعلته يتواصل لاحقا عبر البريد والرسائل المفتوحة²⁴⁸. بعد سلسلة طويلة من الانسحابات تم بعضها على شكل إبعاد لأعضاء هذه المجموعة التي حكمت الجزائر ليلا خارج مؤسسات الدولة الرسمية²⁴⁹. ليزيد زواج بومدين، الذي يكون قد تحفظ عليه بعض أعضاء المجموعة من المقربين منه، في تفكيك عرى هذه المجموعة

248. Fawzi Rouzeik, *Le groupe d'Oujda*, Revisité par chérif Belkacem, Éditions l'Harmattan, Paris, 2016.

249. انطلق مجلس الثورة في 19 جوان 1965 بـ 26 فردًا من سياسيين وعسكريين لم يكن يجمعهم إلا معارضتهم لسياسة بن بلة، ليتقلص العدد عند حله في 1979 إلى ثمانية أعضاء، بعد سلسلة الانسحابات والإبعاد التي تعرض لها البعض. علما أن المجلس لم يكن يملك مقرا وإدارة مستقلة معروفة خارج رئاسة الجمهورية. كان بومدين هو الذي يقوم باستدعاء أعضائه لحضور الاجتماعات بعد مشاورات مع أعضاء مجموعة وجدة القريبة منه بمناسبات سياسية محددة. فكل من لا يستدعى للحضور يعتبر نفسه مُبعدًا، كما حصل مع أكثر من وجه بدءا من بشير بومعزة وأحمد محساس. في حين فضل بعض الأعضاء الآخرين الابتعاد كما حصل مع العقيدين محند أولحاج ومحمد السعيد... ليتخذ البعض الآخر مواقف معارضة جعلتهم يغادرون المجلس كما كان الحال مع قايد أحمد وشريف بلقاسم وطاهر زيري الذي قاد تمردًا عسكريًا ضد بومدين ليكون تنظيم المجلس وصلاحياته أحد الأسباب مع بومدين كما جاء في مذكرات العقيد زيري المذكورة في قائمة المراجع. وتوفي بعض الأعضاء في ظروف مختلفة، مثل أحمد مدغري والسعيد عبيد وصالح سوفي وشابو عبد القادر.

التي لم تعد قادرة على هذه اللقاءات الليلية من دونه، فقد تعودت عليها كأهم مركز قرار، في مجتمع لا يقبل بتنظيم مثل هذه اللقاءات داخل الفضاء العائلي، بين أبناء نظام سياسي عادة ما يرتاب من اللقاءات التي تحصل بين نخبة السياسية بعيدا عن عين الرقيب الأمني والسياسي، في غياب بومدين الذي كان يقوم بدور المحرك داخلها والمناح الوحيد لشرعية لقاءات أعضائها الذين عرفوا عنهم سوء العلاقة بينهم، الأمر الذي زاد في تعقيد الأمور بين أفراد هذه المجموعة التي دخل عناصرها العاصمة بعد الاستقلال، دون أن يكون لهم عمق شعبي في هذه المدينة التي استمرت الريبة منها، كما ظهر على بومدين شخصيا الذي لم يستأنس للمدينة وسكانها طول فترة حكمه، كما جاء في أكثر من شهادة يمكن العودة إليها في هذه الدراسة²⁵⁰، حتى وإن بدت عليه مع الوقت وهو على رأس السلطة بعض علامات التغيير²⁵¹ في سلوكياته المتقشفة التي فرضها على أفراد عائلته²⁵² الذين أبعدهم عن كل دور عمومي، ولم يُعرف عنهم استفادة من أي نوع من مكانة بكر العائلة الذي يكون قد ورث تقشفه وبعده عن المال من أمه حسب شهادة زوجته معنا. رغم ذلك استطاع بومدين تجاوز ما يعتري النخبة السياسية من انقسامية ثقافية ولغوية وهو يُقيم هذه التحالفات بين مكوناتها اعتمادا على ما ميز مساره التعليمي رغم تواضعه الذي زواج فيه بين التعليم العام والخاص الأهلي وصولا للأزهر، وخصائص شخصيته ومنبته الاجتماعي، جعلته يقترب من تيارات سياسية وثقافية عادة ما تكون متنافرة في الحالة الجزائرية، كما حصل عند اقترابه من أبناء جمعية العلماء ممثلة في أحمد طالب في نفس الوقت الذي كان يتحالف فيه مع النخب المفروسة الحاضرة على مستوى الإدارة والتصنيع مثل أحمد مدغري وعبد السلام بلعيد. تحالفات لم يتمكن رؤساء الجزائر الذين جاؤوا بعده من إنجازها، كما كان الحال مع خليفته الشاذلي بن جديد... ليضطرب أداء النظام السياسي كما حصل بداية من منتصف الثمانيات.

250. تم التعبير عن هذا الجفاء العاطفي والسياسي بين مدينة الجزائر وحكام الجزائر الجدد كما كان الحال مع بومدين بمناسبة أزمة صيف 62 الذي اتخذت من الولاية الرابعة التي تتبعها المدينة موقفا معاديا، وعند الانقلاب على بن بلة الذي اتخذت فيدرالية جبهة التحرير للعاصمة موقفا معارضا منه جعل بومدين لا يضم أي عنصر منها لمجلس قيادة الثورة. انظر المقابلات التي أجريناها مع بعض الوجوه السياسية المعبرة عن الجو السياسي للعاصمة في مؤلفنا: ناصر جابي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011.

251. تعود بومدين في سنوات حكمه الأخيرة على تدخين السيجار الكوبي الذي كان يحصل عليه من فيدال كاسترو مقابل النيبد الجزائري الذي كان يهديه بومدين للرئيس الكوبي، بعد أن ابتعد عن عادة تدخين السيجارة العادية وإجراء عملية تجميلية على أسنانه التي أثر عليها الإفراط في التدخين الذي تعود عليه بومدين لسنوات. ليحصل نفس التحسن على لباسه الذي ابتعد فيه عن اللباس البسيط القريب من البدلات العسكرية بألوانها الداكنة واستبدله بدلات أنيقة بكرافات، وهو يضيف لها البرنونس الجزائري الوبري الذي تحول إلى مودة مثل السيجار الكوبي عند جزء مهم من النخبة السياسية الرسمية القريبة من بومدين.

252. لم يعرف الجزائريون الاسم الحقيقي لرئيسهم إلا بعد وفاته في نهاية 1978، وهو ما لم يسمح لنا نحن طلبة الجامعة أن نتعرف على ابنة أخيه التي كانت تدرس معنا في قسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر دون أن يظهر عليها ما يميزها طول فترة الدراسة لحين تخرجها بعد وفاة عمها الرئيس.

من الوجوه السياسية الوطنية التي تنتمي إلى هذا الوسط، يمكن إضافة أحمد مهساس وزير الفلاحة والإصلاح الزراعي في بداية الستينيات، الذي ينتمي إلى عائلة كان الأب فيها فلاحا صغيرا في منطقة بودواو الفلاحية بالقرب من العاصمة التي كان يلجأ فيها إلى كراء أراضي إضافية، زيادة على ملكيته الصغيرة، لتحسين الوضع الاقتصادي لعائلته الصغيرة (4 أطفال فقط) بمقاييس المرحلة التاريخية في عالم الريف الجزائري، علما أن منطقة بودواو قد عرفت دخول الرأسمالية الزراعية في وقت مبكر بالمقارنة مع مناطق أخرى من التراب الوطني، بكل النتائج المترتبة عنها كنفثت الملكية وظهور العمل الزراعي المأجور. عملية كراء الأراضي من قبل الفلاحين الصغار كوسيلة لتحسين دخلهم التي كانت العادة لدى أب محمد شريف مساعدية - الشخصية الوطنية بعد الاستقلال في منطقة أقصى الشرق الجزائري، سوق أهراس - الذي عُرفت عنه ملكيته الفلاحية الصغيرة التي وسعتها لاحقا عائلته الصغيرة المتكونة من خمسة أبناء، فهو الآخر ضمن هذه القائمة المشهورة من أبناء الفلاحين الصغار الذين تميزوا بحضور سياسي قوي بعد الاستقلال، رغم أن مساعدية لم يحتل من المناصب الحكومية إلا وزارة المجاهدين التي كانت نوعًا من الإبعاد في بداية حكم الرئيس بن جديد الذي حاول أن يعيد الحياة إلى حزب جبهة التحرير.

الجد والأب والحفيد الوزير... في الاتجاهات الكبرى

بعد عرض أهم المعطيات بالتفاصيل التي نتحدث عن الجذور الاجتماعية للوزير الجزائري من خلال الجداول الثلاثة الأولى التي تعرفنا من خلالها عن مهنة الجدين من الأب والأم، ننتقل إلى المقارنة بين جيل الجدين والأب من خلال هذا الجدول. مقارنة قد تكون هي الأخرى مفيدة للتعرف عن قرب على الاتجاهات الكبرى التي ميزت هذه الأوساط الاجتماعية المختلفة المعبرة عما عاشه المجتمع الجزائري خلال هذه المرحلة الطويلة نسبيا من تاريخه الحافل بالكثير من التحولات والانكسارات واتجاهات الاستمرارية.

مقارنة تؤكد أننا أمام اتجاهات عامة عاشها المجتمع الجزائري يمكن التأكد منها من خلال مسار هذه العائلات الجزائرية التي كانت وراء إنتاج النخبة الوزارية. أين يمكن أن نلاحظ كيف فقد الريف بكل فئاته السيطرة على إنتاج النخبة لصالح المدينة²⁵³. ليكون على رأس هذه الاتجاهات بالنسبة لدراستنا أن القوى الريفية بكل مكوناتها المالكة الكبرى، المتوسطة وخاصة الصغيرة، قد فقدت خلال جيل واحد الكثير من مواقعها في عملية الإنتاج النخبوي للجزائر المستقلة على مستوى الوزراء على الأقل؛ فقد تقلصت مع الوقت نسبة أبناء الوزراء ذوي الأصول الريفية بكل فئات الريف، الميسور منها صاحب

253. Mohammed Harbi, *Le FLN mirage et réalité. Des origines à la prise du pouvoir* 45-62, Édition Naqd-Enal, Alger, 1991. p. 3.

الملكية الكبيرة والمتوسطة والصغيرة. تقلص تمثيل القوى الريفية الذي لا بد من ربطه مع اتجاه الهجرة العامة داخل المجتمع الجزائري، من خلال هذه الفترة المدروسة التي بدأت فيها مركزية المجتمع الجزائري في الانتقال من الريف نحو المدينة، كما بينت ذلك الدراسات التي تم عرضها في بداية هذا القسم من الدراسة.

الوزير الجزائري الذي تحولت عملية إنتاجه من الريف نحو المدينة، بعد أن ارتفعت بطريقة ملحوظة نسبة أبناء المدن من مختلف الشرائح، فزادت نسبة أبناء التجار والأجراء والموظفين خاصة؛ مما يعني أننا أمام ظاهرة فقدان للاستقلالية المادية والاقتصادية للعائلة وارتباط أكثر بالدولة الاستعمارية كرب عمل مباشرة كما هو حال العمل المأجور، أو بطريقة غير مباشرة عن طريق العمل التجاري والحرفي الذي دخل ضمن المنطق الرأسمالي الصناعي والتجاري المسيطر بخصائصه الكولونيالية، دون أن تستفيد هذه الأوساط، خاصة ذات النشاط الحر، من هذا النمط كقنوات تصريف المنتجات أو الحصول على القروض من البنوك، مما جعل مقاومة هذه الفئات الحرفية مهنيا وكوسط مهني تختزل في بعض الأوساط داخل الفضاءات الحضرية المعروفة مثل مدينة تلمسان أو قسنطينة، كما عرفنا ذلك في أكثر من حالة ونحن نحاول التعرف على الوسط الجغرافي الذي أنتج الوزير الجزائري، خلال فصول الدراسة السابقة، لمعرفة أكثر للأوساط التي مثلت هذه الفئات الحضرية هل هي حقا أبناء هذه الأوساط الحرفية والتجارية ذات الاستقلالية الاقتصادية النسبية أم أبناء الموظفين والأجراء؟.. رغم كل ما عرفناه حتى الآن من معلومات حول هذا الموضوع. أم أن الأمر يتعلق بأبناء العائلات الريفية المهاجرة حديثا للمدن التي لم تقطع كل صلاتها بعالم الريف، والتي تميزت دائما بكثافات بالنشاط المزدوج تجارة -زراعة؟.. وهو ما يطرح بشكل أوسع مسألة المدينة في الجزائر وعلاقاتها بالريف، ليس في الميدان الاقتصادي فقط بل حتى على المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية الأخرى التي قد تهمنا أكثر في هذا المقام.

هذا العالم الحضري الجديد الذي يعرف الكثير من عدم التجانس الاجتماعي والاقتصادي، بل وحتى الثقافي الذي عمقته خصوصيات انتشار التعليم خلال هذه الحقبة من الوجود الاستعماري التي استفادت منها هذه الفئات التي دخلت المدينة كوسيلة للتقرب من المدرسة جغرافيا، حتى عندما تكون بعيدة عنها سوسيولوجيا كما هو حال الفئات الفقيرة الشعبية.

ظاهرة الارتباط بالإدارة الاستعمارية وفقدان الاستقلالية الاقتصادية التي تتأكد هي الأخرى من النسبة المتزايدة لأبناء الموظفين السامين، خاصة القياد والبشاعات الذين يحطمون، كفتة، الفروق التي يمكن أن تكون بين الريف والمدينة ويجسرون العلاقة بين الفضائين، فإذا كانت نشاطاتهم المهنية وحتى ملكيتهم الزراعية تتمركز في الريف، فهم

من حيث ارتباطاتهم الوظيفية قريبون كذلك من المدينة التي قد يملكون فيها العقارات²⁵⁴ بل ويستقرون فيها عائليا مما يجعلهم يستفيدون من مزايا التواجد بالمدينة والقرب من مراكز القرار والتي تتجسد على شكل استفادة من تعليم الأبناء.

ناهيك عن الموظفين الصغار والمتوسطين الذين ظهروا في الكثير من القطاعات كالعدالة والصحة والتعليم والإدارة والنقل بالسكك الحديدية، والذين يمثلون هذه البيروقراطية الناشئة ذات التعليم المتوسط التي ارتبطت بالمدن والهجرة الكبيرة إليها التي قامت بها الكثير من العائلات الجزائرية. المدينة التي تحولت إلى مركز الجزائر الجديد بدل الريف الذي فقدت فئاته الاجتماعية الميسورة السيطرة على إنتاج النخب. قد لا يقتصر الأمر على النخب السياسية فقط بل على مجمل النخب والحياة السياسية في البلاد.

الجدول رقم 7 : يقارن بين مهنة الجدين والأب

المهنة	الأب %	الجد من الأب %	الجد من الأم %
مالك عقاري / موال كبير ومتوسط	14	31	26
مالك عقاري / موال صغير	9	24	20
حرفي /مقاوّل / تاجر صغير	24	17	17
أجير صناعة / خدمات / زراعة	13	9	8
موظف صغير / مدرس / عسكري	28	12	18
باشاغا/قايد / موظف سام	11	6	7
مهن حرة / طبيب / محامي	1	1	4
المجموع	100	100	100

المعطيات الهامة التي يوفرها لنا هذا الجدول تبين أن التقهقر الذي لحق بمكانة الفئات الغنية، الممثلة بالفئات الريفية المالكة الكبيرة والمتوسطة، في إنتاج النخبة الوزارية، قد انطلق في حقيقة الأمر بالمصاهرة التي قامت بها هذه الفئات بداية من جيل الجد من الأب الذي ارتبط ببنات من أوساط أقل يسرا.. ونحن نعاين المعطيات الإحصائية في الجدول أعلاه التي تفيد أن نسبة الوزراء الذين كان جدهم من الأب ينتمي إلى هذه الفئة الميسورة (31 بالمائة) كانت أكبر من الجد من الأم (26)، لتتدهور حالة جيل الأب الذي لم يكن ممثلا داخل هذه الفئات الريفية الميسورة إلا بـ 14 بالمائة، بعد أن فقدت حضورها القوي خلال جيل واحد في إنتاج النخبة الوزارية.

254. انظر التفاصيل الواردة في كتاب كوليت استابليت المذكور في المراجع، والخاصة بيوميات القايد ونشاطاته المختلفة من خلال حالة قياد قبيلة النمامشة.

حضور أقل في إنتاج النخبة الوزارية نلاحظه في الريف دائما عندما يتعلق الأمر بالفئات المالكة الصغيرة التي تقلص حضورها بشكل واضح انتقلت فيه إلى أقل من عشرة بالمائة (9 بالمائة بالضبط)، في حين كانت تمثل ربع العينة (24 بالمائة) ونحن نتكلم عن جيل الجد من الأب و20 بالمائة للجد من الأم. تأكيداً لتقلص دور الفئات الريفية في إنتاج النخبة الوزارية في الجزائر التي انتقلت إلى المدينة لصالح فئات غير متجانسة تأتي على رأسها فئة الموظفين الصغار بما فيهم من المعلمين والعسكريين الصغار بـ 28 بالمائة، كدليل على الدور الذي بدأت تلعبه هذه الفئات البيروقراطية المرتبطة بالظاهرة الاستعمارية.

زيادة على الدور الذي بدأ يلعبه الحرفيون-التجار والمقاولون الصغار الذين استحوذوا على ربع الحالات (24 بالمائة)، هم الذين حافظوا جزئيا على نوع من الاستقلالية الاقتصادية، منقوصة نتيجة عدم استفادة النشاطات الاقتصادية التي يملكونها من الخدمات البنكية وقنوات التوزيع التجاري التي يسيطر عليها الأوربيون، كما ذكرت ذلك الكثير من الدراسات²⁵⁵ التي اهتمت بالموضوع وهي تمنح قوة تفسيرية لهذا النوع من العوائق الاقتصادية التي تفرضها الظاهرة الاستعمارية الكولونيالية على المستوى السياسي، عبّر عنه أبناء هذه الفئات وهم يتجهون إلى اتخاذ مواقف نقدية جذرية من الظاهرة الاستعمارية رغم وضعهم الاقتصادي المعقول في المجتمع الجزائري مقارنة بفئات أخرى.

ليتحسن نوعا ما دور الفئات الأجيالية في إنتاج النخبة الوزارية بمختلف قطاعات النشاط الزراعي والصناعي والخدماتي، مما يزيد عموما من دور المدن في هذه العملية الإنتاجية للنخب على حساب الريف. تنتقل حصة هذه الفئات إلى 13 بالمائة على مستوى جيل الأب، في حين كانت تتراوح بين 8 و9 بالمائة على مستوى جيل الجدين. في نفس السياق يمكن فهم الاستقرار بل التحسن الذي طرأ على مكانة أبناء القياد والبشاعات الذين وصلت نسبة حضورهم 11 بالمائة على مستوى جيل الأب ؛ دليل آخر على العلاقة المتينة التي تملكها هذه النخبة الوزارية في الجزائر مع الظاهرة الاستعمارية.

بعد هذا التقديم لكل القوى الاجتماعية المساهمة في إنتاج النخبة الوزارية على مستوى جيلين، ارتأينا ونحن ننهي هذا القسم من الدراسة التعرف على التقييم الذي يقدمه هؤلاء الأبناء لمكانة العائلة الاقتصادية بعد وصولهم إلى موقع الوزارة في الجزائر عرفت الكثير من التجارب الاقتصادية والاجتماعية بدءا من مرحلة الاستقلال الأولى إلى غاية بداية القرن الجديد بكمّ التحولات التي عاشتها والتي مست الدور الاقتصادي للدولة بما فيها الغطاء الإيديولوجي الذي برر ودافع عن مختلف هذه التجارب.

255. انظر ما كتبه عبد اللطيف بن أشنهو ومحمد حربي ضمن مراجع الدراسة.

الفقير والغني... تقييم الأبناء لمكانة العائلة الاجتماعية

الجدول رقم 8 : تقييم الوضع الاقتصادي للعائلة

النسبة %	التكرار	تقييم وضعية العائلة
41.8	41	عائلة ميسورة / غنية
38.8	40	عائلة متوسطة الحال
19.4	19	عائلة فقيرة
100	100	المجموع

بعد أن تعرفنا بالتفصيل عن المنحدرات الاقتصادية-الاجتماعية للوزير من خلال مهن جيل الجدين والأب، قد يكون من المهم بالنسبة للدراسة التعرف على الصورة التي يقيم بها الابن الوزير، الحالة الاقتصادية للعائلة وهو في موقع الوزارة أو بعد المرور عليها، آخذين بعين الاعتبار عامل طول المدة والوقت الذي يفصل بين سن الطفولة الأولى والشباب الذي عادة ما يكون منطلق المقارنة والتقييم وتاريخ إجراء المقابلات مع كل الأحداث والتحولت التي عاشتها العائلة والمعني بالأمر.

تقييم يقوم به الوزير في إطار المعطيات الثقافية والسياسية لجزائر نهاية التسعينيات من القرن الماضي وبداية الألفية الجديدة تاريخ القيام بالمقابلات، بعد كل التحولات التي عاشها المجتمع الجزائري على مختلف الأصعدة القيمية، السياسية والاجتماعية. مجتمع ونظام سياسي كان قد عرف مرحلة « الاشتراكية » على الطريقة الجزائرية والأحادية السياسية والفكرية، ليتعرف على اقتصاد السوق والتعددية في ظروف أمنية وسياسية قاسية، وبعد المرور على محطات مختلفة في التعامل وتقييم الثراء والفقر.

تاريخ إجراء المقابلات الذي قد يفسر « الموضوعية » التي تتسم بها الكثير من الإجابات، نتيجة « التحرر » الذي قد يحس به الوزير من الضغوط السياسية بعد النقد الذي وُجّه إلى ما اعتُبر في بداية التسعينيات أنه خطاب وممارسات شعبية، كانت تصر على الطابع الشعبي للسلطة في الجزائر، رجال ومؤسسات خلال مرحلة ما بعد الاستقلال ولغاية التسعينيات.

حكم يقوم به الوزير على الوضعية الاقتصادية الاجتماعية للعائلة وهو في موقع نجاح بصفة عامة من خلال موقع الوزير - إذا استثنينا حالات نادرة كما كانت حالة عرباوي عبد الله التي سنتطرق إليها بالتفصيل لاحقا - رغم الاختلاف الموجود بين الوزراء الذين لا يزالون في السلطة أو أولئك المبعدين منها، واختلاف المدة التي استمر فيها في الوزارة والمناصب الأخرى التي توجه إليها بعد مغادرة موقعه الوزاري، كموقع السفير الذي بتوجه

إليه أصحاب الخطوة من الوزراء ويستفيدون منه في تحسين وضعهم المادي - الذي يمكن التأكد منه بالملاحظة المباشرة كما فعلنا أثناء المقابلات التي أجريناها مع البعض - من خلال نوعية السكن وتأثيره الداخلي الجيد بالمقارنة مع الوزراء الذين لم يستفيدوا من منصب السفارة وغادروا موقع الوزير بسرعة. بالطبع دون نسيان الفروق التي لاحظناها بين الوزراء القدامى الذين استفادوا من فيلات في أحياء راقية في إطار التنازل عن أملاك الدولة، والوزراء الجدد الذين بنوا سكناتهم بعد المرور على سكن متواضع في أحياء الفئات الوسطى والإطارات التي ظهرت في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينات. (حي الكوبيماد بالعناصر في العاصمة كمثال) رغم الاختلاف بين الأوساط الاجتماعية وحتى السن والمكانة داخل العائلة، فقد لاحظنا على سبيل المثال كيف يمكن أن يختلف حكم بكر العائلة جراء المسؤوليات الملقاة عليه كبكر للعائلة من الذكور ضمن قيم التنشئة الاجتماعية للعائلة الجزائرية.

التقييم الذي يتم من خلال الإجابة عن سؤال مغلق تمت صياغته على الشكل التالي : كيف تقيم عموما وضعية عائلتك الاقتصادية والاجتماعية، من خلال ثلاث احتمالات : فقيرة، متوسطة، غنية ؟

كان سؤالاً عاماً عن قصد، علماً بأن الكثير من الوزراء قد أسهبوا في شرح الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للعائلة والتعليق عليها بشتى الطرق بالتركيز على العوامل الاقتصادية والاجتماعية والمسارات التي عرفتتها، كعمليات الترقية التي حصلت لها أو حتى التدهور الذي عاشته نتيجة لعدة معطيات كالحروب والانتفاضات الشعبية والهجرة والإفلاس والصراعات داخل العائلة حول الملكية والإرث...

عملية تقييم يربطها الكثير من الوزراء المستجوبين بمراحل الطفولة الأولى مما يفرض علينا الحديث عن هذه المرحلة من عمر الوزير وما ميزها من أحداث ذات ارتباط بالوضع الاقتصادي والاجتماعي للعائلة، كالدخول إلى الحياة المهنية المبكرة بالنسبة لأبناء العائلات الفقيرة أو الهجرة ومغادرة الوسط العائلي من أجل الدراسة... إلخ.

البعض من الوزراء على العكس، فضل الحديث عن الأبعاد الثقافية للعائلة من خلال مكانة الأب أو الجد، خاصة الجد من الأب الذي كان أكثر حضوراً في الغالب من الجد من الأم الذي سترى من خلال بعض الحالات كيف أنه لم يكن غائباً تماماً، خاصة إذا كان ميسوراً أو صاحب مكانة اجتماعية وثقافية-علمية.

الكثير من الفرص استغلها الوزير للحديث عن وضعية العائلة من مختلف جوانبها أثناء القيام بالمقابلة وحتى خارجها. فقد اتصل بعض الوزراء بالباحث تلفونيا لتحديد بعض النقاط الواردة في المقابلة عند الحديث عن وضعية العائلة وبعض أفرادها. من الاتصالات التلفونية ذات الدلالة تلك المرتبطة بمهنة الأب في حالة أبناء وزراء القياد الذين

يصرون على تحديد أن الأب القاييد قد توقف عن نشاطه المهني قبل 1955، أي سنة بعد تاريخ الثورة، أو للقول في حالة أخرى أن الأب القاييد كان ينتمي... لعائلة وطنية تعرضت للكثير من المضايقات من قبل الاستعمار، الذي قضى على ملكيتها الزراعية... ليكون البعض أكثر صراحة : الجد كان باشاغا، لكنه دُورها في الوقت المناسب. على عكس هذه الحالات التي تبدو متحفظة على مهنة الجد أو الأب، تحت تأثير الإيديولوجية السياسية التي سادت بعد الاستقلال، فإن البعض الآخر لم يرَ مانعا للحديث وبافتخار واضح عن الجد القاييد أو الباشاغا.

من الملاحظات التي يمكن تدوينها حول هذا التقييم الذي يقدمه الأبناء الوزراء لوضعية العائلة، أن البعض فضل الحديث عن جيل الجدين، في حين فضل البعض الآخر الحديث عن الأب أو حتى العم في بعض الحالات التي تميزت بتدخل كبير للعم في تربية أبناء الأخ. الأخ الأكبر في بعض الحالات كان حاضرا للقيام بدور الأب وبالتالي يظهر كجيل في تحديد وضعية العائلة الاقتصادية الاجتماعية، وهو ما قد يحصل مع أفراد العائلة الآخرين كالخال على سبيل المثال.

« بيت علم ولا بيت مال... » كان شعار بعض أفراد العينة المدروسة من الذين ركزوا على المجهود الذي بذله الأب في تعليم أبنائه وبناته تحديدا داخل أوساط اجتماعية وفترات تاريخية لم يكن فيها التعليم سائدا ومقبولا. نفس التركيز على المستوى الثقافي يمكن ملاحظته في بعض الحالات من خلال العلاقات والأدوار الخاصة التي كانت تملكها العائلة من خلال الأب أو الجدين مع مؤسسات ثقافية ودينية كالزوايا، وهو الموضوع الذي سنتطرق له بتفصيل أكثر عند الحديث عن الأبعاد الثقافية والتعليمية ضمن أقسام الدراسة الأخرى.

علما بأن تقييم بعض الوزارات لوضعية العائلة الاقتصادية وحتى مكانتها الاقتصادية والاجتماعية كان أكثر تحررا من الضغط الأيديولوجي والقيمي المسيطر اجتماعيا وسياسيا والأكثر بروزا عن النساء الوزارات ولدى بعض أفراد العينة التي سنقوم بتقديم جزئي لها كحالات كلما توفرت معطيات عن هذا التقييم الذي يقوم به الوزير لوضعية العائلة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية. دون الإطالة في هذا الفصل تفاديا للتكرار لأنه سبق لنا عرض بعض الحالات ونحن نتكلم عن أجزاء أخرى من الدراسة.

أبناء الفقراء... البكر الذي يدخل سوق العمل مبكرا.

حالة عبد الله عرباوي الوزير الذي تم التنكيل به

من المؤشرات التي تُؤخذ للدلالة على الحالة المتواضعة والفقيرة لعائلة الوزير، دخول عالم الشغل والحياة المهنية في سن مبكرة، مما يعني حتما وفي الكثير من الحالات عدم الاستفادة من التعليم المبكر أو الموازنة الصعبة بين المدرسة والنشاط الاقتصادي ؛ كما

هي حالة عرباوي عبد الله الذي كان كاتب الدولة للري (1970-77) والذي امتنهن أبوه مهنة حمال في ميناء وهران... أنجب عددًا كبيرًا من الإخوة والأخوات (ستة)، وضعية جعلت الابن عبد الله يدخل الحياة العملية والتوقف عن الدراسة حتى قبل انضمامه للجيش الفرنسي والدخول إلى مدرسة شرشال لتكوين ضباط الصف التي تخرج منها برتبة عريف في 1950. عكس الأب الفقير، يفضل الابن عرباوي الحديث عن الأصل الشريف للجد ابن عرش سيدي عطا الله الذي كان يملك نصيبًا من الأراضي والمواشي في منطقة تيارت، حسب الحفيد، دون أن يتمكن من تفسير التدهور الذي لحق بالوضع الاقتصادي للعائلة، بسبب الحالة الصحية والنفسية المتدهورة التي تمّت فيها المقابلة معه.

تدهور استمر مع الحفيد كاتب الدولة الذي وجد نفسه في نهاية حياته يعيش حالة تشرد فرضت عليه العيش مع أفراد عائلته الصغيرة في بيت بحري غير مُهيأ، للسكن خارج زمن عطلة الصيف، وضّعه تحت تصرفه صديق قديم، ولم يقدر الأبناء والزوجة على تحمل العيش فيه، مما حثهم أكثر على مغادرة الجزائر. لتتدخل خالته التي سمحت له بالإقامة في غرفة من شقتها التي كان قد ساعدها للحصول عليها عندما كان عضواً في الحكومة، بعد طرده بواسطة القوة العمومية من فيلته بحجة أنها ملك للقسم الثقافي للسفارة الفرنسية في الجزائر. الطرد من السكن الذي تزامن مع سحب الاعتراف به كمجاهد من قبل وزارة المجاهدين، في السنوات الأولى لحكم الرئيس الشاذلي، نتيجة العودة إلى ملف موافقه أثناء ثورة التحرير على تراب الولاية الخامسة²⁵⁶ التي أدت به إلى السجن... علماً بأن الرجل لم يتمكن من الاستفادة من حق التقاعد المريح الذي يُمنح عادة للموظفين الكبار المعيّنين بمرسوم لمدة عشر سنوات، لأنه لم يعيّن ككاتب دولة إلا سبع سنوات. تقاعد لم يسمح للرجل بالتكفل بعائلته الصغيرة التي غادرت الجزائر في ظروف سيئة جداً بعد اندلاع العنف والاضطراب في الجزائر وتقسيم الاتحاد السوفييتي - بلد الأم - في نفس الوقت. لم يبق أمام الأب من حلول إلا بيع سيارته الصغيرة لشراء تذاكر لأفراد عائلته تسمح لهم بمغادرة الجزائر التي فشل فيها الأبناء في التكيف المدرسي وهم يعيشون يوميات المأساة التي عاشها الأب بعد التخلي عنه من كل محيطه المهني الذي تنكر له في مرضه بعد إبعاده من السلطة.

قبل ذلك كان الرجل قد استغل الانقلاب على بن بلة للتواصل مع شريف بلقاسم - بعد أن بعث برقية تأييد للحكام الجدد - الذي كان قد تعرف عليه أثناء ثورة التحرير بمنطقة صبرا... ليتوسط له لمقابلة رئيس مجلس الثورة، والذي عيّنه مسؤولاً عن مكتب الخطوط الجوية الجزائرية بالعاصمة السوفيتية التي كان الرجل قد تحصّل في أحد

256. لمزيد من التفاصيل حول ملابسات هذه الحادثة وما حصل مع الرجل بعد إبعاده من منصبه، انظر : ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 488-492.

معاهدها المتخصصة على شهادة في تسيير السدود بعد زواجه من سيدة تنارية وأنجبا ولدين اثنين. بومدين الذي عيّنه على رأس قطاع الري لمدة سبع سنوات...
 « ... لم يكن يحترمني ورماني.. بعد سماع الكثير من كلام أعدائي الذين كانوا ضد العمل الذي قمت به في القطاع... الذي مس مصالح الفرنسيين ».

بومدين الذي لم يعيّنه لاحقا في أي منصب دون المس به، عكس خليفته الشاذلي بن جديد الذي مس اضطهاده له كل جوانب حياته؛ وضع يمكن تفسيره جزئيا على الأقل، زيادة على هذه الاعتبارات السياسية والتاريخية، بما عُرفت شخصية الرجل من عنفوان وقوة ميزت الكثير من أبناء منطقة تيارت في الهضاب العليا، إضافة إلى تنشئته العسكرية التي أوصلته إلى حرب الهند الصينية التي تخصص فيها في تدريب الجنود المغاربة داخل الجيش الفرنسي. جنود تدخلوا لصالحه لاحقا بعد التحاقهم بالجيش المغربي، في صراعه مع جيش التحرير داخل التراب المغربي في 1960، الحادثة التي سُجن بسببها واستُعمل ملفها لاحقا للتنكيل به بداية من سنوات حكم الرئيس بن جديد، بعد إبعاده من منصبه ككاتب دولة للري في 1977...

« لو حرقتم بلاد لما حصل لي ما حصل... يكررها الرجل أثناء المقابلة وهو يبكي. الفقر الذي يبدو أنه غير مرتبط بالملهن اليدوية المعروفة، مثل حجم العائلة كما هو حال أب العرباوي. وقد وصف عبد المجيد مزيان وضع العائلة بالفقر، علما بأن مهنة الأب كما حددها الابن هي معلم وإمام مسجد، وهي تقريبا نفس مهنة الجدين (فقيه ومعلم بالعربية).

رغم أن وضع العائلة يصفه الابن محمد سراج بأنه « très modeste » إلا أنه يصبر على التذكير بأنه ينتمي إلى عائلة حضرية (très citadine) « ... فقد كنا نسكن في حي سانت أنطوان مع الفرنسيين »، الوضع الذي يربطه أكثر بأصول الأم على وجه التحديد، فقد كانت وهرانية الأصل والمفصل، ابنة قاضٍ ومتحصلة على الشهادة الابتدائية، رغم تواضع مهنة الأب كما عرفنا ذلك سابقا.

« Très modeste » هو الوصف الذي فضله مقدار سيفي بعد أن قرر أن وصف «فقيرة» هو الذي يصلح لوصف عائلته الكبيرة (تسع إخوة) التي كان فيها الجد من الأب فلاحا صغيرا والجد من الأم تاجر شحوم، أما الأب فكان عاملا يدويا في البناء. كدليل عن هذا الفقر، يضيف مقدار بكر العائلة أنه لم يخرج من تبسة نحو عنابة إلا في سن التسعة عشر للذهاب إلى الدراسة في ثانوية القديس أوغسطين.

« Elle est pauvre mais pas très » كان الوصف الذي فضله محمد غريب لتقييم الوضعية الاقتصادية للعائلة التي هاجرت للمغرب الأقصى ولأحفير بالضبط بالقرب من وجدة أين كان الأب يملك بقالة صغيرة لإعالة عائلته كبيرة الحجم (تسعة أبناء وبنات).

بالقرب من حي القصة الشعبي الذي ولد فيه أحمد حوحت، وفي سوق جامع اليهود بالضبط، كان الاحتكاك الأول للطفل أحمد مع الحياة المهنية من خلال نشاط الأب المتواضع، كبائع خضر...

« كنت أساعد الوالد في بيع الحشيش والمعدنوس بجامع اليهود، رغم نجاحي في المدرسة باعتباري بكر الأب. و بما أنني من وسط متواضع (un milieu social défavorise)، لم أحصل على منحة دراسية مما فرض عليّ العمل كمعلم مؤقت في بوقزول بالهضاب العليا بعد حصولي على البكالوريا.

عمي المكي أحسن حالا من الناحية الاقتصادية من الوالد الذي كان أقرب للفقر، رغم أن وضع العائلة عموما يمكن القول عنه أنه أقل من المتوسط... » وهو الحكم الذي قام به أحمد طالب الإبراهيمي، ابن الشيخ الإبراهيمي، الذي احتترف التدريس طول حياته المهنية في الجزائر، ودمشق بالمدرسة السلطانية. الحكم بالفقر على وضعية العائلة لا يمكن فهمه إلا بالمقارنة التي يقوم بها مع وضعية العم التاجر. ثنائية المثقف والتاجر لدى جيل الآباء التي أعيد إنتاجها على مستوى جيل الأبناء، مقابل الابن الثاني، أحمد الطبيب والمناضل السياسي، خصصت عائلة الإبراهيمي الابن البكر في العمل التجاري.

« عكس الأغلبية الساحقة من الجزائريين، فإن الأب رغم فقره كان يملك مهنة محددة (ميكانيكسي سيارات)، لذا أقول إن وضع العائلة كان « plutôt pauvre ». كنا نسكن بيت واحدة في القصبة لعائلة مكونة من 14 فردًا ». وصف يقدمه علي هارون، المولود بحي القصبة الشعبي، عن الوضع الاقتصادي الذي ميز عائلته التي كان الجد فيها حرفيًا صغيرًا (خياط برانيس) بمنطقة القبائل الصغرى قبل هجرة العائلة إلى العاصمة.

نظرة أبناء الأغنياء

« عائلة وطنية، وهو ما يؤكد التحطيم الذي تعرضت له أثناء الثورة من قبل الاستعمار... » كان التبرير الذي قدمه العربي بلخير، بعد أن ذكر مهنة الجد القايد شيخ زاوية بلحشر. الموقع الذي ورثه الأب الفلاح الكبير بعد ذلك مما جعل الابن الجنرال يصف مكانة الأب بأنه « من الأعيان ».

رغم اليسر الواضح لعائلة مصطفى حراثي فقد اكتفى الابن مصطفى بوصفها بأنها غنية، دون إضافة تفاصيل أخرى إلا تلك المتعلقة بنوعية الدراسة التي حصل عليها ودور الجد من الأب في الاهتمام بتعليم أطفال العائلة مما دفعه إلى مغادرة سكن الريف ودخول مدينة سوق أهراس من أجل ذلك، قبل المغادرة نحو عنابة وحتى تونس للحصول على البكالوريا، ثم نحو فرنسا.

رغم اليسر الاقتصادي لعائلة شيبان كما يصفه الابن سعيد، فإن التركيز في تقديمها كان على الجوانب الثقافية، فالجد الأول علي شيبان كان إماما ومعلما معروفا بكل منطقة القبائل.. والأب، الفلاح الميسور، كان يحسن العربية والفرنسية في ذلك الوقت. الدور الكبير الذي قام به الجد من الأم في تربية حفيده محمد الصغير باباس والفرق بين وضعيته ووضع الجد من الأب وحتى الأب، هو ما جعل محمد الصغير يصر على وصفين لتقييم وضع العائلة؛ فمن جهة الجد من الأم كانت ميسورة جدا نظرا لملكية الجد العقارية الواسعة، في حين أنها متوسطة من جهة الأب والجد من الأب. الجد من الأم الذي كان يشتغل كإطار متوسط في السكك الحديدية زيادة على نضاله في الكنفيدالية العامة للشغل والحزب الشيوعي.

التقارب في المواقع الاجتماعية للجدين، رغم الاختلاف في الأصول الجغرافية وحتى المهنية، هو الذي جعل عبد العزيز معاوي على الأرجح يقرر بسهولة أن العائلة غنية وحتى ميسورة (aisée)، هو ابن الموظف السامي في القصر العلوي بالمغرب وحفيد الجدين: مدير المدرسة بتلمسان وفاس والفلاح الكبير.

« كنا نسكن فيلا في حي أوروبي بمدينة وهران... » معلومات تضيفها ليلي الطيب للدلالة على الغنى واليسر الذي ميز وضعية العائلة التي كان الأب فيها موالا مُصدراً للمواشي نحو أوروبا وفرنسا، قريبا من حزب الاتحاد الديمقراطي UDMA، أما الجد من الأب فكان مالكا عقاريا كبيرا، والجد من الأم إماما بمدينة وهران. البنت ليلي التي تضيف أنها كانت ضمن مجموعة قليلة من الجزائريات اللاتي درسن في ثانوية فرنسية بوههران. « أي كان يُعَدُّ من أعيان مدينة القل. كنا أغنياء، فقد كان يحسن اللغة العربية والفرنسية ويشغل « أوكيل قانوني » رفض القيام بمهمته لدى المحاكم الفرنسية مفضلا عنها المحاكم الإسلامية كعون ». هذا ما يصف به أمين خان حال عائلته، ليضيف أن الجد من الأب ينتمي لعائلة تجار في الحبوب، تدهورت حالته بعد أن ظلمه إخوته « حقروه » في تقسيم الإرث، مما جعله يشتغل عدة مهن متواضعة كحلاق وبائع مأكولات شعبية. في حين كان الجد من الأم شرطيا، أما أبوه فقد كان قايد. تجربة الجد من الأب لم تؤثر كثيرا على حكم الحفيد عند تقييم الحالة الاقتصادية والاجتماعية للعائلة.

رغم أنه يصنف العائلة على أساس انتمائها للفئات الوسطى، فإن سيد أحمد غزالي رئيس الحكومة الأسبق يقيم وضعيتها بأنها كانت غنية من جهة الأب خاصة. الأب الذي كان مدرسا مزدوج اللغة، أما الجد من الأب فقد كان حرفيا في النسيج (دراز)، والجد من الأب تقنيا في الصحة (Auxiliaire de santé).

رغم أنه لم يكن متأكدًا من التصنيف النهائي الذي يمنحه لوضعية العائلة بين المتوسطة والغنية، إلا أنه مُصر على توضيح نقطة مهمة بالنسبة له: « جدي من الأب كان غنيا

لكنه ليس رسمياً، فلم تكن له علاقة مع الإدارة الفرنسية.. رغم أن أراضيه كانت قليلة إلا أنه كان موالاً كبيراً بمنطقة الحضنة. جدي من الأم العاصمي من أصول جيبلية-أندلسية كان ميسورا هو الآخر».

التركيز على وضعية الجدين ومقارنتها مع مهنة الأب القاضي الأقرب إلى الفئات الوسطى هو ما قد يفسر التأرجح بين الغنى والوسطية الذي ميز تصنيف مصطفى لشرف لوضعية عائلته الاقتصادية... هو العارف بسوسولوجية المجتمع الجزائري.

نظرة أبناء المتوسطين المترددين.. شوية، بين ما فوق وما تحت المتوسط

رغم صعوبة تحديد المكانة «المتوسطة» التي يلجأ إليها، كوصف، الكثير من الوزراء من أبناء الريف والمدينة كالكثير من أبناء الفلاحين والتجار والموظفين بمختلف أصنافهم، فإنها كانت من الصفات الحاضرة حتى ولو أضيف إليها بعض التحديد من خلال الكلام عن «ما تحت المتوسط» المتوسط و«ما فوق المتوسط» التي يتم اللجوء إليها كدليل عن الدقة في التقييم وموضوعيته في الكثير من الأحيان، رغم كل التوضيحات المرتبطة به، وهو ما يجعل أبناء هذه الفئات الأكثر ثراء ومقارنة في وصف الحالة الاقتصادية والاجتماعية للعائلة ومقارنتها مع الفئات الغنية والفقيرة في نفس الوقت.

«بيت علم ولا بيت مال» كانت ملخص الصورة التي قدمها كميل حاجيات عن العائلة والأب تحديداً، التاجر الصغير (البقال) الذي تمكن من إدخال كل أبنائه وبناته (تسعة) إلى الجامعة. الابن الذي يحدد مكانة العائلة الاقتصادية بأنها «فوق المتوسط»، علماً بأن الاستفادة من التعليم قد استُعملت كمقياس عن الوضع الاجتماعي للعائلة بالقول أنه رغم فقر الحال فقد استفاد أبناء العائلة من التعليم، أو للقول في أحيان أخرى أن العائلة ركزت على التعليم للخروج من حالة الفقر التي كانت تعرفها، أو أن الفقر لم يمنع أبناء العائلة من الاستفادة من التعليم.. كما رأينا ذلك مع أب حاجيات التاجر الصغير.

عبد العزيز زيارى أستاذ الطب ووزير العمل ضمن حكومة سيد أحمد غزالي لم يكتف بتحديد دقيق لمكانة العائلة من خلال جيل الأب فقط، خاصة في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بل منح دوراً كبيراً لهذه للوضعية العائلية في التأثير على علاقاته السياسية، من خلال القراءة التي قام بها الوسط السياسي لهذه المكانة الاجتماعية؛ فالرجل لا يزال مقتنعاً أن سوء العلاقة بينه وبين مولود حمروش ابن جهته، عكس غزالي، يرجع في الأساس إلى تلك الصورة التي يحملها مولود حمروش عن أصوله الاجتماعية... «يחס أنني برجوازي.. هو ابن الوسط الفلاحي الفقير»... فالوالد المتحصل على شهادة

البكالوريا منذ ذلك الوقت كان، زيادة على ملكيته الفلاحية المتوسطة، قريباً من الاتحاد الديمقراطي udma ونائبا في المجلس التأسيسي بعد الاستقلال (1962-64).

بالنسبة لعبد النور بكة، فإن وضعية العائلة كانت « *modeste, juste juste* »، علما بأن الطفل عبد النور المولود بالمسيلة قد تربى عند جده من أمه الإمام /العادل المعرب في مدينة العلمة، بعد وفاة الأب خريج مدرسة قسنطينة الذي عمل كخوجة/مترجم لدى جهاز العدالة، مما جعل الطفل يبقى داخل نفس الأوساط الاجتماعية والمهنية تقريبا، رغم مغادرته مدينة المسيلة نحو العلمة، والتي غادرها هي الأخرى نحو مليانة لدخول مدرستها العسكرية. التأثر بموت الأب المبكر قد يفسر ذلك الارتباط الذي قام به عبد النور من خلال الزواج مع ابنة عمته.

كما تأكد لنا أكثر من مرة، فإن الهجرة من الريف نحو المدينة لم تكن دائما مؤشراً عن ترقية اجتماعية بالنسبة للكثير من الجزائريين، وعلى العكس تماما كما تبينه حالة محمد نايبي الذي يتراوح في تقديمه لوضعية العائلة بين المتوسط والغني، كدليل لهذا المسار العائلي المضطرب والمتأرجح، فقد أفلس الجد الموالي، الفلاح في منطقته بالبرواقية، ليدخل الأب إلى حي القصبة أين اشتغل في الأعمال الحرة الصغيرة، وتزوج من بنت عامل بسيط في ميناء العاصمة (dock) ... فما هي يا ترى الوضعية أو المحطة التاريخية التي اعتمد عليها الابن والحفيد محمد نايبي لتقييم وضع العائلة ؟

نفس التردد الذي نجده ونحن نتطرق إلى حالة عائلة مهساس التي لم يحسم ابنها أحمد في تقييم وضعيتها بين المتوسطة والغنية، فهي الأخرى صودرت أراضيها نتيجة مشاركة القبيلة المنتمية لها في انتفاضة 1871، ما جعل الجد وبعده الأب يلجأ إلى كراء الأراضي إضافة إلى ما تبقى له منها للزيادة في دخل العائلة الريفية الكبيرة، بل وقام بالتوليف بين الزراعة وتربية المواشي كالكثير من العائلات الجزائرية حتى ولو أن العائلة كانت بعيدة عن الهضاب العليا التي يكثر فيها مثل هذا التنوع (بودواو).

عكس مهساس الذي لا يشير إلى الأبعاد الثقافية، نجد أن رضا مالك ابن القاضي أباً عن جد، رغم تأرجحه هو الآخر في وصف وضعية عائلته بين المتوسط والغني، لكنه يشير إلى أن العائلة كانت « *aisée* » ماديا وثقافيا، رغم الحالة الاقتصادية التي يصفها بالمتوسطة للأب عمار عزوز التي تحسنت كثيرا جراء الترقية التي حققها من تاجر متنقل إلى تاجر مستقر، كحالة الكثير من أبناء منطقة القبائل بعد مغادرتهم منطقتهم الأصلية ؛ فإن زواجه الثاني وسوء العلاقة بين الزوجة الجديدة والأبناء جعلت الابن عمار يغادر المنزل العائلي نحو فرنسا عند الخال المهاجر، أين دخل عالم الشغل وتعرف على الكثير من المهن الصغيرة والمتواضعة (غسل الأطباق في مطاعم ومقاهي)، قبل الانطلاق في عالم الفن

والتلحين، فالطفل والشاب عمار لم يستفد من تحسن وضعية الأب بقدر ما عايش وضعية الخال القبائلي المهاجر العامل بفرنسا.

الأب مساعدية، مثل الجد قبله، رغم محدودية الأراضي المملوكة لهما كانا يلجآن إلى كراء الكثير من الأراضي لحرثها؛ مما جعل الابن محمد شريف يصف وضعية العائلة بالمتوسطة، رغم مظاهر الثراء الأخرى التي ذكرها للدلالة عن يسر العائلة كملكية « رحي » (طاحونة) بسوق أهراس وخارجها، وبعض وسائل العمل الزراعي الحديث الأخرى.

رغم الموضوعية التي يمكن أن تُستشفَّ عموماً من عمليات التقييم وحتى بعض المؤشرات المقدمة في هذا الإطار، إلا أن البعض من الحالات قد استهوتها - حسب ما يبدو - المكانة « الوسطى »، حتى عندما تكذبها المعطيات الكمية المقدمة، وهو ما يمكن اكتشافه من خلال حالة التقييم الذي يقوم شريف بلقاسم لوضعية عائلته التي تميزت بهجرة مبكرة للأب نحو المغرب للعمل كمساعد مترجم، مما يؤهله لهذه المكانة الوسطى التي يتحدث عنها الابن. في حين قد لا يكون هذا التقييم دقيقاً تماماً إذا راعينا حجم الملكية الزراعية (11 هكتاراً) التي يحدد بها الابن هذه المكانة الوسطى المزعومة، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار نوعية الأرض المتواجدة بولاية أم البواقي.

« كنت أمشي حافياً حتى سن الثانية عشر من عمري »... يقولها للدلالة عن الحالة المتواضعة للعائلة التي كانت فقيرة نوعاً ما، قبل أن يستدرك أستاذ الطب مسعود زيتوني ويصف وضع العائلة بالمتوسط : « الأب كان تاجراً ويملك دخلاً منتظماً... فقد كنا « لاباس » بالمقارنة مع الأغلبية الساحقة من الشعب ». هذا التقييم المتواضع لحالة العائلة الاقتصادية الذي قد يكون مرتبطاً بتجربة الجدين؛ فقد أفلس الجد من الأب، الفلاح الصغير.. في حين كان الجد من الأم عاملاً زراعياً بمنطقة القل الجبلية.

« لم نكن فقراء، كما أننا لم نكن مثل عائلة تمزالي »... هو الوصف الذي قدّمه بن هني عن وضعية عائلته التي كان فيها الأب إماماً ومالكا زراعياً متوسطاً في منطقة مازونة بولاية غيليزان. مهنة الإمامة التي كانت هي الأخرى مهنة الجدين في نفس الوقت.

بشير بومعزة يركز كثيراً على مشاركة العائلة في ثورة 1871 والناتج الكارثية التي ترتبت عليها،... « فقد صودرت أراضي الجد من الأب الذي كان مالكا كبيراً... كما يُحكى ». في حين كان الأب تاجراً صغيراً، بقالا وشيخ قرآن، وهي الوضعية التي تجعله يصنفها كعائلة فقيرة أو متوسطة وهو يشعر بالكثير من الزهو ويقول : « في 1962 باشرت شخصياً عملية مصادرة أراضي المعمرين في الجهة، أراضي كانت تابعة تاريخياً لجدي ».

« كنت، وأنا في سن الدراسة الابتدائية، أبيع الحلوى التي يقوم الأب بصناعتها، زيادة على مزاولة التعليم، خاصة وأنني كبير إخوتي الذكور؛ لذا أقول أن وضعية العائلة الاقتصادية من جهة الأب كانت أقل من المتوسط »... يصف عبد الرحمن بلعياط حالة عائلته.

رغم كل الدلائل التي تشير أن عائلة بيطاط كانت أقرب إلى الفقر (لم يبقَ على قيد الحياة من 13 مولودًا للوالد إلا ثلاثة)، فإن الابن بيطاط رابع بكر العائلة وصف الوضع الاقتصادي-الاجتماعي بالمتوسط، علما بأن الأب كان - كما عرفنا ذلك - حدّادًا بقسنطينة التي دخلها الجد بعد بيع قطعة أرضه الصغيرة في بلدية عين الكرمة. وهي نفس مواقع الجد من الأم، الفلاح الصغير في جهة القرام. المواقع المتواضعة لعائلة بيطاط التي تؤكد لها الطفولة الصعبة للطفل رابع الذي غادر قسنطينة صغيرا للاستفادة من تكوين مهني بسيط، المدينة التي لم يعد إليها إلا لمدة قصيرة بعد دخوله مرحلة الاحتراف السياسي والسرية ضمن صفوف حزب الشعب، بعد الزواج الثاني للأب إثر وفاة الأم الذي يكون قد جعل الشاب بيطاط يقتنع أكثر بالعمل الثوري الذي انطلق فيه.

الجدول رقم 09 : المستوى التعليمي لأب الوزير

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي
12.1	12	جامعي
26.3	26	متوسط
34.3	34	ابتدائي
27.3	28	من دون مستوى
100	100	المجموع

الجدول رقم 10 : المستوى التعليمي للأم

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي
00	00	جامعي
3	3	متوسط
8.1	9	ابتدائي
88.9	88	من دون مستوى
100	100	المجموع

الجدول رقم 11 : المستوى التعليمي للجد من الأم

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي
4	4	جامعي
15.2	15	متوسط
19.2	20	ابتدائي
61.6	61	من دون مستوى
100	100	المجموع

الجدول رقم 12 : المقارنة بين المستوى التعليمي للجدین

المستوى التعليمي	الجد من الأب %	الجد من الأم %
جامعي	3	4
متوسط	13.1	15.2
ابتدائي	17.2	19.2
من دون مستوى	66.7	61.6
المجموع	100	100

الجدول رقم 13 : مقارنة بين المستوى التعليمي للأب والجدین

المستوى التعليمي	الأب %	الجد من الأب %	الجد من الأم %
جامعي	12.1	3	4
متوسط	26.3	13.1	15.2
ابتدائي	34.3	17.2	19.2
من دون مستوى	27.3	66.7	61.6
المجموع	100	100	100

المستويات الثقافية لعائلة الوزير

الفهرس

- 257 كيف تطور التعليم في الجزائر منذ بداية القرن
بعض المعطيات التاريخية :
- 258 المدرسة الفرنسية بين قلة العرض وعدم وضوح الطلب
- 262 في المقاومة السلبية.....
- 267 البث والاستقبال، بدل المقاومة.....
- 268 التعليم، بين الندرة والانتقائية.....
- 271 المستفيدون اجتماعيا واقتصاديا هم المستفيدون ثقافيا.....
- 274 الجد... عندما تسود الأمية.....
- 274 الجد الأمي والفقر. المدينة التي لم تساعد في الخروج من الأمية.....
- 275 مثلها مثل المناطق الحدودية.....
- 277 عندما يكون الجد غنياً لكنه يبقى أمياً.....
- 279 الجد صاحب التعليم العالي. مستوى وشهادات الجد.....
- 286 الجد صاحب المستوى الابتدائي.....
- 290 الجد صاحب التعليم المتوسط.....
- 292 الأم المتعلمة، ابنة المدينة، والوسط الاجتماعي الغني.....
- 296 المستويات التعليمية لأب الوزير. الاتجاه الثقيل نحو الخروج من الأمية.....
- 297 المستويات الجامعية : سيطرة مهن التعليم والعدالة وغياب المهندسين.....
- الأب صاحب التعليم الابتدائي والمتوسط:
- 300 توسع الطلب على المدرسة الفرنسية والابتعاد عن المقاطعة.....
- 302 معلم القرآن، التاجر الصغير.....
- 303 الأب القائد والعسكري صاحب التعليم الابتدائي.....
- 305 الفقراء من أصحاب التعليم القرآني البسيط والأميون.....
- 307 جدي الأمي، جدي المتعلم... في اللاتجانس الثقافي.....
- 308 الوسط الثقافي للوزير الجزائري.....

كيف تطور التعليم في الجزائر منذ بداية القرن

لمحة تاريخية للأطلاع على خصوصيات انتشار التعليم في المجتمع الجزائري، يبدو أنها ستكون ضرورية للتعرف عن قرب على الفئات الاجتماعية التي أنتجت أكثر من غيرها هذه النخبة الوزارية في الجزائر، وللكشف عن المسارات التعليمية لهذه الفئات من خلال جيليّ الجدّين والأب قبل الانتقال إلى جيل الوزير في مرحلة لاحقة من الدراسة. هذه المعطيات التي ستوضح لنا بالتفصيل مدى انتشار التعليم وخصائصه لدى هذه الفئات في المجتمع الجزائري لمدة طويلة نسبيا ؛ وهذا لأهمية التعليم كعامل فرز اجتماعي في مجتمع عانى طويلا من ندرته، وتحوّل الطلب عليه إلى معركة يومية لدى العائلات وهي اختيار استراتيجية التقرب من المدرسة جغرافيا بالدخول إلى المدينة إذا كانت بعيدة عنها اجتماعيا.

فإذا افترضنا أن الجدين من مواليد النصف الثاني من القرن التاسع عشر وعقديه الأخيرين بالنسبة للوزراء الأصغر سنا، وأن الأب من مواليد بدايات القرن العشرين عموما، اكتشفنا بسهولة أننا أمام معطيات تاريخية - حتى ولو كانت خاصة بفئات اجتماعية محدودة - تغطي مرحلة طويلة من الفترة الاستعمارية بكل الخصوصيات التي ميزت انتشار التعليم في الجزائر، خاصة إذا ربطنا هذا العمق التاريخي بالنوعية السوسولوجية للفئات المدروسة في الريف والمدينة، والتي تميزت بإنتاجها للنخبة السياسية الجزائرية.

لمحة تاريخية سنحاول أن نقوم بها من خلال دراسات علمية جزائرية وأجنبية تمحورت حول المنظومة التعليمية الفرنسية بالأدوار المختلفة التي أنجزتها في المجتمع الجزائري، بكل الخصوصيات التي عُرفت عنه كحالة استعمارية استيطانية، وعلى رأسها عملية التحطيم العنيفة للهياكل التقليدية للمجتمع الجزائري، بما فيها هياكل التعليم والثقافة التي تهمنا هنا في هذا القسم من الدراسة. فرّض نظام تعليم أجنبي بلغة وقيم جديدة على المجتمع الجزائري، لتحقيق أغراض تخدم الحالة الاستعمارية الاستيطانية في المقام الأول، كان هو الآخر من سمات هذا الوضع التعليمي الذي عاشته الجزائر. العلاقات والأدوار المختلفة التي أقامتها هذه المنظومة التعليمية الاستعمارية مع مختلف فئات المجتمع الجزائري في الريف والمدينة، ستكون من النقاط التي يتم التركيز عليها خلال هذه

المقدمة التاريخية لمعرفة كيف تطورت هذه العلاقات مع الوقت طول الفترة الاستعمارية الطويلة، وهذا بتسليط الضوء على المحطات الكبرى التي تتفق عليها الدراسات، كمحطة دخول المنظومة التعليمية الفرنسية بعد صدور قانون جول فيري (1883) ومحطة ما بعد الحرب العالمية الأولى والثانية بالنسبة للمنظومة التعليمية الفرنسية وحتى التقليدية الممولة من طرف المجتمع الأهلي... الخ.

هذه الدراسات التي سنحاول من خلالها، وكلما كان ذلك ممكنا، التركيز على بعض المؤسسات التعليمية والمسارات المهنية المرتبطة بها التي يمكن أن تساعدنا أكثر في فهم موضوع دراستنا الأساسي، تاريخ عملية إنتاج النخبة السياسية الجزائرية والوسط الثقافي والتعليمي الذي عاشت ضمنه وولدت فيه.

الحالة الاستعمارية الاستيطانية التي عرفت الجزائر كانت مولدة لعدم تجانس كبير وتنوع في مؤسسات الإنتاج والمنتوج إذا راعينا تلك الازدواجية التي ميزت الوضع التعليمي في الجزائر بين نظام تعليم فرنسي باللغة الفرنسية موجه لأكثر من طرف داخل الحالة الاستعمارية، معمرين وفئات غنية من الأهالي مرتبطة بالحالة الاستعمارية... توسع ليشمل فئات شعبية فقيرة في المدينة ومنطقة القبائل، وبين نظام تعليم تقليدي بكل ما ميزه من مؤسسات داخل الجزائر وخارجها - كما كان الحال مع جامع الزيتونة - بقيمه ولغة تعليمه. ازدواجية مبرمجة - كما سيتأكد لنا من خلال الدراسات التاريخية المعروفة - لإنتاج أوضاع مهنية غاية في التنوع وعدم التساوي ومختلفة من حيث العلاقات التي تقيمها، ليس مع الحالة الاستعمارية فقط بل مع المجتمع الجزائري أيضاً، وليس أثناء الفترة الاستعمارية وقبل الاستقلال فقط بل حتى فيما بعد كما أكدته الحياة السياسية لجزائر ما بعد الاستقلال بكل ما ميزها من انقسامية وشروخ أخذت طابعا ثقافويا، كانعكاس لهذا التاريخ الاستعماري.

بعض المعطيات التاريخية : المدرسة الفرنسية بين قلة العرض وعدم وضوح الطلب

شارل- روبر أجرون وهو يتحدث عن الوضع التعليمي للجزائر خلال الفترة الاستعمارية، يكشف أن فرنسا التي كانت تنوي السيطرة المعنوية¹ على الجزائريين اعتمادا على المدرسة، قد تراوحت سياستها الرسمية بين عدة مواقف تحت تأثير عوامل كثيرة، من بينها كان ذلك الضغط الذي مارسه المعمرين في الجزائر نفسها². لكن ورغم هذا التذبذب،

1. غي بيرفيلي Guy Perville في كتابه حول الطلبة الجزائريين بالجامعات الفرنسية وهو يتكلم عن نفس الموضوع La conquête morale في مقدمة كتابه بأن المقصود ليس خلق روابط صداقة متبادلة بن الشعبين ولكن المقصود هو الهيمنة الأخلاقية (La conquête morale).

2. انظر ما جاء في الفقرة السابعة داخل مؤلف شارل-روبير أجرون :

Les Algériens musulmans et la France 1871/1919, Éditions Puf, Paris, 1968.

تحت عنوان السياسة التعليمية، ص 317-342.

فإن المحصلة النهائية للاستعمار لم تكن إيجابية، العكس تماما، حتى بالمقارنة مع الأوضاع التي وجد عليها الفرنسيون الجزائري عند احتلالها في 1830.

فالتعليم العمومي للمسلمين، المتطور نسبيا في بداية الاحتلال، تدهور بطريقة واضحة بعد ذلك، وهو ما تؤكده تقارير اللجان التي تكونت رسميا لتقييم وضعية التعليم في المستعمرة، فقد جاء في تقارير هذه اللجان التي ترأسها ألكسي دو- توكوفيل (Alexis de Tocqueville) شخصا : « لقد استولينا على أموال الزوايا والحبوس، أهملنا المدارس وفرقنا الطلبة.. لقد انطفأ النور من حولنا... بمعنى آخر فقد جعلنا المجتمع المسلم أكثر جهلا وتوحشا مما وجدنا »³.

« ... فالتعليم الابتدائي كان منتشرا على الأقل بنفس الكثافة الموجودة في فرنسا وأكثر بكثير مما كنا نتوقع وجوده », تقول شهادة أخرى في نفس المرجع⁴، والتي تضيف : « إن معدل السكان من الذكور الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة في الجزائر، كان على الأقل مُساوياً لما هو موجود في أريافنا حوالي سنة 1845. فقد كان عدد الشباب المسجلين في المدارس يتراوح بين 2000 و3000 في كل مقاطعة من المقاطعات الثلاث ».

المؤرخ الفرنسي يلخص وجهة نظره بالقول أنه ومهما كان الاختلاف حول المعطيات المتعلقة بانتشار التعليم عند بداية الاحتلال، فإنه لا بد من الاعتراف أن التأخر كان كبيرا خلال فترة (1846-48)... جيل كامل لم يستفد حتى من التعليم القرآني، فقد تقلص عدد التلاميذ في قسنطينة، حسب ألكسي دو توكوفيل دائما، من 600 إلى 60 خلال عشر سنوات. الكتابات القرآنية نفسها عرفت نفس التقلص في نفس المدينة من 86 إلى 30 كُتَابًا فقط⁵. ومثل ما حصل على المستوى الاقتصادي والاجتماعي الكلي، فإن تحطيم هياكل التعليم التقليدية لم يقابله بناء هياكل عصرية لتعليم الجزائريين. فإذا اكتفينا بالمعطيات الإحصائية الرسمية (يقول المؤرخ الفرنسي) سنجد أن 10.357 تلميذاً مسلماً فقط كانوا مسجلين سنة 1889 في مجمل المدارس الابتدائية الخاصة والعمومية من المستوى التحضيري إلى الشهادة الابتدائية من مجموع 535.389 تلميذاً في سن الدراسة، أي بما لا يتجاوز 1.9% فقط. التعليم العام الفرنسي (يضيف الباحث) لم يستفد منه، في كل مراحل بدء من التعليم التحضيري والابتدائي وصولاً إلى المستويات المتوسطة والثانوية بما فيها المدارس، إلا 10.631 تلميذاً من مجموع 204.692 أي حوالي 5.19%. فقد تقلص على سبيل المثال عدد الطلبة الثانويين من 271 إلى 81 طالباً فقط بين سنتي 1870 و1889.. نفس التقلص الذي عرفه

3. نفس المرجع المذكور، ص 318.

4. نفس المرجع والصفحة.

5. نفس المرجع والصفحة.

عدد الطلبة المدرسين من 142 طالبًا إلى 81 خلال نفس الفترة⁶. فقد كانت نتيجة سياسة ما سُمِّيَ بالإدماج، إطفاء نظام تعليم المسلمين وتقليص التعليم الفرنسي. كعينة عن هذا التضارب والصراع حول تعليم الجزائريين، يذكر شارل-روبير أجرون في مؤلف آخر⁷ كيف حاول العميد جاننمير (1884-1908) العمل على تطوير تعليم الأهالي، رغم معارضة المعمرين وأفكارهم المسبقة التي كانت لا تقبل إلا بتعليم مهني وزراعي فيما يخصهم. عندما غادر عميد الجامعة منصبه احتجاجًا، على تحويل المدارس الابتدائية إلى ما سمي بالمدارس-القوري (ECOLE-GOURBIS) التي فرضتها المندوبيات المالية. 33.397 تلميذًا من أبناء الأهالي كانوا مسجلين في المدارس الابتدائية (4.3% من المجموع الكلي)، هذا العدد الذي تضاعف فقط وبصعوبة في 1930، رغم التطور في عدد المدارس المشار إليها التي عمم تدريس المعلمين من الأهالي داخلها، فارتفع عدد التلاميذ من 47.263 تلميذًا في 1914 (حوالي 5%) من المجموع الكلي القابل للتمدرس (850.000) إلى 60.644 في سنة 1929 وهو ما يعادل فقط 6% من إجمالي أبناء الأهالي الذين كانوا في سن التمدريس في تلك الفترة. عن مراحل التعليم الأخرى، يضيف المؤرخ الفرنسي أن التعليم الثانوي الفرنسي لم يستقبل سنويا وكمعدل عام لفترة ما قبل 1900 إلا 84 تلميذًا، و150 تلميذًا قبل 1914. في نفس سنة انطلاق معارك الحرب العالمية الأولى لم يسجل إلا 34 متحصلاً على البكالوريا من الأهالي و12 حاصلاً على الليسانس.

زيادة على موقف المعمرين والإدارة الاستعمارية الفرنسية، يشير الباحث الفرنسي إلى موقف الأولياء المسلمين الذين كانوا متحفظين لمدة طويلة في إرسال أبنائهم وخاصة بناتهم إلى المدارس الفرنسية، على قلة، فكان من المفروض في بعض الأحيان الضغط عليهم في هذا الاتجاه وهو ما كان يرفض الأعيان التقليديون القيام به، الذين كانوا متخوفين من نهوض هذا الشباب المفرنس والمتعلم ومنافسته لهم. فكان لا بد من انتظار مرحلة نهاية الحرب العالمية الأولى لكي يُقبل الشباب المسلمون على المدرسة الفرنسية، وليتحول فتح المدارس أمام أبناء المسلمين إلى مطلب لدى بعض المسلمين؛ فقد بدأ بعض الجزائريين يتوجهون إلى فرنسا نفسها لإجراء امتحاناتهم وحتى للدراسة بدايةً من سنة 1920، في حين كان عدد الذين يتوجهون صوب فاس أو تونس والقاهرة للقيام بدراسات إسلامية تقليدية أكثر بكثير، فجامعة الأزهر كانت تضم دائماً عدداً أكبر من الطلبة من مدرسة الجزائر⁸.

6. نفس المرجع، ص 342.

7. Charles-Robert Ageron, *Histoire de l'Algérie contemporaine*, Éditions Puf, Paris, 1970 p. 70.

8. نفس المرجع، ص 71.

فترة ما بين الحربين عرفت انتشاراً أوسع للتعليم بين الأهالي، في حدود المنطق الاستعماري بالطبع. فإذا كان عدد التلاميذ المسجلين في المرحلة الابتدائية 68.000، فقد انتقل إلى 110000 سنة 1944 و 302000 سنة 1954، بنسب تدرس تراوحت بالنسبة لنفس السنوات من 5% إلى 8.8% ف 14.6% على التوالي، في حين لم يكن مسجلاً في التعليم الثانوي إلا 1358 تلميذاً مسلماً سنة 1940 و 6260 سنة 1954.

عن التعليم العالي لم تسجل الإحصائيات إلا 89 طالباً سنة 1940 و 589 سنة اندلاع ثورة التحرير 1954. أجرون وهو يهدف لدراسة الحركة الوطنية وثورة التحرير يقول أنه لا يجب أن نفاجاً إذا عرفنا العدد الضئيل للنخبة الجزائرية في 1954 التي، بالإضافة إلى حجمها الكمي المتواضع (354 محامياً و 28 مهندساً)، تميزت كذلك بسوء التوجيه والتوزيع بين التخصصات (185 أستاذاً في التعليم الثانوي و 165 بين طبيب وطبيب أسنان وصيدي) في مجتمع تغلب فيه الأمية (90%).

مؤلف غي برفيلي (Guy Perville) الطلبة الجزائريون في الجامعات الفرنسية 1880-1962 يحتوي في جزئه الأول⁹ على معلومات إحصائية لفترة طويلة حول تطور التعليم الفرنسي في الجزائر، لتفسير سر ضعف نسبة الطلبة الجزائريين، ليس في مجتمعهم الأصلي فقط، بل حتى بالمقارنة مع الطلبة من الأصول الأوروبية (لا يمثل الطلبة الجزائريون في جامعة الجزائر إلا 11.4 بالمائة من مجموع الطلبة، في حين أن الجزائريين من الأهالي يمثلون 89.5 بالمائة من مجموع سكان الجزائر)¹⁰.

التفسير يجده في موقف السلطات الاستعمارية الجديدة التي رفضت تعليم الجزائريين، بل قضت على ما كان موجوداً منه رغم تقليديته. في هذا الصدد يذكر الباحث الفرنسي بتقرير للجنرال دوما (Dumas) الذي يتحدث فيه عن وضعية التعليم في الجزائر كما وجدها الفرنسيون عند دخولهم البلاد : « إن التعليم العام في الجزائر كان أكثر انتشاراً مما كنا نعتقد عموماً ». ويضيف : « إن علاقاتنا بالأهالي من المحافظات الثلاث بينت لنا أن معدل السكان من الذكور الذين يعرفون القراءة والكتابة كان على الأقل مساوياً لما تذكره الإحصائيات الرسمية عندنا فيما يتعلق بانتشار التعليم في المناطق الريفية »، أي حوالي 40 بالمائة كما يحدد الباحث ذلك.

بعد قرن من الاحتلال، الوقت الذي عمم فيه التعليم في فرنسا، انتشرت الأمية بطريقة مخيفة (90 بالمائة في 1948 و 86.3 بالمائة غداة 1954)¹¹.

9. Guy Perville, *Les étudiants algériens de l'université française, 1880/1962*, Casbah Éditions, Alger, 1997.

10. نفس المرجع، ص 15.

11. نفس المرجع، ص 16.

المدرسة الفرنسية في الجزائر كانت لفترة طويلة تحت تأثير الصراع الاجتماعي السياسي بين عدة أطراف ذات مصالح مختلفة. فقد تطور مع الوقت الموقف الفرنسي الرسمي في باريس ليجد معارضة قوية من قبل ممثلي المعمرين في الجزائر، ففي وقت انتصار المبادئ الجمهورية في فرنسا ابتداءً من 1870، نلاحظ بروزاً قوياً في الجزائر لأولغارشية (OLIGARCHIE) مكونة من أعيان المعمرين ومجموعات الضغط المتحدثة باسمهم في باريس الذين طوروا فكرة خطورة التعليم على مصالح الاستعمار في الجزائر.

في المقاومة السلبية

لتفسير ركود التعليم الفرنسي وتعثّر انتشاره في المراحل الأولى من تاريخ الاحتلال الفرنسي للجزائر، تركز الكثير من الدراسات على ما سمته بالمقاومة الثقافية أو السلبية التي لجأت إليها الكثير من الأوساط الاجتماعية الجزائرية، لدرجة أنه كان لا بد من انتظار مرور حوالي قرن تقريباً من الاستعمار (1920) لمشاهدة كيف تحولت المقاومة السلبية للمجتمع الجزائري للمدرسة الفرنسية إلى طلب ومطلب فيما بعد¹².

« فاني كولونا » على سبيل المثال ترى أن... « المجتمع الجزائري قد قاوم بنجاح في المدينة والريف ولمدة خمسين سنة، ثلاث محاولات متتالية : بناء مدارس مشابهة تماماً لما هو موجود في فرنسا كمحاولة أولى، تليها تجربة إحياء المدارس العربية التقليدية تحت سيطرة الجيش الفرنسي، وأخيراً تكوين مدارس وسيطية (المدارس العربية-الفرنسية) تعلّم باللغتين وتحترم الطابع الديني للتعليم التقليدي¹³. لاقت هذه المحاولات الثلاث مقاومة بالإجماع، سلمية في الغالب. فباستثناء حالات معدودة كانت هذه المدارس فارغة أو بحضور ضعيف لتلاميذ من أوساط دنيا¹⁴ ».

12. Fanny Colonna, *Instituteurs algériens, 1883/1939*, Éd. OPU, Alger, 1975, p. 26.

13. هي نفس التجربة تقريباً التي عشتها شخصياً في قريتي إمدوكال بمنطقة الأوراس قبل سنوات الاستقلال الأولى (1960-62) التي استفدنا فيها من تعليم داخل المدرسة الفرنسية التي لم نكن نتوجه إليها صباحاً على الثامنة إلا بعد تلقّي تعليم قرآني بداية من السادسة صباحاً بالمدرسة القرآنية. استراتيجية لجأت لها عائلتنا كي لا نفقد تواصلنا مع اللغة العربية والنص القرآني الذي كنا ندرسه في اللوح، كما كان سائداً في هذه المدارس القرآنية التي كنا نلتحق بها في الصباح الباكر، خاصة في فصل الشتاء المعروف ببرودته في هذه المنطقة من الهضاب العليا، لنعيش تجربة بيداغوجية مختلفة عن تلك التي كنا نمرّ بها يومياً في المدرسة الفرنسية بلغتها وشروط تلقّيها المختلفة، تجربة لم تكن مثالية لتواجد المدرسة بمحاذاة ثكنة الجيش الفرنسي، ونحن تحت رقابة معلم المدرسة القرآنية الذي لم يكن يتركنا نغادر الكتاب - على مفض - إلا بعد تأكده من حفظ المقرر اليومي من النص القرآني الذي نبدأ به يومنا الطويل. تجربة ساعدتنا على الحفظ وعلى لغتنا العربية وعلى ما تيسر من نص قرآني.

14. نفس المرجع ونفس الصفحة. الباحثة تذكر في الصفحة الموالية بعض نسب المقاطعة للمدرسة وصلت إلى 18 بالمائة في الوسط (العاصمة) و32.58 في الشرق و25 بالمائة في الغرب، مع العلم أن الدراسة تشير أن النسب المسجلة بمنطقة العاصمة يمكن عدها أعلى نسبة بالمقارنة مع بقية المناطق الأخرى من الجزائر، فقد كان يجب انتظار سنة 1918 لتصل نسبة الحضور إلى 48 بالمائة (أقل من النصف) وسنة 1923 لكي تتجاوز هذه النسبة 90 بالمائة.

هذا الفشل الذي يكون من العبث محاولة إيجاد تفسيرات له حسب الباحثة، فقد كان فشلا منطقيا ويفسر ذاته دون عناء، فالمدرسة الأجنبية كان يُنظر إليها كاعتداء مجسد إزاء موضوعين أساسيين مهمين ومرتبطين في منطق الثقافة المغاربية : الدين واللغة¹⁵. المقاومة التي لم تكن دائما سلبية حسب كولونا¹⁶، فبدل المقاطعة بادرت بعض القوى الاجتماعية الميسورة، خاصة في منطقة الشرق الجزائري، إلى تكوين نظام تعليم حر لا علاقة له بالزوايا التي تفوقعت حول نفسها وعادت من خلالها الحركة الإصلاحية ذات المنابع الشرق-أوسطية كما تقول الباحثة.. فالمسارات التعليمية لمؤسسي الحركة الإصلاحية يثبت أنه كان من الممكن في الجزائر التدريس بالعربية لغاية الالتحاق بجامعات عربية في تونس أو المغرب أو القاهرة بين 1890 و1920 في كل من قسنطينة وبجاية وميلة وعين البيضاء وبسكرة و تبسة على الأقل، إنها مدارس حضرية أو شبه حضرية وليست زوايا ريفية، فهذه العائلات كانت تبعث بأبنائها لإتمام تعليمهم في تونس أو المشرق، رغم أن هؤلاء المعلمين الذين كانوا يدرّسون في منطقة الشرق الجزائري وهؤلاء الأعيان الذين كانوا يدعمون ماديا هذه المدارس ليسوا مرابطين... إنهم في الغالب من البرجوازية الوسطى والكبرى، تجار من سكان المدن أو مُلاك عقاريون مقيمون بالمدن. مجموعات مختلفة لا يمكن الإمام بكل خصوصياتها إلا جزئيا، قررت أن تتجاوز مرحلة المقاومة السلبية عن طريق المقاطعة التي كانت هي السائدة كموقف¹⁷.

هذا التغيير في السلوك الجماعي الذي تربطه الباحثة بمؤشرات أخرى من بينها تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. لتضيف أنه « إذا كانت المقاطعة معقولة وليست في حاجة إلى تفسير بقدر ما هي في حاجة إلى وصف، فإن التغيير الحاصل بعد 1922 ومطالبة الجزائريين بالاستفادة من المدرسة الفرنسية بهذه الكثافة الكبيرة هي التي تبقى في حاجة إلى تفسير »، تقول الباحثة¹⁸، طلب عبّر عن نفسه بعدة طرق وأشكال، فالجزائريون طالبوا ببناء مدارس أو زيادة حجم الاستقبال في المدارس الموجودة عن طريق العريضة ومداولات الجماعة واللجان البلدية، فالقرى هي التي كانت تتطوع بسكنات كمقرات لهذه المدارس والأعيان هم الذين يتحملون مصاريف المعلمين من مالهم الخاص لتعليم أبنائهم اللغة الفرنسية، « وضع ليس خاصًا بمنطقة القبائل كما يمكن أن نتصور ذلك »، يضيف المرجع الرسمي الذي تستعمله الباحثة¹⁹.

15. نفس المرجع، ص 27.

16. نفس المرجع، ص 32.

17. نفس المرجع ونفس الصفحة.

18. نفس المرجع، ص 36.

19. نفس المرجع، هامش ص 36.

طلب كبير وبمختلف الأشكال، لم تعمل المدرسة الفرنسية بطابعها الكولونيالي على تحقيقه، مما جعل الباحثة تقول أن تلبية هذا الطلب لم تتم في نهاية الأمر، وهو ما بينه التطور البطيء للأرقام²⁰.

على العكس من ذلك، فقد نجحت المدرسة الفرنسية في إنجاز إحدى المهام المنوطة بها : التحضير (من حضارة) دون تغيير المواقع الطبقية (civiliser sans déclasser)، فالمدرسة الموجهة للأهالي وإلى نهاية الحرب العالمية الثانية لم تمس إلا شريحة صغيرة من المجتمع الجزائري : العمال الموجهين للعمل في الهجرة أو للعمل في مزارع المعمرين أو القيام بعملية انتقاء لنخبة محدودة جداً، من خلال التخصصات القاعدية، موجهة نحو القيام بمهام محددة داخل النظام الاستعماري²¹.

هذه المهمة التي نجحت فيها المنظومة المدرسية الفرنسية لأنها عرفت كيف تظهر كمؤسسة محايدة بعيدة بالقدر الكافي عن الجيش الاستعماري المبعوض من قبل الأهالي، وفي نفس الوقت ظهرت كمؤسسة مكروهة من قبل المعمرين، بدفاعها عن الحق في تدريس قيم ؛ فالمدرسة استطاعت، من خلال هذه الأدوار والمواقع وأكثر من أي مؤسسة استعمارية أخرى، أن تضيف الشرعية وتنشر فكرة ذلك التعارض المركزي الموجود داخل الخطاب الاستعماري في الجزائر « بين فرنسا المثالية وفرنسا الواقعية ».

في نهاية الأمر، تقول الباحثة أن القبول بهذا التعارض وتبنيه من قبل مجموعات ضمن المجتمع المسيطر عليه، هو الذي جعل إمكانية بروز نخبة أمراً مقبولاً من الناحية المنطقية وفعلاً من الناحية السياسية²².

نخبة لم يتمكن نظام التعليم التقليدي للأهالي من إنتاجها، كما لم يساعد التدهور الذي عاشته القيادات التقليدية للمجتمع الجزائري على بروزها رغم الحاجة الكبيرة والمتزايدة إليها لتسيير المجتمع المستعمر. مهام تقنية مُنحت في الأول لهذه النخبة قليلة العدد، لتتحول مع الوقت إلى مهام حضارية هدفها نشر قيم ومؤسسات المجتمع الغالب داخل المجتمع المغلوب.

فقد حُصّصت مهام من الدرجة الثانية لهذه النخبة التقنية وظروف عمل صعبة حتى وإن قامت بنفس المهام... فالمطلوب من هذه النُخب الجديدة أن تقوم بإنجاز مهام تقنية، لا يستطيع الأوروبيون القيام بها لكثرتها، خاصة تلك التي تتطلب التعامل باللغة العربية كالترجمة أو القضاء الإسلامي. فقد ترسخ داخل الوظيفة العمومي نوع من تقسيم العمل

20. انتقل عدد الأطفال الجزائريين المتدربين خلال نصف قرن من 10000 سنة 1890 إلى 100000 سنة 1945.

21. نفس المرجع، ص 63.

22. نفس المرجع، ص 74.

بين الأوروبيين والأهالي، يتم بموجبه تخصيص المناصب الأدنى (كالمواقع المخصصة للكتابة) في كل مهنة للجزائريين، مناصب عمل متميزة بظروفها القاسية وأجورها المنخفضة²³. المهمة الثانية ذات الطابع الحضاري المنوطة بهذه النخب العصرية يمكن أن نكتشفه بوضوح من خلال هذا الاستشهاد الذي تورده الباحثة ضمن دراستها²⁴:

« ما دام أننا لا نستطيع لا تهديم المساجد ولا إلغاء قانون الأحوال الشخصية الإسلامي في الحال، ولا فرض اللغة الفرنسية بالقوة على الأربع ملايين من الرعايا، سيكون من المفروض علينا ترك رجال الدين والقضاة والعلماء، حتى ولو لزم الأمر التأثير تدريجيا على هؤلاء «المديرين الروحيين» لتغيير المجتمع المسلم، مع الوقت، لكي يتبنى لغتنا وعدالتنا وسلوكياتنا وحتى تصوراتنا وعقائدنا الدينية والفلسفية... هذه الأدوار التي لا يقوم بها القضاة ورجال الدين فقط، فالمهمة مناعة كذلك بالمعلمين وأعوان الصحة كممثلين لهذه النخبة البينية (Intermédiaire) ».

وهي تقوم بعملية مقارنة بين أصناف المعلمين (معلمي مدرسة بوزريعة والمدرسين) والفئات المهنية البينية الأخرى المنتجة من قبل الحالة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، كأعوان الصحة، تلاحظ الباحثة: « إن مدرسة تكوين المعلمين تستحوذ على موقع متميز ومطلوب لدى تلاميذ الطور التحضيري، على الأقل، من الناحية التعليمية، موقع لا علاقة له بالدخل المالي ولا المهنة في حد ذاتها، مما يجعل مدارس تكوين المعلمين تستقطب أحسن الطلبة وأكثرهم تعبيرا عن إرادتهم الحسنة إزاء المدرسة الفرنسية، بحكم تقاليد العائلة أو حبا في الترقية الاجتماعية... فالكثير من المؤشرات تثبت أن مدرسة تكوين المعلمين تجلب الطلبة الأكثر جدية في عملهم وأكثرهم مرونة إزاء المدرسة الفرنسية. في المقابل نجد المدرسين، رغم مواقعهم الوسطى اجتماعيا، يفضلون التموقع الاجتماعي على أساس خصائص نوعية القرابة العائلية أو تقاليد عائلية مع وسط معرب أو الاثنين معا، أكثر من اعتمادهم على القيم التعليمية الفردية »²⁵

نسبة عالية من أبناء منطقة القبائل الريفية، لاحظت الباحثة وجودها أثناء دراستها للمعلمين، مما جعلها تحاول تفسير هذه الظاهرة التي تطرح مسألة الأدوار والعلاقات التي تقيمها المدرسة مع أي مجتمع وداخله عموما، والحالة الاستعمارية الاستيطانية، كما هو حال الجزائر، بصفة خاصة... إذا كان من المنطقي تصور أن المجموعات الأكثر تميزًا من الناحية الاقتصادية وجغرافيا والأكثر قربا (الأقل بعدا) من المجتمع المسيطر، هي التي تسمح لها ظروفها بإرسال أبنائها إلى مدرسة تكوين المعلمين، فإن وجود نسبة

23. نفس المرجع، ص 80.

24. نفس المرجع، ص 81.

25. نفس المرجع، ص 97.

عالية نسبيا من التلاميذ ذوي الأصول الريفية (53.7 بالمائة، من بينهم 41.7 بالمائة من أبناء الفلاحين الصغار) يطرح أكثر من مشكل ؛ فخلال هذه الفترة كان أسهل - كما يبدو - على أبناء الفلاحين الصغار من الجزائريين، الدخول إلى مدرسة المعلمين من أبناء العمال اليديويين، في حين أن كل التحاليل الكلاسيكية تؤكد بصفة عامة أن المدرسة كانت الأضعف مردودية عند الفلاحين لعدة أسباب متعلقة بجوانب إيكولوجية وجغرافية وثقافية.²⁶ لتتساءل الباحثة : « ألا تنطبق هذه القاعدة على المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة من تاريخه ؟ ».

لتفسير هذه الظاهرة تقول الباحثة أنه إذا كان كل الريفيين بعيدين عن المجتمع المسيطر، بُعدًا يزداد كلما تقدمت الحالة الاستعمارية... فإن منطقة القبائل هي المنطقة الريفية الوحيدة التي كان المجتمع المسيطر يصر، في نهاية القرن التاسع عشر، على الاقتراب منها من خلال المدرسة، فحضور المدرسة يعد قربا فعلا من نوع خاص، يختلف عن القرب الجغرافي للمدينة، ف 89 بالمائة من التلاميذ الفلاحين هم من أبناء منطقة القبائل وبعض القرى والقبائل فيها على وجه الخصوص، كمنطقة بني يني وقرية تاوريرت ميمون وتيزي راشد وجماعة صهاريج... إلخ.²⁷

هذا المتابعة التاريخية لدور المدرسة الفرنسية من خلال مدرسة تكوين المعلمين، هي التي جعلت الباحثة ترى أن المدرسة الفرنسية - مع مؤسسات أخرى - قد لعبت دورا محددا في هيكلة المجتمع الجزائري، بسبب الطابع الاستيطاني للاستعمار وانهيار الهياكل التقليدية للمجتمع الجزائري على وجه الخصوص. من ضمن هذه الأدوار تذكر الباحثة تكوين نخبة متوسطة كثيفة الحضور نسبيا من حيث الكم وذات تحضير جيد.²⁸

نفس الرأي تذهب إليه الباحثة في خلاصتها العامة للدراسة عندما تصرح أن المدرسة الفرنسية ودون أدنى شك، قد قامت بعملية تغيير عميق للفضاء الاجتماعي الجزائري، تغيير لم يكن لا مقصودا ولا متحكما فيه كلية من قبل النظام الاستعماري نفسه. مثال المعلمين الأهالي يؤكد هذا الرأي، حسب الباحثة، المثال الذي ترى فيه حالة ترقية اجتماعية جديرة بالاهتمام، فهؤلاء الذين « فقدوا انتماءاتهم » الطبقيّة والقبلية « منزوعي الجذور » الذين كان يتخوف منهم كثيرا، ممثلي الحزب الاستعماري بالجزائري، ازداد عددهم بالفعل أكثر فأكثر خلال الفترة الأخيرة من الحقبة الاستعمارية، لتضيف أن بعض المناطق وبعض القرى داخل منطقة القبائل وحتى خارجها في جهات أخرى، وبفعل المدرسة تحديدا، قد استفادت من تقدم اقتصادي فعلي، كما أن جزءا من الحركة

26. نفس المرجع، ص 101.

27. نفس المرجع، ص 106.

28. نفس المرجع، ص 123.

الوطنية قد تأثر بطريقة واضحة بالقيم التي يروج لها التعليم بالفرنسية، لدرجة أنه وحتى بالنسبة للمقاومة الثقافية التي حملت لواءها فئات غير مفرنسة قد تأثرت هي الأخرى بطريقة غير مباشرة بنظام تعليم مهيمن، في شكله العام والمركزي وفي محتواه كذلك، على الأقل من حيث اختياره هذه الأوساط لثقافة ولغة عالمة، خيار لم يكن مفروغا منه في بلد متميز بثقافة شفوية وريفية في الغالب²⁹.

البث والاستقبال، بدل المقاومة

من الدراسات المعمقة الحديثة نسبيا³⁰ التي خصصت للمنظومة التعليمية الفرنسية وآثارها في المجتمع الجزائري، زيادة على دراسة السيدة فاني كولونا المخصصة كلية لمؤسسة تكوين المعلمين الأهالي (بوزريعة)، بالإضافة إلى ما جاء في دراسة بيرفلي حول طلبة الجامعات الفرنسية وأجرونها التي كانت أكثر عمومية رغم أهمية ما جاء فيها حول المدرسة والتعليم، نجد دراسة عيسى قادري التي ركزت على تعليم القانون في المجتمع الاستعماري وما بعد الاستقلال.

في القسم الأول من دراسته، يحاول قادري إعادة النظر فيما سمي بالمقاومة السلبية، وهو الرفض الذي قد يكون المجتمع الجزائري وبعض فئاته على الخصوص قد قاوم به المدرسة الفرنسية حسب الكثير من الدراسات والآراء الشائعة التي تعرفنا على بعضها مع كولونا وبيرفلي. قادري الذي حاول كذلك من خلال دراسته هذه إعادة النظر في عمليات التحقيق التي حاولت بعض الدراسات إقامتها لفهم الأدوار التي قامت بها المدرسة الفرنسية داخل المجتمع الجزائري.

بالنسبة لعيسى قادري، حتى يمكن الحديث عن رفض للتعليم الفرنسي من قبل المجتمع الجزائري، وحتى طلب، لا بد أن يكون هناك عرض، تعبر عنه إرادة فعلية للسلطات الاستعمارية في نشر التعليم بين الجزائريين. الموارد المالية المقترحة، التذبذب والعراقيل الموضوعية أمام تعليم واسع للجزائريين، تكذب هذه الادعاءات، حتى بالنسبة لفترة ما بعد 1883 تاريخ صدور قانون جول فيري³¹، حتى وإن اعترف الباحث أن هذه الفترة مهمة في التغيير الذي حصل على السياسة التعليمية الفرنسية التي أصبحت أكثر تجانسًا بالمقارنة مع ما كان سائدا قبلها³².

29. نفس المرجع، ص 198.

30. Aïssa Kadri, *Le droit a l'enseignement et l'enseignement du droit. contribution a une analyse des fonctions du systeme de l enseignement superieur algerien ?* These de doctorat Ehess, Paris, 1992, 2 T, 757 pages.

31. نفس المرجع المذكور أعلاه، ص 47.

32. نفس المرجع، ص 46.

بدل الانطلاق من تحاليل تعتمد على الكم والعدد في هذا الصدد، يقترح الباحث مقاربة تعتمد، بالعكس، على ما سماه بشروط البث والاستقبال... « فتاريخ السياسة التعليمية الاستعمارية لم يكن أبدا تاريخ حركة تحضير طويلة المدى للسكان المحليين، يظهرون فقط من خلال رفضهم، فهذه السياسة تظهر خاصة كسيرورة متناقضة، محدداً لها، لا يجب البحث عنها لدى الذين يقومون ببث هذه السياسات فقط، بل لدى مستقبلها كذلك... » فالمهم عند تحليل دور المدرسة الفرنسية، هو كيف تم تلقيها وترجمتها وضمها كبث، اعتماداً على خصائص وشروط المجتمع المتلقي ذاته.³³

كغيره من الدارسين للموضوع، يقر الباحث أن من بين ما سماه هو بمحددات البث، كان ذلك الغموض الذي ميز السياسة التعليمية الفرنسية ذاتها، غموض ارتبط في المرحلة الأولى من الحضور الاستعماري بالموقف من المستعمرة نفسها، ليستمر مع الوقت كموقف عام تعبّر عنه هذه السياسة التي رفضت أن يكون هناك احتكاك واسع للجزائريين مع المدرسة وألا يتجاوز حدّاً معيّناً معلوماً في كل الحالات عند حدوثه.³⁴

التعليم، بين الندرة والانتقائية

قد يكون من المفيد بالنسبة لدراستنا أن نقوم بعملية قياس دقيق لهذا الاحتكاك الضعيف الذي كان للمجتمع الجزائري مع المدرسة الفرنسية لمعرفة من استفاد أكثر من غيره من الفئات الاجتماعية المختلفة في إطار هذه الندرة التي ميزت التعليم في الجزائر بشقيه الفرنسي والتقليدي الذي لجأ إلى تكوينه السكان الأهالي. مهما كانت الفترة التاريخية المدروسة، هناك تشابه كبير في الأرقام نجده في كل الدراسات، يؤكد الطابع الانتقائي الذي ميز المدرسة الاستعمارية في الجزائر، وهي نفس الأرقام التي يشهد بها قادري على غرار كلونا وحتى أجرون. فقادري على سبيل المثال يؤكد وهو يعلق على المعطيات الإحصائية المتوفرة أن نسبة الأطفال الجزائريين المتدربين بعد ست سنوات من قانون 1883 الشهير لا تتجاوز 2 بالمائة، في حين أن هذه النسبة وفي نفس الفترة تصل إلى 84 بالمائة للمعمرين³⁵، أمّا نسبة تـمدرس الأهالي فلم تتجاوز 10 بالمائة حتى فترة الحرب العالمية الثانية (1943) رغم كل ما قيل عن التطور الكمي للتعليم الفرنسي خلال هذه الفترة³⁶، وهو ما يكذب بشكل قاطع محاولات تمجيد الاستعمار وطابعه الحضاري الذي حاولت السلطات الفرنسية في السنوات الأخيرة تقنينه خلال حكم الرئيس ساركوزي.

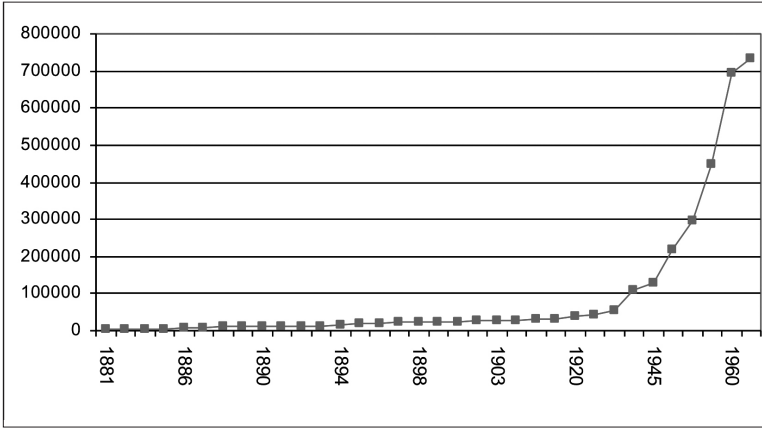
33. نفس المرجع، ص 48.

34. نفس المرجع، ص 78.

35. نفس المرجع، ص 73.

36. نفس المرجع، ص 75.

تطور عدد التلاميذ الجزائريين بين سنتي 1881 و 1961 المرحلة الابتدائية



نفس المعطيات تقريباً ونفس المراجع³⁷ تعتمد عليها فاني كولونا للحديث عن نفس الظاهرة وبنفس الأسلوب تقريباً، فما سماه قادري بتطور بطيء وهو يتحدث عن الجوانب الكمية³⁸، سمته كولونا بالتأثير الضعيف والنمو البطيء³⁹، لتذكر أن عدد التلاميذ الجزائريين قد انتقل عموماً من 10000 تلميذ إلى 100000 تلميذ بين 1890 و1940، أي مدة نصف قرن، لتعرف مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية تطوراً أكبر في خمس عشرة سنة فقط من 10000 إلى 700000، تطور تفسره الباحثة بالاستقرار السياسي النسبي الذي عاشته الجزائر خلال هذه الفترة، لتضيف أن هذه الزيادة الملحوظة ستكون النظرة لها أكثر نسبية إذا راعينا تطور تدرس التلاميذ الأوروبيين خلال نفس الفترة وإلى غاية 1939، فالأوروبيون لا يمثلون إلا 15 بالمائة من السكان الإجماليين للجزائر في حين أنهم يحتلون الأغلبية الساحقة من المقاعد الدراسية إلى غاية هذا التاريخ.

فإذا كانت نسبة التلاميذ المسلمين لا تنتقل خلال مدة أربعين سنة إلا من 7 بالمائة إلى 43 بالمائة من سنة 1883 إلى 1930، فإن المسلمين كانوا دائماً يمثلون الأغلبية الساحقة من السكان خلال هذه الفترة، بين 85 و86 بالمائة، رغم ضعف حضورهم داخل المدرسة الذي تعطي بصدده الباحثة بعض النسب المعروفة والمتداولة لدى الدراسات الأخرى المذكورة، فقد كانت نسبة التمدريس لا تزيد عن 2 بالمائة سنة 1889 على سبيل المثال، ولم تتجاوز هذه النسبة 10 بالمائة (8.9 بالمائة بالضبط) سنة 1930، و15 بالمائة سنة 1954⁴⁰.

37. Ali Merad, *Regards sur l'enseignement des musulmans en Algérie 1880/1960*, in confluent ; juin-juillet 1963.

38. نفس المرجع، ص 73.

39. كولونا، ص 49.

40. كولونا، ص 50.

نسب لا علاقة لها بتلك النسب المسجلة لدى العنصر الأوروبي خلال نفس الفترة، فقد سجلت نسبة تـمدرس تضاهي الـ 84 بالمائة سنة 1901 على سبيل المثال.

هذا الواقع الاستعماري، هو الذي يكون وراء ظهور ذلك المجهود الذي قام به الأهالي في بناء منظومة تعليمية موازية لتلبية جزء من الطلب الاجتماعي على المدرسة والذي رفضت المدرسة الفرنسية تلبيةه.

عيسى قادري يذكر اعتمادا على مراجع جزائرية⁴¹ معروفة، أن جمعية العلماء الجزائريين كانت من بين الحركات الثقافية الاجتماعية الأكثر حضورا داخل المجتمع الجزائري خلال فترة ما بين الحربين، في الميدان التربوي⁴². حضور يعود - كما يفسره المرجع - إلى دور النخبة القسنطينية وما ميزها من خصائص قديمة تعود إلى فترة 1887، رغم أن جمعية العلماء لم تجدد على مستوى نوعية الطلب الثقافي (حسب الباحث)، فكل ما قامت به هذه الحركة الحضرية من ورثة البرجوازية القسنطينية في أصولها الأولى على الأقل، هو تعميق هذا الطلب ومنحه خصائص لغتها و منهجيتها الخاصة⁴³. الجمعية التي طورت نظامها التعليمي، رغم كل العراقيل الموضوعة أمامها من قبل الإدارة الفرنسية، فقد تمكنت الجمعية من تكوين 70 مدرسة مكونة من قسم وقسمين خلال فترة (1934-35)، فإذا أضفنا المدارس الأكبر المكونة من عدة أقسام والموجودة في قسنطينة والجزائر وتلمسان، نكون أمام عدد من التلاميذ يصل إلى 30000 من الجنسين على مستوى كل الجزائر، في حين لم يكن عدد التلاميذ الجزائريين داخل المدارس المخصصة للأهالي في نفس الفترة التاريخية إلا 68000 و 20000 داخل مدارس الفرنسيين أنفسهم.

عدد المدارس هو الآخر عرف تطورا كـميا واضحا بعد الحرب العالمية الثانية ليصل إلى 90 مدرسة سنة 1947، و 127 سنة 1951، يؤطرها 275 أستاذًا ويدرس فيها 42000 تلميذ، ليقفز عدد المدارس إلى 181 مدرسة و 450000 تلميذ في 1954، بالإضافة إلى بعض المئات من الطلبة الجزائريين الدارسين بالجامعات العربية كالزيتونة والقرويين⁴⁴.

ليعرف التعليم - بما فيه التعليم الجامعي - انتشارا واسعا بعد الاستقلال اعتمادا على جامعة الجزائر العاصمة إلى غاية منتصف السبعينات. تاريخ توسعه وبناء جامعات أخرى بداية من وهران وقسنطينة. نظام تعليم كانت مؤسساته جزئيا على الأقل بالنسبة للجيل الصغير في السن وراء ظهور هذا الفصيل من النخبة الوزارية التي استمرت في التوجه نحو

41. مصطفى لشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، وعلى مراد : Ali Merad, *Le réformisme musulman en Algérie de 1925 à 1940, essai d'histoire religieuse et sociale* ; Paris, Édition Mouton, 1967.

42. قادري، ص 88.

43. نفس المرجع، ص 88.

44. نفس المرجع، ص 91.

الجامعات الغربية لاستكمال الدراسات العليا المتخصصة كما هو مبين في أكثر من حالة بالنسبة للكثير من التخصصات، حتى عندما تكون الانطلاقة في التعليم من الجزائر في بداية المسار التعليمي، كما هو الحال في العلوم التكنولوجية وعلوم المهندسين وحتى الأطباء الذين عادة ما يطورون تخصصاتهم خارج الجزائر. ليبقى خريجو المدرسة الوطنية للإدارة على رأس الفئات التي اكتفت بتعليمها داخل الجزائر للتوجه مباشرة نحو سوق العمل.

لنكون أمام حالات تميز مثل مدينة ندرومة بولاية تلمسان التي استفادت من انتشار التعليم الفرنسي الذي تكلم عنه الباحث الفرنسي وعن آثاره وهو يذكر⁴⁵ أن السيطرة الاقتصادية الكبيرة التي فقدتها البرجوازية الحضرية على العالم الريفي مع الوقت في هذه المنطقة، قد عوضتها بشكل جديد بواسطة الهيمنة عن طريق التعليم هذه المرة، بالتعاون مع الإدارة الفرنسية، سمحت لها هذه السيطرة بعيدة المدى بالوصول إلى المغرب الأقصى، عن طريق جيش من الموظفين تمكنت من إنتاجه هذه المدينة « المشتلة » التي استفادت فيها مختلف القوى الاجتماعية من المنظومة التعليمية الفرنسية، في حالة مدينة تقليدية مثل ندرومة التي بنيت فيها أول مدرسة سنة 1845⁴⁶، استفاد منها ثلاثون تلميذاً من أبناء عائلات معروفة في المدينة تزاوّل التجارة..

الجدول رقم 14 : المستوى التعليمي للجد من الأب

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي
3	3	جامعي
13.1	13	متوسط
17.2	18	ابتدائي
66.7	66	من دون مستوى
100	100	المجموع

الجدول رقم 15 : المقارنة بين المستوى التعليمي للجدين

الجد من الأم %	الجد من الأب %	المستوى التعليمي
4	3	جامعي
15.2	13.1	متوسط
19.2	17.2	ابتدائي
61.6	66.7	من دون مستوى
100	100	المجموع

45. Gilbert Granguillaume, *Nedroma, l'évolution d'une medina*, Éd. E.J. Brill, Leiden, 1976, p. 30.

46. نفس المرجع، ص 134.

المستفيدون اجتماعيا واقتصاديا هم المستفيدون ثقافيا

بعد عرض أهم الخطوط العامة وبعض التفاصيل حول وضعية التعليم في المجتمع الجزائري منذ الاحتلال، وما ميزه كوضع، لا يمكن أن نستغرب تلك النسبة العالية من الأمية المنتشرة على مستوى جيل جدّي الوزير، كما يتبين في الجداول المعروضة⁴⁷، والذي تجاوز حاليّين من ثلاثة (61.6 للجد من الأم و66.7 من الأب). نسبة تقلصت على مستوى جيل الأب، دون أن تختفي تماما. أمّا جيل الوزراء فقد كانت استفادتهم واضحة من التعليم الذين تلقّوا جزءًا كبيرًا منه داخل منظومة التعليم الوطني، حتى وإن قاموا بتحسينه في الجامعات الغربية التي كانت أكثر حضورا من الجامعات العربية قليلة الحضور، كما سيتبين لنا ونحن نستعرض حالة الوزراء أنفسهم.

وعلى العكس تماما، فالباحث المتمعن يمكن أن تسترعي انتباهه تلك النسبة المرتفعة إلى حد ما للجدّين المتعلمين، الحاصلين على الحد الأدنى من التعليم بمختلف مستوياته (حوالي ثلث العينة الإجمالية خرج من الأمية)، وصلت في بعض الحالات إلى الاستفادة من التعليم العالي في حوالي أربع حالات بالنسبة للجد من الأم وثلاث حالات بالنسبة للجد من الأب.. ناهيك عن التعليم الابتدائي الذي كان الأكثر انتشارا لدى أبناء هذا الجيل (19.2 بالنسبة للجد من الأم و17.2 للجد من الأب)، بغض النظر عن اللغة التي تم بها هذا التعليم والمؤسسة التي تم داخلها، عصرية أو تقليدية، وهو ينجز في أغلبيته الساحقة داخل الجزائر... مما قد يعني للوهلة الأولى أننا أمام أوساط متميزة ثقافيا، وقد عرفنا أن الوزير الجزائري على مستوى جيل الجدّين متميز من الناحية الاجتماعية والاقتصادية كذلك، للدور الكبير الذي تحتله الفئات المالكة الكبيرة والمتوسطة في عملية إنتاج النخبة الوزارية الجزائرية. فئة تزداد حضورًا إذا أضفنا إليها تلك الفئات القريبة من الظاهرة الاستعمارية كالقياد والبشاعات.

إنها بعض القضايا التي سنناقش تفاصيلها عند التطرق إلى موضوع لغة الدراسة لدى مختلف الأجيال وما لهذه القضية من تداعيات مختلفة على المستوى المهني والسياسي، علما بأننا ضمن هذا الجزء من الدراسة لم نطلب دائما لغة تعليم الجدّين، كما فعلنا ذلك بالنسبة للأب والوزير نفسه، مما لا يسمح لنا بوضع جدول بمعطيات كمية للحديث عن لغة تعليم الجدّين، والاكتفاء بالتذكير بلغة التعليم كلما كان ذلك ممكنا ومهما، خاصة في علاقاته بمؤسسات التكوين والمهنة التي عادة ما تؤثر عن لغة التعليم، بل ومؤسساته كذلك.

47. الجداول الإحصائية قمنا فيها بتفريغ معطيات تتعلق بمائة حالة من الرجال والنساء، كما كان الحال ونحن نقوم بالتحليل النوعي الكلي، في حين اكتفينا ونحن نحلل هذه المعطيات الكمية بالكلام عن الرجال فقط هنا. لذا يجب التوجه نحو قسم الدراسة المخصص للنساء الوزيرات للتعرف على حالة الوزيرات.

علما أن مهنة الجدين يمكن أن تساعدنا في تحديد مستواه التعليمي، في الكثير من الأحيان أو على الأقل تحديد الخروج من مرحلة الأمية، فالكثير من المهن لا يمكن أن يقوم بها إنسان أمي، مهما كانت الظروف الخاصة التي مرت بها الجزائر والوضع الاستعماري الذي ميزها، خاصة إذا تعلق الأمر بمهن «عصرية»، يتطلب القيام بها الخروج من الأمية الأبجدية بالضرورة. مما يعني أننا سنحاول القيام بعملية الربط بين متغير الأصول الاجتماعية التي تعرفنا عليها من المهن والمستويات الثقافية أو الأصول الثقافية للعائلة من خلال المستويات التعليمية للجدين والأب. ربط يملك أكثر من مبرر وشرعية نتيجة هذا التشابه والتجانس الكبير في الأصول الثقافية والاجتماعية والاقتصادية التي لاحظناها سابقا.

قبل البدء في تحليل المعطيات التي في حوزتنا، وأمام التشابه الكبير الملاحظ في الأصول الثقافية على مستوى جيل الجدين، كما كان الشأن بالنسبة للأصول الاجتماعية، فإننا سنقوم بمناقشة النتائج بالنسبة للجدين بطريقة مجتمعة، والتذكير بالفروق الموجودة عند كل حالة وكل ما أمكن ذلك. إن المعطيات التي في حوزتنا تؤكد أنه، وزيادة على هذا التجانس من حيث الأصول الاجتماعية والثقافية العلمية على مستوى الجدين، يمكن ملاحظة نتائج استمرار ندرة التعليم على مستوى هذا الجيل الذي لا يتعدى عدد الحاصلين على تعليم عالٍ ضمنه إلا حوالي عشرة حالات (حوالي 10 بالمائة)؛ مما يعني أننا أمام فئات محظوظة جدا على هذا المستوى بمقاييس المجتمع الجزائري وحالته الكولونيالية، خاصة عندما يتعلق الأمر بسن الجدين المولودين في الغالب خلال فترة (1850-60)، رغم الاختلاف بين حالة وأخرى.

فمن هم الوزراء أبناء هذا الوسط المحفوظ الذي تمكن فيه الجدّان أو أحدهما من الحصول على هذا المستوى العلمي خلال هذه الفترة من تاريخ المجتمع الجزائري؟ ومن هم أبناء العائلات التي سادت لديها الأمية، مثل الكثير من الأوساط الاجتماعية الجزائرية؟ وهل هي تلك الأوساط الفقيرة أم أن اليسر الاقتصادية والمكانة الاجتماعية لا علاقة لها بالمكانة العلمية وانتشار الأمية، كما وضحت ذلك بعض الدراسات (كولونا)؟ وهل هناك علاقة ارتباط بين بعض المستويات التعليمية العالية الملاحظة وبين مؤسسات تكوين وتنشئة مثل الزوايا أم أن هذا النوع من الترابط لا بد من البحث عنه في علاقات أخرى مع مؤسسات تعليمية عصرية أو حتى تقليدية في الجزائر والخارج، كما كان الحال مع جامعات عربية تقليدية مثل الأزهر أو الزيتونة أو القرويين بالمغرب؟

وهو ما قد يتطلب القرب الجغرافي من هذه الجامعات كما هو حال أبناء الحدود الغربية أو الشرقية، أو «القرب الاجتماعي» الذي يسهله ويسمح به الوضع الاقتصادي للعائلة، عندما تكون ميسورة الحال. دون أن ننسى اعتبارات أخرى مهمة متعلقة بالمقاومة

التي أبدتها الكثير من الأوساط الاجتماعية في الريف والمدينة على وجه الخصوص للظاهرة الاستعمارية في مجال التعليم تحديدا، كما بينت ذلك الكثير من الدراسات ؛ مما جعلها تركز على تعليم أبنائها خارج المنظومة التعليمية الفرنسية في المرحلة الأولى لتغير من استراتيجيتها في المرحلة الثانية وتقرر الاستفادة القصوى من المدرسة الفرنسية.

الجد... عندما تسود الأمية

سيادة الأمية على مستوى جيل الجدين، كما هو واضح من خلال الجدول السابق، لن تسمح لنا بعرض كل حالات الأمية التي تميز هذا الجيل، فالأمية من جراء انتشارها العادي في الحالة الاستعمارية واتساع رقعتها على مستوى هذا الجيل تحديدا، ليست مشكلا في حد ذاتها ولا تحتاج تفسيراً بقدر ما تحتاج إلى وصف ؛ فالذي يمكن أن يكون حالة على العكس ويستدعي التفسير هو شروط الاستفادة من التعليم بالنسبة لهذه الأجيال، لذا سنكتفي ضمن هذا القسم بتقديم الحالات التي تكون فيها الأمية غير مرتبطة بوضع اقتصادي-اجتماعي ميسور، بعد أن لاحظنا في العديد من الحالات أن اليسر الاقتصادي لا يساوي بالضرورة الاستفادة من التعليم دائما في الحالة الاستعمارية الاستيطانية التي عاشتها الجزائر، حتى ولو كان الفقر أكثر ارتباطا بالأمية، مما يفرض علينا الاهتمام بهذه الارتباطات وتفسيرها من خلال دراسة الحالة التي نقوم بها للوزراء الجزائريين، ضمن الوضع الاستعماري الذي عرفته الجزائر بكل ملابساته الاجتماعية والثقافية التي تعرفنا على بعض خصائصها واتجاهاتها عند التطرق إلى الوضع الثقافي والتعليمي العام وموقف المجتمع الجزائري منه عبر بعض قواه التقليدية و« العصرية »، وكيف تطورت الكثير من المعطيات مع الوقت... علما بأن الكثير من الدراسات التاريخية تؤكد على أهمية هذه المرحلة التي يكون قد ولد فيها جذا الوزير، كمرحلة انطلاق سياسية تعليمية استعمارية جديدة، حاولت الخروج دون نجاح كبير من تخبط سياسات المرحلة الأولى التي تلت الاستعمار مباشرة.

الجد الأمي والفقير. المدينة التي لم تساعد في الخروج من الأمية

ونحن نقوم بالربط بين المستويات الاقتصادية والاجتماعية وانتشار التعليم، سنجد أن الكثير من الوزراء الذين سادت الأمية ضمن عائلاتهم هم من أبناء العائلات الفقيرة وحتى المتوسطة في بعض الأحيان كجدّي محمد سلوقي وعبد الرحمن بلعياط وبابو لخضر وايسلي محمد أرزقي ومحمد قرطبي ومسعود زيتوني وأحمد حوحت ومحمد ناي وعلي هارون وسقفاي زين الدين وبشير رويس وبوجمعة عبد القادر على سبيل المثال، الذين لم تشفع لهم المدن التي ولدوا أو تربوا فيها كقسنطينة وجيجل وعزابة وسطيف

والمسيلة والجزائر العاصمة والمدية... إلخ، في الحصول حتى على تعليم ابتدائي، فيبدو أن الفقر كان حاجزا منيعا أمام أبناء هذا الجيل في الحصول على الحد الأدنى من التعليم، حتى وإن اقتربوا جغرافيا من المدرسة من خلال تواجدهم داخل المدن الكبرى والمتوسطة التي عرفت انتشار المدرسة قبل الريف.

المدن الصغيرة والمتوسطة التي رأينا أنهم لم يكونوا دائما من سكانها الأصليين، فقد دخلوها ابتداءً من هذا الجيل بالذات، جيل الجديين أو جيل الأب فيما بعد، كما كان الحال الكثير من العائلات التي دخلت العاصمة كعائلة هارون ومحمد نابي، أو قسنطينة بالنسبة للكثير من الأسر كعائلة أومزيان مولود التي هاجرت من منطقة القبائل الصغرى، أو عائلة بيطاط أو منتوري التي هاجرت إلى قسنطينة في المرحلة الأولى، قبل الانتقال إلى سطيف على مستوى جيل الأب.

الزاد التعليمي الوحيد الذي يبقى متاحا أمام هذه الفئات في حالة خروجها البسيط من الأمية هو حفظ بعض الأجزاء من آيات أو سور من القرآن لاستعمالها في الصلاة على وجه الخصوص، دون التمكن دائما من قراءة القرآن، لدرجة أن حفظ آيات من الكتاب المقدس قد تحوّل إلى « الثقافة » الوحيدة المتاحة أمام هذه الفئات الفقيرة الريفية أو المدينية، حديثة التحضر في الغالب الأعم. فبشير رويس وزير الاتصال والإعلام في منتصف الثمانيات على سبيل المثال، مازال يتذكر كيف أن...

« العائلة لم تكن تسمح لأبنائها بالنزول إلى سوق مدينة المدية أو المدن المجاورة الأخرى القريبة قبل حفظ القرآن ».

... مثلها مثل المناطق الحدودية

رغم أن تأثير المدينة في استفادة جيل الجد لم يكن هاما ومحددا، كما بينا ذلك من خلال حالة الكثير من العائلات الجزائرية التي لم تستفد من أي تعليم، سواء أكان عصرياً أو تقليدياً وهي داخل المدينة، فإن القرب الجغرافي من الحدود الغربية (المغرب) والشرقية (تونس) لم يكن عاملا مساعدا في استفادة جيل الجد من أي مستوى تعليمي بالنسبة لهذه العائلات الفقيرة الريفية في الغالب، عكس الاستفادة التي سنسجلها عند الحديث عن جيل الأب والحفيد (الوزير نفسه).

فجداً مراد خلادي - كاتب الدولة للبحث العلمي ضمن طاقم حكومة غزالي (1992) - الفلاحان، من بني سنوس الأمازيغية بولاية تلمسان الحدودية، على سبيل المثال، كانا أميين، وهو نفس حال جدّي محمد غريب - وزير العمل في حكومة حمروش - الندروميين التلمسانيين، الفلاحين الصغريين. عائلة غريب التي هاجرت إلى المغرب (على مستوى جيل الأب)، إلى قرية أحفير بالذات بالقرب من مدينة وجدة المغربية، لم تستفد من التعليم

العصري، كما سئى ذلك بالتفصيل، إلا على مستوى جيل الحفيد أي الابن محمد، فالأب غريب هو الآخر كان أميا مثله مثل الأم.

عائلة حاجيات، التلمسانية هي الأخرى، عرفت سيطرة الأمية على مستوى جيل الجدين، رغم الطابع المهني الحرفي للعائلة، القرية من عائلة مصالي الحاج (جدة حاجيات كميل من الأم أخت مصالي الحاج نفسه). العائلة التي هاجرت أيضًا إلى المغرب، على مستوى جيل الأب الذي احترف التجارة الصغيرة كبقال، ليكون الجيل الأول المستفيد من المدرسة الفرنسية العصرية، عكس الأم الأمية. عائلة حاجيات التي سنعرف لاحقا كيف كانت استفادتها كبيرة وواسعة على مستوى جيل الأبناء الذين التحقوا كلهم تقريبا بالتعليم العالي، رغم أن الهجرة إلى المغرب، وعكس عائلة غريب، لم تدم كثيرا، فقد قرر الأب العودة مباشرة بعد الاستقلال، كما حصل مع الكثير من العائلات الجزائرية المهاجرة. في شمال ولاية تلمسان، وفي مسيردة بالتحديد، يمكن الحديث كذلك عن عائلة سوفي الفلاحية، صاحبة الملكية المتوسطة من جهة الجدين، العائلة التي سادت فيها الأمية إلى غاية جيل الحفيد لحسن سوفي -الضابط بالجيش الوطني الشعبي برتبة رائد، ووزير العدل خلال فترة حكم الرئيس الشاذلي - فقد كان الجدان أميان مثل الأب سوفي الفلاح المتوسط هو الآخر، وكانت الاستفادة من نظام التعليم المغربي التقليدي (القرويين بفاس) بفضل هجرة الحفيد لحسن الذي توجه لاحقا نحو الأزهر ليكون بذلك من الوزراء القلائل⁴⁸ الذين تخرجوا من هذا التعليم التقليدي الذي لم يسعفه في اندماجه المهني داخل النخبة العسكرية والسياسية.⁴⁹

في مدينة تلمسان ذاتها، يمكن الحديث هذه المرة كذلك عن عائلة الجنرال رشيد بن يلس⁵⁰ - وزير النقل (1986-88) - التي عرفت نفس محطة الهجرة إلى فاس المغربية،

48. بالحديث عن خريجي الأزهر، يمكن إضافة أحمد بن فريحة - ابن ولاية معسكر - وزير الفلاحة في عهد الرئيس بن جديد، وكاتب الدولة للصيد البحري (1980-84)، ووزير الري والأشغال العمومية إلى غاية 1988، الذي تخرج من الأزهر بعد المرور على معهد بن باديس بقسنطينة، والتوجه لاحقا إلى موسكو لإتمام تعليمه كمهندس في دفعة طلابية من تنظيم الحكومة المؤقتة في السنوات الأخيرة قبل الاستقلال.

49. انظر المسار المهني والسياسي للرجل الذي عرف الكثير من نقاط التشنج مع محيطه أثناء ثورة التحرير في تونس وبعد ذلك خلال مرحلة الاستقلال قد لا تكون بعيدة عن مساره التعليمي التقليدي وبعض الحدة في شخصيته. انظر للمزيد من التفاصيل : ناصر جاني، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 429.

50. الجنرال بن يلس من الوجوه التي تميزت بمسار عسكري وسياسي غير غطي هو الذي التحق بجيش التحرير على تراب الولاية الخامسة بعد الحصول على شهادة البكالوريا في سنة 1957. ليتم توجيهه للحصول على تدريب عسكري في مصر في مجال البحرية قبل الدخول إلى الجزائر بعد الاستقلال للانضمام للجيش الوطني الشعبي للوصول إلى الأمانة العامة لوزارة الدفاع (1984-86) لينتقل إلى وزارة النقل بعد إبعاده من موقعه العسكري. بالإضافة إلى عضوية المكتب السياسي لجهة التحرير. كان من العسكريين القليلين الذين اتخذوا مواقف سياسية معارضة في خلال فترة حكم بوتفليقة ابن جهته. لمزيد من التفاصيل انظر المذكرات التي كتبها الرجل.

Rachid Benyelles, *Dans les arcanes du pouvoir*, Éditions Barzakh, Alger, 2017.

التي أقام بها الأب التاجر الأمي، مثله مثل الجدين الفلاحين. عائلة بن يلس التي لم تستفد هي الأخرى من هذا القرب الجغرافي من المغرب والطابع الحضري والثقافي لمدينة تلمسان، إلا على مستوى جيل الابن الذي سنعرف فيما بعد عند الدخول في تفاصيل تعليم الوزير الجزائري أنه تلقى تعليمه الثانوي بمدينة فاس المغربية، بعد التحاقه بالأب هناك ابتداءً من سنة 1948.

مقارنة بسيطة مع الحدود الشرقية تبين أن الهجرة إلى تونس لم تكن بهذه الكثافة التي قام بها أبناء المنطقة الغربية والتلمسانيون على وجه الخصوص، فالهجرة إلى تونس كانت فردية أكثر ولا تملك نفس العمق التاريخي على الأقل ونحن نتكلم عن النخبة الوزارية، فقد تمت في الغالب على مستوى جيل الوزير نفسه، كما سنعرف ذلك عند الحديث عن تعليم الوزراء، وهو ما يتأكد من حالة عائلة مساعدية السوهراسية، على سبيل المثال، التي سادت لديها الأمية على مستوى جيل الجدين، مثلها مثل بعض العائلات التبسية، كما كان حال عائلة مقداد سيفي والهادي لخضيري أبناء ولاية تبسة الحدودية... إلخ.

عندما يكون الجد غنياً لكنه يبقى أمياً

رغم أن الجد الأول، علي شيبان، كان معلماً معروفاً بكل زوايا منطقة القبائل، فإن الجد شيبان، الفلاح الميسور، كان أقرب للأمية، كما وصفه الحفيدان عبد الرحمن والسعيد، وزيراً الشؤون الدينية في حكومتين مختلفتين في الثمانينات، تأكيداً لعادة سيطرة أبناء منطقة القبائل الصغرى على هذا الموقع الديني السياسي، مما يعني أن مسار العائلة قد عرف انقطاعاً في تعليم أبنائها على مستوى جيل الجدين، لتجدد العائلة علاقتها القوية مع التعليم، مع جيل الابنين الوزيرين اللذين نجحا في دراسات علمية عصرية وتقليدية في الزيتونة بتونس بالنسبة لعبد الرحمن وستراسبورغ بفرنسا بالنسبة لسعيد، أستاذ طب العيون.

عند التطرق إلى الأصول الاجتماعية للوزير الجزائري كنا قد عرفنا أن جدّي مصطفى حراثي القرييين من الناحية العائلية (الأب حراثي متزوج من ابنة خاله) كانا فلاحين ميسورين جداً، بل غنيين، رغم عدم وجود علاقات رسمية للعائلة مع الإدارة الاستعمارية، حسب تصريحات الحفيد مصطفى وزير التجهيز في حكومة عبد السلام بلعيد. هذا اليسر المادي الذي لم يبعدهما عن الأمية على مستوى هذا الجيل الذي لا نعرف بالضبط إن كان الجيل الأول الغني، المالك الزراعي الكبير، لكن ما نعرفه في المقابل أن العائلة قد استفادت من وضعها المادي للاقتراب من المدرسة الفرنسية لاحقاً، على مستوى جيل الأب الذي تلقى تعليمًا ثانويًا باللغتين العربية والفرنسية، وجيل الحفيد مصطفى لاحقاً الذي طور فيما بعد، كما سنرى، هذه الاستفادة من نظام التعليم الفرنسي العصري بالدخول إلى مدرسة

عليا فرنسية مشهورة تخرّج منها عدة وزراء: L'École des mines. الحفيد مصطفى حراثي الذي تكلف بتربيته الجد من الأب مازال يتذكر: « الجد كان صعبا، يحب العلم كثيرا، فقد فضل العيش في المدينة وترك مصالحه الكثيرة في الريف من أجل تعليمنا ». في نفس منطقة أقصى الشرق الجزائري، وفي تبسة على وجه التحديد، يمكن أن نلاحظ نفس ظاهرة ارتباط اليسر الاقتصادي والأمية لدى عائلة محمود قنز- وزير المجاهدين - وعلى أكثر من جيل بدءا من جيل الجدين ثم الأب، العائلة التي كانت تملك امتدادات عائلية داخل التراب التونسي، لم تستفد من نظام التعليم التونسي بشقيه: العصري، ضعيف الحضور في هذه المنطقة الحدودية، ولا حتى التقليدي منه كالزيتونة. العلاقات العائلية على الحدود التي فضلت عائلة قنز توظيفها في جمع الأسلحة وتخزينها بدايةً من الحرب العالمية الثانية، لكي تتم الاستفادة منها لاحقا أثناء ثورة التحرير بالجزائر وحتى قبل ذلك من قبل الثوار بتونس.

بعيدا عن منطقة سوق أهراس وتبسة بأقصى الشرق الجزائري، وضمن نفس الأوساط الاجتماعية تقريبا، رغم الطابع الرعوي والموال الذي عُرفت به، يمكن أن نلاحظ نفس الارتباط بين اليسر الاقتصادي والأمية لدى عائلة بسايح بولاية البيض التي كان فيها الجدان أميين، رغم يسرها الاقتصادي الواضح. المعتمد على الرعي أساسا في هذه الولاية السهلية القريبة من الحدود المغربية. الأمية التي استمرت مع جيل الأب الذي أصر على تعليم أبنائه وتوجيههم نحو التعليم كمهنة، كما كان الحال مع الابن الوزير بوعلام بسايح الذي عوض فيه الأخ البكر (المعلم المتوفى) بتوجيه من الأب الذي كان معروفا بقربه من التيار الإصلاحية لجمعية العلماء التي كان على رأس مستقبلها شيخها عبد الحميد بن باديس في زيارته لمدينة البيض والجهة الغربية المستعصية على الفكر الإصلاحية، نتيجة قربها من التيارات الطرقية.

في منطقة الوسط الجزائري وبعيدا عن المناطق الحدودية، سنجد أن وضعية اليسر الاقتصادي، بل والغنى، ليست شرطا كافيا للخروج من الأمية، كما توضحه حالة جدّي عمر بوجلاب - أستاذ الطب، ووزير الصحة طول فترة حكم الرئيس بومدين - التي زاوجت بين الملكية الزراعية العقارية والتجارية، في أكثر من مدينة من مدن الوسط كالبلدية والمدينة والعاصمة. حالة اقتصادية لم تكن كافية بالنسبة للجدين للخروج من حالة الأمية، التي لم تمنع اهتمام الجد من الأب بالممارسة الدينية وطقوسها، لدرجة أنه بنى « مسجداً » خاصاً به داخل المنزل لكي يتسنى لأفراد العائلة من الجنسين القيام بوجباتهم الدينية كالصلاة، حسب شهادة الحفيد الوزير، المتأثر كثيرا بالجد من الأب الذي قضى سنوات الطفولة الأولى تحت مسؤوليته المباشرة، خاصة وأن الطفل عمر كان الذكر الوحيد للأب بوجلاب الذي لم يرزق إلا بالبنات.

في منطقة القبائل يمكن أن نلاحظ نفس ظاهرة الأمية على مستوى جيل الجدين وكيف أن اليسر الاقتصادي، بل الغنى، ليس حجة كافية للخروج منها في هذه الأوساط الريفية، فجد بن يسعد حسين الذي احترف صناعة الجلود بمدينة البويرة من خلال المصنع الصغير الذي كان يملكه، لم يسعفه هذا النشاط الصناعي حتى ولو كان في مرحلته الحرفية، للخروج من الأمية.

في نفس منطقة القبائل التي عُرِفَتْ باستفادتها المبكرة من نظام التعليم الفرنسي، كما بينت ذلك كل الدراسات التاريخية، يمكن الحديث عن جد عبد السلام بلعيد الذي كان أميا هو الآخر، رغم اليسر الذي عُرِفَ به، على الأقل، قبل قيام السلطات الفرنسية بمصادرة أراضي الأسرة جراء الانتفاضات التي ميزت الجهة خلال هذه الفترة من دخول الاستعمار. اليسر الاقتصادي الذي جَدَّدَت العائلة الارتباط به على مستوى جيل الأب الذي استفاد من عمله كتاجر متنقل للقيام بشراء أراضي واسعة بمنطقة عين الكبيرة بولاية سطيف أين ولد الابن عبد السلام.

الجد صاحب التعليم العالي. مستوى وشهادات الجَد

من دون أن نكرر ما قلناه حول صعوبات التصنيف للمستويات التعليمية في الحالة الجزائرية التي تتميز بالندرة وتنوع مؤسسات التعليم وازدواجيتها اللغوية، فقد فضلنا ضمن هذه الجزء من الدراسة الحديث عن مستويات تعليمية عالية وليس جامعية، ليست متوفرة دائما على مستوى هذا الجيل بالشكل التنظيمي والمؤسسي المعروف، كما هو الحال في مجتمعات أخرى أكثر استقرارا. كما لم نكتف بالحديث عن الشهادات فقط، دون ربطه بالحديث عن بعض التفاصيل الأخرى المتعلقة بالمسار التعليمي كلما كان ذلك ممكنا، خاصة في الحالة الجزائرية التي عرفنا كيف كانت غير متجانسة، لا من حيث المؤسسات والعلاقات التي كانت تقيمها مع المجتمع بمختلف فئاته الاجتماعية ولا من حيث المآل المهني الذي تحضر له كذلك، ناهيك عن تعدديتها اللغوية والجغرافية لتواجهها بداخل الجزائر والخارج، كما هو حال الزيتون والأزهر والقرويين.

احتياطات، فرضت نفسها كوسيلة للتقليل من نتائج عدم الدقة التي يمكن أن تبرز جراء الحديث عن المستوى بدل الشهادة، علما بأننا سنقوم بهذا التقديم للمستويات العالية اعتمادا على ما توفر لدينا من معطيات حصلنا عليها من المقابلة التي أجريناها مع الحفيد الوزير حتى ولو تعلقت بجد واحد، فعادةً ما كان الجد من الأب الذي فضل الحفيد الكلام عنه وهو يتحدث عن عائلته، إلا في بعض الحالات التي كان فيها دور أكبر للجد من الأم، كما رأينا ذلك عدة مرات عندما كان الحفيد الوزير قد انتقل للعيش معه أو كان جدا متعلما وميسورا بشكل واضح. تقديم جزئي لجد واحد يبقى مهماً كذلك لفهم

وتفسير الاستراتيجيات العائلية من خلال الزواج الذي يتم بين أوساط اجتماعية متشابهة أو غير متشابهة. استراتيجيات مصاهرة دعمت مواقع هذه العائلات التي تميزت بإنتاجيتها الكبيرة والمستمرة للنخبة الوزارية الجزائرية.

الجد الشيخ الحسين كافي، أب الرئيس علي كافي رئيس الدولة (1992-94) وجد نور الدين حربي نائب الوزير المكلف بالتعاون الدولي (1984-86) من الأم، يمكن أن يكون أحسن من يمثل تلك الفئات المتعلمة تعليما تقليديا، عملت كل ما في وسعها لإعادة نشره من خلال المنظومة التعليمية التقليدية الإصلاحية... « ... فقد كان معروفا بورعه وتقواه وذائع السمعة لدى سكان الشمال القسنطيني، باعتبار أن الجد الأكبر كان صاحب زاوية يتردد عليها طلاب العلم والتفقه في الدين »⁵¹

المكانة التي تدعمت أكثر بعد التحالف الذي قام به الجد الحسين من خلال مصاهرة عائلة حربي الغنية بنفس منطقة الحروش التي كان فيها الجد من الأب، والأب كذلك، فلاحا كبيرا ميسورا. عائلة حربي التي كانت كالكثير من العائلات الميسورة تملك علاقات وطيدة، من خلال بعض أفرادها، مع الإدارة الاستعمارية⁵² لم تمنعها من المحافظة على ما يميزها من خصوصيات دينية وثقافية تكلم عنها الابن المؤرخ محمد حربي بإسهاب في الفصل الأول من مذكراته المذكورة ضمن قائمة المراجع أدناه.

في نفس الولاية (سكيكدة) بالشرق الجزائري، وعلى مشارف المدينة وبفيلفة تحديدا، يمكن هنا كذلك الحديث عن عائلة مغلاوي التي تميزت - كما عرفنا ذلك سابقا - بدخولها عالم العمل الصناعي المأجور المبكر، ومن خلال جد الوزير محمد⁵³ نفسه الذي اشتغل في المناجم التي عرفت بها المنطقة كماشح للأراضي (Topographe) بعد حصوله على تعليم ابتدائي وتمكنه من اللغة الفرنسية التي تستلزمها المهنة. على عكس الجد من الأب، نجد أن الجد من الأم، التاجر، كان قد استفاد من تعليم زيتوني بتونس، رفض استغلاله من الناحية المهنية مفضلا العمل كتاجر، كما هو حال الكثير من المتحصليين على تكوين تقليدي بجامعة عربية معروفة كالزيتونة، حتى وإن كان تعليما عاليا أو متوسطا. كان هذا حال بعض العائلات التي فضلت الاستقلالية عن الإدارة الاستعمارية وتفضيل العمل

51. بهذه الطريقة عرف الرئيس علي كافي مكانة الأب والجد. انظر : مذكرات الرئيس علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946 / 62، دار القصة للنشر، 1999، ص 15.

52. انظر كيف يقدم الابن محمد حربي بعض أفراد العائلة كالعالم أحمد المولود في سنة 1883 والذي كان مستشارا بلديا بين سنتي 1908 و1936 ضمن مذكراته ص 13 التي يذكر فيها الوسط الثقافي للعائلة، والمستويات التعليمية لأبنائها من الأجيال الكبيرة في السن.

Mohammed Harbi, *Une vie debout, mémoires politiques*, T1, 1945/62, Casbah Éditions, Alger, 2001, p. 13.

53. انظر التقديم الذي قام به الحفيد محمد مغلاوي لوضع العائلة الاقتصادي والاجتماعي في ناصر جابي الوزير الجزائري أصول ومسارات دار الشهاب للنشر ص 596-600.

التجاري الحر كما كان مع جد عائلة مغلاوي التي انتقلت إلى فليفلة، في حين أن أصولها تعود إلى القل التي كان جد الأب مقدا لإحدى زواياها.

حالة تجانس كبيرة اجتماعيا واقتصاديا من حيث المنحدرات الاجتماعية، كنا قد لاحظناها عند الحديث عن بعض العائلات على مستوى جيل الجدين المتعلمين، يمكن أن تكون عائلة بن هني المازونية عينة ممثلة لها؛ فالجدان الأخوان، المالكان الزراعيان، كانا مفتيين في الوقت نفسه بمدينتهما الصغيرة مازونة المعروفة كمدينة صغيرة بإشعاعها العلمي والثقافي بالغرب الجزائري، وهي نفس المهنة التي تم توريثها للأب بن هني نفسه. مازونة التي تعد مثالا للمدينة الصغيرة التي حافظت على توازن ثقافي، قد يكون بفضل هذه الاستراتيجيات التراكمية التي لجأت لها هذه العائلات في أكثر من حالة⁵⁴.

في الشرق الجزائري وعلى غرار مازونة وندرومة وتلمسان في الغرب، نجد نفس الإصرار على تثمين هذا الرأس المال الثقافي داخل نفس العائلات والأوساط المهنية من خلال الزواج الداخلي أو المصاهرات بمدن مثل قسنطينة وحتى عين البيضاء - مسكيانة في الشرق الجزائري كما تبينها حالة عائلة محمدي التي احترفت مهنة القضاء لثلاثة أجيال، بما تفترضه من زاد علمي وشهادات، فقد زوّج الجد من الأب، الشاوي الحركاتي، ابنه القاضي من ابنة قاضي قسنطيني، لينجب هذا الزواج القاضي الوزير محمد الصالح الذي احتل هذا الموقع الحساس ضمن تشكيلة حكومة حمروش في عز بداية مرحلة الأزمة الأمنية والسياسية في الجزائر، مما يعني أننا أمام عائلة من جهة الأب والأم، متعلمة تعليما عاليا باللغتين، مكنها من احتلال هذه المواقع المهنية التي حافظت عليها لمدة ثلاث أجيال على الأقل. في حالة مجتمع عرف اضطرابات وانكسارات كبيرة.

الجد من الأم لمحمد سراج - وزير البريد والمواصلات في حكومتَي حمروش وغزالي في بداية التسعينيات - ينتمي إلى نفس مهن القضاء (cadi-notaire)، بما تفترضه من تعليم باللغتين، مهما كان المستوى المطلوب بالنسبة لهذه الوظيفة المزدوجة الموجهة للتعامل مع الاهالي من الجزائريين. قائمة يمكن أن نضيف لها الجد من الأم لعزیز درواز وزير الشباب والرياضة الذي كان هو الآخر « عادل ترجمان »، باللغتين، من أبناء مدرسة العاصمة التي سكنتها العائلة منذ جيل الجد بعد هجرتها من منطقة القصر ببجاية، مما قد يسمح لنا بالكلام عن عائلة عاصمية في هذه الحالة رغم أصولها القبائلية القديمة. الجد سراج من الأم، يمكن إضافته إلى هذه الأوساط الاجتماعية الحضرية التي استفادت من التعليم في هذا الوقت المبكر لقربها الجغرافي من المدرسة، في مدينة كوهراَن عُرفت

54. Djilali Sari, *Les villes précoloniales de l'Algérie occidentale. Nedroma, Mazouna, Kalaa, Sned* Éditions, Alger, 1978.

بالتواجد القوي للأوروبيين داخلها، مما سمح لبعض العائلات بالاستفادة من التعليم، رغم تواضع أصولها الاجتماعية في بعض الحالات.

على غرار مهنتي الإفتاء والقضاء التي تتطلب مستوى تعليمياً فوق المتوسط وعالياً في الغالب، حتى عندما يتعلق الأمر بالعدالة التي تتعامل مع الأهالي، فإن مهنة التدريس هي الأخرى تتطلب مستوى عالياً خاصة إذا قام بها جزائري في الخارج كالبقاع الإسلامية المقدسة تحديداً، كما هو حال جد أحمد طالب الإبراهيمي من الأب، الذي كان قد احترف التدريس، مثل الابن الشيخ البشير، في أكثر من دولة عربية، قبل دخوله الجزائر وقيادة جمعية العلماء المسلمين، بعد وفاة شيخها المؤسس عبد الحميد بن باديس. السفر، الذي سمح للابن بشير أن يتزوج ابنة عائلة تونسية من أصول تركية مقيمة بالشام، ينتمي هو الآخر إلى نفس الأجواء والفضاءات الثقافية.

رغم التسمية التي يصر عليها عبد المجيد مزيان، عند تقديم مهن جديده، « فقيه »، فالمقصود هو التعليم التقليدي المرتبط بالثقافة العربية الإسلامية ومؤسساتها. مهنة الفقيه-المعلم التي ارتبطت بعائلة مزيان لثلاثة أجيال على الأقل، جيل الجدين وأبناء العم والأب والحفيد عبد المجيد مزيان الذي ارتبط - كما سنعرف - لمدة طويلة بالتعليم الجامعي في الجزائر والمغرب، مما يسهل علينا ضم عائلة مزيان إلى هذا الوسط الثقافي المتميز في الجزائر، بتلمسان هذه المدينة التي عُرِفَتْ بالانتشار المبكر الواسع للتعليم داخل الكثير من أوساطها الاجتماعية التي زادت على ذلك باستفادتها من قربها الحدودي مع المغرب الذي استغلته لتمتين علاقتها مع المدرسة.

في تلمسان دائماً يمكن الحديث هنا كذلك على الجد من الأم لأبي بكر بلقايد - من أصول كرغلية - الذي ينتمي لعائلة احترفت لعدة أجيال مهناً علمية وثقافية عالية مرتبطة بالإفتاء والقضاء، وكان جده من أبيه قريباً جداً من الزاوية الهبرية البلقايدية التي تنسب إلى اسم العائلة والمنتشرة في كل الغرب الجزائري⁵⁵ الذي حافظت فيه الزوايا على حضور قوي نسبياً، مقارنة بالشرق الجزائري بسبب المقاومة التي وجدتتها من الحركة الإصلاحية الأكثر حضوراً.

حالة عائلة معزوزي، تؤكد الكثير من الاتجاهات التي لاحظناها ضمن الأقسام الأولى من الدراسة، فقد فضل الجد القايدي، الذي يحسن العربية والفرنسية والمرتاح اقتصادياً، الارتباط مع عائلة عاصمية (عائلة المفتي بن ناصر) عندما قرر تزويج ابنه الموظف في

55. دشن الرئيس بوتفليقة في آخر سنة لحكمه (2018) المقر الوطني بالجزائر العاصمة للزاوية البلقايدية الهبرية التي تكون بذلك قد وسعت من إشعاعها خارج منطقتها الأصلية بالغرب الجزائري. علماً أن فترة حكم الرئيس بوتفليقة قد عرفت عودة قوية للاهتمام بالزوايا، انطلقت في حقيقة الأمر مند فترة حكم الرئيس الشاذلي وتأثير أبناء زوايا من الغرب الجزائري، منطقة زوجته الثانية ابنة مدينة ما زونة بولاية غليزان. توجه يكون قد ساعد عليه حضور الجنرال العربي بلخير ابن الزاوية بالقرب من الرئيس الشاذلي برئاسة الجمهورية، بالتأثير الكبير الذي عرف به.

مصلحة الضرائب. هذا الارتباط الذي كان مع عائلة المفتي بن ناصر، الأكثر يسرا ليس من الناحية المادية فقط، بل من الناحية العلمية والثقافية؛ فقد تعود الجد معزوزي القبائلي التصديق على زاوية سيدي عبد الرحمن بالعاصمة بالكثير من الزيت والزيتون بمناسبة زيارته لهذه المدينة، كما يذكر الحفيد ذلك وهو الذي عاش وتربى عند جده مفتي العاصمة بن ناصر⁵⁶. الحفيد الذي تحول إلى أحد وجوه اليسار لاحقا خلال التجربة البومدينية. كما رأينا ذلك ونحن نتحدث عن حالته في هذه الدراسة، وعند تقديمه في كتاب الوزير الجزائري أصول ومسارات⁵⁷.

نفس مؤسسة الإفتاء بالجزائر العاصمة، ونفس عائلة بن ناصر سنجدها مرة ثانية كخلفية عائلية لدى عائلة بن حميدة من دلس القريبة من منطقة تيقزيرت، موطن عائلة معزوزي. فالجد من الأم لعبد الرحمن بن حميدة، هو نفس المفتي الأكبر للجامع الكبير بالعاصمة بن ناصر... وعلى المذهب المالكي، كما يحدد الحفيد، خريج معهد الدراسات العليا الإسلامية بالجزائر العاصمة وأول وزير للتربية في الجزائر المستقلة. مقابل الجد من الأم المفتي، نجد أن الجد من الأب كان أستاذا بزوايا منطقة القبائل تيزي وزو وبجاية، بعد تخرجه من زاوية عبد الرحمن اليلولي التي تخرج منها الأب بن حميدة نفسه وسمي تيمنا باسمه، الابن عبد الرحمن. أوساط - كما سنعرف ذلك لاحقا - لم يمنعها هذا اليسر المادي والثقافي، وحتى القرب من الظاهرة الاستعمارية في حالة عائلة معزوزي، من الالتحاق بالتيارات السياسية الجذرية المطالبة بالاستقلال بكل ما ترتب عليه من تبعات كالحكم بالإعدام كما تبينه حالة عبد الرحمن بن حميدة أو السجن لمرحلة طويلة كما هو حال محمد سعيد معزوزي.

نفس الاستراتيجية والتحالفات العائلية، يمكن متابعتها عند الحديث عن عائلة طبال التلمسانية التي جمعت بطريقة واضحة بين اليسر الاقتصادي والمكانة الاجتماعية والمستوى التعليمي العالي، لدى جيل الجدين، قبل الأجيال الصغيرة التي دعمت هذه الاتجاهات. فالجد من الأب، الباشاغا والمالك الزراعي الكبير المتحصل على الشهادة الابتدائية باللغة الفرنسية، هو الذي قرر زواج ابنه الطبيب، مع ابنة قاضٍ بمدينة تلمسان.. المدينة التي مازال الابن الوزير يتذكر، وهو يضحك، كيف كانوا ينادون أفراد العائلة فيها بـ « العروبية » بعد أن قرر الجد القايد « القيرفي » زواج ابنه الطبيب من ابنة عائلة تلمسانية حضرية، رغم أميتها، هي ابنة القاضي، مزدوج اللغة والحاصل على تعليم عال. في الوسط الجزائري، وبولاية عين الدفلى تحديدا، يمكن الحديث هنا كذلك عن عائلة مصطفى شريف التي ربطت بين الملكية الزراعية الكبيرة والمواقع والأدوار الدينية في علاقة

56. محمد سعيد معزوزي، عايشة الحلو والممر، مذكرات من تسجيل وتحرير لحسن موساوي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2015.

57. ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 595.

واضحة بزاوية سيدي أحمد بن يوسف بمدينة مليانة، على مستوى جيل الأب الإمام، ومهام الإفتاء على مستوى جيل الجد من الأب، في حين جسد الجد من الأم العلاقة مع الإدارة الفرنسية من خلال موقعه كباشا ومالك زراعي كبير، بنفس المنطقة الزراعية الغنية. على نفس المنوال، والتوليفة ذاتها بين الرسمي والديني والملكية العقارية، نجدها حاضرة لدى عائلة بلخير التي كان الجد فيها قايد ومالكًا عقاريًا كبيرًا وشيخ زاوية (الشيخ بلحشر)⁵⁸ بتخمرت القريبة من فرندة بولاية تيارت بالهضاب العليا.. الجد الذي كان يتمتع بمستوى تعليمي معقول، وباللغتين ربما، دون أن يتمكن من تحديده بدقة أثناء المقابلة مع الحفيد الوزير.

عائلة بلحشر التي تنتمي لها عائلة العقيد أحمد بن شريف الجلفاوية، تميزت زيادة على غناها المادي، بتنوع كبير في علاقاتها الاجتماعية من خلال المصاهرات التي قامت بها عبر بناتها، فقد أنتجت هذه المصاهرة مع عائلة رحمان الجلفاوي الغنية وزيرا كان حاضرا في أكثر من حكومة بدايةً من نهاية الثمانيات في شخص الابن شريف رحمان، بعد أن كانت قد مدت النخبة السياسية الجزائرية بوزير آخر منذ عقدين سابقين في حالة صافي بوديسة وزير العمل في عهد الرئيس بن بلة، فأُم بوديسة، رغم أنها تنتمي إلى جيل أكبر من أم رحمان⁵⁹، هي الأخرى من بنات بلحشر، فقد كان أبوها قاضيا يحسن العربية والفرنسية، رغم أننا لا نملك معلومات أخرى عن مكان تكوينه العلمي، تزوجت ضابط الصف بالجيش الفرنسي في قطاع الصحة (Infirmier major)، ابن الشلالة بولاية تيارت، ابن الفلاح الميسور، حسب شهادة الحفيد صافي بوديسة الذي يخبرنا كذلك أن عائلته من الأب، مثل العائلة من الأم والأخوال، لم تكن فاقدة الصلة بالظاهرة الاستعمارية، فالعم كان آغا ميسور الحال، زيادة على الأب بوديسة، العسكري في الجيش الفرنسي بالطبع.

في نفس المدينة، البيض وفي نفس الفترة التاريخية تقريبا (1922) عرّفت هذه المدينة شبه الصحراوية بالجنوب الغربي مولد بوعلام باقي الذي كان جده من الأم قاضيا وصاحب تعليم عالٍ مما جعل الحفيد الوزير الذي تراوحت مناصبه الحكومية بين العدل والشؤون الدينية خلال فترة حكم الرئيس الشاذلي بن جديد، يصف وضع العائلة بأنها... « كانت لها مكانة علمية وروحية، رغم بساطتها المادية ». وهو وصف قد يبرره لدى الحفيد جهاد الجد من الأب واستشهاده أثناء ثورة بوعمامة التي انطلقت من نفس المنطقة، زيادة على مكانة الجد من الأم القاضي.

58. زاوية « بلحشر » التي كان جد العربي بلخير قتيماً عليها لا علاقة لها بعائلة بلحشر الجلفاوية التي ينتمي إليها العقيد أحمد بن شريف، فهو تشابه في الأسماء فقط، فزاوية بلحشر التيارتية تنتمي حسب ما يبدو إلى الزاوية البلقايدية الهبرية ذات الانتشار المعروف في جهة الغرب الجزائري.

59. الابن صافي بوديسة من مواليد 1929، في حين أن شريف رحمان من مواليد 1945.

إضافةً إلى القضاء ومهن الإفتاء والتعليم، كانت هناك بعض المهن الأخرى داخل الإدارة الفرنسية الاستعمارية التي تتطلب مستويات تعليمية عالية نسبياً وباللغتين بالضرورة، مثل وظيفة الخوجة (المترجم) التي كانت من نصيب جد سيدي سعيد عبد الحميد من الأب، الذي أصر على توضيح دقيق لمهنة الجد بعد الانتهاء من المقابلة في الهاتف مع الباحث : « خوجة (*Interprète judiciaire*) وليس قايد ... في حين كان الجد من الأم، ابن قريته بمنطقة القبائل، أميا.

نفس مهنة الخوجة التي كانت من نصيب الجد من الأب منتوري، الذي كان حسب الحفيد محمد الصالح، يحسن اللغتين اللتين يتطلبهما الموقع المهني داخل الإدارة الفرنسية والعلاقات الواسعة التي يفترضها مع المجتمع الجزائري والأهالي بمختلف فئاتهم، كجزء من الوساطة التي تقوم بها هذه الفئات مهنيا على الأقل.

دائماً ضمن هذه المواقع الإدارية المختلفة يمكن الحديث عن جدّي بكة عبد النور، فالجد القبائلي الأصل والمسيحي الإقامة كان « إمام-عادل ... » « ... معرّب المائة بالمائة »، يقول عنه الحفيد الضابط العسكري ووزير الشباب والبريد والمواصلات في النصف الأول من الثمانينيات، أما الجد من الأب القبائلي هو الآخر (من القبائل الصغرى) فكان أميناً عاماً لبلدية مختلطة، مما يتطلب منه التمكن من اللغة الفرنسية فقط.

زيادة على الجد كافي المعلم بالمدارس التقليدية داخل الجزائر والجد طالب الذي احترف نفس المهنة في المشرق العربي، يمكن إضافة الجد من الأم لمعاوي عبد العزيز العزابي (ولاية سكيكدة) وزير السياحة في عهد بومدين والسفير لاحقاً خلال فترة حكم الرئيس بوتفليقة، مما جعله يتميز باستمرارية سياسية لا نجدها إلا عند قدماء المالقي كما عرفنا ذلك في أكثر من حالة، كحالة بوعلام بسايح. الجد معاوي الذي احترف مهنة التعليم وتسيير المدارس في أكثر من مدينة مثل تلمسان وفاس المغربية التي احتلت فيها هذه الفئات المتعلمة الجزائرية، مواقع متميزة، خلال المرحلة الاستعمارية كما هو حال الكثير من المدن المغربية الأخرى. العمل في هذه المواقع المهنية بالمغرب كان يفترض فيمن يقوم به أن يكون مزدوج اللغة، عكس الحالة الجزائرية التي كان فيها التحكم في اللغتين عملة نادرة إذا استثنينا بعض المهن الوسيطة التي كانت تفرض هذا التحكم في اللغتين، مثل بعض مهن القضاء التي تتعامل مع المجتمع الأهلي.

على خلاف الجد معاوي الذي كان مزدوج اللغة، فإن جد أحمد بومنجل المعلم من قرية تاويريت آيت منقلات بولاية تيزي وزو، لم يكن يعرف، زيادة على الأمازيغية بالطبع، إلا الفرنسية التي كانت لغة العمل الوحيدة لديه، وهي نفس المهنة وبنفس اللغة التي توارثها الابن والحفيد الوزير⁶⁰ قبل التمكن من إتمام دراسة الحقوق والتخرج كمحام بعد

60. أحمد بومنجل من مواليد 1908 مما يجعله من أكبر الوزراء سناً ضمن عينتنا، مما يعني كذلك استفادة العائلة المبكر من التعليم إذا أخذنا بعين الاعتبار مؤشر السن هذا. حالة تؤكد ما ذهبنا إليه الكثير من الدراسات حول الانتشار المبكر للتعليم بمنطقة القبائل.

ذلك، ليكون من الوجوه القانونية التي شاركت في مفاوضات إيفيان الشهيرة المفوضية لاستقلال الجزائر.

مهنة التعليم القرآني، ورغم تواضع زادها العلمي والمعرفي في المجتمع الجزائري وأوساطه الشعبية الريفية والحضرية، إلا أن القائم بها لا بد أن يتمتع بالحد الأدنى من التعليم باللغة العربية، مما يخرج من حالة الأمية في كل الأحوال، بل ويقربه في الغالب من المستويات الابتدائية وحتى المتوسطة في بعض الأحيان.

جد إبراهيم شيبوط من الأم، ابن منطقة الحروش بسكيكدة، مثله مثل الجد من الأب الفلاح، كان « طالب قرآن » كما تصف اللغة الشعبية معلم الكتاتيب القرآنية المشهورة في الجزائر، وهي نفس المهنة جزئيا التي كان يقوم بها الجد من الأم لعبد الغني عقبي ابن تلمسان، الجد الذي احتترف العمل التجاري بالموازاة مع هذه المهنة التعليمية التقليدية البسيطة التي لم تكن كافية لوحدها، كما يبدو، كمصدر دخل اقتصادي لعائلات جزائرية كبيرة الحجم.

من العائلات الجزائرية التي ارتبطت بمؤسسة التعليم القرآني، يمكن ذكر عائلة مهري الحروشية هي الأخرى، فقد كان الجد من الأب يتمتع بثقافة تقليدية قرآنية، كما يذكر ذلك الحفيد عبد الحميد. مهنة التعليم التقليدي وما اقترب منها من مهن ثقافية تقليدية كالإمامة التي تحولت على مستوى جيل الأب والأبناء إلى مهن دائمة ومؤسسة في مدينة واد زناتي التي هاجرت إليها العائلة، كما عرفنا ذلك في تفاصيل الدراسة من منطقة الشمال القسنطيني.

الجد صاحب المستوى الابتدائي

من الصعوبات التي يمكن تصورها عند القيام بعملية تصنيف للمستويات التعليمية للجدين، خاصة المستويات البسيطة، الابتدائية منها على وجه التحديد، أشكال من عدم الدقة التي يمكن أن تظهر لأن الكثير من الذين صرّح أحفادهم أنهم حاصلون على مستويات تعليمية ابتدائية أو حتى متوسطة، لم يستفيدوا من نظام تعليم عصري يحتوي على تدرج تعليمي ومؤسسي بشهادات تفرق بين هذه المستويات.

إشكال يزداد حدة عندما يتعلق الأمر بأولئك الذين تابعوا دراساتهم داخل مؤسسات التعليم التقليدي خلال الفترة الاستعمارية، فكيف سنقوم على سبيل المثال بتحديد المستوى التعليمي للجد الذي يصرح حفيده أنه يحفظ القرآن ويعرف القراءة والكتابة باللغة العربية، كما هو حال الجد من أب عبد القادر بن داود الذي كان موالا وفلاحا متوسطا بمنطقة جبال بولاية تلمسان الحدودية ؟ نفس المشكل الذي واجهنا مع جد محمود عرباوي الفلاح - الموال الميسور الذي يصرح الحفيد بصده أنه « كان مثقفاً، يحسن الكثير من اللغات » دون أن يمنحنا تفاصيل أكثر تسمح لنا بالتحقق من هذه

المعلومات، ليضيف أن الجد من الشرفة وينتمي لعرش سيدي عطالله، والجد من الأم المنتمي لعرش بوعبد الله الشرفة كذلك⁶¹. فالمهنة هنا (فلاح - موال) لا تساعدنا في تأكيد هذه المعطيات المتعلقة بالمستوى التعليمي للجد، كما كان الحال مع وزراء آخرين خلال هذه المقابلات التي قمنا بها للحديث عن المواقع المهنية التي تقلدها الجدّان ويفترض فيها التمتع بالحد الأدنى من التعليم.

بكل بساطة قمنا بتصنيف جد عبد القادر بن داود، الفلاح الموال، بكونه حاصلًا على المستوى الابتدائي لاعتقادنا أن حفظه للقرآن أو جزء منه وتمكنه من القراءة ضمن نظام التعليم التقليدي يؤهله لهذا المستوى الذي قمنا بتصنيفه داخله، فالمهم في هذه الحالة هو الخروج من حالة الأمية مهما كانت لغة التعليم والمؤسسة التي تم فيها. الجد بن داود الذي سنلاحظ عند الحديث عن المستويات التعليمية لجيل الأب كيف أنه عمل كل ما في استطاعته لإرسال ابنه إلى المغرب للدراسة في جامعة القرويين، مستغلا في ذلك القرب الجغرافي وحالة اليسر الاقتصادي النسبي التي كانت عليها العائلة.

على العكس، فإننا لم نقم بنفس التصنيف (أي حاصل على المستوى الابتدائي من التعليم) لجد العربي دماغ العتروس الذي أضاف بعد ذكره أن الجد من الأب الفلاح، صاحب الملكية المتوسطة، كان يحفظ جزءًا من القرآن يستعمله للصلاة... أن عادة حفظ القرآن كانت منتشرة في هذا الوسط العائلي الميسور نسبيًا.. علما أن العم القاضي هو الذي كان وراء دخول ابن الأخ العربي المدارس الفرنسية بتلمسان، مكان عمله كقاضٍ.

فنحن هنا أمام حالة شائعة الانتشار لدى الكثير من الأوساط الجزائرية الحضرية والريفية خاصة، عادة حفظ القرآن واستعماله اليومي في الصلاة، دون أن يعني ذلك دائمًا التمكن من قراءته وبالتالي الخروج من الأمية الأبجدية التي تصبح العودة إليها واردة جدا بعد الاستفادة من تعليم قرآني بسيط في سن مبكرة، فالكثير من أبناء وحتى بنات الأوساط الشعبية عادة ما ينتكسون ويعودون إلى حالة الأمية بسبب عدم استعمال اللغة للقراءة والكتابة، مع تمكنهم في الغالب من النزر القليل من الآيات أو الصور المحفوظة من القرآن، بفضل الاستعمال اليومي لها في صلواتهم. الأمية الأبجدية - رغم حفظ القرآن - لم تسمح لجد العربي دماغ العتروس بالوصول إلى موقع مهني خارج الفلاحة، يفترض فيه الإلمام بقواعد القراءة والكتابة على الأقل، عكس العم القاضي الذي تكفل بتربية ابن الأخ العربي. نفس الارتباك والحيرة يمكن أن يجد الباحث نفسه أمامها عند محاولة تصنيف مستوى جدّي الهادي لخضيري من الأم والأب اللذين يجسدان الكثير من خصائص المجتمع الجزائري

61. حالة المرض الشديد التي كان عليها السيد عرباوي لم تسمح لنا بالتدقيق في بعض المعطيات. انظر لمزيد من تفاصيل المقابلة مع الرجل الذي وجدناه في وضع اجتماعي شديد الصعوبة في مؤلفنا : ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، 2011، ص 423.

وعلاقاته بالعمل والعلم خلال الفترة المدروسة، فالجد من الأب الحرفي - الخياط، رغم حفظه للقرآن إلا أن تصنيفه كصاحب مستوى ابتدائي قد يكون فيه بعض من التعسف، فالحفيد لا يعلم بالضبط إن كان يعرف القراءة والكتابة زيادة على حفظه لجزء من القرآن، كما هو الجد من الأم ابن قبيلته (أولاد خليفة) الذي كان يحترف التجارة الصغيرة، زيادة على مهنة التعليم في الكتاتيب القرآنية، مما يسمح لنا بالقول أنه حاصل على المستوى الابتدائي وربما أكثر. عائلة لخضيري التي بدأت منذ هذا الجيل في الارتباط من خلال أحد إخوة الجد، بالإدارة الفرنسية عن طريق طريق منصب القايد الذي احتله أخ الجد، على عكس الجدين اللذين اكتفيا بمهن حرة بعيدة عن الحالة الاستعمارية؛ فالأعمال الحرة الصغيرة كالتجارة التي كانت هي الوجهة الممكنة للكثير من الجزائريين، حتى من تعلم منهم خاصة إذا كان هذا التعليم باللغة العربية وداخل المؤسسات التقليدية، لا يسمح لصاحبه بالحصول على مهنة إدارية معقولة كانت تفرض التمكن من الفرنسية مهما كان بسيطاً.

هذه المهن التجارية الحرة التي كانت هي القاعدة لدى سكان ميزاب بالجنوب الجزائري، من أبناء المذهب الإباضي حتى الشعراء منهم كأب الشاعر مفدي زكريا، جد الوزير سليمان الشيخ وزير التربية والثقافة بين (1988-97) الذي لم يتجاوز مرحلة الدراسة الابتدائية باللغة العربية، هو الذي احترف التجارة، مثل الكثير من أبناء الجهة والمذهب. على عكس أجداد عبد القادر بن داود والعربي دماغ العتروس والهادي لخضيري اللذين لم يتمكنوا من الحصول على أي شهادة تعليمية، مكتفين بقدر متفاوت من حفظ القرآن وقراءته، فإن جد الشيخ بوعمران⁶² من الأب تمكن من الحصول على الشهادة الابتدائية، سمحت له بالعمل في المحكمة كموظف صغير، على خلاف الجد من الأم الفلاح. فالحصول على الشهادة هنا يتحول إلى شرط ضروري للوصول إلى هذه المهن « العاملة » التي تفرض في الحالة الاستعمارية، التمكن من اللغتين العربية والفرنسية.

بعض المهن « العصرية » القريبة وظيفياً من الحالة الاستعمارية وما تتطلبه من تمكن من اللغة الفرنسية، زيادة على العربية، قد لا يكون من الممكن فيها دائماً الاكتفاء بالادعاء بمستوى، إذ يتطلب الأمر تقديم شهادة أو إجراء مسابقة مهنية للحصول على هذه المهن المطلوبة والنادرة كوظيفة حارس غابة التي كان يقوم بها جد بوعلام بن حمودة من الأب بالقرب من شرشال الساحلية، والمتحصل على الشهادة الابتدائية، المتمكن من اللغتين العربية والفرنسية.

ضرورة الشهادة الابتدائية والتمكن من اللغات التي تتأكد للحصول على مهنة حارس الغابة من خلال حالة جد عبد اللاوي عيسى من الأب الذي كان يقوم بهذه المهنة بقرية

62. الحفيد الوزير بوعمران الشيخ وصل إلى موقعه الوزاري مع حكومة سيد أحمد غزالي 1991 وهو في سن 67 سنة (من مواليد 1924) يعد من أكبر الوزراء سناً.

الشارف بالقرب من الجلفة. مهنة حارس الغابات التي تبدو في حالة عائلة عبد اللاوي أنها تقتضي التقرب من الإدارة الفرنسية مهنيًا على الأقل، فالأب عبد اللاوي هو الآخر كان قائد وقبل ذلك ضابطًا بالجيش الفرنسي برتبة ملازم.

مصطفى لشرف، العارف بخبايا المجتمع الجزائري، يعلمنا أن جده من الأب، الموال الكبير، ابن منطقة الحضنة مثل جده من الأم العاصمي (عائلة من أصول أندلسية استقرت في جيجل⁶³) والغني، كانا متمكّنين من القراءة والكتابة بالعربية، مما يخرجهما من حالة الأمية المتفشية في المجتمع الجزائري، خلال هذه الحقبة من تاريخ الجزائر، فالخروج من الأمية ضمن معطيات المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة من تاريخ الجزائر، يمكن أن يكون عاملاً مهماً بالنسبة لجيل جدّي لشرف الحفيد المولود في سنة 1923. الحفيد الذي يصرّ ألا علاقة للعائلة بأي زاوية، رغم أن أغلبية العشيرة المقيمة بقرية بوزيان، كانت تنتمي للرحمانية، نافيا في نفس الوقت أي علاقات رسمية للعائلة مع الإدارة الفرنسية، رغم يسر الجد المادي.

تلمسان بالذات يمكن أن نلاحظ فيها كمدينة أكثر من أي منطقة أخرى، باستثناء ربما حالة منطقة القبائل، تأكيداً لما لاحظته المراجع التاريخية التي تمت الاستعانة بها في الدراسة، إفرافات لنتائج التعليم وانتشاره في مرحلة متقدمة نسبياً من تاريخ الجزائر، وهو ما يتأكد مع ظهور بعض أصحاب المهن الصغيرة التي تتطلب تعليماً ولو ابتدائياً، كما هو حال جد مراد مدلسي من الأم، الذي سمح له مستواه هذا بالعمل في مكتب موثق، على خلاف الجد من الأب الذي عمل كمسير لحمام. عائلة مدلسي التي عمقت استفادتها من المدرسة الفرنسية العصرية على مستوى جيل الأب الذي تحصّل على شهادة الأهلية الأساسية (Brevet élémentaire) للعمل كموظف صغير في قطاع الصحة.

في أقصى الشرق هذه المرة، وبعيدا عن تلمسان سنجد عائلة لمين خان التي عمل فيها الجد من الأم شرطياً بلدياً بالقل الساحلية بولاية سكيكدة؛ موقع كان يسمح له به مستواه التعليمي الابتدائي باللغتين العربية والفرنسية، في تلك الفترة، علماً أن علاقة العائلة من الأم وحتى مواقعها الإدارية والسياسية داخل الإدارة الفرنسية الاستعمارية لم تكن جديدة، مرتبطة بجيل الجد فقط، فقد كان أب الجد من الأم نفسه قائد بمدينة القل نفسها، التي تُعتبر عائلة خان من أقدم العائلات فيها حسب شهادة الحفيد لمين الذي يذكر شهادة كبار السن من العائلة ومن الجنسين وعلى رأسهم العمّة، علماً أن العائلة دعمت استفادتها من المدرسة الفرنسية ابتداءً من جيل الأب، كما سنرى ذلك عند التطرق إلى هذا الجيل.

63. لمزيد من التفاصيل حول الجذور الاجتماعية والوسط العائلي لمصطفى لشرف انظر مؤلفه :

Lacheraf Mostefa, *Des noms et des lieux. Mémoires d'une Algérie oubliée souvenirs d'une Algérie oubliée, souvenir d'enfance et de jeunesse*, Casbah Éditions, Alger, 1998.

من النتائج الأولى لبداية انتشار التعليم الابتدائي بالجزائر كان من نتائجه الأولى، دخول الكثير من الجزائريين من أبناء هذه الأجيال إلى بعض المهن العصرية المرتبطة بالحالة الاستعمارية، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كحلقات وصل بين الإدارة الفرنسية والمجتمع الأهلي، كما هو حال جدّي سليم سعدي، فقد كان الجد من الأم، السطايفي، كاتباً عمومياً باللغة الفرنسية، مما يعني أنه متمكن من القراءة والكتابة بهذه اللغة. الجد من الأب الشاوي الحركاتي، يمكن أن يكون أحسن من حيث المستوى، إذا أخذنا بعين الاعتبار موقعه المهني كجمركي خلال هذه الفترة التاريخية.

الجد صاحب التعليم المتوسط

ليس من السهل وضع فروق واضحة المعالم بين الجد صاحب التعليم المتوسط والابتدائي، في الحالة الجزائرية التي لم تعرف انتشاراً واسعاً لنظام تعليم واحد، مستقر بمؤسسات واضحة المعالم والتنظيم؛ فقد عرفت الحالة الجزائرية الاستعمارية، كما عرفنا ذلك من خلال التقديم العام الذي حاولنا من خلاله ولوج الموضوع، أن هناك أكثر من مرحلة في عملية انتشار التعليم، رغم الندرة العامة التي ميزته، وأن تنظيم التعليم عرف هو الآخر عدة أشكال ومستويات مرتبطة بالحالة الاستعمارية نفسها التي كانت تتعرض لضغوط وتعديلات من أكثر من جهة، كما كان الحال مع المعمرين على سبيل المثال، كما بينت ذلك الكثير من الدراسات التاريخية.

رغم كل هذه الصعوبات فقد استعملنا عدة مؤشرات للقيام بعملية التصنيف التي تبقى مع ذلك صعبة وغير خالية من بعض الغموض، علماً أنه، واعتماداً على المهنة، يمكن وضع نوع من الفروق بين المستويات التعليمية، وهو ما سمح لنا بتصنيف جد زرداني عبد العزيز - وزير العمل في بداية الاستقلال - من الأم كصاحب تعليم متوسط اعتماداً على منصبه كخوجة، رغم أن الحفيد هو الآخر قد ساعدنا في التعرف على الشهادة التعليمية التي تحصل عليها الجد الخوجة، Brevet. المهنة التي تتطلب تمكناً من اللغتين العربية والفرنسية، أما الجد من الأب الشاوي الحركاتي، فكان فلاحاً وصاحب ملكية عقارية كبيرة. تؤكد الكثير من الحالات التي سنقوم بعرضها ضمن هذا القسم من الدراسة ملامح استراتيجية عائلية واضحة في مقايضة الوضع الاقتصادي-الاجتماعي الميسور لدى الكثير من العائلات بوضع ثقافي وعلمي من خلال المصاهرات التي تمت على مستوى أكثر من جيل. استراتيجية يمكن أن نستشفها من عائلة زرداني التي تزوج فيها الأب، ابن الفلاح الغني وصاحب العقارات، من ابنة خوجة.

التجانس الاجتماعي الذي كنا قد لاحظناه لدى الكثير من الأوساط، يمكن أن نضيف إليه التجانس الثقافي وحتى الجغرافي عند الحديث عن عائلة مصلي التلمسانية، فالجدان

كانا معلمين، مما جعل الحفيد الوزير يصف وضع العائلة بالقول أنها « كانت عائلة مثقفة ».

عبد الرحمن بن باديس ابن مدينة قسنطينة وأخ الشيخ عبد الحميد بن باديس، هو جد العقيد محمد زرقيني⁶⁴ - وزير البريد والمواصلات في آخر حكومة للرئيس بومدين (1977-80) من الأم - الذي احترف العمل كخزناجي (مسؤول الخزينة العمومية) بمدينة سطيف، مهنة تصنف صاحبها ضمن فئة المتعلمين تعليما ما فوق الابتدائي أو المتوسط في الغالب، تتطلب معرفة وتعاملاً مع اللغتين العربية والفرنسية، رغم أن الحفيد محمد زرقيني يركز في تقديم الجد من الأم على تمكنه من العربية فقط. على عكس الجد من الأم القسنطيني، كان الجد من الأب ابن القبائل الصغرى أميا من دون تعليم.. تأكيداً لهذه الاستراتيجية التي لجأت إليها بعض العائلات في مصاهرة العائلات المثقفة والحضرية، كما رأينا ذلك بالتفصيل عند الحديث عن الجذور الاجتماعية والاقتصادية للنخبة الوزارية الجزائرية، خاصة عندما يتعلق الأمر بعائلة بن باديس.

كنا قد لاحظنا أن قطاع السكك الحديدية كان من قطاعات العمل الحديثة التي ارتبطت بها الكثير من العائلات الجزائرية كمهنة، في العديد من مدن الشمال، كما هو حال جد عبد العزيز زيارى أستاذ الطب - الوزير أكثر من مرة بين 1991 و2005 قبل وصوله إلى رئاسة المجلس الشعبي الوطني في 2007 - من الأم، القسنطيني، الذي عمل كموظف متوسط بقطاع السكك الحديدية، هو الحاصل على مستوى تعليم متوسط باللغة الفرنسية، أهله لاحتلال هذا الموقع المهني.

نفس السكك الحديدية التي نجدها مرة أخرى وفي نفس منطقة الشرق الجزائري عند الحديث عن جد بابابس محمد الصغير - وزير الصحة والإصلاح الاقتصادي (1991-93) - من الأم، المتخرج من معهد دلس للتكوين المهني المتخصص في تكوين المهن التقنية الذي ساهم في إنتاج نخبة تقنية متوسطة من الأهالي، رغم أنه كان موجهاً في الأصل لإنتاج يد عاملة مؤهلة من أبناء المعمرين منذ تكوينه في 1877. الجد الذي احتل مواقع متوسطة مهنية داخل قطاع النقل بالسكك الحديدية، كان مناضلاً نقابياً ضمن الكونفدرالية العامة للشغل CGT والحزب الشيوعي، الجد وزيادة على مواقفه المهنية المتوسطة كان مالكا عقاريا ميسورا، حسب شهادة الحفيد الوزير الذي قضى مرحلة شبابه الأولى عنده وتحت رعايته المباشرة في مدينة عنابة.

64. انظر البورترى الذي خصصناه للعقيد محمد زرقيني الذي كان الضابط الأعلى رتبة عسكرية - نقيب - ضمن المجموعة الملتحقة بجيش التحرير.

ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 392.

الجدول رقم 16 : المستوى التعليمي للجد من الأم

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي
4	4	جامعي
15.2	15	متوسط
19.2	20	ابتدائي
61.6	61	من دون مستوى
100	100	المجموع

الجدول رقم 17 : المستوى التعليمي للأم

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي
00	00	جامعي
3	3	متوسط
8.1	9	ابتدائي
88.9	88	من دون مستوى
100	100	المجموع

الأم المتعلمة، ابنة المدينة، والوسط الاجتماعي الغني

الندرة التي ميزت التعليم في المجتمع الجزائري، خلال الفترة الاستعمارية على وجه الخصوص، رغم أنها أكثر حضورا لدى المرأة بشكل واضح، كما بينته الدراسات التاريخية⁶⁵، إلا أن الحديث عنها يكون خاصة عند الكلام عن الرجل وليس المرأة، فهو الذي يفترض به الخروج من الأمية في الأول، عندما يتعلق الأمر بحالة استعمارية كما هي حالة المجتمع الجزائري وثقافته الذكورية ؛ لذا يبدو لنا من المهم في الأول التعرف على حالات أمهات الوزراء المتعلمات، لتفسير حصول هذه النسبة من الأمهات، مهما كان عددهن قليلا، على مستوى تعليمي معين والخروج من الأمية الأبجدية باللغتين العربية أو الفرنسية. فسنركز - كما فعلنا ذلك في الكثير⁶⁶ من المحطات ضمن هذه الدراسة - على تدقيق مسألة جذورهن الاجتماعية - الاقتصادية، لمعرفة كيف يمكن أن تفسر هذه الاستفادة المبكرة من التعليم على مستوى هذا الجيل، في حالة استعمارية تميزت بأشكال كثيرة من المقاومة،

65. زيادة على المراجع المذكورة في هذا القسم من الدراسة يمكن العودة لمزيد من التفاصيل إلى هذه الدراسة حول انتشار التعليم في الجزائر مقارنة مع مجتمعات قريبة كالمغرب ومصر وإيران. انظر : Kamel Kateb, *Les séparations scolaires dans l'Algérie coloniale*, in revue *isaniat-crasc*, 24-25, année 2004, pp. 65-100.

66. Ferial Lalami, *L'enjeu du statut des femmes durant la période coloniale*, in *Nouvelles questions féministes*-2008, 3^e édition ; Éditions Antipodes.

خاصة عندما يتعلق الأمر بالمرأة التي كان يعول عليها كثيرا في هذا الميدان المتعلق بالدفاع عن قيم المجتمع وإعادة انتاجها.

الأصول الجغرافية، مدينة/ريف، ستكون من المؤشرات التي سنحاول الوقوف عندها لفهم هذه الاستفادة المبكرة في حالة استعمارية تميزت بندرة واضحة للتعليم، لقياس هذه الاستفادة من التعليم بالنسبة لهذا الجيل، فهل هذه الاستفادة أكثر ارتباطا بالريف أو المدينة؟ وما هي المدن والفضاءات الجغرافية التي تكون قد عرفت انتشاراً أكثر لظاهرة تعلم البنات خلال هذه المرحلة من تاريخ المجتمع الجزائري والظاهرة الاستعمارية بالإضافة بالطبع إلى أصولهن الاجتماعية التي قد تكون أكثر تفسيراً من الجغرافية؟

رغم هذه الندرة التي ميزت تعليم المرأة، إلا أننا صادفنا بعض الأمهات الحاصلات على مستوى تعليمي معقول، مثل مستوى الأهلية الابتدائية (Brevet élémentaire)، باللغتين العربية والفرنسية، الذي كان مع أم شريف رحماني - وزير لعقدين تقريبا في عدة مجالات منها العمران والبيئة - من عائلة بلحشر الغنية ابنة ولاية الجلفة شبه الصحراوية، الجهة التي مازالت تعاني من ضعف انتشار التعليم إلى يومنا هذا بعد أكثر من نصف قرن من الاستقلال كما توضحه بشكل جلي نتائج البكالوريا كل سنة. من نفس عائلة العقيد أحمد بن شريف. الأم رحماني التي كانت الزوجة الأخيرة والأصغر ضمن قائمة نساء الأب رحماني الأمي، الموال الكبير والمزواج، كما هي العادة بين أبناء هذه الجهة الذي قدّر ابنه الوزير عدد قطيعه من النعاج فقط بـ 25000 رأس، وكان عدد أبنائه وبناته من مجموع زوجاته كبيرا هو الآخر (23 مولوداً).

بعيدا عن هذه الأوساط شبه الصحراوية الغنية، نجد عائلة مصلي التلمسانية - وزير الفلاحة في حكومة غزالي وعديله عبد السلام بلعيد - التي حصلت فيها الأم ابنة المعلم على الشهادة الابتدائية، قبل زواجها من ابن معلم مثلها. دائما وداخل العائلات المرتبطة بالتعليم، سنجد أم أحمد طالب الإبراهيمي التونسية، من أصول تركية التي تزوجها الأب البشير الإبراهيمي بدمشق، أستاذ اللغة العربية مثل والدها. الأم التي تمكنت من الحصول على المستوى الابتدائي، ليكون الارتباط الثاني لدى عائلة الإبراهيمي كمصاهرة من خارج الجزائر، بعد أن تزوج الابن أحمد بسيدة لبنانية هو الآخر.

موقع الجد من الأم، الباشا والمالك الزراعي الكبير بولاية عين الدفلى بوسط البلاد، هو الذي قد يفسر استفادة أم مصطفى شريف - وزير الجامعات في حكومة مولود حمروش - من تعليم باللغتين العربية والفرنسية، هي التي تزوجت إماماً ابن مُفتٍ كبير معروف في كل جهة الوسط بتسييره لزاوية سيدي أحمد بن يوسف بمليانة، عكس عائلة مصطفى الشريف التي حافظت على وضعيتها الاقتصادية الاجتماعية لأكثر من جيل، إضافة إلى مكانة دينية وقرب من الإدارة الاستعمارية عن طريق الجد الباشا.

أما عائلة بشير بومعزة⁶⁷ فقد فقدت أراضيها إذ صادرتها الإدارة الفرنسية آخر الانتفاضة الشعبية (1871)، التي شهدتها منطقة القبائل (خراطة ولاية بجاية) والتي تنتمي إليها عائلة هذه الشخصية التاريخية، بشير بومعزة الذي لم يشفع له التحاقه بحزب الشعب صغيرا ولا تعرّفه على كل قيادات الحركة الوطنية بما فيهم مصالي، للانضمام إلى مجموعة 22 التي يعود إبعاده منها إلى بعض الوجوه التاريخية المعروفة التي قادت الثورة كمحمد بوضياف الذي مازال يتذكر وهو يضحك كيف أنه حاول إقناعه بعدم انضمامه إلى مجموعة 22 لأنه لا يملك تدريبًا عسكريًا كافيًا، هو الذي توجه إلى القاهرة بدل جبال الجزائر كما فعل البعض إيدانا بالصراعات التي عاشها الرجل بين أعضاء النخبة السياسية الوطنية وثورة التحرير التي عانى فيها ويلات السجن والتعذيب بداية من 1958 تاريخ إلقاء القبض عليه في فرنسا إلى غاية فراره من السجن في 1961⁶⁸.

إبعاد لم يمنعه من الوصول إلى مواقع هامة كوزير لعدة قطاعات مثل الصناعة والاقتصاد والإعلام في السنوات الأولى للاستقلال، مع الرئيس بن بلة، توجه بعدها نحو مواقع المعارضة ليجد نفسه في المنفى (1966)، بعد بؤادر سوء تفاهم مع بعض أعضاء مجموعة وجدة التي كان قريبا منها باعتباره عضوا بمجلس الثورة الذي تم تنصيبه بعد الانقلاب على صديقه القديم أحمد بن بلة. لم يعد الرجل المعروف بحدة ذكائه وقوة شخصيته من منفاه السويسري إلا في 1980 بعد وصول الرئيس الشاذلي بن جديد للحكم وإطلاقه لسلسلة من التفاهات مع وجوه معارضة، وترأس جمعية 8 ماي 45 التاريخية. عودة سمحت له لاحقا بالوصول إلى منصب الرجل الثاني في السنة الأخيرة من حكم الرئيس ليامين زروال، في أول تجربة للغرفة الثانية من البرلمان في الجزائر. منصب غادره الرجل بعد ظهور مؤشرات سوء تفاهم مع زميله عضو مجلس الثورة، الرئيس الجديد عبد العزيز بوتفليقة الذي عاد إلى الحكم عشر سنوات بعده. منفى استغله بشير بومعزة في تطوير علاقاته الدولية التي ركز فيها على العراق الذي ربطته علاقات قوية مع رئيسه صدام حسين، تعميقا للنزعة القومية التي عبر عنها الرجل منذ فترة الحركة الوطنية حين قاد إضرابات عمالية في موانئ فرنسا لمنع وصول أسلحة كانت موجهة لصالح الجيش الإسرائيلي في بداية تكوينه.

عائلة كانت أقرب للريف والعالم القروي، فالجد من الأب، كما يصف الحفيد بشير وضعيته...كما يقال كان مالك زراعي كبير وهو الموقع الاقتصادي الاجتماعي الذي قد

67. انظر تفاصيل البورتريه الذي أنجزناه لبشير بومعزة في :

ناصر جابي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 283.

68. انظر شهادة بشير بومعزة وهو يسرد تجربته في السجون الفرنسية والتعذيب الذي تعرض له داخلها في هذا المؤلف الجماعي الذي تمت مصادره مباشرة بعد صدوره.

Bachir Boumaaza, *La Gangrène (document)*, Les Éditions de minuit, Paris, 1959.

يفسر استفادة ابنته، أم البشير بومعزة المولود في سنة 1927، من تعليم قرآني جعلها تحفظ كل الكتاب المقدس وهي الظاهرة التي يقول عنها الابن أنها.... فعلا ظاهرة شاذة في تلك الفترة، عندما يتعلق الأمر بنساء العالم الريفي.

رغم عدم الاستقرار داخل مدينة الجزائر الذي ميز تاريخ عائلة بن رضوان الطبيب وزير الشؤون الدينية في حكومة غزالي (1991-92) - في بعض محطاتها، أين كان مفروضا على الأب الانتقال إلى بونينان بالقرب من مدينة البليدة، للعمل كمسير لمزرعة ثم العودة إلى العاصمة في مرحلة لاحقة، فالعائلة كانت معروفة بقدماها في مدينة العاصمة وبحي بوزريعة تحديدا بأعالي العاصمة، هذا الفضاء الحضري قد يفسر كيف استفادت الأم - على غرار الأب - ابنة الحر في الصغير (حلاق) من تعليم ابتدائي، حسب تصريح ابنها البكر طبيب أمراض الجلد محمد المولود في بداية الخمسينيات (1950).

الارتباط القوي بين بعض المدن الكبرى كقسنطينة وتلمسان في تحديد درجة الاستفادة من الإناث من التعليم بالنسبة لأجيال كثيرة من الجزائريات، يتأكد مرة أخرى في حالة أم عبد المجيد مزيان ابنة الفقيه- المعلم التلمساني، التي يتكلم عن مستواها التعليمي الابن عبد المجيد بالصيغة التالية : « الوالدة كانت تملك المستوى الابتدائي، فقد حفظت نصف القرآن ». بالطبع مهنة الأب المعلم وانتشار التعليم داخل الوسط العائلي لدى جيل الجدين قبل جيل الأم، كلها شروط مساعدة على تعلم البنات واستفادتهن المبكرة من التعليم الذي كان قليل الانتشار في ذلك الوقت.

وضعية المرأة ومكانتها في مجتمع تقليدي في حالة استعمارية هي التي قد تفسر حالة أم عبد الحق برارحي بنت الحر في الصغير وزوجة الإمام الزيتوني الذي أقام لفترة في تونس، التي خرجت من الأمية وتعلمت لحد الحصول على ما يقارب المستوى الابتدائي، لكنها انتكست مع الوقت وعادت إلى الأمية مرة ثانية جراء عدم الاستعمال والتوقف عن المطالعة والكتابة باللغة العربية.

والدة الطبيب عبد الحميد عباد - وزير التكوين المهني في حكومة بن فليس (2002-03) - كانت صاحبة مستوى متوسط باللغة الفرنسية، وامتھنت التعليم بالفرنسية مثل زوجها مدير المدرسة ووالدها المعلم بالفرنسية هو الآخر، في هذا الوسط القبائلي الذي تربى وعاش في مدينة سطيف قبل الاستقرار في العاصمة بحي الحراش الذي ارتبط به الابن على أكثر من صعيد سياسي وعاطفي⁶⁹. العائلة التي دعمت استفادتها لاحقا من التعليم بشكل ملحوظ، كما هو سائد عند أبناء المعلمين (تخرج في العائلة خمسة أطباء بما فيهم البنات وثلاثة مهندسين).

69. انظر البورتيري الذي تكلمنا فيه عن عبد الحميد عباد في : ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 471.

استعراض المستويات التعليمية لأم الوزير، بينت لنا أن المواقع الاجتماعية والاقتصادية لعائلة أم الوزير كانت أكثر تفسيراً من الأصول الجغرافية والجهوية (مدينة/ريف) عندما يتعلق الأمر بالخروج من الأمية والحصول على مستوى تعليمي، عرفته عدة مناطق من التراب الوطني إذا استثنينا المناطق الجنوبية الغائبة كجهة في عملية إنتاج النخبة بمختلف مكوناتها، ونحن نتكلم عن أم الوزير الرجل وليس الوزيرة المرأة التي لم نقم بتحليل نتائجها في هذا القسم من الدراسة، والتي يمكن العودة إلى تفاصيل وسطها الثقافي في القسم المخصص للوزيرات. رغم أن الوضع مشابه بين الرجل والمرأة حتى ونحن نلاحظ استفادة أكبر لدى وسط الوزيرة المرأة مقارنة بالوزير الرجل رغم ضعف عدد النساء الوزيرات مقارنة بالرجال.

المستويات التعليمية لأب الوزير. الاتجاه الثقيل نحو الخروج من الأمية

المعطيات الإحصائية تخبرنا أننا أمام أغلبية من الآباء خرجوا من الأمية. بما يساوي 72 بالمائة من المجموع الكلي لعينة الدراسة، وعلى رأسها يأتي أصحاب المستوى الابتدائي بـ 34 بالمائة يليها أصحاب المستوى المتوسط بـ 26 بالمائة وأخيراً أصحاب المستوى العالي. أي أن 28 بالمائة فقط لم يخرجوا من الأمية، لنكون أمام أكثر من ثلث الإجمالي للعينة بقي حبيس الأمية.

وهو ما يجعلنا نتطرق في الأول إلى الفئات الأكثر استفادة من التعليم، من أصحاب المستوى العالي الذين وصلت نسبتهم إلى 12.1 بالمائة للتعرف على أصولهم الاجتماعية والجغرافية عن قرب، والانتقال لاحقاً إلى أصحاب المستويات الأخرى الابتدائية والمتوسطة، لنترك في الأخير الحديث عن الفئات التي لم تتمكن من الخروج من الأمية، ونحن نناقش مسألة الخروج من محطة المقاطعة للمدرسة الفرنسية التي تكلمت عنها الدراسات؛ لنطرح في هذا الإطار مسألة مؤسسات التكوين التي كانت وراء انتشار هذا النوع من التعليم بمختلف مستوياته ولغاته التي تراوحت بين المدرسة الفرنسية العصرية ومدارس جمعية العلماء والحركة الوطنية، بالإضافة إلى الزوايا ومؤسسات التعليم التقليدي الأخرى، زيادة على المعاهد والجامعات العربية كالزيتونة والأزهر والقرويين بشكل أقل. لنلاحظ تلك الأهمية التي احتلتها بعض الثانويات، التي كانت أكثر انتشاراً من الجامعات، في إنتاج هذه النخبة الوزارية صاحبة المستويات التعليمية البسيطة الأكثر شيوعاً خلال هذه الفترة من تاريخ الجزائر.

الجدول رقم 18 : المستوى التعليمي لأب الوزير

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي
12.1	12	جامعي
26.3	26	متوسط
34.3	34	ابتدائي
27.3	28	من دون مستوى
100	100	المجموع

تحليل سنقوم به اعتمادا على ما توفر لدينا من معطيات إحصائية مستخرجة من المقابلات التي أجريناها مع الوزراء الذين كان عددهم أكثر من 100 وزير ووزيرة رغم أننا اكتفينا بتحليل 100 وزير فقط في هذا الجانب الإحصائي، سنعتمد عليها كمؤشرات عن اتجاهات عامة دون أن يمنعنا هذا من استعمال المعطيات النوعية المتحصّل عليها من المقابلات التي أجريناها مع العينة الأكبر التي وصلت إلى حوالي 150 وزيراً ووزيرة.

المستويات الجامعية : سيطرة مهن التعليم والعدالة وغياب المهندسين

معطيات تخبرنا أن هناك 12.1 من الوزراء يملكون أباً صاحب مستوى تعليم جامعي وفي المقابل، لم تكن هذه النسبة تتجاوز 3 بالمائة على مستوى الجد من الأب و 4 بالمائة بالنسبة للجد من الأم. نسبة عالية جدا على مستوى جيل الأب في الحالة الجزائرية، تؤكد مرة أخرى أننا أمام وسط متميز على المستوى الثقافي، بعد التميز الذي لاحظناه على المستويات الاقتصادية والاجتماعية التي أكدت المواقع الميسورة للوزير بداية من جيل الجدين إلى غاية الأب، رغم انتقال السيطرة من القوى الريفية المالكة الكبرى والمتوسطة نحو البيروقراطية الناشئة التي ظهرت كقوة إنتاج للنخبة الوزارية. تحول نرى أثره على مستوى تعليم الآباء الذين استفادوا من دخول العائلة إلى المدينة، كما تظهره عدة حالات من أبناء أصحاب التعليم العالي الحاصلين على شهادات من جامعات عصرية، أو حتى تقليدية كما كان الحال مع عائلة طالب الإبراهيمي ومحمد الميلي وغيرهما من شيوخ جمعية العلماء الذين استفادوا من التعليم في الزيتونة لأكثر من جيل. توجهوا بعدها نحو التعليم والإمامة في قطاع التعليم التقليدي الذي كان وراءه الأهالي من الجزائريين كتمويل وإدارة كما كان الحال مع جمعية العلماء أو حزب الشعب.

مهن أخرى يمكن أن نصنف أصحابها كأصحاب تعليم جامعي مثل مهن العدالة المختلفة كالقضاة من خريجي المدارس، والمترجمين كما كان حال أب عبد الحميد أبركان الذي كانت مهنته تفترض تحكمه في اللغتين ككل خريجي المدارس التي كانت استفادة عائلة الوزراء منها واضحة بداية من جيل الأب إلى غاية جيل الوزراء أنفسهم، بكل ما

ميز هذا النوع من التعليم المزدوج لغويا وثقافيا، ومنها مدرسة العاصمة التي كانت من نصيب الأب أبركان، وكذلك أب مصطفى لشرف الذي يذكر الابن أنه كان يحسن اللغتين العربية والفرنسية، هو خريج المدرسة نفسها.

حالة يمكن أن نضيف لها أب محمدي محمد الصالح القاضي مزدوج اللغة هو الآخر.. والأب بكة المترجم القانوني ومحمد قارة خريج مدرسة قسنطينة. أمّا أب شريف بلقاسم فقد كان معاون مترجم في المغرب وليس مترجم الذي يكون قد استفاد من تمكنه من العربية والفرنسية زيادة على الأمازيغية هو الشاوي الحركاتي الذي استقر مهنيا في المغرب بعد زواجه من إحدى بنات البلد.

زيادة على الدور الذي قامت هذه المدارس الثلاث يمكن أن نضيف الدور المهم الذي قامت به مدرسة بوزريعة لتخريج المعلمين بالفرنسية التي اكتفت بها كلغة تدريس، كما رأينا ذلك في حالة عائلة بومنجل التي استفادت لجيلين من هذه المدرسة، لتطور استفادتها على مستوى الأبناء الذين التحقوا بكلّيات الحقوق للتخرج كمحامين ومغادرة مهنة التعليم. نفس المدرسة التي استفاد منها أب محمد لياسين ابن دلس المتخرج كمعلم داخل هذا الوسط الفرانكفوني الذي استمر مع الابن الوزير خريج مدرستين كبيرتين للمهندسين الذي لم يتمكن من اللغة العربية بعد عدة سنوات من المسؤوليات على رأس منصب وزارة الصناعة (1977-82)⁷⁰ ومدير مكتب مع رئيسي حكومتين تعرض خلالها لحملة إعلامية وسياسية معادية من قبل تيارات محافظة. في وقت كانت تعيش فيه الجزائر انفتاحا إعلاميا كبيرا، على خلفية أزمة سياسية ميزت مرحلة بداية التسعينات⁷¹.

لنجد أنفسنا أمام تميز واضح في حالة أب فاروق طبال الحاصل على دكتوراه في الطب، الوزير لفترة قصيرة (1992-93) الذي كان أبوه طبيبا داخل هذا الوسط المتعلم منذ مرحلة الجدين، خاصة فيما يتعلق بالجد من الأم القاضي والجد من الأب البشاغا صاحب التعليم الابتدائي في هذه المدينة المتميزة بإنتاجيتها النخبوية الكبيرة، وكذلك حالة عبد المجيد مزيان (من مواليد 1926) وزير الثقافة في منتصف الثمانيات التي كان فيها الجدّان إمامين - معلمين مثل الأب - في هذه العائلة التي استفادت من تواجدها بالقرب من الحدود المغربية لتطوير استفادتها من التعليم على مستوى جيل الابن عبد المجيد. وهي توظف استراتيجية الزواج الداخلي بين أبنائها للزيادة من تراكمها الثقافي وتميزها.

70. للتعرف على تفاصيل أكثر حول المسار التعليمي والمهني لمحمد لياسين الذي احتل منصب مدير مكتب لرئيس حكومتين مختلفتين بعد ابتعاده عن الحكومة وحتى مدير معهد التخطيط. انظر : ناصر جابي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، 2011، ص 564.

71. ركزت الحملة على وجوه وزارية كان على رأسها محمد لياسين الذي تم التذكير بزواجه من سيدة فرنسية وهي تطلق عليه اسم راسبوتين علما بأن حكومة عبد السلام قد استقالت بسرعة في 21 أوت 1993 بعد تنصيبها سنة تقريبا قبل ذلك في 8 أوت 1992. نفس ما حصل لحكومة سيد أحمد غزالي التي عينت في 19 أكتوبر 1991 واستقالت في 19 جويلية 1992. على وقع اغتيال رئيس الدولة محمد بوضياف.

في المغرب بالذات سصادف عائلة جزائرية أخرى تمكن أبناءها من احتلال مواقع مهنية رفيعة أوصلتهم إلى القصر العلوي كموظفين سامين، والمقصود هو أب عبد العزيز معاوي خريج جامعة الزيتونة التونسية الذي كان أبوه معلم ومدير مدرسة في تلمسان التي غادرها للإقامة في المغرب، كما فعلت ذلك الكثير من العائلات التلمسانية الميسورة المستفيدة من التعليم التي وجدت أبواب الترقية موصدة أمامها في الجزائر فاختارت الهجرة نحو المغرب القريب.

لنلاحظ في المقابل انعدام أي حالة لأب مهندس أو صيدلي. مما يؤكد ضعف استفادة الجزائريين من هذه التخصصات العلمية، مقابل تخصصات أدبية أخرى مشهورة، كالدراسات القانونية واللغوية والدينية التي كانت المصدر الأساسي لمهن التعليم والإفتاء والإمامة والصحافة التي ظهرت عند هذا الوسط الاجتماعي، كما بينته دراسات تاريخية اهتمت بتاريخ التعليم في الجزائر (فاني كولونا) لدى الجزائريين؛ لنكون أمام انتشار وطني لهذه المهن تعبر عنها حالات مثل عائلة عبد الحميد مهري في الشرق الجزائري، المنطقة التي عرفت انتشاراً لأدوار جمعية العلماء وبعض الزوايا، كزاوية شلاطة بتراب ولاية بجاية، وحتى استفادة مبكرة من جامعة الزيتونة التونسية، كما كان الحال مع أب عبد الحميد مهري الذي لم يكتف بالتدريس والإمامة، فزاد عليها الكتابة الصحفية في جريدتي الإقدام والصديق هو الذي كان على علاقة مع عبد الحميد بن باديس والأمير خالد في تلك الفترة كما يذكر الابن عبد الحميد في المقابلة التي أجريناها معه⁷² لتكون الزيتونة هي نفس وجهة الابن عبد الحميد بعد الأب، رغم عدم حصوله على أي شهادة تعليمية كما سنعرف ذلك لسيطرة الانشغالات السياسية الوطنية على مساره السياسي.

عكس ما حصل مع أبناء جيله ووسطه الثقافي وجهته مثل محمد الميلي الذي تمكن من الحصول على شهادة التحصيل التي كان قد حصل عليها الأب مبارك الميلي من نفس الجامعة، والذي كان زاده باللغة الفرنسية أقل من الابن محمد، حسب شهادة الابن، بعد تعديل هذه الفئات لمواقفها المقاطعة للمدرسة الفرنسية، وصلت إلى حد تفضيل توجيه أبنائها نحو الجامعة الفرنسية، كما كان حال الشيخ إبراهيمي الذي فضل توجيه ابنه الثاني أحمد نحو دراسة الطب بالفرنسية بدل توجيهه نحو جامعة عربية كالزيتونة أو الأزهر⁷³.

المستويات التعليمية العليا التي يمكن أن نضم إليها أب عبد الحق برارحي خريج الزيتونة هو الآخر الذي اشتغل كإمام في خنشلة، هو ابن عرش الصياغ المنتشر بين ولايتي

72. ناصر جابي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، 2011، ص 626.

73. فضل الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي كتابة مذكراته بالفرنسية في الأصل وطلب مساعدة مترجم إلى العربية بدل كتابتها بالعربية مباشرة. نظرا لسهولة التحرير بالفرنسية التي درس بها منذ المرحلة الابتدائية رغم إتقانه للعربية.

خنشلة وأم البواقي. في حين أن زاوية العائلة الأصلية تعود إلى منطقة خنقة سيدي ناجي بشمال ولاية بسكرة، مما يؤكد الدور الذي قامت به هذه الأوساط المتعلمة تعليماً تقليدياً دينياً في إنتاج النخبة الوزارية، التي اكتفت بهذه المهن التقليدية في حالة استعمارية استيطانية لم تكن تفتح آفاقاً مهنية متنوعة أمام هذه الأوساط رغم خروجها من الأمية وحصولها على تعليم عالٍ ومتوسط يكون وراء الجذرية التي ميزت جزءاً من جيل الأبناء الذي كان إحساسه بهذا الظلم أكثر وضوحاً، ما أدى به إلى قطيعة واضحة مع الظاهرة الاستعمارية عبر عنها بأشكال مختلفة، كما سنلاحظه لدى بعض الوزراء من هذا الجيل من الذين التحقوا بالحركة الوطنية وحرب التحرير وهم صغار.

الأب صاحب التعليم الابتدائي والمتوسط: توسع الطلب على المدرسة الفرنسية

والابتعاد عن المقاطعة

هذا ما توحى به نسب انتشار المستويات التعليمية الابتدائية والمتوسطة عند هذا الجيل الذي يمثله آباء الوزراء الذين سجلنا لديهم نسبة أكثر من الثلث من أصحاب المستوى الابتدائي: 34.3 مقابل ما يزيد عن ربع العينة (22.6 بالمائة) الذين صرحوا لنا أن آباءهم كانوا من أصحاب المستوى المتوسط. لنكون أمام أكثر من الربع الذين لم يتمكنوا من الخروج من الأمية 27.3 بالمئة.

هذا الانتشار التدريجي للتعليم لدى هذا الجيل قد يكون مؤشراً عن ابتعاد فئات اجتماعية واسعة عن سياسية مقاطعة المدرسة الفرنسية التي انتهجتها من قبل لتوجه أبنائها بداية من هذا الجيل نحو المدرسة الفرنسية زيادة على التعليم التقليدي الذي تعودوا عليه، رغم قلة العرض التعليمي المقترح عليها.

ليس من السهل دائماً تحديد المستوى التعليمي لآباء الوزراء الذين يعلن أبنائهم عن مستوى تعليمي متوسط عندما لا نكون أمام شهادة ممنوحة عند نهاية مرحلة الدراسة، كما هو الحال في التعليم العصري وحتى جزء من التعليم الحر الذي قلده في ذلك. عكس ما كان سائداً في نظام التعليم التقليدي كالزوايا ومجمل النظام التعليمي التقليدي الذي كان هو المتاح أمام الكثير من الأوساط الريفية الجزائرية، وهو ما يجعلنا نجمع في هذا القسم من الدراسة بين المستويين المتوسط والابتدائي تحديداً عندما نكون أمام آباء متحصّلين على الشهادة الابتدائية التي كان يوجه نحوها التلاميذ الجزائريون كمرحلة نهائية في مسار تعليمهم، لرفض قبولهم في المستويات الأعلى التي كان يمكن الحصول عليها لو تمكنوا من الاستفادة من التعليم الثانوي العام الذي يوجه نحو الجامعة، بعد الحصول على البكالوريا التي كانت لفترة طويلة مقسمة إلى قسم أول وثاني.

ليبقى الحصول على وظيفة داخل الإدارة العمومية أو قطاع الخدمات مقياسا مهما عن جدارة المستوى التعليمي المتوسط المصرح به من قبل الابن الوزير ؛ وكان هذا حال أب زين الدين سقفاي ابن مدينة جيجل الساحلية، الموظف في قطاع الشؤون الدينية الذي كان تحت سيطرة الإدارة الفرنسية تسيره كشأن ديني خاص بالأهالي، هو الحاصل على البكالوريا التي كانت حاجزا كبيرا في المسار التعليمي لهذا الجيل من الجزائريين الذي ابتعد وسطهم العائلي عن استراتيجية مقاطعة المدرسة الفرنسية التي انطلق في المطالبة بالاستفادة منها خاصة من أبناء المدن الكبرى والمتوسطة التي كانوا قريبين منها ومن الوسط الاجتماعي الفرنسي الذي استفاد منها، عكس ما حصل لهم.

وهو نفس حال أب محمد الصالح منتوري الذي عُرف بمهنة كساعي بريد، سمح له تمكنه من اللغتين العربية والفرنسية بممارستها مما يعني أننا أمام أب حاصل على الأقل على المستوى الابتدائي، علما بأن الجد كان في هذه الحالة خوجة كما عرفنا ذلك ونحن نتكلم عن جيل الجد مما يؤكد هنا أننا أمام نوع من الاستمرار على مستوى الموقع الاجتماعي لهذه العائلة أصيلة مدينة فج مزالة -منتورة بالضبط - قبل الانتقال إلى الحامة بوزيان بالقرب من مدينة قسنطينة، لنلاحظ نفس الاستمرارية في الاستفادة من التعليم لدى جيل الأبناء بما فيهم البنات، عند عائلة ذات إنتاجية نخبوية كبيرة عبرت عنها بإنتاج ثلاثة وزراء بما فيهم امرأتان⁷⁴.

شهادة البكالوريا التي سنجدها حاضرة مرة أخرى في حالة الأب زيارى، ابن الحروش، القسنطيني الإقامة والقلي الأصل، الفلاح صاحب الملكية المتوسطة كما يصفها الابن أستاذ الطب. أب بمستواه التعليمي المتوسط قد يكون هو الذي سهل له النشاط السياسي في أحزاب الحركة الوطنية القريبة من التيار الليبرالي وزعيمه فرحات عباس. نشاط استمر مع الأب زيارى إلى غاية مرحلة الاستقلال للحصول على عضوية المجلس التأسيسي. قطاع السكك الحديدية الذي كان مهنة الجد من الأم لعبد العزيز زيارى القسنطيني، سنجده حاضرا مرة أخرى في حالة أب العقيد سليم سعدي الذي درس إلى غاية المرحلة الثانوية للعمل كإطار متوسط (Chef de gare) في قطاع النقل بالسكك الحديدية كمسؤول عن الرصيف.

في سوق أهراس بأقصى الشرق الجزائري بالقرب من الحدود التونسية، سنجد أب حراثي مصطفى الذي واصل تعليمه إلى غاية المرحلة الثانوية دون الحصول على شهادة البكالوريا، للتفرغ لتسيير أملاكه العقارية الواسعة. أما عائلة شيبان فلم يكن فيها الأب حاصلًا إلا على مستوى تعليمي بسيط رغم المكانة الدينية للعائلة القريبة من هذا الوسط التقليدي الديني التي كانت معروفة به على مستوى أجيال أكبر. ستقوم بالتواصل معه

74. انظر القسم الخاص بالوزيرات للتعرف على حالي فتحة منتوري وابنة عمها زهية منتوري.

مرة ثانية مع جيل الأبناء على غرار سعيد (أستاذ طب) وعبد الرحمن (أستاذ عربية ومفتش تعليم) وزيري الشؤون الدينية في الجزائر المستقلة. كدليل على هذا الطلب على التعليم بشكله العصري المرتبط بالمهنة التقنية يمكن أن نضيف حالة أب باباس محمد الصغير الذي امتحن المحاسبة بعد الحصول على مستوى متوسط من التعليم في مدينة قلمة بأقصى الشرق الجزائري.

معلم القرآن، التاجر الصغير

ونحن نستعرض أصحاب المستوى الابتدائي يمكن أن نذكر آباء كل من راشدي علي - وزير الجامعات في حكومة مولود حمروش - الذي عمل كمراقب في مستشفى بعنابة - هو الذي كان يحسن الكتابة والقراءة باللغتين، مما يسمح لنا بضمه لأصحاب المستوى الابتدائي، من دون الحصول على الشهادة الابتدائية بالضرورة. وهو نفس حال أب يويي زين الدين، وزير البريد وتكنولوجيا المواصلات في حكومة علي بن فليس (2002-2003) ضابط الشرطة بعد الاستقلال. وكذلك كان حال أب حاجيات تاجر التفصيل صاحب المستوى الابتدائي بالفرنسية. وأب بلقاسم نابي في مسيلة كذلك، وحال أب عبد العزيز زرداني - وزير العمل والشؤون الاجتماعية (1965-67) - الحاصل على شهادة ابتدائية باللغة الفرنسية، سمحت له بالحصول على منصب سكرتير بلدية. حالة يمكن أخذها كمؤشر عن التبقرط الذي حصل لدى هذه الفئات المالكة الكبيرة والمتوسطة على مستوى الجدة، بعد استقرارها في المدن التي دخلها الابن كموظف في البلدية، رغم انتمائه السياسي الوطني الذي صرح به الابن الوزير : « الوالد كان قريبا من حزب الشعب ».

نفس حال أب الهادي لخضيري وزير الداخلية والنقل خلال مرحلة الانتقال من الأحادية إلى التعددية (1987-1990) الذي توجه للعمل في السكك الحديدية بعد حصوله على شهادة الأهلية بالفرنسية. نفس المهنة ونفس المستوى التعليمي الذي كان في حاله أب محمد جغبابة وزير المجاهدين.. نفس المستوى الابتدائي بالفرنسية ونفس نفس حال أب بن يسعد حسين الذي فضل العمل التجاري والصناعي لاحقا في ميدان الجلود بمدينة البويرة. نفس الصورة في الربط بين التجارة الصغيرة في ميدان التمور وتعليم القرآن حاضرة هنا كذلك مع أب حكيمي كمال الذي قام بها في مدينة العلمية بولاية سطيف التي هاجر إليها الأب من منطقته الأصلية (بني عزيز) بالجهة الشمالية لنفس الولاية التي شهدت أحداث 8 ماي 45 التي قُتل فيها 17 فردا من عائلة حكيمي حسب شهادة الابن الوزير كمال.

مهنة التجارة الصغيرة التي كانت الملجأ المهني المتاح أمام الكثير من الجزائريين من أبناء الريف والقرى والمدن الصغيرة، كمصدر للرزق للذين لم يسعفهم مستواهم التعليمي في الحصول على عمل إداري، خاصة إذا اكتفوا بالعربية لوحدها دون الفرنسية. عمل كان يتوجه

إليه بعض الجزائريين حفاظا على استقلاليتهم المالية بما فيهم من كان يرفض لأسباب مختلفة العمل لدى الإدارة الفرنسية التي لم تكن العلاقة معها على ما يرام، ليفضل عليها العمل التجاري الحر مهما كانت بساطة دخله المالي. وهو ما كان عليه حال أب الشخصية الوطنية بشير بومعزة الذي جمع بين مهنتي التعليم القرآني والتجارة الصغيرة.

في حالة أب بوعلام بن حمودة - الوزير لما يقارب ربع قرن بين 1965 و1986 على رأس مواقع سيادية كالداخلية والعدل والمالية، والذي وصل إلى الأمانة العامة لجهة التحرير بين 1996 و2001 كأحد وجوه التيار المعرب المحافظ داخل مؤسسات الدولة والحزب - الحاصل على الشهادة الأهلية التي لم يستعملها للحصول على منصب إداري داخل الجهاز الإداري الفرنسي، مفضلا عنه العمل ككاتب موثق وكاتب عمومي وحتى تاجر أثاث، هو الذي كنا قد عرفنا ونحن نتكلم عن جيل الجد أنه كان حارس غابات في منطقته (شرشال بولاية تيبازة)، موقع عرفنا الأهمية الكبيرة التي توليها له الإدارة الاستعمارية في الجزائر لأهميته الاقتصادية والأمنية، سمح له به حصوله على الشهادة الابتدائية باللغتين. مواقع مهنية لدى هذا الجيل توحى بالجزيرية التي ظهرت لاحقا على مستوى الابن بوعلام الذي كان من الطلبة الذين قرروا الالتحاق بجيش التحرير على تراب الولاية الرابعة بعد الإعلان عن إضراب الطلبة في 1956 ليلقى عليه القبض ويسجن بعد معركة مع الجيش الفرنسي (1957) إلى غاية الاستقلال.

نلاحظ ضمن هذه الدراسة نوعًا من العصامية التي ميزت آباء بعض الوزراء أصحاب المستوى التعليمي البسيط الذين قاموا بمجهود خاص لتعلم الحساب خاصة وقراءة المراسلات الرسمية عندما نجحوا في عملهم كتجار صغار. مجهود خاص أبعدهم من حالة الأمية قاموا به وهم يثمنون ما حصلوا عليه من تعليم بسيط وهم صغار.

الأب القايد والعسكري صاحب التعليم الابتدائي

كنا قد عرفنا ونحن نستعرض بعض الدراسات التاريخية التي تكلمت عن منصب القايد في الجزائر أننا أمام أبناء فئات لم تكن ذات حظ كبير في التعليم كما أكده مصطفى لشرف⁷⁵، لم يمنع الإدارة الفرنسية من الاعتماد عليهم اعتمادا على مقياس الوفاء لفرنسا قبل غيره من المقاييس الأخرى، والذي يمكن ملاحظته في علاقات أفراد العائلة - القبيلة أو العرش في حالات أخرى - وتواترها عبر الأجيال المختلفة مع الإدارة الفرنسية، وهو ما جعل الكثير من القياد يحصلون على هذا المنصب بمستوى تعليمي بسيط لم يتجاوز مرحلة الحصول على الشهادة الابتدائية، كما كان حال أب عيسى عبد اللاوي العسكري،

75. Lachref Mostefa, *Des noms et des lieux. Mémoires d'une algerie oubliée souvenirs d'une algerie oubliée*, souvenir d'enfance et de jeunesse, Casbah Éditions, Alger, 1998.

ابن حارس الغابات الحاصل على الشهادة الابتدائية، كما عرفنا ذلك ونحن نستعرض حالة الجد من الأب في هذه العائلة.

وهو نفس وضع أب عبد المجيد علاهم⁷⁶، ابن المسيلة بمنطقة الحضنة - عرش أولاد ماضي - الحاصل هو الآخر على الشهادة الابتدائية في هذه المنطقة التي لم تُعرف باستفادتها الكبيرة من انتشار التعليم، مما يمنح هذه الشهادة التعليمية بالنسبة لهذا الجيل وفي هذا الوسط الاجتماعي أهمية كبيرة. رغم إصرار الابن عبد المجيد أثناء المقابلة على التركيز على فقر الأب وتواضع وضعه الاقتصادي.. « الوالد كان فقيرا، لا يملك لا دار ولا دوار، لم تُعرف عنه ملكية أراضي أو عقارات، أصر على الاعتماد على أجره فقط للتكفل بعائلته... ». وهو ما يفسر أن أبناء العائلة توجهوا نحو مدرسة تكوين عسكري بسيطة متخصصة في تكوين ضباط الصف (مدرسة مليانة) من أبناء الأوساط الفقيرة والأيتام.... لضيف الابن أن المدرسة تحولت إلى مدرسة فعلية للوطنية وهو يذكر بالوجوه التي تخرجت منها⁷⁷ التي كانت جزءاً مهماً مما يُعرف بقدماء الجيش الفرنسي الذين التحقوا بجيش التحرير في السنوات الأخيرة لحرب التحرير بما فيهم بعض أفراد العائلة... « عمي المنخرط في الجيش الفرنسي هو الذي وجهني نحو هذه المدرسة⁷⁸ التي تخرجت منها في 1953 لتحضير الدخول إلى مدرسة فرنسية للتخرج كملازم في سلاح المشاة في 1958 ». لنكون أمام أب حاصل على الشهادة الابتدائية بالفرنسية في حالة أب عبد المجيد أوشيش الخوجة وقايد برج بوعريريج والبشاغا لاحقا، الحاصل على الشهادة الابتدائية بالفرنسية، تؤكد بعض الحقائق التي سنعتمدها كدراسة حالة لتوفر المعطيات التي حصلنا عليها من دراسة حالة مونوغرافيا لهذه العائلة، أنجزتها إحدى بناتها للحصول على دكتوراه في العلوم السياسية من باريس.

أب ركز على المدرسة الفرنسية كوسيلة ترقية أساسية لأبنائه بعد أن جرب نجاحها معه هو (من مواليد 1837) لتعميمها على ذكور العائلة وإنائها من البنات بنجاح متفاوت، ولم تجعله يهمل نظام التعليم التقليدي الذي لم يقطع أبناؤه وبناته الصلة معه كما كان الحال مع المدرسة القرآنية ومدارس جمعية العلماء بعد ذلك التي لم تكن استفادة الابن عبد المجيد منها حاضرة ونحن نلاحظ كيف كان يجد صعوبات كبيرة في الحديث بالعربية

76. انظر البورتري الذي خصصناه له في :

ناصر جابي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011، ص 517.

77. من الوزراء أصحاب الخلفية العسكرية الذين تخرجوا من هذه المدرسة الذين قمنا بمقابلتهم أثناء هذه الدراسة، نجد زيادة على أبناء عائلة علاهم: سليم سعدي وبكة عبد النور.

78. لمزيد من التفاصيل حول مدرسة مليانة، انظر :

Alain Sainte-Marie, *Ecoles des officiers indigènes en algerie de 1912-46*, in Cahiers de la Méditerranée, Année 1983, p. 195-207. In <https://journals.openedition.org/cdlm/5279?lang=en>

وكيف أنه نسي تماما الآيات من القرآن التي حفظها وهو صغير في هذا الوسط الذي تميز على الدوام بحضور كثيف لنظام التعليم التقليدي القرآني الذي كانت تصر عليه العائلة ضمن المسار التعليمي لأبنائها وبناتها كما كان الحال سائدا إلى غاية جيل عبد المجيد. عكس حالة أب العربي بلخير القايد الذي اكتفى بدراسة تقليدية سمحت له بتسيير زاوية العائلة فإن أب إيسلي محمد أرزقي، الدرقي، الحاصل على الشهادة الابتدائية يمكن إضافته هو الآخر لهذه الأوساط القريبة من الإدارة الفرنسية، رغم توضيح الابن الوزير أن الوالد كان قد استقال من منصبه قبل انطلاق ثورة التحرير، وأنه رفض الاستفادة من ترقية المقيم العام روبر لأكوست عندما اقترحت عليه، لينتظر الاستقلال للعودة إلى الدرك في مجال التدريب. وكذلك أب محمد السعيد معزوي موظف الضرائب الحاصل على المستوى الثانوي الذي رفض خلافة الأب في منصب القايد.

الفقراء من أصحاب التعليم القرآني البسيط والأميون

كنا قد عرفنا ونحن نتطرق إلى حالة آباء بعض الوزراء من التجار الصغار الأميين أن بعضهم قد تعلم وهو كبير بعض قواعد الحساب، بل وحتى قراءة بعض الوثائق التي يُعامل بها مع الإدارة الفرنسية كما حصل داخل التراب الوطني وفي المهجر؛ مما يعني أنهم قد تمكنوا من الخروج من الأمية جزئيا على الأقل. هذا الخيط الرفيع بين الأمية والمستويات التعليمية البسيطة التي تحصل عليها أب الوزير في صغره أو عند كبره بمجهوده الخاص هي التي تبرر لنا الكلام عن أصحاب المستويات البسيطة والأميين بشكل مشترك، إلا أنه ونظرا لعدددهم الكبير وبداية حالة الأمية في الحالة الجزائرية إلى غاية هذا الجيل لن نطيل كثيرا في الكلام عنها، ولن نستعرض منهم إلا بعض الحالات ذات الدلالة بالنسبة لتحليلنا الذي يهدف إلى إنجاز قراءة سوسيولوجية لمسألة النخبة الوزارية.

لذا لن نكون في حاجة إلى استعراض حالات الآباء الأميين الذي تبين الإحصائيات التي تمكنا من ضبطها أنهم في حدود 28 بالمائة من المجموع الكلي للوزراء الذين قابلناهم. فقد كانت الأمية حاضرة بقوة لدى عائلة رابح بيطاط، الشخصية الوطنية لغاية جيل الأب الأمي. لم يستطع الابن رابح الخروج منها إلا بصعوبة كبيرة حتى بعد دخول العائلة إلى قسنطينة التي درس في إحدى مدارسها الابتدائية (جيل فيري - Jules Ferry)، وهو يواظب في نفس الوقت على التعليم القرآني البسيط بكتاتيب المدينة⁷⁹ ... « نسيت مع

79. لاحظ مصطفى لشرف الذي امتحن لسنوات التعليم الثانوي في إحدى الثانويات الفرنسية المرموقة في باريس (Louis Le Grand) وهو مسجون مع رابح بيطاط في فرنسا أن هذا الوجه التاريخي كان يجد صعوبات كبيرة في القراءة باللغتين العربية والفرنسية. جعله - حسب الشهادة التي ذكرها لنا أثناء المقابلة معه لإنجاز هذه الدراسة - يطلب منه شراء كراس وقلم رصاص لكي يساعده في التحكم في الكتابة والقراءة. يضيف

الوقت كل ما حفظته من قرآن... الكتايب القرآنية البسيطة التي كانت الملجأ الوحيد لأبناء هذا الوسط الفقير من هذا الجيل (مواليد 1925) في مدينة قسنطينة التي عرفنا أن الأب كان يشتغل فيها كحداد لإعالة عائلته الكبيرة التي أنجبها مع ابنة فلاح صغير، 13 ولدا وبناتاً توفوا كلهم صغاراً باستثناء ثلاثة منهم، كدليل عن هذا الوضع الاقتصادي المتزدي للعائلة الذي يفسر من دون شك اتجاه الابن إلى تبني أطروحات الوطنية السياسية الجذرية والدخول في السرية مبكراً داخل هياكل حزب الشعب، ما أهله ليكون من بين الوجوه التاريخية الستة المفجرة لثورة التحرير في 54.

في نفس منطقة الشمال القسنطيني بريف ولاية ميله، قرية بني فليح بالقرب من العنصر، وبين أبناء هذا الوسط الشعبي الفقير الذي التحق بقوة بثورة التحرير، سنجد أب الوزير بن داكير سعيد الذي استشهد والده وعمره لا يتجاوز الستة أشهر. أب أمي مثل الجد، رغم النقلة النوعية التي قام بها جيل الابن الذي التحق بجامعة بريطانية لدراسة الرياضيات المطبقة على الإعلام الالي (1975) في وقت تبنت فيه الدولة تشجيع الدراسة الجامعية في الخارج، استفاد منها هذا الوسط الشعبي الفقير بكل فرص الترقية الاجتماعية التي فتحت أمامه بعد الاستقلال بواسطة التعليم الذي استفاد منه جيل الأبناء.

وهو نفس حال الابن عبو محمد ابن غليزان، المدينة التي دخلتها العائلة للسكن في إحدى أحيائها القصديرية (حي القرابة) الذي ولد فيه الابن محمد في 1949، بعد هجرتها من مدينتها الصغيرة، القلعة القريبة، بعد قرار الأب الهروب من ويلات حرب التحرير كما كان حال بن داكير الذي يتشابه معه في نفس الوسط الشعبي الفقير والأمي الذي أعادت فيه الأم الزواج من أحد الأقارب لإنجاب سبع إخوة وأخوات تحمّل بكر العائلة مسؤوليتهم بمجرد دخوله الحياة المهنية في نفس الصيف الذي أنهى فيه دراسته...

« نحن أبناء الفقراء لا حق لنا في الترفيه والعطل... كنت أبكي عدة مرات في غرفتي الجامعية وأنا أتذكر الحالة التي تركت فيها أمي وإخوتي في الجزائر.

بعض خصائص المسار العائلي الفقير جدا كما يصفه الابن سعيد بن داكير سنجدها حاضرة مع محمد عبو، الذي قرر أبوه إعادة الزواج من ابنة خالته بعد وفاة زوجته الأولى، لينجب معها 13 ولدا وبناتاً كان من بينهم أربع ذكور وبناتان صم بكم. حمل الابن محمد مسؤوليات عائلية كبيرة بعد الانتهاء من دراسته الجامعية في الاقتصاد بالجامعة الفرنسية. كآب عبد المجيد مناصرة وعبد القادر سماري وزراء حمس. الذين حصلوا على تعليم في العلوم الدقيقة كمهندس بالنسبة للأول والعلوم الفيزيائية بالنسبة للثاني الذي أنجز

لشرف أن يبطاط قام بما طلبه منه وبدأ في تعليمه في الأوقات المتفق عليها لعد أيام. لغاية دخول أحد الوجوه السياسية الأخرى إلى القاعة الجماعية. (بوضياف - آيت أحمد - بن بلة) يتوقف حينها ببطاط عن الكتابة ويقوم بإخفاء الكراس تحت الغطاء الذي كان يستعمله لاتقاء البرد في قاعة السجن لشعوره بالحر من هذه الوجوه التاريخية. بعد تكرار هذا السلوك يقول لشرف أوقفت الدروس لأن لا حياة في التعلم.

دراسته في جامعة تولوز الفرنسية عكس مناصرة الذي اكتفى بمعهد الميكانيك لبومرداس.
يمكن أن نلاحظ :

الجدول رقم 19 : مقارنة بين المستوى التعليمي للأب والجددين

المستوى التعليمي	الأب %	الجد من الأب %	الجد من الأم %
جامعي	12.1	3	4
متوسط	26.3	13.1	15.2
ابتدائي	34.3	17.2	19.2
من دون مستوى	27.3	66.7	61.6
المجموع	100	100	100

جدي الأمي، جدي المتعلم... في اللاتجانس الثقافي

رغم أننا كنا قد تطرقنا جزئياً إلى بعض حالات عدم التجانس ضمن الجذور العائلية للوزير من خلال الحديث عن أحد الجددين المتعلمين تعليماً عالياً، فإننا قررنا العودة إلى الحديث عن عدم التجانس الثقافي لدى جيل الجددين، للحديث هذه المرة عن أوضاع عدم التجانس الحادة التي يمكن أن تكون موجودة بين الواسطين الاجتماعيين للجددين، رغم أننا كنا قد عرفنا أن التجانس الكبير هو السائد، ليس في المجال الثقافي والعلمي فقط، بل حتى عندما يتعلق الأمر بالمجالات الثقافية والعلمية، دون أن يمنع هذا كل حالات عدم التجانس التي رغم قلتها يمكن أن تكون موجودة بالفعل، مما يجعل عملية التعرف عليها وتحديداتها مهماً للدراسة.

الجدول رقم 20 : لغة تعليم الأب

اللغة	التكرار	النسبة %
من دون مستوى	27	27.3
العربية	21	21.2
الفرنسية	21	21.2
عربية + فرنسية	31	30.3
المجموع	100	100

الوسط الثقافي للوزير الجزائري

الجدول رقم 21 : المستوى التعليمي لأب الوزير

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي
12.1	12	جامعي
26.3	26	متوسط
34.3	34	ابتدائي
27.3	28	من دون مستوى
100	100	المجموع

الجدول رقم 22 : المستوى التعليمي للأم

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي
00	00	جامعي
3	3	متوسط
8.1	9	ابتدائي
88.9	88	من دون مستوى
100	100	المجموع

الجدول رقم 23 : المستوى التعليمي للجد من الأم

النسبة %	التكرار	المستوى التعليمي
4	4	جامعي
15.2	15	متوسط
19.2	20	ابتدائي
61.6	61	من دون مستوى
100	100	المجموع

الجدول رقم 24 : المقارنة بين المستوى التعليمي للجدين

الجد من الأم %	الجد من الأب %	المستوى التعليمي
4	3	جامعي
15.2	13.1	متوسط
19.2	17.2	ابتدائي
61.6	66.7	من دون مستوى
100	100	المجموع

الجدول رقم 25 : مقارنة بين المستوى التعليمي للأب والجدين

المستوى التعليمي	الأب %	الجد من الأب %	الجد من الأم %
جامعي	12.1	3	4
متوسط	26.3	13.1	15.2
ابتدائي	34.3	17.2	19.2
من دون مستوى	27.3	66.7	61.6
المجموع	100	100	100

الجدول رقم 26 : المستوى التعليمي للجد من الأب

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة %
جامعي	3	3
متوسط	13	13.1
ابتدائي	18	17.2
من دون مستوى	66	66.7
المجموع	100	100

رؤساء الحكومات الجزائريين
أبناء النظام الذين فشلوا في إصلاح نظامهم السياسي

الفهرس

315	مقدمة عامة
319	بعض التساؤلات والمعطيات المنهجية
322	رؤساء الحكومات في الجزائر... جيل أم جيلان أم أكثر ؟
328	المنحدرات الاجتماعية... الأغنياء والفقراء وأبناء الفئات الوسطى
332	رؤساء الحكومات... أبناء مجتمع متحرك
342	رئاسة الحكومة بين أبناء المدينة وأبناء الريف
348	الأصول الجهوية، قبائل... بمسار خاص
352	رئيس الحكومة.. سياسي أم تكنوقراطي ؟
357	سيطرة المفرنس والحقوقى
367	رئيس الحكومة... المغادرة نحو مواقع سياسية أو السجن
385	بعض الاستنتاجات... هل هو فشل نظام أم أبناء النظام ؟

مقدمة عامة

تعديلات نصية كثيرة، ذات طابع نوعي في بعض الأحيان، جاء بها دستور 23 فيفري 1989 فيما يتعلق بمكانة رئيس الحكومة داخل النظام السياسي الجزائري¹، فقد عرفت الجزائر من خلال هذا الدستور الجديد الذي اعترف بالتعددية السياسية لأول مرة في التاريخ السياسي للجزائر، نقلة فيما يتعلق بهذا المنصب الذي ارتقى من مجرد منسق للحكومة - وزير أول - إلى رئيس حكومة، بصلاحيات أوسع، على الأقل من الناحية النظرية، ومن بينها حرية تعيين طاقمه الحكومي وتقديم برنامج حكومته أمام البرلمان للمناقشة والمصادقة عليه².

عرف موقع رئاسة الحكومة هذه المكانة الجديدة في الوقت الذي استفحلت فيه أزمة الجزائر بكل مستوياتها السياسية الأمنية والاقتصادية-الاجتماعية، التي كان من بين نتائجها المباشرة الاختلال الكبير الذي عرفه موقع رئاسة الجمهورية المهم في ظل النظام السياسي الجزائري باعتباره هرم السلطة التنفيذي، رغم كل ما يمكن قوله حول الخصوصيات المعروفة عن النظام، كتلك العلاقة المتميزة بين المدني والعسكري والسيطرة التي يفرضها هذا الأخير بمختلف الطرق والوسائل. أزمة وصلت إلى حد إبعاد/استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد في جانفي 1992 وإحلال قيادة جماعية بدله، برئاسة الوجه التاريخي محمد بوضياف الذي اغتيل بعد تنصيبه بستة أشهر في جوان 1992.

رغم مرور أكثر من ثلاث عقود على هذه الأحداث لم تستقر الأمور تماما في الجزائر، حتى بعد انتخاب رئيسين، لم ينهي الأول فيها عهده (ليامين زروال)، مما تطلب إجراء انتخابات رئاسية مسبقة، انسحب منها كل المرشحين ليلة إجراء الاقتراع، تاركين المرشح الرسمي عبد العزيز بوتفليقة دون منافس. نفس سيناريو الأزمة تكرر مرة ثانية في حالة انتخابات 2004، التي عرف فيه نظام الحكم اهتزازا قويا، على أسس جهوية هذه المرة

1. <https://www.el-mouradia.dz/assets/texts/constitution/1989.pdf>.

2. قبل المصادقة على دستور 23 فيفري 1989، تم تعديل دستور 1976 في 3 نوفمبر 1988 لكي يتولى قاصدي مرباح رئاسة الحكومة بصلاحيات جديدة. لم يمنع هذا الوضع القانوني الجديد من بروز أزمة سياسية عميقة في تفسير مواد الدستور الجديد عند استقالة الحكومة بين رئيس الجمهورية ورئيس حكومته قاصدي مرباح الذي حاول تفسير الدستور بمنح صلاحيات إقالة الحكومة إلى البرلمان بدل رئيس الجمهورية.

بعد أن قرر الأمين العام لحزب جبهة التحرير علي بن فليس منافسة الرئيس بوتفليقة، على منصب رئاسة الجمهورية.

وضع لم يسمح بعودة الاستقرار جزئيا إلى هذا المنصب الرئاسي الهام وكل النظام السياسي الجزائري إلا في السنوات الأولى من القرن الحالي، بعد انتخاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الذي تميزت فترة حكمه بعودة قوية للرئاسة كمركز قرار، بدءا من محطة العهدة الثانية في سنة 2004 على الأقل³.

ليعود مجددا عدم الاستقرار إلى الرئاسة بعد انطلاق الحراك الشعبي في 22 فبراير 2019 الذي طالب بإبعاد بوتفليقة من الحكم ورفض العهدة الخامسة التي طالب بها. وهو ما دفعه إلى تقديم استقالته في 2 أبريل 2019، تم على إثرها تعيين رئيس دولة مؤقت في التاسع من نفس الشهر - عبد القادر بن صالح - لمدة تسعين يوما كما ينص عليه الدستور الجزائري في مادته 102، تم تجديدها بعد فتوى سياسية لم تل موافقة الكثير من الجزائريين لغاية تنظيم انتخابات رئاسية في 12 ديسمبر 2019 فاز بها عبد المجيد تبون. عدم الاستقرار السياسي والمؤسسي الذي أثر سلبا على أدوار واستقرار رئاسة الحكومة كمركز قرار جديد بصلاحيات كبيرة نسبيا، على الأقل من الناحية القانونية والنظرية. فقد عرفت الجزائر عشرة رؤساء حكومات خلال هذه الفترة (1989-2002) التي مثلت نهايتها بداية نوع من الاستقرار المؤسسي، وهم: قاصدي مرباح، حمروش مولود، غزالي سيد أحمد، عبد السلام بلعيد، رضا مالك، مقداد سيفي، أحمد أويحيى، حمداني إسماعيل، بن بيتور أحمد، وعلي بن فليس، وأخيرا عودة ثانية لأحمد أويحيى في 2003 ليغادر الحكومة في أبريل 2006 ويخلفه على رأس الحكومة الأمين العام لحزب جبهة التحرير عبد العزيز بلخادم لغاية 2008، ثم عودة ثالثة لأحمد أويحيى إلى غاية سبتمبر 2012، تاريخ تعيين عبد المالك سلال خليفة له.

أحمد أويحيى الذي سيكون آخر رئيس حكومة جزائري بالصلاحيات الممنوحة لهذا المنصب من قبل دستور 1996⁴، قبل التعديل الذي أدخل على هذا الدستور الثالث للجزائر منذ الاستقلال والثاني لما بعد التعددية والذي وجهت له عدة انتقادات، كان على رأسها طابعه الهجين في توزيع الصلاحيات داخله بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وداخل هذه الأخيرة، بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة⁵. فقد تم تعديل الدستور في نوفمبر 2008⁶ من قبل الرئيس بوتفليقة للفوز بعهدة رئاسية ثالثة لم تكن ممكنة

3. لجأ الرئيس بوتفليقة إلى تعديل الدستور في سنة 2002 لدسترة اللغة الأمازيغية كما طالبت الحركة الأمازيغية بذلك.

4. <https://www.el-mouradia.dz/assets/texts/constitution/1996.pdf>.

5. الرئيس بوتفليقة كان على رأس المنتقدين لهذا الدستور منذ وصوله إلى رئاسة الجمهورية.

6. قانون رقم 08-19 مؤرخ في 17 ذي القعدة عام 1429 الموافق 15 نوفمبر سنة 2008، المتضمن التعديل الدستوري.

دستوريا في النص القديم للدستور. كما تم في نفس التعديل تعويض منصب رئيس الحكومة بمنصب الوزير الأول الذي تقلصت صلاحياته بالمقارنة مع ما كان يتمتع به رئيس الحكومة، فلم تعد عملية تشكيل الحكومة من صلاحيات الوزير الأول كما كانت على الأقل نظريا قبل هذا التعديل⁷، كما تقلصت مهام الوزير الأول إلى نوع من التنسيق الحكومي تحت سلطة رئيس الجمهورية⁸. تعديلات دستورية منحت النظام السياسي الجزائري طابعا رئاسيا واضحا.

علما بأن الحكومات المختلفة المعنية خلال هذه الفترة، قد أدخلت عليها عدة تعديلات جزئية متفاوتة العمق، كانعكاس لهذا الوضع غير المستقر الذي يبرز بشكل متناقض في حالات أخرى من خلال استمرارية لبعض الحكومات والوزراء، نتيجة عدم الاتفاق على التغيير بين مراكز القرار المختلفة⁹، كما ساهمت هذه التعديلات نفسها في اضطراب أكثر للأوضاع، كما جرى مع استقالة حكومة أحمد بن بيتور أو علي بن فليس التي ارتبطت بأزمة حزبية عميقة داخل أكبر حزب على الساحة الجزائرية، كانت لها تداعيات على أداء الكثير من المؤسسات السياسية الأخرى كالبرلمان¹⁰.

نشير هنا أنه رغم هذا الوضع، فقد تميزت حكومات الرئيس بوتفليقة، بالكثير من الاستقرار، بالمقارنة مع السنوات الأولى لعقد التسعينات، على مستوى بعض الوزراء تحديدا، حتى وإن تم تغيير رئيس الحكومة. فقد عيّن الرئيس بوتفليقة خمس رؤساء حكومات خلال العهدين الأولى والثانية (أحمد بن بيتور، علي بن فليس، أحمد أويحيى، عبد العزيز بلخادم، وأخيرا أحمد أويحيى وعبد المالك سلال)، لم يتغير فيها الكثير من الوزراء طول ثلاث عهد رئاسية (1999-2013)، لاعتبارات عديدة سنعود إليها بالتفصيل في حينها، تأتي على رأسها العلاقة الشخصية والجهوية مع بوتفليقة.

7. جاء في التعديل الدستوري بالنسبة للمادة ما يلي 79: « يعيّن رئيس الجمهورية أعضاء الحكومة بعد استشارة الوزير الأول. ينفذ الوزير الأول برنامج رئيس الجمهورية، وينسق من أجل ذلك، عمل الحكومة. يضبط الوزير الأول مخطط عمله لتنفيذه، ويعرضه في مجلس الوزراء ».

8. المادة 85: « يمارس الوزير الأول، زيادة على السلطات التي تخولها إياه صراحة أحكام أخرى في الدستور، الصلاحيات الآتية: »

1 - يوزّع الصلاحيات بين أعضاء الحكومة مع احترام الأحكام الدستورية.
2 - يسهر على تنفيذ القوانين والتنظيمات.
3 - يوقع المراسيم التنفيذية، بعد موافقة رئيس الجمهورية على ذلك.
4 - يعيّن في وظائف الدولة بعد موافقة رئيس الجمهورية، ودون المساس بأحكام المادتين 77 و 78 السابقتي الذكر.
5 - يسهر على حسن سير الإدارة العمومية.

9. لم يغير الرئيس بوتفليقة الحكومات القديمة مباشرة كما كان ينتظر جزء من الرأي العام والصحافة بعد انتخابه على رأس الجمهورية في 2004 و 2009.

10. بسبب هذه الأزمة عرف البرلمان الجزائري حيوية لم يعهدها، سمحت لأحزاب لا تملك الأغلبية كما هو حال حركة الإصلاح الوطني من تمرير مشاريع قوانين كما حصل مع تعديل قانون الانتخابات لم يكن من الممكن المصادقة عليها لولا هذه الأزمة التي عرفتها جبهة التحرير.

علامات عدم استقرار أكيدة بينتها عملية تعيين رئيس الوزراء الجديد عبد المجيد تبون الذي عينه الرئيس بوتفليقة لمدة قصيرة، لم تتجاوز الثلاثة أشهر (من 25 ماي إلى 16 أوت 2017) وهي أقصر مدة قضاها رئيس وزراء في منصبه في الجزائر، منذ الاستقلال لحد الآن. تبون الذي حافظ على أغلبية وزراء حكومة سلال (15 وزيراً من مجموع 27). دون أن تتعد عن جو الاضطراب الذي زاد منسوبه خلال السنوات الأخيرة لحكم بوتفليقة. كما أشر على ذلك تعيين وزير السياحة مسعود بلعقون لمدة لم تتجاوز عطلة نهاية الأسبوع (أقل من 72 ساعة) أقيل بعدها لأسباب بقيت غامضة حتى الآن، رغم تداول معلومات صحفية عن ملفات فساد ارتبط بها هذا الوزير الشاب¹¹.

ليعود أويحيى إلى نفس المنصب بسرعة ولمدة قصيرة بعد مغادرة تبون إلى غاية 31 مارس 2019، بعد أربعين يوماً من انطلاق الحراك الذي طالب بتغيير وجوه السلطة القديمة التي كان أحمد أويحيى أحد رموزها الأكثر رفضاً من قبل الرأي العام، كما عبر عنه الحراك الشعبي، أثناء محاكمة الرجل تحديداً، ليكون السجن في انتظاره كما كان الحال مع عبد المالك سلال والعديد من وزراء هذه الفترة المضطربة.

وزير الداخلية نورالدين بدوي¹² كان آخر رئيس وزراء يتم تعيينه من قبل بوتفليقة في 11 مارس 2019 لغاية 28 ديسمبر من نفس السنة، أي لغاية انتخاب الرئيس الجديد عبد المجيد تبون، التي عاد فيها بقوة للواجهة دور قائد الأركان قايد صالح، واضطرب فيها بشكل واضح دور المؤسسة الرئاسية في ظل حراك شعبي قوي، ابتعدت فيه حكومات هذه الفترة عن الواجهة¹³ بعد الرفض الشعبي الذي لقيته من قبل الجزائريين الذي لاحقوا وزراءها خلال كل تحركاتهم خارج مكاتبهم الرسمية؛ موقف شعبي كان من نتائجه إبعاد سريع لعدة وجوه مغضوب عليها كوزيرة الثقافة¹⁴ ووزير الداخلية¹⁵ والعدالة الذي غادر على وقع شائعات متعلقة بسلوكه الشخصي.

عبد العزيز جراد كان أول رئيس وزراء يعينه رئيس الجمهورية الجديد عبد المجيد تبون، لمدة سنة ونصف تقريبا (من 28 ديسمبر 2020 إلى 30 يونيو 2021)، عرفت

11. تكلمت الصحافة عن ملفات فساد كذبها المعني بالأمر الذي وصل إلى منصب الوزارة ممثلاً لحزب الحركة الشعبية. قادماً من الحركة الطلابية المعروفة بمستوى فسادها الكبير.

12. كان مصيره هو الآخر السجن في صيف 2023 لأربع سنوات بتهم فساد مرتبطة بمروره كوالي في مدينة قسنطينة.

13. لم يعد الإعلام الرسمي بما فيه التلفزيون العمومي خلال هذه الفترة يغطي نشاطات الحكومة بما فيها نشاطات رئيس الوزراء.

14. غادرت الحكومة في 19 ديسمبر 2019 بعد حادثة مقتل مواطنين أثناء حفل غنائي نظمته مؤسسة تابعة لوزارتها.

15. غادر منصبه في 19 ديسمبر على وقع احتجاجات شعبية بعد تصريحات في اجتماع رسمي وصف فيها الجزائريين الراضين للانتخابات الرئاسية بأنهم خونة ومرترقة ومثليين، ليُسجن لاحقا في 2024.

الحكومة خلالها تحويلين أساسيين خففا من حجمها الكبير الذي ظهرت به (28 وزيراً و11 كاتب دولة) بوجوه جديدة غير معروفة. من دون تجربة سياسية. ليخلفه في منصبه وزير ماليته أيمن بن عبد الرحمن الذي حافظ على منصبه كوزير للمالية في الحكومة التي يسيروها، كما ساد لفترة قصيرة مع عبد السلام بلعيد وسيد أحمد غزالي في بداية التسعينيات عند اشتداد الأزمة السياسية، بكل تبعاتها الاقتصادية والمالية. الرئيس تبون الذي عاد وأبعد أيمن عبد الرحمن ليعين نذير عرباوي مكانه من دون تغيير في تشكيلة الحكومة التي بقيت كما هي إلى 2024.

بعض التساؤلات والمعطيات المنهجية

بعد تقديم هذه المعطيات القانونية والدستورية العامة عن مكانة رئاسة الوزراء / الحكومة في النظام السياسي الجزائري، سنحاول ضمن هذا الجزء من الدراسة، في المقام الأول، التعريف برئيس الحكومة الجزائري الذي احتل هذا المنصب الهام والجديد، داخل النظام السياسي الجزائري منذ الإعلان عن التعددية السياسية في 1989. مقارنة ستتم من خلال الكثير من المؤشرات التي قمنا بتلخيصها في الجدول المرفق بهذه الدراسة، لمعرفة ما هي القوى الاجتماعية التي تمكنت من الوصول إلى هذا الموقع السياسي الهام وتعيين أبنائها على رأسه، وما علاقاتها بالفئات الاجتماعية التي ميزت حضورها في مثل هذه المناصب السياسية والعسكرية العليا، حتى قبل الاستقلال¹⁶، وما هي الجهات والجهويات الأكثر حضوراً في هذا المنصب الذي يعتبر من المناصب الهامة في أي نظام سياسي مهما كان التقسيم الداخلي للسلطة داخله، نظام رئاسي كان أو برلماني.

علماً بأننا حاولنا ضمن هذه الدراسة التعرف بالتفصيل على المنحدرات الاجتماعية لرئيس الحكومة بالذهاب بعيداً في تتبع الحراك الاجتماعي والثقافي الذي عاشته عائلته، بدءاً من جيل الجددين إلى جيل رئيس الحكومة نفسه، مروراً بجيل الأب والأم، اعتماداً على هذه الرؤية المتحركة للوسط الاجتماعي، كما وسعنا آفاق رؤيتنا لتشمل علاقات المصاهرة التي قامت بها عائلة رئيس الحكومة انطلاقاً من جيل الجد ثم الأب وأخيراً رئيس الحكومة نفسه. ارتباطات عائلية قد تكون مؤشراً لقياس التحولات التي عاشها هذا الوسط الاجتماعي ومدى السيطرة التي تفرضها قيم المجتمع المختلفة، المحافظ والتقليدي منها والمعاصر.

ضمن هذا السياق أولينا أهمية كبيرة للتعرف على السلوكات الديموغرافية، لهذا الوسط الاجتماعي والتحولات التي عرتها مع الوقت، محاولين أن نربط ذلك بانتشار التعليم

16. للمقارنة يمكن العودة لمؤلف وليم كواندت، الثورة والقيادة السياسية الجزائرية 1954-1968، مركز الدراسات والأبحاث العسكرية دمشق، 1981. رغم الترجمة الضعيفة للكتاب.

داخل هذا الوسط العائلي، ليس على مستوى الذكور فقط، بل حتى على مستوى الإناث (الزوجات والأمهات والبنات). معطيات متنوعة تفيدنا دون شك في فهم آليات إعادة الإنتاج الاجتماعي، بكل ما يميز الحالة الجزائرية من خصوصيات اجتماعية وثقافية، نتيجة الحالة الاستعمارية الاستيطانية بكل تداعياتها المعروفة على مسارات الأفراد والجماعات. الجيل أو الأجيال من النخبة السياسية المسيطرة على هذه المواقع سنحاول التعرف عليها هي الأخرى ضمن هذه الدراسة، بكل ما تحمله مسألة الأجيال من أهمية في المجتمع الجزائري المتحرك، الذي تميز بصراع أجيال حاد على المستوى السياسي؛ فقد كان المنفى والسجن واندلاع ثورة التحرير والهجرة إلى دول الجوار والاستقلال.. محطات سياسية هامة طبعت «حرب» الأجيال السياسية التي عاشتها الحركة الوطنية وثورة التحرير، بما فيها مرحلة ما بعد الاستقلال التي عرفت سيطرة جيل بومدين وقيادة الأركان على حساب وجوه سياسية، ليس أكبر سنا فقط، بل أكثر تجربة وأهم دورا في الحركة الوطنية وحرب التحرير بمختلف مراحلها، بما فيها مرحلة التحضير والانطلاق المؤسستين (جيل محمد بوضياف وحسين آيت أحمد وكريم بلقاسم كأمثلة). مما أثر سلبا ولمدة طويلة على شرعية نظام ما بعد الاستقلال ورجاله في أعين الكثير من الجزائريين والمجموعات السياسية المنافسة. حرب أجيال تراوحت الوسائل المستعملة فيها بين التهميش والإبعاد وصولا إلى النفي والسجن وحتى الاغتيال في بعض الحالات، كما حصل في حالات كريم بلقاسم ومحمد خيضر اللذان تم اغتيالهما خارج التراب الوطني بعد سنوات من الاستقلال.

كثافة حضور أبناء المدن الكبرى والصغرى والقرى والريف بين رؤساء الحكومات، سيكون من المواضيع التي سنتعرف عنها من خلال هذا القسم من الدراسة، للتدقيق في الأدوار المختلفة التي قامت بها هذه الفضاءات الجغرافية - الاجتماعية، بمختلف خصوصياتها الاجتماعية والثقافية في إنتاج النخبة السياسية الجزائرية، اعتمادا على المعطيات التي توصلنا لها من خلال الدراسة الكلية للنخبة الوزارية، والتي أكدت عدة اتجاهات سوسيو-تاريخية في هذا المضمار.

بعض المعطيات الأخرى كالمستوى والتخصص العلميين ولغة عمل رئيس الحكومة الجزائري والشهادات العلمية المتحصل عليها ومؤسسات التعليم التي درس بها، التي قد تكون في الخارج أو بالجزائر، ستكون ضمن المعطيات التي سنحاول من خلالها مناقشة بعض الأفكار حول الموضوع، للتساؤل عن تلك الخصوصية التي تربط الثقافي بالسياسي في الجزائر، من خلال حالة النخبة السياسية ومنصب رئيس الحكومة تحديدا.

هذا المستوى الثقافي للغوي وحتى القيمي الذي يتحكم، جزئيا على الأقل، في تفسير بعض الصراعات والتحالفات التي تطفو على السطح السياسي، ليس بين الأشخاص فقط، كذلك الصراع الذي ميز علاقة مولود حمروش بسيد أحمد غزالي على سبيل المثال، بل حتى

بين السياسات والنظرة إلى الآخر التي تعتمد على هذه الفروق والاختلافات الموجودة بين مؤسسات التنشئة التي ميزت مسارات الأشخاص، والفروق المرتبطة بالأصول الجهوية والاجتماعية، وحتى تلك المرتبطة بالسن والتجربة المهنية ونوعية التكوين المتحصل عليه¹⁷.

سنحاول مناقشة عدة أفكار ضمن هذا الجزء من الدراسة، واعتمادا على هذه المعطيات التي تحصلنا عليها من خلال المقابلات الشخصية التي أنجزت مع المعنيين مباشرة، بغرض القيام بالدراسة الكلية للنخبة الوزارية في الجزائر، مما جعل الاتصال يتم على هذا الأساس في الأول، ليتطور إلى مكانة رئيس الحكومة ومسؤولياته وطرق تعيينه وعلاقاته برئيس الجمهورية وطاقم حكومته¹⁸، إلى غيرها من المسائل التي يمكن العودة لها في الأجزاء الأخرى من الدراسة المخصصة للوزير والوزارة ككل.

من بين هذه التساؤلات التي سنحاول الإجابة عنها في هذه القسم من الدراسة تلك المتعلقة بمدى القدرة التفسيرية لهذه المعطيات المرتبطة بهذه الفئة من النخبة السياسية، كالمحدرات الاجتماعية والجغرافية والأجيال المنتمية لها والمسارات المهنية-السياسية وحتى التنشئة العلمية والتعليمية واللغوية في المؤسسات التي تمت فيها، وبالطبع دون نسيان شروط الوصول إلى رئاسة الحكومة...إلخ، لمعرفة إن كانت هذه المتغيرات قادرة على تفسير الأزمة التي يتخبط فيها النظام السياسي الجزائري وفشل عملية الانتقال من الأحادية إلى التعددية وذلك التسيير الكارثي لمرحلة التعددية نفسها التي استمرت مع مؤسسات النظام لغاية مرحلة بعد الحراك حين عاد نوع من الاستقرار على المؤسسات دون أن تختفي مظاهر الأزمة وهي تعبر عن نفسها بعدة أشكال.

بمعنى آخر، هل ما ميز رئيس الحكومة الجزائري من خصائص فردية ومؤسسات تنشئة اجتماعية وسياسية ومسار مهني، كانت معرقة لعملية الانتقال السياسي التي انطلق فيها النظام السياسي الجزائري بعد أحداث أكتوبر 88، على وجه التحديد ؟ فهل كان رؤساء الحكومات رجال استمرارية أكثر من رجال قطيعة وتغيير وبالتالي ساهموا بدورهم في عرقلة وإفشال عملية الانتقال السياسي والاقتصادي التي دامت طويلا وكانت مكلفة وعلى مختلف الأصعدة، دون أن تنجز المهام المطلوبة منها حتى الآن (2022) ؟

17. انظر إجابات سيد أحمد غزالي عن الأسئلة التي طرحها عليه شفيق مصباح حول سوء علاقاته بمولود حمروش، ص 252/249.

Sid Ahmed Ghazali, *Questions d'État. Entretien avec Mohamed Chafik Mesbah*, Casbah Éditions, Alger, 2009.

18. كان مولود حمروش أول رئيس حكومة يعين في هذا المنصب دون المرور على منصب الوزير، لتعمم هذه الحالة بعد ذلك على عبد العزيز جراد ونذير العرباوي اللذين وصلا إلى موقع رئيس الوزراء دون المرور على موقع الوزير.

باعتبارهم أبناء هذا الجيل السياسي الذي ولد في أواخر المرحلة الاستعمارية، وتعلم وتحصل على مواقعه المهنية في ظل سيطرة الجيل المؤسس الذي قاد مؤسسات الدولة الوطنية منذ الاستقلال وحتى قبل ذلك، داخل مؤسسات الثورة، ليسيّط على مقاليد السلطة السياسية الفعلية ويحتكرها بعد الاستقلال. هذا الاحتكار السياسي الذي لم يسمح لهذا الجيل الأصغر، رغم كل ما يتميز به من تأهيل وتجربة تسيير، بتعلم ممارسة اتخاذ القرار السياسي ولا حتى المطالبة به بجدية وبوسائل الضغط المعروفة بعد أن تعود على موقع التسيير كتكنوقراطي منفذ لسياسات تتخذ بعيدا عنهم¹⁹.

دائما وفي نفس السياق، سنقوم ضمن هذا الجزء من الدراسة بمناقشة تلك المسائل المتعلقة بعوامل الاستمرارية والقطيعة التي يمكن أن تظهر، ليس من خلال المسارات والأصول والأجيال ومجمل المتغيرات الأخرى المطروحة للمناقشة، بل انطلاقا من فكرة مؤداها أن هذه المعطيات السوسيولوجية، على أهميتها، قد لا تفسر ما حصل ويحصل من اضطراب يعيشه النظام السياسي والدولة، ولا بد في هذه الحالة من إيجاد تفسيرات أخرى أكثر هيكلية، تتعلق هذه المرة بالعلاقات بين مختلف مراكز السلطة في الجزائر بمؤسساتها المختلفة، كتلك الفروق بين المدني والعسكري، بين رئاسة الجمهورية والحكومة، بين السلطة التنفيذية والتشريعية ومكانة الحزب السياسي... إلخ.

كل هذا بهدف التعرف على مصادر الفوضى التي عاشها النظام، للاستفحال بعد الإعلان عن الانتقال إلى التعددية في هذا الظرف وبهذه الطريقة. أسباب قد تتجاوز خصائص الأفراد والجماعات وكل المعطيات الميكرو سوسيولوجية، مهما كانت أهميتها، لما هو أكثر هيكلية وديمومة داخل النظام السياسي والدولة الوطنية، قبل وبعد التعددية وحتى قبل استقلال البلاد في 1962.

رؤساء الحكومات في الجزائر... جيل أم جيلان أم أكثر ؟

عند الكلام عن النخبة السياسية الجزائرية التي يمثلها رؤساء الحكومات أحسن تمثيل، لا يمكن بأي حال من الأحوال القفز على التحقيق السياسي للتاريخ ؛ لا يمكن مثلا عدم ملاحظة أننا أمام جيلين من رؤساء الحكومات على الأقل (قد لا يتطابق تماما مع العمر²⁰)،

19. انظر لمزيد من التفاصيل دراستنا حول الجيل والسياسة ضمن مؤلفنا : ناصر جابي، لماذا تأخر الربيع الجزائري، منشورات الشهاب، الجزائر، 2012.

20. نتبنى في هذه الدراسة مفهوم الجيل كما جاء في دراسة كارل مانهايم التي لا تعطي قيمة كبرى للسنة بعناه البيولوجي وتفضل عنه التجارب الاجتماعية والسياسية المشتركة التي يعيشها جيل معين كحرب التحرير والحركة الوطنية ومرحلة بناء الدولة الوطنية لاحقا كما هو الحال في الجزائر، في الدراسة التي تهمنا.

Karl Mannheim, *Le Problème des générations*, Nathan Édition, Paris, 1991.

لنكون في الأول أمام جيل الحركة الوطنية والثورة الذي يمثل عبد السلام بلعيد²¹ ورضا مالك وإسماعيل حمداني وقاصدي مر باح، وحتى مولود حمروش نسبيا الذي التحق بالثورة وعمره لا يتجاوز الستة عشرة سنة.

فقد عاش عبد السلام بلعيد على سبيل المثال صراعات الحركة الوطنية في بداية الخمسينيات²²، حتى ولو كان ذلك على الهامش، عندما كان عضوا باللجنة المركزية لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي التحق بها في بداية الخمسينيات، كممثل للحركة الطلابية التي كان من قياداتها داخل جمعية اتحاد طلبة شمال إفريقيا المسلمين AEMNA، ليتحول إلى أحد قياداتها البارزين في عملية تكوين (الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين) UGEMA في 1955²³.

هذه اللحظة التاريخية التي كانت محطة قطيعة حقيقية على أكثر من صعيد داخل الحركة الوطنية، والتي عرفت نوعا من الانقلاب الذي قام به جيل الفعل المباشر المسلح، بكل الخصائص السوسيولوجية التي تميزه والقوى الاجتماعية الريفية التي جندتها ضد القيادة التاريخية للحركة الوطنية التي كانت على رأسها منذ انطلاقتها في النصف الثاني من العشرينيات، بكل ما ميزها من قواعد اجتماعية عمالية، على الأقل في مرحلتها الأولى المرتبطة بالهجرة إلى فرنسا. عبد السلام بلعيد الذي مثل الحركة الطلابية داخل التنظيم الحزبي الوطني (حركة الانتصار) وهو يعيش حالة أزمة وانفتاح على قوى اجتماعية جديدة، من بينها الطلبة وبعض الفئات الوسطى الحضرية، رغم ضعف حضورها في المجتمع الجزائري المستعمر، لم يمنع الرجل من الاستعانة ببعض وجوهها كوزراء وهو يعود إلى رئاسة الحكومة في بداية التسعينيات، وقبلها خلال تجربة وزارة التصنيع مع الرئيس بومدين.

نفس الحركة الطلابية بتوجهاتها السياسية وتحالفاتها، التي كان رضا مالك من وجوهها المعروفة حتى قبل تكوين الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في 1955؛ هذا اللقاء بين عبد السلام بلعيد ورضا مالك ضمن صفوف الحركة الطلابية الوطنية الذي مثل قاعدة

21. من المؤلفات المنشورة حول النخبة السياسية يمكن العودة إلى :

La classe politique algérienne de 1900 a nos jours ; Dictionnaire biographique, Casbah Éditions, 2001.

22. انظر ما جاء على سبيل المثال في الكتاب : المقابلة للسيد عبد السلام بلعيد الذي أنجزها معه محفوظ بنون وعلي الكنز خاصة القسم الأول من الجزء الأول، ص 223/7.

Mahfoud Benoune, Ali Elkenz, *Le hasard et l'histoire, entretiens avec Belaïd Abdesslem*, T1, Enag Éditions, Alger, 1990, pp. 7/223.

23. انظر المقابلة التي أجراها كلمنت مور مع عبد السلام بلعيد حول دوره داخل الحركة الطلابية في هذا المرجع : Clément Moore Henry, *UGEMA, union générale des étudiants musulmans algériens 1955/62*, Témoignages, Casbah Éditions, 2010, p. 97-158.

للمصادقة التي استمرت بين الرجلين قبل الاستقلال وبعده، صداقة توسعت إلى تحالفات أوسع، رغم ما يميز الرجلين من أوجه اختلاف في الطباع والشخصية، وما يجمعهما من تقارب على مستوى المنحدرات الاجتماعية وحتى الجهوية، كما سنتعرف على ذلك. شخصيات مخضمة عاشت كل صراعات الحركة الوطنية والثورة في الكثير من المواقع في الجزائر وعلى الحدود²⁴، تعرضت للإبعاد أكثر من مرة، لتعود للواجهة في مراكز قوة نسبيا في بداية التسعينيات مع تجربة المجلس الأعلى للدولة. ممثلو جيل كان قد دخل في صراعات فكرية وسياسية حادة مع تيارات سياسية عديدة داخل الوسط الطلابي في بداية الخمسينيات الذي كانت تنشط داخله عدة تيارات كالشيوعيين وممثلي جمعية العلماء، الذين سيجدهم عبد السلام ورضا مالك داخل الكثير من المؤسسات والمواقع بعد الاستقلال، ليس في قطاع التصنيع والدبلوماسية فقط الذي كان الرجلان من وجوهه الرئيسية، بل كذلك على مستويات سياسية أعلى كالحكومة، في ظل حكم الرئيس هواري بومدين وبعد ذلك.

ممثلو هذا الجيل كعبد السلام بلعيد ورضا مالك على وجه الخصوص الذين كانت عودتهم إلى منصب رئاسة الحكومة (1992)، في أسوأ الظروف السياسية، الاقتصادية والأمنية، ولمدة قصيرة عكس الاستمرارية الكبيرة التي ميزت تجربتهم الأولى كوزراء ودبلوماسيين. تجربة عرفت استقرارا كبيرا بعد الاستقلال وإلى غاية وفاة الرئيس هواري بومدين الذي قام بتبني الرجلين في إطار لعبة التوازنات السياسية التي أُنقِشتها، بين الأجيال والعائلات السياسية والجهات.

صورة تنطبق في الكثير من تفاصيلها على حالة إسماعيل حمداي (من مواليد 1930 بـ برج بوعريـج) الذي عاد إلى رئاسة الحكومة سنة 1998، خلال فترة انتقالية بعد استقالة الرئيس زروال وانتخاب الرئيس بوتفليقة. حمداي الذي يتشابه مساره المهني والسياسي كثيرا مع زميله من هذا الجيل، عبد السلام بلعيد ورضا مالك، فقد عاد الرجل إلى موقع رئاسة الوزارة في ظرف تميز بعدم الاستقرار نتيجة الاستقالة المبكرة للرئيس ليامين زروال الذي عينه على رأس الحكومة لتنظيم الانتخابات الرئاسية المبكرة بعد الشكوك التي عبرت عنها المعارضة إزاء نزاهة حكومة أحمد أويحيى، مما جعل أصحاب القرار يتفقون على تغيير الوزراء القريبين من صناديق الاقتراع، كوزير الداخلية والإعلام والعدل، من خلال تعويضهم ببعض الدبلوماسيين كعبد المالك سلال في الداخلية وعبد العزيز رحابي في الإعلام.

24. تجربة مغادرة قيادة الثورة إلى الخارج كونت محطة هامة للكثير من العلاقات والتجارب بين الأفراد والجماعات. لمزيد من التفاصيل يمكن العودة لمؤلفات محمد حربي المعروفة وعلى رأسها مؤلفه جبهة التحرير بين الأسطورة والواقع (ضمن قائمة المراجع).

حمداني الذي تميز مساره باستمرارية ملفته للنظر ليست غريبة إذا عرفنا ما ميز شخصيته²⁵ بمساره التعليمي القانوني المزدوج ؛ فلم يكن متوفرا لدى النخبة السياسية الجزائرية أحادية اللغة في تلك الفترة، جعلته حاضرا منذ مرحلة الجهاز التنفيذي الذي مهد للاستقلال الجزائر مع الحكومة المؤقتة، ليستمر في مواقع مهمة على مستوى رئاسة الجمهورية مع الرئيس أحمد بن بلة، وصولا إلى مرحلة الرئيس بوتفليقة في مناصب عليا، تراوحت بين الدبلوماسية والمواقع الهامة برئاسة الجمهورية خلال فترة حكم الرئيس بومدين (1965-78) تحديدا، مروراً بكل مراحل الانتقال التي عرفت الجزائر التي كان الرجل شاهدا عليها داخل رئاسة الجمهورية، كما كان الأمر بعد وفاة الرئيس بومدين الذي خلفه الوجه التاريخي رابح بيطاط كرئيس دولة لفترة محدودة إلى غاية تنظيم الانتخابات الرئاسية، الذي يكون حسب الشهادة المهمة التي قدمها لنا إسماعيل حمداني أثناء المقابلة²⁶ معه أنه قد كان ينوي الالتفاف على الدستور للبقاء في السلطة، رغم منع الدستور ذلك بشكل واضح لا لبس فيه. شهادة تستدعي ذكرها في هذا القسم من الدراسة لأهميتها²⁷ : « لاحظت وأنا في مكتبي برئاسة الجمهورية استقبال الرئيس بيطاط أكثر من مرة في أسبوع واحد لأحد المحامين الجزائريين المعروفين بممارساتهم المهنية الملتوية، فما كان مني إلا التوجه إلى مكتبه القريب من مكتبي بحجة الدردشة وشرب قهوة معه... لاستغلال اللقاء معه للاستفسار عن زيارات هذا المحامي المثير للشبهة له خلال هذه المرحلة الحساسة... صعقت عندما طلب مني الرجل رأيي كقانوني في إمكانية ترشحه هو الوجه التاريخي لمنصب رئيس الجمهورية بعد موت بومدين، وهو يركز على شرعيته التاريخية - من مجموعة الستة المفجرة للثورة في 1954 - التي تؤهله له بطلب هذا المنصب بعد وفاة بومدين... رد بيطاط عندما ذكرته بأن الدستور يمنع ذلك بشكل واضح : «الدستور ليس قرآن وحسب رأي بعض القانونيين - يقصد المحامي الذي زاره في مكتبه - فإن هناك إمكانية لتجاوز عقبة هذه المادة الدستورية التي تمنع ترشحي»... بعد هذا اللقاء اتصلت بمسؤولين سياسيين كبار في الدولة، الذين نصحوني بإبلاغ العقيد قاصدي مرباح - كان المسؤول عن التنسيق بين الجيش والأجهزة الأمنية خلال هذه الفترة

25. تتميز شخصية الرجل بالهدوء الكبير وبعد عن التسييس مع قدر كبير من التحفظ على إبداء مواقفه السياسية الحادة، منحه قدرة كبيرة على التكيف مع كل رؤساء الجمهورية اللذين اشتغل معهم وفي جميع المناصب التي استدعي إليها. دون نسيان الدور الذي يكون قد استفاد منه عبر تحالفاته العائلية التي منحته قوة كحفيد للباشاغا أوشيش و خال المقدم عبد المجيد أوشيش وزير السكن في حكومة بومدين.

26. جرت المقابلة في مكتبه بوسط العاصمة بحي Sacré Cœur بمقر جمعية قدماء الدبلوماسيين التي كان يتأسسها قبل وصوله إلى رئاسة الوزراء بعد الإعلان عن استقالة الرئيس ليامين زروال.

27. رغم وضوح المادة 117 من الدستور الجزائري لسنة 1976 التي جاء فيها أن رئيس المجلس الشعبي الوطني هو الذي يعين كرئيس للدولة لمدة أقصاها 45 يوما. تنظم خلالها انتخابات رئاسية لا يحق لرئيس المجلس الشعبي الوطني أن يكون مرشحا لها.

الانتقالية الحساسة - بمحتوى هذه المقابلة مع بيطاط للتكفل بالموضوع... وهو ما حصل فعلا، فلم يعد بيطاط للحديث معي في الموضوع مرة أخرى، في نفس الوقت الذي لاحظت فيه توقف زيارات المحامي لمكتبه».

جيل يمثلته كذلك قاصدي مرباح الذي التحق بالثورة بعد الإعلان عن الإضراب العام الذي دعت إليه الحركة الطلابية بإيعاز من جبهة التحرير في 1956 بالولاية الخامسة، على الحدود المغربية. الولاية التي شهدت تشكل النواة الأولى لجهاز المخابرات العسكرية التي تظاهرات في أشكالها الأولى في صورة وزارة التسليح والاتصال MALG تحت قيادة العقيد عبد الحفيظ بوصوف، قائد الولاية الخامسة والوزير القوي بالحكومة المؤقتة. الذي ابتعد نهائيا عن أي نشاط سياسي عام، بعد الاستقلال إلى غاية وفاته في ديسمبر 1980 بعد أن تأكد من سيطرة جيل أصغر سنا على مقاليد السلطة، بعد الاستقلال، على حساب جيله الأكبر سنا والأكثر تجربة²⁸.

الجيل الثاني الذي يمثلته عدة رؤساء حكومات بدرجات متفاوتة، جيل الشباب، هو ذلك الذي يمثلته أحسن تمثيل رؤساء وزراء²⁹ الفترة الأخيرة الذي وصلوا إلى هذا الموقع عندما زادت حدة أزمة النظام السياسي لتصل إلى قمته، بعد اندلاع الحراك الشعبي ومغادرة بوتفليقة الرئاسة التي ظهرت عليها علامات الاضطراب سنوات قبل هذا التاريخ. كما هو حال عبد العزيز جراد الذي استمر على رأس الحكومة بين 2019 و2021 (من مواليد 1954 بمدينة خنشلة) وأيمن عبد الرحمن (من مواليد 1966 بالعاصمة) الذي خلفه في المنصب، وأخيرا نور الدين بدوي الذي جاء بعده (من مواليد 1959 بالعاصمة من أصول عائلية تعود إلى مدينة ورقلة بالجنوب الجزائري). رؤساء وزراء عُرفوا بتعليمهم الجامعي ومساراتهم المهنية بعد الاستقلال داخل الكثير من المؤسسات الاقتصادية والإدارية التي احتلوا مواقع تسيير عليا على رأسها.

أحمد أويحيى يمثل هو الآخر هذا الجيل الصغير في السن عند وصوله أول مرة إلى رئاسة الحكومة (من مواليد 1952)، كما يمثلته علي بن فليس وأحمد بن بيتور وعبد العزيز بلخادم بدرجة أقل مقارنة مع الأسماء الأولى. بلخادم الذي كانت له أدوار أكثر سياسية بين أبناء جيله باحتلاله لموقع الأمانة العامة لجبهة التحرير ورئاسة المجلس الشعبي الوطني

28. أثناء المقابلة التي أجريتها مع عضو مجلس الثورة، شريف بلقاسم، ذكر لنا: «بومدين كان قلقا جدا من عودة بوصوف إلى الجزائر من الخارج، بعد أيام من التغيير الذي أطاح بين بلة وسيطرة بومدين على الحكم في جوان 1965... بومدين هو الذي أرسلني لجس نبض الرجل ومعرفة رأيه في تطور الأحداث». شريف بلقاسم أضاف أنه وبعد الاتصال مع بوصوف الذي دعاه لشرب شاي في منزله: «...اقترحت على الرجل منصب رئيس مدير عام لشركة السكك الحديدية، فما كان من بوصوف إلا الرد بهذه الصيغة التهمكية: "قل لسي بومدين شكرا على هذا العرض الذي لن أقبله.. فأنا عملت منك رئيس دولة وتريد أن تحولني إلى رئيس محطة قطار Chef de gare"».

29. تُستعمل صفة رئيس حكومة أو وزير أول بنفس المعنى، رغم الاختلاف في الصلاحيات على المستوى النص القانوني الذي غير موقع رئيس الحكومة إلى رئيس وزراء في 2008.

قبل أن يبعد نهائيا من كل مناصبه السياسية في 2014 من قبل الرئيس بوتفليقة.. كما حصل لعلي بن فليس قبله الذي يتشابه معه في مساره الحزبي، وحتى أحمد أويحيى الذي احتل موقع الأمين العام لحزب التجمع الوطني الديمقراطي رغم مساره البيروقراطي. عبد المالك سلال وحتى مقداد سيفي الذي يعتبر أكبر رئيس حكومة (من مواليد 1940) يمكن ضمهما كذلك لهذا الجيل الثاني، الذي كانت من ميزاته السياسية أنه كان صغيرا أثناء ثورة التحرير، فلم يشارك فيها باستثناء حالة مولود حمروش «الشاذة» التي أشرنا إليها والتي يمكن تفسيرها بالمشاركة الواسعة التي ميزت جهة الأصل والعائلة في الثورة، فالأب حمروش استشهد أثناء الثورة سنة 1956 التي عرفت كذلك مشاركة الأخ وحتى الأخت الفدائية التي سجنّت في 1960³⁰.

في المقابل نجد أحمد غزالي الأكبر سنا (من مواليد 1937)، الذي وجدنا صعوبات في تصنيفه مع هذا الجيل الثاني، رغم تشابهه معه في المسار التعليمي والمهني الذي أنجزه بعد الاستقلال، هو الذي فضل الاستمرار في دراسته، بعد توقف قصير لتلبية لنداء الإضراب الذي دعت إليه جبهة التحرير في 1956، مما جعل مشاركته في الثورة محدودة وجد متواضعة، باستثناء ذلك المرور السريع والمحتشم داخل قواعد الحركة الطلابية وجبهة التحرير بفرنسا، أين أنهى دراساته الجامعية في الهندسة، بمدرسة عليا مرموقة. علما بأن هذا الجيل لم يعايش صراعات الحركة الوطنية وثورة التحرير التي شهدت في بعض الولايات بالداخل مواقف معادية للطلبة والجامعيين وصلت إلى حد التصفية الجسدية الجماعية، كما حصل في الولاية الثالثة على وجه الخصوص³¹.

جيل احتل مواقع تسييرية عليا بعد الاستقلال، مباشرة بعد التخرج من الجامعة، داخل الإدارة المركزية والمؤسسات الصناعية العمومية الكبرى التي بدأت بالظهور بعد الاستقلال وتوسعت قواعدها الاجتماعية بعد ذلك كنتيجة للخيارات الاقتصادية التي تبناها نموذج التنمية المركزي المعتمد أساسا على الدولة. هذا الجيل الذي صادف تخرجه من الجامعة استقلال البلاد، اقتنع بالأدوار التسييرية الممنوحة له داخل الإدارة والحياة الاقتصادية، فلم يتخطاها إلا في حالات نادرة ومن خلال بعض وجوهه القيادية التي مثلت حالة الربط بينه وبين صاحب القرار السياسي المركزي.

عبد السلام بلعيد وجزئيا رضا مالك، يمكن عدّهما في هذا الصدد من الوجوه القيادية التي مثلت هذا الجيل لدى صاحب القرار السياسي المركزي، إلى غاية التغييرات التي عرفها النظام

30. انظر عاشور شرفي، ص 193.

31. علي كافي قائد الولاية الثانية ورئيس الدولة فيما بعد (1992-1995)، تكلم عن بعض تفاصيل هذه الأحداث ضمن مذكراته.

علي كافي، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 1999.

في بداية الثمانينيات مع مجيء الرئيس الشاذلي بن جديد وانطلاق حملة سياسية ضد التجربة البومدينية ونموذجها الاقتصادي تحديدا، مما أثر سلبا على مواقع هذه الفئات المرتبطة بهذه التجربة. نفس الأدوار السياسية التي عاد الرجلان للقيام بها في بداية التسعينيات، مع تجربة المجلس الأعلى للدولة حتى ولو كانت تجربة قصيرة ومضطربة.

الأكيد أن الوسط العائلي والمنحدرات الاجتماعية بثقافة ومؤسسات التنشئة المميزة لهما وحتى الجهة الجغرافية التي ولد وعاش فيها الفرد، يمكن أن تفسر هذه الاختلافات في المسارات والمواقع المحتلة من قبل هذا الجزء من النخبة السياسية، علما أن الاستراتيجيات الفردية يمكن أن تكون أوضح إذا تعرفنا بالدقة المطلوبة على المنحدرات الاجتماعية؛ فالمسارات التعليمية والسياسية يمكن أن تفسرها هذه المنطلقات السوسيولوجية الأكثر استقرارا واستمرارية.

المنحدرات الاجتماعية... الأغنياء والفقراء وأبناء الفئات الوسطى

ركز الخطاب السياسي الجزائري المهيمن بعد الاستقلال على الطابع الشعبي المفترض الذي يميز السلطة السياسية في الجزائر، كنتيجة مباشرة للطابع الشعبي لثورة التحرير وحتى المجتمع الجزائري³²، الذي يقدم من وجهة النظر هذه كمجتمع متجانس يغلب عليه الطابع الشعبي، إلا أن الدراسة التاريخية الموضوعية تؤكد أن الأمور لم تكن بهذا التجانس السوسيولوجي المعلن عنه إيديولوجيا. فقد وصل إلى منصب رئيس الحكومة في جزائر الاستقلال وفي ظل التعددية خمس أبناء عائلات غنية وميسورة الحال من مجموع 13 رئيس حكومة عرفتهم التجربة السياسية التعددية بين 1989 و2022، تمكنا من إجراء مقابلات مباشرة معهم³³؛ فقاصدي مرباح الذي كان أول رئيس حكومة لما بعد التعددية، ينتمي إلى عائلة غنية مقيمة بالمغرب الأقصى، تملك مزرعة كبيرة وعقارات كثيرة في هذا البلد، مما يفسر التحاقه بالمغرب صغيرا بعد مولده في قرية بني يني بولاية تيزي وزو في 1938.

نفس الانتماء الاجتماعي يمكن الحديث حوله فيما يخص عبد السلام بلعيد الذي ينحدر هو الآخر من عائلة زراعية مالكة كبيرة³⁴ بعين الكبيرة بولاية سطيف، هاجرت

32. شارل روبر أجرون يقول أن الجزائريين الذين تعرفت عليهم بين 1947 و1957 كانوا يملكون نزعة قوية - لأسباب تكتيكية واضحة - في تقديم أنفسهم كلهم كبروليتاريين متساوين جميعهم أمام الاستغلال الاستعماري، باستثناء حفنة من الإقطاعيين والبرجوازيين الكبار بني وي وي (beni oui oui). انظر :

Charles-Robert Ageron, *Les classes moyennes dans l'Algérie coloniale, origines, formation et évaluation quantitative*, in *Les classes moyennes au Maghreb*, Cresm, Éditions CNRS, Paris.

33. العدد الكلي لرؤساء الحكومات بعد انطلاق التعددية وصل بالطبع إلى أكثر من ذلك. - 16 بالضبط - إلى غاية 2022.

34. انظر كيف يقدم عبد السلام بلعيد نفسه في المؤلف التالي لعلي الكنز ومحفوظ بنون : Mahfoud Benoune, Ali El Kenz, *Le hasard et l'histoire. Entretiens avec Belaid Abdesselem*, 2 tomes, Enag Éditions, Alger, 1990.

إليها من منطقة عين الحمام بالقبائل الكبرى. الأب عبد السلام الذي استطاع القيام بترقية واضحة من خلال الانتقال من تاجر متنقل بين الكثير من مدن الشرق الجزائري إلى فلاح مالك، كما حصل ذلك مع الكثير من أبناء منطقة القبائل، تمكن من توسيع ملكيته الفلاحية عن طريق كراء الأرض وشراؤها لاحقا، علما بأن الجد من الأب هو الآخر كان فلاحا ميسورا بمنطقته الأصلية قبل أن تتم مصادرة أراضي العرش والعائلة بعد ثورة 1871. إسماعيل حمداني، يمكن أن نضمه إلى هذه الأوساط الميسورة صاحبة الملكية الزراعية الكبيرة والمواقع الإدارية القريبة من الظاهرة الاستعمارية، على الأقل من جهة الجد من الأم (عائلة الباشاغا أوشيش) التي أنجبت العقيد والوزير عبد المجيد خال إسماعيل حمداني³⁵، فقد كان الجد من الأم صاحب الملكية الزراعية الكبيرة، خوجة ترجمان وقايد للوصول إلى موقع الباشاغا سنة قبل اندلاع ثورة التحرير. عكس الجد من الأب الذي توفي صغيرا بعد أن صودرت منه أراضيه الزراعية نتيجة ثورة المقراني التي تأثرت بها منطقة القبائل الصغرى أكثر من غيرها، كما توضحه تداعياتها الكثيرة على حالة عائلة عبد السلام ورضا مالك وإسماعيل حمداني والكثير من أبناء المنطقة الذين سنتعرف عليهم في هذه الدراسة.

هذا الإفقر الذي لحق بعائلة حمداني³⁶، يمكن تلمسه على مستوى جيل الأب مباشرة، الذي احترف التجارة الصغيرة في مدينة برج بوعريريج بعد هجرته إليها من قريته الصغيرة «أورير أو علمي» القريبة. الهجرة التي كان نفس الأب قد قام بها قبل تجربة التجارة، هذه المرة إلى مدينة واد زناقي (ولاية قالة)، لتعليم القرآن لأطفال القرية، على عادة الكثير من سكان منطقة القبائل الصغرى المشهورة بزواياها وشبكة تعليمها القرآني الواسعة، الذين تفرض عليهم ظروفهم الاقتصادية الصعبة اللجوء إلى مهنة التعليم كمهنة إضافية موازية؛ وهو ما حمل الابن البكر إسماعيل مسؤوليات كبيرة في التكفل بعائلته المكونة من سبع بنات - من بينهن أخت غير شقيقة - وأخ وحيد³⁷ بعد استشهاد الأخ الثاني في الجبل أثناء ثورة التحرير بعد التحاقه بأحد أخواله. مسؤوليات تحملها الشاب إسماعيل فرضت عليه دخول

35. الاثنان من نفس السن تقريبا بحيث لا يزيد عمر الخال (من مواليد 1926) إلا بأربع سنوات عن ابن الأخت حمداني (من مواليد 1930).

36. وظفنا الكثير من المعطيات المتعلقة بعائلة ومسار إسماعيل حمداني منذ مرحلة الصبا في هذه الدراسة التي أنجزتها د. زبيدة حداد التي تملك علاقة عائلية مباشرة مع إسماعيل حمداني تعود إلى الجد من الأم. دراسة ركزت على عائلة أوشيش التي كان الجد فيها قايد وملاك عقاريا كبيرا بمنطقة القبائل الصغرى بني يعلا (تراب ولاية برج بوعريريج) زيادة على ما حصلنا عليه من معطيات عن طريق المقابلة التي أجريناها مع إسماعيل حمداني نفسه.

Zoubida Haddab, *Ambiguïté de la socialisation politique choix et contrainte dans l'itinéraire d'une famille algérienne (1890-1980)*, Thèse de doctorat, IEP, Paris, 1994.

37. الأخ الثاني توفي أثناء حرب التحرير بعد التحاقه بجيش التحرير. نفس المرجع أعلاه، ص 286.

عالم الشغل قبل الاستقلال وهو طالب بمدرسة الجزائر قبل ووصوله إلى مواقع مهنية مهمة مباشرة بعد الاستقلال برئاسة الجمهورية، زاد عليها لاحقا بمواقع على مستوى الخارجية كسفير في عدة عواصم عالمية ؛ فقد كانت وضعية الأب التاجر الصغير (معلم للقرآن) تقتضي مد يد العون له في التكفل بعائلته الكبيرة التي أنجبها مع الوالدة ابنة عائلة أو شيش بعد وفاة زوجها الأول وابن عمها بعد تجربة زواج لم تدم إلا سنتين وتدخل الأب الباشاغا لفضها بعد أن لاحظ سوء معاملة ابنته من قبل زوجها الأول وابن عمها³⁸.

حال المجموعة الأولى من رؤساء الحكومات واضح إذن من حيث منحدراتهم الاجتماعية التي يميزها الغنى والملكية العقارية والزراعية الكبيرة التي كونتها هذه العائلات في الهجرة بعيدا عن الموطن الأصلي بعد جهد كبير استمر لأكثر من جيل. فقد كان أب عبد السلام بلعيد على سبيل المثال تاجرا متجولا صغيرا كعادة الكثير من أبناء منطقة القبائل، قبل أن يستقر في منطقة عين الكبيرة بولاية سطيف التي اشترى فيها مع الوقت ملكية زراعية كبيرة وسّع فيها من خلال لجوئه إلى كراء أراضي أخرى لاستغلالها وتحسين دخله المالي. نفس الترقية الاجتماعية تقريبا استفادت منها عائلة مرباح التي هاجرت خارج الوطن (المغرب) أين كانت تملك مزرعة وعقارات أخرى كبيرة قام بتسييرها الأب مع إخوانه الذين التحقوا به للعمل فيها كمشروع عائلي كبير.

رغم اختلاف الوسط الطبيعي (الصحراء) فإن وضعية عائلة أحمد بن بيتور يمكن ضمها لهذه الفئة الميسورة، فقد كان الأب تاجرا ميسورا ومعروفا، ليس بين أفراد قبيلته الكبيرة، الشعابنة، المنتشرة في جنوب الجزائر، بل معروفا كذلك بملكته الزراعية والعقارية في الكثير من مدن الصحراء الكبرى، كالمنيعية وتندوف وغرداية.

منصب رئاسة الحكومة في الجزائر، وكما يمكن توقعه، لم يحتكر فقط من قبل الفئات الزراعية المالكة والغنية، رغم الحضور الكبير الذي ميز أبناءها على مستوى هذا المنصب الهام، فقد كان حظ أبناء الفئات الوسطى حتى الآن مساويا لحظ المالكين الزراعيين الكبار. فقد استطاعت الفئات الوسطى الأجيرو والمتعلمة، الممثلة في القضاة والمعلمين، من تنصيب رئيسي حكومتين في شخص رضا مالك الذي كان أبوه قاضيا، مثل الجد من الأب، كما استطاعت فئة المعلمين، التي تحتل المواقع الدنيا ضمن الفئات الوسطى الموظفة، تنصيب أحمد غزالي رئيسا للحكومة، هو الذي كان أبوه معلما متخرجا من مدرسة المعلمين/مدرسي.

الفئات الوسطى غير الأجيرو التي يمثلها التجار، كانت هي الأخرى ممثلة من قبل علي بن فليس الذي كان أبوه تاجرا صغيرا في قريته « أولاد شليح » بالقرب من مدينة باتنة، قبل استشهاداه أثناء ثورة التحرير. فئة يمكن أن نضيف إليها إسماعيل حمداني إذا انتقلنا

38. نفس المرجع أعلاه، ص 52.

في هذا التصنيف الاجتماعي من جيل الأب، وليس جيل الجد، فقد كان الأب حمداً في معلم قرآن وتاجراً صغيراً كعادة هذه الفئات الوسطى التي تحترق أكثر من مهنة وتهاجر خارج موطنها الأصلي للحفاظ على وضعها الاقتصادي المتوسط الهش.

نفس الفئة الاجتماعية التي يمكن أن ندمج فيها عبد المالك سلال الوزير الأول لآخر فترة حكم بوتفليقة، ابن العائلة القبائلية (القبائل الصغرى التي أنتجت ثلاث رؤساء حكومات للجزائر) التي دخلت إلى مدينة قسنطينة كالكثير من العائلات المتضررة من الانتفاضات الشعبية خلال المرحلة الاستعمارية الطويلة، على غرار ثورة المقراني التي كانت أكثر تأثيراً على منطقة القبائل الصغرى، موطن عائلة سلال الأصلي رغم ولادة الابن عبد المالك في 1948 بقسنطينة التي عرف فيها الأب سلال بملكته لمخبرة صغيرة.

الفئات الاجتماعية الشعبية الفقيرة، كما يمكن توقعه في تشكيلة اجتماعية مثل الجزائر بخصائصها التاريخية المعروفة، كانت متواجدة على رأس هذا المنصب السياسي الهام هي الأخرى ولو بدرجة أقل؛ فقد كان أب مولود حمروش فلاحاً صغيراً بالحامة بوزيان بالقرب من قسنطينة التي هاجرت إليها العائلة الريفية الأصل، والذي يمكن إضافته إلى مجموعة أبناء الفئات الوسطى الدنيا التي تبقى تميزها الملكية الصغيرة، مهما كان صغرهما. وهو نفس حال جد عبد العزيز جراد ابن خنقة سيدي ناجي الذي كان يملك ملكية صغيرة أقرب لمنطق زراعة الواحات في هذه المنطقة شبه الصحراوية الواقعة جنوب ولاية خنشلة وشمال بسكرة، قبل أن تهاجر العائلة إلى خنشلة ولاحقاً إلى باتنة أين استقر الأب كصاحب محل صغير للتصوير. حال أب عبد العزيز بلخادم ابن « واد مرة » ببلدية أفلو، شبه الصحراوية، قد يكون أقرب للفئات الشعبية الفقيرة إذا أخذنا بعين الاعتبار الطابع الصحراوي للمنطقة وشح موارد العائلة الاقتصادية التي فرضت عليها الهجرة شمالاً إلى ولاية تيارت الأكثر تنوعاً ووفرة اقتصادية.

في حين أن منحدرات مقدار سفي تجعله أقرب إلى الفئات العمالية الأجيرية الفقيرة، فالأب سفي كان عاملاً يدويّاً في قطاع البناء، بكل ما يعرف عن هذا القطاع المهني من ظروف عمل قاسية وضعف في الدخل وموسمية في النشاط. الأصول الاجتماعية لأحمد أويحيى إذا أخذنا مؤشر مهنة الأب، كما فعلنا مع كل المجموعة المدروسة، تؤكد أننا لم نغادر الأوساط الشعبية العمالية الأجيرية التي استفادت بعد الاستقلال من إمكانيات التعليم التي وفرتها الدولة الوطنية لأبناء الكثير من هذه الفئات، خاصة في المدن الكبرى والمتوسطة التي هاجرت إليها بكثافة كما هو حال الكثير من الجزائريين بعد وقيل الاستقلال، وهو ما ينطبق على أحمد أويحيى الذي كان أبوه سائقاً في مؤسسة النقل العمومي بالعاصمة التي انتقل للعمل فيها بعد هجرة قصيرة عند أخواله في مدينة سوق أهراس بأقصى الشرق الجزائري.

رؤساء الحكومات... أبناء مجتمع متحرك

ونحن نقوم بعملية تحديد المنحدرات الاجتماعية لرئيس الحكومة الجزائري، ركزنا على جيل الأب تحديدا للوصول إلى هذا التصنيف الذي قمنا به إلى ثلاث فئات أساسية أوصلت أبناءها إلى رئاسة الحكومة الجزائرية، وهي الفئات الشعبية الفقيرة والفئات الوسطى والأغنياء الميسورين من أصحاب الملكيات العقارية. تتبع هذه المنحدرات الاجتماعية إلى غاية جيل الجد قد يعيد النظر جزئيا على الأقل في هذا التصنيف العام، ما قد يفيدنا في فهم التحولات العميقة التي عاشها المجتمع الجزائري خلال هذه الحقبة التاريخية التي عرفت فيها الظاهرة الاستعمارية بداية استقرارها، آخذين بعين الاعتبار تاريخ ولادة الجد والأب.

الظاهرة الاستعمارية التي كان لها التأثير الكبير على تشكل الخارطة الطبقيّة للمجتمع الجزائري، كما تبينه عينة رؤساء الحكومات الجزائرية، فقد عرفت هذه الأوساط الهجرة من موطنها الأصلي، نحو مناطق مختلفة من التراب الوطني، كما كان حال عائلة عبد السلام بلعيد الذي فقد جده من الأب الملكية العقارية التي كان يملكها في منطقته الأصلية بدوار إغيل بوعماس ببني بودرار، بالقرب من عين الحمام بولاية تيزي وزو. وهي الأراضي التي تمت مصادرتها من قبل الإدارة الاستعمارية بعد فشل ثورة 1871، كما يتذكر الحفيد بلعيد الذي تكون قد أثرت عليه هذه التجربة العائلية التي جعلته يتوجه نحو تبني مواقف سياسية جذرية عبر عنها بالانخراط في أحزاب الحركة الوطنية الاستقلالية ممثلا في حركة الانتصار وهو لا يزال طالبا بالجامعة، ووصل إلى لجنتها المركزية.

لنجد أنفسنا أمام حالة إفقار واضحة، بفعل الظاهرة الاستعمارية على مستوى جيل الجد. الوضع العائلي الذي لم يتحسن إلا على مستوى جيل الأب الذي انتقل للعمل كتاجر متنقل، في الجهة الشرقية من التراب الوطني (سوق أهراس، سطيف)، قبل استقراره في منطقة عين الكبيرة بسطيف، أين اشترى عقارات وأراضي فلاحية أعادت وضع العائلة إلى مواقعها الاجتماعية الأصلية الميسورة، كعائلة مالكة عقارية في منطقة زراعية غنية، عكس منطقة الأصل الفقيرة من حيث أراضيها والمكتظة سكانيا. العمل التجاري الذي دفع الأب الأمي، المزواج إلى تعلم العربية والحساب في سن متأخرة، في هذا الوسط الاجتماعي الذي كانت تغلب فيه الأمية والتعامل بلغة الأم، الأمازيغية.

الأب عبد السلام الذي أنجب ستة أبناء وبنات، كان الطفل بلعيد المولود في سنة 1928 على رأسهم، لم يخرج عن قاعدة الارتباط، ببنات منطقة القبائل الكبرى، عند التفكير في الزواج. في حين نلاحظ تحسنا كبيرا على مستوى السلوكيات الديموغرافية للعائلية داخل هذا الوسط بين جيل الآباء وجيل الأبناء، فالابن بلعيد، الذي تزوج متأخرا وهو في سن الأربعين (1968) عندما كان وزيرا، اختار - على العكس - سيدة عاصمية، تشتغل سكرتيرة

في سوناطراك لينجب ولدا واحدا فقط معها... لأسباب طبيعية بحتة، كما يقول، لتتوقف السيدة عبد السلام عن العمل مباشرة بعد هذا الارتباط.

ابن عبد السلام بلعيد الوحيد، أنجز كل دراساته العليا بمدرسة فرنسية كبرى.. بعد حصوله على معدل جيد في البكالوريا وحصوله على منحة حكومية... لتختفي الأمية تماما والزواج الداخلي من هذا الوسط الاجتماعي خلال جيل كما يظهر لدى عائلة عبد السلام بلعيد الذي... لا يستعمل القبائلية كلغة إلا مع إخوته وأخواته، عكس الابن والزوجة اللذان لا يحسنان الحديث بهذه اللغة...

دائما ضمن هذا الوسط العائلي الميسور الذي أنتج للجزائر رؤساء حكومتها، نجد عائلة أحمد بن بيتور الصحراوية التي دخلت المدينة على مستوى جيل الأب التاجر، في حين كان الجد موالا من سكان البادية. الدخول إلى المدينة الذي ارتبط بتحسين واضح في الوضع الاقتصادي للعائلة التي تمكنت من توسيع ملكيتها العقارية، في أكثر من مدينة من مدن الجنوب (متليلي، المنيعية، تميمون، غرداية).

حصل هذا التحسن في وضع العائلة الاقتصادي، رغم سوء العلاقات الذي ميز هذه العائلة الوطنية مع الإدارة الفرنسية التي نفت الأب إلى متليلي وسجنت الخال أثناء الحرب العالمية الثانية وأعدمت العم أثناء حرب التحرير، برمييه من طائرة عمودية³⁹.

عائلة بن بيتور التي كان فيها الأب... أميا، رغم شغفه بحفظ الشعر الشعبي الذي اشتهر به الجد الشاعر بيتور لخضر... رغم اليسر المادي الذي ميز العائلة لم يتزوج الأب إلا مرة واحدة من سيدة من مدينة متليلي من بنات قبيلة أولاد علوش، هو الذي ينتمي إلى قبيلة أولاد عبد القادر الشعانبيية؛ زواج أنجب منه الأب ثلاث أبناء، كان الطفل أحمد كبيرهم. الأب بن بيتور الذي حج أربع مرات، قبل أن توافيه المنية وهو لم يتجاوز سبعا وأربعين سنة من عمره.

إذا كانت مؤسسة سوناطراك هي مكان اللقاء بين عبد السلام بلعيد وزوجته العاصمية، فإن أحمد بن بيتور قد تعرف على زوجته ابنة مدينة الرويبة القريبة من العاصمة، في أحد البنوك التي كانت تشتغل فيها، قبل أن تتوقف عن العمل هي الأخرى، بعد هذا الارتباط الذي أنجبت منه أربعة أبناء، تخرجت منه البنت البكر كصيدلية.

زواج تم في حالة عبد السلام بلعيد وأحمد بن بيتور داخل مكان العمل والمؤسسات التي ارتبط بها الرجلان مهنيا. زواج تم بالضرورة خارج الأطر التقليدية والعائلية التي كانت سائدة عند جيل الآباء الأكثر ارتباطا بالوسط الاجتماعي والجغرافي الأصلي.

39. Ahmed Benbitour, *Radioscopie de la gouvernance algérienne*, Éditions Edif 2000, novembre 2006, pp. 11-41.

عائلة مرباح هي الأخرى، ارتبط وضعها الاقتصادي الجيد بالهجرة، لكن هذه المرة ليس داخل الجزائر، بل في الخارج، فقد استقرت عائلة مرباح بالمغرب الأقصى، أين تمكن الأب وإخوته من شراء عقارات واسعة بالمغرب الذي استقرت به العائلة لعقود خلال الفترة الاستعمارية.

لنكون أمام وضع صعب التصنيف اجتماعيا ومعقد في حالة عائلة إسماعيل حمداني ابن معلم القرآن والتاجر الصغير بقرية «أورير أو علمي» بالقرب من قنات، إذا اكتفينا بالتعرف على جانب العائلة من جهة الأب ولم نوسع نظرنا إلى الجد من الأم والأخوال بعد ارتباط الأب من إحدى بنات أوشيش الذي لم يكن الخيار الأول لها، في هذا الوسط «المرباط» الغني الذي كان منطق الزواج الداخلي هو السائد فيه؛ فهذا الزواج مع معلم القرآن والتاجر الصغير لم يتم إلا بعد فشل زواج الأم الأول مع ابن العم الذي كان الخيار الأول لابنة القايد الذي أنهى مساره المهني بأشاعا، كما عرفنا ذلك ونحن نتكلم عن حالة الخال عبد المجيد أوشيش وزير البناء والسكن في آخر حكومة للرئيس بومدين.

ارتباط تم تطبيقا لاستراتيجيات المصاهرة التي كانت سائدة بين هذه الأوساط القبائلية «المرباطة» التي فضلت «منح» بناتها إلى عائلة متعلمة، رغم تواضعها المادي، بمقاييس الزمن والوسط الاجتماعي، كما هو حال عائلة أب حمداني التي فقدت الكثير من وزنها الاقتصادي جراء مصادرة أراضيها إثر انتفاضة الشيخ المقراني (1871) كما حصل ذلك مع الكثير من أبناء المنطقة التي شهدت انطلاقا هذه الانتفاضة الشعبية.

زواج أنجب منه الأب حمداني، التاجر الصغير ومعلم القرآن، ولدين وخمس بنات في هذا الوسط الاجتماعي الذي اشتهر بثقافته الدينية التقليدية... التي جعلته ينظر إلى كل من لا يحفظ القرآن بعد سن الحادية عشر من عمره كإنسان.. طائش... يقول الحفيد إسماعيل. وضع انعكس إيجابا على مستوى تعليم إناث العائلة بما فيهن الأخوات وحتى الوالدة التي كانت تحفظ ما يسهل لها القيام بصلاتها. تعليم ديني بالعربية لم يجعل هذه العائلات الأمازيغية، بمنطقة القبائل الصغرى على تراب ولاية برج بوعريج، تتنكر للغتها القبائلية التي استمرت في التعامل معها، داخل الوسط العائلي.

وسط عائلي أنتج أستاذ الطب والمعلم والوزير من جهة عائلة الأم، التي لم تبخل بمساعدة أبناء معلم القرآن التاجر الصغير الذين كانوا من نفس سن أخوالهم مما يكون قد ساعد على الزيادة في القرب بين أبناء العائلة الموسعة، فقد أنتجت عائلة أوشيش أول أستاذ طب في العيون يحصل على التبريز في الجزائر. كما توجه الأخ الأصغر لإسماعيل حمداني إلى الصادقية بتونس لمزاولة تعليمه المزدوج فيها بعد الدراسة في مدرسة قسنطينة، ليستشهد أثناء ثورة التحرير، كما استشهد قبله أحد أخواله من عائلة أوشيش التي تميزت بحجمها

الكبير ونجاح أبنائها المهني لدى مختلف الأجيال⁴⁰ التي سردها بالتفصيل الأطروحة التي أنجزتها إحدى بنات العائلة.

حجم عائلة⁴¹ كبير واستراتيجيات مصاهرة، سنجد أنها اختفت تماما مع جيل الابن إسماعيل نفسه الذي فضل الزواج من خارج محيطه العائلي والجهة.. فقد فضل حمداني الزواج من إحدى بنات عائلة دمارجي التلمسانية التي تعرف عليها في المغرب، لم ينبج منها إلا بنتا واحدة، تخرجت كطبيبة مختصة لتقرر الزواج من أستاذ للطب من الشمال القسنطيني. زواج حمداني من ابنة تلمسان الذي جعل هذا الوسط القبائلي يفقد ميزة التعامل بالقبائلية التي اعتمد فيها على الزواج الداخلي، حتى داخل العائلة، بعد عدة أجيال من ممارسة لغوية تعددية. مارستها العائلة وطورها جيل الأبناء، كما حصل مع إسماعيل حمداني، خريج هذا النظام التعليمي المزدوج الذي استفاد منه في الجزائر. ليكون أحد نقاط قوته داخل هذا الوسط السياسي الجزائري أحادي اللغة الذي انخرط داخله في مواقع متنوعة ودافع عن مواقفه السياسية وخياراته ورجاله في مختلف المراحل. حتى وهي تختلف من محطة تاريخية لأخرى، كما كان الحال بين فترة حكم الرئيس بومدين والشاذلي. حين كان يدافع عن الثورة الزراعية في ظل حكم الأول ليعلن نفس مواقف التأييد - داخل الوسط العائلي دائما - للردة عن خيار الثورة الزراعية في زمن الرئيس الثاني. الوسط العائلي الذي وقع تحت الصدمة وهو يستمتع للرجل وهو يصرح أكثر من مرة بمناسبة اللقاءات العائلية أن الأمازيغية مصيرها الاندثار والزوال لأن هذا هو منطق التاريخ.

رؤساء الحكومات الذين تم تصنيفهم كأبناء للفئات الوسطى، مثل رضا مالك وعلي بن فليس وسيد أحمد غزالي وإسماعيل حمداني، يمكن أن نلاحظ عليهم استقرارا اجتماعيا أكبر، بعد أن بدأت مؤشرات إدماجهم كوسط اجتماعي في النظام الاقتصادي والاجتماعي الجديد الذي فرضته الحالة الاستعمارية عن طريق دخول الوظيفة العامة، حتى وإن كان ذلك بأشكال كولونيالية، كما كان سائدا في الجزائر. وهو ما تعكسه جيدا حالة عائلة رضا مالك البجاوية التي عرفت بهجرتها إلى أكثر من منطقة من التراب الوطني والجهة الشرقية

40. هنا تذكر الباحثة أن الجيل الثالث من أبناء العائلة الذين دخلوا للعاصمة للعيش فيها لم يشكوا من أزمة السكن كدليل على المواقع المهنية المهمة التي احتلها أبناء العائلة في أكثر من قطاع وهي تذكر بقطاعات نشاط أبناء العائلة لغاية بداية الثمانينات الذين كان من بينهم ثمانية أطباء و4 محامين و4 موظفين سامين في الإدارة والجيش و16 موظف متوسط من بينهم أساتذة في التعليم الثانوي والجامعة ومديرين في وزارات مختلفة وتسعة أفراد في القطاع الصناعي وأخيرا ست موظفين صغار ومتوسطين زيادة على صناعيين اثنين في القطاع الخاص انطلقوا في الأصل في مشوارهم المهني في القطاع العام قبل الانتقال إلى الخاص.

41. Zoubida Haddab, *Ambiguïté de la socialisation politique choix et contraintes dans l'itinéraire d'une famille algérienne 1890-1980*, thèse de doctorat d'état. Institut d'études politiques de paris 1994 sous la direction du professeur Jean Leca.

تحديدا (عين البيضاء، باتنة) نتيجة المهنة القانونية التي ارتبط بها أبنائها تاريخيا. فقد كانت المحاماة الموجهة للأهالي هي مهنة الجد من الأب Oukil Judiciaire، قبل الأب الذي كان هو الآخر قاضيا في أكثر من مدينة جعلت الابن رضا يولد في باتنة سنة 1931. الحفيد رضا مالك الذي مازال يذكر أن... الجد كان أحد محامي الشيخ الحداد⁴².

رضا مالك الذي فضل الارتباط بإحدى بنات جيجل، من عائلة لونيس، عكس الوالد الذي تزوج من بنت تاجر بمنطقته الأصلية بجاية. ما يمكن أن نلاحظ هنا أن الهجرة خارج منطقة الأصل لأسباب مهنية أو اقتصادية، كما هي حالة عائلة عبد السلام بلعيد، لم تؤدي على مستوى جيل الآباء إلى الزواج خارج نفس الإطار الجغرافي الأصلي (منطقة القبائل) حتى ولو ابتعد عن الإطار العائلي الضيق، كما هو حال عائلة مالك، زواج إذا كان قد حمى اللغة الأمازيغية من الزوال كلغة حياة يومية بين أفراد الأسرة على مستوى جيل الآباء، فإنه لم يحافظ عليها على مستوى جيل الأبناء والأحفاد، فرضا مالك، مثل عبد السلام بلعيد، لا يتحدث بالأمازيغية إلا مع أفراد عائلته من جيله. في حين تكون اللغتان العربية والفرنسية هما الغالبتان عند الحديث مع أبنائه الثلاثة المتخرجين كلهم من الولايات المتحدة الأمريكية، البنت كمهندسة معمارية والولدين الأول كطيار و الثاني في الرياضيات. بالطبع الدراسة في هذا البلد تفسرها وظيفة الأب الذي كان سفيرا في الولايات المتحدة لعدة سنوات، دون التمكن من الإمام الجيد باللغة الإنجليزية، رغم مهامه الدبلوماسية كسفير في واشنطن ولندن بين سنتي (1979-82). علما أن الابن مالك، الطيار ارتبط عن طريق الزواج لاحقا من إحدى بنات رجل الأعمال المعروف إسعد ربراب⁴³، ابن بجاية هو الآخر، في هذه العائلة المنتمية إلى الفئات الوسطى المتعلمة الجزائرية لأكثر من ثلاث أجيال وهي تحافظ على وضعها الطبقي، مثلما حافظت على حجمها الديموغرافي الصغير، فقد تربى الطفل رضا مالك في عائلة لم يتجاوز عددها الثلاثة (أخت وأخ أكبر) ليقوم بإنجاب عائلة من نفس الحجم.

سيد أحمد غزالي ورغم انتمائه إلى جيل أصغر من جيل رضا مالك (من مواليد 1937) إلا أنه ينتمي إلى نفس المنحدرات الاجتماعية نفسها تقريبا. فالأب غزالي الندرومي، تخرج من مدرستي تلمسان والجزائر كمعلم مزدوج اللغة، قبل أن يرقى إلى مدير مدرسة. في

42. هو الشيخ محمد أمزيان بن علي الحداد الزعيم الروحي لثورة المقراني، توفي في سنة 1873 بمدينة بجاية.

43. انظر التقديم الذي يقوم به حفصي الطيب لعائلة ربراب التي خصص كتابه للحديث عنها وعن الأب يسعد ربراب الصناعي الجزائري المعروف.

Hafsi Tayeb, *Isaad Rabrab, voir grand, commencer petit et aller vite*, Casbah Éditions, Alger, 2011.

حين كان الجد حرفيا في قطاع النسيج التقليدي (دراز) الذي اشتهرت به مدينة ندرومة⁴⁴، أما الجد من الأم، ابن مدينة القلعة بالقرب من معسكر⁴⁵ الذي ينتمي إلى فئة الموظفين المتوسطين، كتنقي سامي في الصحة العمومية (Auxiliaire de Santé publique). سيد أحمد غزالي الذي تربى في وسط كان الأب فيه مزدوج اللغة والثقافة، وأم حاصلة على مستوى تعليمي ابتدائي، خلال هذه الفترة التي كان السائد فيها أمية النساء في الجزائر كقاعدة عامة... « العائلة التي ولدت فيها كانت متعلمة ومرتبطة بالعادات والتقاليد الثقافية والدينية القديمة، سواء أتعلم الأمر بتيغنيف التي ولدت بها أو بندرومة »⁴⁶ في حين قام الابن سيد أحمد بكل تعليمه باللغة الفرنسية، رغم دخوله لمدة قصيرة إلى نظام التعليم التقليدي، ضمن زاوية العيساوة التي كان عمه مقدما لها. الزاوية التي كانت ذات حضور مهم بمدينة ندرومة، رغم التنافس الذي وجدته من جمعية العلماء والمدرسة الفرنسية.

نظام التعليم الفرنسي الذي دخله سيد أحمد غزالي في سن صغيرة جدا، بحكم مهنة الوالد المدرس الذي أنجب ست إخوة وأخوات، بالإضافة إلى الطفل سيد أحمد الذي اختار عندما قرر الزواج إحدى بنات عائلة مصطفى، الطبيب المشهور في سطيف، التي لم تكمل دراستها الطبية ولم تشتغل خارج المنزل، لينجب منها ولدين وبنات واحدة، درسوا كلهم الرياضيات والاقتصاد في الجامعات الفرنسية... الزوجة التي تعرف عليها سيد أحمد غزالي عن طريق عائلتها.. في أحد ملاعب التنس، ليتزوجها وهو في الثلاثين من العمر (1968). ارتباط يتم في نهاية الأمر في نفس الوسط الاجتماعي تقريبا حتى ولو تم في منطقة جغرافية بعيدة عن الغرب الجزائري، الموطن الأصلي لعائلة غزالي⁴⁷.

علما بأن رئيس الحكومة الجزائري، يرفض في الغالب عمل زوجته خارج المنزل بعد الارتباط بها، حتى ولو كانت تشتغل قبل التعرف عليها والزواج بها، كما كان الحال مع حرم عبد السلام بلعيد وأحمد بن بيتور اللتين توقفتا عن العمل مباشرة بعد هذا الارتباط. ظاهرة استمرت مع الجيل الصغير كما كان الحال مع حرم عبد العزيز جراد ذات الأصول

44. يذكر سيد أحمد غزالي أن أعمامه الخمس قد امتنوا كلهم العمل التجاري الصغير في المواد الغذائية والأقمشة والمجوهرات. انظر :

Sid Ahmed Ghozali, *Questions d'État. Entretien avec Mohamed Chafik Mesbah*, Alger, Casbah Éditions, 2009, p. 37.

45. يذكر سيد أحمد غزالي في نفس المرجع المذكور أعلاه ونفس الصفحة أن جدته من الأم تنتمي مباشرة إلى عائلة الأمير عبد القادر.

46. نفس المرجع ونفس الصفحة المذكورة أعلاه.

47. وهو يدفع عن نفسه تهمة الجهوية التي حاولت بعض الأوساط إلصاقها بحكومته.. يقول غزالي أنه ولكي يزور كل مقابر عائلته وعائلة زوجته بين ندرومة في أقصى الغرب وسطيف وباتنة أين ولدت زوجته بحكم مهنة الأب، عليه أن يزور كل الجزائر من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق نفس المرجع المذكور أعلاه، ص 36.

البسكرية التي فضلت المكوث في البيت والتركيز على تربية أبنائها الأربعة (ثلاث ذكور وبنات).

لفهم هذا الموقف من عمل المرأة لا بد من العودة إلى ما ميز شروط التنشئة الاجتماعية والثقافية التي عاش ضمنها رئيس الحكومة الجزائري بكل خصائصها الكولونيالية، فقد تعلم هؤلاء في المدارس الفرنسية العلمانية منذ طفولتهم الأولى، ليحصلوا فيما بعد على تعليم عال في جامعات كبرى، بعواصم دولية مثل باريس ومنتريال والجزائر العاصمة للحصول على شهادات عليا. تعليم تم بموازاة تعليم تقليدي ديني شائع في المجتمع الجزائري وهو ما سمح لأحمد بن بيتور على سبيل المثال بحفظ القرآن كاملا وهو لا يزال صغيرا في السن، ضمن هذا التعليم الذي كان يحصل عيه التلاميذ وهم صغارا بموازاة المدرسة الابتدائية الفرنسية⁴⁸. نفس التعليم التقليدي الذي حصل عليه سيد أحمد غزالي في سنوات عمره الأولى، داخل مؤسسة الزاوية التي كانت العائلة قريبة منها⁴⁹.

مهنيا، سير رئيس الحكومة الجزائري شركات ومؤسسات صناعية كبرى وعلى رأسها كانت الشركتان العموميتان سوناطراك وسونلغاز، قبل الانتقال إلى منصب الوزارة ورئاسة الحكومة. مسار مهني تم إذن عبر مؤسسات عصرية تميزت بالاختلاط بين الجنسين وحضور معقول للمرأة، رغم ما عرف من ضعف للعمل النسوي ونخبويته في التجربة الجزائرية. هذه المسارات بالتنشئة الاجتماعية التي عرفتھا، عبر هذه المؤسسات العصرية، قد تفسر الخيارات البعيدة نسبيا عن المنطق التقليدي الذي ساد لدى هؤلاء المسؤولين عندما قرروا الارتباط والزواج خارج محيطهم العائلي والتقليدي الذي كان سائدا كاتجاه عام.

لكن وبالمقابل لا يجب أن ننسى أن رئيس الحكومة الجزائري هو ابن وسط اجتماعي وثقافي يغلب عليه الطابع المحافظ والتقليدي، فيما يتعلق بمكانة المرأة تحديدا، سواء أكان في الجنوب كما كان الحال مع أحمد بن بيتور وعبد العزيز بلخادم جزئيا، أو حتى منطقة سطيف التي عاش فيها عبد السلام بلعيد، أو ندرومة، فيما يخص سيد أحمد غزالي، أو خنشلة-باتنة عندما يتعلق الأمر بعبد العزيز جراد، دون أن ننسى خصوصيات الحياة السياسية في الجزائر المتسمة بسيطرة قيم وسلوكيات ذكورية، تمنح مكانة محددة

48. انظر كيف يصف أحمد بن بيتور تفاصيل التعليم الذي حصل عليه في المدرسة الفرنسية والنظام التقليدي وحفظه للقرآن صغيرا بمدينة المنيعية بالجنوب الجزائري :

Ahmed Benbitour, *Radioscopie de la gouvernance algérienne*, Éditions Edif 2000, novembre 2006, pp.14-18.

49. انظر كيف يصف سيد أحمد غزالي تعليمه في المرحلة الابتدائية وكيف كان « محط أنظار » أكثر من نظام متواجد بمدينة ندرومة، تراوح بين المدرسة الفرنسية ومدرسة زاوية العيساوة ومدرسة جمعية العلماء.

Sid Ahmed Ghozali, *Question d'État. Entretien avec Mohamed Chafik Mesbah*, Casbah Éditions, Alger, 2009, p.39.

للمرأة، تمنعها من الحضور في الفضاءات العامة، خاصة إذا تعلق الأمر بزوجات المسؤولين الكبار، كما هو حال رؤساء الحكومات⁵⁰.

علي بن فليس الذي يمثل الفئات الوسطى غير الأجيعة، ضمن هذه العينة، هو ابن التاجر الصغير⁵¹ الذي استشهد أثناء ثورة التحرير، فقد تمكن الأب تهامي بن فليس من الالتحاق بجامع الزيتونة بتونس، بعد مرور على النظام التعليمي الباديبي بقسنطينة الذي كان أكثر حضورا في هذه المنطقة من الشرق الجزائري ولدى هذه الفئات الاجتماعية الريفية متوسطة الحال، على شاكلة عائلة بن فليس التي تنتمي على مستوى الجدين إلى فئة الفلاحين المتوسطين.

عائلة بن فليس التي ارتبطت بالزواج من بنات بسكرة على مستوى جيلين كاملين، فقد تزوج الأب بن فليس الزيتوني، من سيدة بسكرية أنجب معها عائلة كبيرة الحجم، حتى بالمقاييس الجزائرية (ثمان بنات وأربعة ذكور).. ديموغرافية مرتفعة كانت سببا رئيسيا في الإفطار الذي لحق بهذه الأوساط الريفية المتوسطة وجعلها تلجأ إلى التنويع في دخلها المادي عن طريق مهن أجيعة موازية، بالإضافة إلى نشاطها الزراعي الأصلي الذي لاحظنا في حالات كثيرة كيف يكون اللجوء إلى كراء أراضي زيادة على تلك المملوكة، بالإضافة إلى الرعي وتربية الحيوانات.

علي بن فليس الذي ارتبط هو الآخر عن طريق الزواج، على غرار الأب، بسيدة بسكرية من بلدة لوطاية، عملت كصيدلية تملكها العائلة لسنوات بعد الزواج، قبل أن تتوقف عن العمل لاحقا. وهو الزواج الذي أنجب منه ولدين وبنتين، تخرج كبيرهم محاميا مثل الأب، تكفل بتسيير مكتب المحاماة عندما استدعت مهام الأب السياسية الغياب عنه قبل الهجرة إلى كندا لاحقا، في حين قررت إحدى البنات القيام بدراسة الطب. عائلة بن فليس التي تبدو بهذا الشكل في صورة عائلة مثالية من حيث إعادة إنتاج مواقعها الطبقية، ضمن الفئات الوسطى من أصحاب المهن الحرة ذات التأهيل العالي (محاماة، صيدلة، طب)..

علي بن فليس الذي يذكر أن الأب... قد حفظه القرآن قبل استشهاده، مثل الأخ الأكبر بموازة الدراسة بالمدرسة الفرنسية بباتنة وثانوية قسنطينة لاحقا المحسوبة على النظام المزدوج Fanco-musulman، قبل الالتحاق بكلية الحقوق بجامعة الجزائر للدراسة باللغة الفرنسية، رغم التحكم في اللغة العربية؛ لنكون بذلك أمام ثاني رئيس حكومة بعد حالة أحمد بن بيتور، يحفظ القرآن في مرحلة الطفولة الأولى، ضمن التعليم التقليدي وتحت مراقبة مباشرة للعائلة.

50. انظر القسم المخصص للمرأة الوزيرة ضمن هذه الدراسة.

51. بن فليس التهامي المدعو سي بلقاسم من مواليد 1900. استشهد سنة 1957. هو وابنه محمد الطاهر. انظر : بن فليس التهامي المدعو سي بلقاسم، السيرة الذاتية للشهيد، دار هومة، الجزائر، 2012.

قمنا بتصنيف مولود حمروش ضمن الأوساط الفقيرة، رغم أن ملكية الأب الزراعية الصغيرة في الحامة بوزيان، بالقرب من قسنطينة، قد تجعل الوسط أقرب للفئات الوسطى الدنيا، المالكة التي تميزها ملكيتها، مهما كانت صغيرة، تخرج صاحبها من دائرة الفقر التي كانت هي القاعدة السائدة لدى الكثير من الجزائريين، من دون ملكية. عائلة حمروش التي ولد فيها الجد في قسنطينة مثل الأب الذي كان رغم حفظه لجزء من القرآن لا يعرف الكتابة، علما بأن عادة حفظ القرآن داخل هذه الأوساط الشعبية الفقيرة هي الوسيلة الوحيدة التي تخرج صاحبها من الأمية عبر هذا الزاد الثقافي المتواضع.

مولود حمروش، الذي فضل الزواج متأخرا بمقاييس الجيل والمجتمع الجزائري، كما لاحظنا ذلك عند عبد السلام بلعيد قبله، بسبب الالتزامات المهنية لدى هذا الجيل-الجسر الذي عاش مرحلتي الثورة والاستقلال بكل ما فرضته عليه من التزامات، وهو يقارب الأربعين سنة من عمره (1982). زواج تم من إحدى بنات قسنطينة التي لا تربطه بها علاقة قرابة، مثلما كان الحال بالنسبة لجيل الأم والأب. الزوجة التي اشتغلت كطبيبة أسنان في القطاع العمومي، والتي أنجبت من هذا الزواج ثلاثة أبناء فقط، عكس عائلة حمروش-الأب الأكبر حجما.

في المقابل قد يكون مقدار سيفي الأكثر تمثيلا للقوى الاجتماعية الشعبية الفقيرة، ضمن فئة رؤساء الحكومات، إذا عرفنا أن مهنة الأب كانت أحيما في قطاع البناء. القطاع المعروف بعمله الموسمي وظروفه القاسية. العائلة التي تنتمي على مستوى الجد إلى نفس الفئات الريفية الفقيرة حتى ولو أنها تميزت بملكيتها الفلاحية الصغيرة في منطقة تبسة السهبية، فالجد من الأب كان فلاحا صغيرا، في حين كان الجد من الأم تاجرا صغيرا « للشحوم الحيوانية ». الجدان اللذان كانا من وسطين مختلفين ومن دون علاقة قرابة، فالجد من الأب كان ريفيا، في حين كان الجد من الأم من وسط أكثر حضرية.

عائلة سيفي التي عكست ديمغرافيتها الكبيرة خصائص منطقة تبسة الريفية، المشهورة بكثرة الإنجاب وتعدد الزوجات، فقد أنجب الأب سيفي تسعة أبناء وبنات، في حين تقلص هذا العدد في جيل واحد إلى أقل من النصف، فلم ينجب الابن مقدار إلا ثلاث بنات وولدا واحدا من سيدة تبسية، حاصلة على شهادة البكالوريا لم تنشط مهنيًا خارج المنزل. وعلى عكس الأم التي لم تلتحق بالجامعة، فإن البنات سيفي درسن في الجزائر وبريطانيا التجارة والبيوتكنولوجية.

مواقع عمالية يتقاسمها سيفي مقدار مع أحمد أويحيى، رغم الفروق الواضحة بين العمل الموسمي كأجير في قطاع البناء الذي كان مهنة الأب سيفي وسياسة حافلة للنقل الجماعي في الوكالة النقابية للنقل الحضري سابقا RSTA بالعاصمة، التي كانت مهنة الأب أويحيى، الحاصل على الشهادة الابتدائية والذي كانت له تجربة مهنية أخرى في سوق

أهراس بأقصى الشرق الجزائري، قبل الانتقال إلى مؤسسة النقل العاصمة كمحصل مالي والانتقال لاحقا إلى سائق حافلات.

أصول عمالية لعائلة أويحيى تتأكد إذا عرفنا أن الجدين من الأب والأم كانا عاملين مهاجرين في فرنسا على عادة الكثير من أبناء منطقة القبائل الفلاحية الفقيرة.. الجدان اللذان تعرفا على بعضهما البعض في المهجر قبل أن يقررا الدخول في علاقة المصاهرة لاحقا على مستوى جيل الأبناء، علما بأن الجد من الأب قد التحق في الأصل بفرنسا كمجنّد بمناسبة الحرب العالمية الأولى، قبل التحول للعمل الصناعي كأجير كما ساد لدى الكثير من أبناء جيله. الأب أويحيى الذي أنجب تسعة أبناء وبنات، توفي له منهم خمسة ولم يبقَ منهم على قيد الحياة إلا أربعة كان الطفل أحمد أكبرهم (بنت واحدة وثلاث أولاد). أحمد أويحيى الذي ارتبط بسيدة جامعية من مدينة البليدة من أصول قبائلية (القبائل الصغرى)، عندما قرر الزواج في سنة 1977، وأنجب ولدين أنهما دراستهما بالخارج، للتخصص في الإعلام الآلي والموسيقى.

نفس المسار الذي يمكن أن نلاحظه على عبد المالك سلال، هو ابن العائلة كبيرة الحجم (6 إخوة وأخوات) فالرجل لم ينجب إلا ثلاثة أبناء من زوجته ابنة ولاية برج بوعريّيج التي كانت الأكثر حضورا اجتماعيا من بين كل نساء رؤساء الحكومات ؛ فقد تميزت السيدة سلال بنشاطها الفني والجمعوي الذي ظهر خاصة من خلال ترؤسها لجمعية تدافع عن آلة «الإمزداد» المعروفة في أقصى الجنوب الجزائري كآلة موسيقية نسوية، هي المهندسة في مجال المواصلات اللاسلكية التي اكتشفت منطقة أقصى الجنوب وهي بالقرب من زوجها الذي كان أول منصب رسمي له رئيس دائرة في عاصمة الهقار تمزاست (1977)، بعد سنوات قليلة من تخرجه من المدرسة الوطنية للإدارة (1974) قبل أن يلتحق بالعمل الدبلوماسي لاحقا لوقت قصير ؛ فقد امتهن الرجل العمل في الإدارة المحلية والمركزية، عكس تخصصه الدراسي الأصلي في الدبلوماسية الذي ابتعد عنه محض الصدفة... فقد صادف تخرجه في 1974 أن تم تنفيذ تقسيم إداري جديد زادت من حدة الطلب على المسيرين في الإدارة المحلية خلال تلك الفترة.

عبد العزيز جراد الوزير الأول الذي عينه الرئيس تبون مباشرة بعد وصوله إلى قصر المرادية في 28 ديسمبر 2019، ابن صاحب محل التصوير الذي انتقل إلى العيش مع عائلته في باتنة التي استقرت بها العائلة لاحقا قادما من خنقة سيدي ناجي أين كان الجد يملك قطعة زراعية في نفس الوقت الذي كان فيه يقوم بشكل غير رسمي بوظيفة أقرب لمهنة القاضي التقليدي، نتيجة تمكنه من اللغة العربية وبعض علوم القرآن في هذه المدينة الصغيرة التي عرفت كبؤرة ثقافية منتجة للنخب في هذه المنطقة الحدودية بين التل والصحراء بأقصى الشرق الجزائري. على الحدود بين ولايتي خنشلة وبسكرة التي اقترن

الحفيد عبد العزيز من إحدى بناتها كما هي العادة بين بنات هذه المدن، بمجرد عودته من رحلته العلمية في باريس 1982.

استقرار الوالد في مدينة باتنة (من مواليد 1926) عكس بعض أفراد العائلة الآخرين الذين فضلوا مدنا أخرى بالشرق الجزائري كخنشلة وتبسة وحتى تونس القريبة بالنسبة للبعض، هو الذي يفسر كيف انطلق الطفل عبد العزيز في دراسته بهذه المدينة في مدرسة « النشأ الجديد ». تحت رعاية الجد الذي كان قد اقترن مرتين قبل وفاته في 1976 إحداها كانت مع إحدى بنات عائلة أمازيغية من شاشار بولاية خنشلة التي تزوج الوالد لاحقا من إحدى بناتها لإنجاب عائلة كبيرة من تسع مواليد (سبعة ذكور وبنيتين) كان الطفل عبد العزيز على رأسهم. عائلة أنتجت رئيس الدائرة والمهندس وموظف البنك كالكثير من عائلات هذا الوسط الاجتماعي المتوسط الذي استثمر كثيرا في تعليم أبنائه في جزائر ما بعد الاستقلال وهي تدخل للعيش في المدن. بعد حرمان طويل من التعليم خلال الحقبة الاستعمارية.

حافظت عائلة جراد على استثمارها الكثيف في تعليم أبنائها، لكن هذه المرة بالخارج في جامعات كبرى كما كان الحال مع عبد العزيز نفسه الذي استفاد من منحة للدراسة في جامعة نانتيير الفرنسية بين 1976 و1981 للحصول على دكتوراه في العلوم السياسية، بعدما تحصل على البكالوريا في ثانوية بن بولعيد بباتنة وتخرج من جامعة الجزائر.. نفس التعليم الجامعي قام به أبناء عبد العزيز الأربعة الذين أنجبهم مع إحدى بنات بسكرة (أنهت مرحلة تعليمها الثانوي) في جامعات بين لندن وتولوز الفرنسية للتخصص في مجالات علمية دقيقة : الهندسة المعمارية والاقتصاد.. مما فيهم البنت الحاصلة على دكتوراه في الكيمياء من جامعة تولوز الفرنسية.

رئاسة الحكومة بين أبناء المدينة وأبناء الريف

الهجرة ومغادرة موطن أصل العائلة التي عاشتها الكثير من العائلات الجزائرية لأسباب اقتصادية واجتماعية، كالبحت عن ظروف حياة أفضل أو بسبب مهنة الأب الموظف أو التاجر التي تتطلب التنقل والترحال، أو لأسباب سياسية كفشل بعض الثورات الريفية كانتفاضة 1871، يمكن أن تكون عامل تفسير كبير عندما يتعلق الأمر بمكان المولد وكيف يمكن أن يختلف عن مكان جهة أصل العائلة وبالتالي تحديد منحدرات الوسط العائلي من الناحية الجغرافية والجهوية.

فرغم تصنيف قاصدي مرباح بكونه من أبناء القرى (مولود في قرية بني بني في أعالي جبال جرجرة) فإنه في الواقع قد هاجر صغيرا نحو المغرب للالتحاق بأفراد العائلة المقيمين هناك. نفس الشيء يمكن قوله حول سيد أحمد غزالي الذي ولد في تغنيف بولاية معسكر،

في حين أن العائلة في الأصل من ندرومة بالقرب من تلمسان. ولادة غزالي في تخفيف بولاية معسكر أو مرباح في بني يني كانت لأسباب عائلية بحتة، فمن عادة الكثير من العائلات الجزائرية أن تلد الأم مولودها عند أهلها هي وليس عائلة الأب⁵².

عبد السلام بلعيد الذي كانت ولادته في عين الكبيرة بولاية سطيف، رغم الأصول الريفية القبائلية للعائلة المهاجرة، يشبه في ذلك إسماعيل حمداني الذي هاجرت عائلته من قرية «أورير أو علمي»، بمنطقة بني يعلى بالقرب من قنزات، نحو مدينة برج بوعريرج الصغيرة التي ولد فيها كغيره من أبناء العائلة، بالقرب من سكن الجد من الأم الباشاغا. مدينة البرج التي غادرها للدراسة في قسنطينة والعاصمة وعمره لم يتجاوز 13-14 سنة ضمن النظام الداخلي الذي وفرته له الثانوية التابعة للنظام المدرسي الذي كان من نصيب علي بن فليس وغيره من أعضاء النخبة الوزارية بتكوينها المزدوج. التي التحق بها بعيدا عن الوسط العائلي وضغوطه الاجتماعية والثقافية، مما قد يفسر ما ظهر لاحقا على شخصية الرجل وهو يتحرر من أي ممارسة دينية كما لاحظتها الدراسة المنوغرافية التي أنجزتها إحدى بنات الأسرة، عكس ما كان سائدا عند الأخ الأصغر والإخوات الذين كان تأثير الوسط عليهم أكثر بروزا جعلهم أكثر تقيدا بتعاليم الدين عند هذه الأسرة التي احتل فيها احترام الدين الإسلامي بكل شعائره وطقوسه كالصلاة مكانة مركزية، كان الأب معلم القرآن والجد يتابعانها بكل صرامة بالنسبة لذكور وإناث العائلة على السواء. تحرر من قيود الوسط العائلي الذي يمكن رؤيته يتجسد في خيارات الرجل وهو يتزوج من خارج العائلة والمنطقة. وهو يعيد النظر في إجماع أبناء العائلة إزاء مسألة اللغة الأمازيغية التي كان يردد داخل الوسط العائلي، كما كان يفعل عادة أبناء العائلة وهم يعبرون عن قناعاته العميقة بعيدا عن الضغوط المجتمعية، أنها ستتجه نحو الانقراض نتيجة لمنطق التاريخ... مواقف مستقلة إزاء ثقافة وقيم العائلة لم تمنع الشاب إسماعيل حمداني من تحمل مسؤولياته العائلية للتكفل بعائلته الكبيرة (9 إخوة وأخوات) وهو في مرحلة الدراسة، قبل محطة النجاحات المهنية التي حققها والتي أوصلته إلى موقع رئاسة الوزراء.

وهو نفس حال علي بن فليس الذي ولد بالقرب من باتنة (أولاد شليح).. مسار يشبه عبد العزيز جراد ابن خنشلة التي هاجرت إليها العائلة من خنقة سيدي ناجي، قبل التنقل إلى مدينة باتنة للاستقرار فيها.

بن بيتور المولود في قرية متليلي بولاية غرداية الصحراوية، أو حتى أحمد أويحيى - رغم صغر سنه - والمولود بقرية بوعدنان بولاية تيزي وزو الجبلية، قبل التحاق العائلة

52. انظر كيف يصف سيد أحمد غزالي هذه الفترة من حياته وكيف انتقل للعيش في سهل غريس بدل ندرومة قبل الالتحاق بوهان للدراسة، ص 37.

بحي المدنية الشعبي بالعاصمة والطفل أحمد لم يتجاوز السنوات الأولى من عمره. نفس المسار يمكن ملاحظته على عبد العزيز بلخادم ابن الوسط الريفي الفقير الذي ولد في قرية «بني مرة» شبه البدوية بالقرب من أفلو بولاية الأغواط، القرية التي غادرها مبكرا للدراسة في تيارت وتلمسان لاحقا؛ فقد كانت الدراسة بدءا من المرحلة التكميلية والثانوية بالنسبة لأبناء هذه الأوساط الريفية تعني التنقل حتما إلى المدن المتوسطة والكبيرة القريبة مثل تلمسان التي أكمل فيها بلخادم تعليمه بمدرستها المشهورة.

باختصار إذن فنحن أمام أبناء عائلات ريفية الأصل، كما هو حال قاصدي مرباح أو أويحيى، وفي أحسن الحالات أبناء مدن صغرى بالأصل أو التبني كما هو حال حمداني مع البرج وبن فليس مع باتنة أو حتى سيفي مع تبسة التي هاجر إليها صغيرا بعد ولادته في قرية تازبنت بولاية تبسة. لتبقى قسنطينة⁵³ المدينة الوحيدة التي أنجبت رئيسي حكومتين في شخص مولود حمروش وعبد المالك سلال لاحقا، رغم أن عائلة حمروش ليست من قسنطينة في أصولها البعيدة، فقد هاجرت إليها من منطقة جيجل الجبلية، حسب الرواية الشائعة عن أصل العائلة...⁵⁴ وهو نفس حال عبد المالك سلال الذي ورغم ولادته بها إلا أن أصوله تعود إلى منطقة القبائل الصغرى كالكثير من العائلات القسنطينية التي دخلت المدينة، نتيجة الهجرات المتتالية التي دخلتها من محيطها المباشر جراء الأحداث السياسية والعسكرية التي كان على رأسها فشل انتفاضة الشيخ المقراني في 1871.

ناهيك عن أن الحالة الجزائرية لم تنتج رئيس حكومة من الجزائر العاصمة إلا في المدة الأخيرة مع حالة رؤساء الوزراء الجدد كما هو حال بدوي نور الدين المولود بعين طاية بالقرب من العاصمة في 1959 بعد هجرة العائلة من ورقلة بالجنوب، أو زميله أيمن عبد الرحمن المولود بالعاصمة في 1966. الذي يعبر مولدهم بالعاصمة عن سيطرة اتجاه الهجرة إلى المدن التي عاشها المجتمع الجزائري بعد الاستقلال.

مدن كبرى أخرى كتلمسان المدينة أو عنابة أو وهران بفئاتها الحضرية كانت غائبة هي الأخرى في إنتاج رئيس الحكومة الجزائري، وهو ما يؤكد إحدى خصائص التشكيلة الاجتماعية الجزائرية والدور الكبير الذي لعبه الريف وبعض قواه الاجتماعية عندما يتعلق الأمر بإنتاج النخبة السياسية بكل التبعات التي يمكن أن ننصورها.

إذا ابتعدنا عن التفاصيل والجزئيات، محاولين الوصول إلى استنتاجات عامة تساعدنا على الفهم، يمكن القول أن أبناء المدن والقوى الاجتماعية الحضرية لا يمثلهم إلا رئيسان،

53. نفس الحال تكرر مع الوزير الأول عبد المالك سلال الذي خلف أحمد أويحيى في سبتمبر 2012، فهو كذلك من مواليد مدينة قسنطينة (1948) رغم أصوله القبائلية (القبائل الصغرى).

54. عائلة حمروش تتداول كذلك أن أصل العائلة البعيد قد يكون من جهة برج بوغريج.

هما رضا مالك الذي تعود أصول عائلته إلى بجاية، رغم ولادته في باتنة التي سافر إليها الأب للعمل فيها كقاضٍ، وسيد أحمد غزالي الذي تعود أصوله إلى ندرومة⁵⁵ التي تعد من المدن العريقة والقديمة رغم حجمها الصغير الذي يقربها من المدن الصغرى، بل من القرى، باستثناء هاتين الحالتين اللتين يمكن التأكد من أصولهما الحضريّة من خلال مهن الأب القاضي بالنسبة لرضا مالك والمُدّرس بالنسبة لغزالي، فإن كل رؤساء الحكومات الآخرين من أصول قروية أو مدن صغرى وحتى وإن ولدوا أو كبروا في مدن كبرى أو متوسطة كقسنطينة أو تبسة أو باتنة أو برج بوعريّيج... فهي مدن بالتبني وليس بالأصل. وضع بدأت مؤشرات تغييره تلوح في الأفق بعد أن بدأت التحولات التي عاشها المجتمع الجزائري في العقود الأخيرة التي كان على رأسها الهجرة الواسعة للمدن الكبرى، كما يظهر عند رؤساء الوزراء الذين وصلوا إلى هذا الموقع في السنوات الأخيرة.

الملاحظة الثانية المتممة للأولى والتي قد تخفف من وطئها نوعا ما تتعلق بالعلاقة التي أقامها بسرعة رؤساء الحكومات مع المدن حتى وهم صغار في السن، فقد كانت هذه القرى والمدن الصغرى التي ولدوا فيها في الغالب لا تتوفر على كل مراحل التعليم، مما فرض على هؤلاء الطلبة مغادرتها بسرعة نحو المدن الكبرى، ليس من أجل القيام بدراسات جامعية عليا، بل حتى دراسات متوسطة وثانوية. فالعادة كانت أن أغلبية الطلبة من أبناء هذه الأوساط الميسورة خاصة، يغادرون مدنها الصغرى وقراهم للتوجه نحو المدن الكبرى الوحيدة التي كانت تتوفر في ذلك الوقت على ثانويات، بل كان منهم من أنهى دراساته الثانوية في ثانويات بفرنسا خلال هذه الفترة.

فقد درس مقداد سيفي، ابن العامل الموسمي في عنابة، ثم العاصمة وهو صغير. نفس الشيء قام به سيد أحمد غزالي في وهران وفرنسا وعبد السلام بلعيد، وإسماعيل حمداي بقسنطينة والعاصمة لاحقا. نفس الشيء بالنسبة لأحمد أويحيى في علاقته بالعاصمة التي هاجرت إليها العائلة من منطقة القبائل الكبرى. علي بن فليس وعبد العزيز بلخادم يمكن الحديث عنهما بنفس الصيغة، فقد قام الأول بدراسته الثانوية بمدينة قسنطينة والثاني في تلمسان في نفس النظام المدرسي franco-musulman.

أبناء القرى والمدن الصغرى الذين حكموا من المدينة-العاصمة، استمرت في الغالب علاقاتهم المتوترة مع هذا الوسط الحضري بكل خصوصياته الجزائرية المعروفة، كالهجرة الواسعة التي تعرض لها بعد الاستقلال والطابع الكولونيالي خلال الفترة الاستعمارية؛ فقد وظفوا وجودهم فيها دون أن يستأنسوا لها تماما.. إذ سكنوا الأحياء الراقية في العاصمة

55. يمكن العودة لمؤلف جيلبار غرنقيوم حول مدينة ندرومة.

Gilbert Grandguillaume, *Nedroma, l'évolution d'une médina*, Éditions ej brill-leiden, 1976.

عندما دخلوها كمسؤولين كبار⁵⁶ في مختلف الميادين حتى قبل الوصول إلى منصب الوزارة ورئاسة الحكومة. لكنهم استمروا بعيدين وجدانيا واجتماعيا عنها، كما هو الحال في علاقاتهم السياسية بها، رغم أهمية مدينة العاصمة كمركز قرار سياسي.

فلا يزال السياسي الجزائري، بما فيهم رؤساء الحكومات، يفضل الترشح في قريته أو مدينته بالتبني في أحسن الحالات، عندما يتعلق الأمر باستحقاقات انتخابية، فبعد السلام بلعيد على سبيل المثال تشرح للانتخابات التشريعية في عين الكبيرة بولاية سطيف، دون أن يتمكن من الفوز في سنة في مواجهة مرشحي الجبهة الإسلامية للإنقاذ 1991. نفس الشيء قام به سيفي في 1997 بنجاح، لكن بصعوبة كبيرة في تبسة حتى وهو على رأس قيادة الحزب الجديد (التجمع الوطني الديمقراطي r.n.d) بعد تجربة رئاسة الحكومة.

نفس الترشح الذي قام به علي بن فليس بباتنة في 1991، دون التمكن من الفوز بالمقعد النيابي الذي لم يحصل عليه إلا في 1997⁵⁷، عكس عبد العزيز بلخادم الذي فاز بمقعده النيابي في أول انتخابات تشريعية تعددية في مواجهة الجبهة الإسلامية للإنقاذ. عبد العزيز بلخادم الذي كانت له تجربة برلمانية خلال فترة الأحادية أوصلته إلى رئاسة المجلس الوطني الشعبي لمدة قصيرة، بعد استقالة رئيسه رابح بيطاط (1990-91) مروراً بمنصب نيابة رئاسة المجلس (1988-90) ورئاسة لجانه البرلمانية (المالية والتعليم) خلال أكثر من عهدة برلمانية بدءاً من سنة 1997. بلخادم الذي ترشح ونجح أكثر من مرة في الانتخابات التشريعية خلال فترة الأحادية والتعددية بولاية تيارت (مدينة سوقر) التي هاجرت إليها العائلة طلباً لتحسين وضعها الاقتصادي وتعليم أبنائها.

الانتخابات التشريعية التي نجح فيها أويحيى ابن العاصمة بالتبني على رأس قوائم التجمع الوطني الديمقراطي RND الذي عين على رأس قيادته بعد العودة إلى المسار الانتخابي 1997، علماً بأن أحمد أويحيى الذي يعد الوحيد من بين رؤساء الحكومات الذي يبدو عليه تأثير مدينة الجزائر العاصمة، على لهجته عند الحديث وحتى بعض خصائص شخصيته الأخرى، تأثر تكون وراءه عدة أسباب، منها ما هو متعلق بدخول العائلة المبكر

56. الأغلبية الساحقة من رؤساء الحكومات تسكن فيلات في حي حيدرة بأعالي العاصمة باستثناءات قليلة جداً، كعبد السلام بلعيد الذي يسكن شقة بنفس الحي غير مملوكة له وعلي بن فليس الذي يسكن شقة هو الآخر في نفس الحي تم بناؤها حديثاً في إطار مشروع بناء جماعي، في حين يسكن بن بيتور في حي دالي إبراهيم في فيلة بناها في إطار تعاونية تابعة لقطاع الصناعة كما هو حال مقداد سيفي وعبد العزيز بلخادم بحي المرادية بالقرب من رئاسة الجمهورية في حي متكون من فيلات تابعة لرئاسة الجمهورية، علماً بأن البعض منهم قد مر بسكن في أحياء شبه شعبية قبل وصولهم لمركز رئاسة الحكومة كما هو حال أحمد أويحيى الذي سكن لعدة سنوات حتى بعد زواجه في حي العناصر، هو الذي تربى وعاش لسنوات مع العائلة في حي المدنية الشعبي. نفس الشيء الذي يمكن تعميمه على عبد العزيز جراد الذي سكن في حي بن عمار ببلدية القبة عندما كان يدرس بالجامعة قبل الانتقال إلى حي الشراقة بعد بنائه لسكن عائلي.

57. لمزيد من التفاصيل حول الانتخابات السياسية في الجزائر يمكن العودة إلى مؤلفنا: الانتخابات، الدولة والمجتمع، دار القصة للنشر، 1999.

للعاصمة، في مرحلة طفولة الابن أحمد، ومنها ما هو مرتبط بالكثافة الكبيرة التي تميز أبناء منطقة القبائل في العاصمة في حي المدنية الذي سكنته العائلة، مما يكون قد سهل عملية الاندماج بالنسبة للعائلة والطفل الذي حافظ جزئياً على علاقاته بـ «حومته» كوسط اجتماعي وثقافي حتى عندما غادرها نحو مسؤولياته الرسمية في بداية مشواره المهني على الأقل.

مولود حمروش، رغم أنه لم يترشح للانتخابات التشريعية في العاصمة التي يعيش فيها كبقية رؤساء الحكومات منذ الاستقلال، إلا أن الجديد الذي جاء به في هذا المضمار هو الترشح بعيداً عن المنطق الجغرافي، مفضلاً عنه منطقاً أكثر سياسية بالترشح في دائرة الشلالة، ولاية تيارت بالهضاب العليا الغربية، قبل الإعلان عن تأجيل الانتخابات في صيف 1991 وإقالة الحكومة التي كان يرأسها.

وضع نجده مختلفاً عند رؤساء الوزارة الجدد الذين كانوا بعيدين عن الترشح في الانتخابات كما هو حال بدوي نور الدين ابن العاصمة وأيمن عبد الرحمن اللذين لم يُعرف لهما انتماء حزبي ولا ترشح لأي نوع من الانتخابات، وفَضلاً المسار البيروقراطي الذي ميزهما كالكثير من خريجي المدرسة الوطنية للإدارة بعد التحاقهما بمواقع بيروقراطية كوالي بالنسبة للأول وكموظف في المالية بالنسبة للثاني.

عكس ما حصل مع عبد العزيز جراد الذي التحق بحزب جبهة التحرير كعضو لجنة مركزية كالكثير من أبناء منطقته ذات الحضور الكثيف على رأس جبهة التحرير وباقي مؤسسات النظام السياسي، دون الترشح للانتخابات التي فضل عليها مهنة التدريس الجامعي في باتنة، قبل الانتقال إلى العاصمة للالتحاق بمديرية المدرسة الوطنية للإدارة الرئاسة ووزارة الخارجية كأمين عام لاحقاً. في وقت كانت فيه هذه المؤسسات تعرف حالة اضطراب. جراد الذي يعد ثاني رئيس وزراء لم يصل إلى موقع الوزارة قبل منصبه هذا على رأس السلطة التنفيذية، تماماً كما كان الحال مع مولود حمروش. جراد الذي كانت له ميول سياسية وهو طالب في باريس قربته من حزب الثورة الاشتراكية لمدة قصيرة (سنة 1978) دون أن ينخرط في هذا التنظيم الذي كان يعيش حالة اضطراب أدت لاحقاً إلى حله من قبل قيادته التاريخية... حضرت مع بعض الطلبة من أبناء الجهة اجتماعاً عاماً مع بوضياف في تلك الفترة بالعاصمة الفرنسية...

محمد بوضياف الذي استقبله بالرئاسة هذه المرة، قبل أسبوع من اغتياله، مع مجموعة من الأصدقاء كان من بينهم بوبكر بن بوزيد، ليعين دكتور العلوم السياسية عزيز جراد مستشاراً دبلوماسياً لرئيس مجلس الدولة علي كافي الذي كان قد تعرف عليه عندما كان أميناً عاماً لمنظمة المجاهدين، ليلتحق بعد ثلاثة أشهر من هذه التجربة القصيرة برئاسة الجمهورية لمدة سنتين كاملتين (1992-94) كأمين عام هذه المرة للرئاسة...

« لم أبق مع ليامين زروال رئيس الدولة الجديد إلا ستة أشهر... رغم معرفتي بالرجل وقربي جهويا منه... ليتبين لي أن وجودي في هذا الموقع برئاسة الجمهورية لم يعجب بعض القوى السياسية. وضع دفع زروال أن يقترح علي منصب وزير التربية في حكومة سيفي لكنني رفضت، وهو ما لم يعجب زروال الذي بقيت علاقتي معه رغم ذلك طيبة لحد الآن، أزوره كلما أكون في باتنة منذ ابتعاده عن السلطة ».

الأصول الجهوية، قبائل... بمسار خاص

الملاحظة الهامة قبل التطرق لموضوع الأصول الجهوية لرؤساء الحكومات بالتفصيل هي الحصة الكبيرة نسبيا لأبناء منطقة القبائل على رأس الحكومات (ستة من المجموع الكلي 16)، فقاصدي مرباح وعبد السلام بلعيد ورضا مالك وإسماعيل حمداني وأحمد أويحيى وأخيرا عبد المالك سلال، من منطقة القبائل بمختلف جهاتها : عبد السلام وأويحيى ومرباح من ولاية تيزي وزو أي القبائل الكبرى، في حين أن حمداني ورضا مالك وسلال من القبائل الصغرى (بني يعلا وبجاية على التوالي)، وهو ما قد يعني لأول وهلة أننا أمام تغير نوعي، بل قطيعة داخل آليات تسيير النظام السياسي الجزائري، بعد الإعلان عن التعددية في 1989. النظام الذي كان يعتمد منذ الاستقلال على احترام توليفة جهوية صارمة في الكثير من الأحيان، من سماتها التاريخية سيطرة أبناء الشرق كجهوية فاعلة ومسيطرة على حساب الجهويات الفاعلة والمعارضة الأخرى (الغرب والقبائل وحتى الوسط)، علما بأن هذه الخارطة السياسية الجهوية قد عرفت، تغييرات مهمة منذ انتخاب الرئيس بوتفليقة (1999)، ابن ندرومة، لصالح أبناء المنطقة الغربية وولاية تلمسان على وجه التحديد، على حساب الجهويات الأخرى.

التتبع الدقيق لمسارات هذه المجموعة من رؤساء الحكومات يؤكد أننا أمام قبائل من نوع خاص⁵⁸، كلهم غادروا منطقة القبائل صغارا جدا، نحو الخارج (المغرب في حالة مرباح أو العاصمة أويحيى) أو لم يولدوا فيها أصلا كعبد السلام حمداني ورضا مالك وسلال، لأسباب تتعلق إما بنشاطات الأب المهنية والاقتصادية، أو بسبب الأحداث السياسية التي عرفتها المنطقة كالانتفاضات الشعبية، فمنطقة القبائل تؤكد من خلال هذه العينة من النخبة السياسية، أنها كانت دائما منطقة طرد وهجرة منها نحو مناطق كثيرة داخل وخارج الجزائر كانت أكثر جذبا، ليس بسبب فقرها كمناطق جبلية فقط، بل بسبب كثافتها السكانية الكبيرة كذلك وحراكها السياسي. هؤلاء المهاجرون الذين كان الابتعاد عن المنطقة بالنسبة للكثير منهم مقرونا بترقية اجتماعية-اقتصادية أكيدة، كما هو واضح من العينة المدروسة.

58. يمكن إضافة علي بن فليس ومقداد سيفي ونذير العرابوي وعزيز جراد إلى المجموعة ليكون أغلبية رؤساء الحكومات من أصول أمازيغية.

من هذه الزاوية يمكن الاستنتاج أن النظام السياسي الجزائري بتعيينه لأبناء منطقة القبائل في هذا المنصب الهام، في مرحلة ما بعد التعددية، لم يرقم فعلا بالقطيعة المطلوبة في التوزيع الجهوي للسلطة، فقد جدد داخل النخبة فقط بإدخاله أبناء هذه المنطقة بمواصفاتهم المعروفة؛ فلم يُعرف مثلا عن هذه الشخصيات المعنية تبنيها العلني والصريح لمطالب المنطقة الثقافية أو اللغوية أو حتى نوع من أنواع التمثيلية السياسية للجهة، فلم يترشح فيها بمناسبة الانتخابات التعددية ولا حتى قبلها أي شخصية لأي استحقاقات انتخابية، مهما كانت حتى وهو في السلطة أو قريب منها، أو بعد خروجه منها. فقد كانوا أبناء مؤسسات ومسارات مهنية وسياسية أكثر من أبناء جهة في علاقاتهم بالسلطة المركزية. كما تبينه حالة حمداني إسماعيل... الذي برر بكثير من الاقتناع كل خيارات السلطة خلال مرحلة حكم بومدين على غرار الثورة الزراعية والتسيير الاشتراكي للمؤسسات.

ليختار منذ السبعينيات الدفاع عن خيار التعريب في لقاءاته مع أبناء العائلة. موقف وجد معارضة قوية بين أبناء عائلته القبائلية، خاصة وهو يصرح أمامهم بمناسبة حفل عائلي أن اللغة القبائلية مدعوة للانقراض.. لأن ذلك هو منطق التاريخ والأقرب للعقل ومسار التاريخ والواقعية⁵⁹.

مواقف تفسرها الباحثة ابنة العائلة بنوعية التعليم الذي استفاد منه الشاب خارج الإطار العائلي الذي انطلق فيه داخل النظام الداخلي وهو صغير لا يتجاوز 13 سنة، الذي يكون قد سمح له بالتححر من ضغوط التنشئة العائلية المحافظة والدينية لهذا الوسط العائلي المرابط، حتى عندما يتعلق الأمر ببعض مظاهر التدين التي كان بعيدا عنها، هو الذي كانت له مواقف مؤيدة لتححر للمرأة طبقها داخل الوسط العائلي مع بنات العائلة مؤيدا لدراستهن وخروجهن للتنزه خارج أسوار البيت العائلي ومساعدتهن في الحصول على قراءات أدبية.

علما بأن منطقة القبائل قد اختارت في الغالب الأعم المعارضة للتعبير عن نفسها، مما لم يسمح لأصحاب هذه المسارات الرسمية بتمثيلها، حتى بعد ابتعادهم عن السلطة وتكوين أحزاب، كما حصل مع قاصدي مرباح⁶⁰ الذي باغته المنية في بداية مشواره السياسي المعارض، أو رضا مالك الذي لم ينجح حزبه - التحالف الوطني الجمهوري - في التوضع داخل المنطقة التي لم يدعي تمثيلها سياسيا، هو الذي تبنى تراث الحركة الوطنية

59. حداب، ص 308.

60. لم يوفق قاصدي مرباح في لقاءاته التي نظمها بمواطني ولاية تيزي وزو، بعد ابتعاده عن رئاسة الحكومة، حتى بعد أن عبر في إحدى هذه اللقاءات عن مواقف مؤيدة للمطالب الثقافية واللغوية للجهة دون أن ينجح في استمالة سكان المنطقة لحزبه.

في بُعدها العصري كما أكدته الوجوه التي التحقت به في مشروع الحزب السياسي الذي أسسه بعد الإعلان عن التعددية.

الاستمرارية كذلك قد تؤكدتها نسبة أبناء المنطقة الشرقية بمفهومها الواسع الممثلين بخمس رؤساء حكومات : - حمروش - بن فليس - سيفي - جراد - والعرباوي أخيرا لغاية 2024. الجهة الشرقية التي أبعدت سياسيا، دون أن تختفي نهائيا، خاصة إذا راعينا السيطرة التي فرضها أبناؤها على مراكز القرار الأخرى التي قد تكون أكثر أهمية، مثل الجيش وحتى الرئاسة لوقت طويل، قبل مجيء بوتفليقة، ناهيك عن مصادر وأشكال السلطة الأخرى الاقتصادية والعلمية والإعلامية على سبيل المثال التي توصل لها أبناء المنطقة الشرقية، داخل العاصمة تحديدا وبقيّة المدن الكبرى التي هاجروا إليها بقوة بعد الاستقلال، عكس المنطقة الغربية، التي لم يهاجر أبناؤها خارجها إلا نادرا وكأفراد وليس مجموعات كبيرة.

مما يعني في النهاية أننا مازلنا لم نغادر منطق التوليفة الجهوية للسلطة التي احتل بموجبها أبناء المنطقة الشرقية مراكز القرار العليا لغاية السنوات الأخيرة، قبل إزاحتهم من قبل المنطقة الغربية، في إطار إعادة تشكيل جهوي جديد للسلطة داخل النظام السياسي الجزائري، قابل للتطور مع الوقت. يتم فيها احترام عدم تركز أبناء جهة محددة على المراكز العليا للسلطة كرئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة والبرلمان.

سيطرة أبناء ولاية تلمسان على حساب أبناء الولايات الغربية الأخرى، ورغم أنها لا تظهر جليا بحكم العدد القليل (رئيس حكومة واحد) إلا أنها فرضية قابلة للتحقيق بدرجة كبيرة اعتمادا على نتائج الدراسة الكلية للنخبة الوزارية ؛ فليس غريبا أن يمثل أبناء تلمسان كل الجهة الغربية⁶¹، فقد لاحظنا خلال هذه الدراسة أن هناك سيطرة واضحة يقوم بها أبناء ولاية تلمسان من خلال حواضرها - تلمسان المدينة - ندرومة وحتى مسيردة، على حساب أبناء المدن والولايات الأخرى، بما فيها وهران نفسها، ناهيك عن المدن الأخرى مثل سعيدة أو معسكر أو مستغانم... إلخ⁶².

هذا الحضور السياسي القوي الذي يرتبط بسيطرة أخرى أكثر اجتماعية إذا عرفنا تلك الهيمنة التي يفرضها أبناء الفئات المالكة الحرفية والموظفين الصغار داخل تلمسان وندرومة، نظرا للخصوصيات الأكيدة التي تميز تركيبة المدينة نفسها⁶³.

61. على سبيل المثال الرئيسان منذ الاستقلال أحمد بن بلة وعبد العزيز بوتفليقة من ولاية تلمسان، وقد مثل تلمسان في حكومة أويحيى الثانية (2003) ثمانية وزراء على الأقل من مجموع 37 وزيرا ونائب وزير سيطروا على المواقع الحساسة مثل الداخلية، العدالة، الطاقة، الاقتصاد... إلخ.

62. انظر كيف يرفض سيد أحمد غزالي هذه السيطرة المفترضة لأبناء تلمسان على حكومته ويبررها من جانب آخر بالنسبة لتلمسان التي كانت خزانا للإطارات بالنسبة لكل الجزائر والمنطقة الغربية

Sid Ahmed Ghazali, *Question d'État. Entretien avec Mohamed Chafik Mesbah*, Casbah Éditions, Alger, 2009, p. 251-252.

63. انظر كيف يقدم سيد أحمد غزالي في المرجع أعلاه مدينة ندرومة وخصائصها السوسيو-ثقافية، ص 38.

عكس المنطقة الشرقية التي أنتجت نخبة سياسية أقل تجانسا من الناحية الاجتماعية وحتى الجغرافية عن طريق الحضور القوي نسبيا الذي يمثله أبناء المناطق الريفية والفئات الاجتماعية الفقيرة، عكس ما نلاحظه من تجانس أكبر من الناحيتين الجغرافية والاجتماعية عند الحديث عن النخبة السياسية التي أنتجتها الجهة الغربية من البلاد التي بقيت ضعيفة الحضور على مستوى مركز القرار هذا، لغاية وصول ابن المنطقة، الرئيس بوتفليقة الذي غير كثيرا من موازين القوى على هذا الصعيد، مما يعيد النظر حتى جزئيا على الأقل في الصورة التي قدمناها عن التوازنات الجهوية للسلطة في الجزائر في هذه الدراسة.

التاريخ السياسي للبلد يخبرنا أن الجهة الغربية تكون قد خسرت كثيرا كجهة بعد الإطاحة بالرئيس أحمد بن بلة في جوان 1965. نفس الشيء الذي حصل للنخبة السياسية بنت الجهات الوسطى التي تعرضت للإبعاد بعد أحداث صيف 1962، جراء الهزيمة السياسية - العسكرية التي منيت بها الولاية الرابعة، الممثل السياسي الجمعي للجهة وأبنائها. خسارة ازدادت استفحالا بالنسبة لسكان المنطقة الجنوبية الذين تضاعفت خسارتهم، بعد إعدام قائد الولاية السادسة التاريخية، العقيد محمد شعباني في السنوات الأولى للاستقلال، بعد فشل تمردده العسكري ضد السلطة المركزية 1964.

هذه المحطات السياسية القريبة التي قد تفسر ذلك الضعف الذي بدا عليه أبناء المنطقة الوسطى والجنوبية في تبوء المناصب السياسية العليا؛ فمنصب رئاسة الحكومة لم يصله من أبناء الجنوب حتى الآن إلا أحمد بن بيتور الشعانبي (ولاية غرداية) ولمدة قصيرة، كما هو موضح في الجدول ديسمبر 1999 /أوت 2000. أحمد بن بيتور، ويمكن إضافة عبد العزيز بلخادم ابن قرية بني مرة السهبية بولاية الأغواط الحالية، القرية التي كانت تحسب قبل التقسيم الإداري الحالي على ولاية تيارت بالهضاب العليا الغربية، مما يفسر ترشح بلخادم للانتخابات التشريعية في إحدى دوائرها الانتخابية (دائرة سوقر).. وأخيرا عبد المجيد تبون ابن ولاية المشربية بالجنوب الغربي (من مواليد 1945) الذي تميز بمرور سريع على رئاسة الوزارة لأقل من ثلاثة أشهر في صيف 2017، قبل أن يصل إلى رئاسة الجمهورية بعد سنتين في ظرف صعب على أكثر من صعيد.

بالطبع، اعتبارات أكثر موضوعية قد تفسر هذه المعطيات المرتبط بإنتاج النخبة كمسألة الكثافة السكانية- العمرانية وحتى الحضور الاجتماعي والثقافي لبعض المدن وبعض الفئات الاجتماعية داخلها، دون إهمال للأبعاد السياسية ذات الارتباط بالاتجاهات الكبرى للتاريخ الوطني وليس المحطات « الحديثة » فقط، حتى ولو تعلق الأمر بأحداث كبرى كحرب التحرير أو الأحداث التي تلتها، كالانقلاب العسكري لجوان 1965 أو اضطرابات صيف 1962 بما عرفته من أحداث سياسية.

فالشرق الجزائري على سبيل المثال كان مسرحاً لأهم الأحداث السياسية التي عرفتھا الجزائر منذ بداية القرن الماضي، فقد عرفت هذه المنطقة ذات الكثافة السكانية العالية، مقارنة بالغرب والجنوب بالطبع، مولد الكثير من الحركات والتنظيمات السياسية وبالتالي النخب السياسية، فقد كانت الجهة الشرقية من البلاد موطن نشأة حركة النواب (بن جلول وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحركة أحباب البيان وأحزاب عباس فرحات الأخرى فيما بعد)، قبل الوصول إلى مرحلة الحركة الوطنية وثورة التحرير التي تميزت قيادتها بحضور قوي لأبناء المنطقة الشرقية (مجموعة الـ 22 كمثال) داخلها وعلى رأسها⁶⁴.

رئيس الحكومة.. سياسي أم تكنوقراطي ؟

تؤكد المعلومات الدقيقة حول المسارات المهنية لرؤساء الحكومات أننا أمام عدة مسارات سياسية-مهنية، تلتقي كلها رغم اختلافها بالقرب من رئاسة الجمهورية، كمرکز قرار سياسي، مهما كانت المرحلة السياسية والرجل الذي كان يتربع على رئاسة الجمهورية. من جهة أخرى وعكس ما كان ينتظر، نلاحظ أن وظيفة رئيس الحكومة قد فلتت من السيطرة المباشرة للمؤسسة العسكرية المهيمنة في الجزائر، فلم يصل إلا عسكريان محترقان إلى هذا المنصب في ظرف سياسي صعب تميز بمرحلة انتقالية مضطربة، بعد أن غادرا مواقعهما العسكرية، هما العقيد قاصدي مرباح مدير المخابرات العسكرية سابقا ومولود حمروش الذي ابتعد طواعية عن صفوف الجيش في سنة 1984 برتبة مقدم، وهما الرجلان اللذان دشنا مرحلة الانتقال السياسي ولم تعمّر حكوماتهما طويلا.

تقسيم المهام بين العسكري والمدني داخل النظام السياسي الجزائري، قد يكون وراء هذا الحضور الضعيف للقيادات العسكرية المحترفة، على مستوى هذا المنصب الذي منح للنخبة التكنوقراطية التي كانت حاضرة بقوة على مستوى رئاسة الحكومة ؛ فمن مجموع 16 رئيس حكومة ووزير أول، وبعد استثناء العسكريين نجد أنفسنا أمام سيطرة واضحة لرجال القطاع الصناعي العمومي المملوك للدولة على الأقل في المرحلة الأولى للدراسة، فالسيد أحمد غزالي كان مديرا عاما لسوناطراك (الشركة الوطنية للبترول) لمدة طويلة (1966-79). نفس الشيء بالنسبة لعبد السلام بلعيد الذي عُرف بأب التصنيع، فقد كان الرجل على رأس وزارة الصناعة طول الفترة البومدينية تقريبا (1965-77) بعد المرور على مديرية سوناطراك نفسها في بداية تكوينها في سنوات ما بعد الاستقلال مباشرة، خلال حكم الرئيس أحمد بن بلة.

64. المجموعة المفجرة لثورة التحرير التي يمكن أن نلاحظ عليها سيطرة واضحة داخلها لأبناء الشرق الجزائري وحتى منطقة القبائل جزئيا، مقابل غياب كبير لأبناء المنطقة الغربية.

مقداد سيفي كذلك نجد أن تجربته المهنية في أغلبيتها قد حصلت بالشركة الوطنية للكهرباء والغاز (سونلغاز).. وأخيرا أحمد بن بيتور الذي كانت علاقاته بالتصنيع متراوحة بين النظرية من خلال تدريسه الاقتصاد في معاهد التكوين العليا التابعة للقطاع الصناعي بومرداس قرب العاصمة، والتطبيق بفعل تجربته في تسيير الكثير من المؤسسات الصناعية الخفيفة والتحويلية. تشابه في المسارات ومحطات لقاء بل وحتى علاقات شخصية قوية أعطت الانطباع بأن هناك نوعا من الاستمرارية بين أبناء نفس التجربة والمسار المهني حتى في عز مرحلة الاضطراب التي عاشها النظام السياسي الجزائري في بداية التسعينيات من القرن الماضي.

قطاع الدبلوماسية هو الآخر كان حاضرا على مستوى رئاسة الحكومة، فقد كان ممثلا برضا مالك الديبلوماسية المحترف الذي مثل الجزائر منذ السنوات الأولى للاستقلال كسفير في أكبر العواصم الدولية (باريس - بلغراد - لندن - موسكو - واشنطن) أين تمكن من لعب دور كبير في قضية إطلاق سراح رهائن السفارة الأمريكية بتهران العاصمة الإيرانية وربط الكثير من العلاقات الشخصية في بداية الثمانينات من القرن الماضي. تجربة أهله لاحتلال موقع وزارة الخارجية في بداية التسعينيات، عندما كانت الجزائر تعيش محنة الإرهاب والمقاطعة الدولية.

إسماعيل حمداني هو الآخر كانت له تجربة دبلوماسية هامة كسفير في أكثر من عاصمة أوروبية، فقد مثل الجزائر في باريس والسوق الأوروبية المشتركة ببروكسيل والدول الاسكندنافية ومديد، كما قام بنفس المهمة لدى المنظمة العالمية للثقافة والعلوم (اليونيسكو)، بالإضافة إلى تجربته كأمين عام للحكومة برتبة وزير لمدة طويلة خلال فترة حكم الرئيس بومدين. حمداني الذي استمر في العمل مع كل رؤساء الجزائر دون انقطاع لغاية وصوله لرئاسة الحكومة في آخر فترة حكم الرئيس ليامين زروال وبداية حكم الرئيس بوتفليقة الذي كان قد اشتغل معه في وزارة الخارجية خلال السبعينيات من القرن الماضي. إسماعيل حمداني الذي قبل بهذه المناصب الإدارية والدبلوماسية، داخل أكثر من مؤسسة سيادية، دون أن يحاول تجاوزها، نحو مواقع سياسية أو برلمانية، فلم يترشح طول حياته المهنية لأي موقع سياسي، كما لم يُعرف عنه أي نشاط حزبي، قبل أو بعد ابتعاده عن المواقع الرسمية، ليكتفي في الأخير بموقع جمعوي على رأس الجمعية الجزائرية للعلاقات الدولية التي أسسها بعد تقاعده الرسمي، لم تعرف استمرارية بعد وفاته في فيفري 2017. اكتفى بها دون أدنى تدخل في النقاشات السياسية والفكرية التي عرفتها الجزائر في عدة مراحل من تاريخها السياسي.

أحمد أويحيى هو كذلك كانت تجربته المهنية الرئيسية حتى الآن في العمل الدبلوماسي؛ فقد مثل الرجل الجزائر في الأمم المتحدة بنيويورك وبعض العواصم

الإفريقية جنوب الصحراء المالي والنيجر.. مما أهله لقيادة الوفود الجزائرية والإفريقية التي توسطت في أكثر من نزاع إفريقي (قضية الأزواد 1992، والصراع الإثيوبي الإريتري بمقر منظمة الوحدة الإفريقية 2000).

الدبلوماسي الجزائري⁶⁵ الذي عُيِّن على رأس الحكومة كرضا مالك وإسماعيل حمداني وأحمد أويحيى، بالإضافة إلى تجربته المهنية الأكيدة في هذا القطاع الاستراتيجي والأدوار الخاصة التي قام بها، أهله هذا الموقع أثناء تأديته لمهامه للعمل داخل الرئاسة أو بالقرب منها في مختلف المراحل، خاصة عندما تعلق الأمر بملفات حساسة وعواصم محورية، كما هو حال هذه العينة من الدبلوماسيين.

فرضا مالك كان من المثقفين-السياسيين، المقربين من الرئيس بومدين الذي كلفه بعدة مهام من بينها وزارة قطاع الإعلام والثقافة في سنة 1977 والمساهمة مع بعض الشخصيات السياسية-الثقافية في تحرير الميثاق الوطني 1976⁶⁶، وحتى ميثاق طرابلس الذي كان رضا مالك من المشاركين الرئيسيين في تحريره، مما يمنح الرجل دورا مهما كأحد إيديولوجيي الدولة الوطنية والحركة الوطنية قبل الاستقلال. اقتراب - قد يكون أكبر - قام به رضا مالك من الرئاسة وهي تعيش وضعية اختلال، بعد تعيينه عضوا بالمجلس الأعلى للدولة (القيادة الجماعية) الذي عينه رئيسها الأول، محمد بوضياف، رئيسا للمجلس الاستشاري كأحد أهم مؤسسات المرحلة الانتقالية، قبل الانتقال إلى عضوية الرئاسة المشتركة في مرحلة لاحقة، بعد اغتيال رئيس المجلس نفسه في جوان وتعويضه بالعقيد علي كافي 1992.

نفس القرب من الرئيس والرئاسة نلاحظه لدى إسماعيل حمداني الذي اشتغل كما رأينا سابقا أمينا عاما للحكومة ومستشارا مكلفا بالعديد من المهام السياسية والدبلوماسية أثناء رئاسة الرئيس هواري بومدين للحكومة، لدرجة أنه كان حاضرا في منصب سياسي مهم قبل استقلال الجزائر ذاتها في الهيئة التنفيذية المؤقتة التي نظمت استفتاء الاستقلال كممثل للحكومة، ليستمر حاضرا في رئاسة الجمهورية في الأيام الأولى للاستقلال مع الرئيس بن بلة وصولا إلى بوتفليقة مروراً بكل الرؤساء الذين عرفتهم الجزائر لمدة قاربت نصف قرن من التواجد السياسي.

65. هي نفس المحطات المهنية لعبد المالك سلال الوزير الأول المعين في 2012 فالرجل لم يعرف عنه نشاط حزبيا وقد تخرج من المدرسة الوطنية للإدارة للاتحاق بالعمل الإداري في أكثر من وزارة قبل أن يعين واليا ثم سفيرا بالمجر ليلتحق بالحكومة بداية من 1999 كوزير للداخلية والموارد المالية والأشغال العمومية... قبل التعيين في الوزارة الأولى في سبتمبر 2012. سلال كذلك اقترب من الرئاسة كمسؤول مرتين على حملة الرئيس الانتخابية في رئاسيات 2004/2009.

66. انظر شهادة عبد السلام بلعيد عن هذه التجربة في الكتاب : المقابلة مع علي الكنز ومحفوظ بنون. Mahfoud Benoune, Ali Elkenz, *Le hasard et l'histoire. Entretiens avec Belaïd Abdesslem*, 2 Tmes, Alger, Enag Éditions, 1990, pp. 229-282.

مواقع أهله له تكوينه القانوني مزدوج اللغة النادر بين أعضاء النخبة السياسية الجزائرية، وبعض خصائص شخصيته التي جعلته يتعامل مع كل الوضعيات والرؤساء لدرجة التفكير فيه في رئاسة الحكومة أثناء المرحلة الانتقالية التي أعقبت استقالة الرئيس ليامين زروال والإشراف على الانتخابات الرئاسية التي جاءت بوتفليقة إلى الرئاسة في 1999.

أحمد أويحيى، وزيادة على مناصبه على المستوى الدبلوماسي في المقر المركزي بالخارجية أو الخارج، عُيِّن هو الآخر كوزير منتدب مكلف بالتعاون في حكومة رضا مالك (1992) قبل العمل مباشرة بالقرب من الرئيس ليامين زروال كمدير مكتبه، وهي المرحلة التي برز خلالها أثناء المفاوضات مع الجبهة الإسلامية للإنقاذ وغيرها من الأحزاب خلال سنوات استفحال الأزمة السياسية والأمنية في الجزائر. أويحيى الذي كانت له علاقات بالمؤسسة الرئاسية حتى قبل عمله المدني، فقد كان من حظ الشاب أحمد أويحيى، خريج المدرسة الوطنية للإدارة، قضاء جزء هام من فترة خدمته الوطنية داخل هذه المؤسسة السياسية الهامة بدءا من النصف الثاني من السبعينيات.

نفس الشيء يمكن ملاحظته على السيرة المهنية-السياسية لأحمد بن بيتور الذي مر على الرئاسة أكثر من مرة، كمكلف بمهمة منذ بداية التسعينيات (1991-92) لتكون آخر تجربة مع الرئيس زروال، قبل أن يعينه في مجلس الأمة ضمن الحصة الرئاسية ليتزأس اللجنة الاقتصادية والمالية في الغرفة الثانية والمجلس ينطلق في أول تجربة له (1998-99). ليكون هذا المنصب آخر موقع رسمي له قبل التعيين كرئيس حكومة من قبل الرئيس عبد العزيز بوتفليقة.

نجد هذا القرب من مركز القرار بالرئاسة كذلك وربما بقوة أكثر لدى العسكريين المحترفين الذين تقلدوا منصب رئاسة الحكومة ؛ فقاصدي مرباح كان قائدا لجهاز المخابرات، قوي الحضور منذ الاستقلال ولغاية وفاة الرئيس بومدين (1962-79)، مما أهله لقيادة كل الأجهزة الأمنية أثناء مرض الرئيس بومدين، ليكون على رأس قائمة الشخصيات الفاعلة التي ضمنت عملية الانتقال وتعيين الرئيس الشاذلي بن جديد على رأس الدولة. الرئيس الجديد الذي عينه في عدة مناصب وزارية كالزراعة والصناعة والصحة قبل رئاسة الحكومة. نفس الشيء بالنسبة لمولود حمروش الذي تقلد عدة مهام، على مستوى الحكومة كأمين عام (1984-86) ورئاسة الجمهورية كمدير للتشريفات، قبل التعيين كأمين عام (1986-89)، ليكون رئيس الحكومة الوحيد الذي عين في هذا المنصب دون المرور بمنصب الوزارة.

تتأكد مرة أخرى قاعدة القرب من الرئاسة ودورها في تفسير الوصول إلى رئاسة الحكومة، مع علي بن فليس، الذي قاد الحملة الانتخابية للرئيس بوتفليقة سنة 1999، ليعين بعد

ذلك كمدير لمكتبه، قبل الوصول إلى قصر الحكومة في آوت 2000. علي بن فليس الذي كانت العدالة بمختلف أوجهها هي قطاع التجربة المهنية الوحيدة له، فقد جرب منصب نيابة المديرية بالإدارة المركزية للوزارة ووكيل جمهورية والمحاماة قبل التعيين مرتين في منصب وزير العدل الذي استقال منه في المرة الثانية بعد أقل من أسبوعين من التعيين في حكومة سيد أحمد غزالي 1991 احتجاجا منه على سياسة رئيس الحكومة الأمنية. عبد العزيز بلخادم الأمين العام لجبهة التحرير كان هو الآخر قد مر على رئاسة الجمهورية كموظف صغير (نائب مدير بمديرية العلاقات الدولية بالرئاسة) خلال فترة حكم الرئيس بومدين (1972-77). بلخادم الذي كانت له تجربة سياسية متنوعة بالمقارنة مع بقية رؤساء الحكومات، فقد كان نائبا بالمجلس الوطني الشعبي، منذ انطلاق التجربة في عهد الرئيس هواري بومدين 1977، كما ترأس عدة لجان بالمجلس الوطني الشعبي قبل رئاسة المجلس نفسه⁶⁷ بعد استقالة رئيسه الأول رابح بيطاط (1990) وإلى غاية حله التي « صادفت » استقالة/إقالة رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد ودخول الجزائر مرحلة الاضطراب السياسي. بلخادم الذي جرب العمل الدبلوماسي كوزير للخارجية في بداية عهدة الرئيس بوتفليقة (2000) قبل احتلال موقع رئاسة الحكومة (2006-2008) ناهيك عن التجربة الحزبية التي أوصلته إلى قيادة جبهة التحرير (2005) بعد إبعاد علي بن فليس.

أخيرا حالة عبد المالك سلال الذي اقترب من الرئاسة والرئيس مباشرة عن طريق الموقع الذي احتله على رأس الحملة الانتخابية للمرشح عبد العزيز بوتفليقة في ثلاث محطات مهمة (2004/2009/2014). سلال الذي كان قبل ذلك على رأس وزارة الداخلية عندما جرت الانتخابات الرئاسية التي فاز بها الرئيس بوتفليقة في أول عهدة له (1999). فقد تم اختيار الرجل لاحتلال هذه المواقع التي أوصلته إلى رئاسة الحكومة (2013) اعتمادا على الصورة التي أقنع بها الجميع داخل الساحة السياسية-الإعلامية الوطنية. رجل تكنوقراطي من دون قناعات سياسية حادة، سهل المعاشرة وخفيف الظل، يستطيع الحفاظ على الطابع الإنساني لعلاقته حتى عندما يكون مختلفا سياسيا. صورة تعكس بصدق التنشئة الاجتماعية للوسط الشعبي القسنطيني التي عاش وتربى فيها عبد المالك سلال.⁶⁸ علاقة رئيس الوزراء بالرئاسة نجدها مرة أخرى حاضرة مهنية في حالة عبد العزيز جراد الأستاذ الجامعي الذي مر على موقع الأمانة العامة للرئاسة في عهد رئيس الدولة علي كافي

67. انظر مجموعة المقابلات الصحفية التي أجراها عبد العزيز بلخادم للكلام عن تجربته السياسية بما فيها رئاسة المجلس الوطني الشعبي واستقالة رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد والصادرة في كتاب : عبد العزيز بلخادم، ثوابت ومواقف، دار الأمة، الجزائر، 1996.

68. عبد المالك سلال كان من حظه أنه جاء إلى رئاسة الوزراء بعد أحمد أويحيى مباشرة الذي نجح في تقديم صورة عن نفسه كرجل سياسي « حاد الطباع » بل ومتعجرف، يملك قدرة كبيرة على استدعاء محيطه السياسي.

وهي تعرف اضطرابا كبيرا قبل أن ينتقل إلى الأمانة العامة لوزارة الخارجية في بداية عهده بوفليقة بين 2000 و2003، التي غادرها للمرور بمرحلة ابتعاد عن كل نشاط رسمي جعله يعود للتدريس بالجامعة إلى غاية 2019.

خلال هذه الفترة الطويلة من التدريس والابتعاد عن مناصب السلطة لم يفقد التواصل مع عبد المجيد تبون الذي عينه على رأس الحكومة بعد نجاحه في الانتخابات الرئاسية في نهاية 2019...

« تبون بقيت معه في تواصل تلفونيا خاصة أثناء الحملة الانتخابية الرئاسية، كنت أقدم له ملاحظات بكل صراحة وكان يتقبل مني الكثير من الآراء. لم أقطع معه الصلة منذ أن تعرفت عليه... كنت عضو اللجنة المركزية للحزب معه... أنا كذلك مررت مثله بفترة ابتعاد عن السلطة بعد تجربة وزارة الخارجية والمواقف التي اتخذتها أثناء انتخابات الرئاسية لصالح علي بن فليس، جعلتني أعود إلى التدريس في الجامعة... مستشاره سي عبد الحفيظ علاهم هو الذي اتصل بي ليخبرني أن الرئيس يفكر في كرئيس حكومة لكنه لن يستقبلني إلا إذا قبلت الاقتراح... ردي كان أنني أفضل أن يتصل بي هو حتى أعرف منه مباشرة وأناقش معه... هذا ما كان بعد يومين أو ثلاثة... اتصل بي الرئيس وأنا في سيارتي ليطلب مني الذهاب عنده إلى مكتبه بالرئاسة، وهو الذي حصل.. بعد أن مررت على المنزل لتغيير ملابس... تناقشنا لمدة أربع ساعات في كل الأمور... خرجت من مكتبه بعد التفاهم معه والقبول بالمنصب المقترح علي ».

ليبقي حظ الولاية ضعيفا حتى الآن في هذا المنصب الذي لم يصله إلا ثلاثة ولاية (حتى 2022). عبد المالك سلال وعبد المجيد تبون وأخيرا نور الدين بدوي، تخرجوا ثلاثتهم من المدرسة الوطنية للإدارة في فترات تاريخية متباعدة⁶⁹. عكس موقع الوزارة الذي وصل إليه الكثير من الولاية خاصة عندما يتعلق الأمر بولاية المدن الكبرى. حالة النذير عرباوي تؤكد ظاهرة القرب من رئاسة الجمهورية في الوصول إلى رئاسة الوزراء كما حصل معه كثالث رئيس وزراء يعينه الرئيس تبون، الذي كان قد اشتغل معه كمدير مكتب بالرئاسة قبل أن يعينه مكان أيمن عبد الرحمن في نهاية 2023. دون المرور على موقع الوزارة الذي يشترك فيه مع مولود حمروش وجراد عبد العزيز.

سيطرة المفرنس والحقوقي

انقسامية أكيدة ميزت عملية إنتاج النخبة بمفهومها السياسي والفكري الواسع في الجزائر، يمكن فهمها بسهولة بربطها مع خصوصيات الظاهرة الاستعمارية الطويلة والاستيطانية التي عرفت البلاد⁷⁰. هذه الخصوصية التاريخية التي أفرزت عدة نتائج على

69. تخرج تبون في 1969 في حين تخرج سلال في 1974 وأخيرا بدوي الأصغر الذي تخرج من نفس المدرسة في 1989.

70. ناصر جاي، الجزائر. الدولة والنخب، منشورات الشهاب، الجزائر، 2008.

المستوى الثقافي واللغوي، من بينها تلك الانقسامية التي ميزت عملية إنتاج النخبة على أسس لغوية - قيمة، احتل بموجبها المتعلم بالعربية المؤسسات الدينية والإيديولوجية التي منحت له في إطار تقسيم قطاعي لهياكل الدولة المختلفة. تقسيم مبني على أسس نظرة محددة للغة والمتعاملين بها في الحالة الجزائرية، فقد اعتبرت اللغة العربية لغة دين وتاريخ وإيديولوجيا، عكس الفرنسية التي صنف كلفة علم وعمل، فكان من نصيب المتعلمين بها كل مجالات الحياة الأخرى (الصناعة - الإدارة والتسيير... الخ). هذه القطاعية التي نجد تجسيدها لها على كل مستويات مراكز القرار السياسية-المدينة وحتى العسكرية، ليس بعد الاستقلال فقط، بل حتى قبله.

إن ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء، فمن المنطقي أن نجد تداعيات لهذا التقسيم على مستوى رئاسة الحكومة التي سيطرت عليها أغلبية واضحة من المفكرين (قاصدي مرباح - سيد أحمد غزالي - عبد السلام بلعيد - رضا مالك - مقداد سيفي - أحمد أويحيى - أحمد بن بيتور - عبد المالك سلال - عبد العزيز جراد، نور الدين بدوي وعبد المجيد تبون، ثم أيمن بن عبد الرحمن ونذير العرباوي (2024) المتحكمين بشكل أحسن في اللغة العربية.

في حين لم نسجل إلا ظهورا محتشما لما يمكن تسميتهم بمزدوجي اللغة وليس بالمعربين، حسب التصنيف الجزائري، مثل علي بن فليس ومولود حمروش وإسماعيل حمداني وأيمن عبد الرحمن ونذير العرباوي الذي يحسن الإنجليزية كما هو حال أحمد أويحيى بالإضافة إلى تمكنهما من العربية والفرنسية. ليبقى الاستثناء الوحيد الذي يمكن أن يحسب على ما يسمى بالمعربين في الجزائر، عبد العزيز بلخادم، رغم تمكنه من الفرنسية كلفة حديث وعمل، زيادة على المجهود الذي بذله في تعلم الإنجليزية، في أوقات ابتعاده عن مراكز السلطة، في بداية التسعينيات، كما كان الحال مع إسماعيل حمداني الذي فرض عليه عمله الدبلوماسي تعلم هذه اللغة التي لم تكن منتشرة داخل المنظومة التعليمية الفرنسية وبعد استقلال البلاد، علما بأن الدراسة قد لاحظت تحكما أحسن في اللغة العربية، حصل مع الوقت وظهر لدى رؤساء الوزراء الجدد الأصغر سنا كما ظهر مع أيمن عبد الرحمن (من مواليد 1966) الذي نتصور أنه تلقى كل تعليمه بعد الاستقلال، أنهاه بالتخرج من المدرسة الوطنية للإدارة، للعمل في قطاع المالية الذي كانت لغة التعامل داخله هي الفرنسية وليس لغة أخرى.

وهو نفس التحسن بدرجة أقل الذي يمكن ملاحظته لدى عبد المجيد تبون، ربما يعود إلى نوعية المسار المهني كوالٍ لمدة طويلة وللأصل الجغرافي للرجل (ولاية المشية بالجنوب الغربي) المعروف عن أبنائها التحكم في لغة عربية دارجة نقية قريبة من الفصحى، رغم استمرار التعامل المحدود باللغة الأمازيغية في هذه المنطقة الصحراوية. أخيرا يمكن أن

نلاحظ نوعا من التحسن البطيء على لغة عبد العزيز جراد مع الاحتكاك الذي يفرضه المنصب، رغم الدراسة الجامعية التي قام بها في فرنسا وعمله لمدة طويلة في مؤسسات الدولة بالفرنسية.

ليكون الوضع أحسن لدى نذير العرباوي الذي امتهن الدبلوماسية في أكثر من عاصمة دولية قبل وصوله إلى رئاسة الوزراء، مرورا بالمؤسسة العمومية ومهنة المحاماة التي امتنها في بداية حياته. هذا الشاب التبسي (من مواليد 1949) المتمكن من اللغات الثلاث العربية الفرنسية والإنجليزية بحكم عمله في نيويورك كممثل دائم للجزائر بالأمم المتحدة لغاية وصوله إلى رئاسة الجمهورية كمدير مكتب لرئيس الجمهورية عبد المجيد تبون، مرورا بسفارة الجزائر بالقاهرة والجامعة العربية وباكستان.

فنحن من هذه الزاوية أمام استمرارية واضحة تجسدها هذه السيطرة التي يقوم بها السياسي المفرنس والغياب الواضح للمعرب الذي عوض نسبيا بمزدوجي اللغة، وهو ما تؤكدته حتى حالة عبد العزيز بلخادم الحاصل على شهادة الإجازة في اللغة العربية، بعد الدراسة التي قام بها في مدرسة تلمسان وتخرجه في السنة الثانية من الاستقلال. عبد العزيز بلخادم الذي تغلبت اللغة العربية لديه كلغة عمل نتيجة المسار المهني السياسي والحزبي، على عكس رؤساء الحكومات مزدوجي اللغة الآخرين، بما فيهم خريجي نظام التعليم « المدرسي » مزدوج اللغة مثل إسماعيل حمداي وعلي بن فليس نسبيا.

فما سميناه القطاعية التي تميز مؤسسات الدولة تظهر نتائجها هنا من خلال هذه الأبعاد اللغوية التي يتم بموجبها تغليب لغة على أخرى لدى الفرد اعتمادا على مؤسسة العمل، فالحزبي عادة ما تتغلب عليه العربية حتى وإن كان مزدوج اللغة، عكس الإداري أو المسير الذي ينحاز إلى الفرنسية تحت الضغط المهني اليومي، حتى وإن كان في الأصل أكثر تحكما في اللغة العربية، كما هو حال مولود حمروش وحتى علي بن فليس وإسماعيل حمداي جزئيا، رغم دراسته الحقوق بالفرنسية، في جامعة الجزائر وايكس الفرنسية على التوالي.

رئيس الحكومة المفرنس الذي لا يجهل تماما اللغة العربية، فقد تعلم نوعا من العربية النمطية السائدة لدى السياسي الجزائري الذي يكتفي باستعمالات محددة لها، تكون حاضرة في بعض الاجتماعات العامة الموجهة للجمهور الواسع، خاصة في حضور التلفزيون والإذاعة وفي بداية الاجتماعات أو في بداية استقبال الوفود، لتعوض بالفرنسية تلقائيا، بعد الاعتذار عن عدم التمكن من الاستمرار بالحديث بالعربية الذي تحسن رئيس الحكومة، مع الوقت، في مستوى أدائها رغم النقص الذي مازال ملاحظا عند البعض (عبد المالك سلال⁷¹ وأويحيى على سبيل المثال). في حين بقيت الفرنسية هي السائدة كلغة عمل يومي

71. تحولت « هفوات » سلال اللغوية إلى مادة واسعة للتندر بين المواطنين وهو على رأس الحكومة ولجنة مساندة المرشح - الرئيس في انتخابات 2014 الرئاسية.

واجتماعات مغلقة وملفات مكتوبة، فالسياسي الجزائري مازال يتعامل مع العربية كلغة شفوية واتصال جماهيري واسع، مقابل لغة الكتابة والنص.. الفرنسية. نوعية الدراسة التي تلقاها السياسي الجزائري قد تفيدنا في فهم تفاصيل هذا الواقع اللغوي؛ فعدد كبير من رؤساء الحكومات درسوا باللغة الفرنسية وفي الخارج، فقد درس عبد السلام الطب لمدة سنة فقط في باريس، ليتوقف عنها، كما حصل بالنسبة للكثير من المناضلين السياسيين أثناء ثورة التحرير. لكن عكس الكثير منهم الذي أعاد الاتصال بمقاعد الجامعات بعد الاستقلال، فإن عبد السلام⁷² لم يكمل دراسته الجامعية. عكس قاصدي مرباح الذي تحصل على شهادة الليسانس في الحقوق من جامعة الجزائر في السبعينيات وهو على رأس المخابرات العسكرية، كما جرت العادة مع الكثير من المسؤولين السياسيين والعسكريين الذي فضلوا كلية الحقوق لإتمام دراستهم والحصول على شهادة جامعية. مرباح الذي كان قد غادر مقاعد الدراسة في المغرب، بعد نداء الإضراب العام الذي دعا إليه الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في ماي 1956. بعد الاستقلال وحتى قبله. استفاد الرجل بالطبع من التدريب في المجال العسكري والمخابرات⁷³، فقد كان ضمن أول دفعة عسكرية جزائرية تدرت في موسكو في هذا المجال (دفعة البساط الأحمر tapis rouge)⁷⁴.

نفس الشيء الذي قام به مولود حمروش لكن في بغداد، في مجال تخصصه العسكري وبالعربية، بعد تجربة الجبل بالولاية الثانية والمرور على تونس. مولود حمروش الذي فضل هو الآخر القيام بدراسات سياسية للحصول على شهادة الدراسات المتخصصة في الميدان من جامعة الجزائر وهو يشتغل بالرئاسة بعد الاستقلال، دون أن يغادر الجيش، كما استفاد قبل ذلك من تكوين ببريطانيا لمدة سنتين في بداية السبعينيات، تمكن فيها من الإلمام باللغة الإنجليزية والاحتكاك ببعض المعاهد المتخصصة في مجال الدراسات الاستراتيجية والسياسية.

دراسات لم تمنع حمروش وعلي بن فليس من أن يكونا الأكثر « تعريبا » ضمن هذا الجيل من رؤساء الحكومات⁷⁵، رغم تحكمهما الجيد في اللغة الفرنسية، إذا استثنينا

72. يمكن العودة إلى الكتاب - المقابلة مع محفوظ بنون وعلي الكنز* الجزء الثاني - ضمن قائمة المراجع لمعرفة كيف يتذكر عبد السلام بلعيد هذه المرحلة ورفضه العودة إلى الدراسة بعد الاستقلال رغم تسجيله لدراسة العلوم السياسية بباريس، ص 284.

73. يمكن العودة إلى ما كتبه أحد ضباط هذا الجهاز محمد لمقامي في مذكراته التي جاءت تحت عنوان : Lamkami Mohamed, *Les hommes de l'ombre*, Éditions Anep, Alger, 2004.

74. انظر مولود شرفي المرجع المذكور، ص 266.

75. الانقسامية التي تعيشها النخبة السياسية بالقطاعية التي أنتجتها على مستوى المؤسسات والمحتوى القيمي الذي تستند عليه أنتجت تصورات للجزائريين حول أنفسهم وحول الآخرين تحدد من هو المعرب ومن هو المفرنس بغض النظر عن السيطرة الفعلية على اللغات والمستويات التعليمية الحقيقية. تصورات زاداها حضورا غياب حياة ثقافية وسياسية عامة وقضاءات للنقاش كان يمكن أن تخفف من حدة هذه الانقسامية الفعلية أو المتصورة.

بالطبع حالة عبد العزيز بلخادم الذي يظهر كأول رئيس حكومة « معرب » حسب التصنيف الإعلامي-السياسي السائد في الجزائر، رغم تخرجه من مدرسة تلمسان التي من صفاتها تكوين طلبة مزدوجي اللغة، علما أن عبد العزيز بلخادم تخرج من هذه المدرسة بعد الحصول على الإجازة في اللغة العربية. عبد العزيز بلخادم الذي كان « المدرسي » الثالث الذي وصل إلى رئاسة الحكومة بعد علي بن فليس و إسماعيل حمداني. حضور المدرسين كوسط وتنشئة وقيم تربوية، يمكن إضافة سيد أحمد غزالي له إذا عرفنا أن أباه كان هو الآخر مدرسيا ؛ مما يعني أننا أمام حضور قوي نسبيا لهذا النوع من التعليم في إنتاج النخبة السياسية. حضور سيزداد أكثر ويترسخ إذا عممنا الدراسة على كل النخبة الوزارية وليس فقط رؤساء الحكومات.

التحكم في اللغة الفرنسية، الذي لا يقابله نفس التحكم في اللغة الإنجليزية، كما هو معروف لدى النخبة الفكرية والسياسية الجزائرية، كانعكاس للواقع اللغوي والثقافي الجزائري، ابن الحالة الاستعمارية.. رغم ذلك نجد من يتحكم في اللغة الإنجليزية، من بين رؤساء الحكومات، مثل مولود حمروش وأحمد بن بيتور وإسماعيل حمداني وحتى عبد العزيز بلخادم الذين قاموا بمجهود خاص للتمكن منها في الجزائر أو بعد عودتهم من مهامهم الدبلوماسية. عكس مولود حمروش وأحمد بن بيتور الذين فرضت عليهم شروط الدراسة في بريطانيا وكندا تعلم هذه اللغة.

أحمد أويحيى هو الآخر قام بمجهود معقول في تعلم اللغة الإنجليزية الضرورية بالنسبة لعمله الدبلوماسي في الأمم المتحدة، رغم أن كل مشواره الدراسي بما فيه الجامعي كان بالجزائر كما كان الحال عند نذير عرباوي الذي يبدو أن العمل الدبلوماسي الذي اختاره في بداية مشواره المهني قد فرض عليه تعلم هذه اللغة. الدبلوماسية كهنة لم تفلح دائما في إقناع السياسي الجزائري لتعلم الإنجليزية كما هو حال رضا مالك، رغم مناصبه الدبلوماسية في لندن وواشنطن. عامل السن لدى هذا الجيل من السياسيين الجزائريين قد يكون عامل تفسير، ولو جزئيا، لهذا الوضع.

رغم أن الإنجليزية هي لغة البترول كما هو الحال في الدبلوماسية، فإن سيد أحمد غزالي وعبد السلام بلعيد اللذان سيرا قطاعًا على رأس سوناطراك لم يقوموا بمجهود في تعلم لغة شكسير مثلما هو حال رؤساء الحكومات الذين اكتفوا بما تحصلوا عليه من مستوى إلمام ضعيف أو متوسط في أحسن الحالات في اللغة الإنجليزية أثناء دراستهم الثانوية أو الجامعية.

من الذين قاموا بدراستهم في الخارج وفرنسا تحديدا، نجد أحمد غزالي الذي تخرج بشهادة مهندس من إحدى المدارس الفرنسية الكبرى (L'école des ponts et chaussées) وهو ما يعني أنه قد قام بكل دراسته باللغة الفرنسية، كما هو حال الأغلبية من رؤساء

الحكومات. من الذين أنهوا دراساتهم في فرنسا كذلك نجد رضا مالك (باريس/فلسفة) وإسماعيل حمداني (حقوق/Aix en Provence)، فالاثنتان بدءا دراساتهم بجامعة الجزائر، قبل التوجه إلى فرنسا لانتهاء منها قبل الاستقلال. مقدار سيفي هو الآخر أنهى دراسته للحصول على شهادة مهندس في فرنسا وهو يشتغل في مؤسسة عمومية (سونلغاز) بعد أن تحصل على شهادة الليسانس في العلوم الدقيقة - فيزياء من جامعة الجزائر، بعد الاستقلال طبعاً والعمل كأستاذ في التعليم الثانوي لبعض الوقت. شغل وانقطاع عن الدراسة فرضته الأصول الاجتماعية الفقيرة لمقداد سيفي.

للمزيد من الدقة في فهم ملابسات المسألة اللغوية، لا بد في بعض الأحيان من العودة إلى المسار التعليمي ما قبل الجامعي، لفهم الاختلافات بين مستويات التحكم في اللغة العربية تحديد. فقد درس مولود حمروش في مدارس جمعية العلماء بقسنطينة، وهو ما يفسر تحكمه في اللغة العربية، والتحق بالكلية العسكرية ببغداد مما يجعل اللغة العربية في حالة حمروش اللغة القاعدية بالنسبة له، رغم المجهود المبذول في تعلم اللغة الفرنسية والإصرار على التعامل بها. نفس الشيء يمكن قوله لتفسير التحكم الذي يلاحظ لدى علي بن فليس أو إسماعيل حمداني وخاصة عبد العزيز بلخادم الذين درسوا في ثانويات تتميز بازدواجية تعليمها، Lycée franco-musulman. قبل التحاقهما بالجامعة للتخصص في مجال الحقوق الذي قام به علي بن فليس بجامعة الجزائر باللغة الفرنسية وإسماعيل حمداني بجامعة Aix en Provence.

أحمد بن بيتور هو الآخر قام بدراسته الجامعية في الرياضيات والإحصاء بجامعة الجزائر بالفرنسية بالطبع قبل الانتقال لدراسة الاقتصاد بمدينة منتريال بكندا والتوجه فيما بعد للتدريس بالمعاهد المتخصصة في الجزائر باللغة الفرنسية دائماً.

حتى بالنسبة للجيل الأصغر الذي أنهى دراسته الجامعية في المدرسة الوطنية للإدارة مثل أحمد أويحيى وأيمن عبد الرحمن ونور الدين بدوي وعبد المالك سلال نسبياً، فإن الدراسة الجامعية تمت كلها باللغة الفرنسية، وقبلها المرحلة الثانوية، رغم التحسن الذي طرأ على مكانة اللغة العربية داخل المنظومة التعليمية، بمختلف مراحلها خلال هذه الفترة كما يظهر لدى أصغر رئيس وزراء أيمن بن عبد الرحمن الذي يتميز بتحكم أحسن في اللغة العربية، زيادة على الفرنسية ضمن هذه القائمة من رؤساء الوزراء. فلم تعد اللغة العربية تعامل بالطبع معاملة اللغة الأجنبية، كما كان الحال عليه إبان الفترة الاستعمارية التي درس أثناءها أبناء الجيل الأول، دون أن يعني أنها أصبحت لغة عمل وتدرّس في كل مراحل التعليم. فكان لا بد من انتظار بداية الثمانينات حتى تفرض العربية كلغة تدريس وحيدة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، في حين استمر التدريس بالفرنسية في العلوم الدقيقة.

بالطبع متغيرات أخرى سوسيو-ثقافية ذات الارتباط بالوسط العائلي وحتى الجغرافي، يمكن أن تفسر أكثر هذه الاختلافات الموجودة بين مختلف رؤساء الحكومات في التحكم اللغوي وحتى التخصصات العلمية المختارة. فاللغة العربية لم تكن لغة الأم بالنسبة لسبع رؤساء حكومات، بل كانت الأمازيغية بمختلف فروعها (القبائلية بالنسبة لقاصدي مرباح، عبد السلام، إسماعيل حمداني، رضا مالك، أحمد أويحيى، وحتى عبد المالك سلال والشاوية بالنسبة لعلي بن فليس ومقداد سيفي وجزئيا بالنسبة لعبد العزيز جراد الذي عاش في وسط مزدوج اللغة (عربية وأمازيغية) في مسقط رأسه بخنشلة وحتى باتنة التي تلقى فيها تعليمه لغاية المرحلة الثانوية. نفس الشيء الذي يكون قد حصل مع نذير عرباوي ابن مدينة تبسة بأقصى الشرق الجزائري وابن ولايته مقداد سيفي).

هذه المجموعة من رؤساء الحكومات الذين كانت أمهاتهم من هذا الوسط الثقافي-اللغوي الأمازيغي في الغالب، رغم الهجرة التي قامت بها العائلة والأب تحديدا خارج المنطقة الأصلية، فقد أصر أب عبد السلام بلعيد على الزواج من إحدى بنات منطقته الأصلية، رغم تنقله المستمر واستقراره لاحقا بمنطقة عين الكبيرة بسطيف. نفس الشيء الذي قام به الأب أويحيى الذي أصر على الزواج من إحدى بنات القرية، بعد عودته من الهجرة في فرنسا والاستقرار بالعاصمة. قاصدي مرباح هو الآخر يمكن أن ينطبق عليه نفس الوضع فقد ولد الطفل عبد الله (الاسم الحقيقي له) في قرية بني يني بأعالي منطقة القبائل من أم قبائلية قبل الانتقال لاحقا إلى المغرب للدراسة والعمل والإقامة مع الأب حتى فترة الالتحاق بجيش التحرير بالولاية الخامسة الحدودية. نفس الصورة التي تنطبق على إسماعيل حمداني الذي تربى وعاش سنواته الأولى في برج بوعريريج داخل أحضان عائلة أمازيغية من جهتي الأم والأب، قبل أن ينتقل إلى قسنطينة والجزائر العاصمة و Aix en Province للدراسة.

علي بن فليس ورغم أن الأم مثل الزوجة من مدينة بسكرة التي ترتبط بمدينة باتنة بعلاقات متنوعة بما فيها علاقات الزواج المشترك بين العائلات، إلا أنه يتكلم الأمازيغية بطلاقة مثل مقداد سيفي، رغم انتقالهما وهما صغيران للإقامة والدراسة بمدن كبرى كباتنة وقسنطينة وعنابة وتبسة، وهي كلها مدن بالشرق الجزائري، لم تختف فيها اللغة الأمازيغية بمختلف لهجات بدرجات متفاوتة خاصة الشاوية. في حين تبقى العربية هي لغة الأم بالنسبة للباقيين من رؤساء الحكومات (مولود حمروش، سيد أحمد غزالي، أحمد بن بيتور وعبد العزيز بلخادم).

وضع يمكن تعميمه على عبد العزيز جراد بكر والدته الخنشلية الأمية، عكس الوالد وحتى الجد من الأب الذي أصر على استفادة حفيده عبد العزيز من انتشار التعليم باللغتين العربية والفرنسية في المدن التي دخلتها العائلة (خنشلة وباتنة لاحقا) وهي تهاجر

من موطنها الأصلي خنقة سيدي ناجي. التي كان التعامل باللغتين العربية والأمازيغية هو السائد فيها خاصة داخل المحيط العائلي لدى جيل الجد إلى غاية الآباء. وضع تغير على مستوى جيل الحفيد عبد العزيز وأبنائه خاصة بعد الارتباط عن طريق الزواج من سيدة بسكرية، تعرف عليها داخل الوسط العائلي المباشر. حالة عائلة جراد التي تؤكد مرة أخرى أن الهجرة إلى المدن الكبرى بما ارتبط بها من زواج مختلط، لم تكن عاملاً مساعداً على انتشار لغة الأم الأمازيغية، خاصة خلال هذه الفترة الأولى لما بعد الاستقلال، في بلاد الشاوية التي تقلص فيها استعمال الأمازيغية لحساب العربية والفرنسية على مستوى الجيل الصغير الذي سادت لديه الفكرة الوطنية الرافضة للخصوصية الثقافية الأمازيغية إلى غاية السنوات الأخيرة التي عرف فيها المطلب الأمازيغي انتشاراً أكبر وقبولاً أحسن.

لنكتفي بالتذكير أخيراً أن الكثير من رؤساء الحكومات قد قاموا بنشر كتب بلغة عملهم وفي تخصصاتهم أو للحديث عن تجاربهم المهنية والسياسية. فقد نشر عبد السلام بلعيد كتاباً للحديث عن تجربته السياسية والصراعات التي عاشها مع محيطه السياسي العام⁷⁶ قبل وبعد الاستقلال، على شكل حوار مع جامعيين جزائريين، بالإضافة إلى مؤلف آخر حول الغاز الجزائري. رضا مالك كتب بالفرنسية كذلك حول تجربة مشاركته في مفاوضات إيفيان، كما نشر كتباً فكرية حول التقليد والثورة والمعاصرة⁷⁷، وهي الكتب التي أصر أصحابها على ترجمتها للعربية للتواصل مع المحيط المعرب الشاب الأوسع حجماً وكسر القطيعة اللغوية التي كانوا ضحايا لها.

أحمد بن بيتور كتب هو الآخر في ميدان تخصصه و للحديث عن تجربته السياسية، بما فيها تلك الفترة التي قضاها على رأس الحكومة⁷⁸، وهو ما قام به كذلك أحمد غزالي على شكل حوار⁷⁹، على عكس مولود حمروش الذي لم ينشر لحد الساعة إلا أطروحته لنيل شهادة الدراسات المتخصصة حول الظاهرة العسكرية في أفريقيا جنوب الصحراء. تجربة

76. عبد السلام بلعيد نشر على موقعه الإلكتروني مساهمات طويلة للكلام عن تجربته كرئيس حكومة وعن شروط تعيينه وإبعاده منها وصراعه مع المحيط السياسي في تركيز واضح على صراعاته مع الجزائريين محمد تواتي وخالد نزار جزنيا. <http://www.belaidabdesselam.com>

Belaïd Abdesselam, *Le pétrole et le gaz naturel en Algérie, comment les algériens ont gagné la bataille de la récupération du pétrole et du gaz*, Éditions Anep, Alger, 2012.

77. Reda Malek, *Tradition et révolution, le véritable enjeu*, Éditions Bouchene, Alger, 1991.

Reda Malek, *L'Enjeux de la modernité en algerie et dans l'islam*, Éditions Sindbad, Paris, 1993.

Reda Malek, *L'Algérie a Evian, histoires des négociations secrètes 1965-62*, Éditions Le Seuil, Paris, et Dahlab, Alger, 1995.

78. Ahmed Benbitour, *Radioscopie de la gouvernance algérienne*, Éditions Edif 2000, novembre 2006.

79. Sid Ahmed Ghazali, *Question d'État. Entretien avec Mohamed Chafik Mesbah*, Casbah Éditions, Alger, 2009.

عبد العزيز بلخادم على رأس الهيئة البرلمانية 1991/1990 كانت هي المادة الأساسية للكتاب الصادر باسمه عن دار الأمة القريبة من التيار المعرب المحافظ، على شكل مقابلات صحفية وخطب تناول فيها بلخادم الأوضاع السياسية خلال هذه الفترة المضطربة، باللغة العربية بالطبع.⁸⁰

عبد العزيز جراد الأستاذ الجامعي أصدر هو الآخر كتباً ودراسات في مجال تخصصه (علوم سياسية وعلاقات دولية) التي درسها كمادة علمية في جامعة باتنة وبالعاصمة في معهد العلوم السياسية و المدرسة الوطنية للإدارة التي وصل إلى مديريتها العامة في 1989.⁸¹

فقد تأرجح السياسي الجزائري إذن بين التخصص العلمي والأكاديمي والاهتمامات السياسية والفكرية وهو ما قد يكون انعكاساً للمكانة التي يحتلها داخل النظام السياسي الذي يصر على معاملته كتكنوقراطي/بيروقراطي صاحب مؤهلات تقنية وخبرة تسييرية، يمكن الاستغناء بسهولة عنه كشخص لا يمثل إلا نفسه. فهل قبل رئيس الحكومة هذا الموقع دائماً، أم حاول الإفلات منه، داخل هذا النظام السياسي الجزائري المضطرب، خاصة خلال هذه الفترة التي انطلقت فيها التجربة التعددية والتي تكررت بنفس الحدة تقريباً في نهاية سنوات حكم بوتفليقة وانطلاق الحراك الشعبي في 2019 ؟ وهل كان مصير رئيس الحزب مثل علي بن فليس وعبد العزيز بلخادم وأحمد أويحيى هو نفس مصير رئيس الحكومة الذي لا ينتمي إلى حزب ولا يمثله، كما كان الحال مع جزء هام من رؤساء الحكومات الذين تمت الاستعانة بهم لاحتلال هذا الموقع مثل، رضا مالك وعبد السلام بلعيد وأحمد غزالي الذين ساءت علاقاتهم بحزب جبهة التحرير خلال فترة تواجدهم على رأس الحكومة ومع جزء كبير من الطبقة السياسية، رغم انتمائهم التقليدي للجبهة واحتلالهم لمواقع المسؤولية داخل هياكلها في وقت سابق لوصولهم إلى رئاسة الحكومة التي ترأسوها في بداية التعددية السياسية. الأمر الذي تكرر مع عبد المجيد تبون في 2017 الذي احتل عضوية اللجنة المركزية لجبهة التحرير، مثله مثل عبد العزيز جراد.

صنف ثالث من رؤساء الحكومات لم يكن معروفاً عنه قرب خاص من الظاهرة الحزبية لا خلال فترة الأحادية ولا التعددية، مثل إسماعيل حمداي وأحمد بن بيتور وعبد المالك سلال ونور الدين بدوي وأيمن عبد الرحمن، ونذير عرباوي احتلوا موقع رئيس

80. عبد العزيز بلخادم، ثوابت ومواقف، دار الأمة الجزائر، 1996، 190 صفحة.

81. Djerad Abdelaziz, *Dualité du monde arabe*, Éditions ENEP-OPU, Alger, 1981.

Djerad Abdelaziz, *La géographie, repères et enjeux*, Éditions Chihab, Alger, 2016.

عبد العزيز جراد، العلاقات الدولية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1992.

عبد العزيز جراد، العالم العربي بين ثقل الخطاب وصدمة الواقع، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987.

الوزراء كذلك⁸² لفترة قصيرة. اقترح عليهم المنصب في فترة حرجة ومضطربة في الغالب. قدموا للرأي العام الوطني باعتبارهم تكنوقراطيين، من دون لون سياسي حتى وإن سيروا حكومات حزبية تحت الإشراف المباشر لرئيس الجمهورية الذي اختارهم اعتمادا على القراءة السياسية المركزة على الشخص ذاته، بعيدا عن أي امتداد حزبي أو سياسي. في حين يمثل مولود حمروش حالة شاذة نوعا ما لعلاقته الخاصة مع جبهة التحرير التي كانت ممثلة داخل حكومته (عبد القادر بن داود وزير الفلاحة عضو المكتب السياسي، ومحمد قنيفد عضو اللجنة المركزية)، زيادة على وزراء الحكومة الذين أقنعهم مولود حمروش بالانضمام إلى جبهة التحرير حتى قبل وصولهم إلى الحكومة كممثلين للتيار الإصلاحي داخل جبهة التحرير الذي حاول تمثيله داخلها (بن هني علي، محمد غريب... إلخ)، وهي نفس الإستراتيجية تقريبا التي قام بها علي بن فليس مع بعض وزرائه ووزرائه، رغم النفور التقليدي للإطارات من حزب جبهة التحرير كتجربة سياسية⁸³ في فترتي الأحادية والتعددية.

لتعود التجربة الجزائرية رسميا إلى نوع من الحكومة الحزبية بعد فوز عبد المجيد تبون وتنظيم أول انتخابات تشريعية مع حكومة التكنوقراطي أيمن عبد الرحمن الذي لم يعرف له أي انتماء حزبي ولا أي تجربة مهنية خارج قطاع المالية، وليس مع عبد العزيز جراد الذي كان عضوا معه في اللجنة المركزية لجبهة التحرير، الذي قاد حكومة تكنوقراطية ضمت بعض الجامعيين ووجوها جديدة من المجتمع المدني قدمت للرأي العام كوجوه قريبة من الحراك. زيادة على ما استمر فيها من وزراء فترة بوتفليقة. أدخلت عليها ثلاث تغييرات أساسية وعدة استقالات وإقالات⁸⁴ خلال عمرها القصير الذي استمر بين ديسمبر 2019 وجوان 2021...

« تناقشت مع الرئيس تبون في تشكيل الحكومة في الاجتماع معه ولم يفرض عليَّ أيَّ وزير باستثناء تلك التي هي من صلاحياته في المناصب السيادية ». حكومة أيمن عبد الرحمن التي تم تعيين أسماء حزبية فيها بعد مشاورات سياسية قام بها رئيس الجمهورية مع رؤساء الأحزاب الفائزة في الانتخابات التشريعية المبكرة التي نظمت في 12 جوان 2021. سجلت نسبة مشاركة هي الأضعف منذ الاستقلال،

82. يمكن إضافة عبد المالك سلال إلى هذه الفئة من رؤساء الحكومات « التكنوقراطيين » الذين يحصلون بسهولة على تأييد الأحزاب المتواجدة كأغلبية في البرلمان التي لا تطالب بحقها في رئاسة الحكومة وتكتفي ببعض الوزراء كما حصل مع جبهة التحرير بعد 2012.

83. انظر السير الذاتية للوزير الجزائري في :

ناصر جاني، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2012.

84. تمت إقالة الوزير المنتدب المكلف بالجالية بأيام بعد رفضه التخلي عن جنسيته الفرنسية المكتسبة. انظر ما جاء في الصحافة <https://www.liberte-algerie.com/liberte-digital>

أعادت إلى الواجهة أحزاب السلطة القديمة على غرار جبهة التحرير والتجمع الوطني الديمقراطي، مع حضور قوي للمستقلين⁸⁵، زيادة على حركة مجتمع السلم التي احتلت الموقع الحزبي الثاني، لكنها رفضت الانضمام إلى الحكومة⁸⁶، عكس كل الأحزاب الفائزة الأخرى والمستقلين الذين حصلوا على حضور باهت داخل الحكومة في مواقع ثانوية⁸⁷ كالتيكوين المهني والثقافة والعمل، والشؤون الاجتماعية، والشباب والرياضة. كما جرت العادة داخل النظام السياسي الذي فضل هذه المرة تفسير المادة الدستورية 103⁸⁸ التي جاء بها الدستور الجديد وهو يفرق بين موقعي رئيس الوزراء ورئيس الحكومة. فتم تعيين رئيس وزراء بدل رئيس حكومة الذي تحيل إليه نفس المادة. تفسير قبلت به الأحزاب ودافعت عنه القوائم المستقلة التي كانت مدعومة من قبل النظام بشكل واضح. تحت مسمى المجتمع المدني⁸⁹، أثارت حفيظة الأحزاب. لكنها قبلت باللعبة على مضض، وهي تعيش حالة ضعف رهيب. في جزائر تغير فيها بشكل واضح الموقف الشعبي من الأحزاب، نحو رفض أكثر بعد انطلاق الحراك في 2019.

رئيس الحكومة... المغادرة نحو مواقع سياسية أو السجن...

حاول رئيس الحكومة الجزائري أن يفلت من الأدوار والمواقع التسييرية التي تعود على احتلالها داخل النظام السياسي، بالتوجه نحو اهتمام أكثر بالعمل السياسي والحزبي المستقل، بعد مغادرته منصبه في هذه الأجواء التي عرف فيها النظام السياسي الجزائري عملية اضطراب أكيدة. ليكون الوقت عدوه الأول، فلم يتجاوز معدل بقائه في منصبه السنة الواحدة إلا ببعض الأشهر، بالنسبة للذين احتلوا هذا الموقع خلال نهاية الثمانينات وبداية عقد التسعينات المضطرب. فترة قصيرة عرفت فيها الكثير من الحكومات المنصبة عدة تغييرات، بل استقالات وإقالات، ناهيك عن الجو المضطرب أصلا الذي عملت فيه والذي عرف خلال طول هذه الفترة تدهورا أمنيا خطيرا، ناهيك عن الأزمة المالية

85. <https://www.aps.dz/ar/algerie/108896-12>.

86. استمر خلال هذه الفترة التحرش بحركة مجتمع السلم لاستمالة بعض قيادتها وتعيينهم كوزراء كما حصل مع وزير العمل الهاشمي جعوب داخل حكومة جراد الذي تبرا من قيادة الحركة معتبرة تعيينه دون استشارتها هو إرباك للحركة.

87. المعلومات التي حصل عليها الباحث تقول أن الرئيس طلب من الأحزاب التي استقبلها قائمة من الأسماء المقترحة لاحتلال مناصب في الحكومة. ليبقى القرار له في تعيين الشخص والموقع. أسلوب انزعجت منه الأحزاب دون أن تعبر عن عدم رضاها بشكل علني.

88. المادة 103 من الدستور ترى أن وزير أول هو الذي يقود الحكومة في حالة فوز أغلبية رئاسية.. في حين يقود الحكومة رئيس حكومة في حالة فوز أغلبية برلمانية.

89. حصلت القوائم المستقلة على رئاسة البرلمان على حساب الأحزاب. منحت للرئيس قائمة من أبناء المذهب الإباضي لأول مرة في تاريخ الجزائر ترشح على رأس قائمة حرة في ولاية غرداية الجنوبية.

والاقتصادية التي وصلت إلى ذروتها بالنسبة لحكومات النصف الأول من التسعينيات. فقد غادر كل رؤساء الحكومات مناصبهم بعد أحداث خطيرة وفي جو صراع مع الكثير من مراكز القرار الأخرى، بما فيها الرئاسة التي كانت البوابة التي دخل منها الكل تقريبا رئاسة قصر الحكومة.

في حين استمر رئيس الجمهورية في فرض « رجاله » على رئيس الحكومة، خاصة عندما يتعلق الأمر بما سمي بوزراء السيادة، رغم الصلاحيات المخولة دستوريا لرئيس الحكومة حتى التعديل الدستوري لسنة 2008 في اختيار وزرائه وتقديمهم لرئيس الجمهورية لتعيينهم. صلاحيات تشكيل الحكومة من قبل رئيسها المعين والمشاورات التي تسبقها، كانت قد عرفت هي الأخرى محطات وطقوسًا مختلفة، حسب الطرف الذي جرت فيه وشخصية رئيس الجمهورية نفسه والعلاقات التي يقيمها مع رئيس حكومته وما قد يميز هذا الأخير كشخصية سياسية، وبالطبع دون نسيان دور الأجهزة الأمنية العسكرية التي تتدخل إما مباشرة من خلال قيادة الجيش (المخابرات أساسا) أو بطريقة غير مباشرة من خلال رئاسة الجمهورية أو رئيس الحكومة نفسه لاقتراح أسماء معينة أو لإبعاد أخرى⁹⁰. الأجهزة الأمنية المختلفة (الأمن العسكري، المديرية العامة للأمن الوطني والدرك الوطني) التي تكلف في العادة بوضع تقارير⁹¹ عن الشخصيات المقترحة لدخول الحكومات وحتى غيرها من المناصب العليا في الجزائر كإجراء روتيني قبل كل تعيين⁹². أدوار تبين حالة بعض التعيينات داخل حكومات ما بعد الحراك في الفترة الأخيرة لحكم بوتفليقة وبداية حكم تبون أنها قد عرفت اضطرابا كبيرا كما يدل على ذلك الارتباك في تعيين بعض الوزراء⁹³.

فقد ساءت علاقات قاصدي مرباح الذي نصب كرئيس حكومة بعد أحداث أكتوبر بسرعة مع الرئيس بن جديد الذي اتهم حكومته بالتباطؤ في تطبيق الإصلاحات التي شارك في تطبيقها مرباح كوزير في حكومات سابقة، في قطاعات الزراعة والصناعة والصحة.

90. يمكن الرجوع إلى المقابلة التي أجرتها جريدة *L'Humanité* الفرنسية ليوم 19 أكتوبر 2012 مع رئيس الحكومة الأسبق سيد أحمد غزالي الذي يصرح كالاتي : « نعم المخابرات هي التي عينتني في كل المناصب التي كنت على رأسها باستثناء فترة الرئيس بومدين الذي كان هو الذي يعين وليس المخابرات لأنه هو الذي خلف هذه المخابرات كرجل سياسي وعسكري... المخابرات التي تمر عليها كل ملفات تعيين الموظفين والوزراء والمسؤولين.. يمكن عد الذين يشتغلون بطريقة رسمية أو شبه رسمية مع المخابرات خوفا أو مقلقا أو دفاعا عن مصلحة لأنهم يعرفون أن تعيينهم مرتبط بهذا الجهاز... سنكتشف حزبا سريا قوامه حوالي مليوني شخص في الجزائر... ».

91. مولود حمروش صرح للباحث خلال المقابلة معه أنه لم يأخذ بعين الاعتبار هذه التقارير لتعيين طاقمه الحكومي الذي تربطه بأهم عناصره علاقات عمل ومعرفة قديمة نسبيا قبل تعيينهم كوزراء.

92. انظر في الدراسة ما قاله عن هذا الإجراء الهادي لخضيري المدير الأسبق للأمن الوطني ووزير النقل في حكومة حمروش.

93. كما كان الحال مع مسعود بلعقون وسمير شعبانة المذكورة في الدراسة.

قاصدي مرباح الذي حاول تفسير الدستور الجديد لصالح بقاء حكومته باتجاه تقليص صلاحيات رئيس الجمهورية، عند الإعلان عن إقالة الحكومة التي نصبت بعد تعديل دستور 1976 ثلاثة أيام قبل⁹⁴، فقد خرج الرجل القوي من قصر الحكومة في جو مواجهة فعلية مع رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد. لم يكتف مرباح بمغادرة الحكومة، بل انسحب في نفس الوقت من اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير، مفضلا تكوين حزب خاص به (الحركة الجزائرية من أجل العدالة والتنمية.. مجد)، ولعب دورا أساسيا داخل صفوف المعارضة لغاية اغتياله في أوت 1993⁹⁵.

تجربة المعارضة وتكوين الحزب التي لم يشاركه فيها أي عضو من حكومته التي كونها من مجموعة متنافرة من الوجوه السياسية التي تعرف عليها خلال تجربته الوزارية في القطاعات التي سيرها ضمن الحكومات المتعاقبة وقبل ذلك كمسؤول عن المخبرات العسكرية، لمدة طويلة (1962-1979). حكومة مرباح التي غابت عنها المرأة، كما غابت عن حكومة مولود حمروش التي خلفتها⁹⁶.

حكومة مرباح التي خرج الكثير ممن شارك فيها بنظرة يغلب عليها الكثير من السلبية. حكومة تكونت من مجموعة من الشخصيات التي كان لها دور أساسي في المراحل السياسية اللاحقة، فقد ضمت حكومة مرباح اسمي رئيسي حكومة لاحقين (علي بن فليس وسيد أحمد غزالي)، زيادة على الأسماء المعروفة الأخرى كأبي بكر بلقايد الذي منحت له وزارة الداخلية وحتى الهادي لخضيري المدير السابق للأمن الذي عين على رأس وزارة النقل. بالإضافة إلى أسماء جديدة سيستمر حضورها داخل الحكومات المقبلة، مثل عبد الحميد أبركان ومحمد غريب وشريف رحمانى ومراد مدلسي⁹⁷ وهما اللذان سنجدهما وزيرين في حكومات بوتفليقة بعد عشرين سنة من هذه التجربة الأولى لهم.

حكومة مرباح التي لم تكن قطيعة كاملة مع فترة الأحادية على مستوى الرجال، فقد ضمت أسماء كانت في حكومات الأحادية كبوعلام باقي (الشؤون الدينية) وبوعلام بسايح (الخارجية) وأحمد بن فريجة (الري) وعيسى عبد اللاوي (الأشغال العمومية)... رغم أنها

94. تم تعديل دستور 1976 في 3 نوفمبر 1988 عن طريق استفتاء شعبي قبل تعيين حكومة قاصدي مرباح تم بموجبه خلق منصب رئيس الحكومة ومنح دور جديد للبرلمان في مراقبة عمل الحكومة والمصادقة على برنامج رئيسها. انظر الصلاحيات الجديدة التي منحت لرئيس الحكومة ودور البرلمان الجديد في الجريدة الرسمية ضمن موقعها الرسمي : http://www.joradp.dz/JO8499/1988/045/A_Pag.htm

95. كان من الشخصيات الفاعلة التي دعت إلى إضراب عام نفذته الجبهة الإسلامية للإنقاذ وحيدة بعد تراجع مجموعة الأحزاب التي دعت له في الأصل وهي المجموعة التي سميت بالسبعة زايد واحد.

96. انظر تلك الصورة السلبية التي يحملها وزراء حكومة مرباح لها ولظروف عملها ضمن أقسام الدراسة الأخرى.

97. زيادة على رئاسة المجلس الدستوري 2013 بعد ابتعاد زميله في وزارة مرباح بوعلام بسايح.

ضمت أسماء وصلت لأول مرة إلى الحكومة على غرار مسعود زيتوني⁹⁸، ندير بومعطي، محمد الطاهر بوزغوب، العسكري في القوات الجوية الذي انخرط (لاحقا) في تكوين حزب التجمع الوطني الديمقراطي، مثل زميله في الحكومة شريف رحمان. مولود حمروش هو الآخر غادر رئاسة الحكومة في الأسبوع الثاني للإضراب العام الذي دعت إليه الجبهة الإسلامية للإنقاذ في جوان 1991 وتأجيل الانتخابات التشريعية التي كانت مبرمجة خلال نفس الصيف. انتخابات ترشح لها الرجل في ولاية تيارت، دون أن نعرف في نهاية الأمر بالتدقيق هل أقيمت أم استقالت حكومة حمروش ولا متى تم الأمر بالضبط⁹⁹.

مولود حمروش الذي جرب القيام بعمل سياسي داخل صفوف جبهة التحرير، عن طريق خلق جناح إصلاح، لم يوفق في تغيير موازين القوى لصالحه داخل الحزب، كما فشل في خوض الانتخابات الرئاسية إلى آخرها، مفضلا الانسحاب مع مجموعة من المرشحين الآخرين، كان من بينهم مقداد سيفي رئيس الحكومة الأسبق (أفريل 1999). حمروش الذي رفض الترشح مرة أخرى في انتخابات 2004 والانتخابات الرئاسية التي تلتها في سنوات 1999 و2014 و2019، معلنا أكثر من مرة أنه لن يترشح لأي انتخابات يكون للسلطة الفعلية، (يفهم قيادة الجيش) فيها مرشح، كما حصل في كل هذه الانتخابات. حكومة مولود حمروش التي تكونت حول نواة يغلب عليها الكثير من التجانس، بفعل تجربتها السابقة، ضمن مجموعة الإصلاحات التي نصبها الرجل، عندما كان برئاسة الجمهورية؛ على العكس من حكومة قاصدي مرباح التي لم تظهر فيها مجموعة متجانسة محيطة برئيسها، إذا استثنينا بعض الحالات الفردية ذات القرب الخاص من مرباح، مثل حالة أبي بكر بلقايد، الذي سيكون له دور سياسي مهم وفعال خلال السنوات الأولى من التعددية لغاية اغتياله (في سبتمبر 1995). الحكومة التي كان يتعامل رئيسها مع أعضائها كأفراد وليس مجموعات¹⁰⁰.

98. مسعود زيتوني أستاذ الطب من مواليد مدينة عزابة وليس مسعود زيتوني وزير الصناعات الخفيفة في حكومة عبد الحميد الإبراهيمي.

99. تفاصيل كثيرة متناقضة يتم الكلام عنها حول تاريخ الاستقالة/الإقالة أكان ذلك يوم 2 أو 3 جوان. خاصة وأن ذلك صادف إضراب الجبهة الإسلامية. لمزيد من التفاصيل يمكن العودة إلى شهادات بعض وزراء حكومة مولود حمروش مثل إسماعيل قوميان وغازي حيدوسي.

Goumeziane Smail, *Fils de novembre*, Éditions Edif 2000, Alger, 2004.

Ghazi Hidouci, *Algérie, la libération achevée*, Éditions La découverte, Paris, 1995.

100. انظر رأي محمد غريب وعبد الحميد أبركان ومسعود زيتوني في هذه الحكومة وطريقة عمل رئيسها ضمن الأقسام الأخرى من الدراسة وكيف كان يفكر بعضهم في الاستقالة منها لولا أنها أقيمت من قبل رئيس الجمهورية.

حمروش الذي حافظ على علاقات متينة - على الأقل على المستوى الشخصي - مع المجموعة الأساسية لحكومته، حتى بعد مغادرته رئاسة الحكومة، مثل محمد الصالح محمدي ومحمد غريب... إلخ، في حين فضل جزء من أعضاء حكومته مغادرة الجزائر للعمل بالتدريس في جامعات فرنسية، كما كان الحال مع البعض من مقربيه من أمثال إسماعيل قومزيان¹⁰¹ (وزير التجارة)، وغازي حيدوسي (الاقتصاد) والصادق بوسنة (وزير الصناعة والمناجم)، أو العودة إلى مناصب عملهم الأولى، كما هو حال أستاذي الطب (عبد القادر بوجمعة، أكلي خديس). حكومة حمروش التي اختفت فيها وزارات المجاهدين والإعلام والثقافة التي عوضت بمجالس عليا كتجربة جديدة لم تعشها الجزائر من قبل، وقوبلت بمعارضة وعدم تفهم كبيرين عند الإعلان عنها¹⁰² رغم الاستحسان الذي لاقته التجربة لاحقا.

حكومة حمروش التي دعمت، بشكل واضح، ممارسات قديمة عرفها النظام السياسي الجزائري في تشكيل حكومات مكونة من مجموعة من الوزراء المقربين¹⁰³ الذين يستشارون في القضايا السياسية الحساسة ويستمع إلى آرائهم خارج أوقات العمل وفي لقاءات محدودة العدد وبين باقي الوزراء الذين يكتفون بحضور اللقاءات الرسمية، وهو ما سماه أحد وزراء حكومة حمروش من الفئة الثانية بـ « حكومة الليل »¹⁰⁴. المجموعة المقربة من حمروش التي تكونت من عدد قليل من الوزراء، كان على رأسها محمد الصالح محمدي (الداخلية) وغازي حيدوسي (الاقتصاد) ومحمد غريب (العمل) ومحمد قنيفد (التجهيز) الذي التحق بالحكومة، بعد استقالة شريف رحمانى منها وعبد القادر بن داود (وزارة الفلاحة، عضو المكتب السياسي لجبهة التحرير).

قنيفد الذي تعود علاقات حمروش به إلى مرحلة التكوين العسكري بالعراق، عكس المجموعة التي تعرف عليها أثناء مروره برئاسة الجمهورية أو الحزب كما هو حال عبد القادر بن داود، زيادة على مجموعة الإصلاحات التي كانت تجربتها الأساسية في قطاعات التخطيط (حيدوسي، بن هني علي) أو الصناعة والمؤسسات (محمد غريب، إسماعيل

101. انظر كيف يصف إسماعيل قومزيان اتصال مولود حمروش به لإخباره بتعيينه كوزير في حكومته، ص 213-214.

Goumezi Smail, *Fils de novembre*, Éditions Edif 2000, Alger, 2004, pp. 213-214.

102. المجاهدين وأبناء المجاهدين والشهداء الذين تحولوا لاحقا وبشكل ملفت إلى مجموعات ضاغطة مهمة في الساحة السياسية الجزائرية، بل واستعملوا كقاعدة لأحزاب جديدة كما هو حال التجمع الوطني الديمقراطي الذي رأى النور في ربيع 1997.

103. المظاهرة التي كانت حاضرة قبل الإعلان عن التعددية، خلال التجربة البومدينية أين كان يحتل الوزراء من أعضاء مجموعة وجدة أو أعضاء مجلس الثورة مكانة خاصة لا يملكها الوزراء الباقون، بدرجة أقل وزراء أعضاء المكتب السياسي في حزب جبهة التحرير أثناء فترة حكم الرئيس الشاذلي بن جديد.

104. انظر ما جاء على لسان عبد القادر بوجمعة وزير الشباب والرياضة في حكومة حمروش.

قومزيان). مجموعة قريبة في السن من رئيس حكومتها وتنتمي إلى مناطق جغرافية مختلفة، كانت المرأة غائبة عنها رغم حضورها القوي في الأوساط المهنية والاجتماعية التي اعتمدت عليها مجموعة الإصلاحيين في عملها (القطاع الصناعي، قطاع التخطيط، الإدارة العمومية والجامعة).

عكس مرباح فإن مولود حمروش لم يلجأ إلى تكوين حزب سياسي خاص به حتى الآن، رغم كل الشائعات التي راجت حول الموضوع ورغم التهميش السياسي الذي تعرض له في السنوات الأخيرة، داخل جبهة التحرير نفسها التي سيطرت عليها عصب منافسة أخرى من جيله ومن الأجيال الأكبر سناً. حمروش الذي مازالت بعض وسائل الإعلام تتداول اسمه للعب أدوار سياسية مهمة، كلما ساد الحديث عن تغييرات سياسية على هرم السلطة في الجزائر، بمناسبة الانتخابات أو الأزمات المتكررة التي يعيشها النظام السياسي الجزائري.. تماماً كما حصل في 2019 أثناء الحراك.

كانت ظروف استقالة حكومة سيد أحمد غزالي أسوأ بكثير من سابقتها، فقد ابتعد الرجل عن رئاسة الحكومة، بعد اغتيال رئيس المجلس الأعلى للدولة محمد بوضياف واندلاع أعمال العنف بشكل مكثف وخطير. غزالي الذي كوّن حزبا سياسيا (الجبهة الديمقراطية) لم يتم الاعتراف القانوني به ليومنا هذا (2024)¹⁰⁵، بعد الإعلان عن ابتعاده من قيادة جبهة التحرير التي كان قد تعرض في السابق لإقصاء أول منها، بعد انطلاق حملة معادية للعناصر البومدينية في 1981، كان من بينهم عبد السلام ورضا مالك، ليعود لها مرة أخرى قبل مغادرتها النهائية في سنة 1991 وهو على رأس الحكومة، بعد صراعات كثيرة داخلها ضد تيارات وشخصيات في الحزب بمناسبة الإعلان عن الانتخابات وتكوين حكومته التي التحقت بها عناصر منشقة من عدة أحزاب¹⁰⁶.

حكومة غزالي التي رسخت بشكل واضح في تسييرها اليومي ظاهرة Les deux collègues بين مجموعة أولى من الوزراء، قريبة من رئيسها، تستشار في القضايا السياسية والحساسة التي كانت حاضرة بقوة خلال هذه الفترة، كتنظيم الانتخابات التشريعية المؤجلة وإلغاء الدور الأول منها بعد ذلك، تعيين المجلس الأعلى للدولة، حل الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وتسيير الملف السياسي والأمني، خلال هذه الفترة المضطربة؛ مقابل مجموعة أخرى تكون أغلبية الوزراء من الذين لا رأي لهم في مثل هذه القضايا التي استغرقت كل عمل الحكومة تقريبا. تجربة وصلت إلى حد توقيف اللقاءات مع أعضاء

105. راجت شائعات غير مؤكدة عن إمكانية الاعتراف بالحزب بعد الأحداث التي عرفتها الجزائر في بداية جانفي 2011، لكن عدم تقديم ملف جديد من قبل المؤسسين يكون قد أخر الاعتراف بالحزب في وقت تم فيه الاعتراف بأكثر من 25 حزب جديد.

106. التحق بهذه الحكومة التي عدلت في جويلية وأكتوبر 1992 سعيد قشي بعد انشاقاقه عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ والهاشمي نايت جودي المنشق عن جبهة القوى الاشتراكية.

الحكومة، بعد آخر اجتماع تم إبلاغهم فيه بقرار إلغاء نتائج الدور الأول من الانتخابات وطلب رأيهم في القرار...

«...الوزراء الذين أصبحوا يحصلون على المعلومات من الصحافة، مثل المواطنين العاديين، لدرجة أن رئيس الحكومة لم ير من الضروري حتى بإعلامنا، عن طريق بيانات قصيرة، بالاجتماعات اليومية التي كان يحضرها معه وزراء الدفاع (خالد نزار) والداخلية (العربي بلخير) والعدل (حمداني بن خليل) وحقوق الإنسان (علي هارون) والوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان (أبو بكر بلقايد)...»¹⁰⁷ حسب ما كتبه الوزير ليلي عسلاوي التي عادت لعضوية مجلس الأمة مع الرئيس تبون بعد والمجلس الدستوري لاحقا.

حكومة غزالي وعكس حكومتي مرباح وحمروش، أعادت العمل بتنظيم الوزارات المنتدبة في قطاعات مختلفة كالجماعات المحلية والميزانية والتجارة والمؤسسات الصغيرة والخزينة. تجربة الوزارات المنتدبة ونيابة الوزارة فيما بعد التي خرج من جربها من الوزراء المنتدبين ونواب الوزراء بنظرة غاية في السلبية عنها، خاصة أن اللجوء إلى هذا التنظيم للعمل الحكومي كان بهدف الوصول إلى تحقيق توازنات شللية وجهوية، زادت في شلل الحكومات المتعاقبة التي تميزت بقصر حياتها¹⁰⁸.

حكومة سيد أحمد غزالي التي استمرت الاستشارات قبل تكوينها والإعلان عنها، ثلاث أسابيع كاملة، استقبل خلالها رئيسها المعين العديد من الشخصيات السياسية (قاصدي مرباح، محفوظ نحات، سعيد سعدي... بالإضافة إلى شخصيات مستقلة وأخرى ممثلة للمجتمع المدني). شخصيات قامت باقتراح بعض الأسماء للانضمام للحكومة الجديدة، اختار منها غزالي ثلاثة أو أربعة أسماء. غزالي الذي يعترف أنه استطاع أن ينجح في اقتراح اسم وزير الخارجية (المقصود هنا لخضر الإبراهيمي) الذي قبله الرئيس، رغم تحفظات بعض الأوساط في وزارة الدفاع، على أدائه خلال الأزمة اللبنانية، رغم أن التعيين على رأس وزارة الخارجية من صلاحيات رئيس الجمهورية. «الوحيد الذي رفض اقتراحي بالانضمام للحكومة، كان أحمد طالب الإبراهيمي لأسباب احترامها»، يقول غزالي¹⁰⁹.

سيد أحمد غزالي الذي قرر الترشح لانتخابات 1999 الرئاسية، دون التمكن من جمع عدد الإضاءات الضرورية للترشح الرسمي (75000 صوت)، كما رفض الترشح لانتخابات 2009 الرئاسية، رغم المواقف النقدية التي اتخذها من الرئيس بوتفليقة، الذي تمكن في المقابل من كسب بعض وزراء غزالي السابقين للعمل معه (مراد مدلسي كمثال). سيد

107. Leila Aslaoui, *Les années rouges*, Casbah Éditions, Alger, 2000, p. 189.

108. انظر رأي بعض الوزراء المنتدبين ونواب الوزراء في هذه التجربة ضمن أقسام أخرى من الدراسة.

109. Sid Ahmed Ghazali, Sid Ahmed Ghazali, *Questions d'État. Entretien avec Mohamed Chafik Msbah*, Alger, Casbah Éditions, 2009-08-27, pp. 250-251.

أحمد غزالي التي عرفت الحكومات التي كوّنّها عدم استقرار واضح خلال هذه الفترة، فقد كوّن الحكومة الأولى¹¹⁰ قبل استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد لتخلف حكومة مولود حمروش (جوان 1991). نفس الحكومة التي عرفت تعديلا نوعيا أدخل عليها في أكتوبر 1991 تم بموجبه دخول علي هارون¹¹¹ كوزير منتدب لحقوق الإنسان والعربي بلخير على رأس وزارة الداخلية خلفا لعبد اللطيف رحال، تمهيدا لإجراء الانتخابات التشريعية التعددية الأولى في تاريخ الجزائر السياسي. ليعيد تشكيل حكومة أخرى بعد إلغاء نتائج الدور الأول من الانتخابات التشريعية (فيفري 1992). حكومات غزالي المختلفة التي استهلكت أكثر من 43 وزيرا خلال هذه المدة القصيرة والمضطربة من عمرها الذي لم يتجاوز السنة إلا ببعض الأيام (جوان 1991/جويلية 1992).

غزالي الذي تكونت النواة الوزارية الأساسية التي اعتمد عليها من وزراء غير متجانسين، لا من حيث السن ولا التجربة، ولا حتى الجهة، رغم كل ما قيل عن سيطرة أبناء تلمسان على الحكومة ككل. فقد ضمت هذه المجموعة المحامي علي هارون الذي كانت تجربته السياسية الأساسية في فيدرالية جبهة التحرير بفرنسا والمغرب لاحقا، كما ضمت أبوبكر بلقايد ابن تلمسان الذي كونت فيدرالية جبهة التحرير بفرنسا هو الآخر تجربته الأساسية قبل الاستقلال، كما ضمت هذه المجموعة العربي بلخير (الداخلية) وخالد نزار (الدفاع) اللذان يمكن فهم قوة حضورها بحكم ما ميز الطرف السياسي والأمني الذي اشتغلت فيه هذه الحكومة، زيادة بالطبع على نوعية العلاقات الجيدة التي تربطهما برئيسها سيد أحمد غزالي.

عكس نوعية العلاقات السيئة التي كانت تربط خالد نزار وزير الدفاع، برئيس حكومته الأسبق مولود حمروش التي عبر عنها أكثر من مرة... « كوزير للدفاع لم أكن على علم ولا مرة بما كان يحضره حمروش، الذي لم يكن يجتمع إلا مع مجموعته التي كان يعتمد عليها دائما، فعندما أراه، يكون دائما مع نفس الثلاثي، حمروش - محمدي - حيدوسي الذي يوسع في بعض الأحيان إلى وزراء آخرين »¹¹²...

110. سيد أحمد غزالي يعترف خلال المقابلة-الكتاب الذي أجراه معه شفيق مصباح أنه استشار بعض أصدقائه ووزارة الدفاع فيما يتعلق بالوزارات الأمنية كالدخالية زيادة على الاستشارات الحزبية والسياسية التي قام بها مع الأحزاب الذي اقترح بعضهم أسماء لاحتلال مواقع داخل الحكومة الجديدة... انظر مزيد من التفاصيل عن هذه المشاورات ضمن المرجع المذكور، ص 249-251.

111. يمكن العودة إلى كتاب علي هارون الذي تكلم بالتفصيل عن تجربة هذه الوزارة التي يقول عنها أنها الأولى في العالم العربي كتجربة.

Ali Haroun, *L'éclaircie, promotion des droits de l'homme et inquiétudes 1991/92*, Casbah Éditions, Alger, 2011.

112. Khaled Nezzar, *Algérie échec a une régression programmée*, Publisud, 2001, p. 140.

علما بأن ظاهرة الترشح للانتخابات الرئاسية كانت مشتركة بين أكثر من رئيس حكومة سابق، فقد قام بذلك فعلا مقدار سيفي الذي كان من بين المنسحبين منها احتجاجا على عدم شفافيتها، كما قيل في 1999. كما حاول دون نجاح الترشح لنفس الانتخابات الرئاسية في 2004 التي فشل في الحصول على عدد إضاءات التزكية المطلوبة قانونا للترشح الرسمي، كما حصل لسيد أحمد غزالي ورضا مالك، مما يؤكد القاعدة السياسية الهشة لرئيس الحكومة الجزائري. سيفي الذي كان قد نجح بصعوبة في الوصول إلى البرلمان في 1997 بعد أن ترشح في ولاية تبسة المولود بها، كما كان من مؤسسي التجمع الوطني الديمقراطي الذي غادره بعد استفحال الصراعات داخل هذا الحزب الجديد الذي سيطرت عليه عصب منافسة.

مقداد سيفي الذي التحق بحكومته الساسي العموري¹¹³ كوزير للشؤون الدينية وأول ممثل للقطاع الخاص الجزائري في شخص رجل الأعمال رضا حمياني كوزير للصناعات الصغيرة والمتوسطة، كما ضمت وجوها جديدة كثيرة دخلت الحكومة لأول مرة، تم تجنيدها من داخل قطاع الصناعة الذي ارتبط به سيفي مهنيا قبل تعيينه على رأس الحكومة¹¹⁴. حكومة مقدار سيفي التي قارب عمرها السنتين (أفريل 1994 إلى جانفي 1996) لم تتمكن من الإفلات من الضغوط التي ميزت الوضع الأمني والاقتصادي الصعب، ليتم التخلي عن رئيسها من قبل رئيس الدولة ليامين زروال لصالح مدير ديوانه أحمد أويحيى الذي لم يكتف بالسيطرة على الجهاز التنفيذي، بل زاده بالسيطرة على حزب التجمع الوطني الديمقراطي الذي استقال منه سيفي والذي تم تكوينه والتحضير له خلال هذه الفترة اعتمادا على هذه النخبة الوزارية التي لم تكن تملك تجربة في العمل الحزبي البعيدة عنه حتى في ظل الأحادية، كما جرت العادة بالنسبة للإطارات المسيرة في التجربة الجزائرية، والذين اكتفوا بالعمل الإداري والتسيير.

مقداد سيفي الذي طلب منه رئيس الجمهورية، ليامين زروال، العمل بعد الإقالة، كوزير دولة برئاسة الجمهورية، من دون صلاحيات واضحة. في مكان عمله الجديد بالرئاسة الجمهورية التي عرفت اضطرابا أكيدا في تسييرها خلال هذه المدة، وجد مقدار سيفي الكثير من الوجوه التي كانت وراء إبعاده من رئاسة الحكومة، مما جعله يفضل دخول الانتخابات التشريعية التي برمجت في 1997 ومغادرة رئاسة الجمهورية. ليكون

113. ظاهرة ضم المنشقين عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ أو التيار الإسلامي ككل المحسوب عليها أو القريب منها تدعمت بعد تجربة سعيد قشي والساسي لعموري بانضمام أحمد مراني القيادي السابق بالجبهة بحكومة أحمد أويحيى، علما بأن الرجل كان قد التحق بالعمل الحكومي كمستشار مع سيد أحمد غزالي قبل الانضمام للحكومة.

114. كالساسي عزيزا ونور الدين بحبوح وحسن العسكري وعمار مخلوفي الذين عينوا رأس كل من وزارة التجارة، الفلاحة، العمل والتكوين المهني والصناعة والطاقة.

بذلك ضمن قائمة رؤساء الحكومات الذين كانت لهم تجربة متفاوتة كبرلمانيين على غرار عبد العزيز بلخادم وعلي بن فليس وأحمد أويحيى¹¹⁵.

عبر رضا مالك هو كذلك عن نيته في الترشح للانتخابات الرئاسية 1999، دون نجاح، كما كون حزبا سياسيا هو الآخر (التحالف الوطني الجمهوري) في سنة 1995، بعد ابتعاده من رئاسة الحكومة مع مجموعة من الوجوه السياسية المعروفة من جيله، كعلي هارون ومحمد سعيد معزوزي. الحزب الذي شارك في حكومة أحمد بن بيتور وعلي بن فليس الأولى 2000، قبل أن يتخذ مواقف معارضة من الوضع السياسي ويغادر الحكومة بعد رفضه المشاركة في الانتخابات التشريعية 2002¹¹⁶. رضا مالك الذي قرر الابتعاد عن رئاسة التحالف الوطني الجمهوري لأسباب تبدو لها علاقة واضحة بوضعه الصحي في سنة 2009، زيادة على اعتبارات سياسية جعلت الرجل يقتنع بعدم جدوى العمل الحزبي في هذا الطرف السياسي. الحزب الذي لم يتمكن من فرض وجوده السياسي حتى الآن في كل الاستحقاقات الانتخابية التي نظمها الجزائر، بعد العودة إلى المسار الانتخابي¹¹⁷، حتى وهو يتخذ مواقف مؤيدة للرئيس بوتفليقة الذي عين أمينه العام الجديد بلقاسم ساحلي كاتب دولة مكلف بالجالية في الخارج لمدة قصيرة في 2012، الرجل الذي عرف مساره السياسي مشاكل مع العدالة وهو يترشح للرئاسيات في 2024 لاتهامه بشراء أصوات المنتخبين.

حكومة رضا مالك التي خلفت حكومة عبد السلام بلعيد في ظرف سياسي، أمني واقتصادي صعب جدا ضمت وجوها جديدة زيادة على ما أبقته من وزراء عبد السلام بلعيد. من هذه الوجوه الجديدة التي ستدخل الهيئة التنفيذية نجد أحمد أويحيى ككاتب دولة لدى وزير الخارجية مكلف بالشؤون المغاربية، كما ستضم لأول مرة أبو بكر بن بوزيد كوزير منتدب لدى وزير التربية مكلف بالجامعات والبحث العلمي الذي عرف مساره السياسي استمرارية كبيرة كوزير في قطاع التربية¹¹⁸، بالطبع دون نسيان ليامين زروال كوزير للدفاع خلفا لخالد نزار الذي التحق برئاسة المجلس الأعلى للدولة، كما ضمت مقداد سيفي كوزير للتجهيز وهو المنصب الذي تم تعيينه فيه من قبل في حكومة عبد السلام بلعيد.

115. رغم نجاح أحمد أويحيى في الانتخابات التشريعية ضمن قوائم التجمع الوطني الديمقراطي فإنه لم يزاوِل العمل البرلماني، مفضلا عنه المنصب الحكومي كل مرة عكس ما فعل بن فليس وسيفي وخاصة عبد العزيز بلخادم الذي وصل إلى رئاسة الهيئة التشريعية.

116. عين بلقاسم ساحلي الأمين العام الذي خلف رضا مالك على رأس الحزب كاتب دولة لدى وزير الخارجية مكلفا بالجالية الجزائرية بالخارج في حكومة عبد المالك سلال 2012.

117. لم يفز الحزب إلا بثلاث مقاعد في تشريعات 2012.

118. أبعد أبو بكر بن بوزيد من الحكومة في سبتمبر 2012، ليعين في مجلس الأمة ضمن الثلث الرئاسي.

حكومة رضا مالك، لم تشتغل في ظرف أمني وسياسي صعب فقط، بل في وضع اقتصادي ومالي سيء، تميز بالضغوط التي مارستها المؤسسات المالية الدولية على الجزائر، للدخول معها في مفاوضات لإعادة جدولة الديون الخارجية والاتفاق حول برنامج إعادة الهيكلة. وضع قد يفسر لجوء رضا مالك إلى تعيين وزير للاقتصاد في شخص مراد بن أشنهو، المعروف بعلاقاته بالبنك الدولي¹¹⁹، عكس ما قام به عبد السلام بلعيد وحتى سيد أحمد غزالي اللذان فضلا إلحاق وزارة الاقتصاد برئاسة الحكومة لتسيير القطاع مباشرة من قبل رئيس الحكومة نفسه، وهو ما لم يرقم به رضا مالك، لاختلافه في الخلفية المهنية كرجل دبلوماسي بعيد عن عالم الاقتصاد.

غزالي الذي لم يلجأ إلى هذا الخيار إلا بعد إقالة الاقتصادي المعروف حسين بن يسعد، القريب من جبهة القوى الاشتراكية¹²⁰ الذي احتل هذا الموقع لمدة قصيرة. في حين استعانت حكومة رضا مالك في المجال الاقتصادي والمالي بخبرة أحمد بن بيتور كذلك كوزير للطاقة¹²¹، وهي الوزارة التي احتلها عبد النور كيومان في حكومة عبد السلام بلعيد. في حين فضل غزالي منح قطاع الطاقة إلى أحد معارفه القديمة، نور الدين آيت الحسين، الذي كان قد اشتغل معه في مديرية سوناطراك.

نفس نية الترشح للرئاسيات أبداها عبد السلام بلعيد الذي لم يتمكن من تكوين حزب سياسي خاص به، رغم نشاطه الإعلامي والسياسي الكبير الذي قام به، بعد إبعاده من رئاسة الحكومة والذي صرح خلاله أن إقالته من رئاسة الحكومة، كانت تحت ضغط قيادات من الجيش، بعد ظهور بوادر صراعات معها حول التوجهات الاقتصادية تحديدا¹²². عبد السلام بلعيد الذي عرفت مدة وجوده على رأس الحكومة تصعيدا كبيرا في الأزمة الأمنية وعدم استقرار أكبر على مستوى الهيئة الرئاسية الجماعية التي كان على رأسها العقيد علي كافي الذي غادر الرئاسة لصالح وزير الدفاع ليامين زروال الذي نصبته الندوة الوطنية للحوار

119. درس مراد بن أشنهو في الولايات المتحدة وفرنسا للحصول على شهادة دكتوراه وهو ابن عم الاقتصادي المعروف عبد اللطيف بن أشنهو الذي احتل موقع وزارة المالية في حكومة بوتفليقة ابن تلمسان مثله.

120. انظر ضمن أقسام أخرى من الدراسة ما قاله حسين بن يسعد حول تجربته داخل هذه الحكومة، شكل انضمامها لها وإبعاده منها وخاصة رأيه في تجربة الوزير المنتدب الذي عينه له غزالي للعمل معه في شخص مراد مدلسي.

121. انظر بالتفصيل كيف يشرح أحمد بن بيتور طريقة العمل في المجال المالي وتقسيم الأدوار بين رئاسة الحكومة ورئاسة الجمهورية ودوره في الاتصال بالمؤسسات المالية الدولية ضمن مؤلفه المذكور في المراجع. Ahmed Benbitour, *Radioscopie de la gouvernance algérienne*, Éditions Edif 2000, novembre 2006.

122. عبد السلام بلعيد كان رئيس الحكومة الوحيد الذي جاء باقتراحات لم تسير الاتجاهات الوطنية والدولية السائدة، فقد تكلم عن اقتصاد حرب ورفض القبول باقتراحات المؤسسات المالية الدولية. لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى الموقع الإلكتروني لسيد عبد السلام بلعيد المذكور أعلاه.

الوطني رئيسا للدولة 1994، قبل أن ينتخب مباشرة من الشعب في أول رئاسيات تعددية في الجزائر 1995¹²³.

عبد السلام بلعيد الذي استعان بعلاقاته السياسية القديمة لتكوين حكومته على غرار مجموعة الطلبة القدماء الذين عرفهم خلال تجربة الحركة الطلابية (آيت شعلال، طاهر حمدي، عبد النور كيرمان) بالإضافة إلى تلك العلاقات التي نسجها خلال مساره على رأس قطاع الصناعة والطاقة خلال التجربة البومدينية، كما كان الحال بالنسبة إلى مقداد سيفي وأحمد بن بيتور ومعمر بن قربة، زيادة إلى بعض الوجوه الشابة المحسوبة على تجربة الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية (عبد القادر خمري وحمراوي حبيب شوقي).

على غرار تجربة سيد أحمد غزالي على رأس الحكومة، فإن عبد السلام بلعيد قد استحوذ على تسيير وزارة الاقتصاد، زيادة على رئاسته للحكومة مع تعيين وزيرين منتدبين للمالية والخزينة. تجربة حكومة عبد السلام مثل تجربة حكومة قاصدي مرباح، خرج عدد كبير من المشاركين فيها كوزراء بصورة غاية في السلبية، من طريقة تسيير رئيسها لها وشروط العمل فيها¹²⁴. ناهيك عن الصراعات التي دخلت فيها مع المحيط الوطني الإعلامي والسياسي.

بمجرد ظهور بوادر الاستقرار على مستوى الرئاسة، بعد تعيين رئيس الدولة الجديد (ليامين زروال) والمبادرة بتنظيم الانتخابات الرئاسية 1995 ظهر استقرار كبير على رئاسة الحكومة؛ فقد استمر مقداد سيفي في منصبه حوالي السنتين، وأكثر بالنسبة لأحمد أويحيى (ثلاث سنوات من ديسمبر 1995 إلى ديسمبر 1998). أويحيى الذي لم يغادر منصبه إلا بعد الإعلان عن الانتخابات الرئاسية المسبقة وعودة عدم الاستقرار إلى الرئاسة، بعد الاستقالة المسبقة للرئيس ليامين زروال.

عدم الاستقرار الذي تأكد فعلا من خلال المدة القصيرة التي قضاها كلا من إسماعيل حمداني وأحمد بن بيتور الذي استقال بشكل علني ومكتوب لأول مرة في التاريخ السياسي للجزائر، بعد شرح أسباب عدم اتفاقه مع الرئيس الجديد عبد العزيز بوتفليقة الذي كان قد عينه على رأس الحكومة، بعد نجاحه في الانتخابات الرئاسية (ديسمبر 1999) ليكون ثاني رئيس حكومة بعد مرباح-الشاذلي في الكشف عن عدم التفاهم بينه وبين رئيس الجمهورية، في تحديد الصلاحيات الدستورية بينهما، كمرکزي قرار.

123. تنظيم الانتخابات الرئاسية في هذه الفترة كانت أحد التحديات الكبيرة التي قامت بها الدولة في مواجهة الجماعات الإرهابية التي مهددت بالردة كل من يشارك في هذه الانتخابات التي تمت عموما في ظرف أمني مقبول. لتكون محطة فارقة في شعبية الإسلام السياسي الجذري الذي خسر رهان المقاطعة.

124. انظر مواقف كل من أحمد بن بيتور وفاروق طبال ومحمد الصغير باباس ومعمر بن قربة، كلهم وزراء في حكومة عبد السلام خرجوا بنظرة نقدية واضحة لعمل الحكومة وطريقة رئيسها في التسيير والتعامل.

بن بيتور الذي شرح أسباب استقالته بشكل علني في رسالته لرئيس الجمهورية، ذكر من بينها استحواذ الرئيس على صلاحيات رئيس الحكومة في تعيين وزرائه... « ... ومن جهة أخرى وفي مهرجان شعبي بمدينة وهران في 6 جوان 2000 أعلنتم بوضوح وعلنا بأنكم غير موافقين على الإجراءات التي تفرضها المادة 77 من الدستور المتعلقة بتعيين رئيس الحكومة وتجاهلتم المادة 79 من نفس الدستور باختياركم مجموع وزراء الحكومة، وهو ما يعني أنكم استحوذتم على أهم صلاحياتي الدستورية... »¹²⁵. علما بأن هاتين المادتين كانتا ضمن مواد دستور 1996 المعدلة من قبل الرئيس بوتفليقة في نوفمبر 2008.

أحمد بن بيتور الذي فضل الحضور الإعلامي والتدخل المباشر في النقاش العام حول القضايا السياسية والاقتصادية، لم يعمل على تكوين حزب سياسي أو ما يشبهه، رغم حديثه عن مشروع لإخراج الجزائر من أزمتها أكثر من مرة على مستوى وسائل الإعلام¹²⁶. بن بيتور الذي يذكر في كتابه الذي خصصه للحديث عن تجربته السياسية أن الرئيس بوتفليقة قد طلب منه أثناء المقابلة التي خصه بها بعد الإعلان عن استقالته من رئاسة الحكومة مباشرة... « بعدم التفكير في إنشاء حزب لأن النظام السياسي الجزائري لم ينضج بعد لدرجة القبول بحزب سياسي، يعتمد على أفكار مثل التي تدعو لها »¹²⁷. رغم عدم تكوين حزب حتى الآن (2024) فقد انخرط بن بيتور مع أكثر من رئيس حكومة سابق (بن فليس، سيفي، غزالي، وحتى حمروش جزئيا وفي بعض النشاطات) في تكوين تنسيقية الانتقال الديمقراطي بعد العهدة الرابعة للرئيس بوتفليقة التي دخلت في مواجهة واضحة له والنظام السياسي، مطالبة بانتخابات رئاسية مسبقة وتكوين لجنة مستقلة لتنظيم الانتخابات بدل وزارة الداخلية... الخ¹²⁸.

ثالث رئيس حكومة يمكن أن يضم إلى القائمة المستقلة، علي بن فليس الذي دخل في مواجهة صريحة مع الرئيس بوتفليقة، بعد تنظيم المؤتمر الثامن لجبهة التحرير وإعلان نيته في الترشح لرئاسة الجمهورية وخوضها في مواجهة الرئيس بوتفليقة الذي فاز بها بنسبة عالية في أبريل 2004. علي بن فليس الذي ظهرت ملامح شخصيته وتحالفاته السياسية في الحكومة الثانية (جوان 2002/أفريل 2003) التي كونها بعد نتائج الانتخابات التشريعية التي فاز بها حزب جبهة التحرير وليس في الحكومة الأولى (أوت 2000/جوان 2002) التي

125. Ahmed Benbitour, *Radioscopie de la gouvernance algérienne*, Éditions Edif 2000, novembre 2006, p. 159.

126. انظر مقابلة له مع يومية الوطن في 23 أوت 2009.

127. Ahmed Benbitour, *Radioscopie de la gouvernance algérienne*, Éditions Edif 2000, novembre 2006, p. 161.

128. ارجع إلى تصريح مزفران بزرالدة ليوم 10 جوان 2014، الصادر عن لقاء التنسيقية.

قادها مباشرة بعد استقالة أحمد بن بيتور، فقد تمكن الأمين العام لحزب جبهة التحرير من اقتراح أسماء جديدة مقربة منه، فرضها داخل الهياكل القيادة لجبهة التحرير قبل ضمها للحكومة على غرار الوزارات اللائي دخلن الحكومة بهذا الحجم لأول مرة في تاريخ الجزائر السياسي، فقد ضمت هذه الحكومة خمس نساء، ثلاث منهن من اقتراح علي بن فليس، إذا استثنينا فتيحة منتوري ابنة عائلة منتوري الفرجيوية¹²⁹ (الوزيرة المنتدبة المكلفة بالإصلاح المالي) التي جاءت من قطاع البنوك، بعد مرور سريع على رئاسة الجمهورية، وخليدة تومي المنشقة عن حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، التي استمرت مثلها مثل منتوري في عضوية الحكومة، بعد إبعاد الأمين العام لجبهة التحرير، علي بن فليس والوزيرات الأخريات المحسوبات عليه، كبثينة شريط الوزيرة المنتدبة لقضايا المرأة والعائلة، الباحثة الجامعية في العلوم الاجتماعية وفاطمة الزهراء بوشملة، المحامية، الوزيرة المنتدبة للجالية الجزائرية بالخارج، وليلى بوتليليس، أستاذة الطب وابنة حمو بوتليليس، القيادي المعروف في الحركة الوطنية بالغرب الجزائري (الوزيرة المنتدبة المكلفة بالبحث العلمي). الوزارات اللائي كن قد انخرطن وحصلن على مواقع داخل حزب جبهة التحرير باقتراح من الأمين العام، علي بن فليس، مثلما كان أمر مولود حمروش مع وزرائه.

المناضلات الجديديات اللائي انضممن إلى اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير وترشحن إلى الانتخابات التشريعية التي فزن فيها في العاصمة (بثينة شريط وبوشملة في العاصمة¹³⁰، أما بوتليليس، فكان ترشحها في معقل العائلة وهران). قبل دخولهن الحكومة الثانية لعلي بن فليس كوزيرات منتدبات. حكومة بن فليس التي ضمت وزراء محسوبين عليه كان لهم مسار قريب يشبه مسار زميلاتهم النساء، فقد ضمت هذه الحكومة عبد الحميد عطار كوزير للموارد المائية، المدير العام السابق لسوناطراك ويوي زين الدين وزير المواصلات وتكنولوجيا الإعلام والاتصال، رئيس جامعة البليدة، وحميد عباد وزير التعليم والتكوين المهنيين، طبيب الأسنان. جماعة اعتبرت قريبة من رئيس الحكومة والأمين العام للحزب علي بن فليس، يمكن إضافة لها بعض الوجوه مثل عبد الحميد أبركان (أستاذ الطب) وزير الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات، عبد القادر صلاط الوزير المنتدب المكلف بإصلاح السجون، وحتى نور الدين طالب وزير العلاقات مع البرلمان، أبعادوا كلهم بعد مغادرة علي بن فليس الحكومة.

129. الأخت الصغرى للدكتور بشير ومحمد الصالح منتوري الوزير أكثر من مرة ورئيس المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي..

130. لمزيد من التفاصيل حول المنحدرات الاجتماعية والمسار التعليمي والمهني للوزيرات انظر القسم الخاص بالمرأة الوزيرة.

بالطبع حكومة بن فليس مثل الحكومات التي تلتها ضمت كذلك مجموعة « وزراء بوتفليقة » الذين تواجدوا داخل كل الحكومات التي تكونت منذ وصول بوتفليقة للحكم في 1999. وزراء سيطروا على مواقع مهمة بما فيها وزارات السيادة، ميزتهم الرئيسية علاقاتهم الشخصية بالرئيس الجديد وانتماؤهم في الغالب إلى ولاية تلمسان، مثل رئيس الجمهورية (يزيد نور الدين زرهوني وزير الداخلية، شبيب خليل وزير الطاقة والمناجم، حميد تمار وزير المساهمة وترقية الاستثمارات، الطيب لوح وزير العمل والشؤون الاجتماعية، الطيب بلعيز وزير العدل، عمار تو وزير الصحة والنقل، دحو ولد قابلية الوزير المنتدب لدى وزير الداخلية المكلف بالجماعات المحلية، جمال ولد عباس وزير التضامن والتشغيل¹³¹ ... إلخ. وزراء فرضهم بوتفليقة على كل رؤساء الحكومات الذين عينهم منذ عودتهم إلى الحكم في 1999.

نفس الاستقرار الذي سلاحظه في وزراء حركة مجتمع السلم (الإخوان المسلمين)، داخل حكومات هذه الفترة، فزيادة على رئيس الحركة الذي تسبب انضمامه إلى الحكومة كوزير دولة في أزمة زادت في أسباب الانشقاق داخل الحركة¹³²، فإن الحركة قد مثلها خلال هذه الفترة كل من عمار غول (وزير الأشغال العمومية¹³³)، مصطفى بن دادة¹³⁴ (وزير الصناعات الصغيرة والمتوسطة والصناعات التقليدية)، الهاشمي جعبوب (الصناعة والتجارة لاحقا)، إسماعيل ميمون (الصيد البحري). الحركة التي كانت قد مثلتها وجوه سياسية أخرى في حكومات سابقة كان من بينهم عبد القادر سماري¹³⁵، عبد المجيد مناصرة، عبد القادر بن قرينة، سيد علي بوليل، واحتلت حتى الآن مواقع وزارية تقنية واقتصادية، إذا استثنينا موقع وزير الدولة الذي احتله شيخ الحركة الذي أبعد لاحقا من رئاستها بعد المؤتمر الخامس للحركة ماي 2013. دون أن ترشح أي امرأة.

131. الوحيدان اللذان غادرا الحكومة بعد تعيين رئيس وزراء جديد (عبد المالك سلال 2012) هما جمال ولد عباس ونور الدين زرهوني.

132. أبوجرة سلطاني كان أول منصب وزاري له ككاتب دولة للصيد البحري (1996-98) ثم وزيرا للصناعات الصغيرة والمتوسطة 1998-2000 فوزيرا للعمل والشؤون الاجتماعية (2000-2001) ليحتل موقع وزير دولة دون حقبة بعد ذلك.

133. انشق عن الحركة مباشرة بعد الانتخابات التشريعية 2012 التي فاز بها على رأس ولاية العاصمة ليستمر في حكومة سلال في نفس المنصب بعد أن كون حزبا سياسيا جديدا (تجمع أمل الجزائر-تاج). تميز الرجل وحزبه بدفاع مستميت عن الأوضاع السياسية القائمة عبر عنها بالمشاركة في حملة الرئيس بوتفليقة الانتخابية للعهدة الرابعة.. انتهى به المطاف في السجن بتهمة فساد خطيرة بعد انطلاق الحراك الشعبي في 2019.

134. رفض الخروج من حكومة سلال عكس ما طلبت منه الحركة ليستمر في نفس الموقع وينشق عمليا على حزبه.

135. انظر التقديم الذي قمنا به إلى عينة من وزراء حمس مثلوا الحركة في الحكومات المتعاقبة مثل عبد القادر سماري وعلي بوليل وعبد المجيد مناصرة وعبد القادر بن قرينة الممثلين لإطارات الحركة والمنتمين إلى جهات مختلفة (الشرق بالنسبة لسماري ومناصرة، الغرب بالنسبة لبوليل والجنوب بالنسبة لعبد القادر بن قرينة، رغم ما يجمعهم من خصائص سوسيولوجية مشتركة).

ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011.

علما بأن مواقف المعارضة التي اتخذها بن فليس منذ إعلانه عن ترشحه ضد الرئيس بوتفليقة في انتخابات 2004 قد استمرت معه لاحقا وتجذرت أكثر بمناسبة الانتخابات الرئاسية (2014) التي ترشح فيها مرة أخرى ضد الرئيس بوتفليقة، الذي اتهمه في كتاب أبيض حول الانتخابات بالتزوير في أكثر من مرحلة من مراحل العملية الانتخابية¹³⁶. بن فليس الذي انخرط بقوة في مبادرة التنسيقية من أجل الانتقال الديمقراطي من خلال قطب التغيير الذي ضم مجموعة صغيرة من الأحزاب السياسية الصغيرة قبل أن يؤسس حزبه في ديسمبر 2014¹³⁷، الذي غادر قيادته وابتعد عن كل نشاط سياسي رسمي بعد خسارته في الانتخابات الرئاسية التي ترشح فيها سنة 2019، التي فاز بها عبد المجيد تبون. أحمد أويحيى كان رئيس الحكومة الأول الذي عاد إلى منصبه أكثر من مرة إلى غاية 2019، انتهت به في السجن بتهم فساد خطيرة، منذ أول تعيين له على رأس الحكومة في عهد الرئيس ليامين زروال (1995-1998)، ليعينه الرئيس بوتفليقة مرتين على رأس الحكومة في 2003 و2008، رغم أن حزبه (التجمع الوطني الديمقراطي) لم يكن هو صاحب الأغلبية في البرلمان ورغم ما أشيع إعلاميا عن سوء علاقات بين الرجلين وطموحات أويحيى السياسية. أحمد أويحيى الذي نظمت حكومته التعديل الدستوري الذي تم بموجبه تغيير منصب رئاسة الحكومة إلى وزارة أولى، منزوعة الصلاحيات بالمقارنة مع ما كان موجودا قبل التعديل الذي زاد على العكس من صلاحيات الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الذي سمح له التعديل بالترشح لمنصب رئاسة الجمهورية دون تحديد عدد العهود، عكس ما كان موجودا في دستور 1996.

أويحيى الذي عينه الرئيس بوتفليقة مرتين على رأس الحكومة، كانت الأولى بعد إبعاد علي بن فليس (2003)، حين اكتفى فيها بإبعاد الوزراء المحسوبين على الأمين العام لجبهة التحرير الذي ترشح ضد الرئيس بوتفليقة، في أول سابقة من هذا النوع، والثانية مكان عبد العزيز بلخادم الأمين العام لنفس الحزب، دون أن يقوم بأي تغيير على تشكيلة الحكومة (2008)، عكس ما لاحظناه على حكومته الأولى في عهد الرئيس ليامين زروال في أول تجربة له على رأس الحكومة، أين يمكن ملاحظة بصمات الرجل من خلال حضور خريجي المدرسة الوطنية للإدارة ضمن طاقم الحكومة من جيل رئيسها، كأحمد عطايف وزير الخارجية وكمال حكيمي وزير السكن ولحسن موساوي كاتب الدولة للتعاون والشؤون المغاربية وتجاني صلاونجي كاتب الدولة للهجرة.

حكومة أويحيى الأولى (جانفي 1996) التي كانت أول حكومة تضم ممثلين للأحزاب السياسية رسميا في شخص أبوجرة سلطاني (كاتب الدولة للصيد البحري، ممثلا لحركة

136. مديرية حملة المترشح علي بن فليس. الانتخابات الرئاسية لعام 2014. كتاب أبيض حول التزوير. جوان 2014.

137. طلائع التغيير الذي حصل على وصل القبول من قبل وزارة الخارجية في 21 ديسمبر 2014.

مجتمع السلم) وعبد العزيز بلمهيدي وزير السياحة والصناعات التقليدية، ممثلا عن حزب التجديد الجزائري. إذا استثنينا بالطبع ذلك « التمثيل » الذي قام به بعض المنشقين عن أحزابهم القديمة، كما هو حال أحمد مراني المنشق عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ الذي انضم إلى حكومة أويحيى الأولى كوزير للشؤون الدينية.

ظاهرة انضمام الأحزاب السياسية التي ستندعم فيما بعد على شكل تحالف رئاسي ثلاثي الأقطاب (جبهة التحرير، التجمع الوطني الديمقراطي، حركة مجتمع السلم)، إذا استثنينا التجربة القصيرة التي قام بها التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية¹³⁸ أو حركة النهضة بدءا من حكومة أحمد بن بيتور. هذه المشاركة في الحكومات من قبل مناضلي الأحزاب التي زادت من ظاهرة الانشقاق داخل الأحزاب نفسها، فقد انشق على سبيل المثال عمارة بن يونس عن التجمع من أجل الثقافة بعد تجربة الحكومة، الذي أعلن عن تكوين حزب¹³⁹. نفس الانشقاق الذي قام به عبد العزيز بلمهيدي عن حزب التجديد الجزائري الذي غادره رئيسه نورالدين بوكروح لاحقا، بعد تجربة الحكومة التي دخلها لأول مرة مع حكومة أحمد بن بيتور كوزير للتجارة¹⁴⁰. نفس الابتعاد الملاحظ عن حركة النهضة الذي قام به علي عبد الوهاب دربال¹⁴¹ ومحمد بوغازي اللذان فضلا الالتحاق بالعمل الدبلوماسي بالخارج، في حين استقر المقام ببوغازي برئاسة الجمهورية كمستشار في عهد الرئيس بوتفليقة ثم سفيرا بالسعودية ووزير سياحة لاحقا في حكومة عبد العزيز جراد 2020.

نفس الانشقاق الذي كان مصير عبد المجيد مناصرة وعبد القادر بن قرينة، ممثلي حركة مجتمع السلم داخل الهيئة التنفيذية في النصف الثاني من التسعينيات كوزيرين للصناعة والسياحة بدءا من حكومة أحمد أويحيى الثانية (جوان 1997)¹⁴². فقد كان بن قرينة ومناصرة من القيادات التي أعلنت عن انسحابها من حركة مجتمع السلم، بعد أن

138. مثل التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية عمارة بن يونس كوزير للصحة/الأشغال العمومية ولوناوسي حميد في حكومة أحمد بن بيتور قبل استقالتهما من حكومة علي بن فليس التي شاركا فيها لغاية انطلاق أحداث منطقة القبائل. كما شارك في الحكومة باسم حركة النهضة عبد الوهاب دربال كوزير مكلف بالعلاقات مع البرلمان ومحمد بوغازي كوزير للأشغال العمومية.

139. كون فيما بعد حزب الحركة الشعبية الجزائرية. انتهى به المطاف في السجن بتهم فساد كالكثير من وزراء هذه الفترة.

140. بوكروح فضل العمل الحر بعد التجربة السياسية التي قام بها بعد الإعلان عن تكوين حزبي التجديد الجزائري في أوت 1989 والانضمام إلى الحكومة لاحقا كوزير للتجارة. بوكروح كان قد ترشح لأول انتخابات رئاسية تعددية في 1995 وفشل في توفير شروط الترشح الرسمي لها في 1999 ضد بوتفليقة الذي عينه وزيرا للتجارة في حكومة أحمد بن بيتور 2000.

141. زيادة على مناصبه الدبلوماسية في السعودية وبروكسيل عين دربال رئيسا للهيئة المستقلة لتنظيم الانتخابات في 2017.

142. توسعت مشاركة حركة مجتمع السلم إلى عدة وزارات (السياحة، الصناعة وإعادة الهيكلة، المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، النقل)، يغلب عليها الطابع التقني البعيد عن الجوانب الثقافية والأيدلوجية. انظر في هذا الصدد ما جاء على لسان عبد المجيد مناصرة وعبد القادر بن قرينة وعلي بوليل حول هذه التجربة الحكومية.

أعلنت عن تكوين حركة الدعوة والتغيير ثم البناء لاحقا (2009)¹⁴³. وهو نفس ما قام به عمار غول في 2012 الذي انشق عن الحركة وكون حزبا سياسيا جديدا (تجمع أمل الجزائر تاج) ليستمر في حكومة سلال 2012.

أويحيى الذي يعد رئيس الحكومة الوحيد حتى الآن الذي عين كأمين عام لحزب التجمع الوطني الديمقراطي، ليكون بذلك أول رئيس حكومة خارج جبهة التحرير التي احتل أمينها العام مرتين رئاسة الحكومة (علي بن فليس وعبد العزيز بلخادم) بالإضافة بالطبع إلى تجربة مولود حمروش وحتى سيد أحمد غزالي اللذان كانا قرييين من جبهة التحرير، رغم الصراعات السياسية والذاتية التي ميزت العلاقة بين الهيئة التنفيذية ورئيسها، مع قيادات الحزب في تلك الفترة، وصلت في الكثير من الحالات إلى أزمت فعلية ساهمت في استقالة رئيس الحكومة وإبعاده عن هذا الموقع.

الاستقالة من المنصب السياسي التي مازالت غير مقبولة ولا محبذة كسلوك سياسي داخل النظام السياسي الجزائري الذي تسيطر على سلوكات الفاعلين داخله أفرادا وجماعات، ثقافة السرية والكتمان عندما يتعلق الأمر بظروف مغادرة المنصب السياسي والولوج إليه، علما بأن الانتخابات التي كانت حجة إبعاد أويحيى وتنصيب حمداني في نهاية التسعينيات (1998) كانت هي نفسها الانتخابات التي أسقطت حكومة مولود حمروش وغزالي في بداية التسعينيات، وحكومة علي بن فليس بالنسبة للرئاسيات (2004) وهي الانتخابات التي لم تفلح كوسيلة في حل مسألة التداول على السلطة أو حتى مساعدة النظام السياسي الجزائري على إنجاز مهام الانتقال إلى نظام أكثر شفافية وفعالية حتى الآن.. ارتبطت فيه الانتخابات شعبيا ولدى فئات واسعة بالأزمة بل والعنف، فلم تفك القائم منها وأضافت الجديد.

أخيرا يمكن أن نلاحظ أن رئيس الحكومة الوحيد الذي غادر مواقع رئاسة الحكومة، دون ضجة ولم يعرف عنه أي مواقف معارضة أو أي نشاط سياسي أو حزبي، بعد الابتعاد من رئاسة الحكومة التي جاء إليها كرئيس حكومة انتقالية بمهمة واضحة (تنظيم الانتخابات الرئاسية المبكرة بعد استقالة الرئيس ليامين زروال المبكرة) هو إسماعيل حمداني الذي استمر في أداء ما هو مطلوب منه كموظف كبير، غير معني بالعمل السياسي والحزبي. ظاهرة الوزير الأول التكنوقراطي التي تجددت بعد الإعلان عن التعددية الحزبية في الجزائر مع عبد المالك سلال الذي عين على رأس الحكومة في سبتمبر 2012 بعد انتخابات فازت بها رسميا جبهة التحرير الوطني. ليعود إلى نفس الموقع في أبريل 2014 بعد فوز عبد العزيز بوتفليقة لعهدة رابعة كان هو رئيس الحملة الانتخابية فيها، ليكون بذلك

143. عبد السلام علي راشدي الوزير المنتدب للجامعات في حكومة حمروش، القيادي في حزب جبهة القوى الاشتراكية، انشق هو الآخر بعد تجربة الحكومة عن حزبه وحاول تكوين أكثر من حزب دون نجاح كبير (البديل، السبيل).

ثاني رئيس وزراء بعد أحمد أويحيى يعود أكثر من مرة إلى رئاسة الحكومة قد يكون مؤشر مهم تأكيداً لما روج خلال تلك الفترة من شائعات عن دور سياسي مستقبلي للرجل قد يوصله هذه المرة إلى قصر المرادية كرئيس جمهورية على منوال نفس الشائعات والتخمينات التي تتكلم عن نفس المستقبل السياسي لأحمد أويحيى. ليكون العكس تماماً في انتظار الرجلين اللذين سجننا تحت طائل تهمة خطيرة بالفساد كنتيجة لتداعيات ما عرفه النظام السياسي من اضطراب وصراع أجنحة على وقع الحراك وإقالة بوتفليقة في 2019. لنكون أمام سابقة تحصل أول مرة مع الوزير الأول المغادر، في حالة عبد العزيز جراد الذي غادر منصبه نحو سفارة الجزائر بإستكهولم بالسويد لفترة قصيرة بين 2021 و2023 ليكون أول رئيس وزراء يتحول من رئاسة الحكومة إلى السفارة. السفارة التي كانت قد اقترحت على جراد أكثر من مرة كما حصل بعد إبعاده من الأمانة العامة لوزارة الخارجية، في حين توجه من سبقه من رؤساء حكومات إلى السجن كما كان الأمر مع أويحيى وعبد المالك سلال ونور الدين بدوي الذي اتهم في قضايا فساد مرتبطة بمنصبه كوالي في قسنطينة قبل الوصول إلى رئاسة الوزراء.

بعض الاستنتاجات... هل هو فشل نظام أم أبناء النظام ؟

ينسب إلى مولود حمروش، القول أنه ابن النظام السياسي الجزائري، ملمحاً أنه ولهذا السبب بالذات قد يكون الأقدر على إصلاحه وتغييره نحو الأحسن، لمعرفته به من الداخل، إذا وصل إلى رئاسة الجمهورية.

العرض الذي قمنا به لحالة رؤساء الحكومات، والوزراء كجزء مهم من النخبة السياسية، يبين أن هذه المقولة ليست صحيحة تماماً، فأبناء النظام بخصائصهم التي تكلمنا عن البعض منها، تؤكد عموماً أننا أمام استمرارية سوسيولوجية وثقافية متعددة الأوجه وعلى أكثر من صعيد، لم تشفع لهذا الجزء من النخبة السياسية بالنجاح في مهمة التغيير التي نادى بها لتبرير وصوله إلى موقع رئاسة الحكومة، لم يؤهل هذا الجزء من النخبة لإنجاز عملية الانتقال السياسي التي وصلت إلى رئاسة الحكومة لإنجازها أو طالبوا بها باحتشام وهم في مواقع « المعارضة » بعد خروجهم من السلطة.

فقد فشل أبناء النظام هؤلاء لمدة أكثر من ثلاث عقود في إصلاح نظامهم الذي عرفوه حتى قبل الاستقلال بالنسبة للجيل الأول من رؤساء الحكومات. فلم يحالف النجاح هؤلاء التكنوقراطيين والبيروقراطيين، في أداء وظائفهم السياسية الجديدة التي لم يتعودوا على أدائها، في هذا الجو السياسي والاجتماعي المأزوم الذين وصلوا فيها إلى هذا المنصب. هم الذين تخصصوا داخل دوايب النظام ومنذ علاقاتهم الأولى معه في مناصب تسيير اقتصادي وإداري، في الغالب تؤهلهم لها مساراتهم التعليمية والمهنية وتخصصاتهم

العلمية وشهاداتهم. تحت القيادة السياسية لجيل أكبر في السن، احتل المواقع السياسية وسيطر في اتخاذ القرار لمدة طويلة على مقاليد القرار السياسي واحتكره لنفسه. فشل رئيس الحكومة الجزائري، بعد الإعلان عن التعددية، في الاحتفاظ بمنصبه لإنجاز الحد الأدنى من مشاريعه السياسية والاقتصادية حتى تلك التي كانت مبرر وصوله إلى هذا المنصب الهام، كإجراء انتخابات مقبولة النتائج أو الشروع في حل بعض المعضلات الاقتصادية والانطلاق في تطبيق الإصلاحات. فقد كان عامل الزمن العدو الرئيسي بالنسبة للأغلبية الساحقة من رؤساء الحكومات، فلم يتمكنوا من جعل مركز القرار هذا (رئاسة الحكومة) مركزا مستقلا وذا حضور وفاعلية في علاقاته مع مراكز القرار الأخرى، بما فيها رئيس الجمهورية الذي عادة ما يضحى به في أول صراع جدي، بين الأجهزة والمواقع المختلفة للنظام.

رئيس الحكومة¹⁴⁴ الذي عادة ما تسوء علاقاته بسرعة مع رئيس الجمهورية الذي « يكلف » محيطه المباشر (مستشارون ومقربون آخرون) داخل الرئاسة بتبليغه إلى المعني بشكل غير رسمي، عن طريق تلميحات وضغوط، دون أن تصل إلى وسائل الإعلام إلا تلميحاً¹⁴⁵، كما جرت العادة في هذا النظام السياسي المغلق، قبل أن يصل الأمر إلى الأزمة والإقالة العلنية، كما حصل أكثر من مرة، في هذا الطرف المضطرب سياسيا وأمنيا، مهما كانت نوعية العلاقات بينهما في السابق والتي كانت عادة ما تتميز بالقدم والاحتكاك الوظيفي والمهني المباشر.

كما فشل الأغلبية من رؤساء الحكومات حتى الآن في استعمال وتجربة كامل الصلاحيات الدستورية الجديدة التي ميزت مرحلة التعددية وآلياتها. فقد بينت تجربة أكثر من ثلاث عقود أن إمكانية وجود رئيس حكومة مختلف/معارض سياسيا لرئيس الجمهورية، حالة غير واردة سياسيا حاليا في الجزائر، رغم إمكانياتها القانونية والدستورية النظرية على الأقل التي عبر عنها الدستور بشكل واضح من خلال المادة 103¹⁴⁶. فلم يقبل رئيس الجمهورية من رئيس الحكومة حتى الآن لا المعارضة ولا حتى الاختلاف في وجهات النظر واستعمال صلاحياته الدستورية، بما فيها تلك المرتبطة بتعيين أعضاء الطاقم الحكومي ووضع برنامج

144. لا نفرق ونحن نتكلم عن هذا المنصب بين رئاسة الحكومة ورئاسة الوزراء.

145. عكس ما حصل مع الوزير الأول أيمن عبد الرحمن الذي تكلفت وكالة الأنباء الجزائرية الرسمية في نهاية شهر فيفري 2023 بالتصريح أن الرئيس تبون غاضب منه ومن وزرائه، نتيجة الآجال الطويلة في تجسيد المشاريع. زيادة على الأرقام التقريبية التي تتعامل بها الحكومة. غادر على إثرها رئيس الوزراء منصبه في حين استمرت الحكومة دون تغيير كبير.

146. يقود الحكومة وزير أول في حال أسفرت الانتخابات التشريعية عن فوز أغلبية رئاسية. يقود الحكومة رئيس حكومة في حال أسفرت الانتخابات التشريعية عن أغلبية برلمانية.

لحكومته، حتى ولو كان رئيس حزب حاصل على الأغلبية البرلمانية كما كان الحال أكثر من مرة مع قياديي حزب جبهة التحرير.

هذا الفشل السياسي الذي حاول أن يستفيد منه الكثير من رؤساء الحكومات، بعد مغادرة منصب رئاسة الحكومة بالابتعاد عن المكانة التكنوقراطية التي كانت السائدة لديهم كتنشئة اجتماعية تاريخية ومواقع، نحو أدوار ومهام أكثر سياسية بتكوين وقيادة أحزاب والترشح للانتخابات الرئاسية والإعلان عن مواقف سياسية معارضة ومستقلة في بعض الأحيان، عن طريق القنوات الإعلامية التي تتيحها التعددية الإعلامية في الجزائر. أدوار معارضة جديدة لم تنجح حتى الآن في التأثير الجدي على الأوضاع السياسية في البلاد في اتجاه الإصلاح.

فشل لا يمكن فهمه من جهة أخرى، دون العودة إلى مستويات مؤسساتية وسياسية كلية ماكرو سياسية كالخريطة الحزبية غير المستقرة والمبهمة المعالم والعلاقات المضطربة، بين مراكز القرار المختلفة والخصوصيات التي تميز العلاقة بين المدني والعسكري في الجزائر، التي مازالت غير مدروسة بما فيه الكفاية، رغم حضورها الدائم كفرضية مفسرة للكثير من الأحداث والاتجاهات السياسية. شروط التنشئة السياسية التي ميزت هذه الأجيال من السياسيين داخل الحركة الوطنية وبعد الاستقلال وبعض ما يميزهم كأفراد ومسارات، قد تكون هي الأخرى من المستويات التي لا يجب أن تغفل في محاولة تفسير هذا الفشل الذي ميز هذا الموقع السياسي داخل مؤسسات النظام السياسي في الجزائر.

الجدول رقم 27 : بعض المعطيات حول رؤساء الحكومات في الجزائر منذ الإعلان عن التعددية

الاسم واللقب	سنة المولد	مكان الاّزادياد	جهة الاصل	المحدر الاجتماعي	التجربة المهنية الأساسية	عسكري / مدني	التخصص العلمي	الشهادة العلمية	لغة العمل الأساسية	مدة البقاء على رأس الحكومة
قاصدي مرباح	1938	قرية	القبائل	غني	المخابرات	عسكري	حقوق	ليسانس	ف	نوفمبر 88/سبتمبر 89
حمروش مولود	1943	مدينة كبرى	الشرق	فقير	الرئاسة	عسكري	ع / سياسية	دبلوم دراسات متخصصة	م	سبتمبر 89/جوان 91
غزالي أحمد	1937	مدينة صغيرة	الغرب	متوسط	البترول	مدني	هندسة	شهادة مهندس	ف	جوان 91/جويلية 92
عبد السلام بلعيد	1928	قرية	القبائل	غني	الصناعة	مدني	طب	سنة أولى طب	ف	جويلية 92/أوت 93
رضا مالك	1931	مدينة متوسطة	القبائل	غني	الديبلوماسية	مدني	آداب / فلسفة	ليسانس	ف	أوت 93/أفريل 94
سيفي مقداد	1940	قرية	الشرق	فقير	الصناعة	مدني	هندسة	شهادة مهندس	ف	أفريل 94/ديسمبر 95
اويحيى أحمد	1952	قرية	القبائل	فقير	الديبلوماسية	مدني	إدارة/ع سياسية	دبلوم دراسات متخصصة	ف	ديسمبر 95/ديسمبر 98 ماي 2003/2006
حمداني إسماعيل	1930	مدينة صغيرة	القبائل	متوسط	رئاسة الحكومة / الديبلوماسية	مدني	حقوق	ليسانس	م	ديسمبر 98/ديسمبر 99
بن بيتور أحمد	1946	قرية	الجنوب	غني	الصناعة	مدني	اقتصاد	دكتوراه	ف	ديسمبر 99/أوت 2000
بن فليس علي	1944	قرية	الشرق	متوسط	العدالة	مدني	حقوق	ليسانس	م	أوت 2000/أفريل 2003
بلخادم عبد العزيز	1945	قرية صغيرة	الجنوب	فقير	الرئاسة + المجلس الشعبي الوطني	مدني	لغة مزدوج	إجازة في اللغة العربية	م	2006/ماي 2008
سلال عبد المالك	1948	مدينة كبيرة	قبائل	متوسط	الإدارة المحلية والديبلوماسية	مدني	مفترس	الوطنية للإدارة المدرسة	ف	/2012
جراد عبد العزيز	1954	مدينة صغيرة	الشرق	متوسط		مدني	مزدوج	علوم سياسية باريس	ف	سنة ونصف بين ديسمبر 2019 و جوان 2021

الوزارة الجزائرية

الأصول السوسيو-ثقافية والمسار الطويل والمتقطع نحو الحكومة

الفهرس

393	مقدمة عامة وبعض التساؤلات...
399	كيف ومتى وصلت المرأة الوزيرة إلى الحكومة؟
402	المرأة... الوصول البطيء والمتقطع إلى قصر الحكومة
413	الوزيرة الجزائرية : من الاجتماعي إلى التحدث باسم حكومات الرجال
418	خلاصة جزئية حول حضور المرأة المتواضع في الحكومات الجزائرية
	المنحدرات الاجتماعية للوزيرة الجزائرية:
420	من أين جند النظام السياسي الجزائري وزيراته؟
424	الوزيرات بنات الفلاحين الكبار والمتوسطين. بنات الريف والتراكم الاجتماعي
428	الوزيرات بنات الوسط الفلاحي الصغير
431	الوزيرات بنات « التحول » والدخول إلى المدينة والهجرة
437	الوسط الثقافي العائلي للوزيرة الجزائرية
440	الجدة، القاضي والإمام
445	حالة عائلة منتوري... استمرارية في عملية إنتاج النخبة
448	انتشار للتعليم... وعدم التجانس في المسارات الاجتماعية والمهنية
452	الانتشار المتقطع للتعليم
454	خلاصة جزئية... هل نحن فعلا أمام وسط اجتماعي متميز؟
457	المسار التعليمي للوزيرات الجزائريات ... المحاميات والطبيبات
467	كيف وصلت المرأة الجزائرية إلى قصر الحكومة؟
468	المسار التاريخي المرتبط بثورة التحرير والحركة الوطنية
475	المسار المرتبط بالحركة الجمعوية والاتحاد الوطني للنساء الجزائريات
482	الوزيرات « الحزبيات ». بسمه، زرواطي، وفاء
492	الوزيرات « المهنيات »
499	خلاصة وبعض الاستنتاجات

مقدمة عامة وبعض التساؤلات...

يحلو لبعض النساء النشاطات، داخل صفوف الحركة النسوية عندما كانت في حالة صعود، خلال العقود الأولى للاستقلال، القول أن المرأة الجزائرية التي ساهمت مع الرجل، في تحرير البلاد أثناء حرب التحرير، سرعان ما فرض عليها دخول المنزل بعد الاستقلال والانزواء داخله. وهو قول فيه الكثير من الصحة، فالمرأة الجزائرية، الأم والأخت الزوجة والصديقة، لم تتمكن من فرض وجودها في الفضاءات العامة بعد الاستقلال، بكل خصائص هذا الفضاء العام السوسيو-ثقافية الجديدة¹.

فقد عرفت المدينة الجزائرية بُعيد الاستقلال مباشرة، هجرة واسعة لسكانها الأوروبيين، نحو التراب الفرنسي، عوضتها هجرة داخلية واسعة، في وقت قياسي²، من قبل عائلات جزائرية ريفية. ناهيك عن الهجرة الداخلية الأقدم، التي تعرضت لها المدينة، أثناء سنوات حرب التحرير وحتى قبلها بسنوات. هجرة استقرت بالأحياء القصديرية التي اشتهرت بها المدينة الجزائرية بالإضافة إلى القصبة والقليل من الأحياء الشعبية المعروفة على هامش الأحياء الأوروبية، كمنتج كولونيالي عرفته أغلبية المدن الكبرى والمتوسطة التي سكنها الأوروبيون زيادة على سكانها الأصليين³.

المدينة الكولونيالية بطابعها الثنائي المعروف في ميدان العمران، السلوك، الثقافة، اللغة والدين... الخ التي عاش فيها الجزائريون، لم تكن تقبل في الأصل بخروج المرأة الجزائرية إلى الفضاء العام الذي تم التعامل معه كفضاء مخصص للأوروبيات، دون غيرهن كقاعدة

1. Mohammed Brahim Salhi, *Algérie citoyenneté et identité*, Éditions Achab, Tizi Ouzou 2010.

يقدر صالح في المؤلف المذكور أعلاه ص 193/192 اعتمادا على مراجع جزائرية أن عدد المجاهدات كان في حدود 10. 949 من بينهن 81 بالمائة ضمن صفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير، مقابل 19 بالمائة التحقن بالجيال حسب دراسة جميلة عمران التي يستشهد بها. في حين يذكر محفوظ بنون دائما في نفس المرجع، أن عدد المنخرطات في المنظمة المدنية لجبهة التحرير في حدود 3271 مناضلة. 64 بالمائة منهن كن مسؤولات عن التمرين ومخابئ المجاهدين. في حين كان 22 بالمائة من المناضلات في صفوف المنظمة المدنية، يقمن بمهام الاتصال. و3 بالمائة فقط كن يقمن بمهام عسكرية داخل المدن كفدائيات ومكلفات بنقل الأسلحة والعمليات. في الأخير يذكر نفس المرجع أن 2 بالمائة فقط من المناضلات كن يحملن السلاح مقابل أغلبية تقوم بمهام الطبخ والغسيل والتمريض. فالموقع التقليدي للمرأة الجزائرية لم يتغير جذريا حتى وهي في الجبال تشارك في حرب التحرير.

2. Malika Rahal, *Algérie 1962. Une histoire populaire*, Éditions La découverte, Paris, 2020.

3. Rachid Sidi Boumediene, *Bétonville contre bidonvilles. Cents ans de bidonvilles a Alger*, Apic Éditions, Alger, 2016.

عامة إلا في حالة الاستثناء، كالخروج للدراسة بالنسبة للبنات المتحدرسات أو العاملات، على قلتهم، بكل ما عرف عنهم من سوء تأهيل (عاملات تنظيف في منازل الأوربيين)، يسهل التعرف عنهم وهن متوجهات للعمل صباحا بلباسهن التقليدي المعروف⁴.

تمكن هؤلاء المهاجرون الجدد، الريفيون، من أبناء المناطق الأكثر تضررا من حرب التحرير كمنطقة القبائل والشمال القسنطيني وبعض مناطق الهضاب العليا الوسطى والشرقية⁵، من فرض عاداتهم وثقافتهم على مدنهم الجديدة، بسرعة هائلة؛ لتطغى على مدينة ما بعد الاستقلال الكثير من السلوكيات المعادية للمرأة، عندما يتعلق الأمر بخروجها إلى الفضاءات العمومية⁶. كان هذا هو الواقع الجديد الذي كان في انتظار هذه الأم الريفية «الحضرية» حديثا وهي تستفيد رغم ذلك بالكثير من الخدمات الجديدة التي قدمتها لها المدينة، داخل المنزل العصري الذي احتلته العائلة بعد مغادرة العائلات الأوروبية له (كهرباء، غاز، ماء، تلفزيون، راديو... الخ). لنكون أمام أول عمليات تجسيد واسعة للاستقلال، استفاد منها هؤلاء المهاجرون الذين دخلوا إلى المدينة بهذا الشكل الجماعي وفي ظرف سياسي متميز، سردت المؤرخة الجزائرية مليكة رحال الكثير من تفاصيلها في كتابها المذكور في مراجع الدراسة أعلاه.

في المقابل استفادت البنت الجزائرية ومن مختلف الأوساط الاجتماعية، من فرص التعليم الكثيرة التي وفرتها لها الدولة الوطنية بعد الاستقلال، داخل هذه المدن نفسها، قبل أن تعمم على كامل التراب الوطني لاحقا، لتمس المناطق الريفية بدرجات متفاوتة. المدينة الجزائرية التي استمرت في موقفها الأكثر قبولا وتساهلا مع تعليم البنت، مقارنة بعملها وخروجها لاحقا لاحتلال مكانتها الطبيعية في الفضاءات العامة، فالتشجيع الذي وجدته البنت الجزائرية وهي تتوجه للدراسة - بما فيها الجامعية ولو بدرجات متفاوتة - من وسطها الاجتماعي الحضري الجديد، لم تجد ما يساويه، وهي تتوجه للعمل المأجور خارج المنزل، ومن باب أولى خروجها لاحتلال مكانتها داخل الفضاءات العامة والمؤسسات الاجتماعية والسياسية التي ظهرت بعد الاستقلال.

مؤسسات عرفت تغييرات عميقة كفضاءات فكرية ومؤسسات تنشئة، كما تبيينه حالة الجامعة التي... كان طالب الستينات فيها في الغالب من أصول حضرية، من أبناء

4. عكس ظاهرة الحجاب التي لم تكن معروفة كان السائد بالنسبة للجزائرية العاملة من أوساط شعبية هو «الحايك» الأبيض بالنسبة للعاصمة و«الملاية» السوداء لنساء الشرق. في مقابل السفور الذي كان هو السائد بالنسبة للطالبات والتلميذات إلى غاية النصف الثاني من الثمانينات تاريخ ظهور الحجاب.

5. لم يهاجر إلى العاصمة التي أخذناها على سبيل المثال كحالة مثالية للحديث عن المدينة، أبناء المناطق الغربية الذين فضلوا الهجرة إلى مدن المنطقة الغربية القريبة كوهراة وسيدى بلعباس التي عرفت هجرة أوروبية منها بعيد الاستقلال مباشرة لما عرفت به هذه المدن من تواجد أوروبي كبير قويا داخلها.

6. على سبيل المثال لا يزال تدخين المرأة علنا في الشارع أو الأماكن العامة غير مقبول من قبل هذه الثقافة الجزائرية السائدة حتى الآن الذي ربطت التدخين بالأوروبية مما جعل الجزائرية تمتنع عليه كقاعدة عامة.

الفئات الوسطى والعليا، المقيمة في المدن الكبرى الساحلية. فئات تتعامل أساسا باللغة الفرنسية... لتجنب تجربة بداية الألفية الجديدة، الطالب-الأغلبية الذي يأتي بأعداد كبيرة، من داخل الجزائر العميقة. طالب يتعامل بالعربية، صاحب ثقافة إسلامية⁷، يعيش وضعية هشاشة كبيرة على أكثر من صعيد، رغم سيطرته الكمية على الجامعة. ضمن مسار هذه التحولات الكبرى التي قادتها الدولة الوطنية، تؤكد المعطيات الإحصائية المتوفرة حول استفادة البنات في الجزائر⁸ أننا أمام ظاهرة انتشار واسع للتعليم، بمختلف مراحل، استفادت منه البنات في الجزائر. انتشار تؤكد جميع المعطيات الإحصائية، حتى ولو أن الكثير من الدراسات تبين أن الفتاة الريفية الفقيرة التي تسكن المناطق الجبلية المعزولة، في الصحراء وفي الهضاب العليا، استمرت لوقت طويل بعد الاستقلال في المعاناة من صعوبات الاستفادة من مختلف أطوار التعليم، بما فيها الابتدائي والمتوسط. وضع لم يمنع البنات من أن يكن ذوات حضور كبير في المراحل العليا من التعليم، كما تبينه الإحصائيات الرسمية المتعلقة بنتائج البكالوريا والتعليم الجامعي التي منحت الجزائر مكانة أولى في تخريج المهندسات على مستوى العالم في بداية الألفية⁹. في المقابل تؤكد الدراسات الكثيرة أن المدرسة الجزائرية العمومية التي انتشرت بعد الاستقلال، تعيد إنتاج الأفكار والقيم الداعية إلى تهميش المرأة خارج الفضاء العام، جزئيا على الأقل. تهميش قد يبدأ من داخل المدرسة نفسها، كما تبينه دراسة محتويات الكتاب المدرسي على سبيل المثال¹⁰. في الوقت الذي طورت فيه البنت الجزائرية استراتيجية الاستفادة القصوى من نظام التعليم، للخروج من المكانة الدونية التي تقترحها عليها القيم التقليدية والمحافضة للمجتمع الجزائري الذكوري، كما تبينه نتائج شهادة البكالوريا على سبيل المثال التي مالت للبنات بشكل واضح¹¹. اتجاه غالب تدعم أكثر مع الوقت، بعد أن فترت علاقات الذكور بالمدرسة من أبناء الفئات الاجتماعية الفقيرة خاصة، الذين استهواهم

7. Djamel Guerid, *L'exception algérienne, la modernisation à l'épreuve de la société*, Casbah Éditions, Alger, 2007, Chapitre 9, L'université et ses étudiants. Des années soixante aux années 2000, p. 279-308.

8. كل استطلاعات الرأي الوطنية - على قلتها - والدولية، تؤكد قبولا جزائريا كبيرا في حق البنات في الدراسة الجامعية. لتكون أمام قبول أقل عندما يتعلق الأمر بالعمل خارج المنزل.

9. https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000375429_fre.

10. *Rassemblement algérien des femmes démocrates et fonds des nations unies pour la population, Masculin/féminin, égalité et mixité à l'école*, étude réalisées par Zoubida Heddab, Brahim Benmoussa, Coordination de Omar Lardjane, Alger, 2003.

11. Kamel Kateb, *L'émergence des femmes au Maghreb, une révolution inachevée*, Apic Éditions, Alger, 2015.

العمل في القطاعات غير الرسمية، لترتفع نسب تسربهم ابتداء من عقد التسعينيات جراء تفاقم الأزمة الاقتصادية بكل تداعياتها الاجتماعية المعروفة¹².

علما بأن المرأة الجزائرية لم تستفد من العمل المأجور بنفس الدرجة التي استفادت بها من التعليم، فقد كان تعليم البنت - بما فيه التعليم الجامعي - أكثر شرعية في عيون الأهل والمجتمع ككل من عملها المأجور خارج المنزل، فقوة العمل النسوي لم تسجل حضورا إلا في حدود لا تتجاوز العشرين بالمائة من سوق العمل. تركزت في قطاعات الخدمات والصحة والتعليم والإدارة بما فيها القضاء الذي تحتل فيه المرأة الجزائرية مكانة متميزة في المنطقة العربية بنسبة تقارب النصف من المجموع الكلي للقضاة¹³.

من هنا نفهم، جزئيا على الأقل، سر ما ميز سوق العمل الجزائرية من نخبوية، بعد الاستقلال وانطلاق برامج التنمية الرسمية ولغاية النصف الثاني من التسعينيات من القرن الماضي¹⁴. الفترة التي بدأت فيها بوادر تغيير في النظرة الاجتماعية السائدة لعمل المرأة، التي كانت لا تتسامح في الغالب إزاء خروج المرأة للعمل إلا إذا كانت مؤهلة، كما عكسته الإحصائيات الوطنية. خروج لم يساعد عليه الخيارات الاقتصادية التي تبنتها الدولة الوطنية بعد الاستقلال والمعتمدة على الصناعة الثقيلة¹⁵ التي لم تكن عاملا مساعدا على تكوين يد عاملة نسوية بالحجم المعقول، ناهيك عن غياب الاهتمام بقطاع الخدمات الذي كان يمكن التعويل عليه لمساعدة المرأة على الخروج للعمل المأجور، بحجم أكبر كما حصل في تجارب عربية ودولية أخرى.

الوضع الاقتصادي والاجتماعي الكارثي الذي عاشته الجزائر خلال أكثر من عقد كامل في تسعينيات القرن الماضي (العشرية السوداء)¹⁶ كان من نتائجه تغيير في هذه النظرة الاجتماعية لعمل المرأة، في اتجاه قبول أكثر لعملها خارج المنزل حتى وإن لم تكن مؤهلة

12. سجلت البنات نسبة 66.47% من مجموع التلاميذ الحاصلين على تقدير في شهادة التعليم المتوسط ووصلت هذه النسبة إلى 81.29% بالنسبة للحاصلين على تقدير ممتاز. حسب وزير التربية أبو بكر بن بوزيد في كتاب منشور له :

Boubeker Benbouzid, *La réforme de l'éducation en Algérie, enjeux et réalisations*, Casbah Éditions, Alger, 2009, p. 264.

13. 48 بالمائة بالضبط في سنة 2022. منهن 51 بالمائة في مجلس الدولة و80 بالمائة في المحاكم التجارية المتخصصة.

14. *L'emploi féminin en Algérie*, Abdelkrim Saoudi (chef de projet), Institut national du travail, Alger, 2005.

15. Fatiha Talahit, *Le pouvoir, les technocrates et le travail des femmes en Algérie*, in <http://multitudes.samizdat.net/Le-pouvoir-les-technocrates-et-le>.

16. عانت عائلة الوزيرة الجزائرية من ظاهرة الاغتيالات التي مست بعض أفرادها القريبة، كما بينته حالة اغتيال زوج ليلى عسلاوي طبيب الأسنان في مكتبه بوسط العاصمة. نفس الوضع الذي عانتها عائلة سكبنة مسعدي إثر اغتيال الأخ الضابط السامي بالجيش الوطني الشعبي. وسليمة سواكري أخيرا التي فقدت أختها الشرطي بالعاصمة في نفس الفترة تقريبا.

أو ذات تأهيل ضعيف. فالعائلة الجزائرية أصبحت أكثر قبولاً بخروج ابنتها إلى العمل، بعد أن فرضت عليها أو/و أقنعتها بالحجاب، دون مراعاة لشروط العمل، ونوعية النشاط، كما كانت تفعل في السابق عندما كانت تفضل نشاطها في قطاع الخدمات الاجتماعي (التربية، الصحة والإدارة)، الذي لا يتعارض من وجهة النظر المحافظة السائدة مع الوظائف التقليدية للمرأة. قطاعات لا يجب أن ننسى كذلك أن رب العمل فيها هو الدولة الوطنية بكل ترسانتها القانونية الحامية.

لتدخل المرأة الجزائرية قطاعات جديدة عليها في عالم الشغل¹⁷، بعد التقلص الذي عرفه دور الدولة واختفاء جزئي للقطاع العام، لصالح القطاع الخاص والقطاع غير الرسمي في المقام الأول. قطاعات نشاط جديدة، تتميز كما يمكن توقع ذلك، بضعف الحماية القانونية داخلها وظروف عملها الصعبة وأجورها الضعيفة وانعدام شبه كلي للعمل النقابي داخلها. عكس ما كان سائداً عند رب العمل الأول : الدولة الوطنية.

يتم هذا الخروج للمرأة إلى سوق العمل بمواصفاته الجديدة والمتنوعة، في ظرف فكري وسياسي يتميز بظهور قوي لتيارات سياسية وفكرية محافظة وتقليدية في الجزائر، كما رأينا ذلك في الجامعة. جو فكري عكسته بعض استطلاعات الرأي والدراسات الحديثة، التي جاء فيها... أن قضية حقوق المرأة بما فيها الحق في العمل تقسم المجتمع إلى طرفين متساوين تقريباً، الأول مؤيد والآخر على العكس معارض. الاستطلاع الذي جاء في خلاصته العامة أن المواقف المؤيدة لحقوق المرأة تقلصت لصالح تلك المتحفظة عليها أو المعادية لها بين الاستطلاع الأول الذي جرى في 2000 والثاني في 2008¹⁸. عكس القبول الواسع الذي تجده المرأة كقوة عمل حتى وإن كانت متزوجة، كما يظهر في آخر استطلاع أجري في 2011، الذي بين أن 79.5 من الجزائريين موافقون على عمل المرأة المتزوجة خارج المنزل، مقابل أقلية فقط ترفض عملها خارج المنزل 18.2¹⁹. نتائج هذا الاستطلاع التي قد تفسر بالأزمة الاقتصادية التي تعانيها الكثير من الأوساط الاجتماعية، مما جعلها « تتسامح » مع خروج المرأة للعمل في السنوات الأخيرة.

خسرت المرأة العاملة الجزائرية بعد ظهور التوجهات الاقتصادية الجديدة المانحة لدور أكبر للقطاع الخاص على حساب القطاع العام الذي كانت تتمتع داخله بحماية قانونية ونقابية أكبر تحت سلطة الدولة الوطنية. فهل استفادت من الفرص التي يمكن

17. لمزيد من المقارنات مع الحالة الدولية انظر المرجع التالي الذي يقدم معطيات عن حضور المرأة السياسي داخل الحكومات بالقطاعات التي تحتلها والبرلمانات.

http://archive.ipu.org/pdf/publications/wmnmap14_fr.pdf.

18. Centre d'informations et de documentation sur les droits de l'enfant et de la femme, Connaissance des droits des femmes et des enfants en Algérie (sondage d'opinion), juin 2008.

19. جريدة الوطن ليوم 17 جانفي 2012.

أن يوفرها القطاع الخاص لها كربة عمل على رأس مؤسسات اقتصادية هذه المرة وليس كأجيرة؟ الدراسات القليلة²⁰ التي بدأت في التوفر منذ سنوات ورغم عدم اتفاقها دائما على نفس المعطيات الكمية يمكن أن تمنحنا تفاصيل أكثر حول الحضور النسوي في هذا المجال. على رأسها تلك التي تخبرنا أن المرأة الجزائرية بدأت في أخذ مكانتها في هذا العالم الجديد ككل على الجزائريين، بنسب متواضعة في حدود 17.42 بالمائة من المجموع الكلي للمؤسسات، بحيث لا تتجاوز المشاريع الموجهة للمرأة حوالي 10 بالمائة فقط.

رغم هذه المعطيات الإحصائية التي اهتمت بدراسة تحديد مكانة المقاولاتية النسوية الجزائرية في بداية ظهورها في مجتمع يشكو من قلة المعطيات الإحصائية (2010)²¹.

الدراسات الأحدث التي اهتمت بالمقاولاتية النسوية في الجزائر وهي تقارنها مع محيطها الإفريقي أكدت أن حضور المرأة على رأس المؤسسات الاقتصادية لا يعكس مستوى استفادة المرأة من التعليم العالي والتكوين المهني... الذي يبقى في حاجة إلى قرارات سياسية حاسمة من قبل الدولة الوطنية حسب مؤسسات المجتمع المدني المهتمة بعالم المقاولاتية النسوية في القارة الإفريقية²².

وهو ما أكدته دراستنا التي لم نلتق فيها بأي امرأة مقاوله وصلت إلى موقع الوزارة انطلاقا من هذا الموقع المهني، إذا استثنينا حالة المحاميات اللاتي رأينا كيف يعدن إلى مكاتبهن بمجرد الانتهاء من تجربة الوزارة أو الطبيبات اللاتي فضلن التوجه نحو القطاع العام كأستاذات طب. خيار قد يكون مرتبطا بالثقافة السياسية السائدة لدى هذه الأجيال من النساء عند انطلاق مسارهن المهني الذي كان حاضرا فيه بقوة القطاع العمومي وليس القطاع الخاص كما أكدته تجربة الوزيرة أنيسة بن عمر²³ التي حاولت بعد ابتعادها عن موقعها في الحكومة أن تتوجه نحو تكوين مكتب دراسات خاص -1992- أغلقتة بعد عدة شهور لتتوجه نحو مواقع داخل مؤسسات الدولة كالمجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي ومجلس الأمة، كانت الأكثر ضمنا بالنسبة لهذا الجيل الذي تربى في ظل حماية الدولة الوطنية الريعانية.

20. Fatima Tahir Metaiche, Abdeslam Bendiabdellah, *Les femmes entrepreneurs en Algérie. Savoir, vouloir et pouvoir in revue marché et organisations. L'avenir des économies du Maghreb* 2016, 2^e Éditions, L'Harmattan, Paris, 2016.

<https://www.cairn.info/revue-marche-et-organisations-2016-2-page-219.htm>.

21. المرجع السابع أعلاه، ص 13.

الدراسة اعتمدت على عينة من 36 مؤسسة موزعة على كامل التراب الوطني، خلقتها نساء ومسيرة من قبلهن.

22. Abedou Abderrahmane, Ahmed Bouacoub, Elkaina Hammache, *L'entrepreneuriat féminin en Afrique*, Éditions Chihab, Alger, 2023, p. 49.

23. انظر المقابلة مع وزيرة التكوين المهني أنيسة بن عمر في : ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، ص 216.

المرأة الجزائرية التي لا تزال ضعيفة الحضور²⁴، في الفضاء العام السياسي والحزبي، رغم ذلك الاختراق الذي سجلته على مستوى البرلمان، بعد تطبيق قانون التمييز الإيجابي الذي جاء به التعديل الدستوري لسنة 2008 وما احتواه قانون الانتخابات الجديد (2012)²⁵. إضافة إلى الحياة الجمعوية التي سجلت فيها المرأة بروزا معقولا، بالمقارنة مع المجالات السياسية والنقابية، أكثر من ربع قرن بعد الإعلان عن التعددية²⁶. علما بأن التعددية لم تكن قطيعة نوعية مع فترة الأحادية السياسية، فقد ساعد الخطاب السياسي الرسمي السائد وطنيا بمحتواه الاقتصادي، على تخفيف نزعة محافظة، لدى النخب الرسمية الحاكمة، عندما يتعلق الأمر بالمرأة وحقوقها، مانحا نبذة «عصرية» ضعيفة الحضور في الأصل لدى هذه الفئات الحاكمة. في حين وجد هذا الخطاب بالغلاف «العصري»، الممنوح له، صدى قويا نسبيا لدى الكثير من قوى اليسار المشبعة بالطرح الدولي، الحاضر داخل الحركات الاجتماعية والسياسية المنادية بتحرير المرأة وحقوقها، فقد تم شبه توافق إيديولوجي بين عدة أطراف فاعلة في السلطة والمعارضة شبه الرسمية، مفاده بأن المرأة الجزائرية لا تملك خصوصيات في طرح قضاياها، منفصلة عن قضايا واهتمامات المجتمع الاجتماعية، الاقتصادية والثقافية الكلية، مما أثر سلبا على تكوين حركات نسوية مستقلة وفعالة خلال هذه الفترة²⁷.

كيف ومتى وصلت المرأة الوزيرة إلى الحكومة ؟

كان هذا الإطار العام السياسي والفكري والاقتصادي الاجتماعي العام الذي التحقت فيه المرأة الجزائرية بالحكومة لأول مرة في بداية الثمانينات. إطار عام حاولنا عدم الغوص في تفاصيله مكتفين ببعض المحطات الهامة المرتبطة بالتعليم والعمل ومن ورائهما الهجرة نحو المدينة باعتبارها من السيوروات الثقيلة ذات التأثير الحاسم، لفهم التغييرات التي عرفها المجتمع الجزائري ومكانة المرأة فيه.

من مفارقات الحالة الجزائرية أن انضمام المرأة إلى الحكومة لم يحصل خلال فترة حكم الرئيس بومدين التي تحسب كتجربة «يسارية» في بعض ملامحها العامة، على الأقل،

24. رغم أن استطلاعات الرأي الحديثة في الجزائر 2011 تؤكد أن 57.1 بالمائة من الجزائريين والجزائريات موافقون على تولي المرأة لمنصب الوزارة، مقابل 39 بالمائة من المعارضين. و 55.7 بالمائة من المعارضين عندما يتعلق الأمر بمنصب رئيس دولة مقابل 41.4 بالمائة يوافقون على تولي المرأة لهذا المنصب الهام. انظر جريدة الوطن ليوم 17 جانفي 2012.

25. مما أوصل 145 امرأة إلى البرلمان (31.8) في أول انتخابات طبق فيها هذا القانون الجديد الذي وجد معارضة قوية وملتوية من قبل الفكر الذكوري المسيطر حزبيا.

26. ناصر جابي، المرأة العربية والوصول إلى البرلمان، ركود، استقرار، أم تراجع، دراسة منجزة لصالح برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، بيروت، أوت 2008، يمكن الرجوع لها في موقع البرنامج <http://www.pogar.org>

27. ناصر جابي، الجزائر من الحركة العمالية إلى الحركات الاجتماعية، المعهد الوطني للعمل، الجزائر، 2001.

مقارنة بما جاء بعدها. مما يؤكد على الاستمرارية العميقة التي تحكم المجتمع الجزائري ونخبه إزاء الموقف من المرأة، رغم اختلاف التعبيرات السياسية المؤقتة والمرحلية.

استمرارية تجعلنا نتساءل في إطارها عن القوانين الاجتماعية التي تتحكم وتفسر شروط بروز المرأة واحتلالها موقع الوزارة في الجزائر، للتعرف بالتفصيل، عن مواصفات هذه المرأة ومنحدراتها الاجتماعية، والعائلية بما فيها المصاهرات التي ميزتها على مستوى أكثر من جيل (الجدين والأب) والغوص في مسارها التعليمي بمؤسساته وقيمه التي اختلفت مع الوقت، حسب سن الوزيرة، ومواقعها الاجتماعية، كمعطيات ضرورية للتعرف على القوى الاجتماعية التي نصبت بناتها كوزيرات بعد الاستقلال... علما بأننا أمام مجتمع عرف ظاهرة استعمارية استيطانية طويلة، لم تساعد إطلاقا على انتشار التعليم إلى غاية الخمسينيات من القرن الماضي، باستثناء بعض الأوساط الحضرية الميسورة التي احتكرت هذه الاستفادة الضعيفة من التعليم، تحديدا عندما يتعلق الأمر بالبنات²⁸.

الشروط السياسية التي سمحت بهذا البروز للمرأة في المجال السياسي²⁹ كوزيرة سنحاول التعرف عليها هي الأخرى، لمعرفة لماذا تظهر المرأة على مستوى الهيئة التنفيذية في مراحل معينة وتختفي في مراحل أخرى؟ وما هي القطاعات الوزارية التي سيرتها النساء داخل حكومات الرجال؟ وهل تكون هذه المواقع الوزارية استمرارية مع أدوارها التقليدية داخل الأسرة، أم أنها على العكس تكون قطيعة معها؟ دور الأحزاب والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية المهنية والجمعيات التي «أنتجت» الوزيرة الجزائرية، ومدة بقائها في الحكومة ووضعتها المهنية والسياسية بعد الخروج منها، ستكون محطة ضمن هذه الدراسة، لمعرفة مختلف المسارات السياسية لهذه النخبة الوزارية.

مختلف الجهات والفضاءات الجغرافية التي أنتجت الوزيرة الجزائرية، ستكون هي الأخرى محل دراستنا في هذا القسم المخصص للوزيرة الجزائرية للقيام بنوع من «السوسيولوجيا» للجهوية المؤنثة. الجهوية التي استمرت حاضرة بقوة ضمن المجال السياسي الجزائري خاصة عندما يتعلق الأمر بتشكيل الحكومات التي عادة ما يراعى

28. يذكر كلمنت مور في كتابه الذي خصصه لدراسة الحركة الطلابية الجزائرية أنه وفي سنة بداية الثورة 1954-55 لم يكن في المدارس الابتدائية الفرنسية إلا 16 بالمائة من الأطفال الجزائريين في المرحلة الابتدائية مقابل 100 بالمائة من الفرنسيين. في حين أن أوروبا واحدا من ثلاثة كان في الثانوية مقابل جزائري واحد من 125. أما خلال السنة الدراسية 1958-59 و في المرحلة الجامعية فكان هناك معدل طالب أوروبي في الجامعة مقابل 175 ساكنا. في حين كان معدل طالب جزائري واحد مقابل 16000 ساكن. لمزيد من التفاصيل حول انتشار التعليم في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية يمكن كذلك العودة إلى :

Guy Pervillé, *Les étudiants algériens de l'université française 1880/1962*, Casbah Éditions, 1997.
Clement Moore Henry, *UGEMA, union générale des étudiants musulmans algériens, 1955/62, témoignages*, Casbah Éditions, Alger, 2010, p. 640.

29. <https://www.undp.org/sites/g/files/zskgke326/files/migration/dz/Policy-Brief-WPE-update-August-2021.pdf>

فيها نوع من التوازن الجهوي، حتى وإن اختل عادة لصالح جهة الرئيس الموجود على رأس السلطة، ليس بالضرورة في حجم تمثيل أبناء جهته داخل الحكومة ولكن نوعية واستمرارية حضورهم. كل هذا لمعرفة هل تنطبق قوانين الجهوية المعروفة على النساء الوزيرات كذلك، أم أننا أمام قوانين مختلفة عندما يتعلق الأمر بالمرأة الوزيرة. بالطبع سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة خلال طول مرحلة ما بعد الثمانينيات التي عرفت أول ظهور للمرأة داخل الهيئة التنفيذية، مروراً بكل مرحلة التعددية وصولاً إلى مرحلة الرئيس بوتفليقة التي كانت أطول مرحلة رئاسة لرئيس جزائري حتى الآن في الجزائر وصولاً إلى محطة وصول الرئيس تبون للسلطة التي سننهي بها دراستنا. لتستمر نفس القوانين في تفسير حضور المرأة داخل الهيئة التنفيذية خلال فترة الحراك وما بعد رغم الأضرار التي لحقت بالنظام السياسي حاول خلالها أن يحافظ فيه على نفس القوانين التي عرف بها في حضور المرأة السياسي على مستوى الهيئة التنفيذية.

في الأخير وقبل الانتهاء من هذا التقديم العام لهذا القسم من الدراسة المخصص للمرأة الوزيرة، لا بد من التذكير أننا سنعتمد على منهجية نوعية في تقديم العينة الكلية للبحث المتعلق بالمرأة الوزيرة، فالعدد القليل من الوزيرات (حوالي 40 وزيرة) المعينات في مختلف الحكومات الجزائرية منذ الاستقلال، جعلنا نفضل التقديم النوعي الذي يمكن أن يكون أكثر نجاعة، بدل التحليل الكمي الذي فضلناه أكثر عند الحديث عن الوزير الرجل للكلام عن الاتجاهات العامة، الذي يمثل أغلبية أعضاء الهيئة التنفيذية في الجزائر. منهجية نوعية اعتمدت على نتائج المقابلات التي أجريناها مع أغلبية أعضاء العينة من النساء الوزيرات (أكثر من عشرين وزيرة من المجموع الكلي للوزيرات)، كما كان الحال تماماً مع الوزراء الرجال.

أسئلة مقابلة التي ركزنا فيها على محاور عديدة بدءاً من الأصول الاجتماعية (مهنة الجدين من الأب والأم والأب)، مولد الوزيرة وتاريخه، بغية التعرف على الوسط العائلي للوزيرة الجزائرية، في أبعاده المختلفة، الجغرافية والديموقراطية والاقتصادية والاجتماعية الثقافية، مروراً بمرحلة تدرس الوزيرة نفسها ودخولها عالم الشغل والحياة السياسية بمختلف مؤسساتها، وصولاً إلى الانضمام للحكومة وحتى ما بعد مغادرتها لها، لتلمس سياسات تدوير النخبة الوزارية في الحالة الجزائرية، دون نسيان زواج الوزيرة نفسها (مع من تزوجت كمؤهلات ومسار مهني وجغرافي... الخ) وتكوينها لأسرتها، كاستمرارية لهذا الاهتمام باستراتيجيات المصاهرة عند جيل الوزيرة نفسها، الذي يساعدنا بالتأكيد في معرفة تكوين النسيج السياسي الوطني لدى هذا الجزء من النخبة السياسية الجزائرية، آخذين بعين الاعتبار المدى الطويل بدءاً من جيل الجدين لدى نفس الفئات الاجتماعية في مختلف مناطق الجزائر التي أنتجت هذا القسم من النخبة الوزارية.

نقوم بتقديم كل هذه المعطيات ضمن هذا القسم من الدراسة الكلية التي خصصناها للوزيرة، دون أن يعني هذا أننا قمنا بتفريغ كل محتويات المقابلة في هذه الدراسة الحالية، فقد فضلنا عدم عرض بعض المعطيات، حتى لا نثقل على القارئ وحجم الدراسة الكلي. علما بأن محتوى أسئلة المقابلة مع الوزيرة كان نفس محتوى أسئلة المقابلة التي قمنا بها مع الوزير الرجل.

مقابلات جرت، كما كان الحال مع الوزير الرجل، في المنزل العائلي للوزيرة في حالات، أو في مكتبها بالوزارة في أحيان أخرى عندما تكون مازالت في الحكومة أو مكتب الباحث، في حالات أقل. من دون حضور آخر، ماعدا الوزيرة نفسها، في كل المقابلات المنجزة. مهما كان اللقاء ومهما كانت الوضعية المهنية للوزيرة في وقت إجراء المقابلات التي تمت خلال مرحلة تاريخية طويلة بين نهاية التسعينيات وبداية الألفية الجديدة³⁰.

فعلا، فقد قمنا، كما كان الحال تماما مع الوزير الرجل، بمقابلات مع وزيرات بعد مغادرتهن الحكومة، في حين تمت مقابلات مع وزيرات وهن لا يزلن داخل الهيئة التنفيذية³¹. المقابلات التي تمت في الغالب في لقاء واحد، دام لحوالي الساعتين، ليمتد في أحيان قليلة إلى لقاء ثانٍ في بعض حالات الوزيرات، عندما تعلق الأمر بوزيرات محدّدات، تميزن بمسار سياسي ومهني طويل ومتشعب. لنكون أمام حالة واحدة كانت الوزيرة قد توفيت (السيدة لاليام نفيسة حمود (1924-2002) وزيرة الصحة في حكومة غزالي (1991)، مما جعلنا نقوم بالمقابلة مع ابنتها الطبية وصديقتها المحامية شنتوف التي عاشت معها أكثر من تجربة سياسية، كتبت حولها مقالة نشرتها بمناسبة ذكرى وفاتها في 2006. لنستغل في بعض الحالات ما كتب عن بعض الوزيرات من كتب وبيوغرافيات نشرت عنهن، كما كان الحال مع سليمة سواكري الوزيرة المنتدبة لرياضة النخبة في حكومة جراد بعد وصول تبون إلى الحكم لفترة قصيرة بين جوان 2020 وجويلية 2021³².

المرأة... الوصول البطيء والمتقطع إلى قصر الحكومة

كان لا بد من انتظار عشرين سنة بعد استقلال الجزائر، لتصل أول امرأة (السيدة زهور ونيسي)³³ إلى قصر الحكومة ككاتبة دولة للشؤون الاجتماعية، في ظل حكومة

30. اهتمامات مهنية أخرى جعلتنا نتوقف على التركيز على البحث بعد تحرير أجزاء مهمة منه خاصة بعد صدور الجزء الأول من الدراسة على شكل كتاب (الوزير الجزائري، أصول ومسارات) فلم نعد بالتالي إلى الاهتمام بالبحث إلا في سنة 2016.

31. لمزيد من التفاصيل حول هذه الجوانب المنهجية المتعلقة بالدراسة، يمكن العودة إلى مقدمة مؤلفنا الأول حول النخبة الوزارية الجزائرية. الذي يمكن العودة فيه إلى البورتريهات التي وضعناها للوزيرات. ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2012.

32. Jaoudet Gassouma, Salima Souakri, *Ceinture noire, cœur blanc*, Éditions El Bayazin, Alger, 2018.

33. كل المعطيات المتعلقة بالوزيرات المذكورات في هذا القسم من الكتاب، يمكن الرجوع إليها في مؤلفنا. ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011.

الرئيس الشاذلي بن جديد (1982)، قبل الإعلان عن التعددية السياسية بسنوات، ضمن الحكومة التي كان ينسق أعمالها كوزير أول، العقيد أحمد بن أحمد عبد الغني³⁴. زهور ونيسي التي كانت أول امرأة تصل إلى عضوية الحكومة ككاتبة دولة وأول امرأة تصل إلى الحكومة كوزيرة كذلك، بعد تعيينها الثاني على رأس قطاع التربية في حكومة عبد الحميد الإبراهيمي 1984 الذي ترتبط به السيدة ونيسي برابطين اثنين مهمين على الأقل، فهي مثله بنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين³⁵، كما أنها مثل رئيس الوزراء أصلا، من مدينة ميله بالشرق الجزائري، قبل انتقال العائلة للعيش في مدينة قسنطينة. رغم هذه الروابط وأهميتها المحتملة بين رئيس الحكومة والسيدة زهور ونيسي، فإن قرار دخول المرأة إلى الحكومة في هذه الفترة، كان وراءه الرئيس الشاذلي بن جديد نفسه، على عادة النظام السياسي الجزائري الذي يحتكر فيه رئيس الدولة تعيين أعضاء الحكومة، خلال هذه الفترة على وجه الخصوص، التي كان رئيس الوزراء لا يتمتع فيها قانونا بحق تعيين وزرائه³⁶.

هذه الفترة التي عرفت نوعا من التجديد السياسي في علاقة السياسي بالمرأة، حاول الرئيس بن جديد القيام به مقارنة بالتجربة البومدينية، كان من بينها نوع من الظهور للسيدة الأولى الذي تطور مع الوقت ليأخذ أبعادا لم تكن معروفة في الحياة السياسية الجزائرية الذكورية³⁷، وهو ما سيتأكد بعد ذلك من خلال تعيين السيدة ليلي الطيب ككاتبة دولة للتعليم الثانوي والتقني. التعيين الذي احترم نوعا من التوازن الجهوي داخل النوع، حسب المعنية بهذا التعيين (ليلى الطيب).

« اعتقد أن تعييني جاء احتراما للتوازن الجهوي، فالسيدة زهور ونيسي من الشرق، فكان لابد من نائبة وزيرة من الغرب... في حين أن الكلام الذي قيل عن تعييني باعتباري صديقة زوجة الرئيس بن جديد الثانية التي كنت أعرفها من مرحلة الدراسة الابتدائية، ليس صحيحا »³⁸...

34. انظر البورتري الذي وضعه له عاشور شرقي في مؤلفه حول الطبقة السياسية ص 18-19. Achour Cherfi, *La classe politique algérienne*, Casbah Éditions, Alger, 2001.

35. الإبراهيمي عبد الحميد هو الابن الثاني للشيخ مبارك الميلي وأخ محمد الميلي وزير التربية الأسبق (حكومة مولود حمروش).

36. المادة 113 من دستور 1976 تحدد: يعين رئيس الجمهورية أعضاء الحكومة. يمكن لرئيس الجمهورية أن يعين وزيرا أول.

37. الرئيس بن بلة لم يكن متزوجا وهو على رأس السلطة، إلى غاية مرحلة السجن التي ارتبط فيها بسيدة صحفية. نفس الشيء بالنسبة للرئيس بومدين الذي تزوج بعد سنوات من وصوله للسلطة لتبقى زوجته وزواجه شأنا خاصا لم تكن له أبعاد اجتماعية. رغم النتائج السياسية التي ترتبت عن هذا الزواج.

38. مقابلة مع السيدة ليلي الطيب.

أبعدت المرأة عن الحكومة في فترة الاضطراب التي بدأ يعيشها النظام السياسي الجزائري، بعد هذا الحضور الأول والمحتشم لها داخل الهيئة التنفيذية، ابتداء من النصف الثاني للثمانينيات، فقد غابت المرأة الجزائرية بعد إبعاد السيدتين زهور ونيسي وليلى الطيب من حكومة الإبراهيمي الأخيرة، قبل سنة من أحداث أكتوبر 1988، لغاية 1991 تاريخ مجيء حكومة سيد أحمد غزالي في عز أيام الأزمة، لتعين السيدة نفيسة لاليام حمود وزيرة للصحة. لتكون هذه العودة المرأة الثانية للمرأة قصيرة جدا هي الأخرى -17 جوان 1991/أكتوبر 1991-. كما ساد خلال الأمر مع حكومات سيد أحمد غزالي بالإضراب الذي عرفته وطرق تعيين وزرائها التي لم تكن دائما على بينة أدت إلى سوء تفاهم سريع مع رئيسها الذي لم يكن يعرف جزءا كبيرا من الوزراء الذين عينهم، ليكتشفهم بعد التعيين وانطلاق عمل الحكومة الذي تم في ظرف مضطرب للغاية.

في حين غابت المرأة تماما عن حكومتي أبناء المؤسسة العسكرية³⁹، مولود حمروش وقبلها حكومة قاصدي مرباح، بعد الإعلان عن التعددية السياسية في سنواتها الأولى. مولود حمروش الذي غابت المرأة عن مجموعاته الإصلاحية التي اشتغل معها في رئاسة الجمهورية في الأصل والتي كونت أساس حكومته، فلم يعرف عن الرجل التعامل مع أي امرأة ضمن عمل أفواج التفكير التي نصبها برئاسة الجمهورية، قبل وصوله إلى رئاسة الحكومة.

بدخول السيدة أنيسة بن عمر - وزيرة التكوين المهني والتشغيل - إلى حكومة غزالي، بعد التعديل الأول الذي عرفته، أربعة أشهر بعد الإعلان عنها في أكتوبر 1991، تكون مقاييس حضور المرأة الجزائرية داخل الحكومة، قد عرفت ربما تغييرا مهما، فقد تميزت السيدات الثلاث المعينات حتى الآن بنوع من الشرعية التاريخية المرتبطة بثورة التحرير والمشاركة المباشرة فيها بدرجات مختلفة كل على طريقته، فالسيدة زهور ونيسي كانت مناضلة أثناء حرب التحرير في خلايا تابعة للولاية الأولى والرابعة، كما هو الحال مع السيدة لاليام حمود التي التحقت بالولاية الثالثة كطبيبة وضابطة بجيش التحرير، في حين عرفت ليلى الطيب كمجاهدة وزوجة مجاهد وضابط بجيش التحرير بالولاية الخامسة. مع السيدة أنيسة بن عمر ورغم شرعية الأب الشهيد فإن مقاييس التعيين داخل الحكومة قد بدأت تعرف نوعا من التغيير، فنحن أمام جيل صغير في السن (كان عمرها سنة واحدة عند اندلاع الثورة) لا علاقة لها بثورة التحرير مباشرة. رغم أن مدة بقاء هذه السيدة على رأس الوزارة كان قصيرا هو الآخر، قصر واضطراب حكومات هذه الفترة نفسها التي لم يمنعها من استمرارية تواجد المرأة فيها بهذا الحجم المتواضع والمواقع التي يغلب عليها الطابع الاجتماعي.

39. حتى المؤسسة العسكرية في الجزائر ومؤسسة الأمن عرفت مستويات تأنيث معقولة ابتداء من تسعينيات القرن الماضي كنتيجة منطقية لانتشار التعليم واستفادة المرأة منه، زيادة على التطور الفكري الذي عرفه المجتمع الجزائري بما فيه قيادة الجيش، فقد تم على سبيل المثال تعيين سيدة طبيبة جنرال في الجيش الجزائري في سنة 2009.

حكومة غزالي التي أكدت مقاييس الانتقاء الجديدة البعيدة عن مرحلة الشرعية الثورية، بتعيين السيدة عسلاوي ليلي على رأس وزارة الشباب والرياضة 18 جوان 1991 لتستمر هذه السيدة المعروفة بمواقفها السياسية في موقعها، بعد التعديل الذي عرفته الحكومة في فيفري 1992، جراء توقيف المسار الانتخابي وتعيين المجلس الأعلى للدولة، لغاية الاستقالة الجماعية للحكومة في جوان 1992، التي جرت على وقع اغتيال رئيس المجلس الأعلى للدولة، الرئيس محمد بوضياف.

ستبقى حكومة غزالي من أكثر الحكومات تعيينا للمرأة حتى هذه الفترة، فقد عين هذا المهندس خريج المنظومة التعليمية الفرنسية خلال بقاءه المضطرب على رأس الحكومتين، بكل التعديلات التي قام بها، أربع نساء، فزيادة على السيدة لاليام التي التحقت لوقت قصير بأول حكومة، انضمت السيدة أنيسة بن عمر لحكومة غزالي في أول تعديل لها في أكتوبر من نفس السنة (1991) ليعين الرجل امرأتين جديدتين بعد إبعاد الأولين، كانت من بينهما زهية منتوري - شنتوف، أستاذة الطب التي أخذت مكان ابن عمها محمد الصالح منتوري على رأس وزارة الصحة والشؤون الاجتماعية. غزالي الذي يؤكد بهذا التعيين لابنة عائلة منتوري، جزئيا على الأقل، أهمية مقياس الشرعية الاجتماعية المتوفرة لدى بعض العائلات التي مثلتها بناتها داخل الحكومات الجزائرية، كعائلة حمود العاصمية و منتوري القسنطينية.

غابت المرأة تماما من التشكيلة الحكومية التي أعلن عنها رئيس الحكومة عبد السلام بلعيد في 19 جويلية 1992، كما كان الحال في حكومتي قاصدي مرباح ومولود حمروش... « لحين شنت الصحافة المستقلة حملات علي وعلى حكومتي، بعد ملاحظة هذا الغياب للمرأة عنها، وبكونها حكومة يغلب عليها لدى البعض العنصر القبائلي... طلبت من بعض الإخوان أن يبحثوا لي عن نساء أضمهن إلى الحكومة »، فكان أن عين رئيس الحكومة ثلاث نساء في 25 أكتوبر من نفس السنة : السيدة بن حبيلس كوزيرة منتدبة لدى رئيس الحكومة مكلفة بالتضامن الوطني، والسيدة زرداني - بلميهوب مريم كوزيرة مستشارة بالقضايا القانونية والإدارية لدى رئيس الحكومة دائما. زرداني مريم التي سبقها زوجها عبد العزيز زرداني للانضمام إلى الحكومة بعد انقلاب 19 جوان 1965 كوزير للعمل والشؤون الاجتماعية، ليكون الزوج الجزائري الوحيد حتى الآن الذي احتل مواقع داخل الهيئة التنفيذية حتى ولو كان ذلك في فترات تاريخية متباعدة.

السيدة الثالثة التي عينها عبد السلام كانت مليكة غلاب - ياكرو، ككاتبة دولة لدى وزير التربية الوطنية مكلفة بالبحث العلمي لتنضم للحكومة، بعد أخيها العياشي ياكرو⁴⁰

40. العياشي ياكرو كان ممثلا للاتحاد الديمقراطي لعباس فرحات داخل الحركة الطلابية الوطنية في خمسينيات القرن الماضي.

وزير التجارة خلال فترة حكم الرئيس بومدين، لتكون بذلك العائلة الثالثة التي يشارك أعضاؤها القريبون في هذه الحكومة، بعد الزوج زرداني وأبناء العم منتوري. تعيينات لم تحسن كثيرا في نوعية حضور المرأة داخل الهيئة التنفيذية وهي تحتل بموجبها موقع الاستشارة لدى رئيس الحكومة، في ظرف أمني سياسي واقتصادي أكثر من صعب. هذه التعيينات المبتورة لم تحسن كذلك صورة حكومة عبد السلام، في أعين الصحافة المستقلة والمجتمع المدني وعلى رأسه الحركة النسوية التي ساءت علاقاتها برئيس الحكومة بسرعة بعد ذلك...

« هذه التعيينات جعلت الكفة تميل أكثر لصالح أبناء منطقة القبائل داخل الحكومة ككل... فقد كانت النساء الثلاث من منطقة القبائل ذاتها... رغم أن سيرهن الذاتية المكتوبة التي قرأتها وأسماء رجالهن وحتى مكان مولدهن، كان يدل على العكس، فقد ولدن كلهن خارج منطقة القبائل »⁴¹.

رغم أن رضا مالك، رئيس الحكومة الجديد قد يكون أكثر عصرية في نظرته إلى المرأة⁴² من صديقه ورفيق دربه عبد السلام بلعيد، هما اللذان يشتركان في الخلفية الفكرية والسياسية التاريخية، المتأثرة بالفكر المحافظ للحركة الوطنية الجزائرية الذي غيب المرأة الجزائرية عن الحضور في المناصب العمومية والسياسية لمدة طويلة، قبل الاستقلال وبعده. رغم ذلك فرئيس الحكومة الجديد الذي خلف عبد السلام طلب من السيدة بن حبيلس الاستمرار في موقعها كمستشارة مكلفة بقضايا التضامن والأسرة، عكس السيدتين مريم زرداني و مليكة غلاب اللتين غادرتا موقعيهما... فقد صرح رئيس الحكومة الجديد لوزراء حكومة عبد السلام بلعيد المستقيلة في أول اجتماع له بهم : « لا أريد نساء معي ». جملة قالها رئيس الحكومة الجديد وهو يفكر أكيد في الظرف الأمني الذي ينتظر حكومته وليس تعبيرا عن موقف معادي من المرأة. هو المعروف بمواقفه الأكثر عصرية بين أبناء جيله الوطني، كما عبر عنها لاحقا عندما احتدم الصراع الفكري والسياسي مع التيارات الإسلامية الجذرية.

المواقف السياسية الواضحة التي اتخذتها السيدة بن حبيلس خلال هذه المرحلة من التاريخ السياسي والمتميزة بازدياد حدة الفرز السياسي، في التعامل مع الإرهاب والأوضاع الأمنية والسياسية بصفة عامة التي استفحلت في ظرف اقتصادي ومالي متدهور، هي

41. مقابلة مع السيد عبد السلام بلعيد.

الصحيح أن واحدة على الأقل مولودة بمنطقة القبائل وهي السيدة غلاب المولودة ياكرو، بينما ولدت بن حبيلس في تونس والسيدة زرداني بالعاصمة، في حين أن كل أزواجهن من خارج المنطقة، فعلاّب - باكر زوجها من معسكر أما زوج بن حبيلس فمن منطقة الشمال القسنطيني أما زرداني فهو من ولاية أم البواقي بمنطقة الأوراس.

42. ما كتبه رضا مالك من كتب وما دافع عنه من مواقف سياسية علنية، يجعله أقرب للأفكار العصرية من عبد السلام بلعيد الذي يبدو أكثر تأثرا بالفكر المحافظ والشعوي للوطنية الجزائرية. انظر كتب رضا مالك : Reda Malek, *L'enjeu de la modernité en Algérie et dans l'islam*, essai, Éditions Sindbad, Paris, 1993.

التي زادت ربما من حظوظها في البقاء داخل الحكومة بهذا الموقع الاستشاري، بالقرب من رئيس الحكومة الذي عرفت عنه مواقفه الواضحة، من التيار الإسلامي الجذري.

كانت علاقات السيدة ليلى عسلاوي بالحكومة متميزة على أكثر من صعيد، فكانت أول وزيرة امرأة تغادر العمل مع حكومة غزالي سيد أحمد وتعود إليها أخرى مرة ثانية ضمن طاقم حكومة مقداد سيفي لوقت قصير ككاتبة دولة للتضامن الوطني (مدة خمسة أشهر فقط) لتستقيل بعد ذلك، لتكون أول وزيرة امرأة تستقيل من عضوية الحكومة لأسباب سياسية تتعلق مباشرة بتسيير الأزمة السياسية⁴³. كما احتلت السيدة عسلاوي موقع المتحدث الرسمي باسم الحكومة، خلال هذه الفترة القصيرة لتكون أول امرأة كذلك تقوم بهذه الوظيفة السياسية الهامة البعيدة مبدئيا عن موقعها داخل الحكومة، كمكلفة بقطاع التضامن، علما بأن الحكومة ضمت داخلها وزارة للإعلام والاتصال، كان على رأسها زرهوني بن عمر، ابن تلمسان الذي سيتحول إلى رئاسة الجمهورية كمستشار بالقرب من بوتفليقة عند وصوله للسلطة، كما جرت العادة مع الكثير من أبناء تلمسان.

حكومة مقداد سيفي التي كانت من أكثر الحكومات استمرارية (22 شهرا) وأطولهم عمرا، نتيجة الاستقرار الذي بدأ يعود إلى هرم السلطة السياسية بعد الانتخابات الرئاسية التعددية لنوفمبر 1995، فقدت بهذه الاستقالة للسيدة عسلاوي الحضور النسوي الوحيد، لتخلفها السيدة سميشي هنية عشرة أشهر في نفس الموقع، بدءا من 20 مارس 1995، قبل استقالة حكومة سيفي واستبدالها بحكومة أحمد أويحيى، دون أن تتمكن هذه السيدة الدبلوماسية، خافطة الحضور، من ملء الفراغ السياسي الذي تركته السيدة عسلاوي ولا القيام بوظيفة المتحدث الرسمي باسم الحكومة.

بعد الانتخابات الرئاسية التي فاز بها وزير الدفاع ورئيس الدولة المعين ليامين زروال وتعيين أحمد أويحيى رئيسا جديدا للحكومة، سبرز اسم السيدة مشرن ضمن طاقم حكومته الأولى (جانفي 1996) جوان 1997، في نفس موقع الوزيرة المنتدبة للتضامن وفي نفس القطاع لغاية 1997، أين عرفت ترقية إلى موقع الوزيرة كاملة الصلاحيات هذه المرة، إلى غاية ديسمبر 1999 تاريخ تعيين أحمد بن بيتور على رأس الحكومة التي عينها بالكامل الرئيس الجديد عبد العزيز بوتفليقة، حسب شهادة بن بيتور نفسه⁴⁴ ليكون هذا التعيين لكل وزراء الحكومة من دون استشارة رئيسها الجديد، سببا من أسباب استقالة بن بيتور فيما بعد، قبل أن ينهي سنته الأولى على رأس الحكومة.

43. انظر كيف تتحدث السيدة عسلاوي عن استقالتها من حكومة مقداد سيفي الفصل الثالث عشر ص 291-316 ضمن مؤلفها الذي ضمته نص استقالتها.

Leila Aslaoui, *Les années rouges*, Casbah Éditions, Alger, 2000.

44. Ahmed Benbitour, *Radioscopie de la gouvernance algérienne*, Éditions Edif 2000, novembre 2006.

الحكومة التي كانت خالية من المرأة مثل حكومتي قاصدي مرباح ومولود حمروش وحتى رضا مالك، إذا استثنينا ذلك الحضور المتواضع الذي مثلته حالة سعيدة بن حبيبس كمستشارة لدى رئيس الحكومة. استمرت السيدة مشرن مع حكومة إسماعيل حمداني التي عينت بدل حكومة أويحيى لتنظيم الانتخابات الرئاسية المسبقة 1999، بعد أن حافظت على أغلبية أعضائها ؛ لتكون السيدة مشرن بهذا الحضور من أكثر النساء استمرارية في منصب وزارة التضامن وشؤون المرأة الذي تحول إلى احتكار للمرأة لغاية تلك الفترة.

عدة معطيات سياسية وتحولات تفسر هذا الاستقرار الذي ميز بقاء السيدة مشرن مع ثلاث رؤساء حكومات لا تتعلق فقط بالاستقرار الذي بدأت تعرفه مؤسسات الدولة المختلفة، بل حتى بنوع من الهدوء الأمني العام بعد مرحلة الاضطراب القصوى الذي عرفت الجزائر في النصف الأول من التسعينيات.

فقد عرفت الجزائر، زيادة على الانتخابات الرئاسية التي نظمها حكومة مقداد سيفي (نوفمبر 1995) ما سمي بالعودة إلى المسار الانتخابي، بتنظيم الانتخابات التشريعية (5 جوان 1997) التي نظمها حكومة أحمد أويحيى ترشحت فيها السيدة مشرن عن ولاية تلمسان، ضمن قوائم حزب السلطة الجديد، التجمع الوطني الديمقراطي، الذي فاز بنتائج هذه الانتخابات بعد أشهر قليلة من تكوينه مباشرة⁴⁵. الفوز الذي شككت فيه المعارضة وجزء واسع من الرأي العام، هو الذي سمح للسيدة مشرن بالعودة إلى الحكومة كوزيرة مرة أخرى وهو الذي قد يفسر الاستمرارية التي ميزت حضورها كممثلة حزب « فائز رسميا »، بالانتخابات التشريعية.

لنكون هنا أمام محطة الانتخابات التشريعية التي ستؤدي إلى ظهور الحكومات الائتلافية التي دخلتها الوزيرة كجزء من لعبة حزبية - سياسية، ممثلة لحزب سياسي وبعد الفوز بموقع النيابة البرلمانية في الغالب.

كان هذا حال السيدة زهية بن عروس عندما تم تعيينها ككاتبة دولة للثقافة، ضمن حكومة أحمد أويحيى الثانية، مباشرة بعد فوز حزب التجمع الوطني الديمقراطي في الانتخابات التشريعية لجوان 1997 الذي ترشحت ضمن قوائمه بولاية الجزائر العاصمة، لتستمر مع حكومة إسماعيل حمداني لغاية ديسمبر 1999، والتي لم تطالب المعارضة في شأنها إلا بإبعاد رئيسها والوزراء القريبين من صناديق الاقتراع، كوزير العدل والداخلية والإعلام، خوفا من تزوير نتائج الانتخابات التي ارتبطت بقوة بالانتخابات في الجزائر خلال هذه الفترة المضطربة.

مثلما كان مع حكومة أحمد بن بيتور، فإن حكومة علي بن فليس الأولى خلت نهائيا من المرأة، رغم طابعها الائتلافي الحزبي، وهو نفس حال الحكومة المعدلة لبن فليس التي تم

45. تم الإعلان عن تكوين التجمع الوطني الديمقراطي في 21 فيفري 1997.

الإعلان عنها في جوان 2001. غياب لاحظته الصحافة المستقلة والحركة النسوية، لتوجه اللوم لرئيس الجمهورية وليس لرئيس الحكومة، لعلمها بصاحب القرار الفعلي في تشكيل الحكومة. كان لا بد من انتظار حكومة بن فليس الثانية، بعد الفوز الذي حققه حزب جبهة التحرير في الانتخابات التشريعية -جوان 2002- لكي تعود المرأة إلى عضوية الحكومة، بخمس نساء، هن بثية شريط على رأس الوزارة المنتدبة لدى رئاسة الحكومة المكلفة بالأسرة وقضايا المرأة، وفاطمة الزهراء بوشملة كوزيرة منتدبة لدى رئيس الحكومة مكلفة بشؤون الجالية والهجرة، وليلى حمو بوتليليس كوزيرة منتدبة لدى وزير التعليم العالي مكلفة بالبحث العلمي، وفتيحة منتوري كوزيرة منتدبة مكلفة بالإصلاح المالي لدى وزير المالية، وأخيرا خليدة تومي كوزيرة للإعلام والثقافة ومتحدثة رسمية باسم الحكومة لبعض الوقت، كما كان الحال مع السيدة عسلاوي بالنسبة لحكومة مقداد سيفي. خليدة تومي التي فقدت منصب المتحدثة باسم الحكومة مع مجيء أحمد أويحيى إلى رئاسة الحكومة وإقالة بن فليس. أما قطاع الإعلام المهم، فقد فقدته في التعديل الوزاري الذي أدخل على الحكومة في أبريل 2004، لتبقى على رأس قطاع الثقافة فقط، لكن لوقت طويل لم تغادره هذه السيدة إلا في سنة 2014 بعد تعويضها في ماي 2014 بالمخرجة والأستاذة الجامعية نادية لعبيدي التي كان حضورها بالعكس قصيرا على رأس قطاع الثقافة⁴⁶ ضمن طاقم حكومة سلال الثالثة.

هذا الحضور للمرأة داخل حكومة علي بن فليس الذي يعد أكبر حضور كمي تسجله المرأة الجزائرية داخل الهيئة التنفيذية لغاية هذه الفترة، رغم نوعيته المبتورة بفعل التعيين في مواقع كتابة الدولة ونيابة الوزارة، الفاقدة للكثير من الصلاحيات تأكيداً للمكانة الدونية للمرأة في الفضاء السياسي. كما تجسدها حالة حزب جبهة التحرير والثلاث اللاتي فزن في المنافسة الانتخابية ضمن قوائم الحزب بولاية الجزائر العاصمة بالنسبة لبثينة شريط وفاطمة الزهراء بوشملة ووهران بالنسبة ليلي حمو بوتليليس. المدينة التي كان فيها الأب حمو بوتليليس، الوجه التاريخي المعروف، ممثلاً للحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية في مجلسها البلدي بعد انتخابات 1946⁴⁷. في حين كان انضمام خليدة تومي للحكومة بعد انشقاقها عن حزبها الأصلي، التجمع من أجل الثقافة

46. غادرت الدكتورة نادية لعبيدي الحكومة في ماي 2015 بعد صراعات مع لوييزة حنون زعيمة حزب العمال التي اتهمتها كتلتها النيابية بالمحاباة في منح امتيازات لشركتها السينمائية وقضايا أخرى جعلت الوزيرة ترفع قضية ضد النائبة لوييزة حنون والمطالبة برفع الحصانة البرلمانية عنها. قضية تم فيها الحكم لصالح السيدة لعبيدي بغرامة مالية في ماي 2023.

47. حمو بوتليليس من مناصلي حزب الشعب في وهران (1920-57) شارك في الهجوم على بريد وهران كأحد وجوه المنظمة الخاصة بالغرب الجزائري. ليسجن في بداية الخمسينيات بعد اكتشاف سر المنظمة الخاصة ويحكم عليه بالسجن لغاية 1957 تاريخ انتهاء مدة حكمه. ليخطف بعد خروجه مباشرة من السجن. بقي قبره غير معروف حتى الآن.

والديمقراطية الذي غادر وزيراه الحكومة قبل سنة من ذلك، احتجاجا منهما على الموقف الرسمي من أحداث منطقة القبائل 2001. أما فتيحة منتوري التي لم يعرف عنها انتماء حزبي ولم تترشح إلى الانتخابات التشريعية، فقد استمرت في موقعها الوزاري لغاية أفريل 2004، لتعود إلى الرئاسة كمستشارة مرة ثانية، بعد هذه التجربة داخل الهيئة التنفيذية. بعد مغادرة علي بن فليس رئاسة الحكومة في ماي 2003، استمر أغلبية الوزراء المحسوبين عليه لوقت قصير جدا، بما فيهم الوزراء، ضمن طاقم الحكومة الجديدة تحت رئاسة أحمد أويحيى التي كانت العودة الثانية له على رأس الحكومة لغاية خريف 2012، فقد استمرت بثينة شريط وليلى حمو بوتليليس وفاطمة بوشملة ووزراء مجموعة بن فليس من الرجال، لغاية التعديل الأول في 5 سبتمبر من نفس السنة، لتكون فاطمة الزهراء بوشملة، ابنة بريكة بولاية باتنة، أول مغادرة للحكومة من نساء « مجموعة بن فليس » لتعوض بسكينة مسعدي، ابنة خنشلة، التي غادرت الحكومة بعد إلغاء كتابة الدولة نفسها عند التعديل الذي طرأ على حكومة أويحيى في أول ماي 2005، في حين تمت إقالة بثينة شريط وليلى حمو بوتليليس في التعديل الثاني الذي حصل بعد شهر من التعديل الأول (4 أكتوبر 2003) لتعوض الأولى بنوارة جعفر سعدية، مناضلة التجمع الوطني الديمقراطي ونائبة عن ولاية سطيف وبسعاد بن جبالله في قطاع البحث العلمي التي لم يعرف عنها انتماء حزبي محدد رغم قربها من التيار اليساري ولم تكن من المرشحات للانتخابات التشريعية.

علما بأن الثلاث وزيرات المنتدبات مكثن في نفس المواقع، بعد التغيير الذي طرأ على رئاسة الحكومة و مغادرة أحمد أويحيى في 26 ماي 2006 واستبداله بعبد العزيز بلخادم، الأمين العام لحزب جبهة التحرير، على رأس الحكومة التي لم تعرف تغييرا مهما باستثناء تعيين الهاشمي جيار على رأس وزارة الإعلام الشاغر وانتداب سعدية نوارة جعفر لدى وزير الصحة وإصلاح المستشفيات بدل رئيس الحكومة، كما كان سائدا مع الحكومات السابقة بعد القرار المتخذ بتخفيف الأعباء عن رئاسة الحكومة التي جردت من الكثير من المؤسسات التي كانت تحت وصايتها.

نفس المنطق في تعيين المرأة داخل الحكومة من حيث التذبذب في الحضور كمي ونوعيا نجده حاضرا عند الإعلان عن حكومة عبد المالك سلال التي تم تعيينها في سبتمبر 2012 بعد الانتخابات التشريعية لماي 2012 التي فاز بها حزب جبهة التحرير بشكل مفاجئ، أثار أكثر من علامة استفهام⁴⁸. فلم تصمد إلا سيدتان غير متحزبتين، بعد هذا التعديل الحكومي، هما خليفة تومي في الثقافة وسعاد بن جاب الله - التي تم تحويلها

48. كالعادة أثارت أحزاب المعارضة وعلى رأسها الأحزاب الإسلامية مسألة التزوير كسبب لتفسير نتائج هذه الانتخابات. في حين تم السكوت على ضعف التجنيد الشعبي كسبب رئيسي لتفسير نتائج حزب جبهة التحرير الذي يكون قد استفاد من قانون الانتخابات نفسه الذي يلغي نتائج الأحزاب التي لا تحصل على أكثر من 5 بالمائة من النتائج. بالطبع ما تم تداوله عن اقتراع موجه لبعض الأسلاك الرسمية كالجيش والشرطة...الخ،

من البحث العلمي نحو وزارة التضامن والأسرة. مع إضافة ثالثة هي دليّة بوجمعة ككاتبة دولة مكلفة بالبيئة لدى وزير التهيئة العمرانية والبيئة. دليّة بوجمعة التي كان آخر منصب لها مديرية البيئة بنفس الوزارة قبل التحاقها بالحكومة لأول مرة. الحكومة التي غادرتها المرأة الحزبية الوحيدة (التجمع الوطني الديمقراطي) نورة جعفر ابنة سطيّف التي عوضتها زميلتها سعاد بن جاب الله، ابنة سطيّف هي الأخرى، بعد الاستفادة من التحول إلى وزارة كاملة بدل وزارة منتدبة، كما كان الحال مع نورة جعفر.

لم يطرأ كما يظهر لا تطور كمي ولا نوعي على حضور المرأة التي استعمل حضورها في حكومة عبد المالك سلال جزئياً كآلية جهوية للزيادة من تمثيل أبناء المنطقة الشرقية⁴⁹ من البلاد حفاظاً على التوازنات الجهوية المختلة لصالح أبناء جهة رئيس الجمهورية من الغرب الجزائري.

غياب المرأة وحضورها الذي يقرره داخل النظام السياسي الجزائري، رئيس الجمهورية الذي يعين كل أعضاء الحكومة، بما فيهم النساء، خلال المرحلة الأحادية قبل 1988 وحتى بعدها، وهي الفترة التي استعادت فيها الرئاسة قوتها كمرکز قرار سياسي، في عهد الرئيس بوتفليقة وحتى الرئيس ليامين زروال جزئياً، ليبقى الاستثناء النسبي الوحيد فترة بداية التسعينيات، بما ميزها من اضطراب واختلال بين مراكز القرار السياسي، سمحت ب بروز رئيس الحكومة كفاعل سياسي مهم، أصبح يملك بعض القرار في تعيين طاقمه الوزاري، كما كان الحال مع مولود حمروش وقاصدي مرباح وسيد أحمد غزالي وعبد السلام بلعيد ورضا مالك ومقداد سيفي وإلى غاية حكومة أحمد أويحيى الأولى في عهد الرئيس ليامين زروال. هذا الحضور لرئيس الحكومة في تعيين جزء متفاوت الحجم من وزرائه خلال هذه الفترة، الذي لا يعني عدم التشاور مع رئيس الجمهورية ومراكز القرار الأخرى، كالمؤسسة الأمنية والقبول باقتراحاتها عندما يتعلق الأمر بمناصب السيادة كوزارة الخارجية والداخلية والعدل...الخ. تشاور واقتراحات تظهر من خلال حضور وزراء سيادة لا ينتمون إلى مجموعات رؤساء الحكومات، كما كان الشأن مع خالد نزار وزير الدفاع وغزالي سيد أحمد وزير الخارجية في حكومة مولود حمروش، التي لم تكن علاقات الرجلين معه سالكة، أو حتى ممن هم أقل، كما كان الحال مع خليفة تومي التي فرضها الرئيس بوتفليقة على أكثر من رئيس حكومة مثل عبد العزيز بلخادم، رغم ما ميزهما من اختلافات سياسية وفكرية معروفة على الساحة السياسية الوطنية.

يمكن عده سبباً آخر لتفسير هذه النتائج التي كذبت « جو الإصلاحات » التي حاولت السلطات العمومية الترويج له بعد اندلاع الربيع العربي.

49. سعاد بن جاب الله وبوجمعة دليّة من الشرق الجزائري. من أم البواقي - سطيّف بالنسبة للأولى وبرج بوعريّج بالنسبة للثانية.

وضع ميز فترة حكم الرئيس بوتفليقة الذي استحوذ على صلاحيات رئيس الحكومة في تعيين وزرائه طول فترة حكمه، انعكس على شكل استقرار كبير لوزراء الحكومات المختلفة التي تغير فيها رئيسها وبقي فيها الوزير ورئيس الجمهورية. كما يظهر حتى مع العنصر النسوي من خلال حالة خليدة تومي على سبيل المثال التي ارتبطت بالرئيس مباشرة وليس برئيس حكومته.

لم يتغير الحال نوعيا بعد وصول الرئيس بوتفليقة فيما يخص مكانة المرأة داخل الهيئة التنفيذية التي أصبح السيد الأوحّد تقريرا في تعيينها، كما استمر ذلك التذبذب في مدى حضورها الكمي بين وزارة وأخرى والمواقع المحتلة من قبلها. وكانت حكومة سلال الثالثة التي تم الإعلان عنها في أبريل 2014 من أكثر الحكومات تعاملًا مع المرأة، بتعيين سبع نساء داخل حكومة واحدة، فكان أن عينت على رأس التربية (نورية بن غبريت) ودليلة بوجمعة (الهيئة العمرانية والبيئة) ونادية لعبيدي (الثقافة) ومينة زرهوني نورية (السياحة والصناعات التقليدية) وزهرة دردوري (البريد وتكنولوجية الإعلام) ومونية مسلم (وزارة التضامن والمرأة والأسرة)، وأخيرا عائشة طقابو كوزيرة منتدبة للصناعة التقليدية لدى وزيرة السياحة.

لم تخلُ هذه التعيينات من بصمات النظام السياسي الجزائري وحساباته السياسية، كما كان الحال دائما مع تشكيل الحكومات. فقد استغل تشكيل هذه الحكومة لتمثيل أقصى الجنوب الجزائري والطوارق تحديدا بتعيين السيدة طقابو كوزيرة منتدبة للصناعات التقليدية، وهي أول مرة يصل فيها أبناء الطوارق في تاريخ الجزائر إلى هذا المنصب السياسي، في وقت يشهد فيه الجنوب الجزائري بمختلف مناطقه حراكا سياسيا غير مسبوق كان من سماته تحرك النخبة التقليدية الطرقية التي طالبت بتمثيل أكبر للأبناء المنطقة⁵⁰ في مؤسسات الدولة المختلفة والجزائر تعيش وضعًا سياسيا ملتهبا إقليميا، في علاقة بما هو حاصل من اضطراب في دولتي مالي وليبيا المجاورتين. فكان أن تم تعيين هذه السيدة الترقية الشابة، ابنة قبيلة « كل تربونة » التي يقال أنها من القبائل المؤسسة لقرية « زلواز » بمدينة جانت السياحية، بأقصى الجنوب الجزائري.

تعيينات كان من وظائفها الأخرى خلق نوع من التوازن الجهوي من خلال هذا الحضور النسوي لبنات المناطق الشرقية (مونية مسلم / ولاية تبسة، زهرة دردوري / باتنة ودليلة بوجمعة / برج بوعريرج)، خوفا من استفحال عدم توازن فج لصالح المنطقة الغربية الذي كرسه الرئيس بوتفليقة منذ وصوله إلى السلطة.

حضور كمي واضح للمرأة عكسته هذه الحكومة لكنه لم يؤثر على المكانة التقليدية التي أصبحت من اختصاص النساء داخل الهيئة التنفيذية في الجزائر كما يظهر من خلال المواقع

50. انظر الرسالة المفتوحة التي وجهها أعيان منطقة الهقار لرئيس الجمهورية والتي طالبوا فيها بتمثيل لأبنائهم في المناصب الوزارية والإدارية بعد اجتماعهم في تمناست يوم 29 مارس 2013.

الوزارية التي تراوحت بين التربية والتضامن والسياحة والبريد... الخ. حتى ولو لاحظنا تحسنا لدى المرأة في الحصول على موقع الوزيرة، بدل كتابة الدولة أو الوزارة المنتدبة التي كانت هي السائدة بالنسبة للمرأة التي تصل إلى مواقع داخل الهيئة التنفيذية، حتى في المواقع الاجتماعية والتربوية. في وقت كانت فيه الحركة النسوية في الجزائر وبعض الفئات الوسطى تأمل أكثر من بوتفليقة اعتمادا على صورة قديمة كان قد سوقها عن نفسه باعتباره ممثلا لتيار ليبرالي داخل النخبة السياسية البومديني، لم تتحقق فعليا على أرض الواقع.

الوزيرة الجزائرية : من الاجتماعي إلى التحدث باسم حكومات الرجال

يتبين من نتائج مقارنة دولية، أن المرأة الوزيرة في العالم عادة ما تكون على رأس القطاعات الاجتماعية (14%) في حين لا تتجاوز النساء اللائي يصلن إلى الوزارات القانونية نسبة 9.4% و 4.1% في الوزارات ذات الطابع الاقتصادي و 3.4% في القطاعات السياسية⁵¹. هذه الصورة النمطية السائدة دوليا عندما يتعلق الأمر بمشاركة المرأة السياسية التي تحسنت مع الوقت على المستوى الدولي، قد لا تتعارض مع التجربة الجزائرية والعربية التي كنا قد عرفنا بصدها أن مشاركة المرأة فيها لا تزال محدودة جدا ومحصورة في بعض القطاعات التي تحولت مع الوقت إلى « قطاعات نسائية »⁵².

في الجزائر كان أول تعيين للمرأة داخل الحكومة في قطاع الشؤون الاجتماعية بمنصب كاتبة دولة احتلته السيدة زهور ونيسي، ليكون موقعها الثاني على رأس وزارة التربية وهو نفس القطاع الذي احتلته السيدة ليلي الطيب ككاتبة دولة مكلفة بالتعليم الثانوي والتقني. قطاع التكوين الذي سيكون من حظ السيدة أنيسة بن عمر باحتلالها لموقع وزيرة التكوين المهني والتشغيل داخل حكومة سيد أحمد غزالي. قطاع التربية الذي بقي من اختصاص المرأة حتى وهي تعين بشكل كبير في حكومة سلال الثالثة التي ضمت عالمة الاجتماع نورية بن غبريت كوزيرة للتربية⁵³ التي تتشابه في الكثير من محطات مسارها الشخصي والعائلي مع الرئيس بوتفليقة أصيل مدينة ندرومة -تلمسان مثلها وابن العائلة الجزائرية المهاجرة المولود في وجدة المغربية.

51. لمزيد من التفاصيل حول المشاركة السياسية للمرأة في اتخاذ القرار وداخل المؤسسات السياسية يمكن العودة إلى : <http://www.onlinewomeninpolitics.org/statistics.htm>

52. تطورت التجربة الغربية في أكثر من بلد نحو تحسن أكثر بوصول المرأة إلى وزارة الدفاع كوزيرة زيادة على رئاسة الحكومة في أكثر من حالة وطنية.

53. حصلت تسريبات واسعة لأسئلة البكالوريا في أول تجربة للسيدة بن غبريت في تنظيم بكالوريا 2016. السيدة بن غبريت-رمعون التي استقبلت بشكل سلبي جدا من قبل جزء من الرأي العام الوطني والساحتين الإعلامية والسياسية بسبب ضعفها في الحديث بالعربية في قطاع كان يمنح عادة لوزراء معربين زيادة على ما أثير حول انتماءاتها العائلية المفترضة وخلفيتها السياسية اليسارية، داخل قطاع تميز على الدوام بحضور كبير للقوى اليمينية والدينية بعد التحولات التي عرفتها وضعية الفئات المهنية (المعلمين) داخله.

فقد ارتبطت المرأة بالتربية والتعليم في أول ظهور سياسي لها على رأس الهيئة التنفيذية، بعد القطاع الاجتماعي الذي ظهر لأول مرة في تاريخ الهيئة التشريعية كقطاع وزاري شبه مستقل، على شكل كتابة دولة.

قطاع الصحة احتلته امرأتان لدى نفس رئيس الحكومة، سيد أحمد غزالي، ويتعلق الأمر بالسيدتين لاليام نفسية ومنتوري زهية، أستاذتي الطب، بتعيينها على رأس وزارة الشباب والرياضة في نفس الحكومة. لم تكن السيدة عسلاوي بعيدة عن هذه الصورة النمطية الملتصقة بالمشاركة السياسية للمرأة، فالسيد سيد أحمد غزالي، رغم العدد الكبير نسبيا لمشاركة المرأة في حكومتيه، لم يدخل عليها تغييرا نوعيا من حيث القطاعات الممنوحة لها، فهي لم تبرح نفس المجال، الاجتماعي والصحي والتربوي. قطاعات كما هو واضح تعيد إنتاج نفس المواقع التقليدية للمرأة، مربية الأطفال ومعلمتهم في أحسن الأحوال... حال يعكسه التأنيث الكبير الذي يعرفه قطاع التربية والصحة.

تحول قطاع الشؤون الاجتماعية، من خلال وزارة التضامن والعائلة، إلى شبه اختصاص لدى المرأة الجزائرية الوزيرة في أكثر من حكومة وفي فترات سياسية متباعدة نسبيا، فقد احتلت هذا الموقع حسب ما هو واضح في الجدول رقم 1 أكثر من امرأة داخل حكومات اختلفت بمستواها التعليمي ونوعية تخصصها العلمي، كما سنلاحظ ذلك عند التطرق إلى المستويات التعليمية وتخصصات الوزارات الجزائريات. فقد احتلت وزارات (عادة ما تكون وزيرات منتدبات) التضامن والأسرة مجموعة كبيرة من النساء مثل بن حيبلس سعيدة، ليلي عسلاوي، ربيعة مشرنن، هنية سميثي، بثينة شريط، نورة جعفر، سعاد بن جاب الله، وأخيرا مونية مسلم (حكومة سلال) وغنية الدالية وكوثر كريكو في حكومات عبد المجيد تبون لاحقا. إذا استثنينا حالة السعيد بركات وجمال ولد عباس في حكومات بوتفليقة اللذان انتهى مسارهما في السجن بتهم فساد ثقيلة مرتبطة بالتسيير المالي للقطاع، كالكثير من وزراء بوتفليقة.

كان قطاع الجالية الجزائرية، مع الانتداب دائما لدى رئيس الحكومة الرجل، من نصيب المرأة في أكثر من وزارة، فقد احتلت هذا القطاع لأول مرة بوشملة فاطمة الزهراء في حكومة بن فليس الثانية، لتخلفها فيه السيدة سكيمة مسعدي بعد التغيير الذي حصل على رأس الحكومة ومجيء أحمد أويحيى الذي ألغى الوزارة المنتدبة في أول تعديل للحكومة. قطاع ليس بعيدا عن الأبعاد الاجتماعية هو الآخر إذا راعينا أن اهتمامات الوزارة المنتدبة ارتكزت في مجملها على مشاكل الأسرة الجزائرية المهاجرة والقضايا التي قد يلاقيها المهاجر كفرد وأسرة عند عودته إلى أرض الوطن.

موقع آخر سيكون من نصيب المرأة ويتعلق الأمر بقطاع الثقافة الذي كان من نصيب الوزيرة في سبع حالات بين 2008 و2024، فقد احتلت زهية بن عروس هذا الموقع ككاتبة

دولة في حكومة أحمد أويحيى بعد نجاح حزب التجمع الوطني في الانتخابات التشريعية 1997، وعادت إليه خليفة تومي مع علي بن فليس في 2002. القطاع الذي احتلته خليفة تومي كوزيرة مكلفة كذلك بقطاع الإعلام ومتحدثة رسمية باسم الحكومة، ضمن حكومة بن فليس بدءاً من 2002. لتتوقف عن أداء مهمة التحدث باسم الحكومة مع أحمد أويحيى ويقتطع منها قطاع الإعلام بعد ذلك في أول تعديل حكومي 2004. خليفة التي طال بها المقام على رأس وزارة الثقافة لمدة اثنتي عشرة سنة (2002-2014)، عرف القطاع خلالها حيوية أكيدة بعد تحسن الوضع المالي للدولة التي بادرت بإطلاق عدة نشاطات ثقافية في الداخل والخارج، كانت من أسباب مصاعبها مع العدالة ودخولها السجن. عكس المخرجة والأستاذة الجامعية، نادية لعبيدي التي خلفتها على رأس الوزارة لتكون ثالث امرأة تنصب على رأس هذا القطاع من بنات قطاع الثقافة. لم يتجاوز رغم ذلك مكوثها على رأس الوزارة السنة الواحدة (2014-2015) عرفت أثنائها صراعات مع لوزيرة حنون رئيسة حزب العمال داخل البرلمان تكون قد سهلت إبعادها من هذا المنصب في تلك الفترة رغم أن حكم المحكمة كان لصالحها بعد سنوات. ليخلفها عز الدين ميهوبي لمدة أربع سنوات كاملة بين 2015 و2019. هو الذي عرف بميوله الأدبية واحتلاله للكثير من المواقع الصحفية والثقافية أوصلته إلى موقع كاتب دولة للاتصال بين 2008 و2010، ليكون ترشحه إلى منصب رئاسة الجمهورية طفرة نوعية في مساره الشخصي، لم يتمكن من الفوز به فقط، بل كانت سببا في ابتعاده لاحقا عن كل نشاط سياسي وحزبي، بعد مرور سريع على الأمانة العامة بالنيابة لحزب التجمع الوطني الديمقراطي، إثر سجن أمينه العام أحمد أويحيى، في مرحلة عاش فيها كل النظام السياسي اضطرابا كبيرا بعد انطلاق الحراك الشعبي ظهر على شكل صراعات وتصفية حسابات بين نخبة المركزية، تحول فيها السجن إلى إمكانية واردة بالنسبة للكثير من المسؤولين حتى عندما يتعلق الأمر بوزراء ووزيرات الثقافة.

احتكار المرأة لموقع وزارة الثقافة الذي تأكد مع الوقت بعد وصول سبع نساء على رأس هذا القطاع جدد من خلالهن النظام السياسي في وجوه وزرائه الذين التحقوا لأول مرة بمنصب سياسي عالي كانت مفاجأة للرأي العام تأكيدا للفكرة التي دافعنا عنها في هذه الدراسة التي مفادها أن حالة الاضطراب التي عاشها النظام السياسي ومؤسساته هي التي تفسر وصول هذا النوع من النخب السياسية إلى موقع الوزارة عادة ما يكون الوزير غير مؤهل له، عبر مسار مهني وسياسي يبرر وصوله إلى هذا الموقع، كما جسدت حالة وزيرات هذه الفترة المضطربة التي ميزهن تكوينهن العالي وانتماؤهن إلى المنطقة الغربية من البلاد في الغالب، كما كان الحال مع أستاذة الفلسفة بجامعة وهران مليكة بن دودة⁵⁴

54. أستاذة الفلسفة بجامعة وهران. لم يعرف لها نشاط مهني خارج مهنة التدريس. وصلت إلى المنصب الحكومي خلال فترة تفشي وباء الكورونا منعها من الظهور والقيام بنشاطات كبيرة كوزيرة في حكومة عبد العزيز جراد.

ووفاء شعلال⁵⁵ وصورية مولوجي⁵⁶ ومريم مرداسي⁵⁷ ابنة قسنطينة. نساء لم يمكن طويلا على رأس هذا القطاع الذي نلاحظ كيف تحول إلى فرصة لتأنيث الحكومات من خلال هذا الموقع الذي فقد الكثير مقارنة بالأسماء الثقافية والسياسية الثقيلة التي عينت في السابق على رأسه كعبد المجيد مزيان وبوعلام بسايح. في وقت ارتفع فيه منسوب النقد لهذه الحكومات بتركيز واضح على النساء اللائي لم يتمكنن بسهولة من فرض أنفسهن في العاصمة التي دخلوها كوزيرات في الغالب وليس قبل ذلك، قادمات من وهران.

حضور المرأة داخل الحكومات الذي تميز بوصولها إلى موقع المتحدثة باسم الحكومة⁵⁸ الذي احتلته بعض النساء لمدة قصيرة على غرار خليدة تومي وليلى عسلاوي خلال فترة الاضطراب هذه وهي على رأس كاتبة الدولة للتضامن والعائلة لبعض الوقت، قبل استقالتها من مسؤولياتها الحكومية لرفضها عملية بدء المفاوضات بين رئاسة الجمهورية وقادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ. هذه الاستقالة التي تدل أننا أمام امرأة ذات مواقف سياسية واضحة، علما بأن قطاع التضامن والعائلة قد احتل موقعا سياسيا حساسا في هذا الظرف، لما كان له من صلات بمسألة ضحايا الإرهاب والتضامن مع عائلاتهم خلال هذه الفترة الصعبة من التاريخ السياسي والاجتماعي للجزائر.

من جهة أخرى نجد أن قطاع التعليم العالي والبحث العلمي قد احتلته ثلاث سيدات في ثلاث حكومات مختلفة ككاتبات دولة ووزيرات منتدبات، مليكة علاب في حكومة عبد السلام بلعيد وليلى حمو بوتليليس مع بن فليس وأخيرا سعاد بن جاب الله مع أويحيى

55. أصيلة ولاية تيسمسيلت. مقيمة في ولاية تيارت -السوقر- التي تملك فيها نشاطا جمعويا ضمن جمعية متكلفة بالأيتام. ترشحت ضمن قوائم التجمع الوطني الديمقراطي في ولاية تيارت 2017. للوصول إلى البرلمان لعهدة واحدة. حاصلة على الدكتوراه في العلوم البيولوجية. لم تصمد على رأس القطاع أكثر من ثمانية أشهر بين جويلية 2012 وفيفري 2022 ضمن حكومة أيمن عبد الرحمن.

56. كان آخر منصب مهني لها مديرية (بالنيابة) المركز الوطني للبحوث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بوههران، حاصلة على شهادة الدكتوراه في الترجمة. لتكون بذلك ثاني وزيرة بعد نورية بن غبريت تصل إلى الحكومة انطلاقا من هذا المركز، بعد تجربة في تسيير البحث بهذا المركز الوطني.

57. ابنة عالم الاجتماع والمؤرخ القسنطيني عبد المجيد مرداسي. حاصلة على شهادة ليسانس في الإعلام وماستر في التاريخ من جامعة باريسية اهتمت بتسيير مؤسسة النشر العائلية كشاط مهني رئيسي. تكون قد تعرفت على نور الدين بدوي الوزير الأول التي التحقت بحكومته عندما كان واليا في قسنطينة. لم يستمر بقاؤها على رأس وزارة الثقافة إلا أربعة أشهر بين أفريل وأوت 2019، لتقدم استقالتها بعد مقتل خمسة متفرجين في حفل نظم من قبل الديوان الوطني لحقوق المؤلف التابع لوزارة الثقافة.

58. لم يتقبل النظام السياسي الجزائري موقع المتحدث الرسمي باسم الحكومة الذي ظهر للوجود لمدة قصيرة خلال فترة الاضطراب التي عاشها النظام السياسي للاختفاء بسرعة كما كان الأمر مع عمار بلحيمر آخر وزير متحدث باسم الحكومة بين جانفي ونوفمبر 2021، كدليل على الصعوبات التي يجدها النظام في التواصل والإعلام مع محيطه المؤسساتي والشعبي الوطني ومع المحيط الدولي. موقع المتحدث الذي طرح من جهة أخرى مسألة تسيير الفروق بين الوزراء التي يمكن أن تظهر بوجود المتحدث باسم الحكومة بالحرايات التي يمكن أن تخلقها بينه وبين رئيس الحكومة وزملائه من أعضاء الحكومة جراء ظهوره الإعلامي. الغريب أن أغلبية الوزراء (خليدة - بلحيمر وحتى عسلاوي) تميزن بضعف تحكمهم في اللغة العربية المعتمدة كوسيلة تواصل مع المواطنين.

مرتين وعبد العزيز بلخادم، موقع لن يغير هو الآخر في الصورة التقليدية للمرأة الجزائرية في علاقاتها بالسياسي الشيء الكثير، إذا عرفنا أن عملهن كان دائما تحت وصاية الوزير- الرجل، رغم المستويات التعليمية العالية التي يمتلكنها والتجربة المهنية، وهي المتغيرات التي سنتعرف عنها بالتفصيل عند التطرق إلى المستويات التعليمية للوزيرة الجزائرية ومسارها المهني.

الموقع الذي احتلته فتيحة منتوري بدءا من حكومة بن فليس الثانية التي أعلن عنها بعد الانتخابات التشريعية لسنة 2002، كوزيرة منتدبة لدى وزير المالية مكلفة بالإصلاح المالي، قد يكون رغم عوامل الاستمرارية التي أكدها (وزيرة منتدبة دائما) من المواقع النوعية التي احتلتها المرأة بالإضافة لموقع المتحدث الرسمي باسم الحكومة الذي احتلته كل من ليلى عسلاوي وخليدة تومي، فالآنسة منتوري بهذا الموقع المحتل أخرجت المرأة من الصورة النمطية جزئيا على الأقل حتى ولو أنه يعيد تذكيرنا من بعيد بصورة المرأة الجزائرية المسؤولة الفعلية عن التدبير المنزلي وتسيير ميزانية العائلة المرتبطة بها تقليديا كامرأة، المختلف عن كسب الرزق المنوط بالرجل وتسييره الداخلي اعتمادا على التقسيم التقليدي للأدوار داخل الأسرة الجزائرية.

قطاعات تقنية أخرى احتلتها المرأة في الحكومات الجزائرية كان من بينها قطاع البيئة التي احتلته كقطاع وزاري عدة وزيرات اشتركن في تأهيلهن العالي في مجال الهندسة في الغالب والحصول على تجربة مهنية في القطاع قبل الوصول إلى موقع الوزارة، عكس ما شهدناه مع وزيرات الثقافة... كما كان حال المهندسة دليلة بوجمعة في حكومة سلال التي عادت إلى موقعها ضمن طاقم حكومة جراد بعد وصول تبون إلى رئاسة الحكومة 2021. موقع احتلته زرواطي فاطمة الزهراء المهندسة هي الأخرى وهي تمثل حزبا سياسيا وصلت لاحقا إلى رئاسته بعد سجن رئيسه المؤسس. منصب تقني آخر احتلته النساء ممثلا في وزارة البريد وتكنولوجيا الإعلام الذي كان من نصيب سيدتين (دردوري فاطمة الزهراء وهدي إيمان فرعون التي تعد من أصغر الوزيرات حتى الآن - 1979 -). المرأة التي استمرت في التواجد بهذا الشكل الضعيف في هذه المواقع التقنية لغاية حكومات عبد المجيد، كما تبينه حالات بن حراث نصيرة على رأس قطاع البيئة مثل زميلتها الحقوقية سامية موالفي التي مثلت حزب جبهة التحرير والتي ترشحت باسمه في ولاية بجاية قبل الانتقال إلى الهياكل التنفيذية، على غرار المحامية بسمة عزوار التي مثلت جبهة المستقبل على رأس وزارة العلاقات مع البرلمان، وأخيرا الرياضية سليمة سواكري -الجيدو- التي احتلت لمدة سنة تقريبا الوزارة المنتدبة لرياضة النخبة خلال نفس الفترة في بداية عهده الرئيس تبون، دون أن يعرف عنها أي انتماء حزبي رغم حضورها الاجتماعي - الذي طورته

في المجال الإعلامي لاحقا - كبطلة رياضية (الجيدو) معروفة احتلت موقع سفيرة نوايا حسنة لدى اليونسيف كما يفعل عادة مشاهير الرياضة⁵⁹.

خلاصة جزئية حول حضور المرأة المتواضع في الحكومات الجزائرية

يمكن القول في الأخير كخلاصة جزئية لهذا القسم من الدراسة التي تتبعنا فيها حضور المرأة داخل الحكومات بالمواقع المحتلة داخلها، أن حضور المرأة الجزائرية كان ضعيفا داخل الهيئة التنفيذية، بحيث لم تتجاوز أعلى نسبة وصلتها لأول مرة في أكبر مشاركة لها في حكومة علي بن فليس الثانية 2002 على سبيل المثال، حدود 12.5% من مجموع 40 وزيرا لتكون النسبة أقل في حكومة عبد السلام بلعيد 9.37% التي ضمت 32 وزيرا وأخيرا معدل حوالي 6.89% داخل حكومتي سيد أحمد غزالي التي شملت 58 وزيرا بتعديلاتها الكثيرة، لتختفي تماما من أربع حكومات كما كان الحال بالنسبة لحكومة قاصدي مرباح ومولود حمروش وأحمد بن بيتور وحكومة علي بن فليس الأولى. لتصل إلى حوالي 11% في أول حكومة لعبد المالك سلال (2012) وتصل إلى (21.2) في حكومة سلال الثالثة (2014) التي عرفت أكبر حضور مسجل للمرأة داخل الحكومة في تاريخ الجزائر لحد الآن.

حضور كمي متواضع للمرأة داخل الهيئة التنفيذية، تحسن مع الوقت ليرز أكثر في أجواء سياسية كان من ميزات الإعلان عن التغيير الدستوري الذي منح حضورا معقولا للمرأة على مستوى الهيئة التشريعية للمرأة بعد تجربة الانتخابات التشريعية (2012) التي نظمت اعتمادا على نظام التمييز الإيجابي الذي جاء به التعديل الدستوري في (2008)، استعملت كورقة من قبل بوتفليقة لمغازلة المجتمع الدولي والفئات الوسطى الحضرية والحركة النسوية وهو يمهّد لتغيير الدستور لصالح تمديد بقائه في السلطة.

على مستوى نوعية المشاركة، يمكن أن نلاحظ أنه من مجموع (40) امرأة جزائرية وصلت إلى عضوية الحكومات المختلفة خاصة بعد الإعلان عن التعددية، عينت المرأة كوزيرة كاملة الصلاحيات في أغلبية الحالات كما حصل مع الوقت وبعد تعود النظام السياسي على حضور المرأة عكس الفترة الأولى التي كانت فيها المرأة تعين ككاتبة دولة في الغالب الأعم أو وزيرة منتدبة لدى الوزير المكلف بالقطاع أو رئيس الحكومة الرجل. الموقع الذي من ميزاته ضعف الصلاحيات كعدم الأمر بالصرف وقلة الإمكانات وبالتالي التدخل الضعيف في اتخاذ القرار، خاصة إذا أضفنا إلى هذه الحالات موقع الوزيرة المستشارة، كما كان الحال مع السيدتين زرداني مريم في حكومة عبد السلام وبن حيبلس سعدية مع حكومة رضا مالك.

59. نستعمل في سرد المعلومات حول سليمة سواكري التي لم نقم بمقابلة معها على الكتاب - السيرة الذاتية التي حررها الصحفي جودت قسومة.

Jaoudet Gassouma, *Salima Souakri ceinture noire, cœur blanc*, Édition Elbayazin, Alger, 2018.

موقع كاتبة الدولة الذي احتلته المرأة عدة مرات يشبه في ضعف صلاحياته موقع الوزيرة المنتدبة بحيث تبقى في الغالب الصلاحيات بيد وزير القطاع خاصة إذا كانت العلاقات متوترة أو ليست على ما يرام بين الوزير وكاتب الدولة الذي يشتغل تحت سلطته، كما كان الحال في الغالب خلال هذه التجربة والتي سنعود إليها بالتفصيل عند التطرق لها، ليس بالنسبة للمرأة كاتبة الدولة فقط، بل للتجربة ككل.

بقي أن نشير أن المرأة الوحيدة التي كانت فيها امرأة كاتبة دولة لدى وزير امرأة هي حالة ليلي الطيب مع زهور ونيسي خلال تجربة وزارة التربية (1984) والتي عرفت فيها العلاقات بين السيدتين توترا كبيرا وصلت أصدائه إلى رئيس الجمهورية نفسه، كما سنعرف ذلك بالتفصيل عند التطرق إلى تقييم النساء أنفسهن لتجربتهن الحكومية.

على مستوى نوعية المشاركة النسوية لا بد من الإشارة في الأخير إلى موقع المتحدثة الرسمية باسم الحكومة الذي احتل من قبل امرأتين خليفة تومي كوزيرة إعلام وثقافة في حكومة بن فليس الثانية قبل أن تبعد من أداء هذه المهمة مع أحمد أويحيى ويلي عسلاوي⁶⁰ قبلها في حكومة مقداد سيفي رغم موقعها ككاتبة دولة للتضامن الوطني والأسرة، الذي افتقدته بعد استقالتها السريعة من الحكومة.

الوزيرة الجزائرية التي عادة ما تلتحق بمجلس الأمة كمعينة ضمن حصة رئيس الجمهورية، للزيادة من حجم تأنيث الغرفة الثانية التي لا تملك المرأة فرصا حقيقية للوصول إليها عن طريق الانتخابات، نتيجة ضعف حضورها على مستوى مركز القرار المحلي المنتخبة (المجالس الشعبية البلدية والولائية) كما كان الأمر مع زهية بن عروس التي وصلت إلى نيابة رئاسة مجلس الأمة وزهور ونيسي ويلي الطيب وبن حبيلس ونوارة جعفر... الخ. يكون هذا التحويل إلى مجلس الأمة كجزء من عملية التدوير للنخبة السياسية النسوية قليلة العدد، التي يلجأ إليها النظام السياسي الجزائري في حالة الرضا على الوزيرة السابقة.

الالتحاق بالعمل الحزبي يكون هو الآخر حاضرا بالنسبة للوزيرات الحزبيات كما هو حال ليلي الطيب التي التحقت بالمكتب السياسي لجهة التحرير أو نوارا جعفر كمتحدثة رسمية باسم الحزب أو زهية بن عروس التي انشقت عن حزبها الأصلي للالتحاق بحزب آخر⁶¹ وهي بمجلس الأمة. قائمة يمكن إضافة فاطمة الزهراء زرواطي لها، هي التي وصلت إلى رئاسة حزب تاج (تجمع أمل الجزائر) بعد سجن رئيسه المؤسس، الوزير السابق، عمار غول.

60. أدت السيدة عسلاوي وظيفة المتحدث الرسمي باسم الحكومة رغم وجود وزير للإعلام والاتصال في شخص محمد بن عمر زرهوني.

61. تجمع أمل الجزائر الذي كونه الوزير عمار غول بعد انشقاقه عن حركة مجتمع السلم. انشقت زهية مرة أخرى عن حزبها الجديد لاحقا.

التأهيل العلمي العالي الذي ميز الوزيرة الجزائرية قد يكون المفتاح الذي يفسر توجهها نحو نشاطها المهني الأصلي الذي لاحظناه عند الطبييات والمحاميات بعد ابتعادهن عن المنصب الوزاري. هي التي تعرف بالتجربة أن بقائها في المنصب قد لا يكون لفترة طويلة، مما يجعلها لا تنقطع عن مواقعها المهنية خاصة بالنسبة لأستاذات الطب المعينات على رأس أقسام طبية بالمستشفيات العمومية بالمدن الكبرى كما كان حال شنتوف زهية وليلى حمو بوتليليس التي عينت أحد زملائها مؤقتا على رأس المصلحة التي كانت تسيرها بمستشفى وهران الجامعي للتأكد من العودة بسهولة إلى منصبها.

في حين كان أمر العودة إلى مكتب المحاماة بالنسبة للمحاميات أسهل بكثير، كما كان حال بوشملة فاطمة الزهراء أو موالفي سامية أو مونية مسلم. التدريس بالجامعة هو الآخر يمكن أن يكون سهلا بعد انتهاء العطلة الرسمية القانونية لسنتين التي تفرض على الوزير السابق قبل عودته إلى الحياة المهنية العادية، إذا لم يصادف الإحالة إلى التقاعد.

في حين لاحظنا، مقابل ذلك الاختفاء شبه التام عن الحياة العامة الذي ميز بعض الوزيرات، عندما تعلق الأمر بالوزيرات المعينات خلال فترة الاضطراب في حكومات بوتفليقة الأخيرة وبداية مرحلة حكومات عبد المجيد تبون - بما فيهم الرجال - بسبب الموقف النقدي للمجتمع من هذه الحكومات التي خرج الشارع ضدها في الحراك. في حين استمر النشاط العلمي والفكري لبعض الوزيرات كما كان الحال مع زهور ونيسي التي استمرت في الكتابة الأدبية، بعد تجربة مجلس الأمة الذي التحقت به بعد الوزارة... رغم سوء الاستقبال الذي تعرضت له شعبيا هي الأخرى كما تم التعبير عنه أثناء أحداث أكتوبر 1988.

في المقابل نجد أن الوزيرات السياسيات اللائي لاحظنا عنهن مواقف سياسية حازمة كما كان الحال مع ليلي عسلاوي التي كانت الوزيرة الوحيدة التي استقالت من الحكومة علنا حتى الآن أو خليدة تومي التي تميز حضورها في الحكومة بمدته الطويلة قبل الانتهاء في السجن أثناء مرحلة الحراك. وزيرات لم يتوقفن عن الاهتمام بالشأن العام بواسطة الكتابة الصحافية بانتظام، كما كان الحال مع ليلي عسلاوي التي التحقت بالمحكمة الدستورية (2021).

المنحدرات الاجتماعية للوزيرة الجزائرية: من أين جند النظام السياسي الجزائري

وزيراته ؟

ليس غريبا بالنسبة للتشكيلة الاجتماعية الجزائرية أن يغلب الارتباط بالريف وقواه الاجتماعية على الأصول الاجتماعية للوزيرة الجزائرية، خاصة على مستوى جيل الجدين الذي سنطلق منه لدراسة المنحدرات الاجتماعية لعائلة الوزيرة، للوصول إلى محطة الأب.

اختيار يجعل هذا التصنيف يعتمد على موقع الجد من الأب في المقام الأول، دون إهمال لمكانة الجد من الأم المهمة والتي قد تكون مختلفة عن الموقع الاجتماعي والاقتصادي للجد من الأب. نظرة تجعلنا نتكلم عن وسط اجتماعي بالمعنى الواسع وليس عن مهنة فقط، في مجتمع تقليدي لم يعرف تقسيما اجتماعيا صارما وعصريا للعمل مثل المجتمع الجزائري خلال الفترة المدروسة، بهدف مراقبة مختلف التحولات التي عاشها هذا الوسط الذي أنتج الوزيرة الجزائرية مدة جيلين كاملين. مهنة الأب التي سنتعرف عنها ضمن هذه السيرة كانت بالطبع من المحطات المهمة لقياس هذه التحولات في الحالة الجزائرية الكولونيالية، داخل هذه الأوساط بالذات التي أنتجت الوزيرة الجزائرية.

معطى سيطرة القوى الريفية سيزداد بداهة وترسيخا من الناحية السوسولوجية، إذا راعينا تاريخ مولد الوزيرات أنفسهن، رغم أن القليل فقط منهن مولود في بداية العشرينيات من القرن الماضي، كما هو حال السيدة لاليام نفيسة، فإننا نجد من هن مولودات في ثلاثينات القرن الماضي (خمس وزيرات)، لتكون الأغلبية مولودة بين الأربعينيات (حوالي ست وزيرات) والخمسينيات من نفس القرن (أكثر من ثماني وزيرات). في حين نسجل ظهور جيل صغير مع الحكومات المدروسة في الفترة الأخيرة، مثل حكومات سلال التي اقترحت وزيرات صغيرات في السن من مواليد نهاية السبعينيات كما هو حال هدى فرعون (1979) وحتى بداية الثمانينات (1981) كما كان الحال مع عائشة طقابو، كاتبة الدولة للصناعة التقليدية. ظهور لمثلي هذا الجيل الصغير من الوزيرات الذي استعمل في الصراع السياسي الدائر في الجزائر والذي يهتم بموجبه النظام السياسي ككل بالشيخوخة والهرم في مجتمع شاب، في وقت ساءت فيه الحالة الصحية للرئيس بوتفليقة. ملكية الأرض والعلاقة مع الريف تحديدا التي ستضعف نوعا ما بالنسبة للجد من الأم الذي يظهر عليه كوسط اجتماعي الارتباط أكثر بمهن أجيرة ذات طابع ثقافي كالتهذيب والتعليم والقضاء والإمامة. ليتحول هذا الاتجاه إلى صفة غالبية على مستوى جيل أب الوزيرة الذي تضعف كثيرا علاقاته بالريف، مهنيا على الأقل ويدخل في ارتباطات مهنية أكثر تنوعا من تلك السيطرة التي كان يفرضها عالم الريف والزراعة على جيل الجد.

مواقع اجتماعية جديدة، من سماتها الأساسية فقدان الاستقلالية المادية التي كانت تضمنها الملكية الفردية الزراعية المتوسطة والكبيرة منها على وجه التحديد والتحول إلى القطاعات الحرفية وحتى الصناعية بالنسبة للبعض، دون أن يعني هذا بالضرورة تدهورا في الوضع الاقتصادي والمالي، إذا عرفنا أننا في الغالب أمام تنوع في مصادر الدخل وتوليف بين المصادر المالية المتأتية من العالم الريفي التي تتآكل باستمرار تحت ضغط العامل الديموغرافي وبين مصادر الدخل الجديدة التي يتيحها الانتقال إلى المدينة والتقرب من العمل التجاري، الفكري والإداري وحتى الحرفي، شبه الصناعي في بعض الحالات.

بروز المهن الثقافية والعلمية والإدارية كمهنة التعليم والإمامة والقضاء وبعض المهن الإدارية في الوظيف العمومي، على مستوى جيل الأب خاصة، الذي استفاد من عملية انتشار نسبي للتعليم جراء التقرب من الفضاءات الحضرية، ستكون ضمن منطق هذه التحولات التي عرفت هذه الأوساط الاجتماعية، كجزء من التحولات العامة التي عرفها المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة المحورية لما بين الحرين العالميتين من تاريخه، تحت السيطرة الاستعمارية وهي تحتفل بمرور قرنهما الأول في الجزائر.

أخيرا فإن العلاقة بين هذين الواسطين الاجتماعيين للجدين، القريين في بعض الأحيان من بعضهما البعض (ليس جغرافيا فقط) والمرتبطين عائليا لأكثر من جيل، تفرض علينا مناقشة إشكال استراتيجيات المصاهرة داخل هذه الأوساط الاجتماعية التي تكفلت بإنتاج النخبة الوزارية الجزائرية، لما بعد الاستقلال. استراتيجية كان من نتائجها تراكم تاريخي لمصادر القوة الاقتصادية والمال ودمجها مع الرأسمال الثقافي والرمزي، لدى نفس الأوساط الاجتماعية التي أنتجت النخبة الوزارية النسوية، لفترة ما بعد الاستقلال.

الجدول رقم 28 : بين المنحدرات الاجتماعية للوزيرات الجزائريات

الاسم واللقب	مهنة الجد/الأب	مهنة الجد/الأم	مهنة الأب	مهنة الزوج	ملاحظات أخرى
زهور ونيسي	فلاح صغير/ حرف صغيرة مختلفة	قيم على مساجد	حرفي في البناء	معلم/ضابط-محامي	تزوجت مرتين
خيرة-ليلي الطيب	مالك فلاحي كبير	إمام	تاجر مواشي	ضابط جيش التحرير/طبيب	تزوجت مرتين
نفيسة لاليام	حرفي /صناعي	تاجر	أستاذ	طبيب/مجاهد نائب سابق بالبرلمان	
أنسة بن عمر	مالك فلاحي كبير	قاض/موثق	معلم بالفرنسية	طبيب	تزوجت ابن عمها
ليلي عسلوي	مالك ورشة خياطة	موظف صغير في الأشغال العمومية	مالك ورشة/ موظف	طبيب أسنان	تم اغتيال الزوج في عيادته بالعاصمة سنة 1994
زهية منتوري - شنتوف	فلاح متوسط	فلاح متوسط	موظف في العدالة	أستاذ جامعي	الأب والأم ابنا عم
سعيدة بن حبيلس	معلم قرآن	معلم مدرسة قرآنية	معلم قرآن	مفتش تعليم ابتدائي	الأم والأب ابنا عم
مريم زرداني بلميهوب	مالك زراعي صغير/تاجر صغير	مالك زراعي كبير	محاسب بالسكك الحديدية/نقابي	مجاهد/محامي	الزوج كذلك كان وزير في 1965

الأخ الأكبر - عياشي ياك-كان وزير للتجارة	أستاذ جامعي/ موظف	موظف	مالك زراعي كبير	مالك زراعي متوسط	مليكة علاب ياكر
الزواج الثاني/ الجدان أبناء عم	موظف سام	فلاح صغير	فلاح صغير	فلاح صغير	ربيعة مشرن
تزوجت مرتين مطلقة	رجل أعمال/صحفي	مدير وسائل عامة/مصور تلفزيوني	رئيس طباطين	قائد	زهية بن عروس
أرملة	طبيب (متوفى)	أستاذ جامعي	حرفي في التجارة	فلاح/تاجر	بثينة شريط
	إطار مؤسسة سوناطراك	صاحب مصنع	فلاح متوسط/ موال	فلاح كبير/موال	فاطمة الزهراء بوشملة
تزوجت من طبيب جزائري من أصول سورية	طبيب	جزار		جزار	ليلي حمو بوتليليس
الأخ محمد الصالح وبنت عم كانا وزيرين قبلها/ غير متزوجة	غير متزوجة	موظف بالبريد	فلاح متوسط	فلاح متوسط/ خوجة	فتيحة منتوري
غير متزوجة	غير متزوجة	تجارة وصناعة الأحذية التقليدية	تاجر	تاجر في الجلود	سكينة مسعدي
	مفتش بالتعليم	معلم/إمام	فلاح كبير/ متوسط	فلاح صغير	نؤارة سعدية جعفر
	أستاذ جامعي/ محامي	موظف بسكك الحديد	طبيب	محامي أهالي	سعاد بن جاب الله
مطلقة	إطار في القطاع العالم/مطلقة	أمين عام بلدية	مدرس بزؤوية سيدي عبد الرحمن بالعاصمة	قاضي-ترجمان	خليدة تومي
	أستاذ جامعي	موظف في الإدارة المغربية			نورية بن غبريت
	أستاذ جامعي	موظف عمومي			نادية لعبيدي
					مونية مسلم
	غير متزوجة (2016)				هدى إيمان فرعون
	غير متزوجة (2016)				دليلة بوجمعة

		تاجر صغير			عائشة طقابو
	غير متزوجة (2016)				دالية الغالية
	غير متزوجة (2016)				آمنة زرهوني
					دردوري فاطمة الزهراء
					موالفي سامية
					هنية شميمي
عاصمي	مهندس	أمين عام بلدية	فلاح كبير	عسكري بسيط	زرواطي فاطمة الزهراء
					بن دودا مليكة
					هيام بن فريحة
					كريكو كوثر
متزوجة من رعية تونسي					بسمة عزوار
					نصير بن حراث
الأب والأم مطلقان	لاعب كرة قدم	حارس غابات- حارس بلدي	تاجر صغير -مهاجر مسؤول ورشة في الجزائر	فلاح فقير	سليمة سواكري
					وفاء شعلال
					مرداسي مريم
					جميلة تمازيرت

الوزيرات بنات الفلاحين الكبار والمتوسطين. بنات الريف والتراكم الاجتماعي

سنجد أنفسنا إذا قمنا بتتبع المنحدرات الاجتماعية للوزيرة الجزائرية، بدءا من محطة الجد من الأب، أمام حضور قوي للقوى الريفية المالكة الكبيرة والمتوسطة كمنتج للنخبة الوزارية النسوية في الجزائر- كما كان الحال مع الوزير الرجل - في مختلف مناطق البلاد وبالنسبة لكل الفترات التي شاركت فيها المرأة، داخل الحكومات المختلفة. هذه الفئات صاحبة الملكية الكبيرة والمتوسطة التي لا تمثل أغلبية ديموغرافية في الريف الجزائري، إذا ما قارناها مع الفئات المالكة الصغيرة. الفئات المالكة الكبيرة والمتوسطة التي تتحدث الكثير من الدراسات عن كيفية بروزها كقوة اقتصادية واجتماعية⁶² قبل محطة الاستقلال

62. Marc Cote, *L'Algérie espace et société*, Media-Plus, Constantine, 2005, *Parties 2, l'Algérie des compagnes*, pp. 45-77.

بكثير... خاصة في منطقة الشرق الجزائري الذي أصبح فيه الفلاحون الجزائريون يشترون الأراضي من الفرنسيين أكثر مما يبيعون بدءاً من سنة 1915، ليتحول هذا إلى اتجاه سائد على المستوى الوطني في 1940. لدرجة أن استرجاع الأراضي التي سيطر عليها المعمرين خلال المرحلة الأولى من الاستعمار لم ينتظر استقلال البلاد في سنة 1962...

هذه القوى الريفية المالكة الكبيرة والمتوسطة التي التحق أبنائها على مستوى جيل الأب بالعمل الوظيفي بشكل واضح، كما هو مبين من عدة حالات، بعد الاستفادة من القرب من المدينة الذي يتم في الكثير من الحالات على مستوى الأب وحتى على مستوى الجد في أحيان أخرى. هذا القرب من الفضاءات الحضرية الذي تلازمه الاستفادة واضحة من التعليم العصري الفرنسي على مستوى جيل الأب التي لولاهما لما تمكن هذا الجيل من الوصول إلى احتلال موقع الموظف حتى وإن كان متواضعاً.

هذه القوى الريفية الميسورة والمالكة التي تمثلها في الدراسة أكثر من ست وزيرات على الأقل، ضمن الحالات التي نملك حولها تفاصيل، دخلت المدن الكبرى كالجزائر العاصمة وقسنطينة ووهران لتحصل على مواقع متوسطة على مستوى جيل الأب، لا يمكن فهمها إذا اعتبرناها مواقع متدنية بالمقارنة مع مواقع الملكية الكبيرة والمتوسطة التي ميزت الجد إلا بالوضع الكولونيالي الذي ميز الحالة الجزائرية والتحويلات التي عرفها الريف الجزائري ضمن هذه الحالة بخصائصها المعروفة، بما فيها تلك ذات الطابع الديموغرافي.

فقد كان جد ليلي الطيب من الأب المعسكري (أولاد سيدي قادة) على سبيل المثال، مالكا فلاحيا كبيرا، قبل أن يقرر الدخول إلى مدينة وهران أين ولد الأب هناك والبنات خيرة، الملقبة بليلى، بعد ذلك. في حين كان الجد من الأم إماما بمدينة وهران التي ولدت فيها الأم كذلك. علاقة مصاهرة بهذا الوسط الحضري تؤكد ذلك الارتباط بين الملكية الزراعية والمكانة العلمية والدينية التي يمثلها الجد الإمام الحضري، على الأقل من حيث المهنة التي ابتعد من خلالها جزئيا عن عالم الريف، بعد استقرار العائلة بمدينة وهران. فقد أضافت هذه المصاهرة الجاه الاقتصادي إلى الجاه الثقافي والديني، تدعيما لمواقع هذا الوسط الاجتماعي المنتج للنخبة الوزارية النسوية في الجزائر.

الابتعاد عن الريف الذي لا يعني القطيعة معه بالنسبة لهذه الأوساط المالكة التي تبقى محافظة على علاقات متينة، مع عالم الريف حتى وإن غادرته جزئيا للإقامة في المدن الكبرى القريبة، كما هو حال الجد من الأب لكاتبة الدولة للتعليم الثانوي والتقني ليلي الطيب، التي احترف أبوها العمل التجاري في قطاع الماشية التي عرف بتصديرها إلى فرنسا وأوروبا عموما، مما يؤكد أن علاقات العائلة مع الحرف الزراعية وشبه الزراعية لم تتوقف نهائيا حتى وهي تستقر في المدينة لأكثر من جيل. كما يعني أننا أمام حالة تمت فيها المحافظة على المكانة الاقتصادية المستقلة والمريحة للعائلة.

المناحدرات الاجتماعية للسيدة بوشملة فاطمة الزهراء ليست بعيدة عن تلك التي تميز ليلي الطيب، رغم الاختلاف في الخصائص الجغرافية للمنطقة؛ فالجد بوشملة من منطقة الحضنة الرعوية، بلدية المتكعوك، عبد القادر عزيل حاليا، بالقرب من بركة ولاية باتنة، مما جعله يجمع كعادة أهل المنطقة، بين زراعة الحبوب والرعي على أرضه التابعة لعرشه، أولاد سحنون. هنا كذلك سنجد أنفسنا أمام علاقة مصاهرة بين المدينة الصغيرة القريبة والريف كما كان الحال مع عائلة ليلي الطيب. فابن المتكعوك، فضل مصاهرة عائلة من بركة التي لا تبعد إلا بعض الكيلومترات، تملك، زيادة على الأراضي الزراعية (بساتين) كحال هذه المدن الصغيرة القريبة إلى منطق القرية، مصنعا صغيرا لبناء الطوب. بركة التي ستكون مكان أول عمل للأب بوشملة، كموظف صغير في البلدية بقسم الحالة المدنية.

هذا القرب من العمل الصناعي القريب من المنطق الحرفي الذي ورثه الأب عن الجد من الأم، تطور مع الوقت ليعرف عدة محطات، فقد مارس الأب عدة مهن، تراوحت بين العمل التجاري في الذهب الذي عرف به أهل المنطقة وصناعة العطور التي تخصص في تصديرها إلى الاتحاد السوفييتي، في إطار عقد تجاري مقابل دفع ديون جزائرية للسوفييت، في بداية الثمانينات من القرن الماضي، قبل التحول إلى صناعة البلاستيك كشريك في وحدة إنتاج. المصنع الذي أمم من قبل الدولة في بداية النصف الثاني للسبعينيات لأسباب سياسية تتعلق بمواقف شريك الأب محمد خير الدين⁶³.

في نفس المنطقة الشرقية من الجزائر، يمكن أن نضم عائلة منتوري إلى هذه الفئة المتميزة بملكيتها الزراعية الكبيرة والمتوسطة. العائلة التي أنتجت ثلاثة وزراء من بينهم وزيرتان في فترتين مختلفتين نسبيا، بعد الإعلان عن التعددية: منتوري زهية وابنة عمها منتوري فتحة، وأخوها محمد الصالح منتوري الذي احتل موقع الوزارة أكثر من مرة قبل الانتقال إلى رئاسة المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي في 2005.

كان جدّ الوزيرة زهية، الأخوان، صاحبَي ملكية زراعية متوسطة وحتى كبيرة، نفس الحال الذي كان يميز جد الوزيرة فتحة، ابنة العم الذي ارتبط مهنيًا بالإدارة الفرنسية من خلال عمله كخوجة، زيادة بالطبع على ملكيته الزراعية التي بقيت على طابعها الجماعي إلى غاية وفاته في سنة 1910. هنا كذلك وكما هو الحال في العديد من العائلات الجزائرية، نجد تدخل العامل الديموغرافي الذي كان له تأثير كبير على تفتيت الملكية العائلية، خاصة بعد زواج الجد الخوجة للمرة الثانية وإنجاب له تسع ذكور وخمس بنات، نتيجة هذه الارتباط المزدوج.

63. شريك الأب كان محمد خير الدين - بسكرة - من قيادي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي اتخذ مواقف معارضة من نظام بومدين تتعلق بقضية الحريات والصحراء الغربية مع مجموعة من الوجوه السياسية منها عباس فرحات وبن يوسف بن خدة، مواقف أدت إلى تأميم مصالح المجموعة الاقتصادية للتضييق عليها.

الانتقال إلى العمل المأجور في الإدارة الفرنسية، بمختلف قطاعاتها الذي تدعم أكثر على مستوى جيل الآباء منتوري، فقد احتل العم أحمد، أب زهية، وزيرة الصحة، موقعه كموظف في العدالة، بمدينة سطيف بعد زواجه من ابنة عمه، ليكون نفس المصير في انتظار ابن العم، يونس أب الوزيرة فتيحة الذي التحق بالعمل كقابض مالي في شركة لنقل المسافرين بفرجوة، قبل الانتقال إلى جيجل، ثم الاستقرار أخيرا في الحامة بوزيان قرب مدينة قسنطينة، كموظف صغير في البريد والمواصلات.

مناصب وظيفية تحصل عليها أبناء عائلة منتوري لم تكن ممكنة لولا التحصيل العلمي الذي تمكنا من الحصول عليه أولا في فرجوة، داخل المنظومة التعليمية التقليدية، بهذه المنطقة التي اشتهرت بحضور قوي لزاوية بن الحمالوي، قبل بروز المنظومة التعليمية الأهلية التي تطورت فيما بعد، تحت تأثير جمعية العلماء، لتكون استفادة الأجيال الأصغر منها أكثر. لم يكتف أبناء منتوري على مستوى جيل الآباء بالاستفادة من المنظومة التعليمية التقليدية والأهلية التي كانت ذات حضور أكيد في هذه المنطقة من الشمال القسنطيني، بل أضافوا إلى ذلك الاستفادة من التعليم الفرنسي مما أهلهم للحصول على مواقع كموظفين صغار في مجتمع يشكو الأمية والبطالة. استفادة ازدادت بالطبع على مستوى جيل الأبناء والبنات، مما يفسر هذه الإنتاجية النخبوية الكبيرة لعائلة منتوري التي أنتجت شخصيات سياسية وعسكرية كان لها دور مميز داخل الحركة الوطنية، ثورة التحرير والاستقلال. فزيادة على بنات العم الوزيرتين، فتيحة وزهية أنتجت العائلة الضابط العسكري (محمود) والطبيب السياسي (الأخ الأكبر بشير) والأخ الأصغر الوزير ورئيس المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي (محمد الصالح)، دون نسيان التحالفات التي قامت بها العائلة عن طريق المصاهرة مع عائلتي غلام وبن زاغو، المتزوجين من أختين من بنات منتوري.

يتأكد الدور الذي لعبته هذه الأوساط الفلاحية الميسورة في مختلف مناطق البلاد في إنتاج النخبة الوزارية النسوية، إذا أضفنا إلى القائمة المذكورة عائلة أنيسة بن عمر التي كان فيها الجد، ابن قصر البخاري جنوب ولاية المدية بمنطقة الوسط الجزائري، مالكا زراعيًا كبيرا هو الآخر. كما تتأكد استراتيجية المصاهرات لدى العائلات الجزائرية الريفية الميسورة في الزواج من بنات الحضر المنتميات لأوساط ثقافية متميزة برأسمالها العلمي والثقافي، فقد فضل الأب هنا كذلك الزواج من بنت قاضي-موثق، من خريجي مدرسة الجزائر(الثعالبية)، كان له الدور المحدد في تربية حفيده، كما جرت العادة في العائلة الجزائرية، خاصة بعد استشهاد الأب.

الابتعاد عن تلك العلاقات الوطيدة مع عالم الزراعة والريف من جيل الجدين إلى جيل الأب وظهور العمل المأجور خاصة في قطاع التعليم والإدارة، تبرز هنا كذلك في حالة عائلة

بن عمر التي احترف فيها الأب، ابن الفلاح الكبير، مهنة التعليم الابتدائي باللغة الفرنسية، قبل استشهاده أثناء ثورة التحرير.

في منطقة القبائل سجد عائلة ياكز التي أنتجت وزيرين في مرحلتين مختلفتين، الأخ الأكبر عياشي ياكز وزير التجارة في السبعينيات ممثل حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري (عباس فرحات)، داخل الحركة الطلابية الوطنية والأخت مليكة زوجة علاب، كاتبة الدولة للتعليم العالي، ضمن طاقم حكومة عبد السلام بلعيد 1992. عائلة ياكز التي تمثل منطقة القبائل تلك الفئات المالكة المتوسطة والكبيرة على مستوى الجدين... الجد من الأم من عائلة فرنان، ابن قرية القنطرة بالقرب من لربعاء ناث ايراثن، كان أكثر يسرا من الجد من الأب الفلاح صاحب الملكية المتوسطة، ابن قرية ثامزيرت أو آيت حلي، بنفس المنطقة، تقول الحفيدة مليكة⁶⁴...

على عكس الجدين الفلاحين الميسورين والأمينين، فإن الأب ياكز انتقل إلى العمل كموظف في الإدارة الفرنسية (في صفوف قوات الدرك)، في أكثر من مدينة جزائرية. مهنة تفسر ولادة الابن البكر، العياشي، في مدينة سوق أهراس بأقصى الشرق الجزائري، في حين كان مولد البنت مليكة بموطن العائلة بقرية ثامزيرت، بأعالي منطقة القبائل. عائلة ياكز التي تملك على مستوى جيل الأب تجربة في العمل داخل الإدارة الفرنسية... فقد كان العم قايد كذلك...

وكحال هذه الأوساط الاجتماعية الميسورة التي تصر على التنوع في استراتيجياتها حتى السياسية منها، فقد أنتجت من جهة الأم، قيادات سياسية وعسكرية للحركة الوطنية وثورة التحرير على غرار زوج الخالة حنفي فرنان.

مجمال الحالات المعروضة تؤكد أننا أمام فئات اجتماعية ريفية ميسورة عُرفت بملكيتها الزراعية الكبيرة والمتوسطة، تمكنت من المحافظة على مواقعها الاجتماعية والاقتصادية المتميزة، رغم انتقالها إلى المدينة والارتباط بقطاعات نشاط جديدة عليها كالعمل التجاري وحتى الحرفي شبه الصناعي، دون إهمال لظاهرة الارتباط بالعمل الإداري والوظيف العمومي التي ستكون على رأس الاستراتيجيات التي لجأت إليها هذه الفئات التي استفادت من التعليم بكل أشكاله المعروفة في الحالة الاستعمارية.

الوزيرات بنات الوسط الفلاحي الصغير

لم يكن عالم الريف على مستوى جيل الجد وحتى الأب، مثلما كان الحال مع الوزراء الرجال، ممثلا فقط بالفئات الفلاحية الميسورة الكبيرة والمتوسطة في إنتاجه للنخبة الوزارية النسوية، فقد ساهمت القوى الريفية صاحبة الملكية الصغيرة هي الأخرى في إنتاج وزيرات

64. مقابلة مع المعنية في منزلها. انظر :

ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011.

الجزائر ما بعد الاستقلال. هذه القوى الاجتماعية المالكة الصغيرة التي تمثل أغلبية سكان الريف من القوى المالكة في التشكيلة الاجتماعية الجزائرية الزراعية خلال هذه الفترة، والتي لم تكن هي القوة الاجتماعية الغالبة عندما تعلق الأمر بإنتاج النخبة الوزارية من النساء لجزائر ما بعد الاستقلال. نفس الشيء الذي لاحظناه على مستوى الوزير الرجل.

إن ما يلاحظ هنا بالنسبة لهذه الفئات المالكة الصغيرة، أن عملية الانتقال إلى العمل المأجور والمهن الصغرى لديها كانت أسرع وتمت في جيل واحد في بعض الأحيان، جيل الجد نفسه وليس في جيلين، كما كان الحال مع العائلات الريفية الميسورة، مما يؤكد فرضية سرعة التحولات التي تعرضت هذه البرجوازية الريفية الصغيرة التي لم تتمكن من توسيع ملكيتها الفلاحية وفرضت عليها متغيرات عدة، كان من بينها العامل الديموغرافي وشروط التنافس في ظل الاقتصاد الكولونيالي، الانتقال إلى العمل المأجور الذي ارتبط، كما لاحظنا ذلك من قبل بالانتقال إلى المدن الصغيرة والمتوسطة القريبة منها.

الانتقال من الملكية الصغيرة إلى اللاملكية الذي تزامن مع استفادة متفاوتة من التعليم بمختلف أشكاله وأنواعه، التقليدي منه والعصري، رغم الضعف الذي ميز حضور المنظومة التعليمية عموما في الحالة الجزائرية والتي عرفت بحجم تأثيرها الكبير كعامل تغيير على مستوى هذه الأوساط التي استفادت من قربها الجغرافي وليس الاجتماعي من المنظومة التعليمية، بشكليها التقليدي والعصري.

كان هذا حال عائلة زهور ونيسي على سبيل المثال، التي انتقل فيها الجد، الفلاح الصغير، إلى مدينة قسنطينة للعمل داخلها في مهن حرفية صغيرة مختلفة كعادة أبناء الريف الذين ينتقلون إلى المدينة الكولونيالية خلال هذه الفترة من تاريخ الجزائر، فالمدينة ترتبط بالنسبة لهذه العائلات بعملية تكديح وبروز للعمل المأجور، غير المستقر، بين أكثر من مهنة. سيرورة اجتماعية تأكدت مع الأب ونيسي⁶⁵ الذي عرف عنه كمهنة رئيسية، حرفة البناء التي كان يقوم بها... بالمجان في حالة مساجد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين... التي ارتبطت بها العائلة فكريا وعائليا⁶⁶. المسجد الذي كان المؤسسة التي تجسدت حولها علاقة المصاهرة التي قام بها الحرفي ابن ميلة للزواج مع ابنة خالته التي كان أبوها يشتغل كـ « قيم » على أحد مساجد قسنطينة. مصاهرة داخل نفس العائلة، تكون قد قوت ارتباطها بجمعية العلماء والأوساط التي تمثلها في قسنطينة بالذات، التي سنعرف فيما بعد كيف كان لها التأثير الكبير على تعليم بنات العائلة.

65. انظر كيف تقدم السيدة زهور ونيسي وسطها العائلي بتفاصيل أكثر في كتاب حديث صدر لها : زهور ونيسي، عبر الزهور والأشواك. مسار امرأة، دار القصة للنشر، الجزائر، 2012.

66. مقابلة مع السيدة زهور ونيسي. انظر : ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011.

الأوساط الريفية الشعبية، ممثلة في أصحاب الملكية الزراعية الصغيرة من أبناء المنطقة الغربية ساهمت هي الأخرى في إنتاج النخبة الوزارية من خلال حالة ربيعة مشرنن، ابنة ولاية تلمسان التي عرف عن جدّيتها ملكيتهما الصغيرة المخصصة للاكتفاء الذاتي العائلي بمنطقة « أغادير » القريبة من تلمسان، المدينة التي دخلتها العائلة للإقامة فيها على مستوى جيل الأب الذي حافظ على نفس الملكية الزراعية الصغيرة دون توسع. هذا القرب الجغرافي وحتى الاجتماعي من المدينة والدخول المبكر لها الذي يجعل الإحساس قويا بالانتماء لهذا الوسط « الحضري » التلمساني الحاضر لدى هذه العائلة صاحبة الملكية الفلاحية الصغيرة. نفس الصورة النمطية للوسط الاجتماعي المنتج للوزيرة الجزائرية حتى في أدق تفاصيل استراتيجيات المصاهرة لديه وبكل مواصفاته السوسيولوجية والثقافية، نجد لها لدى عائلة نواره سعدية جعفر الوزيرة المنتدبة للأسرة منذ 2003، فالأسرة تنتمي من جهة الوالد إلى وسط ريفي بمنطقة « أولاد علي » بولاية باتنة بالقرب من الحامة بوطالب، أين كان الجد من الأب، الشاوي، يملك قطعة زراعية صغيرة، في حين كان الجد من الأم أيسر حالا... كان يملك أراضي زراعية واسعة وخيولا كثيرة بالقرب من « بيضاء برج » بولاية سطيف القريبة. المصاهرة بين العائلتين تمت بعد أن تعرف الجد من الأم على الأب المعلم والإمام، خريج زاوية الهامل، القريبة من مدينة بوسعادة التي تعلم وعلم بها، قبل الانتقال إلى مدرسة التهذيب التابعة لجمعية العلماء، بعين ازال بولاية سطيف التي استقرت بها العائلة وولدت فيها البنت نواره... الجد من الأم هو الذي أعجب بأخلاق الوالد الذي كان قد فقد زوجته الأولى التي تركت له بنتين...

الوسط الفلاحي الصغير كان حاضرا مرة أخرى من خلال السيدة زرداني بلميهوب مريم التي كان جدها من الأب فلاحا وتاجرا صغيرا، في المواد الغذائية في الوقت نفسه، بقريته الصغيرة « ثرايرت » بمنطقة القبائل الصغرى، بالقرب من إغيل علي بولاية بجاية. توليف بين التجارة الصغيرة والفلاحة كان يلجأ له الكثير من أصحاب الملكية الصغيرة للحفاظ على مواقعهم الاجتماعية الهشة، خاصة عندما يتعلق الأمر بأبناء منطقة القبائل المعروف عنها كثافتها الديموغرافية وقلة مردودية أراضيها الفلاحية الجبلية. وضع فرض الهجرة بنوعها الداخلي وإلى الخارج كأحد الحلول الممكنة والمطلوبة على أبنائها، لتحسين حالتهم الاقتصادية.

على عكس الجد من الأب بلميهوب، كان وضع الجد من الأم، أحسن حالا من الناحية الاقتصادية وهو الذي كان معروفا بملكياته الزراعية الكبيرة، بنفس المنطقة. كعادة أبناء منطقة القبائل، غادر الأب بلميهوب إبراهيم قريته صغيرا وهو لم يتجاوز العشر سنوات، للدراسة بالعاصمة عند أخته البكر غير الشقيقة، المقيمة بهذه المدينة التي استقر بها الكثير من أبناء المنطقة.

حصول الأب على شهادة الأهلية Brevet، هو الذي أهله للحصول على موقع محاسب في شركة السكك الحديدية التي مارس فيها نشاطا نقابيا داخل صفوف الكونفدرالية العامة للشغل القريبة من الحزب الشيوعي الفرنسي CGT. تجربة نقابية لم تبعده عن التيار الوطني الاستقلالي (حزب الشعب - حركة الانتصار)، فساهم الأب بلميهوب لاحقا في تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين، بعد انخراطه المبكر في جبهة التحرير، مباشرة بعد الإعلان عن تأسيسها في 1954.

الوزيرات بنات « التحول » والدخول إلى المدينة والهجرة

لاحظنا ونحن نتعرف عن الأصول الاجتماعية لعائلة منتوري، على سبيل المثال، وكما كان حال بعض العائلات الجزائرية الميسورة التي ساهمت في إنتاج النخبة الوزارية، أن وصول أبناء العائلة إلى مواقع رسمية وإدارية على مستوى الجيل الأول (جيل الجدين والأب خاصة)، لا يعني بالضرورة قطع كل الصلات مع عالم الريف والملكية الزراعية التي تبقى ذات طابع عائلي، كما لا يعني بالضرورة الغنى المادي من وجهة نظر المقاييس الاقتصادية الصرفة، رغم ما قد يعتري وضع العائلة من تحول جراء الإقامة الدائمة في المدن، خاصة بالنسبة للجيل الذي دخل صغيرا إلى هذه المدن أو ولد فيها.

وصف يمكن أن ينطبق على جد زهية بن عروس من الأب، القايد بمدينة المسيلة بوسط البلاد، الذي اختار، كزوجة لابنه إحدى بنات « رئيس طباخين » لدى السلطات الإدارية الفرنسية للمصاهرة في نفس مدينة مسيلة التي هاجرت إليها العائلة من سيدي عيسى المدينة الصغيرة التي يشاع... أن جد العائلة الأول، كان من بين مؤسسيها⁶⁷.

عائلة بن عروس التي احتل فيها الأب مهنة عصرية، كمصور في ميدان السينما والتلفزيون بالجزائر العاصمة التي هاجرت العائلة إليها سنوات حرب التحرير. نفس القطاع السمعي - البصري الذي كان قطاع عمل وشهرة البنت زهية نفسها، كمذيعة لنشرة الثامنة بالتلفزيون الجزائري الحكومي.

نفس الصورة التي نجدها جزئيا على الأقل عند عائلة فاطمة الزهراء زرواطي وزيرة البيئة خلال فترة سنوات حكم الرئيس بوتفليقة الأخيرة (2017-2020)، التي كان الجد من الأب فيها عسكريا بسيطا في الجيش الفرنسي، رغم مستوى التعليم الابتدائي الذي وصل إليه حسب الحفيدة المهندسة. عكس الجد من الأم الذي استطاع الحفاظ على ملكيته الزراعية الكبيرة في منطقة عين الدفلى المعروفة بجودة أراضيها.. لتقترب العائلة من العمل

67. مقابلة مع زهية بن عروس. انظر :

ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011.

الإداري لاحقا من خلال مهنة الأب الحاصل على شهادة الليسانس، الأمين العام لبلدية مليانة بنفس الولاية.

كانت الهجرة إلى مدينة الجزائر العاصمة من الغرب الجزائري أقدم بالنسبة لعائلة عسلاوي ومن قبل الجدين في وقت متقارب، فقد هاجر الجد من الأم إلى العاصمة من منطقة سهل الشلف وعمره لا يتجاوز الثلاث سنوات (من مواليد 1887)، بعد أن تدهورت وضعية العائلة جراء مصادرة أملاك قبيلته (أولاد سيدي يحي)، مما جعله يستقر لاحقا كموظف صغير في قطاع الأشغال العمومية، مفضلا عنها ملكيته الزراعية... فقد سيطرت الجزائر العاصمة على قلبه، كما تقول حفيدته عنه⁶⁸... في حين كان الجد من الأب ذو الأصول الندرومية، قد دخل العاصمة هو الآخر مع عائلته وعمره لا يتجاوز بعض الأشهر. المدينة التي عرف فيها كمالك لورشة خياطة تقليدية صغيرة لـ «المجبود» ورثها عن أبيه. في حين كان التأرجح بين المواقع الحرفية الصغيرة والمواقع الصناعية والإدارية الأجرة الصغيرة في قطاع المطابع والوظيف العمومي، من نصيب الأب عسلاوي نفسه وهو ما تسميه البنت «بالمغامرة المهنية»⁶⁹، رغم وفاته المبكرة...

«أمي كانت الوحيدة من بنات العائلة التي ابتعدت من منطق الزواج العائلي والانغلاق الذي يميزه.. هي التي تزوجت بالأخ الأكبر لزوجة الأب، بعد ترملة و وفاة الجدة»⁷⁰.

الهجرة التي قامت بها عائلة الوزيرة بن حبيلس (المولودة بلقب كتو) إلى تونس، ابتداء من نهاية القرن التاسع عشر (1875) من منطقة «يعكرون» بالقبائل الكبرى، على غرار الكثير من أبناء المنطقة، بعد الغزو الفرنسي لها ومصادرة أراضيها الزراعية. لم تمنع هذه الهجرة إلى تونس العائلة «المرابطة» من الاستمرار في أداء وظائفها التعليمية التقليدية المعروفة عنها، رغم حرمانها من ملكيتها الفلاحية العائلية بمنطقها الأصلية، فقد تمكن الجدان الأخوان من إنشاء مدرسة لتعليم القرآن بتونس المدينة التي هاجرا إليها، بعد أن فرض عليهم الاستعمار الفرنسي مغادرة منطقة القبائل، أين كان يسير الجد من الأم زاوية العائلة بـ «تيفريت نايت الحاج».

استمرارية ثقافية سمحت لأبناء العائلة، بما فيهم الأب كتو، من الدراسة في الزيتونة والتخرج للعمل كمعلم بتونس دائما، لتبقى هي نفس المهنة التي ستزاوها البنت سعيدة في الجزائر، بعد الاستقلال وحتى زوجها بن حبيلس، ابن العائلة الكبيرة والمشهورة بمنطقة

68. Leila Aslaoui, *Les années rouges*, Casbah Éditions, 2000, p. 25.

69. تحاشت السيدة عسلاوي في كتابها الحديث عن مهنة الأب الذي استقال من الجيش الفرنسي برتبة نقيب بعد رفضه للتجنس الذي يطلب منه في حالة الترقية إلى رتبة رائد. معلومات ذكرتها للباحث أثناء المقابلة معها، مركزة فقط على مرحلة ما بعد هذه الاستقالة من خلال ذكر ما سمته بالمغامرة المهنية.

70. نفس المرجع، ص 29.

فرجوة، مفتش التعليم الابتدائي فيما بعد. عائلة كتو التي اشتهر منها كذلك الخال الإمام، محمد كتو، من خلال برنامجيه الديني للإفتاء والوعظ بالإذاعة الجزائرية، بعد الاستقلال. رغم أن الهجرة إلى تونس بالنسبة لعائلة شريط لم تكن بنفس القدم كما هو حال عائلة كتو، لأنها كانت على مستوى الأب عبد الله شريط الذي التحق بجامعة الزيتونة للدراسة، قبل مرحلة ثورة التحرير، كحال بعض أبناء العائلات المتوسطة من الشرق الجزائري الذين فضلوا إرسال أبنائهم إلى هذه الجامعة الإسلامية بدل المدارس الفرنسية التي استمرت هذه الأوساط الاجتماعية في نوع من المقاطعة لها، على مستوى هذا الجيل والأجيال الأكبر منه. فالجد شريط ابن مدينة مسكيانه (أم البواقي) أقام بالقرب من مدينة تبسة، بعد شرائه لأراضي زراعية، زيادة على ما تملكه العائلة من أراضي عرش بأم البواقي. الجد الذي جمع بين العمل الزراعي والتجارة الصغيرة التي عرف بها، في حين عرف الجد من الأم، محمد مكي، ابن منطقة خنقة سيدي ناجي (تراب ولاية بسكرة الحالي)، بحرفة النجارة التي تعلمها معه أخوه، الشاذلي⁷¹ المكي، أحد الوجوه المعروفة في الحركة الوطنية. هنا كذلك نجد أنفسنا أمام نفس أنواع المصاهرة بين وسطين اجتماعيين مختلفين نسبيا، من حيث وضعهما الثقافي على وجه الخصوص، فالجد من الأم محمد المكي صاحب ورشة النجارة، كان متعلما باللغتين العربية والفرنسية، في حين لم يتجاوز حظ الجد من الأب مرحلة التعليم القرآني التقليدي، لتعرف عائلة شريط، كما هو حال الكثير من العائلات المنتجة للنخبة الوزارية، تحسنا نوعيا أكيدا في مستويات تعليم أبنائها بفضل استفادتها من القرب الجغرافي والسوسيو-ثقافي من جامعة الزيتونة التي التحق بها الأب عبد الله شريط الذي تحول إلى وجه جامعي وفكري معروف في جزائر ما بعد الاستقلال، رغم عدم حصوله على مناصب كبيرة لا داخل الجامعة التي درس بها الفلسفة طول حياته ولا خارج أسوار الجامعة.

عرفنا حتى الآن أن العائلات الجزائرية التي دخلت المدينة على مستوى جيل الأب وحتى في جيل الجد، لم تكن تنتظرها خيارات مهنية ومواقع اجتماعية كثيرة ومتنوعة في نهاية الأمر، فالسائد كان في أحسن الحالات أن يتم احتلال موقع الموظف الصغير بالنسبة لأبناء العائلات الريفية الميسورة التي تمكنت من الاستفادة من المدرسة بأنواعها المختلفة، في حين كانت مواقع أقل تأهيلا وقيمة اجتماعية في انتظار أبناء الفلاحين الصغار، حتى وإن لاحظنا هنا أننا كنا أمام نوع من الاستثناءات، كما حصل مع عائلة بلميهوب - زرداني التي تمكن فيها الأب من الحصول على موقع موظف صغير، عادة ما كان من احتكار أبناء

71. بترت يده وهو يتعلم مهنة النجارة في ورشة الأخ البكر محمد المكي، حسب عاشور شرفي :

Achour Cherfi, *La classe politique algérienne de 1900 à nos jours*, Dictionnaire biographique, Casbah Éditions, Alger, 2001, p. 262.

العائلات الأكثر يسرا. حالة منطقة القبائل وما ميزها من انتشار كثيف نسبيا للتعليم، ودخول مبكر لمدينة الجزائر، قد تكون عامل تفسير هنا. نفس الشيء بالنسبة للتعليم التقليدي الذي كان وراء الترقية التي حصل عليها الأب بوقطوشة جعفر الذي استفاد من موقع في قطاع التعليم، هو ابن الفلاح الصغير، حتى وإن كان ذلك داخل المنظومة التعليمية التقليدية وليس الفرنسية.

لتبقى عائلة موساوي - بن جاب الله من العائلات المتميزة بمسارها الاجتماعي، فهي العائلة الوحيدة التي احتلت مواقع اجتماعية متميزة داخل مدينة سطيف، بدءا من جيل الجددين، فقد كان الجد من الأم محاميا - أوكيل، في حين كان الجد من الأم طبيبا. لتعرف حالة الأب نوعا من الانتكاسة، بحيث لم يتمكن من تدعيم هذا المسار الصاعد الذي عرفته العائلة ولم يحتل إلا مواقع متوسطة (موظف بالسكك الحديدية) أعادته إلى السير في الاتجاهات العامة التي لاحظناها وطنيا لدى هذه الفئات الاجتماعية.

رغم ولادة البنت سعاد بن جاب الله بمدينة سطيف إلا أن عائلتها (موساوي) تعود في أصولها البعيدة إلى مدينة عين البيضاء، بولاية أم البواقي، ببلاد الحراكنة التي عرف فيها الجد كمالك أراضي زراعية واسعة ووكيل قانوني *oukil judiciaire*، مما جعله يتنقل أكثر من مرة، بين مدن الشرق الجزائري قبل الاستقرار بمدينة سطيف التي تزوج فيها من ابنة طبيب معروف بالمدينة من عائلة معيزة، الميسورة. العائلة التي أنتجت عدة شخصيات معروفة احتلت مواقع إدارية داخل الإدارة الفرنسية (قايد) كما أنتجت شخصيات سياسية للحركة الوطنية، بكل تنوعها الفكري والسياسي. عائلة معيزة التي كان فيها الجد قاضيا هي الأخرى، مما يكون قد سهل علاقة المصاهرة مع عائلة موساوي على مستوى الأحفاد. التميز الذي تكلمنا عنه ونحن نقوم بسرد حالة عائلة سعاد بن جاب الله من حيث مواقعها الاجتماعية على مستوى جيل الجددين والتي عرفنا كيف انتكست وعادت إلى المسار العام السائد عند جيل الأب، نلاحظ ما يشابه وربما بدرجة أكبر في حالة عائلة لاليام - حمود نفيسة التي تعود أصولها إلى عائلة مهاجرة قادمة من الأندلس، بعد مرور بعض أفرادها على تركيا ومصر، واستقرار البعض الآخر بالجزائر العاصمة، قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر لتشتهر بصناعتها للمشروبات الغازية التي انطلق فيها الجد يوسف حمود بشكل حرفي بسيط، قبل أن تتطور على مستوى الأحفاد والأبناء وتنتقل إلى المرحلة الصناعية⁷².

الحفيد حمود بوعلام هو الذي ارتبط اسمه أكثر بالمصنع الجديد الذي بنته العائلة بالمنطقة الصناعية لبلكور (1878)⁷³. في حين قرر الأخ حمدان التوجه نحو دراسات عليا مزدوجة بمدرسة الجزائر، ليتحول فيما بعد إلى أستاذ بنفس المدرسة التي اشتهرت، كما هو

72. http://fr.wikipedia.org/wiki/Hamoud_Boualem.

73. ساهم حمود بوعلام ماليا في بناء مسجد باريس بفرنسا.

معروف، بإنتاجها لنخبة مزدوجة اللغة للقيام بوظائف الوسيط بين الظاهرة الاستعمارية والمجتمع الأهلي، في مواقع مهنية محددة، مثل التعليم والقضاء. مسار عائلة لايام حمود الذي يخبرنا أننا أمام عائلة حضرية تماما، لم تكن لها علاقات بالعالم الريفي المسيطر في الجزائر، لا من حيث أصولها المهاجرة القادمة من الأندلس ولا من خلال نشاطاتها الاقتصادية ذات الطابع الحرفي، الصناعي، والعلمي.

فئة التجار الصغار قد تمثلها أحسن تمثيل عائلة سكيمة مسعدي الوزيرة المنتدبة لدى رئيس الحكومة المكلفة بالجالية الجزائرية في الخارج، فالجدان كانا تاجرين صغيرين في عدة منتجات، وعلى رأسها الجلود التي تخصص الأب مسعدي في تصنيعها والتجارة فيها. تصنيع لم يتعدى المحطة الحرفية البسيطة، بمدينة خنشلة بالشرق الجزائري والمشهورة كجهة بتربية المواشي. مهنة لا تجعل عائلة مسعدي كما كان الحال مع عائلة ليلى الطيب التي تخصصت في تجارة الأنعام، تنقطع نهائيا عن عالم الريف.

عائلة مسعدي التي فضلت، كغيرها من العائلات المنتمية إلى الأوساط الميسورة نسبيا، الزيادة في حظوظها الاقتصادية والاجتماعية عن طريق الزواج الداخلي، وهو ما تم بين الأب مسعدي التاجر والحرفي وابنة عمه التاجر. زواج داخلي أنجب منه مع ابنة عمه التاجر، ستة أبناء وبنات، كانت البنت سكيمة الثالثة في ترتيبهم، في حين كان بكر العائلة ضابطا ساميا بالجيش الوطني الشعبي، تم اغتياله في سنة 1995 من قبل جماعات إرهابية. في أقصى الجنوب بتمنراست بالذات يمكن إضافة أب الوزيرة طقابو الطرقية إلى قائمة هذه الفئات من التجار والفئات المالكة الصغيرة التي أوصلت بناتها إلى الحكومة بنات. فالجد طقابو كان يملك دكانا صغيرا لبيع المواد الغذائية بتمنراست في حي « تاغارت » بالذات أين كانت تسكن العائلة استغله ابنه الوحيد بعده، الأب طقابو الذي عرف كذلك زيادة على هذه التجارة الصغيرة التي ورثها عن الجد بتوفير الماء للخزانات التي تمد سكان تمنراست بما يحتاجونه من مياه شرب، بعد أن تدهورت المهن المرتبطة بالسياحة التي كان يعمل داخلها الأب الذي استفاد جزئيا من التعليم الذي كانت توفره المدرسة الفرنسية في مدينة تمنراست التي ارتبط فيها الأب عن طريق الزواج مع مُدرسة لغة فرنسية أنجب منها بنتا واحدة. علما بأن عائلة طقابو وكغيرها من العائلات الطرقية بأقصى الجنوب قد دخلت ولأجيال في علاقات مصاهرة مع عائلات طرقية من النيجر وليبيا⁷⁴.

مرة أخرى تؤكد حالة عائلة تومي تلك العلاقة الخاصة التي يملكها أبناء منطقة القبائل مع الجزائر العاصمة. فقد توجه الجد من الأب، ابن بلدية سوق الاثنين بدائرة معاتقة الحالية، إلى العاصمة ومدرستها تحديدا للتخرج كقاضي - ترجمان. هو ابن زاوية سيدي علي موسى التي لم ينقطع تماما عن تسييرها والعناية بشؤونها حتى وهو يدرس بالجزائر.

74. كل المعطيات المتعلقة بعائلة طقابو مستقاة من مصادر محلية بمدينة تمنراست.

العلاقة مع الزاوية كانت هي الأخرى قريبة فيما يتعلق بالجد من الأم من عائلة تومي الذي كان يدرس بزاوية سيدي عبد الرحمن العاصمة. مما يعني أننا ومن الناحية المهنية أمام عائلة ذات علاقة خاصة بالزاوية في المناطق الريفية وحتى مدينة العاصمة، من خلال الزاوية الرحمانية وفروعها، سواء أتعلم الأمر بمنطقة القبائل التي كانت المولد الأصلي لهذه الزاوية الكبيرة أو بالجزائر العاصمة.

المهنة التعليمية والإدارية التي ميزت عائلة تومي منذ جيل الجدين، أبناء العم، تدعمت أكثر مع جيل الأبناء، بعد أن قرر الأب تومي التوجه للعمل كأمين عام بلدية عين بسام (ولاية البويرة)، بعد حصوله على شهادة الابتدائية في تلك الفترة التاريخية التي تميزت بشح واضح في التعليم (الأب من مواليد 1924).

لا نختم هذا التقديم للوزيرات الجزائريات كوسط وأصول اجتماعية دون العودة مرة ثانية إلى مدينة وهران للحديث عن عائلة ليلى حمو بوتليليس التي تعود في أصولها القديمة إلى... إمارة أبو حمو المعروفة في بلدان المغرب العربي... عائلة امتن الجدد فيها تربية الخيول والقصابة بسوق « المدينة الجديدة » بوهران التي عرف فيها باسم « بوشقفة » نتيجة علامة على الوجه تركها اعتداء حصان عليه. في حين يعود الجد من الأم إلى مدينة معسكر.. عائلة مرابطة من أولاد سيدي أحمد بن علي، القريبة من الأمير عبد القادر... لم يعرف له عمل محدد جراء إصابته في الحرب العالمية الأولى وفقدانه لرجليه الاثنين كمجندين في الجيش الفرنسي.

ظاهرة الاستقرار في المدينة أكثر والارتباط بالمهنة الأجيال نلاحظها هنا كذلك ونحن نتحدث عن عائلة حمو بوتليليس التي عرف فيها الأب حمو بالمحافظة على مهنة الجد كتاجر لحوم في قصابة العائلة، بسوق المدينة الجديدة بوهران، لكنه أضاف لها العمل في مكتب موثق بالمدينة في موازاة العمل السياسي الذي اشتهر به في مدينة وهران داخل صفوف الحركة الوطنية الاستقلالية. عمل سياسي أوصله إلى السجن بعد أن شارك في الاعتداء على بريد وهران والحكم عليه بالسجن بين 1949 و1957 تاريخ اختطافه من سجن الحراش واغتياله، دون أن يعرف له قبر، بعد انقضاء آجال محكوميته القانونية.

لنكون أمام وسط شعبي أكثر تواضعا عندما يتعلق الأمر بالأصول الاجتماعية لسليمة سواكري الوزيرة المنتدبة لرياضة النخبة، الهيكل الذي ظهر لأول مرة في تاريخ الحكومات الجزائرية تحت وصاية وزير التربية الرجل، فمهما كان المؤشر الذي نأخذه للتعرف على هذا الوسط، سواء أتعلم الأمر بمهنة الجدين (الجد من الأم كان تاجرا صغيرا بالمهجر في فرنسا، ثم مسؤول ورشة اشغال بعد استقرار العائلة في الجزائر، أما الجد من الأب فكان فلاحا صغيرا بمنطقة نقاوس - باتنة)، أو الأب الذي عمل كحمال في سوق الخضار والفواكه المركزي في حي بلكور- الذي ولدت فيه البنت سليمة في 1974 - الحي الذي اشتهر

باستقبال الكثير من أبناء ولاية باتنة مثل الأب الذي دخل مدينة الجزائر العاصمة وهو صغير في السن (13 سنة) ليتحول إلى حارس غابات، وحارس بلدي لاحقا بالعاصمة بعد انتقاله إلى حي برج الكيفان، بعد زواجه من ابنة عائلة سطايفية مهاجرة (من بني عزيز) كانت تسكن بنفس الأحياء التي دخلتها عائلة الأب بعد الاستقلال. كان حجم العائلة كبيرا نسبيا (ثمانية أبناء وبنات)، ومستوى ثقافي للأب والبنات التي لم تتجاوز المرحلة الثانوية من تعليمها الذي أنجزته في ثانوية وريدة مداد بالحرش، بعد انتقال العائلة من بلكور إلى برج الكيفان التي استفادت فيها من النادي الرياضي البلدي، في رياضة الجيدو التي اشتهرت بها البنات سليمة في هذه البلدية الساحلية التي عرفت بفرص التدريب والنشاط الرياضي الذي كانت تمنحها لسكانها الجدد من الجزائريين بعد الاستقلال. عكس الأم التي استفادت من ولادتها في فرنسا لتعلم اللغة الفرنسية للعمل لاحقا كمرضة في مستشفيات الجزائر بعد استقرار العائلة في الجزائر.

الهجرة إلى المغرب التي نجدها حاضرة لدى هذا الوسط الاجتماعي المنتج للوزيرية الجزائرية كما كان الحال مع نورية بن غبريط وزيرة التربية المولودة في وجدة المغربية التي احترف أبوها مهناً مؤهلة داخل الإدارة المغربية، هو ابن العائلة التي أنتجت أول إمام مدير لمسجد باريس في شخص العم قدور بن غبريط. حالة تشبه، من حيث أصولها الجغرافية (تلمسان) وتميزها العلمي والمهني، حالة عائلة زرهوني آمنة التي أنتجت أكثر من وزير، فقد عُرِفَت هي الأخرى بخصائصها العلمية والثقافية على مستوى أكثر من جيل.

الوسط الثقافي العائلي للوزيرية الجزائرية

كنا قد تعرفنا، بمناسبة الحديث عن الأصول الاجتماعية للوزيرية الجزائرية، عن بعض المعطيات السوسولوجية المفيدة لنا في التعرف بدقة أكثر عن الوسط الثقافي الذي انحدرت منه وتربت داخله الوزيرية الجزائرية بمؤسساته المختلفة، التقليدي منها والعصري وأفكاره، من خلال مؤشرات مختلفة، مثل مهن الجدين والأب، وتلك العلاقات الخاصة التي تملكها بعض العائلات مع مؤسسات ثقافية ودينية كالمدرسة بشقيها التقليدي والعصري الفرنسي، بما فيها نظام التعليم المدرسي بمدارسه الثلاث (بالعاصمة وقسنطينة وتلمسان) والمسجد بتعليمه القرآني التقليدي، الذي كان من المؤسسات القليلة الوحيدة المتاحة بتعليمها الديني أمام الكثير من العائلات الجزائرية ابنة هذا المجتمع المستعمر والمغلوب، خاصة إن تعلق الأمر بجيل الجدين.

كما تعرفنا على بعض العلاقات الخاصة التي تمتلكها بعض العائلات الجزائرية المساهمة في إنتاج النخبة النسائية الوزارية، مع مؤسسة تقليدية كبعض الزوايا في مناطقها الريفية المختلفة، بالشرق مع زاوية بالحملاوي (عائلة منتوري) والوسط مع زاوية الرحمانية ومن

خلال زاوية الهامل ببوسعادة وسيدي «أوعمر أوبراهم» وسيدي علي موسى بمنطقة القبائل... وحتى مؤسسات ثقافية جديدة، كجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كما هي حالة عائلة زهور ونيسي في مدينة قسنطينة بالذات. بالطبع من دون إهمال تلك العلاقات القائمة مع الأحزاب ليس كمؤسسة سياسية فقط لكن كفضاء ثقافي وفكري كذلك التي سنتطرق لها أكثر عند الحديث عن الانتماءات السياسية للوزارة الجزائرية ووسطها العائلي.

سنحاول ضمن هذا القسم من الدراسة التعرف في مرحلة أولى على الوسط الثقافي الجزائري الذي أنتج الوزارة الجزائرية، لقياس السُّمك الثقافي لهذا الوسط من حيث انتشار التعليم ونوعيته، تقليديا كان أم عصريا، واللغات المستعملة والمتمكن منها والمؤسسات الثقافية والعلمية التي كان لها دور ثقافي وعلمي بالنسبة لهذه الأوساط الاجتماعية التي تعرفنا عليها بكل التحولات التي عاشتها.

بالطبع سنحاول القيام بهذه المقاربة من خلال الرؤية الجيلية التي اعتمدنا عليها حتى الآن، لنبدأ بجيل الجدين ثم الأب والأم التي يعد انتشار التعليم لديها من المؤشرات الهامة عن كثافة الوسط الثقافي، للوصول في مرحلة ثانية إلى جيل الوزارة نفسها للحديث عن نوعية تعليمها باللغات والشهادات المتحصل عليها والتخصصات العلمية المزاول في الجزائر أو الخارج.

دراسة جيلية، بالنظرة الديناميكية التي تفترضها، تزداد أهميتها إذا عرفنا أننا أمام أجيال محورية ضمن المسار التاريخي للجزائر، عرفت الظاهرة الاستعمارية وهي في حالة صعود، تحاول الانغراس والسيطرة على المجتمع الجزائري، ليعرف جيل الأبناء بداية النهاية بالنسبة لتاريخ الظاهرة الاستعمارية مع كل ما واكبها من تحولات اجتماعية هامة، كانت الهجرة من الريف نحو المدينة والدور الذي لعبته المدرسة من أهم محطاتها.

في المقابل، يمكن أن نلاحظ أن الهجرة إلى فرنسا كانت غائبة تماما عن هذه الأوساط التي أنتجت الوزارة الجزائرية. على العكس، وباستثناء الهجرة الداخلية ذات الحضور الكثيف، يمكن أن نلاحظ ثلاث حالات هجرة إلى تونس وفي أجيال مختلفة، قامت بها عائلات من الشرق الجزائري ومن منطقة القبائل، بالإضافة إلى حالة بعض العائلات التلمسانية المعروفة بهجرتها إلى المغرب، كما كان الحال مع عائلة الوزارة بن غبريت وزرهوني التي تميزت بإنتاجية نخبوية كبيرة⁷⁵، مما قد يعني أننا أمام أوساط اجتماعية وثقافية تعكس بقوة التحولات التي عاشها المجتمع الجزائري من الداخل بالدرجة الأولى،

75. ساهمت عائلة زرهوني التلمسانية في إنتاج أكثر من وزير على غرار العم نور الدين الذي احتل موقع وزارة الداخلية وبن عمر زرهوني الوزير المستشار ونورية آمنة زرهوني وزيرة السياحة والولاية في أكثر من ولاية (بومرداس - مستغانم) التي عرفت السجن في نهاية مسارها المهني بتهم فساد خلال آخر مرحلة حكم الرئيس بوتفليقة.

إذا استثنينا حالة لاليام نفيسة (المولودة حمود)، التي يتميز مسار عائلتها بخصوصيات أكيدة، ليس نتيجة الهجرة القديمة التي قامت بها العائلة إلى الجزائر من الأندلس، ولكن حتى بمقاييس الموقع الاجتماعي والاقتصادي الحرفي والصناعي للعائلة الذي أبعداها عن عالم الريف، المسيطر في الحالة الجزائرية.

الجدول رقم 29 : بعض مؤشرات الوسط التعليمي للوزارة

الوزارة	مستوى الجد من الأب	مستوى الجد من الأم	مستوى الأب	مستوى الأم
زهور ونيسي	أمي	أمي	ابتدائي بالعربية	أمية
خيرة - ليلي الطيب	أمي	تعليم عال تقليدي بالعربية	مستوى ابتدائي بالعربية	أمية
نفيسة لاليام	/	/	تعليم عال مدرسي	أمية
آنسة بن عمر	تعليم ابتدائي مزدوج	تعليم عال مزدوج	خريج مدرسة الجزائر / مزدوج اللغة	ثانوي مزدوج
ليلي عسلاوي	/	مستوى ابتدائي	تعليم متوسط	الشهادة الابتدائية
زهية منتوري-شنتوف	ابتدائي	أمي	الشهادة الابتدائية بالفرنسية	أمية
سعيدة بن حيلس	تعليم تقليدي بالعربية	تعليم تقليدي بالعربية	تعليم عال زيتوني	مستوى ابتدائي بالعربية
مريم زرداني بلميهوب	أمي	أمي	شهادة التعليم المتوسط	أمية
مليكة غلاب ياك	أمي	أمي	الشهادة الابتدائية بالفرنسية	أمية
ربيعة مشرن	أمي	أمي	أمي	أمية
زهية بن عروس	مستوى ابتدائي مزدوج	أمي	الشهادة الابتدائية	أمية
بثينة شريط	تعليم قرآني	ابتدائي مزدوج	دكتوراه / زيتوني / مزدوج اللغة	مستوى متوسط باللغتين
فاطمة الزهراء بوشملة	أمي	أمي	الشهادة الابتدائية بالفرنسية	أمية
ليلي حمو بوتليليس	أمي	ابتدائي بالفرنسية	مستوى متوسط بالفرنسية	ابتدائي بالفرنسية
فتيحة منتوري	ابتدائي مزدوج	أمي	ابتدائي مزدوج	أمية

سكينة مسعدي	أمي	أمي	مستوى ابتدائي مزدوج	أمية
نواره سعدية جعفر	أمي	أمي	تعليمي تقليدي بالعربية /خريج زاوية الهامل	أمية
سعاد بن جاب الله	تعليم عال قانوني مزدوج	تعليم عال /طبيب	الشهادة الابتدائية	ابتدائي
خليدة تومي	مدرسي /قاضي ترجمان	مدرس بزاوية سيدي عبد الرحمن	حاصل على الشهادة الابتدائية	مستوى الابتدائية
مونية مسلم				

بما أن ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء، فإننا لن نعيد الحديث عن المعطيات الكمية التي تطرقنا لها والمتعلقة بالخصائص الثقافية والتعليمية للفئات الاجتماعية والقوى التي أنتجت النخبة الوزارية الجزائرية ككل، عند الحديث هذه المرة عن المرأة الوزيرة. كما أننا سنحاول التركيز على التقديم النوعي وليس الكمي لهذه الأوساط الثقافية والاجتماعية التي أنتجت الوزيرة الجزائرية، باعتبار أن عدد الوزارات القليل (40 وزيرة) يسمح لنا بهذا النوع من المقاربة، محاولين كل مرة القيام بعملية تصنيف لتسهيل قراءة هذا القسم من الدراسة. مع إدراكنا لصعوبات كل عملية تصنيف ونسبية دقة مؤشراتنا وما يمكن التوصل إليه من خلالها، عندما يتعلق الأمر بالمستويات التعليمية للجديين التي يصعب تحديدها دائما خاصة عندما يتعلق الأمر بالوزارات الكبيرات في السن كما هو حالة نفيسة لاليام مثلا (مواليد 1924).

الجدة، القاضي والإمام

كنا قد عرفنا ونحن نتحدث عن المنحدرات الاجتماعية للوزيرة على مستوى مهن الجديين والجد من الأم تحديدا، أن بعض الوزارات كان جدهن إماما، كما هو حال ليلى الطيب أو قاضيا - موثقا كما هو الحال بالنسبة لأنيسة بن عمر، أو قاضيا ترجمانا كما كان الحال مع جد تومي خليدة، أو معلما كما هو حال جدي بن حيلس - كتو، أو طبيبا كما كان الحال مع جد سعاد بن جاب الله، مما قد يسهل علينا ولوج موضوع الوسط الثقافي والعلمي للوزيرة وحتى لغة التعليم السائدة باعتبار أن المهنة في الحالة الاستعمارية الكولونيالية مرتبطة بلغة التعليم بشكل لا حياد فيه.

بالفعل فإن معرفة المهنة في الكثير من الأحيان تفيد في التعرف على المستوى العلمي لصاحبها حتى ولو كان ذلك ليس دائما صحيحا بالنسبة لبعض المناصب الرسمية كالقياد⁷⁶

76. Colette Establet, *Être caïd dans l'Algérie coloniale*, Ed. du CNRS, paris, 1991.

مثلا الذي لا يفترض فيهم في بعض الأحيان مستوى تعليمي معين، بعد التدهور الذي عرفه هذا الموقع خاصة في المناطق التي لم تعرف انتشارا واسعا للتعليم⁷⁷.

عند حديثنا عن استراتيجيات المصاهرة بين العائلات المنتجة للنخبة الوزارية، بما فيها المرأة الوزيرة، كنا قد اكتشفنا أن هناك نوعا من « المقايضة » التي تقوم بها العائلات الريفية الغنية في الغالب، صاحبة الأملاك الفلاحية الكبيرة والمتوسطة، لموقعها الاقتصادي الاجتماعي هذا، بدخولها في علاقات مصاهرة مع عائلات عادة ما تكون صاحبة مواقع علمية وثقافية متميزة، يغلب عليها الطابع الحضري في الغالب، حتى ولو كانت من وسط اجتماعي أقل يسرا بالمعنى الاقتصادي وبمقاييس الملكية العقارية.

نتائج هذه الاستراتيجية العائلية هي التي تفرض علينا البدء في عرض نتائج البحث انطلاقا من بعض الحالات من الجد من الأم للوزيرة، عند التطرق لموضوع الوسط الثقافي والعلمي للوزيرة الذي نستله بحالة العائلات التي استفادت مبكرا من التعليم العالي، مهما كانت لغته العربية أم الفرنسية أو الحالات التي كان التعليم فيها أصلا مزدوجا كما هو الحال عند المدرسين الذين ميزوا حضورهم من خلال بعض العائلات.

اللغة التي تحدد في الحالة الاستعمارية، نوعية التعليم أكان عصريا فرنسيا أم تقليديا، لننتقل بعد ذلك إلى حالة العائلات الأكثر عددا، التي استفادت من التعليم على مستوى جيل الأب، لتكون حالة الأمهات المتعلّمات هي آخر نقطة ضمن هذا القسم من الدراسة الذي خصصناه داخل الدراسة الكلية لمعرفة الوسط الثقافي الذي تربت فيه الوزيرة الجزائرية والذي سنعرف كيف أنه تميز بالقطيعة من جيل لآخر، فلاستفادة من التعليم لم تكن ذات استمرارية وفي الاتجاه الصاعد دائما إلى غاية جيل الوزارات أنفسهن، أين نلاحظ بصفة عامة استفادة كبرى من التعليم، باستثناء حالة واحدة من الأربعين حالة المدرّسة. تعليم الأمهات الذي يعد مؤشرا مهما عن علاقة القرب بين هذه الأوساط الاجتماعية المدرّسة والمدرّسة، باعتبار أن تعليم البنات كان أصعب منلا من تعليم الذكور في مجتمع كولونيالي وتقليدي، ذكوري، مثل المجتمع الجزائري.

فجد ليلي الطيب من الأم على سبيل المثال، كان إماما بمدينة وهران، مما يفترض فيه معرفة علمية ودينية أكيدة حتى وإن كنا لا نعرف بالضبط كل تفاصيل مساره التعليمي. المستوى التعليمي للجد الذي تأثرت به الحفيدة ليلي الطيب التي مازالت تتذكر كيف... « كان تأثير الجد من الأم كبيرا على تربيّتي أنا بكرة حفيداته ».

نفس العائلة التي كان فيها الجد من الأب الفلاح صاحب الأملاك الكبيرة أميا. الأمية التي لم تختف على مستوى جيل الأم نفسها التي لم يسعفها تعليم الأب الإمام في الخروج

77. انظر في القسم الخاص بالنخب، ما جاء في كتاب شنتوف الطيب الذي اعتمد فيه على الأرشيف الفرنسي : Chentouf Tayeb, *L'Algérie en 1954*, OPU, Alger, 2006, p. 165-175.

من دائرتها، على غرار الكثير من النساء في الجزائر على مستوى هذا الجيل، وهو ما يؤكد فكرة القطيعة في المسارات التعليمية، حتى وإن تعلق الأمر بابنة إمام في مدينة، مثل وهران.

فالأب الطيب ورغم مهنة تجارة المواشي التي كان يقوم بها مع السوق الأوروبية، لم يكن يتحكم إلا ببعض قواعد العربية وحفظ جزء من القرآن، كما كان سائدا في وقته. شبه الأمية التي لم تمنعه من الاهتمام بالنشاط السياسي الوطني الذي عبر عنه من خلال انخراطه في حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري UDMA وحضوره للقاءات السياسية التي كان تنظمها الحركة الوطنية في مقهى «الوداد» بوهان لصاحبها عبد الرحمان، صهر محمد بوضياف فيما بعد. دور المقاهي في الحركة الوطنية، كمجال للتنشئة السياسية الذي كان قد أثار اهتمام الباحث عمر كارلي⁷⁸ الذي خصص دراسة حول مدينة وهران بالذات بمقاهيها المعروفة بهذه الأدوار كمقهى الوداد الذي ذكرته ليلى الطيب في المقابلة معها : « لقاءات بمقهى "الوداد" كنت أحضرها معه في بعض الأوقات، فقد ربنتي العائلة مثل الذكور، باعتباري كبيرة عائلة كانت تنتظر، ربما ولدا كبر لها... ».

هذا الوسط الاجتماعي الثقافي الذي عاشته البنت ليلى الطيب المتأثر بالجو الذي فرضه الجد الإمام والأب التاجر الذي فضل الانخراط في حزب البرجوازية الجزائرية الناشئة (الاتحاد الديمقراطي)، هو الذي سمح لها بالدراسة الابتدائية وجزء من الثانوية بمدينة وهران...

« كنت من البنات القلائل اللاتي درسن في ثانوية فرنسية، لم نكن إلا عشر طالبات جزائريات، لحين التحاقني بجيش التحرير بالولاية الخامسة بعد زواجي من الرائد⁷⁹ زبير في سنة 1956⁸⁰... الدراسة التي عدت إليها في المغرب، الرباط تحديدا، التي حصلت فيها على البكالوريا والتحقت بعد ذلك بالجامعة المغربية لدراسة الحقوق باللغة الفرنسية لبعض السنوات، دون أن أنهي دراستي هناك، لوفاة زوجي في تلك الظروف المعروفة⁸¹. » دور الجد من الأم المتعلم، في تربية الحفيدة الوزيرة سنلاحظ حضوره مرة أخرى في حالة أنيسة بن عمر التي توفي أبوها الشهيد معلم الفرنسية، لتلتحق هي وأخواتها وإخوانها الخمس بسكن الجد من الأم، القاضي، مزدوج التعليم واللغة، خريج مدرسة الجزائر، الساكن بحي رويسو (العناصر) بالعاصمة...

78. Omar Carlier, *Le café maure, lieu de sociabilité et instance politique*, in, *Histoire de l'Algérie à la période coloniale*, Ed. La découverte, paris, 2014.

79. انظر ما يقوله محمد حربي حول ظروف تنفيذ حكم الإعدام في الرجل الذي يتكلم عنه بصفته نقيبا وليس رائدا كما جاء على لسان أرملة.

80. ليلى الطيب تزوجت وعمرها 17 سنة (من مواليد 1939).

81. ناصر جابي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011.

« جدي هو الذي عكف على تربيته... بقدر ما كان يصر على تدريسنا نحن البنات، بقدر ما كان يلح على زواجنا المبكر، وهو ما تم بالنسبة لي مباشرة بعد حصولي على شهادة البكالوريا، من ابن عمي الطبيب... فقد أكملت تعليمي بالجامعة - علم النفس باللغة الفرنسية - وأنا بمنزل الزوجية... جدي الذي أصر قبل ذلك على تعليم أمي التي وصلت إلى المرحلة الثانوية من تعليمها... هي التي ربته وربت معي بعد ذلك الأولاد عندما فرضت علي مهام الوظيفة والنشاط خارج المنزل ».

تعليم لم تنل منه أم ليلى الطيب شيئا، ابنة الإمام بفعل الثقافة التقليدية للأب ربما والفرق في السن، مقارنة بثقافة جد أنيسة بن عمر خريج مدرسة الجزائر المزدوجة والأكثر انفتاحا.

هنا كذلك في حالة عائلة بن عمر نجد أنفسنا أمام نفس الاستراتيجيات العائلية، حتى ولو كان الجد من الأب، المالك الزراعي الكبير، بمنطقة قصر البخاري، يملك مستوى تعليميا متوسطا هو الآخر، مما يعني أننا أمام عائلة متميزة ثقافيا بمقاييس المجتمع الجزائري، تصف نفسها بأنها « شرفاء ». تميز واعتقاد في نسب شريف قد يكون وراء اختيارها إستراتيجية الزواج الداخلي على مستوى جيل الأبناء، فالبنت أنيسة اختارت لها العائلة ابن عمها الطبيب للزواج وتكوين أسرة وهي طالبة في الجامعة لدراسة علم النفس الذي تخصصت فيه، لتغادر مدينة الجزائر العاصمة بعد حصولها على الليسانس، للعمل في مدينة البيض بالجنوب الغربي، مكان عمل الزوج الطبيب صاحب العيادة الخاصة، والعودة إلى مهنة تدريس الفرنسية التي كانت مهنة الأب الشهيد...

« في البيض كانت الثانوية من دون أستاذة للغة الفرنسية، فقبلت المنصب لمساعدة التلاميذ الذين كانوا مقبلين على دخول امتحان شهادة البكالوريا ».

في الشرق الجزائري ومدينة سطيف تحديدا نجد سعاد بن جاب الله (المولودة موساوي) التي تميزت عائلتها من الجدين بمستويات تعليمية عالية وبازدواجية لغوية وباحتكاك مبكر بمنظومة التعليم العالي الفرنسية، فقد كان الجد من الأب محاميا oukil judiciaire، مما يفترض فيه بالضرورة التحكم في اللغتين العربية والفرنسية، بعد التخرج من النظام المدرسي. في حين كان الجد من الأم (الدكتور معيزة) طبيبا، معروفا بمواقفه السياسية القريبة من مواقف صديقه عباس فرحات، ابن مدينة سطيف بالتبني.

الطبيب الذي كان أبوه هو الآخر، أي جد الأم، قاضيا، مما سهل المصاهرة التي تمت بين العائلتين المتميزتين كوضع اقتصادي، بفضل الملكية الزراعية الكبيرة وكوضع ثقافي وعلمي جسده هذه المواقع الاجتماعية النخبوية التي استمرت لأكثر من جيل. وضع لم يحافظ عليه الأب موساوي إلا جزئيا، بعد الانتقال للعمل كموظف في شركة النقل بالسكك الحديدية... لنكون أمام حالة انتقال إلى العمل المأجور من داخل الوظيفة

العمومي في مواقع متوسطة، عادة ما يرتبط بفقدان الاستقلالية المالية لهذه الفئات التي توظف تعليمها للحصول على هذه المناصب في بعض القطاعات التي انفتحت جزئيا أمام الجزائريين من هذا الجيل، كما حصل مع قطاع السكك الحديدية الذي أنتجت العائلات التي ارتبطت به مهنيا الكثير من الوزراء وحتى الوزارات، كما لاحظنا ذلك أكثر من مرة. ظاهرة تؤكد حالة الوزيرتين سعاد بن جاب الله ومريم زرداني التي قام أبوها بنشاط نقابي متميز داخل هذا القطاع الذي كان وراء تجربة نقابية من خلال الكونفدرالية العامة للشغل CGT والاتحاد العام للعمال الجزائريين لاحقا UGTA.

عائلة معيزة التي عكست بتوجهاتها السياسية والفكرية الجو العام في سطيف كمدينة، بما ميزها سياسيا وفكريا بالمقارنة مع مدن الشرق الجزائري الأخرى، فسطيف لم يعرف عنها على سبيل المثال قرب خاص من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين⁸²، عكس الحركة الاستقلالية ممثلة في حزب الشعب - حركة الانتصار والتيار الليبرالي الذي مثله صديق الجد الدكتور معيزة، عباس فرحات، ابن سطيف التي عرفت كيف تتبنى الكثير من نخب الشرق الجزائري.

أخيرا عائلة تومي التي كان الجدان فيها أبناء العم أصحاب قرب خاص من مؤسسة الزاوية، لدرجة أن الجد من الأم تومي كان يُدرّس بزاوية سيدي عبد الرحمن الشهيرة بالجزائر العاصمة، في حين فضل الجد من الأب التوجه نحو مؤسسة مرموقة في تلك الفترة للتخرج كقاضي ترجمان (مدرسة العاصمة)، دون أن ينقطع عن العناية بشؤون زاويته، كما كانت العادة لدى الأب تماما ورغم شروط مهنته (أمين عام بلدية) التي فرضت عليه التنقل نحو جهات مختلفة، إلا أنه استمر في العناية بزاوية العائلة ببلدية سوق الاثنين التي تنتمي لنفس الزاوية الأم «الرحمانية».

فنحن إذن أمام عائلة متميزة ثقافيا وذات قرب واضح بمؤسسات تعليمية وثقافية معروفة، منها التقليدي الذي يعتمد في تعليمه وثقافته على اللغة العربية، كما كان الحال مع زاوية سيدي عبد الرحمن وتلك التي تعتمد على ثقافة وازدواجية لغوية، كما هو حال مدرسة الجزائر. عائلة تومي التي نوعت في إنتاجيتها الثقافية فمدت الجزائر بالشاعر مصطفى تومي، المعروف بقصيدة «سبحان الله يا لطيف» التي أخذت مكانة خاصة في الطرب الشعبي العاصمي الذي زودته منطقة القبائل بالكثير من المطربين والشعراء على غرار الحاج محمد العنقي وبوجمعة العنقيس...إلخ.

كما يمكن توقعه فإن عائلة تومي قد استفادت بشكل واضح من وضعها الثقافي المتميز القريب من أكثر من مؤسسة علمية ودينية، بدءا من جيل الجدين والأب. كما

82. الشيخ البشير الإبراهيمي من مواليد ولاية برج بوعريج الحالية القريبة من سطيف، لكن تقسيم المهام بين قيادات الجمعية جعلته يتفرغ للعمل في تلمسان مما يكون عامل تفسير على ضعف حضور الجمعية في سطيف.

استفادت من وجودها في العاصمة الذي ثمنته بشكل واضح، كما ظهر في تنوع التعليم الذي استفاد من جيل الأبناء (أربعة ذكور وأربع بنات)، فقد تخرجت من بنات تومي الطبية والمهندسة المعمارية والمتربة في قطاع العدالة، كما كان حال الجد من الأب. في حين كان حظ الذكور التخصص في الهندسة والمالية والآداب الفرنسية التي يدرسها أحد أبناء تومي في الولايات المتحدة الأمريكية.

حالة عائلة منتوري... استمرارية في عملية إنتاج النخبة

لم تتميز عائلة منتوري فقط بإنتاجيتها الكبيرة للنخبة السياسية لجزائر ما بعد الاستقلال، كما رأينا بالنسبة للوزراء (ثلاث وزراء من بينهم وزيرتان) بل تميزت كذلك بإنتاج عدة إطارات سياسية وعسكرية أخرى، فقد منحت العائلة للجزائر ضابطا في جيش التحرير (محمود منتوري)⁸³ وقيادات سياسية ونوابا بالبرلمان، كما كان الحال مع الأخ البكر بشير منتوري⁸⁴. هذا الدور في إنتاج النخبة الذي بدأته العائلة مبكرا وأثناء الفترة الاستعمارية، قبل هجرة العائلة من منتورة بالقرب من فرجوة (ولاية ميلة الحالية) نحو قسنطينة كمرحلة أولى، قبل الانتشار في مدن عديدة بالشرق الجزائري كجيجل والحامة بوزيان وسطيف وقسنطينة بالطبع.

فالجدة منتوري كان خوجة بفرجوة، (فج مزالة سابقا) منصب أهله له تعليمه الابتدائي باللغتين الذي استفاد منه في منتورة التي لا تبعد إلا بعض الكيلومترات عن فرجوة، الجهة التي عرف عنها حضور قوي لزاوية بن الحملاي والكثير من المؤسسات التعليمية التابعة للحركة الإصلاحية، بما فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لاحقا... علما بأن المدرسة الفرنسية في هذه المنطقة التي عرفت توسعا كبيرا للرأسمالية الزراعية الفرنسية، كانت حاضرة هي الأخرى، مما جعل الاستفادة من هذه المنظومة التعليمية تبدأ على مستوى جيل الجدين قبل الآباء والأحفاد الذين دعموا استفادتهم بما في ذلك البنات.

فقد ولد للأب يونس منتوري، موظف البريد، الابن البكر من الزوجة الثانية للجدة محمد، الخوجة، أربع ذكور، تخرج بكرهم بشير أستاذ للطب بعد دراسات في فرنسا، في كل من غرونوبل وليون وهو ما قام به الأخ محمود في نفس المدينة والذي درس القانون،

83. محمود منتوري من مواليد 1931، بعد حصوله على البكالوريا في سنة 1950 توجه لدراسة الحقوق لبعض الوقت في مدينة ليون الفرنسية قبل العودة إلى الجزائر والعمل كمعلم في عدة مدن من الشرق الجزائري، مناضل في حزب حركة الانتصار، ضابط بجيش التحرير استشهد على الحدود التونسية في سنة 1957. سميت جامعة قسنطينة باسمه هو وأخوه البكر بشير. لمزيد من التفاصيل عن الإخوة منتوري انظر الموقع الإلكتروني لمؤسسة منتوري. <http://www.fondation-mentouri>

84. بشير منتوري، مجاهد، أستاذ في الطب، رئيس المجلس الشعبي لبلدية الجزائر العاصمة (1967-75)، نائب بالمجلس الشعبي الوطني. الأخ البكر لفتيحة ومحمد الصالح منتوري.

بعد العمل لفترة كمعلم، قبل أن يستشهد أثناء ثورة التحرير. نفس الدراسات الجامعية التي قام بها الأخ الثالث عبد الحميد في مجال الهندسة الزراعية وأخيرا أصغر الإخوة الوزير ورئيس المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، محمد الصالح الذي قام بدراسات جامعية بمدينة لوزان السويسرية في مجال التجارة والحقوق.

الأهم ربما من هذه الاستفادة للذكور من التعليم الجامعي بهذا الحجم الكبير، دراسة البنات، خاصة إذا تعلق الأمر بالكليات في السن منهن، كما هو حال البنت البكر المولودة في 1928 التي أنهت في تلك المرحلة دراستها الابتدائية... كان التنازل الوحيد الذي قام به الوالد للمحيط (تقول فتيحة منتوري) هو أن يقوم الأخ بشير، بكر العائلة بمرافقتها يوميا للمدرسة...

تواصل مسلسل استفادة بنات الموظف الصغير يونس منتوري من المدرسة، خاصة بعد الاقتراب منها أكثر بالحامة بوزيان بالقرب من مدينة قسنطينة، فقد التحقت الأخت الثانية بالمدرسة لغاية المرحلة الثانوية، للزواج فيما بعد من عبد المجيد علاهم، الأمين العام للرئاسة ووزير السياحة في أول حكومة للرئيس الشاذلي بن جديد، لتنتهي الأخت الثالثة مرحلة تعليمها الجامعي بدكتوراه في الديموغرافيا وعلم الاجتماع (السيدة بن زاغو⁸⁵)، وأخيرا الأخت الوزيرة فتيحة التي تحصلت على دكتوراه الدرجة الثالثة في الاقتصاد والمالية من جامعة باريسية.

الهجرة التي قامت بها العائلة إلى تونس لمدة قصيرة (1956-62) والالتحاق بالجزائر العاصمة بدل قسنطينة، سنة بعد العودة من تونس، جعل بنات العائلة يستفدن من هذا القرب من المدرسة خاصة بالنسبة لصغيرات السن على غرار البنت الوزيرة فتيحة التي تتقن الإنجليزية وقسط بسيط من اللغة الإيطالية زيادة على العربية والفرنسية.

على عكس العم يونس منتوري، لم ينجب أحمد منتوري الذي فضل الزواج من ابنة عمه، إلا وحيدته زهية وزيرة الصحة في حكومة سيد أحمد غزالي. زهية التي أتمت تعليمها العالي بين قسنطينة وفرنسا للحصول على دكتوراه في طب الإنعاش (الأطفال). لتكون أول امرأة جزائرية على رأس جامعة (عنابة) قبل وصولها لمدة قصيرة لمنصب الوزارة. مناصب تؤكد بها الدور الذي قامت به بنات عائلة منتوري في تحمل العديد من المسؤوليات الجديدة على المرأة الجزائرية، فبعد زهية تولت فتيحة منتوري مسؤوليات على رأس قطاع المالية، لتكون بذلك أول امرأة على رأس هذا القطاع الهام الذي تقلدته المرأة بعيدا عن نمطية المناصب الوزارية الموكلة إليها.

85. أستاذ جامعي للرياضيات، سفير سابق، رئيس اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية، رئيس جامعة باب الزوار 2012.

مسؤوليات تمت في جزء منها على حساب تكوين أسرة والزواج بالنسبة لهذا الجيل من بنات العائلة الذي تمكن من القيام بدراسات جامعية والحصول على مناصب عليا، فزهية منتوري لم تتزوج إلا بعد ابتعادها عن الحكومة في 1992 (من مواليد 1947)، في حين لم تتزوج فتيحة حسب معطياتنا (2024).

بنات الهجرة إلى تونس والزيتونة

لم تتمكن العائلات المهاجرة إلى أوروبا وفرنسا على وجه الخصوص، من إيصال إحدى بناتها إلى قصر الحكومة، رغم انتشار ظاهرة الهجرة إلى فرنسا لدى الكثير من الأوساط الاجتماعية في الجزائر بمختلف مناطقها الجغرافية، ربما للطابع الشعبي الفقير للهجرة الجزائرية نحو فرنسا. على العكس يمكن أن نلاحظ الدور، حتى ولو كان محدودا، للعائلات المهاجرة إلى تونس التي استفادت من التعليم الزيتوني، في أجيال مختلفة. هجرة تمت من مناطق جغرافية مختلفة كذلك، كما تبينه حالة عائلة كتو القبائلية وشريط التبسية... علما بأننا كنا قد عرفنا أن عائلة منتوري هي الأخرى كانت قد فضلت الهجرة إلى تونس لفترة قصيرة أثناء ثورة التحرير. نفس الهجرة التي قامت بها عائلة بن غبريط للمغرب مما يفسر ولادة البنت نورية وزيرة التربية في حكومة سلال بوجدة المغربية في 1952... لتعود كل هذه العائلات إلى الجزائر بعد الاستقلال مباشرة.

فعائلة بن حبيلس (المولودة كتو)، كانت من العائلات القليلة التي هاجرت إلى تونس على مستوى جيل الجدين الأخوين اللذين غادرا منطقة إككورن بالقبائل الكبرى للاستقرار في تونس المدينة، أين افتتح الجد من الأم مدرسة لتعليم القرآن واللغة العربية. التعليم الذي ارتبطت به السيدة بن حبيلس بشكل ملفت للنظر، فقد كان الجد من الأم معلما ومديرا لمدرسة بتونس، كما كان حال الأب الزيتوني، وهي نفس المهنة التي زاولتها السيدة بن حبيلس في مدينة ورقلة، قبل الانتقال إلى إدارة مدرسة ابتدائية. التعليم والتفتيش المدرسي الذي كان أيضا مهنة الزوج بن حبيلس، ابن فرجيوة نفسه.

هنا كذلك نجد أنفسنا أمام حالة عائلة قريبة من زاوية بمنطقة القبائل التي اشتهرت بالحضور القوي للزاوية كمؤسسات ثقافية وتعليمية، فقد كان الجد من الأم كتو يسير زاوية العائلة بتفريت نايت الحاج، بالقرب من إككورن، قبل الهجرة إلى تونس. العائلة التي حافظت على لغتها الأمازيغية حتى وهي بديار الهجرة التي قامت بها في وقت متقدم.

عبد الله شريط، أبو بئينة، الوزيرة المنتدبة المكلفة بالأسرة وقضايا المرأة والهجرة في حكومة علي بن فليس، لم يكن أستاذ فلسفة « عادي » مثل الكثير من زملائه، بمعهد الفلسفة بجامعة الجزائر، فقد احتل موقع المنظر العقائدي بالنسبة لجزء من الدولة

ومؤسساتها على الأقل، من خلال إنتاجه الفكري وحضوره الإعلامي المتميز في فترة ما بعد الاستقلال وحتى قبله كصحفي في جريدة المجاهد الأسبوعي، اللسان المركزي لجهة التحرير. عائلة شريط التي أمدت الجزائر بأكثر من شخصية ومثقف، كان من بينهم الأخ الأصغر عبد الرحمن، السفير ومدير التلفزيون الجزائري، ولزهاري شريط ابن الأخت، مدير « الثورة الإفريقية » اللسان المركزي لحزب جبهة التحرير.

إنتاجية نخبوية كبيرة لعائلة بثينة شريط التي لم يتجاوز فيها الجد الفلاح - التاجر مرحلة التعليم التقليدي، عكس الجد من الأم محمد المكي صاحب ورشة النجارة، المتعلم باللغتين لغاية المرحلة المتوسطة، كما هو حال ابنته أم بثينة. الجد شريط التي استغل الموقع الجغرافي الحدودي لموطن العائلة (تبسة) للاستفادة من تعليم أبنائه بتونس والمشرق العربي (سوريا) لاحقا بالنسبة لابن عبد الله، أبو بثينة.

انتشار للتعليم... وعدم التجانس في المسارات الاجتماعية والمهنية

كان مفعول انتشار التعليم بدءا من جيل الجدين، وتعمقه أكثر بعد ذلك على مستوى جيل الأب وحتى الأم، كما كان الحال مع أم بثينة شريط وأنيسة بن عمر وخليدة تومي، وحتى قبلهما أم ليلى عسلاوي الأكبر سنا، كان مفعول هذا الانتشار أكثر وضوحا على المجتمع الجزائري بسبب التنوع الكبير الذي أنتجه كمواقع مهنية واجتماعية جديدة في التشكيل الاجتماعية الجزائرية التي يغلب عليها الطابع الريفي بمهنة ومواقعه حتى تلك الفترة. هذا الانتشار في التعليم الذي ارتبط بظاهرة الهجرة والتقرب من المدن الكبيرة والمتوسطة بدءا بجيل الجدين ليتعمق كاتجاه غالب على مستوى جيل الأب.

فالهجرة القديمة إلى العاصمة من الغرب الجزائري (تراب ولاية غليزان الحالية) كانت قد ميزت عائلة ليلى عسلاوي؛ فالجد من الأم ليلي عسلاوي ذو الأصول الريفية الميسورة والمستقر في الجزائر العاصمة منذ كان في عمره ثلاث سنوات (من مواليد 1887)، كان يعرف القراءة والكتابة، هو الذي تقول عنه حفيدته ليلى: « سي يحيى لم يكن ضد تعليم بناته الاثنتين وعلى رأسهم أمي التي كانت تلميذة مجتهدة وطالبة نجية، فقد حصلت على الشهادة الابتدائية وعمرها لم يتجاوز اثني عشرة سنة (1924)⁸⁶ لتكون « العربية » الوحيدة بين الفرنسيات... لكن عندما وصلت إلى هذا السن، كان لا بد من إدخالها البيت في انتظار زواجها، رغم إلحاحها على والدها في الاستمرار في دراستها زواج تم في نهاية الأمر كما عرفنا ذلك سابقا من الوسط العائلي غير المباشر، فقد تزوجت الأم من الأخ الأكبر لزوجة الأب الذي ترمّل بعد وفاة زوجته الأولى... الأب مولود حمادي الذي لم تسمح له مسؤولياته العائلية بكبر للعائلة من التفكير في الزواج قبل خمسة وثلاثين سنة... بعد

86. ليلى عسلاوي، ص 24.

وفاة الجد من الأب ذو الأصول الندرومية في سنة 1914، الذي كان يملك ورشة في الخياطة التقليدية (المجبود)... كان على أبي الذي لم يتجاوز عمره 16 سنة التوقف عن دراسته الثانوية للتكفل بأمه وأخواته... المستوى التعليمي الذي سمح له بالتنقل بين عدة مهن وفرض عليه الانتقال إلى مدينة الأغواط للعمل فيها كموظف صغير في ميدان الأشغال العمومية... بعد الاستقالة كنيقيب من الجيش الفرنسي، المهنة التي تحاشت ذكرها السيدة عسلاوي وهي تتحدث عن أسرتها خلال المقابلة⁸⁷.

الوسط العائلي لبن عروس زهية، ابنة المسيلة بالهضاب العليا، ورغم مهنة الجد « القايد » فإنها لم تتميز باستفادة كبيرة من المدرسة الفرنسية، ربما بسبب خصائص المنطقة التي لم يعرف عنها انتشار واسع للتعليم الفرنسي، إذا استثنينا ما كان سائدا من تعليم تقليدي، فالجد من الأب لم يتمكن من الانتهاء من مرحلة الدراسة الابتدائية التي زاولها بالفرنسية. نفس الفقر الثقافي الذي يمكن أن نلاحظه لدى الجد من الأم الطباخ والأم الأمية.

كما هو مبين إذن فإن حوالي نصف العينة من النساء الوزيرات يملكن جدا واحدا على الأقل تمكن من الخروج من الأمية في جزائر الاستعمار، المعروفة خاصة خلال هذا الجيل بشحها الثقافي وقلة انتشار التعليم بنوعيه الفرنسي الجديد الذي بدأ في الانتشار والتقليدي الأقدم حضورا. كما لاحظنا كيف أن الحالات المدروسة منتشرة في مختلف مناطق البلاد ومن أصول اجتماعية مختلفة، كما هو مبين في الفصل الخاص بالمنحدرات الاجتماعية.

معطيات تبين بوضوح أن هذه الأوساط كانت استفادتها من التعليم الفرنسي مبكرة إذا عرفنا أن الأغلبية ضمن هذه المجموعة المتعلمة قد حصلت على تعليم داخل النظام التعليمي الفرنسي، استفادة تمت في مدن كبرى في الغالب كالجزائر العاصمة ووهران وسطيف وحتى بمدن صغيرة أو متوسطة، كما هو حال فرجيوة والمسيلة وتبسة... باستثناء حالة عائلة بن حبيلس التي استفادت من وجودها بتونس المدينة، بدءا من جيل الجدين الأخوين، أو بن غبريت بالمغرب.

هذه الأوساط الاجتماعية التي لم تكن بعيدة في نفس الوقت عن المؤسسات التقليدية كالزوايا التي كانت حاضرة عند عدة عائلات (بن حبيلس، منتوري، ياكرو، تومي) والمعروفة بتعليمها التقليدي القرآني باللغة العربية، بما فيها زوايا منطقة القبائل بالطبع.

ونحن نتتبع المسار التعليمي لجد أنيسة بن عمر كنا قد عرفنا أن الجد من الأب في هذه العائلة كان قد أتم تعليمه كقاضي - موثق، في النظام المدرسي Medersien المعروف في الجزائر بتكوينه المزدوج، وهو نفس المسار التعليمي للجد تومي الذي تخرج منه قاضي - ترجمان.

هذا النظام من التعليم الذي سنجدّه أكثر انتشارا لدى جيل الآباء الذي كانت استفادته من التعليم بشقيه والفرنسي منه على وجه التخصيص شبه تامة، مما يعني أننا أمام فئات متميزة بالمقاييس الجزائرية.

فحمدان حمود، أب نفيسة حمود - لاليام على سبيل المثال لم يكن أستاذا في مدرسة الجزائر فقط، بل كان مفتيا ومحاميا كذلك، هو ابن البرجوازية الجزائرية الناشئة التي سيشتهر منها الأخ بوعلام حمود صاحب مصانع المشروبات. عائلة حمود التي رغم تعليمها المزدوج (فرنسية - عربية) تمكنت من المحافظة على ثقافتها العربية الإسلامية والانفتاح على العالم الذي عبر عنه الأب المفتي بتدريس ابنته الطب (مواليد 1924) في تلك الفترة التي لم تعرف انتشارا للتعليم بين البنات خاصة الجامعي منه وفي تخصصات علمية مثل الطب.

الطب الذي ارتبطت به نفيسة لاليام كمهنة بشكل واضح، فقد اختارت طبيا عندما قررت الزواج وقامت بتوريث مهنة الطب لابنتها البكر، ليمنح اسمها بعد وفاتها لأحد أهم المستشفيات بالجزائر العاصمة (مستشفى بارني بحسين داي). الأستاذة نفيسة لاليام التي كانت قد قامت بآخر معاركها في هذا المستشفى بالذات ضد التيارات الدينية الأصولية التي اهتمتها بمعادة لباس الحجاب⁸⁸.

عائلة بلميهوب بمنطقة القبائل الصغرى (إغيل علي) بولاية بجاية ورغم اليسر المادي للجد من الأم، المالك الزراعي الكبير، لم تخرج من دائرة الأمية هي الأخرى، فكل الزاد العلمي والثقافي لهذه العائلة على مستوى جيل الجدين وحتى الأم لم يتجاوز حفظ بعض آيات القرآن للقيام بالصلاة اليومية. على العكس يمكن ملاحظة تحسن ملحوظ على مستوى جيل الأب، مرتبط بظاهرة الهجرة إلى العاصمة، كما جرت العادة عند أبناء منطقة القبائل المعروفين بهجرتهم الكبيرة داخل وخارج البلاد.

فقد انتقل الأب بلميهوب للدراسة عند أخته المقيمة بالجزائر العاصمة وهو لم يتجاوز العشر سنوات من العمر، مما سمح له بالتمدرس لغاية المرحلة الثانوية والحصول على شهادة الأهلية باللغة الفرنسية التي لم يتعلم سواها من اللغات. مستوى تعليمي سمح للأب بالحصول على موقع الموظف بقطاع السكك الحديدية خلال هذه الفترة التي كانت فيها مثل هذه المواقع حكرا على الأوروبيين في الغالب، وهو الموقع المهني الذي لم يمنعه من القيام بنشاط نقابي متميز داخل صفوف الكونفدرالية العامة للشغل CGT والمساهمة لاحقا في تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين UGTA. المركزية النقابية

88. عرفت فترة بداية التسعينيات ونهاية الثمانينات حالات عدة من المشاحنات داخل أماكن العمل حول لبس الحجاب بين ممثلي التيار الأصولي وهو في حالة صعود وبين مسيري المستشفيات الذين أصروا على احترام شروط النظافة داخل غرف العمليات وفي الأماكن التي تتطلب إجراءات نظافة خاصة. حصل هذا في المستشفى العسكري بعين النعجة ومستشفى بارني أين كانت تزاوّل الأستاذة لاليام نفيسة مهنتها كطبيبة ورئيسة مصلحة.

التي ساهم في تكوينها أبناء منطقة القبائل بقوة، بسبب الهجرة المبكرة التي قاموا بها لفرنسا والاحتكاك المبكر الذي قاموا به مع العمل النقابي بالمهجر والجزائر، كما كان حال موظفي السكك الحديدية.

عائلة الوزيرة بوشملة (المولودة لحميسي) يمكن ضمها بسهولة إلى هذه القائمة من الوزارات اللائي تمكّن من الاستفادة المبكرة من المدرسة الفرنسية حتى وإن اختلفت الجهة الجغرافية التي لم تكن معروفة بالانتشار المبكر للمدرسة الفرنسية فيها كما كان الحال مع منطقة القبائل أو حتى الوسط الحضري من الشمال القسنطيني، فقد حصل الأب لحميسي على شهادة التعليم الابتدائي في بركة بالحضنة، للعمل كموظف في بلديتها، قبل الانتقال لاحقا إلى العمل الحر التجاري والصناعي. الأب لحميسي الذي ركز، عكس ما كان شائعا في تلك الفترة من التوجه نحو العمل عند الدولة، في تربية أبنائه على التوجه نحو العمل الحر وعدم الارتباط بالعمل عند الدولة مهما كان، بعد تجربته القصيرة كموظف في البلدية. التوجه الذي ظهر من خلال التخصصات العلمية للبنات قبل الذكور من العائلة.

رغم تواضع المستويات التعليمية لجدي سعدية نواره جعفر اللذان لم يتخطيا عتبة الأمية، مثل الأم تماما، فإن ملامح إستراتيجية المصاهرة التي لاحظناها عند الوسط الاجتماعي المنتج للوزيرة الجزائرية نجد لها قائمة هنا كذلك، فالجد من الأم الميسور وصاحب الملكية الواسعة التي تصفه الحفيدة بـ « الفارس »، لتربيته للكثير من الخيول وحبه لها، كان هو الذي فضل مصاهرة المعلم والإمام الشاوي خريج زاوية الهامل الذي جاء للتدريس بمنطقة بيضا البرج في ولاية سطيف، قبل أن يحترف التعليم بمدارس جمعية العلماء بالمنطقة.

الزاوية التي سنجدها حاضرة كمؤسسة تنشئة حتى وإن اختلف تأثيرها من جيل لآخر كما هو الحال مع عائلة سعدية نواره في علاقتها بزاوية الهامل (الرحمانية). كانت الزاوية حاضرة في منطقة القبائل من خلال عائلة ياكّر التي ارتبطت بزاوية « سيدي عمر أوبراهم » التي تنتمي إلى الرحمانية التي كانت ذات حضور قوي ومتميز في منطقة القبائل. الزاوية التي كانت حاضرة كذلك في حالة عائلة منتوري القرية من زاوية بلحملاوي ذات الحضور القوي في منطقة قسنطينة، رغم التنافس القوي الذي وجدته من مؤسسات ثقافية وعلمية أكثر عصرية مثل المدرسة الفرنسية وجمعية العلماء لاحقا خاصة في المنطقة الشرقية من البلاد..

على عكس الأب بلميهوب، ابن منطقة القبائل الصغرى الذي كان مفروضا عليه التنقل إلى العاصمة للقيام بتمدرسه، فإن الأب ياكّر قام بدراسته للحصول على الشهادة الابتدائية بمنطقته بالاربعاء ناث ايراثن التي اشتهرت تاريخيا بقدّم تاريخ ظهور المدرسة

الفرنسية فيها. شهادة ابتدائية لم يكن مسموحا بأكثر منها للجزائريين في الغالب خلال تلك الفترة، سمحت رغم ذلك للرجل بالحصول على وظيفة كدري لم تكن ميسرة هي الأخرى للكثير من الجزائريين. وهي المهنة، بالمستوى التعليمي الذي تقتضيه تسمح لنا بتصنيف العائلة ضمن قائمة الأوساط الاجتماعية التي استفادت من المدرسة الفرنسية مبكرا، مما أهّلها لولوج دوايب الإدارة الفرنسية من خلال مهنة الأب الدري.

استفادة أوسع من التعليم حصل عليها أبناء وبنات الأب ياكرو ظهرت أكثر على مستوى جيل الأبناء، فقد أنتجت هذه العائلة « المربطة » المكونة من ست بنات وخمسة ذكور، والتي كانت قريبة من زاوية « سيدي اعمر أوبراهم » أكثر من أستاذ وأستاذة في الطب، على غرار الأخت زوجة الضابط السامي حرطاني، أستاذة طب العيون، والأخ أستاذ الطب المشهور صاحب العيادة في أمراض القلب...

« فقد كان الأب يصر على تعليم البنات مثل الأولاد، رغم معارضة ذكور عائلة الأم من الأخوال، الذين لم تنقطع زياراتهم إلى العائلة، بعد مغادرتها منطقة القبائل للإقامة في الجزائر العاصمة، بعد نهاية الحرب العالمية الثانية 1947...⁸⁹ الوالدة رغم أميتها، مثل الجدين... كانت تصر علينا بأن نكون الأحسن في المدرسة، دون الانقطاع عن قيم العائلة القبائلية وسلوكياتها، فأنا مثلا لم أدخل طول حياتي الدراسية الجامعية مطعما جامعيًا أو أي مطعم آخر في المدينة، وكنت التحق يوميا بالمنزل العائلي بحي المدنية لتناول وجبة الغداء ».

عائلة ليلى حمو بوتليليس التي كان الجدان فيها أميين، استفادت هي الأخرى من وجودها في مدينة كبيرة كوهراّن التي عرف فيها الجد كتاجر في اللحوم في حي المدينة الجديدة، كما عرفنا ذلك، لنلاحظ تحسنا على المستوى التعليمي بالنسبة لجيل الأب الذي عمل كمساعد موثق فرنسي، بفضل مستواه المتوسط باللغة الفرنسية. تحسن وصل لغاية الأم التي كانت تملك مستوى ابتدائيا باللغة الفرنسية على غرار أختها القابلة والأخ محافظ الشرطة الذي كان قد تعرف على الأب حمو بوتليليس، بمناسبة نشاطهما المشترك في صفوف الكشافة الإسلامية.

الانتشار المتقطع للتعليم

رغم بروز ظاهرة الاستفادة الواسعة من التعليم التي لاحظناها لدى الكثير من الأوساط الاجتماعية الجزائرية في مختلف مناطقها الجغرافية فإننا لا يمكن إلا أن نلاحظ أنها لم تكن ظاهرة شاملة استفاد منها الكل حتى لدى هذه الأوساط المنتجة للنخبة الوزارية النسائية.

89. مقابلة مع مليكة علاب-ياكرو انظر :

ناصر جاي، الوزير الجزائري. أصول ومسارات، منشورات الشهاب، الجزائر، 2011.

تتبع مسارات بعض الأوساط الاجتماعية الفقيرة، الريفية والحضرية منها، يمكن أن يجعلنا ننتبه أننا أمام حالات عدم استفادة من التعليم بمختلف أنواعه حتى بالنسبة لعائلات انتقلت للعيش في مدن معروفة باستفادتها المبكرة من التعليم بمختلف أنواعه الفرنسي والتقليدي كما هو حال مدينة قسنطينة وتلمسان. استفادة بقيت محدودة حتى على مستوى جيل الوزيرة نفسها كما تبينه حالة ربيعة مشرنن في تلمسان.

تواضع المنحدرات الاجتماعية لربيعة مشرنن بنت الوسط الفلاحي المالك الصغير، يقابله نفس التواضع على المستوى الثقافي، فالأمية هي السائدة على مستوى جيلي الجد والأب وبالنسبة للجنسين، لتبقى المعرفة الوحيدة المتاحة أمام هذه العائلة من الجهتين هي حفظ بعض أجزاء من القرآن للقيام بالواجبات الدينية. تواضع المستوى التعليمي الذي لاحق البنت ربيعة كقدر، التي كانت الوزيرة الوحيدة تقريبا غير الحاصلة على شهادة البكالوريا والتي لم تنه تعليمها العالي الذي انطلقت فيه بجامعة وهران. فحن إذن أمام حالة استفادة متأخرة ومتواضعة من المدرسة التي قمت على مستوى جيل الوزيرة نفسها وليس الأجيال قبلها التي سادت الأمية لديها.

عائلة سكيمة مسعدي، الوزيرة المنتدبة المكلفة بالجالية الجزائرية في الخارج، يمكن ضمها إلى هذا الوسط الفقير ثقافيا، رغم اليسر الاقتصادي النسبي الذي عرفت به العائلة التي احترفت تجارة وصناعة الجلود بولاية خنشلة الجبلية، شبه الصحراوية، الفقيرة. فالجدان اللذان قررا الزواج العائلي بالنسبة لأبنائهما كانا أميين، وهو نفس حال الأم مسعدي. على عكس جيل الجدين، فقد تحسنت الاستفادة من التعليم بشقيه على مستوى الأبناء، في حين كان حظ الأب مسعدي متواضعا جدا، فلم يخرج من مرحلة الأمية إلا عن طريق مجهود شخصي يصنفه في خانة العصاميين.

عائلة زهور ونيسي قد تكون الأكثر قربا من جمعية العلماء ونظام التعليم الباديسي من أي وزيرة أخرى ضمن هذه القائمة من الوزيرات، علاقة تعود إلى جيل الجد من الأم الذي كان قيما على مساجد قسنطينة. علاقة خاصة مع الجمعية عبر عنها الأب الحرفي في ميدان البناء بترميم مساجد الجمعية بالمجان وتطوعا منه في هذه المدينة التي كانت قد هاجرت إليها العائلة من ميلة القريبة..

هذه العلاقة الخاصة مع هذه المؤسسة الإصلاحية وجوهرها الثقافي الذي سيظهر أكثر عند جيل البنات... فقد أصر الأب على تعليم بناته الخمس. التي اشتهرت منهن الأخت المعلمة والطفلة زهور ونيسي التي كانت أول امرأة جزائرية تصل إلى عضوية الحكومة⁹⁰.

90. انظر كيف قدمت السيدة زهور ونيسي علاقة عائلتها بجمعية العلماء وكيف كانت استفادتها هي وعائلتها من هذا القرب من الجمعية بمدينة قسنطينة.
زهور ونيسي، عبر الزهور والأشواك. مسار امرأة، دار القصة، الجزائر، 2012.

خلاصة جزئية... هل نحن فعلا أمام وسط اجتماعي متميز؟

حاولنا طول مدة الدراسة تتبع مسار العائلات الجزائرية التي أنتجت الوزارات كوسط ثقافي ومسارات تعليمية بكل ما تفترضه من قرب مع مؤسسات علمية وثقافية لأكثر من جيل، رغم ما قد يشوب هذه التصنيفات من عدم دقة في بعض الأحيان ومن تكرار في سرد المعلومات مع فصول أخرى من الدراسة وداخل نفس الفصل ربما، فإننا حاولنا أن نتعرف على علاقة هذه الأوساط الاجتماعية مع مختلف الأنظمة التعليمية التي عرفت الجزائر خلال هذه الفترة الطويلة من عمر الظاهرة الاستعمارية الاستيطانية وبعد الاستقلال مع الوزارات الأصغر سنا. علاقة يمكن أن تقيس ما سميناه بالسمك الثقافي لهذا الوسط الاجتماعي الذي من مؤثراته المستويات التعليمية والشهادات التي تحصل عليها الجدان، الأب والأم، واللغات المتمكن منها في أكثر من جيل.

تبين لنا بعد هذه المتابعة أن هذه الأوساط غير متجانسة اجتماعيا من حيث علاقاتها مع مختلف الأنظمة التعليمية، رغم استفادتها القديمة نسبيا منها؛ فقد لاحظنا كيف استفادت بعض العائلات (عائلات بن جاب الله، ليلي الطيب، أنيسة بن عمر، تومي) من تعليم عال على مستوى أحد الجدين على الأقل أو الجدين الاثنين، كما كان حال عائلة بن جاب الله وباللغتين. وهو ما يؤكد جزئيا على الأقل ما ذهب اليه بيار بورديو في مقابلة له مع مجلة «تيلي راما» عندما قال... أن النساء اللاتي يصلن إلى مواقع السلطة عادة ما يكن «sur sélectionnées»، لأن المطلوب من المرأة لكي تصل إلى موقع رئيس مدير عام يكون أكثر مما هو مطلوب من الرجال كصفات مهنية. كما أنه مطلوب منها أكثر كشروط انطلاق اجتماعية حتى لا تراكم المعوقات. من هذه الزاوية يضيف عالم الاجتماع الفرنسي... أن المرأة تكون في الغالب أكثر تأهيلا من الرجال من أجل الحصول على نفس المنصب وأكثر برجوازية منه. وهو ما يطرح مسألة المناصفة في السياسة، فقد تكون النتيجة أننا سنعوض رجالا برجوازيين بنساء أكثر برجوازية منهم⁹¹....

في الحالة الجزائرية تبين لنا إذن أن هذه الاستفادة من التعليم التي حصلت عليها الوزيرة الجزائرية كوسط اجتماعي كانت بشكل أساسي من النظامين التعليميين، الأهلي التقليدي والفرنسي العصري. كما اكتشفنا أن هذه الاستفادة توسعت جدا على مستوى الأب، لتعمم على مستوى البنات الوزارات. تعليم تم في المدرسة الفرنسية والنظام «المدرسي» بمدارسه الثلاث والابتدائية بتونس (عائليتي كتو وشريط)، دون إهمال نظام التعليم الأهلي التابع لجمعية العلماء والزوايا في بعض الحالات. انتشار التعليم على مستوى جيل الآباء الذي كان وراء التنوع السوسيولوجي في المهن والمواقع الذي عرفته

91. <http://www.scribd.com/doc/70387767/Telerama-interview-Bourdieu-domination-masculine>.

هذه الأوساط والذي يمكن تعميمه على كل المجتمع الجزائري، دون خوف من الخطأ، بدءا من هذا التاريخ.

انتشار التعليم واستفادة هذه الأوساط التي لجأت إلى الزواج الداخلي في بعض الحالات وهو ما سميناه باستراتيجية المصاهرة بين وسطين أحدهما ميسور ماديا والآخر ثقافيا ورمزيا، مما ساعد على توفير شروط من التراكم المادي والرمزي، كَوْن الأرضية لبروز هذه النخبة النسائية في جزائر ما بعد الاستقلال. أخيرا فإن انتشار التعليم حتى ولو كان جزئيا وغير معمم على كل الحالات (أم كل من ليلى عسلاوي وبثينة شريط وأنيسة بن عمر وبن حبيلس وسعاد بن جاب الله وحمو بوتليليس وفاطمة الزهراء زرواطي ومليكة بن دودو ومريم مرداسي)، فإنه يدل على مدى استفادة هذا الوسط من التعليم الذي يعكسه مستوى تعليم الأم ربما أكثر من تعليم ذكور العائلة.

الجدول رقم 30 : يوضح الشهادات العلمية المتحصل عليها
من قبل الوزيرات ومكان الولادة وآخر منصب مهني لهن

الاسم واللقب	آخر شهادة تعليمية / التخصص	ولاية المولد وتاريخه	آخر منصب مهني قبل التعيين
زهور ونيسي	دبلوم الدراسات المتخصصة / علم الاجتماع	قسنطينة/1936	مديرة أسبوعية الجزائرية
خيرة-ليلى الطيب	سنة ثالثة/حقوق	وهران/1939	مديرة ثانوية
نفيسة لاليام	دكتوراه/طب توليد وأأمراض النساء	الجزائر العاصمة/1924	أستاذة طب/رئيسة مصلحة
آنسة بن عمر	ليسانس/علم النفس العيادي	قصر البخاري/المدينة/1953	أستاذة بالتعليم الثانوي
ليلى عسلاوي	ليسانس /حقوق	الجزائر العاصمة/1945	قاضية
زهية منتوري - شنتوف	دكتوراه/طب	سطيف/1947	رئيسة جامعة عنابة/ أستاذة في الطب
سعيدة بن حبيلس	ليسانس/علم النفس وعلوم التربية	تونس/1946	مديرة مدرسة
مريم زرداني بلميهوب	ليسانس/حقوق	الجزائر العاصمة/1935	محامية
مليكة علاب ياك	دكتوراه في الفيزياء النووية	آيت حلي/الربعاء ناث ابرائن/ تيزي وزو/1942	أستاذة جامعية/باحثة
عائشة هنية سميثي	ليسانس آداب	الجزائر العاصمة/1936	إطار سامي بالخارجية
ربيعة مشرن	مستوى ثانوي	تلمسان/1954	مستشارة بوزارة التكوين المهني

زهية بن عروس	ليسانس/علم النفس	مسيلة/1958	صحفية بالتلفزيون
بثينة شريط	دكتوراه/علوم التربية	تونس/1955	أستاذة جامعية
فاطمة الزهراء بوشملة	ليسانس/حقوق	بريكة /باتنة /1956	محامية
ليلي حمو بوتليليس	دكتوراه/طب	وهران/1948	أستاذة طب
فتيحة منتوري	دكتوراه في الاقتصاد /المالية	قسنطينة /1947	نائب محافظ بنك الجزائر
سكينة مسعدي	دكتوراه في الآداب	خنشلة 1948	مفتشة عامة بوزارة التشغيل والتضامن
نواره سعدية جعفر	ليسانس في الإعلام	سطيف/1950	صحفية بالإذاعة والتلفزيون
سعاد بن جاب الله	دكتوراه/حقوق	سطيف/1953	أستاذة جامعية/حقوق
خليدة تومي	ليسانس/رياضيات	عين بسام/بويرة/1958	أستاذة بالتعليم الثانوي
بن غبريت نورية	دكتوراة في علم الاجتماع ح 3	وجدة المغرب 1952	مديرة مركز بحث
مونية مسلم	ليسانس حقوق	تبسة 1961	محامية
دليلة بوجمعة	مهندسة دولة	برج بوعريرج 1954	مديرة مركزية في وزارة
دردوري فاطمة الزهراء	دكتوراه في علوم الكمبيوتر	باتنة/1955	رئيسة سلطة الضبط
زرهوني آمنة نورية	خريجة المدرسة الوطنية للإدارة	تلمسان/1955	والي
فرعون هدى	دكتوراه دولة في فيزياء المواد الصلبة	سيدي بلعباس/1979	مديرة مركز بحث
نادية لعبيدي	دكتوراه دولة في السوسيولوجيا	الجزائر العاصمة/1954	أستاذة/ مالكة ومسيرة لشركة انتاج سينمائي
طقابو عائشة	ليسانس ترجمة/ تسجيل في دراسات عليا	تمراست/1981	موظفة بسوناطراك/مالكة ومسيرة لشركة سياحية
دالية غالية	شهادة ما بعد التدرج علم النفس والتنظيم	العفرون/بليدة/1963	نايبة رئيس المجلس الشعبي الوطني
زرواطي فاطمة الزهراء	مهندسة دولة في البيئة	عين الدفلة/1967	صحفية في التلفزيون الرسمي/ رئيسة جمعية
بن دودة مليكة	دكتوراه فلسفة	وهران/1976	أستاذ فلسفة
سلمية سواكري	دبلوم تقني في الرياضة -الجيدو-	الجزائر العاصمة/1974	مدربة رياضية في الجيدو

سامية موالفي	دكتوراه حقوق	الجزائر/1956	برلمانية
وفاء شعلال	دكتوراه في البيولوجيا		أستاذة برلمانية
بسمة عزوار	ماستر حقوق	باتنة 1983	محامية
بن حراث نصيرة	دكتوراه في الكيمياء الصناعية		مديرة جامعة وهران
كوثر كريكو	ماستر حقوق	قسنطينة/1982	محامية
مرداسي مريم	ماستر تاريخ	قسنطينة/1983	مسيرة دار نشر خاصة
هيام بن فريجة	دكتوراه علوم سياسية	الجزائر العاصمة/1968	أستاذة وعميدة كلية
جميلة تهازيرت	ماستر في الصناعات الغذائية	الجزائر/1956	مديرة مؤسسة في قطاع الصناعة الغذائية
صورايا مولوجي	دكتوراه في الترجمة/ جامعة وهران	وهران/1977	مديرة مركز بحث في العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجيا
فايزة دحلب	مهندسة - ماجستير كيمياء صناعية بفرنسا	الجزائر/1967	مديرة مركزية في وزارة البيئة

المسار التعليمي للوزيرات الجزائريات ... المحاميات والطبيبات

ليس غريبا أن يكون المستوى التعليمي للوزيرات الجزائريات أعلى من المستوى التعليمي للوزير الرجل، كما هو واضح في الجدول أعلاه، حتى ولو أننا أمام عدد أصغر للوزيرات بالمقارنة مع العدد الأكبر للوزراء. التأهيل والتعليم العالي بالحصول على أعلى الشهادات الذي كان الاستراتيجية الأساسية للمرأة الجزائرية للدخول في المنافسة السياسية، اعتمادا على نتائج عملية التراكم التاريخية بين الثروة الاقتصادية والثروة العلمية التي حصلت في الوسط الاجتماعي للوزيرة وجسدها المصاهرات بين عائلتي الجدين والأب، كما رأينا ذلك داخل أكثر من حالة مدروسة.

تصفح المعطيات المنشورة في الجدول رقم 30 تؤكد أننا أمام مستويات تعليمية عالية، فمن مجموع 42 وزيرة وزيرة، نلاحظ أن هناك 18 وزيرة حاصلة على الدكتوراه، منهن ثلاث أستاذات في الطب: ليلي حمو بوتليليس (أمراض القلب) ونفيسة لاليام (طب النساء) وزهية منتوري (إنعاش أطفال)، في ثلاثة مستشفيات جامعية: الجزائر، قسنطينة ووهران على التوالي. صاحبات هذه التخصصات العلمية الدقيقة التي يمكن إضافة لهن الدكتوراة مليكة علاب - ياكور أستاذة الفيزياء النووية بجامعة باب الزوار، وهدى فرعون في الفيزياء. وفاطمة الزهراء دردوري في الإعلام الآلي وبن حراث في الكيمياء الصناعية كما هو مبين في الجدول بالتفصيل.

أما بالنسبة للعلوم الإنسانية والاجتماعية فهناك 7 أستاذات جامعات على الأقل حاصلات على شهادة دكتوراه في تخصصات كالحقوق: سعاد بن جاب الله وسامية

مولفي، والترجمة وعلوم التربية : بالنسبة لبثينة شريط، والاقتصاد : فتحة منتوري والآداب الفرنسية، سكيمة مسعدي وبن غبريت ولعبيدي في علم الاجتماع، والفلسفة بالنسبة لمليكة بن دودوا وحتى زهور ونيسي الحاصلة على دبلوم الدراسات المعمقة في هذا التخصص بجامعة الجزائر، بعد دراسات جامعية على مستوى التدرج في الأدب العربي والفلسفة من نفس الجامعة، علما بأن السيدة زهور ونيسي قد فضلت ترك الجامعة التي اشتغلت فيها كعميدة لوقت قصير، للتوجه نحو العمل الصحفي والكتابة الأدبية. وأخيرا غنية الدالية الحاصلة على شهادة ما بعد التدرج في علم النفس والتنظيم.

يمكن أن نلاحظ كذلك بالنسبة للوزيرات المتحصلات على شهادة الليسانس، شبه سيطرة طفيفة تفرضها التخصصات في ميدان الحقوق، كما لاحظنا ذلك على مستوى النخبة الوزارية ككل، لتكون العلوم القانونية ممثلة بأربع وزيرات من جيلين مختلفين : ليلى عسلاوي (قاضية)، مريم زرداني وفاطمة الزهراء بوشملة (محامية) وأخيرا مونية مسلم وكوثر كريكو وبسمة عزوار، نفس الحضور تقريبا الذي يسجله تخصص علم النفس (أنيسة بن عمر وزهية بن عروس وسعيدة بن حبيلس وغنية دالية) لتتوزع الوزيرات الباقيات الحاصلات على الليسانس، على تخصصات مختلفة : آداب اللغة الفرنسية (سميشي هنية)، والإعلام (نؤارة جعفر)، وأخيرا الرياضيات بالنسبة لخليدة تومي والترجمة بالنسبة لعائشة طقابو.

رغم هذا التشتت الجزئي الملاحظ على التخصصات العلمية للوزيرة الجزائرية، فإنه يمكن الكلام على بعض الاتجاهات العامة حتى ولو لم تكن اتجاهات ثقيلة وواضحة المعالم، كتلك السيطرة الطفيفة التي تفرضها التخصصات في العلوم القانونية، فمن مجموع 42 وزيرة، يمكن أن نلاحظ تسع وزيرات متخصصات في هذا الميدان، بمستويات مختلفة، منهن القاضية (ليلى عسلاوي) والمحامية (مريم زرداني وفاطمة الزهراء بوشملة ومونية مسلم) والأستاذة الجامعية (سعاد بن جاب الله). قائمة يمكن أن نضيف إليها حالتين فقط لم تكمل فيها الوزيرتان دراستهما في الحقوق للحصول على الليسانس، التي انطلقت فيها ليلى الطيب بالمغرب قبل الاستقلال وربيعة مشرن بجامعة وهران، بعد تجربة التعليم الابتدائي في وهران. لتكون سليمة سواكري التي عينت كوزيرة منتدبة مكلفة بالنخبة الرياضية في حكومة جراد (2020) الوزيرة الوحيدة التي لم تنجز دراسات جامعية مكثفة بشهادة مدربة في رياضة الجيدو التي حصلت فيها على القاب دولية.

سيطرة مهن الحقوق التي تؤكد الاتجاهات الملاحظة في الدراسة العامة المتعلقة بالنخبة الوزارية ككل والتي أكدت دراسات عربية ودولية، بينت ذلك الحضور القوي على مستوى النخبة الوزارية، لخريجي الحقوق الذي تحتاجه كل الأنظمة السياسية مهما كان احترامها للقانون وتطبيقها له.

الوزيرية الجزائرية التي تلقت تعليمها الابتدائي وحتى الثانوي بالنسبة لجزء كبير منهم بالقرب من العائلة، ليكون الانفصال عن الوسط العائلي بالنسبة للبعض منهم قبل مرحلة التعليم الجامعي، فقد اضطرت بعض بنات القرى والمدن الصغرى للتنقل إلى العاصمة وبعض المدن الكبرى للاستفادة من التعليم الثانوي نظرا لضعف انتشار الثانويات خارج المدن الكبرى. ظاهرة تؤكد مدى التأثير الكبير للمدرسة العمومية كمؤسسة تنشئة على حساب العائلة جزئيا بكل حمولتها الثقافية.

كان هذا الحال بالنسبة لسعدية نواره جعفر التي أصر أبوها على انتقالها للعاصمة بالذات وليس مدينة قريبة كسطيف أو حتى قسنطينة، للدراسة كتلميذة داخلية بثانويتي محمد بن شنب⁹²، وعائشة أم المؤمنين لاحقا، أين حصلت على شهادة البكالوريا-آداب في سنة 1971...

« الأب المعلم والإمام خريج زاوية الهامل والقريب من جمعية العلماء، هو الذي أصر على تعليمي بالعاصمة بالذات »... في هذه الثانوية الكبيرة بالجزائر غير المختلطة التي كان أغلبية أستاذتها من المشرق العربي بكل توجهاتهم الفكرية والسياسية، كطالبة داخلية باللغة العربية. اللغة التي لا تتعامل الوزير نواره سعدية جعفر بغيرها من اللغات، رغم تحكمها المعقول في اللغة الفرنسية. نواره جعفر التي أكملت تعليمها الجامعي بمعهد الإعلام بجامعة الجزائر للحصول على شهادة الليسانس، التي بدأت الشغل كصحفية قبل الحصول عليها سنة 1974 كما كان حال الكثير من أبناء جيلها الذي وجد أبواب الشغل مشرعة أمامه.

نفس ثانوية « عائشة أم المؤمنين » بحسين داي، المعروفة كأكبر الثانويات العاصمية المغربية الخاصة بالبنات، تخرجت منها بوشملة فاطمة الزهراء، بعد حصولها على البكالوريا آداب سنة 1978، بعد استقرار العائلة بالعاصمة، في عمر الثالثة بعد ولادتها ببلدية المتكعوك، القرية من بركة. الطالبة بوشملة التي أكملت دراستها الجامعية بالجزائر في كلية الحقوق باللغة الفرنسية، ضمن آخر الدفعات بهذه اللغة، رغم تحكمها في اللغة العربية التي درست بها لغاية المرحلة الثانوية، حتى وإن فضلت اللغة الفرنسية في حديثها وتعاملاتها اليومية كمحامية متخصصة في ميدان الأعمال... عكس وسطها العائلي الذي سادت فيه اللغة العربية.

تحكم أكبر في الفرنسية وحديثها بها سهل دون شك كان وراء تلك الشائعات التي روجت ضد هذه الوزيرة من قبل منافسيها، داخل حزب جبهة التحرير وخارجه الذين

92. ثانوية محمد بن شنب احتلت المقر القديم لـ « مدرسة » الجزائر العاصمة، فهل من الصدفة أن يصر ابن زاوية الهامل المعلم صاحب التعليم التقليدي بالعربية أن تلتحق ابنته البكر بنفس المكان الذي كان يتمنى ربما أن يدرس فيه هو ؟

قدموها كابنة... عائلة مهاجر لا تحسن العربية، خاصة بعد تعيينها كوزيرة منتدبة للهجرة لدى رئيس الحكومة علي بن فليس الذي دافع عنها ورشحها للجنة المركزية للحزب والانتخابات التشريعية التي فازت بها لتتوجه مباشرة نحو موقعها الوزاري. شائعات من كل نوع سنلاحظ ضمن هذه الدراسة كيف اكتوت بها الوزيرة الجزائرية عادة ما تكون في ارتباط مع وسطها العائلي الذي تختلق حوله شائعات من كل نوع، كشكل من أشكال رفض وصولها إلى هذا المنصب.

في العاصمة دائما وفي ثانوية عمر راسم المخصصة للبنات هذه المرة، حصلت مونية مسلم وزيرة التضامن، على شهادة البكالوريا علوم (1982) مما أهلها لدخول جامعة باب الزوار لدراسة الطب لمدة عامين، قبل أن تقرر التوجه صوب كلية الحقوق للقيام بدراسات قانونية والحصول على شهادة الليسانس في 1989، ثم العمل كمحامية قريبة من اهتمامات المرأة.

ثانوية « الحرية » غير المختلطة بقسنطينة هي الأخرى ستخرج منها الطالبة منتوري زهية بالحصول على البكالوريا - علوم في سنة 1966، رغم ولادتها بسطيف التي أتمت دراستها الابتدائية فيها، لتنتقل إلى قسنطينة التي استقرت بها عائلة منتوري... « سطيف كانت مرحلة فقط نتيجة لعمل الوالد فيها ».

البنت منتوري التي درست باللغة الفرنسية كل المرحلة الثانوية والجامعية، مما جعل تعاملها باللغة الفرنسية هو الطاعي، رغم استعمالها للغة عربية دارجة متوسطة المستوى، واضحة، كما هو حال سكان مدن الشرق الجزائري كسطيف وقسنطينة.

البنت منتوري التي كان لزاما عليها التنقل كثيرا بين الجزائر وفرنسا لإنجاز دراساتها العلمية على مستوى التخصص، علما بأننا وفي هذه الحالة كذلك أمام حالة ولوج عالم الشغل قبل الانتهاء من الدراسات العليا المتخصصة كظاهرة عامة مست النساء والرجال من هذا الجيل الذي لم يكن لديه مشكل في دخوله عالم الشغل المبكر، للحاجة الكبيرة للإطارات في تلك الفترة.

في الجهة الغربية من الجزائر ومدينة وهران التي ولدت فيها (1948)، زاولت البنت ليلى حمو بوتليليس كل تعليمها الثانوي وحصلت فيها على شهادة البكالوريا (1966) للانطلاق في دراسة الطب والتخصص لاحقا، في أمراض القلب. التخصص (1978) في هذا المجال الذي فرض عليها القيام بجزء من دراستها الجامعية المتخصصة بالجزائر العاصمة، قبل الالتحاق بمستشفى وهران كأستاذة رئيسة مصلحة ؛ مما يعني أننا أمام بنات سافرن وابتعدن مبكرا على العائلة وما تمثله من سلطة وتنشئة بالقيم المعروفة عنها، رغم وفاة الأب الشهيد المبكرة في هذه الحالة.

في الجهة الغربية دائما أتمت البنت زهوني آمنة دراستها في ثانوية مليكة حميدو بلمسان التي استقرت بها العائلة، بعد التنقل إلى مغنية لأسباب مهنية مرتبطة بالأب... الذي أصر رغم تربيته المحافظة على العودة إلى تلمسان من أجل ضمان تلميذ أحسن لأبنائه وبناته، إذ التحق الذكور الثلاثة منهم بثانوية بن زرجب المشهورة كداخلين، قبل البنت الأصغر آمنة. البنت التي التحقت بالمدرسة الوطنية للإدارة بالجزائر العاصمة احتراما لرغبة الأب الذي أصرّ على تعليم بناته تعليما جامعا، مما سمح بتخرج أربع أخوات طبيبات وصيديات قبلها⁹³.

في بلعباس القريبة وفي ثانوية الحواس بالذات، أتمت هدى إيمان فرعون تعليمها الثانوي، بحصولها على البكالوريا وعمرها لم يتجاوز 16 سنة في 1995. جامعة بلعباس كانت وجهة هذه الطالبة الصغيرة المتميزة، للحصول على دبلوم الدراسات المتخصصة في الفيزياء الكمية بعهددة الماجستير (2001) وأخيرا دكتوراه في نفس التخصص (2005) ناقشتها بعد تسجيل مزدوج وتنقل إلى جامعة فرنسية.

بدل جامعة سيدي بلعباس اختارت الدكتورة هدى فرعون الالتحاق بجامعة تلمسان القريبة للتدريس والبحث، قبل التنقل إلى العاصمة كمديرة لعدة مؤسسات بحث تابعة للتعليم العالي في مجال تخصصها، قبل الالتحاق بالهيئة التنفيذية في ماي 2015 وعمرها لا يتجاوز 36 سنة. انضمام للحكومة لبنت بلعباس الذي أثار الكثير من اللغط الإعلامي حول أصولها ومهنة الأب المفترضة، كمشاهدة لتفسير تعيين هذه الوزيرة التي زاد حضورها الإعلامي الرسمي بالقرب من المراكز القريبة من رئاسة الجمهورية⁹⁴. حضور لهذه الوزيرة الشابة الذي استغله الإعلام الرسمي للرد على الذين اتهموا النخبة السياسية الرسمية بالشيخوخة، خاصة بعد تدهور الحالة الصحية للرئيس بوتفليقة وترشحه لعهددة رابعة وهو مقعد.

في الجهة الغربية دائما، لكن هذه المرة من الجهة الأخرى من الحدود وفي مدينة وجدة المغربية ولدت نورية بن غبريت في 1952 لأب تلمساني كان قد هاجر مع عائلته للمغرب، على عادة الكثير من العائلات المتعلمة والميسورة من أبناء تلمسان. نورية التي تكون قد تلقت كل دراستها الابتدائية على الأقل بالمغرب، قبل دخول العائلة إلى الجزائر بعد الاستقلال.

البنت نورية التي أتمت تعليمها الجامعي بجامعة وهران بالحصول على شهادة الليسانس (1973) ودبلوم الدراسات المعمقة من نفس الجامعة (1977) في علم الاجتماع

93. <http://www.eldjazaircom.dz/>.

94. من ذلك مثلا تكليفها مهام هي من صميم مهام وزيرات أخريات مثل قراءة كلمة رئيس الجمهورية في احتفالات 8 مارس التي تعودت القيام بها وزيرة التضامن وشؤون العائلة والمرأة. قراءة يقوم بها الإعلام على النمط السوفييتي لم تمر على الكثير من الملاحظين للساحة السياسية في الجزائر.

التربوي، لتلتحق أخيرا بجامعة باريس السابعة للحصول على دكتوراه الحلقة الثالثة، في علم الاجتماع دائما. بن غبريت التي كان التحاقها مباشرة بعد ذلك بجامعة وهران للتدريس والتسيير على وجه الخصوص بوحدة البحث ومركز CRASC لاحقا الذي استمرت على رأس مديريته حوالي عشرين سنة كاملة بدءا من 1995 وإلى غاية تعيينها في الحكومة كوزيرة للتربية، أين اكتشف المواطن الجزائري وهو يعيش حالة تعددية إعلامية كبيرة، أن وزيرة التربية لا تتحكم في اللغة العربية الفصحى، مما حولها إلى مادة كبيرة للتنكيت في هذا القطاع المعرب. حالة بن غبريت التي تتشابه فيها مع الكثير من أعضاء النخبة الوزارية، بما فيهم النساء المتحركات أكثر في اللغة الفرنسية - عكس العربية - كلغة دراسة وعمل. خاصة عندما يتعلق الأمر بالكبيرات في السن.

في نظام سياسي مازال يفرض اللغة العربية الفصحى كوسيلة أساسية للتعامل السياسي، دون أن يكون هناك تحكم فعلي لها من قبل النخبة السياسية مما يؤثر سلبا على شرعيتها في عيون المواطنين. ظاهرة لا تقتصر على الوزارات من النساء، بل مست كل النخبة السياسية بما فيهم رؤساء الجمهورية ورؤساء الحكومات الذين فقدوا الكثير من قوة التواصل مع المواطنين، جراء الإصرار على استعمال اللغة الفصحى بدل الدارجة، كما هو شائع في أنظمة سياسية قريية كحالة تونس والمغرب ومصر. يكفي هنا التذكير بحالة الرئيس بن جديد والوزير الأول عبد المالك سلال كأمثلة تحول فيها التواصل الرسمي مع المواطنين ووسائل الإعلام إلى مادة للتنكيت من قبل المواطن الذي يطلب منه القيام بمجهود كبير لفهم ما يراد قوله له.

بالعودة إلى حالة بن غبريت القريبة لا بد من القول أنها قد عاشت تجربة تسيير قاسية، بعد تسريب أسئلة امتحانات البكالوريا (صيف 2016) وهي على رأس القطاع، مما جعلها تتعرض إلى حملة قوية للمطالبة باستقالتها. المرأة التي لم يتم قبولها كثيرا من قبل جزء من الرأي العام الجزائري المحافظ الذي وصل به الأمر لحد التشكيك في أصولها الدينية وقناعاتها الفكرية. حالة تؤكد أن عدم معرفة الجزائريين لبعضهم البعض وشح المعلومات الصحيحة حول النخب السياسية كانعكاس لحياة اجتماعية وثقافية متكلسة، يمكن أن يخلق الجو لتصفية الحسابات السياسية اعتمادا على معطيات مغلوبة ومشوهة عن قصد في بعض الحالات، متعلقة بالسيرة الذاتية لأفراد من النخبة السياسية، وأصولها ومساراتها⁹⁵.

في مدينة سطيف بالشرق الجزائري وُلدت البنت سعاد بن جاب الله، رغم أن أصل العائلة يعود إلى عين البيضاء بولاية أم البواقي، كما عرفنا ذلك سابقا، لتكون مهنة الوالد

95. في حالة نورية بن غبريت انطلقت الشائعات التي وصلت إلى الصحافة المكتوبة ووسائل التواصل الاجتماعي، مما أوحى به لقب زوجها حسان رمعون. أستاذ التاريخ بجامعة وهران للإحياء بعبرانية الأصول العائلية للوزيرة نفسها !!!!

الموظف بالسكك الحديدية وقبله الجد من الوالد، المحامي oukil judiciaire هي سبب هذا التنقل من بلاد الشاوية الحراكية للاستقرار بسطيف. المدينة التي درست فيها البنت سعاد كل مرحلتها الابتدائية والثانوية، على غرار كل الإخوة والأخوات الأربعة الذين وصلوا كلهم إلى الجامعة، لتنتقل إلى قسنطينة للقيام بدراسات جامعية في الحقوق، وفرنسا لاحقا للحصول على أول دبلوم لمرحلة ما بعد التدرج، سمح لها بالعمل كعميدة قبل الحصول على الدكتوراه في سنة 1997 بجامعة قسنطينة دائما أين استمرت في التدريس باللغة العربية، بعد قرار تعريب العلوم الإنسانية والاجتماعية، رغم تمكنها الأحسن في اللغة الفرنسية، على غرار جزء كبير من النخبة الوزارية التي عادة ما يتحسن أدائها بالعربية مع الوقت أثناء تجربتها الوزارية، تحت ضغط الضرورة والأمر الواقع.

تنقل الأب حمادي للعمل بمدينة الأغواط الصحراوية البعيدة هو الذي جعل البنت ليلى عسلاوي (المولودة حمادي) تدرس سنواتها الأولى بمدرسة الأغواط التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعمرها لم يتجاوز الخمس سنوات (1950)...

« اجتهدتي في دراستك فأنت أكثر حظا مني، ففي زمني لم يكن مسموحا لنا بتعلم العربية »، كان يذكر الأب للبنت وهو متوجه معها إلى مدرستها.⁹⁶ الدراسة التي أكملتها البنت عسلاوي بثانوية فرانز فانون 1962 الحالية، بعد وفاة الأب وانتقال العائلة إلى العاصمة. دراسة أنهتها بكلية الحقوق بالجزائر العاصمة دائما، بعد حصولها على شهادة الليسانس والتخرج سنة 1968. دراسة الحقوق التي قامت بها عسلاوي باللغة الفرنسية، مما سمح لها بالتحكم أكبر في هذه اللغة، كأغلبية أبناء وبنات جيلها، على حساب اللغة العربية حتى وإن كانت قد بدأت بتعلمها وهي لم تتجاوز الخمس سنوات، في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة الأغواط الجنوبية.

البنت ليلى الطيب لم تستفد من مَدرس عادي، كما هو حال الكثير من الوزيرات خاصة بمراعاة أصولها الاجتماعية الميسورة وإقامتها في مدينة كبيرة ومنفتحة نسبيا كوهران. فقد توقفت البنت ليلى عن الدراسة الثانوية في سنة 1956 للزواج من أحد ضباط الولاية الخامسة...

« كنت من البنات العربيات القليلات اللائي كن يدرسن في ثانوية فرنسية، بعد دراسة ابتدائية في نفس المدينة، باللغة الفرنسية بالطبع خلال هذه الفترة... بعد الانتقال إلى المغرب... حصلت على البكالوريا والتحقت بكلية الحقوق.. لكن وفاة زوجي جعلتني أتوقف عن دراستي... ».

التعليم الجامعي الذي لم تعد إليه ليلى الطيب بعد الاستقلال، كما فعلت زهور ونيسي التي توقفت عن الدراسة في المرحلة الابتدائية...

« توقفت في السنة السادسة بسبب مرض أصابني في عيني... الوالد كان يقدر العلم... كنا ندرس في وقت، لم يكن سهلا فيه أن تدرس البنت، فأختي الكبرى كانت أول معلمة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين... ».

زهور ونيسي التي حصلت على الشهادة الابتدائية الحرة في سنة 1955، لتكمل تعليمها الجامعي بعد الاستقلال بجامعة الجزائر التي حصلت فيها على ليسانس من معهد الأدب العربي (1963-66) وأخرى من معهد الفلسفة (1966-69) الذي كان من المعاهد الأولى المغربية بجامعة الجزائر، لتسجل في معهد علم الاجتماع الذي حصلت منه على دبلوم الدراسات المعمقة. زهور ونيسي التي حاولت تعلم اللغة الفرنسية بعد الاستقلال للأهمية التي تحتلها هذه اللغة داخل دواليب السلطة، ليبقى تعاملها باللغة العربية الفصحى هو الطاغى في حياتها اليومية والمهنية على حساب الدارجة في الكثير من الأحيان.

ما يميز ربيعة مشرن عن باقي الوزيرات ليس المدة الطويلة نسبيا التي استمرت فيها كوزيرة فقط (1996-99)، بل تواضع مستواها التعليمي بالمقارنة مع زميلاتها، فهي الوحيدة - مع سليمة سواكري - التي توقفت عن دراستها في آخر المرحلة الثانوية دون الحصول على البكالوريا، بعد دراسات ابتدائية وثانوية في ثانوية « مالحه حميدو » بتلمسان، للتوجه صوب معهد تكوين المعلمين بنفس المدينة والتخرج كمعلمة. المهنة التي زاولتها في بداية السبعينيات بوهران، قبل الالتحاق بمديرية مدرسة ابتدائية بنفس المدينة. وهران التي انتقلت إليها ربيعة مشرن، بعد زواجها بالكثير من بنات وأبناء تلمسان الذين فضلوا الاستقرار المهني والعائلي في عاصمة الغرب وهران.

هذا المستوى الدراسي المتوسط، الذي لم يمنعها من محاولة الالتحاق بجامعة السانية بوهران لدراسة الحقوق (1984)، باللغة العربية، كما فعل الكثير من زملائها الرجال من الوزراء الذين لاحظنا كيف تحولت لديهم عادة التوجه للقيام بدراسات جامعية بعد الاستقلال وفي كلية الحقوق تحديدا، وهم على رأس مؤسسات وفي مناصب عليا، إلى ممارسة شائعة لا غنى عنها، للزيادة في كسب مظاهر الرأسمال الثقافي الذي لم يتمكنوا من الحصول عليه أثناء الفترة الاستعمارية وقبل التحولات التي مستهم كأفراد وكأوساط اجتماعية. دراسة الحقوق التي لم تتمكن من الانتهاء منها مشرن، التي تفضل الحديث بالعربية الفصحى رغم تمكنها الجزئي من الفرنسية مما يمنحها أوراقا إضافية كفاعلة سياسية انخرطت مبكرا في العمل السياسي الحزبي الذي كان جل تعامله بالعربية على الأقل بالنسبة لحزب جبهة التحرير ومنظماته الجماهيرية كاتحاد النساء.

الهجرة إلى تونس التي كانت من نصيب عائلتي بن حبيلس - كتو وشريط، هي التي فرضت الولادة على الوزيرتين سعيدة بن حبيلس وبثينة شريط في تونس وتلقي التعليم الابتدائي على الأقل هناك، قبل الاستقلال وعودة العائلتين إلى الجزائر. فسعيدة بن حبيلس

(المولودة كتو) تلقت كل تعليمها الابتدائي وجزءا من المتوسط في تونس المدينة، قبل مزاولتها لتعليمها الجامعي بالجزائر، بمعهد علم النفس وعلوم التربية في 1966. بن حبيلس سعيدة التي تتحكم في اللغتين العربية والفرنسية بنفس الدرجة تقريبا، وبدرجة أقل اللغة الأمازيغية التي حافظت على استعمالها العائلي حتى وهي بتونس لمدة طويلة، رغم السهولة التي تجدها في التعامل بالعربية، ولكنها تونسية التصقت بالكثير من أبناء عائلة كتو.

صغر سن بثينة شريط (1955) هو الذي يفسر أنها وعلى عكس سعيدة بن حبيلس لم تدرس إلا سنة واحدة في تونس، قبل عودة العائلة إلى الجزائر مباشرة بعد الاستقلال. في حي الأبيار بأعالي العاصمة تلقت بثينة كل دراستها الابتدائية، قبل الانتقال إلى بن عكنون لانتهاؤها من دراستها الثانوية بالمقراني المختلطة والحصول على شهادة البكالوريا 1974. معهد الترجمة بجامعة الجزائر كان وجهة بنت الأستاذ عبد الله شريط للحصول على الليسانس قبل التحاقها بجامعة لندن 1980 للحصول على دكتوراه في علوم التربية حول موضوع محو أمية المرأة ومكانتها في التجريبتين الجزائرية والتونسية 1987. التحكم في اللغات الثلاث، العربية والفرنسية والإنجليزية خاصة، بطريقة جيدة، جعلت الأستاذة شريط أكثر قدرة على الاحتكاك مع مؤسسات البحث الأمريكية والبريطانية التي استقبلتها أكثر من مرة كباحثة وأستاذة زائرة بعد ابتعادها عن منصبها السياسي وحتى قبل وهي تدرس بقسم علم النفس بجامعة الجزائر. الجامعة التي عادت إليها الدكتورة بثينة للتدريس بمعهد الترجمة هذه المرة، بعد ابتعادها من الحكومة.

توقفت مريم بلميهوب عن دراستها الثانوية التي قامت بجزء منها في ثانوية باستور بالقرب من جامعة الجزائر أثناء حرب التحرير، فقد كانت من طلبة الثانويات المؤسسة لجمعية شباب الطلبة المسلمين الجزائريين AGEMA، Association des jeunes étudiants musulmans algérien في خريف 1955، على غرار ما فعله الطلبة الجامعيون...

بعد الإفراج عنها من السجن، قبيل الاستقلال، توجهت مريم بلميهوب إلى جنيف أين التحقت بمعهد « بياجي » لدراسة علم النفس (1961-62)، إلى غاية الإعلان عن الاستقلال إذ التحقت بعده مباشرة بكلية الحقوق للحصول على ليسانس في القانون العام والتدريس كعميدة (1964-67)، بالموازة مع عملها كمحامية. بلميهوب زرداني التي مازالت تفضل الحديث بالفرنسية في الغالب ولكنها هي خليط بين لكنة بنات منطقة القبائل والعاصمة التي ولدت بها...

« الأم هي التي فرضت علينا الحديث بالقبائلية في المنزل خاصة ».

مليكة علاب (المولودة ياكرو)، ابنة الموظف الحاصل على الشهادة الابتدائية باللغة الفرنسية والأم الأمية، استفادت بقوة من دخول العائلة إلى العاصمة وهي لم تتجاوز الخمس سنوات من عمرها، مما جعلها تتلقى تعليمها الابتدائي والمتوسط بحي المدنية وساحة أول ماي، قبل الانتقال إلى ثانوية de la croix بالقرب من البريد المركزي للحصول على شهادة البكالوريا - رياضيات قبل سنة من استقلال الجزائر (1961).

بعد الحصول على هذه الشهادة، ذهبت البنت ياكرو لدراسة الفيزياء وتحصلت على شهادة الليسانس (1965) من جامعة الجزائر، للتخصص في الفيزياء النووية، ونالت بعد ذلك شهادة دكتوراه الحلقة الثالثة، قبل الحصول على دكتوراه الدولة في نفس التخصص من جامعة غرونوبل الفرنسية (1974) التي تعودت على القيام بزيارات علمية إليها لإجراء تجاربها وإنجاز بحوثها...

« من المؤسف القول الآن أن زملاءنا الفرنسيين كانوا جد مبهورين بالإمكانيات التي كانت تتوفر عليها الجامعة الجزائرية في تلك الفترة، لدرجة أنهم كانوا يأتون هنا للتدريب على أجهزة لم يكونوا يملكونها في جامعاتهم، في السبعينيات ».

السيدة علاب ابنة العائلة « المرابطة » التي تتحدث بلهجة معسكرية عند كلامها بالعربية الدارجة، بسبب زواجها من أحد أبناء المنطقة، مازالت تتذكر كيف أن لغة الحديث داخل المنزل العائلي كانت على العكس القبائلية والفرنسية، حتى بعد مغادرة منطقة القبائل والاستقرار في العاصمة...

مهنة الأب كأمين عام لبلدية هي التي فرضت على الأب تومي التنقل إلى عين بسام بولاية البويرة بالقبائل الصغرى. المدينة الصغيرة المعربة - في أغليبتها - التي ولدت فيها البنت خليدة (1958) المتواجدة على حدود التقسيم اللغوي لولاية البويرة بين شمالها القبائلي وجنوبها الناطق بالعربية ؛ مما جعلها تنطلق في دراستها الابتدائية بنفس المدينة لتلتحق بثانوية سور الغزلان القريبة، قبل الانتهاء من هذه المرحلة التعليمية في العاصمة بثانوية حسيبة بن بوعلي التي حصلت فيها على شهادة البكالوريا (رياضيات) سنة 1977. خليدة التي درست الرياضيات بالمدرسة العليا للأساتذة، التي التحقت بها بعد تجربة الدراسة بالمعهد الوطني للإحصاء والتخطيط. مشاركتها في إضراب طلابي داخل هذه المدرسة المتخصصة هو الذي جعلها تغادرها لالتحاق بالمدرسة العليا للأساتذة الأكثر هدوءا في سنة 1984.

لم تعرف خليدة من المهن إلا التعليم الثانوي التي قامت به في أكثر من ثانوية في العاصمة، بما فيها تلك التي درست وحصلت فيها على البكالوريا (حسيبة بن بوعلي). استقرار مهني لم يقابله نفس الاستقرار السياسي، كما سنتعرف على ذلك في أجزاء أخرى من الدراسة.

أصغر وزيرة حتى الآن ضمن الطاقم الحكومي عائشة طقابو، ابنة تميزت، المصرة على لباسها التقليدي الذي حافظت عليه، قد يكون مؤشر تاريخ حصولها على البكالوريا (1981) والليسانس بجامعة الجزائر (2008) وليس بتميزت التي أنهت تعليمها الابتدائي والثانوي بها، تأكيداً لتأخر ظهور التعليم العالي بمناطق أقصى الجنوب، عندما يتعلق الأمر بالبنات على وجه التحديد، اللاتي كان يطلب منهن التوجه نحو العاصمة للقيام بدراسات عليا لم تكن متاحة للكثير من الأوساط الاجتماعية، حتى ولو كان أب طقابو قد استفاد من المدرسة الفرنسية بمدينة تميزت نفسها التي كان فيها الأب مثل الجد قبله تاجرا صغيرا. رغم هذه الاستفادة يبقى تأخير انتشار التعليم بمناطق أقصى الجنوب يفسر في جزء كبير منه ضعف بروز نخبة سياسية طرقية، بدأت بعض ملامحها في الظهور في السنوات الأخيرة... لتزيد مطالبتها بالحق في الحضور على مستوى مؤسسات الدولة المختلفة.

التحقت خريجة جامعة الجزائر بمؤسسة سوناطراك الوطنية بقسم الإنتاج، مباشرة للحصول على منصب في مديرية الموارد البشرية. التجربة المهنية الوحيدة لها حتى الآن خارج قطاع السياحة التي كانت تسير فيه شركة صغيرة، قبل أن تنتقل إلى تسييره على مستوى الحكومة كوزيرة للصناعات التقليدية. طباكو التي عينت في هذا المنصب كوزيرة منتدبة مكلفة بالصناعة التقليدية، استمرت في موقعها بعد أكثر من تعديل لحكومة سلال التي عينت فيها أول مرة في سبتمبر 2014 وعمرها لا يتجاوز 33 سنة، كما عرفنا ذلك، بعد بروز بوادر تدمير لدى القيادات التقليدية وأعيان منطقة الهقار الذين طالبوا بحقهم في التمثيل السياسي.

كيف وصلت المرأة الجزائرية إلى قصر الحكومة ؟

رغم أهمية الإستراتيجيات العائلية في الزيادة من شروط التراكم المادي والثقافي الرمزي التي لاحظناها عند هذه الأوساط الاجتماعية المنتجة للوزيرة عبر أكثر من جيل، كعامل تفسيري مهم، وتلك الاستراتيجيات الأسرية التي دعمت عن طريق المصاهرة والزواج، هذه المواقع الاقتصادية والاجتماعية لهذه الأوساط الاجتماعية، ورغم مستويات التأهيل العلمية العالية التي ميزت المرأة الوزيرة، فإنها تبقى كشروط موضوعية غير كافية تماما لفهم وتفسير مسيرة الوصول الفردي إلى عضوية الحكومة بالنسبة للمرأة الوزيرة في جزائر الاستقلال.

قد يكون من الضروري في البداية لفهم وتفسير هذا المسار الفردي التعرف على الخلفية المهنية للوزيرة الجزائرية، لعلها تفيدنا في توضيح الصورة أكثر كأرضية للفهم، رغم أن عملية التفسير هذه اعتمادا على المواقع المهنية والتأهيل العلمي المرتبط بها تبقى هي

الأخرى عاجزة عن تفسير كلي لهذا الوصول إلى عضوية الحكومة، رغم ما تسمح به من معطيات، قد تساعدنا كانطلاقة لدراسة الموضوع وتفسير بعض جوانبه. أربع مسارات تاريخية ومؤسسية كبرى، متداخلة في بعض الحالات، يمكن أن تساعدنا على تفسير وتتبع عملية وصول هذا العدد القليل من النساء الجزائريات إلى قصر الحكومة، خلال هذه المدة الطويلة المدروسة الممتدة إلى أكثر من أربعين سنة.

المسار التاريخي المرتبط بثورة التحرير والحركة الوطنية

وهو ما ينطبق على حالة أربع وزيرات على الأقل؛ فقد ارتبطت لاليام نفيسة (المولودة حمود)⁹⁷، ابنة العائلة العاصمية الميسورة، بالحركة الطلابية الوطنية وهي طالبة في كلية الطب بجامعة الجزائر، بانخراطها في جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، مما جعلها تعبر عن هذا الالتزام بمشاركتها في مظاهرة أول ماي 1945 بالعاصمة. الاتحاد الطلابي الذي احتلت فيه موقع نيابة الرئيس، قبل أن تنتخب أمينة عامة لمنظمة وطنية أخرى قبل الاستقلال، هي جمعية النساء الجزائريات المسلمات، تحت رئاسة السيدة مامية شنتوف في سنة 1947. نفيسة حمود التي قامت بهذا النشاط الجماعي داخل منظمات طلابية ونسائية قريبة من حزب الشعب/حركة الانتصار، بموازة انخراطها داخل خلايا الحزب نفسه.

هذا القرب من الحركة الوطنية الاستقلالية الجذرية، أهّل بنت المفتي، أستاذ المدرسة الثعالبية مزدوج اللغة والثقافة، أن تنخرط في جبهة التحرير منذ الإعلان عنها سنة 1954⁹⁸، لتلتحق بصفوف الولاية الثالثة كطبيبة بدءاً من سنة 1956 إلى غاية إلقاء القبض عليها من قبل الجيش الفرنسي في 1957 برتبة ضابط في صفوف جيش التحرير... ليتم الإفراج عنها سنة 1959، بعد تبادل للأسرى بين الحكومة المؤقتة والجيش الفرنسي الذي فرض عليها الإقامة الجبرية في دير مسيحي بمدينة نانت الفرنسية. الدير الذي فرت منه، لتعيد الاتصال بقيادة الثورة التي كلفتها بمهام عدة، كان من بينها تمثيل الجزائر في ندوات نسائية بالدانمارك وغينيا.

تزوجت ضابطة جيش التحرير الطيبية نفسية حمود، قبيل الاستقلال، من زميلها الطبيب مصطفى لاليام، الضابط هو الآخر في جيش التحرير بالولاية الثالثة، لتبدأ مسيرتها

97. معلومات مستقاة من مقابلة مع ابنة نفيسة لاليام ليلى لاليام- قرباص التي احترفت الطب مثل الأم والأب. ومن محاضرة ألقته السيدة مامية شنتوف أثناء اليوم التكريمي الذي نظمته جمعية مشعل الشهيد للسيدة نفيسة لاليام بمناسبة الذكرى الرابعة لوفاتها يوم 9 ديسمبر 2006 بمقر المجاهد اليومي.

98. انظر الشهادة التي يقدمها عبد العليم مجاوي، حول نفيسة لاليام المولودة حمود والمهام التي قامت بها خلال هذه الفترة من تاريخ ثورة التحرير بالعاصمة وقبل التحاقها بجيش التحرير.

Abdelalim Medjaoui, *Ce pays est le notre*, Casbah Éditions, Alger, 2000, pp. 181-189.

المهنية كأستاذة في طب التوليد والنساء بمستشفى « بارني » بحسين داي، بدل العيادة الخاصة التي كانت قد أغلقتها سنة 1953، قبيل الالتحاق بجمال الولاية الثالثة. المستشفى العمومي الذي انطلقت منه للقيام بعملها في تطبيق سياسة مراقبة الولادات وصحة الأم والطفل والقيام بتجريب التقنيات الجديدة لمساعدة الأمهات العاجزات عن الحمل الطبيعي⁹⁹.

بالموازاة مع هذا النشاط المهني، انتخبت السيدة لاليام رئيسة للاتحاد العام للنساء الجزائريات سنة 1966، بمناسبة المؤتمر الأول للاتحاد، لتستمر في موقعها هذا إلى غاية 1972، سنة اتخاذ قرارها بالتفرغ لنشاطها المهني بالمستشفى، بعد انطلاق الصراعات مع قيادة حزب جبهة التحرير التي كانت تريد بسط هيمنتها على الاتحاد، كما فعلت مع الاتحادات المهنية الأخرى (الاتحاد العام للعمال الجزائريين واتحاد الطلبة)، بمناسبة المؤتمر الثاني للاتحاد 1969.

صراع وصلت أصدأه للرئيس بومدين نفسه الذي فضل توجيه قيادة الاتحاد المغضوب عليها من قبل الرجل القوي لغاية تلك الفترة قايد أحمد مسؤول جهاز الحزب، نحو مواقع استشارية داخل المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، بدل استمرار المواجهات داخل الاتحاد النسائي. صراعات قد تعطينا فكرة عن المواقف السياسية الصارمة للمرأة وتفسر في نفس الوقت لماذا ابتعدت عن كل نشاط سياسي رسمي خلال مرحلة طويلة بعد الاستقلال إلى غاية التسعينيات التي كانت فترة اضطراب سياسي، ليس في الهياكل والمؤسسات فقط، بل في طرق تجنيد النخب كذلك كما تبينه حالة نفيسة لاليام التي وصلت إلى الحكومة برئاسة أحمد غزالي في هذه الفترة المضطربة بالذات لوقت قصير جدا بين جوان 1991 وفيفري 92.

فالمسار النضالي والسياسي والجمعوي لبنت عائلة حمود حمدان المفتي، ابن العائلة العاصمية الميسورة، كان يؤهلها للوصول إلى أعلى المناصب الرسمية، بما فيها الحكومة، بعد الاستقلال مباشرة. على العكس وكما عرفته الكثير من الوجوه السياسية التي عايشت الحركة الوطنية منذ بداياتها الأولى، فإن انضمامها للحكومة تأخر لغاية التسعينيات، ضمن طقم حكومة غزالي كوزيرة للصحة لبعض الأشهر (أربعة بالضبط)، رغم مسارها السياسي والنضالي المثالي داخل الحركة الوطنية وثورة التحرير وتأهيلها العلمي العالي. هذه المشاركة السياسية التي تمت في ظرف سياسي مضطرب، كما كان الحال مع عدد كبير من النساء.

99. أشرفت على عدة شهادات للدكتوراه وأنجرت أول عملية تلقيح لولادة اصطناعية Fécondation in vitro في سنة 1985.

ليس غريبا أن تكون ابنة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، زهور ونيسي أول امرأة جزائرية تدخل الحكومة، فزهور ونيسي زيادة على هذه العلاقة الخاصة بجمعية العلماء، كانت قد انضمت من موقعها كمعلمة بالجزائر العاصمة في حي المدنية إلى خلية تابعة لجبهة التحرير بجبل بوطالب بالأوراس، أولاد ناصر، بين 1956 و1960، قبل أن تنتقل إلى خلية أخرى تابعة للولاية الرابعة إلى غاية الاستقلال...

عملت زهور ونيسي بعد الاستقلال مباشرة كسكرتيرة لوزير الأوقاف توفيق المدني، ابن جمعية العلماء وممثلا في أول حكومة للجزائر المستقلة، بعد نجاحها في مسابقة الدخول إلى جامعة الجزائر في نفس السنة التي استفاد منها قدماء المجاهدين الذين فضلوا الالتحاق بالجامعة. زهور ونيسي التي عادت إلى التدريس بالمرحلة الثانوية كأستاذة بثانوية عائشة، لكنها لم تكتف بهذه الحياة المهنية في قطاع التعليم، فقد ساهمت في إنشاء أكثر من مشروع إعلامي وثقافي تعبيراً عن هذا التوجه نحو الفعل الثقافي، رغم صعوبته وتميزه بالنسبة لمتقنة معربة في جزائر بداية الاستقلال¹⁰⁰، فقد قامت مع مجموعة من المثقفين المحسوبين على اليسار المعرب في تلك الفترة، من أمثال الطاهر وطار والطاهر بن عيشة والعفيف لخضر، هي بنت جمعية العلماء، بتكوين جريدة « الجماهير » و« الثورة والعمل » التابعة للاتحاد العام للعمال الجزائريين و« الجزائرية » للسان المركزي للاتحاد الوطني للنساء الجزائريات لاحقا التي أدارتها لعدة سنوات زيادة على المساهمة بالكتابة في مجلة « الجيش » التابعة للمحافظة السياسية للجيش الوطني الشعبي، بالإضافة إلى عضويتها في الاتحاد الوطني للكتاب الجزائريين التي كانت من مؤسسيه والكتابات القليلات من النساء في عضويته.

أثناء هذه التجربة تعرفت زهور ونيسي على رجلين كان لهما تأثير مهم على حياتها... « الرئيس هواري بومدين الذي أعجب بمقالتي بعد أن قرأ بعضا منها... وزوجي الصحفي الذي ارتبطت به، بمجلة الجيش التابعة للجيش الوطني الشعبي الذي كان يساهم هو الآخر في تحرير مادتها ».

معالم المشوار السياسي لبنت قسنطينة بعد الاستقلال بدأ عمليا في بداية السبعينيات، بعد أن رفضت العمل كمعيدة في الجامعة، بعد تجربة أقل من سنة، لتلتحق بمديرية مجلة « الجزائرية » للسان المركزي للاتحاد الوطني للنساء الجزائريات التي كانت من مؤسسيها، لأكثر من عشر سنوات (1970-82)...

100. عرفت زهور ونيسي كأديبة صاحبة إنتاج تميز بالاستمرارية، انظر قائمة أهم إبداعاتها:

- الرصيف النائم (قصص)، 1967، القاهرة. على الشاطئ الآخر (قصص)، 1974، الجزائر. من يوميات مدرسة (رواية)، 1978، الجزائر. الظلال الممتدة (قصص)، 1982، الجزائر. لونجة والغول (رواية)، 1994، الجزائر. عجائز القمر (قصص)، 1996، الجزائر. روسيكادا (قصص)، 1999، الجزائر. نقاط مضينة (مجموعة مقالات في الأدب والسياسة والمجتمع)، 1999، الجزائر.

« كنت مديرة المجلة وكاتبة افتتاحيتها طول الوقت... حتى بعد انتخابي عضوة بالمجلس الوطني الشعبي بعد انتخابات 1977 التي رشحتني لها حزب جبهة التحرير في دائرة حسين داي دون علمي ». الحزب بالطبع التي كانت من مناضلاته الناشطات والذي وصلت إلى عضوية لجنته المركزية بعد عشر سنوات.

« كنت بالمجلس الشعبي الوطني أثناء فترة مناقشة قانون الأسرة، عندما أخبرني رابح بيطاط رئيس المجلس : « الرئيس يريدك »، عندما استقبلني الرئيس الشاذلي بن جديد بادرنى بالقول : « ستدخلين التاريخ باعتبارك أول وزيرة امرأة في الجزائر ». ردي كان، أنني سأستشير زوجي في الموضوع، قبل اتخاذ قرار... بدا لي أن الرئيس الشاذلي بن جديد كرجل قد أعجبه موقفه هذا... ».

زهور ونيسي التي قيل لها فيما بعد أن الرئيس بن جديد قد أعجب بها قائلة أثناء مرورها بحصة « كاتب وكتاب » التلفزيونية¹⁰¹، زيادة بالطبع على الاستشارات التي قام بها قبل استقبالها في مكتبه لإعلامها بالقرار...

« أسر لي البعض أن قاصدي مرباح مدير المخابرات السابق قال له أن ملفها نظيف، كما أنني سمعت فيما بعد أن محي الدين عميمور، المستشار الإعلامي للرئيس وأحمد طالب الإبراهيمي قد تدخلوا لصالحه كذلك... ».

الرجلان اللذان يحسبان على تيار جمعية العلماء وتجمعهما من حيث المسار السياسي، عدة نقاط تشابه مع مسار السيدة ونيسي¹⁰².

زهور ونيسي التي تقدم عدة ضمانات للنظام السياسي الجزائري كأول امرأة تنضم إلى الحكومة، فهي زيادة على علاقاتها القريبة جدا بمؤسسات الدولة كالحزب والاتحاد الوطني للنساء الجزائريات واتحاد الكتاب، حتى قبل دخولها المجلس الشعبي الوطني كنائب (1976)، تمنح النظام ضمانات كثيرة لمبادرته الأولى بالانفتاح على المرأة على هذا المستوى، فهي بنت جبهة التحرير، قبل وبعد الاستقلال، تمثل فكرا عائلة جمعية العلماء

101. الرئيس بن جديد كان قد قال نفس الشيء عندما قدم له الشيخ بوعمران، وزير الثقافة ضمن طاقم حكومة غزالي في بداية التسعينيات. أنا أعرفك... لقد شاهدتك في التلفزيون. فالمشاركة في حصص تلفزيونية بالنسبة لهذا الرئيس « الشفهي » قد تكون مهمة في التعرف على بعض الوجوه التي ليست في علاقة مباشرة بمراكز القرار السياسي. عكس الرئيس يومدين الذي يبدو أن قراراته في تقريب بعض الوزراء مبنية أكثر على النص المكتوب، كما حصل مع تجربة مصطفى لشرف على سبيل المثال.

102. أكدت زهور ونيسي هذا القرب من جمعية العلماء المسلمين وأبنائها في السلطة وتبنيها لمواقف محافظة ومتوازنة عندما تعلق الأمر بالمرأة أكثر من مرة في كتابها المذكور ضمن هذه المراجع، فهي ترى مثلا. ص 318 أن الفكر الأنثوي فكر مريض متطرف يطلب المستحيل ولا يحصل على أي شيء أبدا بل إنه يكون أحد أهم الأسباب في خلق الصراع بين أفراد الأسرة الواحدة. صراع من شأنه أن يفجر في النهاية كل مفهوم للاستقرار والأمن. مواقف لم تمنح زهور ونيسي من الدفاع عن مشاريع السلطة عندما تعلق الأمر بمشاريع تحديد النسل مثلا والتي جعلتها تدخل في صراعات مع ممثلي الفكر المحافظ أثناء مناقشة بعض النصوص التشريعية بالمجلس الوطني الشعبي. لمزيد من التفاصيل انظر :

زهور ونيسي، عبر الزهور والأشواك. مسار امرأة، دار القصة، الجزائر، 2012.

المسلمين الجزائريين، بكل ما تحمله من قيم محافظة ومتوازنة دينيا خلال هذه الفترة التي بدأ النظام السياسي يعرف فيها نوعا من الانفتاح على التيارات الدينية¹⁰³، بعد التجربة البومدينية التي كانت أكثر « يسارا ».

مريم زرداني (المولودة بلميهوب) قد تكون، بعد نفيسة لاليام، الأقرب تمثيلا إلى هذا المسار المرتبط بثورة التحرير والحركة الوطنية، للوصول إلى عضوية الحكومة، فقد تربت البنت مريم بحي بوبيو Bobillot، القريب من حي بلكور الشعبي الذي أنهت فيه المرحلة الابتدائية من دراستها في وسط جمع فيه الأب الموظف بالسكك الحديدية بين التيار الوطني /حزب الشعب - حركة الانتصار / وبين النضال النقابي داخل الكونفدرالية العامة للشغل CGT، القريبة من الحزب الشيوعي...

« أنا التي كنت أقوم بتحرير رسائل الأب الذي يبعث بها إلى الهيئات النقابية والجهات الرسمية، حتى لا يتعرفوا على خطه بالفرنسية، لأنه كان يشتغل محاسبا بالسكك الحديدية... رغم قربي من أبي، فقد تعرفت بالصدفة على انضمامه لجهة التحرير، بعد إلقاء القبض علي أول مرة في سنة 1955، بعد تكويننا لجمعية شباب الطلبة المسلمين الجزائريين Association des jeunes étudiants musulmans algériens /Ajema ».

مريم بلميهوب التي تعرفت على الكثير من الوجوه القيادية لثورة التحرير على مستوى الولاية الرابعة، كالعقيد أوعمران والرائد أوصديق، بعد التحاقها بهم في سنة 1956، كما حصلت على تكوين سياسي وعسكري، مباشرة من العربي بلمهيدي وعبان رمضان، في ظروف الحرب والسرية، بجبال الولاية الرابعة القريبة من مدينة البليدة.

رغم هزيمة الولاية الرابعة التي كان على رأسها الكثير من أبناء منطقة القبائل، في صراعها مع قيادة الأركان والمكتب السياسي في صيف 1962، فقد التحقت مريم بلميهوب بالمجلس التأسيسي (1962-64)، أين اتخذت مواقف قريبة من المعارضة للأوضاع السياسية القائمة، لتكون من بين النواب القليلين الذين أعلنوا عن رفضهم للدستور المقترح من قبل الرئيس أحمد بن بلة، كما ظهرت عليها علامات القرب السياسي من جبهة القوى الاشتراكية وزعيمها حسين آيت أحمد الذي نسقت معه الموقف المعارض من الدستور. بلميهوب نشطت خلال هذه الفترة في الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات التي كانت مع المجموعة التي حررت قوانينه الأساسية وشاركت في مظاهرات نسائية قام بتنظيمها الاتحاد.

103. يمكن عد الأدوار التي أداها الداعية المصري المعروف محمد الغزالي خلال هذه الفترة، بمناسبة انعقاد ملتقيات الفكر الإسلامي السنوية ومن داخل الإعلام الرسمي، بما فيه التلفزيون الحكومي، من موقعه كرئيس للمجلس العلمي لجامعة قسنطينة الإسلامية، من المؤشرات الهامة عن هذا الانفتاح على هذه التيارات الدينية الإخوانية، لدرجة أن الرئيس بن جديد أصبح يستشهد بأقوال الداعية المصري في خطبه الموجهة للمواطنين.

مواقف أدت بالمحامية بالميهوب إلى السجن والاعتقال من قبل المخابرات العسكرية في 11 أكتوبر 1964، بعد اندلاع المواجهة بين السلطة وجبهة القوى الاشتراكية بمنطقة القبائل بقيادة آيت أحمد.

تحسنت علاقة المجاهدة والمحامية بالميهوب مع السلطة السياسية في الجزائر بعد انقلاب 19 جوان 1965، تحديدا بعد زواجها في السنة الموالية من وزير العمل والشؤون الاجتماعية، عبد العزيز زرداني. هذه العلاقات الحسنة مع أصحاب السلطة الجدد التي لم تدم طويلا في نهاية الأمر، فقد ساءت مرة أخرى بمناسبة محاولة الانقلاب التي قام بها قائد الأركان العقيد الطاهر زيري الذي كان زوجها الشاوي - الحركاتي، من الوزراء المحسوبين عليه داخل الحكومة.

لم تظهر السيدة زرداني سياسيا بعد هذه التجربة طول فترة الرئيس بومدين وخليفته الشاذلي بن جديد، لتعود للبروز في بداية التسعينيات بعد حالة الاضطراب التي عاشها النظام السياسي الجزائري، مما جعله يعيد الاتصال مع وجوه قديمة دخلت في مراحل تاريخية معه في صراعات متعددة، كما حصل مع السيدة نفيسة لاليام. في هذا الطرف بالذات تم تعيين السيدة زرداني (المولودة بلميهوب) كوزيرة مستشارة في حكومة عبد السلام بلعيد في الظروف التي تعرفنا عليها سابقا ونحن نتحدث عن زميلاتها في هذه الحكومة اللاتي التحقن بها بعد عدة شهور من الإعلان عنها، تحت ضغط الحركة النسوية والإعلام المستقل.

إن الاستعانة بنساء بهذه الشرعية التاريخية لضمها إلى الحكومة في هذه الفترة التاريخية من عمر النظام السياسي الجزائري وهو يعيش فترة تشكيك كبيرة في شرعيته وحالة اضطراب قصوى في تسييره السياسي، دليل على أن المطلوب كان الاستعانة بشرعية مناضلات سياسيات قبل كل شيء، رغم ما ميزهن من تأهيل علمي.

السيدة بالميهوب التي مازالت تفتخر بالأدوار التي قامت بها بالقرب من بلعيد عبد السلام، من المهام الدولية التي قامت باسم الحكومة في هذه الفترة الصعبة التي عاشت فيها الجزائر... ضمن شروط شبه حصار دولي غير معلن... أو حتى وطنيا فيما يتعلق بإصدار بعض النصوص القانونية، كالنص المتعلق بالمجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي بتلك المكانة الكبيرة الممنوحة للنقابة داخل هيكله... بفعل التأثير بالماضي النقابي للأب والوسط العائلي والمسيرة السياسية.

على عكس الوزيرة نفيسة لاليام ابنة البرجوازية العاصمية، المناضلة في الحركة الوطنية الاستقلالية الجذرية بأكثر من شكل، وزهور ونيسي التي زاوجت بين الانتماء الفكري إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجبهة التحرير، وبالميهوب زرداني المناضلة في الحركة الطلابية وجبهة التحرير، المتأثرة بالتجربة النقابية للأب، فإن ليلي الطيب تربت كما رأينا

في وسط عائلي أقرب سياسيا للتيارات الليبرالية التي مثلها حزب فرحات عباس، الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، الذي كان الأب التاجر من المنتمين له في مدينة وهران، دون إهمال تأثير الجد من الأم، الإمام، الذي كانت البنت ليلي قريبة جدا منه، كما رأينا ذلك سابقا. زواج ليلي الطيب من ضابط بجيش التحرير، بالولاية الخامسة وهي لا تزال طالبة في الثانوية في 1957، هو الذي ساهم في توطيد مسارها الشخصي مع ثورة التحرير ورجالها في الولاية الخامسة على وجه التحديد، رغم الوفاة المبكرة للنقيب زبير، إثر الاضطرابات التي عرفتتها مؤسسة جيش التحرير في تراب الولاية الخامسة على الحدود الشرقية للمغرب. المغرب الذي لم تغادره أرملة الضابط الذي أعدمته قيادة الثورة إلى غاية الاستقلال، مما سمح لها بالتعرف هناك على الكثير من الوجوه السياسية والعسكرية التي كانت لها اليد العليا في تسيير جزائر ما بعد الاستقلال...

« عندما عينت في الحكومة لم يكن لدي أي مشكل في الانضمام لهذا الوسط، فقد عرفت الكثير من الوجوه السياسية والعسكرية خاصة في الولاية الخامسة... لا تنسى أنني كنت مجاهدة، فقد كنت أعرف بوتفليقة وشريف بلقاسم وغيرهم من المجاهدين منذ تلك التجربة ».

تسيير الثانوية التقنية بوهران سيكون المنصب المهني الذي عرفت به ليلي الطيب بعد الاستقلال ولغاية تعيينها ككاتبة دولة للتعليم الثانوي والتقني (1984). بموازاة هذا المسار المهني كان الانضمام إلى الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات منذ تأسيسه... كأمينة وطنية وحتى كأمينة عامة بالنيابة (1966)... لتغادر ليلي الطيب مقر إقامتها بوهران نحو العاصمة، بعد وصولها إلى هذا الموقع الهام في تلك الفترة من التسيير السياسي الأحادي والمركزي...

الغياب المؤقت عن مدينة وهران الذي لم يمنعها من الترشح فيها بمناسبة أول انتخابات تشريعية تتم في عهد الرئيس بن جديد 1982 الذي كان من حظها أنها تملك صداقة قديمة مع زوجته الثانية، بنت مدينة مازونة... منذ مرحلة الدراسة في الابتدائي... نفس الشاذلي بن جديد الذي عيّنها كاتبة دولة للتعليم الثانوي والتقني لمدة سنتين بعد نجاحها في هذه الانتخابات الأحادية.

الصداقة مع زوجة الرئيس التي لا تفسر حسب ليلي الطيب هذا التعيين في الحكومة... « صحيح أنا أعرف زوجته منذ الصغر، لكنها بعد الزواج « غلق عليها باب الدار » ولم تعد تظهر، فلم أعد أراها إلا في المناسبات الرسمية، وعلى أي حال لو كانت علاقاتي معها هي سبب وجودي في هذا المنصب لما سمحت بمغادرتي الحكومة في 1987، بعد هذه التجربة ».

تمنح ليلي الطيب تفسيرا آخر لوجودها في الحكومة خلال هذه الفترة بالذات...

« أعتقد أنه جاء من باب التوازن الجهوي، فالوزارة (تقصد زهور ونيسي) كانت من الشرق، فكان لا بد من نائبة وزير من الغرب، وفي المرة الأخرى الوزير كان قبايلي (تقصد وزير التربية محمد شريف خروبي) فكان أن عينت أنا من الغرب ».

رغم هذا التفسير الجهوي الذي قد يكون صحيحا جزئيا، فإن مغادرة ليلى الطيب للحكومة في نوفمبر 1987 نحو الرئاسة مباشرة للعمل كمديرة دراسات، إلى غاية استقالة الشاذلي بن جديد (1992) يرجح فرضية العلاقات الخاصة التي تملكها ليلى الطيب، ليس مع العائلة الرئاسية فقط في هذه الفترة، بل مع الكثير من أبناء المنطقة الغربية وقدماء الولاية الخامسة الذين كانوا ذوي حضور أكيد خلال فترة حكم الرئيس الشاذلي، ليعودوا بقوة ملفتة للنظر بعد ذلك مع الرئيس بوتفليقة.

فقد عادت ليلى الطيب إلى عضوية المكتب السياسي لجهة التحرير لاحقا ومجلس الأمة في 2002 كالكثير من الوجوه القديمة من أبناء المنطقة الغربية، بعد وصول ابن تلمسان والولاية الخامسة عبد العزيز بوتفليقة إلى الرئاسة. علاقات قديمة شخصية بقيت نشطة من خلال عدة مؤسسات، كجمعية الأمير عبد القادر المكلفة ببناء مسجد عبد الحميد ابن باديس بوهران والتي ضمت الكثير من وجوه النخبة السياسية في الغرب الجزائري ووهران على وجه التحديد.

المسار المرتبط بالحركة الجمعوية والاتحاد الوطني للنساء الجزائريات

عند تقديم العينة الأولى من المسارات النسوية المرتبطة بثورة التحرير والشرعية المرتبطة بها، يكون القارئ قد لاحظ من دون شك أن المسار السياسي لنفيسة لاليام أو زهور ونيسي أو ليلى الطيب، ورغم ارتباطه الواضح والمتمين بثورة التحرير وحتى الحركة الوطنية فيما يخص نفيسة لاليام تحديدا، لا يعني عدم ظهور تنظيمات الحركة النسوية المختلفة ممثلة في الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات بعد الاستقلال وقبله جمعية النساء المسلمات الجزائريات وحتى الحركة الطلابية، كمؤسسات إنتاج للنخبة الوزارية النسوية. رغم هذا الظهور للمنظمات النسوية فقد ارتأينا في الأول التركيز على الحركة الوطنية وثورة التحرير كحظات تاريخية منتجة للنخبة على مستوى هذا الجيل بكل الشرعية التي يمتلكها، للحديث في المحطة الثانية عن نساء الحركة النسوية والعالم الجمعوي بعد الاستقلال، الذي تمثله أكثر من حالة. ومن ميزاتهما كما سنرى ذلك بالتفصيل أنها لم تكتف بتجربة مؤسساتية واحدة حتى وإن سيطرت فيها تجربة الاتحاد النسائي والحركة الجمعوية بعد الاعتراف بالتعددية في بداية تسعينيات القرن الماضي.

هنا كذلك نجد أنفسنا أمام حالة ما يمكن تسميته بتراكم مؤسساتي تلجأ له نساء هذا الوسط اللائي لم يكتفين بالنشاط داخل مؤسسة واحدة، زيادة ربما في حظوظهن

ودعما للاستراتيجية التي لاحظناها على المستوى الاجتماعي والثقافي داخل الوسط العائلي، وتعويضا للنقص الذي كانت تعاني منه الجزائر في عملية إنتاج نخبة نسائية على المستوى الكمي والنوعي، تدعيما للتراكم الأول الاجتماعي والثقافي الذي تم داخل الوسط الاجتماعي والعائلي والذي تم عبر استراتيجيات الزواج والمصاهرة منذ مرحلة الجدين. سعيدة بن حبيلس (المولودة كتو)، قد تكون من الحالات الأكثر تمثيلا لهذا المسار الجمعي الذي بدأ معها في تونس بالانخراط في الكشافة الإسلامية الجزائرية (1956)، ليكون الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين هو التنظيم الجمعي الثاني الذي احتكت به في الجزائر هذه المرة، بعد التحاقها بجامعة الجزائر لدراسة علم النفس وعلوم التربية (1967)... لتبقى تجربة الانخراط في الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات كأهم تجربة يمكن أن تعرف بها بن حبيلس...

« كنت أول معلمة جزائرية في ولاية الواحات بورقلة 1967.. اتصل بي عبد الله فاضل والي الواحات في تلك الفترة ليطلب مني استقبال وفد نسائي كان من بين أعضائه ليلي الطيب ومامية شنتوف، لأقود بعد ذلك وفد ولاية الواحات النسوي إلى مؤتمر الاتحاد في 1969. » بن حبيلس التي لم تغادر منصبها كأمنية ولائية للاتحاد النسائي لغاية 1975، تاريخ انتقالها مع زوجها إلى ولاية بجاية لأسباب مهنية تتعلق بعمل الزوج، مفتش التعليم. التنقل الذي لم يمنعها من الاستمرار في النشاط داخل هياكل الاتحاد على مستوى ولاية بجاية، هي بنت منطقة القبائل التي مازالت محافظة على لغتها القبائلية، حتى وإن نطقتها - كما هو الحال بالنسبة للعربية - بلكنة تونسية واضحة.

الذي يكون قد زاد في بروز بن حبيلس ودعم حظوظ نجاح هذه الاستراتيجيات العائلية والفردية التي حاولنا تلمسها عند هذه الأوساط الاجتماعية، الانطلاقة من الجنوب الجزائري...

« اخترت ولاية الواحات للقيام بخرجة تطوعية مع الطلبة ولزيارة أخي الضابط بسلاح الطيران الذي كان يعمل هناك.. أعجبت بورقلة وقررت العمل فيها، لأتزوج فيها لاحقا مع مفتش زميل لي في التعليم.. ما زاد في إصراري على البقاء في ورقلة ما شاهدته من ممارسات عنصرية لبعض المعلمين الفرنسيين، إلى غاية تلك الفترة، في علاقاتهم مع الجزائريين... فقد كانت مديرة المدرسة تتحدث بلهجة « ma fatma »¹⁰⁴ حتى تلك الفترة وبعد الاستقلال بسنوات... »

بن حبيلس التي غادرت الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، على غرار الكثير من النساء الناشطات في 1989، بعد الأزمة التي تعرضت لها المنظمات الجماهيرية للحزب

104. كانت التسمية الشائعة عند بعض الأوساط من المعمرين وهم يتحدثون عن الخادمة الجزائرية. التي تشتغل في بيوتهم.

الواحد نتيجة الإعلان عن التعددية السياسية ؛ لتنضم للمجلس التنفيذي للرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان وتكوّن جمعية التضامن مع المرأة الريفية التي مازالت ترأسها منذ نشأتها في سنة 1990.

كانت التعددية السياسية التي عرفت الجزائر ابتداء من هذا التاريخ، بكم الاضطراب الذي تزامن معها، فرصة أكبر لبن حبيلس للبروز كأحد الوجوه النسوية الأساسية الممثلة لهذا المفهوم الجديد الذي بدأ الحديث عنه وانطلقت تجسيداته الأولى، المجتمع المدني، بكل الملابس التي تزامنت مع ظهور المفهوم والمواقف المتباينة التي اتخذتها النخب والقوى الاجتماعية منه...

« كنت أظن، عندما طلب مني عبد السلام بلعيد الحضور إلى مكتبه برئاسة الحكومة، أنه سيحدثني عن الجمعية والنشاطات التي كنت أقوم بها خلال هذه الفترة الحرجة من تاريخ الجزائر، ليفاجئني بالقول أنه يريد أن أنظم كوزيرة إلى حكومته...
« أنت امرأة تمثلين المرأة الجزائرية جيدا، فأنت تشبهين أُمي وزوجتي ».

ما لم يقله عبد السلام لبن حبيلس، أنه قرر إضافة عدد من الوزارات لحكومته، بعد ثلاثة أشهر من الإعلان عنها، تحت ضغط الصحافة المستقلة والحركة النسوية التي لاحظت غياب المرأة عن هذه الحكومة التي جاءت بعد حكومة غزالي التي ضمت نساء ضمن صفوفها وفي ظرف سياسي ظهرت فيه الحركات الاجتماعية الجديدة بقوة، بما فيها النسوية..

بقيت بن حبيلس في الحكومة كمستشارة مكلفة بالتضامن الوطني مع رضا مالك، بعد استقالة حكومة عبد السلام... رضا مالك قرر ألا تكون نساء في حكومته خلال هذه الفترة الصعبة على أكثر من صعيد... منصب سياسي آخر احتلته بن حبيلس بعد هذه التجربة الحكومية، ويتعلق الأمر بالمجلس الوطني الانتقالي CNT الذي احتلت فيه موقع رئاسة لجنة الشؤون الاجتماعية (1994)...

« الرئيس زروال هو الذي عينني باسم جمعية التضامن مع المرأة الريفية... خلال هذه الفترة نشطت وطنيا ودوليا كثيرا، فكونت مع مجموعة من النساء جمعية ضحايا الإرهاب، وزرت العديد من العواصم العالمية للتعريف بالوضع في الجزائر التي كانت تتعرض إلى تشويه وحصار كبيرين في الخارج... علاقتي التي نسجتها على المستوى الدولي ساعدتني كثيرا في القيام بهذه المهام في الخارج والحصول على عدة جوائز دولية، كان من بينها تلك التي تحصلت عليها من قبل الرئيس التونسي زين العابدين بن علي وجائزة أخرى من الأمم المتحدة ومنظماتها المتخصصة... إلخ ».

بعد العودة إلى المسار الانتخابي واستقرار الأمور السياسية نسبيا، عين الرئيس زوال بن حبيلس عضوة بمجلس الأمة (1997-99)، مع مجموعة من النساء الناشطات سياسيا

وجمعويا. اتخاذ مواقف لغير صالح الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، بمناسبة انتخابات 2004 هي التي تكون قد أرغمت بن حبيلس على الانطواء بعض الشيء وفقدان بعض من مواقعها في وسائل الإعلام الحكومية، التي أعادت الاتصال بها من خلال اللجنة الوطنية للتضامن مع الشعب الصحراوي التي انطلقت في النشاط معها خلال هذه الفترة (2005). مواقع دعمتها هذه السيدة الذكية بمواقف مؤيدة هذه المرة للرئيس بوتفليقة وهو يترشح للعهدة الثالثة في سنة 2009. موقف يكون قد ساعد هذه السيدة النشطة على الحصول على رئاسة الهلال الأحمر الجزائري بعد انتخابها في مارس 2014.

مسار بن حبيلس السياسي داخل المجتمع المدني الذي يؤكد أننا أمام إستراتيجية تعتمد على استعمال توليفة واسعة من الجمعيات والمنظمات، مع كل ما يترتب عليه من حضور إعلامي واجتماعي، وعلى رأسها الانخراط داخل هياكل حزب جبهة التحرير الوطني خلال فترة الأحادية الذي كان الانضمام له هو الشرط الضروري لمن يريد القيام بأي نشاط رسمي أو شبه رسمي.

مسار أنيسة بن عمر يشبه في الكثير من تفاصيله مسار زميلتها سعيدة بن حبيلس، فهي مثلها غادرت العاصمة نحو منطقة الجنوب (البيض بالجنوب الغربي) للالتحاق بزوجها وابن عمها الطبيب، قبل العودة إلى العاصمة كمسئولة وطنية في الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، هي مثل زميلتها كذلك قامت بدراسات جامعية في قسم علم النفس، بجامعة الجزائر حتى ولو كان ذلك في فترة تاريخية مختلفة، نظرا للفرق في السن.

مسار سياسي يتشابه كذلك في الانضمام للحكومة والانتقال بعدها إلى المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي ومجلس الأمة لاحقا ضمن حصة رئيس الجمهورية ليامين زروال. الانشقاق عن حزب جبهة التحرير والاتحاد الوطني للنساء الجزائريات بعد الإعلان عن التعددية وتكوين جمعيات وطنية لرئاستها، كان من المحطات المشابهة بين الوزيرتين كذلك.

« عندما ذهبت إلى البيض وجدت أن الثانوية كانت من دون أستاذ للغة الفرنسية، فما كان مني إلا القيام بواجبي كأستاذة، رغم أنني لم أفكر يوما أن أكون مدرسة ». زيادة على التدريس، قامت بن عمر بالعمل في مستشفى المدينة كمتخصصة في علم النفس العيادي 1984... « أثناء هذه التجربة تعرفت على الكثير من المشاكل النفسية الاجتماعية والاقتصادية التي يتخبط فيها سكان المنطقة كوسط اجتماعي وخاصة النساء، مما زاد في قربي من هذا الوسط ».

ترشحت أنيسة بن عمر أثناء هذه التجربة المهنية في هذا الوسط الصحراوي المحافظ إلى عضوية المجلس الشعبي الولائي...

« نجحت رغم تخوفي في الأول من ظاهرة العروشية في هذه المنطقة ».

في نفس السنة، انضمت مناضلة حزب جبهة التحرير وعضوة المجلس الشعبي الولائي إلى الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، لتقود بعد سنة من ذلك (1986) وفد نساء ولاية البيض - كما فعلت قبلها بن حبيلس مع نساء ولاية الواحات الجنوبية - إلى العاصمة، لحضور مؤتمر الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات الذي انتخبت فيه أمينة وطنية مكلفة بالعلاقات الخارجية...

« الحزب في هذه الفترة والرئيس بن جديد، كان يشجع النساء المتعلّقات للحصول على مواقع على رأس الاتحاد »... تقول هذه السيدة.

انضمت أنيسة بن عمر عن قيادة الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، كما كان الحال مع بن حبيلس ومجموعة من القيادات النسوية في سنة 1990، بعد سيطرة تيار الأمينة العامة فاطمة العوفي المحسوبة على تيار داخل جبهة التحرير، في وقت زاد فيه منتقدو جبهة التحرير وقياداتها التي عرفت انشقاقات عديدة. عندما حانت ساعة التعددية، أسست بن عمر الجمعية الوطنية للأطفال المسعفين التي ترأسها، كما ساهمت في تكوين جمعية اقرأ الوطنية لمحو الأمية مع صديقتها عائشة بري.

في السنوات الأخيرة لهذه التجربة الجمعية والمهنية في مدينة البيض شبه الصحراوية، اتجهت السيدة بن عمر نحو وزارة الشؤون الاجتماعية التي كان على رأسها محمد ناي، ابن البرواقية القريبة من قصر البخاري مسقط رأسها. أنيسة بن عمر التي سلاحظ كيف ارتبطت مسيرتها السياسية بوجوه سياسية من أبناء الغرب الجزائري...

« عائلتنا تصاهرت مع عائلات من الغرب¹⁰⁵، كما أنني أحس نفسي أقرب لناس الغرب رغم أنني من مواليد الوسط وتربيت في العاصمة ».

هذا الانطباع الذي يتأكد إذا عرفنا أن أنيسة بن عمر قد عينت في حكومة غزالي، المتهمة من قبل الصحافة الوطنية وجزء من النخبة المنافسة لها كـ «سلطنة تلمسان»...

« تعرفت على سيد أحمد غزالي عندما كان وزيرا للخارجية.. وبعد ذلك وهو رئيس حكومة »، فقد كانت أنيسة بن عمر ضمن الوفد النسائي الرسمي المستقبل للسيدة دي كويلار، حرم الأمين العام للأمم المتحدة بمناسبة زيارتها للجزائر. فقد جرت العادة في الجزائر أن يتم اللجوء إلى خدمات بعض النساء المعروفات كمرافقات للوفود النسائية، في غياب زوجات المسؤولين اللاتي لم يتعود النظام السياسي على حضورهن الاجتماعي. هذه «الوظيفة البروتوكولية المؤقتة» التي كانت طريق بعض النساء للتقرب من المسؤولين الكبار في السلطة...

« أثناء هذا اللقاء طلب مني غزالي أن أساعد وزير الشغل والتكوين المهني في عمله بالوزارة، والذي قال عنه.. أنه نادى كثيرا عن تعيينه في الحكومة... كنت في مكتب صديقتي

105. ربما تقصد الأخت الكبرى المعروفة بمايسة بي التي اشتهرت كروائية وكاتبة، المقيمة بمدينة بلعباس.

ليلى عسلاوي عندما طلب مني بالتلفون أن أتصل بسيد أحمد غزالي في الرئاسة... عندما وصلت استقبلني العربي بلخير الذي بادرني : «أريد أن أترك غزالي يخبرك»... غزالي الذي طلب مني أن أقبل منصب الوزارة على رأس قطاع التشغيل والتكوين المهني، في الحكومة التي ستعلن تشكيلتها في نشرة الثامنة للتلفزيون، قبلت المنصب وذهبت مباشرة عند أمي لأخبرها... أمي التي رفضت بقوة هذا المنصب الرسمي».

مازالت السيدة بن عمر تتذكر كيف أنه طلب منها الذهاب إلى قصر الحكومة على الساعة السابعة مساء...!

« عندما وصلت في سيارتي القديمة، رفض الشرطي أن أركن سيارتي بالقرب من قصر الحكومة... « لا يمكن أن تدخل، لأن هناك اجتماعا للحكومة »، كان رد الشرطي عندما طلبت منه الدخول، قائلة له بأن لي موعد مع سي غزالي... « إذا كنت وزيرة تفضلي » كان رد الشرطي... بعد خروجي من اللقاء الذي كان اجتماعا لاستلام المهام بالنسبة للوزراء الجدد، نفس الشرطي اعتذر مني عند خروجي قائلا : « لم أكن أعرف أنك وزيرة »... الشرطي الذي تكون قد اختلطت عليه الأمور وهو يشاهد هذه الوجوه الجديدة التي وصلت إلى الحكومة التي تنصب ليلا، في هذه الفترة المضطربة من تاريخ الجزائر.

لم يدم بقاء بن عمر في الحكومة كثيرا، فكل المدة التي قضتها على رأس قطاع التشغيل والتكوين المهني لم تتجاوز ستة أشهر (سبتمبر 1991، فيفري 1992)، فقد عين غزالي مكانها في أول تعديل، بعد توقيف المسار الانتخابي، سعيد قشي أحد قيادي الجبهة الإسلامية للإنقاذ المنشق، داخل نفس الحكومة التي قامت بحل الجبهة الإسلامية والدخول في مواجهات دامية معها.

مغادرة سريعة للحكومة تفسرها بن عمر بتقديمها لتقرير حول قطاع التكوين المهني لمجلس الحكومة، يكون قد أغضب رئيسها، عندما فهم منه نقدا لصديقه وزير القطاع عبد النور كيومان، زيادة بالطبع على الحسابات السياسية للمرحلة... « ضحيت بك وبالقطاع »... قال لها غزالي عند إعلامها بإبعادها من الحكومة، فقد استطاع غزالي ومن ورائه من أصحاب القرار أن يعمقوا الشروخ التي ظهرت داخل جسم الجبهة الإسلامية للإنقاذ بتعيين وزراء من قياداتها داخل الحكومة كسعيد قشي...

« أتذكر أنه عند انتهائي من تقديم التقرير المذكور بمجلس الحكومة، قال لي بعض الزملاء، بعد الجلسة : "لقد أمضيت قرار إبعادك عن الوزارة بهذا التقرير"... ».

تجربة قصيرة خاضتها بن عمر كمديرة لمكتب دراسات خاص، بعد إبعادها السريع من الحكومة، قامت بإنشائه ليتوقف بسرعة...

« فقد اكتشفت أنني لست «قطاعا خاصا»، فأنا بنت القطاع العام ».

بعد تجربة الحكومة والمرور السريع على رأس مكتب الدراسات، عُيِّنَت بن عمر بالمجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي ضمن حصة الرئيس ليامين زروال. نفس الرئيس الذي عيَّنها مرة ثانية ضمن حصته دائما بمجلس الأمة (1997-2000) في أول تجربة للغرفة الثانية للبرلمان الجزائري، كما فعل مع زميلتها بن حبيلس، لتغادر السيدتان المجلس في أول انتخابات تجديد جزئي له، تمت على أساس القرعة في عهد الرئيس الجديد عبد العزيز بوتفليقة الذي لم تظهر هذه السيدة خلال فترة حكمه، رغم بعض الشائعات التي راجت لاحقا حول تعيينها في منصب بالعاصمة الفرنسية...

سعاد بن جاب الله التي التحقت بحكومة أحمد أويحيى الثانية، كوزيرة منتدبة للبحث العلمي في أكتوبر 2003، لم يعرف عنها أي انخراط في أي حزب وهي طالبة في السبعينيات من القرن الماضي أو حتى وهي مدرسة بجامعة قسنطينة، رغم قربها من الأطروحات اليسارية والديمقراطية عموما. عدم الانخراط الحزبي الذي لم يمنع ابنة هذا الوسط الاجتماعي الميسور والمتميز ثقافيا من الانخراط في جمعية « راشدة » التي تأسست في جانفي 1996 بعد انعقاد « الجلسات الوطنية للنساء الديمقراطيات والجمهوريات » برئاسة خليفة تومي، زميلتها في الحكومة فيما بعد، والوصول إلى قيادة فرع الجمعية بالشرق الجزائري.

هذه المرأة الجامعية التي تخصصت في الدراسات القانونية ذات البعد الأنثروبولوجي المرتبطة بأحد المواضيع المطروحة بحدّة للنقاش السياسي والاجتماعي في جزائر الثمانينيات والتسعينيات، بعد أن أنجزت دراستها الأولى لنيل شهادة الماجستير في الحقوق حول موضوع الاستراتيجيات العائلية العقارية في منطقة الهضاب العليا القسنطينية، خلال الفترة الاستعمارية¹⁰⁶، لتختتمها برسالة دكتوراه دولة حول أنثروبولوجيا القانون، بالتركيز على نفس الموضوع العقاري خلال فترة ما بعد الاستقلال¹⁰⁷ وتداعياته المختلفة.

قد تكون هذه الخبرة القانونية المرتبطة بقضية المرأة وحقوقها الاقتصادية في الملكية والإرث هي التي أقنعت الرئيس بوتفليقة، وليس تجربتها الجمعوية المتأخرة، لتعيينها كعضو في اللجنة الوطنية الاستشارية لتطوير وحماية حقوق الإنسان، لترأس اللجنة القانونية داخل هذه اللجنة الحكومية المكلفة بقضايا حقوق الإنسان، قبل تعيينها مباشرة في الحكومة (2000-2003).

106. Bendjaballah Souad, *Étude de cas des stratégies foncières familiales dans les hautes plaines constantinoises pendant la colonisation française*, Mémoire de magister en droit, Université de Constantin, 1988.

107. Bendjaballah Souad, *Droit foncier étatique et stratégies locales ; les réponses plurielles a la violence des politiques domaniales en Algérie entre 1962/95 ; Thèse d'état en droit, option anthropologie juridique*, Université de Constantine, juin 1997.

تعيين قد لا يكون بعيدا كذلك عن بعض الاعتبارات الجهوية والعائلية، لما تملكه السيدة بن جاب الله من وزن عائلي في الشرق الجزائري وسطياف تحديدا التي تملك فيها عائلة الأم وضعا خاصا باعتبارها من بنات عائلة معيزة المشهورة التي كان لها دور كبير فيها، سياسي واجتماعي، زيادة بالطبع على دور محتمل للحركة الجمعوية ورئيسة جمعية « راشدة » خليدة تومي التي التحقت بعضوية الحكومة قبلها والتي ارتبطت معها السيدة بن جاب الله بعلاقات صداقة، تكون قد لعبت دورا في تعيينها وتقريبها من صاحب القرار.

السيدة بن جاب الله التي لا تزال مقتنعة رغم ذلك أنه... من الصعب على المرأة، غير المنتمية حزبيا والتي ليست من العاصمة، أن تندمج بسهولة في الوسط العاصمي السياسي الرسمي... لأنه لا يعرف الكثير من قواعد السلوك الخاصة بهذا الوسط *il y a des règles qu'ont connaît pas*.. رغم أن المجيء من خارج العاصمة، كما لاحظنا مع أكثر من حالة (بن حبيلس وبن عمر على سبيل المثال) قد يجعل بعض النساء، أكثر ظهورا وتفردا في أعين صاحب القرار، من بنات العاصمة والمقيمات فيها منذ مدة طويلة.

الوزيرات « الحزبيات ». بسمّة، زرواطي، وفاء

رغم كل ما يقال عن ذكورية النظام الحزبي الجزائري، فإن عددا لا بأس به من النساء وصلن إلى الحكومة بعد التعددية، عن طريق الحزب السياسي والانتخابات التشريعية، في فترة أصبح فيها من الصعب تصور غياب المرأة عن تشكيلة الحكومات حتى ولو كان ذلك من خلال حضور محتشم وشكلي. فقد وصلت إلى عضوية الحكومة رسميا حوالي اثني عشر امرأة على الأقل لتمثيل حزبي التجمع الوطني الديمقراطي وجبهة التحرير، بعد المرور على غربال الانتخابات التشريعية والنجاح فيها باسم الحزبين في الغالب.

علما بأن الأحزاب المتحالفة الأخرى داخل الحكومات منذ نهاية النصف الأول للتسعينيات لم ترشح نساء لتمثيلها داخل الحكومة كما كان الشأن بالنسبة لحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية أو حزب التجديد الجزائري أو حركة النهضة أو حتى حركة مجتمع السلم، الأكثر مشاركة من حيث عدد الوزراء والمدة والمتميزة بحضور نسوي كبير داخل صفوفها. عكس حركة أمل الجزائر (تاج) التي اقترحت فاطمة الزهراء زرواطي وحزب المستقبل الذي قدم بسمّة عزوار، اللتان تتشابهان في نقطة قد تفسر وصولهما إلى هذا الموقع باسم حزبيهما، المتمثلة في العلاقة الجهوية برئيس الحزب في الحاليتين. فبسمّة عزوار من باتنة (الشرق) مثل رئيس حزبها عبد العزيز بلعيد، قبل أن « ينسحب » من رئاسته في 2024. كما أن زرواطي من مواليد ولاية عين الدفلى (الوسط) مثل رئيس حزبها عمار غول قبل أن يتم سجنه. علاقة جهوية ضامنة قد يكون رئيسا الحزبين قد اعتمدا

عليها في الحاليتين للدفع بهاتين السيدتين نحو الموقع الوزاري الذي عرفنا كيف يمكن أن يكون مصدر انشقاقات وتمرد عن الحزب ورئيسه من قبل الوزير... مما يؤكد أهمية الرابط الجهوي كضمان ولاء مازال له دور مهم في المجال السياسي لدى هذا الجيل، رغم ما عرف به من ابتعاد عن موطن الولادة والدخول المبكر للعيش في المدن الكبيرة.

فقد كان حزب التجمع الوطني الديمقراطي، بعد الإعلان عن التعددية السياسية أول من رشح امرأة لعضوية الحكومة من نوابه الناجحين في انتخابات 1997 التشريعية الفائز فيها، في شخص زهية بن عروس، لتقلد مهام كاتبة الدولة للثقافة. نفس الحزب الذي رشح ربعة مشرّن للانضمام للحكومة في قطاع التضامن، بعد نفس الانتخابات، حتى ولو كانت عضوية الحكومة بالنسبة لهذه السيدة أقدم من التحزب، كما جرت العادة داخل هذا التنظيم السياسي الذي وصف بحزب الإدارة. الحزب الذي استمر في نفس النهج بترشيح نورة جعفر لتقلد مهام قطاع الأسرة وقضايا المرأة في 2003.

إذا كان التجمع الوطني الديمقراطي هو أول من رشح المرأة إلى الحكومات الائتلافية، بعد الإعلان عن التعددية والعودة إلى المسار الانتخابي، فإن حزب جبهة التحرير من خلال أمينه العام علي بن فليس كان أول من أدخل أكبر عدد من النساء الحزبيات إلى حكومته (بثينة شريط، ليلى حمو بوتليليس و فاطمة الزهراء بوشملة) الناجحات في الانتخابات التشريعية (جوان 2002) التي فاز بها، ومن غير المنتميات إلى حزب جبهة التحرير (خليدة تومي ومنتوري فتيحة).

علما بأن الحزب السياسي لم يكن غائبا تماما كوسيلة وصول إلى الحكومة بالنسبة إلى الوزارات خلال فترة الأحادية، فالسائد كان هو الانتماء إلى الحزب الأحادي، عندما تكلمنا عن تلك المسارات النسوية المرتبطة بثورة التحرير أو الحركة الجمعوية. حزب جبهة التحرير التي وصلت إلى لجنته المركزية الوزيران المعينتان في ظل الأحادية، زهور ونيسي وليلى الطيب التي التحقت بالمكتب السياسي لاحقا خلال فترة حكم الرئيس بوتفليقة، تجسيدا للعادة التي كانت سائدة في تلك الفترة بأن يكون الوزير عضوا باللجنة المركزية. الحزب الذي رأينا كيف انفصلت عنه تنظيمة يا نساء الحركة الجمعوية بعد الإعلان عن التعددية السياسية، كسعيدة بن حبيلس وأنيسة بن عمر اللتين قادتا انشقاقا داخل الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات ضد الأمينة العامة المدعومة من قيادة جبهة التحرير¹⁰⁸.

من المفارقات التي يمكن الحديث عنها بصدد العلاقة بين المرأة الوزيرة والحزب السياسي فيما يخص النساء اللائي وصلن إلى الهيئات القيادية للحزب، بعد التعددية وبعد غربال الانتخابات التشريعية، أن أغليبتهن لم يكن لهن أي نشاط حزبي معروف أو تجربة

108. عرفت جبهة التحرير بعد الإعلان عن التعددية صراعات سياسية بين مجموعات من العصب المتمترسة داخل هياكله وخارجها كالحكومة، أخذت في بعض الأحيان طابعا جهويا واضحا.

حزبية يعتد بها. ليس فقط بالنسبة للتجمع الوطني الديمقراطي حديث النشأة، بل حتى جبهة التحرير. ملاحظة يمكن تعميمها على حائتي حزب «تاج» وجبهة المستقبل لاحقا فيما يخص زرواطي وعزوار.

فزهية بن عروس طالبة علم النفس بجامعة الجزائر على سبيل المثال (1979-83) لم يكن معروفا عنها أي نشاط طلابي قريب من أي حزب سياسي، فقد التحقت بالعمل الصحفي وهي في السنة الأولى جامعي. نفس الشيء الذي تكرر على المستوى المهني، فالصحفية بن عروس احتلت مواقع رسمية فرضتها عليها نشرة الثامنة في التلفزيون الجزائري...

« عندما بدأ الحديث عن تكوين حزب التجمع الوطني الديمقراطي، اقترح عليّ زميل الذهاب إلى مقر هذا المشروع الحزبي... طلبوا مني بعد أن عرفوني أن أشارك معهم... قالوا لي أنه سيكون حزب السلطة الجديد. قبلت بهذه المغامرة، رغم أنه لم يكن لي أي تجربة لا جمعوية ولا حزبية من قبل، لدرجة أنني لم أكن أعرف محمد بتشين¹⁰⁹ مثلا، قبل جلسات مؤتمر التجمع أين قدم لي، رغم دوره السياسي الكبير في نشأة الحزب وعلى مستوى رئاسة الجمهورية في تلك المرحلة السياسية المضطربة ».

بعد اختفاء عن الساحة السياسية لمدة سنوات، عادت زهية بن عروس إلى العمل السياسي من باب مجلس الأمة، كما جرت العادة عند النظام السياسي الجزائري في تدوير نخبه الوزارية، فقد عينت فيه ضمن حصة الرئيس بوتفليقة. مجلس الأمة الذي وصلت إلى قمته بتربعها على موقع نيابة رئاسته، بعد إبعاد الوجه التاريخي زهرة ظريف-بيطاط التي احتلت لسنوات عديدة هذا الموقع المخصص لنساء المجلس. عاشت زهية وهي في المجلس تجربة حزبية ثانية بعد انشقاقها على حزبها التجمع الوطني الديمقراطي والتحاقها بتجمع أمل الجزائر (تاج) الذي انشق رئيسه الوزير عمار غول عن حركة مجتمع السلم. حزب استطاع أن يكون له حضور في غرفتي البرلمان، بعد أن التحقت به الكثير من الوجوه التي انشقت عن أحزابها الأصلية. مسار سياسي أوصلها إلى حزب جبهة الحكم الراشد (ذو الحضور المتواضع على الساحة السياسية) الذي يقوده عيسى بلهادي ابن ولاية المسيلة مثلها. مما يؤكد أهمية الرابط الجهوي بالنسبة لهذا الجيل حتى عندما يتعلق الأمر بالمرأة.

المسار السياسي والجمعي لربيعة مشرنن قد يكون من أحسن المسارات التي تبين ذلك التوليف بين أكثر من مؤسسة سياسية، الذي تلجأ له النخبة النسائية السياسية الجزائرية بغية الوصول إلى مواقعها العليا التي وصلت لها داخل الهيئة التنفيذية. توليف احترام خصوصيات مرحلتها الأحادية والتعددية ؛ فقد انخرطت المعلمة ربعة مشرنن

109. جنرال. مدير المخابرات العسكرية في بداية التسعينيات (الشاذلي بن جديد) ومستشار برئاسة الجمهورية (ليامين زروال).

كالكثير من زملائها المعلمين في هياكل الحزب بمدينة وهران التي انتقلت للعيش فيها على عادة الكثير من أبناء ولاية تلمسان الذين عادة ما يحتلون مواقع متميزة داخل عاصمة الغرب المعروف عن سكانها الأصليين، زيادة على تبنيهم للكثير من المهاجرين الجدد للمدينة، عدم الاهتمام بالعمل السياسي كقاعدة عامة¹¹⁰، لانتخب في المجلس الشعبي الولائي كرئيسة للجنة الشؤون الاجتماعية 1979.

لم تكتف ربعة مشرن التي حصلت على ترقية مهنية، بعد وصولها إلى مديرية مدرسة ابتدائية، بهذا الدور بالمجلس الشعبي الولائي، فقبل ذلك انضمت إلى صفوف الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات لانتخب عضوا بالمكتب الولائي 1976 وأمينه عامة للولاية 1980 لتصل إلى الأمانة الوطنية بالعاصمة، كأمينه وطنية مكلفة بالإعلام والتكوين 1987، لتحل بذلك موقع مديرة مجلة « الجزائرية » اللسان المركزي للاتحاد التي كانت زميلتها الوزيرة زهور ونيسي قد سيرتها لوقت طويل قبلها، لنتج بذلك هذه المجلة وزيرتين على الأقل في مراحل تاريخية مختلفة.

انشقت الأمانة الوطنية المكلفة بالإعلام والتكوين عن الاتحاد، مع مجموعة من زميلاتها، أثناء أزمة 1990 التي عصفت بالتنظيم النسوي الأحادي، في أول سنة للتعددية السياسية في الجزائر.

ترقية مهنية أخرى حصلت عليها بنت تلمسان بانضمامها إلى وزارة التكوين المهني والتشغيل كمستشارة لزميلتها المنشقة عن الاتحاد هي الأخرى، الوزيرة أنيسة بن عمر، وهو الموقع المهني الذي عملت فيه مع أكثر من وزيرة كليلي عسلاوي وهنية سميحي. بعد الانتخابات الرئاسية التي فاز بها رئيس الدولة ووزير الدفاع ليامين زروال 1995 وتعيين أحمد أويحيى على رأس الحكومة 1996، تم تنصيب ربعة مشرن وزيرة منتدبة للتضامن والعائلة، الموقع الذي دعمته ببقائها في الحكومة الثانية لأحمد أويحيى كوزيرة هذه المرة على رأس نفس القطاع (1997) بعد المرور على تجربة الترشح للانتخابات التشريعية في ولاية تلمسان التي فاز بها الحزب الجديد، التجمع الوطني الديمقراطي... « قيادة الحزب هي التي اختارت تلمسان لي، رغم أن نشاطي السياسي والمهني المعروفة به تم في مدينة وهران التي كنت أفضل أن أترشح فيها ».

الحزب الجديد الذي كانت الوزيرة المنتدبة ربعة مشرن قد ساهمت في تكوينه كأحد المؤسسين، كما ساد مع وزراء حكومات هذه الفترة. هذا المنصب الوزاري الذي لم تغادره السيدة مشرن إلا بعد إقالة حكومة إسماعيل حمداني التي خلفت حكومة

110. وهران تشبه عناية في عدم اهتمام سكانها الأصليين بالسياسة وبسهولة التبنى الذي تقوم به للمهاجرين الجدد الذين يدخلونها. فالعادة أن السوفي والقلي وحتى الشاوي هو الذي يمثل الولاية وينشط سياسيا باسمها تماما مثلما يفعل التلمساني وحتى المعسكري في وهران.

أويحيى الثانية. مشرّن التي عرفت بعد ذلك تجربة جديدة بعملها كمستشارة للأميرة « موزة بنت ناصر المسند » حرم أمير قطر لعدة سنوات بعد مغادرتها المنصب الرسمي بالجزائر (1999-2005).

على عكس السيدة مشرّن التي جربت العمل السياسي الحزبي قبل التعددية وبعدها، فإن الصورة التي رأيناها عند زهية بن عروس من انعدام أي تجربة حزبية قبل توليها المنصب الوزاري سنجدها لدى نوارة سعدية جعفر، الوزيرة والصحفية، مناضلة التجمع الوطني الديمقراطي التي لم تتخبط قبل تجربتها في التجمع الوطني الديمقراطي في جبهة التحرير أو أي حزب آخر لا قبل التعددية ولا بعدها... رغم أن الوالد كان مناضلا في جبهة التحرير... ورغم احترافها للعمل الإعلامي في مؤسسة عمومية كالإذاعة الوطنية لمدة طويلة قبل التعددية وبعدها، وتنشيطها لحصص سياسية بالتلفزيون الحكومي بعد ذلك (1994). نوارة جعفر التي حضرت المؤتمر الأول للتجمع مثل زميلتها الصحفية بالتلفزيون زهية بن عروس، قبل أن تتخبط فيه رسميا، لتترشح لأول انتخابات يخوضها ويفوز بها الحزب الجديد بعد شهور معدودة من تأسيسه (فيفري/جوان 1997)... إثر اتصال مجموعة من سكان بلديتها بها /عين أزال/ بولاية سطيف، لحثها على الترشح، وهو ما قامت به بعد موافقة قيادة الحزب الجديد التي كانت في حاجة ماسة لوجوه معروفة، خاصة من النساء، قليلات الاهتمام بالعمل الحزبي والسياسي لحد الساعة بالجزائر¹¹¹.

نفس المسار تقريبا الذي يمكن تعميمه على وزيرات جبهة التحرير الوطني اللاتي وصلن إلى الحكومة، مع الأمين العام للحزب علي بن فليس وحزب جبهة التحرير يعرف محاولة تغيير في علاقاته بنخبه وقواعده الاجتماعية التقليدية ومحاولات تجديد لها، في ضل صراعات سياسية حادة بين مختلف العصب المكونة له، فبثينة شريط أو فاطمة الزهراء بوشملة وحتى ليلى حمو بوتليليس، لم يعرف لهن أي نشاط سياسي حزبي أثناء الدراسة الجامعية على سبيل المثال، كما لم يعرفن كمناضلات حزبيات قبل التعددية داخل حزب جبهة التحرير أو أحزاب المعارضة السرية، كما لم يعرفن بانتمائهن الحزبي القديم في جبهة التحرير بعد الإعلان عن التعددية، لدرجة أن معارضي الأمين العام السابق لجبهة التحرير قد اتهموه بـ « فرض » مناضلات جددات من دون تجربة سياسية في اللجنة المركزية للحزب، وترشيحهن في قوائم جبهة التحرير لخوض غمار المنافسة الانتخابية في 2002.

111. زاد الطلب الحزبي على المرأة لترشيحها في مختلف الاستحقاقات الانتخابية بعد صدور القانون رقم 03 - 12 المؤرخ في 18 صفر عام 1433 الموافق 12 يناير 2012، والذي يحدد كفاءات توسيع حظوظ تمثيل المرأة في المجالس المنتخبة.

بوشملة فاطمة الزهراء على سبيل المثال مازالت تتذكر كيف كان لقاءها لأول مرة بالأمين العام لجبهة التحرير ورئيس الحكومة علي بن فليس في مقر الحزب 2001 لحضور اجتماع حول قانون الأسرة، دعتهإ إليه السيدة بدرة عمامرة، عضو المكتب السياسي للحزب وصديقة العائلة...¹¹²

« دعتني كحقوقية لحضور الاجتماع، فطرحتم سؤالاً على علي بن فليس الأمين العام، قصدت منه أن يكون محرجاً، أثناء النقاش حول قانون الأسرة... قلت له : « هل تقبل أن يطبق قانون الأسرة الحالي على بناتك... ؟ » لعلمي بأن الأب الجزائري يكون جد حساس عندما يتعلق الأمر ببناته، ربما أكثر من زوجته ».

كان هذا أول لقاء مع قيادة جبهة التحرير، باستثناء تلك العلاقة العائلية مع بدرة عمامرة، عضوة المكتب السياسي. لقاء سيكون فاتحة تجربة جديدة على هذه المحامية الشابة التي انخرطت في جبهة التحرير في نفس السنة 2001 بقسمة العاشور بالجزائر العاصمة وترشحت للانتخابات التشريعية في قوائم الحزب بعد سنة من ذلك... « بن فليس رفض أن أكون ضمن العشرة الأوائل في قائمة العاصمة، لأنني من مواليد ولاية باتنة، حتى لا يتهم بالجهوية¹¹³ »...

بعد سنتين من انخراطها، وجدت هذه المناضلة الجديدة نفسها عضوة باللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير (2003)، بعد المؤتمر الثامن الذي سبب انكسارا كبيرا داخل الحزب وحوله. تواجد داخل قيادة الحزب والحكومة لم يعمر طويلا في نهاية الأمر، فقد أقيـل بن فليس ونظم مؤتمر ثامن وُصف بالجامع، من قبل معارضيه، لتعود المناضلة بوشملة إلى قسمتها بالعاشور.

لا يمكن فهم عدم الاستقرار الذي ميز المسار السياسي لهذه المحامية إلا بالعودة إلى التجاذبات السياسية التي عاشتها الجبهة بين الأمين العام علي بن فليس وأنصاره، إثر الإعلان عن ترشحه للانتخابات الرئاسية من جهة، وبين أنصار رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة منافسه في الانتخابات الرئاسية 2004. بن فليس الذي عول، في سياسته الجديدة وهو على رأس قيادة الحزب، على المرأة والشباب والإطارات للانفتاح أكثر على المجتمع والتجديد داخل قيادة الحزب، مما سمح ب بروز عدد لا بأس به من النساء في البرلمان والحكومة¹¹⁴.

112. طليقة الجنرال عباس غزيل.

113. رفض علي بن فليس الأمين العام لحزب جبهة التحرير أن يكون أكثر من مرشح واحد ضمن قائمة الحزب بالعاصمة من مواليد باتنة بعد أن ترشح الأمين العام السابق لاتحاد الطلبة عبد العزيز بلعيد حتى لا يتهم بالجهوية حسب شهادة السيدة بوشملة.

114. تمكن حزب جبهة التحرير الوطني من إيصال 22 امرأة إلى البرلمان بعد انتخابات 2002 التشريعية التي تمت تحت قيادة الأمين العام علي بن فليس، بقي منهم 19 نائب بعد تعيين بوشملة فاطمة الزهراء وبثينة

ينطبق هذا الوصف تماما، وحتى المسار السياسي للسيدة بوشملة، على بثينة شريط الوزيرة المنتدبة لدى رئيس الحكومة المكلفة بالأسرة وقضايا المرأة التي لم يعرف عنها نشاط سياسي متميز، إذا استثنينا التطوع الذي قامت به وهي طالبة بجامعة الجزائر لصالح الثورة الزراعية، أو انخراطها في جمعية نسوية (المساواة بين الرجال والنساء). التحاق بثينة شريط بجهة التحرير هو الآخر جاء متأخرا، كما كان حال زميلتها الوزيرة المنتدبة المكلفة بالهجرة فاطمة الزهراء بوشملة...

« لم أنخرط في هياكل جبهة التحرير إلا في أواخر 2001 بقسمة الأبيار، مكان سكن الوالد، بطلب من علي بن فليس الأمين العام شخصا ».

على عكس الحزب، فإن علاقات السيدة شريط كانت أقدم مع مؤسسة الرئاسة بداية من فترة حكم بوتفليقة، التي تواصلت معها في البداية بواسطة محمد عبو، المستشار بالرئاسة ووزير الثقافة والإعلام لاحقا...

« تعرفت على عبو داخل الوسط الجامعي في الجزائر والخارج بمناسبة ندوات علمية... هو الذي قدمني للرئاسة... بوتفليقة عندما تحدث مع مستشاريه عني قيل لي فيما بعد أنه قال.. اسم عائلة شريط¹¹⁵ يكفيني كضمانة ».

ونحن نقدم نوعية المسارات السياسية والمهنية التي قربت الوزيرات من مركز القرار، كنا قد تعرفنا من خلال حالة السيدة أنيسة بن عمر أن تقربها من هذه المؤسسات ورجالها (رئاستي الجمهورية والحكومة) كان نتيجة الدور الذي لعبته «كواجهة نسوية » للنظام السياسي الجزائري الرجولي الذي يمنع حضور نساء المسؤولين السياسيين في الحياة العمومية، استقبالات، دعوات رسمية... إلخ. هذه الأدوار التي أنيطت ببعض النساء من هامش مؤسسات النظام، كالاتحاد الوطني للنساء الجزائريات والجمعيات وحتى الجامعة، كان من خصائصهن توفرهن على مستوى تعليمي عالٍ، بما فيها التحكم في اللغات الأجنبية ونوع من الحضور على مستوى الشكل. السيدة بثينة شريط قامت بنفس هذه الأدوار، قبل عضويتها في الحكومة وبعدها مما جعلها تقترب من رئاسة الجمهورية أكثر...

« كلفني الرئيس بوتفليقة بمرافقة عدة شخصيات نسوية كزوجة الرئيس الفرنسي والسيدة ميكاواتي بوتري رئيسة أندونيسيا، وقبلها عقيلة السيد الكباريتي، رئيس وزراء الأردن الأسبق... إلخ ».

شريط وحمو بوتليليس في الحكومة. في حين لم يتمكن حزب التجمع الوطني الديمقراطي من إيصال إلا نائين وثلاثة لحزب العمال وواحدة باسم حركة الإصلاح وواحدة باسم الأحرار. لمزيد من التفاصيل حول التمثيل النسوي في البرلمان الجزائري انظر الموقع الإلكتروني للمجلس الوطني الشعبي.

<http://www.apn-dz.org/>.

115. أنتجت عائلة شريط الكثير من الوجوه الإعلامية كالعم عبد الرحمن مدير التلفزيون، والسياسة المعروفة، زيادة على الأب د.عبد الله شريط الذي عرف كأستاذ فلسفة متميز بجامعة الجزائر.

ليلى حمو بوتليس، رغم حضورها مؤتمر الثامن في 2003 إلا أنها لم تنضم إلى اللجنة المركزية للحزب، كما كان الحال بالنسبة لزميلتيها بوشملة وشريط، هي بنت الوجه التاريخي حمو بوتليس، الذي كان ضمن المجموعة التي هجمت على بريد وهران قبيل اندلاع ثورة التحرير للحصول على التمويل المالي لثورة التحرير. أستاذة الطب ليلى بوتليس التي تم ترشيحها في قوائم جبهة التحرير في المرتبة الثانية، احتراماً لمكانة العائلة في مدينة وهران، لتجد نفسها معينة ككاتبة دولة للبحث العلمي...

« قبل دقائق من نشرة الثامنة، جاءني مخابرة تلفونية : "شاهدي نشرة التلفزيون سيلعن عن اسمك كوزيرة"... بعد عدة أيام من انطلاق العمل في البرلمان... الانتقال إلى العاصمة بالنسبة لي لم يكن سهلاً لا مهنياً ولا عائلياً... لمسؤوليتي إزاء الوالدة خاصة... ونشاطي المهني كرئيسة مصلحة طبية بالمستشفى التي عينت على رأسها طبيبا زميلاً مستخدماً مدة بقاء في الحكومة... علماً بأن نشاطي الوزاري لم يمنعني من الاستمرار جزئياً على الأقل في عملي، خاصة في ما يتعلق بمناقشة الأطروحات والإشراف على الطلبة... ومع ذلك دفعوني الثمن عائلياً وأبعدوا بيني وبين زوجي... فقد نجحوا في تخريب حياتي الزوجية... رغم كل شيء بقيت وفية لجبهة التحرير، رغم إلحاح الكثير من الأحزاب السياسية عليّ للترشح باسمها في مدينة وهران التي تملك فيها العائلة اسماً معروفاً ».

يمثل المسار المهني لسكينة مسعدي، الوزيرة المنتدبة المكلفة بالجالية الجزائرية في الخارج التي عينت كممثلة لجبهة التحرير في حكومة أحمد أويحيى، بعد استقالة زميلتها السابقة المحسوبة على تيار الأمين العام السابق علي بن فليس، بوشملة فاطمة الزهراء، عينة ممثلة عن المسار السياسي - المهني ليبروقراطية حزب جبهة التحرير وتلك العلاقة الخاصة التي أقامها الحزب الأحادي سابقاً مع هياكل الدولة المختلفة، بما فيها تلك القريبة من رئاسة الجمهورية.

فقد كان أول منصب مهني لبنت خنشلة في رئاسة الجمهورية، بقسم الوثائق الوطنية التابع لمجلس الثورة، الذي لم يعرف له، كمؤسسة حكمت الجزائر رسمياً بعد 1965، أي تواجد بيروقراطي أو إداري. منصب لم يدم طويلاً، لتغادره نحو الدراسة بفرنسا للحصول على شهادة دكتوراه في الأدب المقارن من جامعة السوربون والعودة ثانية إلى وزارة التعليم العالي، لا للتدريس الجامعي ولكن كملحقة بديوان وزير القطاع، مكلفة بمكتب التنظيم والتظلمات. موقع غادرته مناضلة حزب جبهة التحرير للحصول على موقع عضوة منتدبة بالمكتب الولائي لاتحاد النساء الجزائريات بالعاصمة، منصب لم تغادره إلا للعودة مرة ثانية بالقرب من رئاسة الجمهورية، كمسؤولة للعلاقات الخارجية، بالمديرية العامة للأرشيف الوطني (1989-92)، للانتقال لاحقاً إلى المجلس الدستوري كمديرة للدراسات والأبحاث لمدة أربع سنوات (1992-96).

موقع آخر بالقرب من مؤسسة رئاسة الجمهورية احتلته مسعدي هذه المرة بوساطة الجمهورية كمستشارة لوسيط الجمهورية محمد حباشي، الوجه التاريخي المعروف الذي ساءت معه علاقاتها بسرعة (1996-98) مما جعلها تغادر هذه المؤسسة الجديدة نحو الوزارة المكلفة بالبرلمان كمديرة للدراسات لمدة سنتين آخرين (1998-2000). ليكون آخر منصب لها، قبل التعيين كوزيرة منتدبة بوزارة التشغيل والتضامن كمفتشة عامة (2000-2003)، قطاع التضامن الذي كان قطاع التجربة المهنية لكثير من الوزارات، كما رأينا ذلك مع ربيعة مشرنن وأنيسة بن عمر، وكأنه تحول إلى قطاع للتربص والتكوين للوزيرة الجزائرية قبل وصولها إلى عضوية الهيئة التنفيذية... والذي غادرته نحو المجلس الشعبي الوطني كنائب عن جبهة التحرير.

من الصعب تصنيف خليدة تومي كمناضلة حزبية فقط ونحن نتكلم عن شروط التحاقها بالحكومة. هي التي انضمت للحكومة بعد انشقاقها عن حزبها (التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية)، بل انشقت بسبب هذا الالتحاق بالحكومة. خليدة التي لم تقتصر تجربتها الحزبية على التجمع فقط، بل عرفت تجربة حزبية أخرى مع حزب الطليعة الاشتراكية (الحزب الشيوعي) وهي طالبة جامعية...

« ابتعدت عن حزب الطليعة لأنه لم يكن يملك برنامجا واضحا، في ما يخص المرأة على وجه الخصوص ».

عدم دقة التصنيف هذا الذي قسمنا على أساسه المسارات السياسية والنضالية يتأكد أكثر مع حالة خليدة التي تمتلك تجربة جموعية ونقابية داخل صفوف الاتحاد العام للعمال الجزائريين من خلال انخراطها في فيدرالية عمال التربية والثقافة التي كانت معروفة بتوجهها اليساري الواضح لغاية نهاية الثمانينات.

أكثر من ذلك، فهذه المناضلة النشطة داخل الحركة الطلابية عُرِفَت منذ الثمانينات كمناضلة نسوية كذلك، بل وكانت على رأس أكثر من جمعية نسوية كجمعية راشدة وقبلها جمعية المساواة من أجل المرأة وانتصار حقوق المرأة.

خليدة التي تملك زيادة على ذلك تجربة برلمانية كمناضلة عن حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية الذي ترأست كتلته البرلمانية¹¹⁶ في بداية العهدة البرلمانية التي لم تُنتَهِها بسبب فصلها من الحزب في 2001 بتهمة "التقرب من الرئيس بوتفليقة وخدمة مشاريعه" صراع مع قيادة التجمع وصلت حسب هذه المناضلة إلى محاولة اغتيالها في تيزي وزو، بمناسبة مشاركتها في مظاهرة (24 جوان 2011)، وفي وقت كانت فيه منطقة

116. لم تحتل هذا الموقع داخل قبة البرلمان إلا امرأتان حتى الآن 2012، خليدة تومي ولويضة حنون عن حزب العمال التي تقاطع مسارها أكثر من مرة داخل البرلمان وفي صفوف الحركة النسوية، وقبلها العمل الحزبي السري في تنظيمات يسارية مع مسار خليدة تومي، كانت آخرها تجربة مجموعة 19 التي طالبت بشكل علني عن طريق رسالة مفتوحة بمقابلة الرئيس بوتفليقة (2016).

القبائل تعيش حالة الغليان التي عرفتھا وتسببت في استقالة وزراء الحزب من الحكومة، اللذان انشقا بدورهما عن الحزب لاحقا (عمارة بن يونس¹¹⁷ وحמיד لوناوسي). خليفة التي كانت لها تجربة «برلمانية» سابقة من نوع آخر خلال فترة الاضطراب السياسي التي عرفتھا الجزائر كعضوة للمجلس الاستشاري الانتقالي الذي عوض حل البرلمان، بعد إلغاء نتائج انتخابات 1992. موقع احتلته كممثلة لجمعية انتصار حقوق المرأة (AIDF).

هذا التنوع في المسار السياسي والجمعوي النقابي لخليفة تومي هو الذي أوصلها للاهتمام بالعمل الحقوقي في مجال حقوق الإنسان كذلك. تنوع قابله من الناحية المهنية استقرار كبير، فلم يعرف عن خليفة من المهن إلا تعليم الرياضيات بثانويات العاصمة التي تنقلت فيها بين أكثر من ثانوية، لتستقر أخيرا في ثانوية حسيبة بن بوعلي للبنات التي كانت قد تحصلت فيها على البكالوريا في صيف سنة 1977.

خليفة التي لم تختف تماما من المشهد السياسي بعد ابتعادها عن الحكومة في 2014، فقد عادت مرة أخرى من باب « المعارضة » حين أعلنت مع مجموعة من الوجهة السياسية في 2016 عن طلبها الرسمي لمقابلة رئيس الجمهورية للتأكد من علمه بالقرارات التي تتخذ باسمه، بما فهم من قبل جزء من الطبقة السياسية وكأنه طلب للتأكد من قدرة الرئيس الصحية على تسيير شؤون الدولة. مسار أنهته خليفة في السجن بتهم فساد كما كان الحال مع الكثير من الوزراء ورؤساء الحكومات.

دالية الغالية الوزيرة المكلفة بالعلاقات مع البرلمان التي التحقت بحكومة سلال في 2016، يمكن عدها من الوجوه الحزبية الممثلة لجبهة التحرير الوطني بعد التعددية، فقد انخرطت هذه المناضلة في الحزب في 1990 لتجد نفسها في عضوية لجنته المركزية بعد عقد كامل من النضال السياسي، قبل أن ترشح في انتخابات 2012 لتفوز بموقع في ولايتها (البلدية)، بعد تجربة مهنية في ميدان صندوق الضمان الاجتماعي.

دالية الغالية، وحتى بعد صراعها مع قيادة الحزب في عهد الأمين العام عمار سعيداني، تمكنت من الوصول إلى نيابة المجلس الوطني الشعبي، كممثلة لبنات جنسها في هذا الموقع الشرفي. موقع أهلها لتخلف مناضل الحزب والوزير المكلف بالبرلمان طاهر خاوة المغضوب عليه من قبل وجوه حزبية، كان من بينها الأمين العام نفسه عمار سعيداني الذي تميز وجوده على رأس الأمانة العامة للحزب، في خلق الكثير من الصراعات من كل نوع، مع أكثر من طرف سياسي، كان من بينهم مدير المخابرات السابق الذي شن عليه

117. كُون عمارة بن يونس حزب الحركة الشعبية الجزائرية في 2011 وعاد وزيرا للمدينة والبيئة في حكومة عبد المالك سلال سبتمبر 2012 بعد أن أعلن عن مواقف مؤيدة للرئيس بوتفليقة منذ انشقاؤه عن التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية.

هجومًا بدا مستغربًا في وقته، ليعلن لاحقًا على استقالة هذا الرجل - المؤسسة المهم (2015).

وزيرات حزبيات يمكن أن نضيف لهن الوزارات المعينات في الفترة الأخيرة في حكومات عبد المجيد تبون ونهاية مرحلة بوتفليقة كما كان الحال مع نادية لعبيدي رغم سامية وموالفي بالنسبة لجبهة التحرير... بالإضافة إلى وفاء شلال بالنسبة للتجمع الوطني الديمقراطي، رغم اتجاه الاعتماد على الوزارات المهنيات الذي بدا كاتجاه غالب فرضته المرأة نتيجة تأهيلها العالي وخبرتها المهنية. في وقت ضعفت فيه الظاهرة الحزبية وقل تركيز مؤسسات الدولة عليها... كما بدأ يسود خلال فترة حكم الرئيس تبون.

الوزارات « المهنيات »

لم تتميز عائلة منتوري بـ « كم » إنتاجها النخبوي فقط، بل بنوعية هذا الإنتاج كذلك، فقد أنتجت هذه العائلة الفرجيوية (ميلة) وزيرتين، يمكن القول أنهما وصلتا إلى الحكومة عبر مسار مهني بحث، بعيدا عن القنوات الحزبية أو الجمعوية، رغم وصولهما إلى الحكومة في فترة تاريخية تميزت بالتعددية الحزبية وبداية بروز قوي للحركة الجمعوية، وهي في بداياتها الأولى بالنسبة لحالة منتوري زهية التي انضمت إلى حكومة سيد أحمد غزالي لمدة قصيرة (فيفري - جويلية 1992). نفس الشيء، وربما أكثر، يمكن قوله حول ابنة عمها فتيحة منتوري التي كانت المرأة الوحيدة غير الحزبية ضمن حكومة علي بن فليس التي تم الإعلان عنها بعد الانتخابات التشريعية التي فاز بها حزب جبهة التحرير (جوان 2002)، لتستمر بعد مغادرته الحكومة من ماي 2003 إلى أبريل 2004.

فتيحة منتوري التي عرفت بمسارها المهني في قطاع البنوك والمالية، كان آخر منصب لها قبل تعيينها في الحكومة سنة 2002 نائبة محافظ بنك الجزائر المركزي، كما كان حال ابنة العم زهية التي كان آخر منصب لها رئاسة جامعة عنابة قبل التعيين في الحكومة كوزيرة للصحة والشؤون الاجتماعية في 1992، فقد عادت الدكتورة زهية أستاذة الطب إلى رئاسة جامعة عنابة في جوان 1991، في عز موجة الاضطرابات التي عرفتها هذه الجامعة، بطلب من وزير التعليم العالي، جيلالي اليابس الذي أقنعها بمساعدته على تهدئة الأوضاع لبعض الأشهر، لغاية نهاية السنة الدراسية، اعتمادا على تجربتها في تسيير معهد الطب الذي سيرته منذ 1985 وجامعة عنابة التي كانت على رأسها لمدة أكثر من خمس سنوات (1985-1990). جامعة عنابة التي كانت مجالا لصراع سياسي حاد بين مجموعات سياسية يقودها أساتذة، كان بعضهم على رأس مصالح إدارية ترشحوا للانتخابات التشريعية، تحت رايات حزبية مختلفة، بما فيها الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وضعية جعلت وزير التعليم العالي

يطلب من رئيسة الجامعة القديمة التدخل لفك الإضراب... هي التي رفضت أكثر من مرة الانضمام إلى حزب جبهة التحرير في ظل الأحادية...

« كان محافظ الحزب يستغل كل فرصة لقاء معه لحثي على الانخراط، بل بعث لي أكثر من مرة بملف الانخراط الذي أرجعته له... فأنا أؤمن بأن الجامعة لا بد أن تكون بعيدة عن التحزب، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمسيرين المركزيين ».

هذه الصورة التي تملكها ابنة منتورة هي التي تكون قد أقنعت رئيس الحكومة سيد أحمد غزالي بتعيينها في الحكومة كوزيرة للصحة، بعد الزيارة التي قام بها لمدينة عنابة... « خرجت من مكنتي المحاصر من قبل المضربين، للتوجه مباشرة للمطار نحو العاصمة، أين استقبلني رئيس الحكومة، الذي أجبت به بأنني أقبل أن أكون وزيرة، حتى في هذه الظروف الصعبة، لكن في القطاعين اللذين أعرفهما جيدا : التعليم العالي والصحة، فأنا لا أريد أن أشارك كواجهة Je ne veux pas faire de la figuration ».

بعد ثلاثة لقاءات مع رئيس الحكومة، تم تعيين زهية منتوري وزيرة للصحة والشؤون الاجتماعية خلفا لابن عمها محمد الصالح...

« لم أخوف كثيرا من المنصب في هذا الظرف الصعب لأن الوضع كان أسهل من أهوال تسيير جامعة عنابة في تلك الفترة المضطربة، زيادة على قناعة راسخة لدي حصلت عليها من تربية عائلتي الوطنية، بأننا لا يمكن أن نهرب من واجباتنا الوطنية في أوقات الشدة ». زهية منتوري التي لم يعرف عنها نشاط سياسي علني بعد هذه التجربة، واكتفت بحياة مهنية في مدينة وهران التي ارتبطت فيها عائليا مع أستاذ تاريخ معروف (الطيب شنتوف). بعد عشر سنوات كاملة، وفي شهر جوان تحديدا من سنة 2002، دخلت منتورية ثانية إلى الحكومة بعد أن اتصل بها المرشح للرئاسات، عبد العزيز بوتفليقة، قبل انطلاق حملته الانتخابية، لكي تكون ضمن مجموعة العمل لتحرير البرنامج السياسي في الشق المتعلق بالمالية والاقتصاد، وهو الاقتراح الذي قبلت به نائبة محافظ بنك الجزائر فتيحة منتوري، بشرط أن تقوم بذلك عن بعد ودون حضور إلى مقر قيادة الحملة الانتخابية.

فتيحة منتوري التي كانت قد قامت بنفس الاستشارة الاقتصادية لصالح مؤسسة الرئاسة في عهد ليامين زروال، من موقعها كمتخصصة في المجال المالي، حول موضوع تبعات استعمال اليورو كعملة تداول على الاقتصاد الجزائري في علاقته بأوروبا. مهمة أنجزتها بنت منتورة كباحثة في مركز الدراسات الاستراتيجية... علاقة مع رئاسة الجمهورية لم تنل رضا مسؤولي القطاع البنكي الذين لم تعجبهم هذه العلاقة المباشرة مع الرئاسة لهذه الموظفة.

الرئاسة التي التحقت بها منتوري فتيحة كمستشارة (1999-2002)، بعد مغادرتها لموقعها الأخير في قطاع البنوك كنائبة محافظ بنك الجزائر...

« الرئيس بوتفليقة هو الذي طلب مني الالتحاق بالرئاسة كمستشارة، بعد أن سمع أن محافظ البنك يريد أن يعينني بواشنطن كممثلة لدى صندوق النقد الدولي... »¹¹⁸ المرادية

أقرب من واشنطن، قال لي الرئيس وهو يخبرني بموضوع التعيين بالرئاسة «.

بعد الانتخابات التشريعية لسنة 2002 التي فاز بها حزب جبهة التحرير تم اقتراح منصب وزيرة منتدبة للإصلاح المالي على فتيحة منتوري، ضمن طاقم حكومة علي بن فليس الأمين العام لجبهة التحرير التي ضمت خمس نساء، من بينهن ثلاث ممثلات لجبهة التحرير فزن في الانتخابات التشريعية، زيادة على خليفة تومي كوزيرة للإعلام والاتصال ومتحدث رسمي باسم الحكومة وفتيحة منتوري...

« الكل كان يعرف أن الرئيس بوتفليقة هو الذي فرضنا في الحكومة، على الأقل أنا وخليفة ». الحكومة التي غادرتها بنت منتورة في أفريل 2004 بعد تعيين أحمد أويحيى على رأسها، لتلتحق مرة ثانية بالرئاسة كمستشارة للرئيس في الجوانب المالية والاقتصادية. عادت فتيحة منتوري في جوان 2007، بعد الانتخابات التشريعية مع حكومة عبد العزيز بلخادم الثانية، لاحتلال نفس الموقع القديم كوزيرة منتدبة للإصلاح المالي. الموقع الذي غادرته بعد عودة أحمد أويحيى في 2008 لرئاسة الحكومة مرة أخرى، للتوجه من جديد نحو موقع الاستشارة برئاسة الجمهورية...

« يبدو أن أويحيى هو الذي أصر على ذهابي من الحكومة للمرة الثانية.. صعوبات كثيرة وجدتها أمامي أثناء هذه التجربة الحكومية مرتبطة بموقع الوزارة المنتدبة نفسها وصلاحياتها غير المحددة، وبكوني امرأة لا تعتمد إلا على تأهيلها في وسط وزارة المالية، الذكوري، ضعيف التأهيل ».

عدم الدقة الكلية للتصنيف الذي اعتمدناه لتقسيم مسارات النخبة النسائية وطرق الوصول إلى عضوية الحكومة، قد نتلمسه مرة أخرى ونحن نتطرق إلى المسار المهني والسياسي للسيدة غلاب مليكة (المولودة ياكرو)، التي قمنا بتصنيفها كوزيرة صاحبة مسار مهني قبل كل شيء، هو الذي يفسر وصولها إلى عضوية الحكومة. نفس الشيء الذي قلناه رغم بعض التحفظات، قبل ذلك، عن المسار المهني للسيدة سعاد بن جاب الله، الذي يؤهلها هي الأخرى لكي تكون مع زميلاتها « المهنيات »، حتى وإن كانت تملك تجربة جمعوية متأخرة (1996) مع جمعية « راشدة » بقسنطينة، جعلتنا نقحمها ضمن ذوات المسار الجمعوي، لأهمية موضوع نشاط الجمعية نفسه وحساسيته.

السيدة غلاب مليكة المولودة ياكرو، ورغم مسارها المهني الذي « لا غبار عليه »، فإنها هي الأخرى تملك تجربة جمعوية في المجالات العلمية، عكس التجربة الجمعوية للسيدة بن جاب الله الأكثر حساسية ربما لارتباطه بقضية المرأة، خلال هذه الفترة من

118. مقر رئاسة الجمهورية بالجزائر العاصمة.

تاريخ الجزائر الذي تحول فيه موضوع « قانون الأسرة » إلى نقطة استقطاب بين مختلف التيارات السياسية والفكرية. وضع يمنح كل الأهمية للعمل الجماعي الذي قامت به الحقوقية بن جاب الله، خاصة إذا عرفنا أن الكثير من القضايا القانونية كانت مطروحة على المشرع ضمن هذا الملف كقضية الولي عند عقد الزواج والكفالة وتعدد الزوجات... إلخ.

فقد عرفت السيدة غلاب كأستاذة للفيزياء النووية بجامعة باب الزوار، وكمسؤولة عن قسم ما بعد التدرج ورئيسة للمجلس العلمي بنفس المعهد. دراستها العلمية الدقيقة التي ختمتها بحصولها على شهادة الدكتوراه من جامعة غرونوبل الفرنسية 1974، كأول إفريقية تحصل على مثل هذه الدرجة في هذا التخصص، لم تمنعها من الاهتمام بالعمل الجماعي ولو بشكل متأخر (1998)، كرئيسة لجمعية النساء الإطارات « أفكار » التي لم تغادر رئاستها إلا في سنة 2006، بالطبع زيادة على الانضمام لبعض الجمعيات ذات الصبغة العلمية في مجال تخصصها الجامعي، بالجزائر والخارج.

مازالت تتذكر السيدة غلاب كيف طلب منها وزير التربية أحمد جبار تحضير نسخة من سيرتها الذاتية مكتوبة وإرسالها إليه وهي تتأهب للدخول الجامعي 1992... « بعثت ما طلب مني وانطلقت بطريقة عادية في تحضير دروسي إلى غاية اليوم الذي اتصل بي فيه أحمد جبار ثانية، لإخباري بتعييني في حكومة عبد السلام بلعيد ككاتبة دولة للبحث العلمي لدى وزير التربية ».

هذا الانضمام للحكومة الذي لم يغير كثيرا من حياة هذه الأستاذة الجامعية... « فلم أطلب سكنا ضمن المحميات الدولية مثلا، باعتبار أن سكني العائلي في وسط المدينة كان بالقرب من إحدى مؤسسات السيادة المحروسة جيدا، ولم أحضر اجتماعات مجلس الوزراء التي كانت من اختصاص الوزير... كنت أشتغل كالعادة على ملفات كان من بينها الملفات المتعلقة بالبيئة لعدم وجود إدارة حكومية مكلفة بها حتى تلك الفترة ». المسار المهني لليلى عسلاوي لم يبتعد عن قطاع العدالة حتى عندما اختارت أن تكون مستشارة لوزير العدل علي بن فليس، مكلفة بالعلاقات العامة والإعلام. وظيفة قامت بها القاضية عسلاوي على مستوى الحكومة حين تعين وزيرة للتضامن ومتحدثة رسمية باسم الحكومة.

لكن قبل ذلك عرفت عسلاوي كقاضية تحقيق ورئيسة غرفة للجنح ومستشارة بمحكمة الاستئناف والمحكمة العليا، قبل تعيينها كوزيرة للشباب والرياضة بحكومة أحمد غزالي/جوان 1991 وإلى غاية استقالته، بعد اغتيال الرئيس محمد بوضياف...

« غزالي قال لي عندما استقبلني : "كنت أسمع عنك كثيرا من بعيد" »، مشيرا ربما إلى الموقف الذي اتخذته القاضية عسلاوي عند تعرض صهرها إلى الطرد من فيلته في الثمانينيات بطريقة مشبوهة¹¹⁹.

بعد هذه التجربة الحكومية الأولى، عادت السيدة عسلاوي للعمل كمكلفة بمهمة لدى رئيس الحكومة رضا مالك، قبل العودة ككاتبة دولة مكلفة بالتضامن الوطني وممتدنة رسمية باسم حكومة مقداد سيفي إلى غاية استقالتها من منصبها (سبتمبر 1994) بعد سماعها عن الاتصالات الأولى بين رئاسة الجمهورية وقيادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ¹²⁰. عودة ثانية للسيدة عسلاوي إلى الإعلام هذه المرة ككاتبة عمود أسبوعي بجريدة لوسوار دالجيري اتخذت عبره العديد من المواقف من القضايا السياسية والاجتماعية المطروحة، كما استمرت في التأليف والكتابة، فصدر لها أكثر من كتاب حول تجربتها السياسية والإنسانية بالجزائر وباريس على شكل روايات وتحاليل سياسية¹²¹. التحقت بالمحكمة الدستورية سنة 2021 بعد تجربة عضوية مجلس الأمة، كما ساد مع الكثير من الوزراء.

نساء أخريات التحقن كوزيرات بالحكومة التي تم الإعلان عنها بعد العهدة الرابعة للرئيس بوتفليقة (2014)، في مواقع داخل الهيئة التنفيذية، أصبحت ملازمة للمرأة كوزارة الثقافة (نادية لعبيدي) أو التربية (بن غبريت نورية) أو وزارة تكنولوجيا الإعلام والاتصال (هدى فرعون وقبلها دردوري فاطمة الزهراء) أو البيئة (دليلة بوجمعة) أو حتى السياحة والصناعات التقليدية (زرهوني نورية / طقابو عائشة).

فقد عينت نادية العبيدي (شرابي) كوزيرة للثقافة بعد إبعاد خليفة تومي. نادية التي عرفت مثل زميلتها السابقة بقربها في مرحلة تاريخية محددة من اليسار الشيوعي فكريا وكوسط عائلي تحديدا، بعد الزواج على وجه التحديد مع أستاذ جامعي كان معروفا هو الآخر بقربه من هذا التيار السياسي الذي كان حاضرا على مستوى الجامعة والحركة الطلابية التي نشطت داخلها طالبة علم الاجتماع نادية شرابي، خلال النصف الأول من سبعينيات القرن الماضي. نادية لعبيدي التي ناضلت لفترة كذلك بعد تخرجها

119. Leila Aslaoui, *Les années rouges*, Casbah Éditions, 2000, p. 148-149.

120. انظر نص الاستقالة في المرجع السابق، ص 298.

121. *Être juge* (Essai), ENAL, Alger, 1984.

Dame justice (Essai), ENAL, Alger, 1989.

Dérives de justice (Nouvelles), Bouchène, Alger, 1990.

Coupables, Éditions buchet chastel, Paris, 2006.

Sans voile, sans remords, Éditions dalimen, Alger, 2012.

Le cartable bleu, Éditions dalimen, Alger, 2011.

Lettres à Neyla-Mériem, Éditions Dalimen, Alger, 2010.

من الجامعة في الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات لغاية الثمانينات، إلا أنها عرفت قبل كل شيء كمخرجة سينمائية وصاحبة شركة إنتاج سينمائي وأستاذة جامعية في ميدان الإعلام بجامعة الجزائر، عندما تم تعيينها في الهيئة التنفيذية. مواقع مهنية عادت إليها بسرعة وزيرة الثقافة مباشرة بعد ابتعادها عن الحكومة في جو من الصراع والتهامات بينها وبين المجموعة البرلمانية لحزب العمال التي اتهمتها بمحاباة شركة الإنتاج التي تملكها وهي على رأس الوزارة وأمور أخرى... جعل الصراع ينتقل من قبة البرلمان إلى العدالة، مما يكون قد أخرج رئيس الحكومة الذي فضل إبعاد هذه الوزيرة التي تكون قد فشلت في احتواء صراع روتيني مع كتلة برلمانية، رغم أن الحكم النهائي للعدالة كان لصالحها بعد عدة سنوات من الانتظار.

تشابه حالة نادية لعبيدي مع زميلتها في نفس الحكومة بن غبريت وزيرة التربية في أكثر من محطة، فالاثنتان من نفس الجيل (من مواليد النصف الأول للخمسينيات)، تتشابهان في نفس الانتماءات الفكرية القديمة، القريبة من اليسار. فالسيدة رمعون المولودة بن غبريت كانت معروفة كذلك كوسط عائلي، على الأقل، بعد ارتباطها من زميلها في قسم التاريخ وابن تلمسان هو الآخر، بقربها من الحزب الشيوعي خلال فترة الدراسة الجامعية، بقسم علم الاجتماع بجامعة وهران خلال سبعينيات القرن الماضي. لكن الذي عرفت به بن غبريت أكثر هو تسييرها لمؤسسات البحث الجامعي التي كانت على رأسها في مدينة وهران التي أقامت فيها، كما جرت العادة عند الكثير من بنات وأبناء تلمسان وهم في طريقهم إلى مراكز القرار والسلطة.

فقد عرفت بن غبريت كمديرة لمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية CRASC لفترة طويلة (1995-2014) تمكنت فيها من التقرب من مراكز القرار بالعاصمة عندما كان عبد العزيز بوتفليقة على رأس الدولة، ابن تلمسان مثلها، والذي يتقاطع تاريخها العائلي بل والشخصي معه بولادتهما بنفس المدينة (وجدة المغربية 1952) حتى ولو كان ذلك في فترات تاريخية متباعدة (1937).

نفس الوصف الذي ينطبق على وزيرات العهدة الرابعة لبوتفليقة على غرار هدى فرعون إيمان، ابنة سيدي بلعباس التي كانت هي الأخرى على رأس مراكز بحث علمية متخصصة تابعة لوزارة التعليم العالي. قبل التحاقها بالهيئة التنفيذية ضمن حكومة سلال، لتقدم كوجه جديد شاب وصاحبة تأهيل علمي عال من قبل الإعلام الرسمي في وقت شاخت فيه الطبقة السياسية. مؤهلات زادت عليها ابنة بلعباس بانخراط داخل صفوف جبهة التحرير التي حصلت فيه على مقعد بلجنته المركزية كعادة النظام السياسي الجزائري المشبع بروح الأحادية الذي يلتحق فيه الوزير، بعد تعيينه في الحكومة، بمراكز

قرار الحزب الملحق بالدولة... التي تكلمت شائعات عن قرب هذه الوزيرة الشابة من بعض وجوهها المنتمية للمحيط العائلي للرئيس نفسه.

سنكون أمام وزيرة « مهنية » مرة أخرى في حالة زهرة دردوري (وزارة تكنولوجيا الإعلام والاتصال) التي سبرت مراكز بحث جامعية في ميدان الإعلام الآلي (1984-1992) هي الأخرى، قبل وصولها على رأس هيئة الضبط لقطاع البريد والمواصلات (2008-2013) بعد تجربة تدريس في الجامعة في ميدان تخصصها الإعلام الآلي. سيدة لم يعرف عنها أي نشاط حزبي مثلها مثل زرهوني آمنة (السياحة والصناعات التقليدية) خريجة المدرسة الوطنية للإدارة التي كانت تجربتها المهنية الوحيدة في ميدان التسيير الإداري في ولاية تلمسان مباشرة بعد التخرج (1979)، لتلتحق بعد ذلك بولاية وهران كأمنية عامة لمدة سنتين (1998-99)، قبل الترقية إلى منصب والي في أكثر من ولاية : تيبازة، مستغانم، وأخيرا عين تموشنت التي بقيت على رأس ولايتها لمدة أربع سنوات (2010-2014) قبل الالتحاق بالحكومة كوزيرة للسياحة لمدة سنة (ماي 2014-2015)، والعودة ثانية إلى ولاية بومرداس كوالية (جويلية 2015).

ابنة عائلة زرهوني الندرومية، كانت علاقاتها العائلية وكوسط اجتماعي مع الهيئة التنفيذية، تاريخيا، أكثر عمقا ؛ فقد التحق بالحكومة قبلها العم نور الدين زرهوني كوزير للداخلية¹²²، بعد تجربته في قيادة المخابرات الجزائرية، والأخ بن عمر زرهوني كوزير للثقافة والإعلام ضمن طاقم حكومة سيفي (1995) وزوج الأخت (طبال فاروق) كوزير للسكن في حكومة عبد السلام (1992).

نفس المسار المهني يمكن الحديث عنه بصدد حالة دليلة بوجمعة المهندسة في ميدان البيئة التي اشتغلت في قطاع الفلاحة لمدة طويلة في منطقتها الأصلية (سطيف/ برج بوعريريج) قبل التنقل إلى العاصمة التي لم يعرف عنها مواقع مهنية خارج قطاع البيئة الذي سيرته كمديرة مركزية مع أكثر من وزير، قبل أن تعين ككاتبة دولة لتهيئة الإقليم والبيئة ضمن طاقم حكومة سلال الأولى (2012) بعد فوز بوتفليقة بعهدته الرابعة (ماي 2014). لتستمر هذه السيدة ضمن حكومة سلال الثانية والثالثة، لكن هذه المرة بعد أن ترقى إلى وزارة كاملة الصلاحية، بعد إضافة قطاع تهيئة الإقليم لها (وزارة تهيئة الإقليم والبيئة 2013/2014). إلى أن تم إبعادها مع ثلاث زميلات أخريات (دردوري/ لعبيدي/ زرهوني) في ماي 2015. علما بأن حكومات سلال الخمس كان عمرها قصيرا جدا لم يتجاوز السنة الواحدة إلا ببعض الأيام منذ أول حكومة له في سبتمبر 2012. حكومات عرفت في الكثير من الأحيان تحويلات جديفة مست العديد من الوزراء.

أخيرا حالة عائشة طقابو التي لا تملك أي انتماء حزبي مع تجربة مهنية، رغم قصرها، تراوحت بين ملكية وتسيير شركة سياحية، قبل الانتقال إلى سوناطراك كمكلفة بالدراسات،

122. كان الوزير الوحيد الذي احتل موقع نائب رئيس الوزراء وهو على رأس وزارة الداخلية.

مما يجعل من الصعب تبرير وجودها داخل الحكومة على هذا الأساس المهني، إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار ما تمثله من بُعد جهوي كأول وزيرة طرقية، في وقت زاد فيه ضغط أبناء أقصى الجنوب من الطوارق للحصول على مواقع لأبنائهم داخل مؤسسات الدولة الوطنية... فكان أن خدم هذا الضغط المرأة قبل الرجل، في هذا المجتمع الأمومي الذي تحتل فيه المرأة مكانة متميزة على أكثر من صعيد¹²³.

خلاصة وبعض الاستنتاجات

وصلت المرأة الجزائرية إلى عضوية الحكومة بشكل متقطع وبكم ضعيف منذ بداية ثمانينات القرن الماضي، بداية من فترة حكم الرئيس الشاذلي بن جديد. نساء جندهن النظام السياسي الجزائري من أوساط اجتماعية غير متجانسة، رغم يسرها في الغالب، ومن مناطق مختلفة من الجزائر (من 18 ولاية فقط من مجموع 58 ولاية¹²⁴)، مع ضعف واضح لبنات الجنوب والهضاب العليا اللاتي لم يستفدن من نفس شروط انتشار التعليم، كما كان الحال بالنسبة لبنات الشمال، على غرار بنات بعض المدن¹²⁵ التي عرف عنها انتشار مبكر للتعليم، كقسنطينة وتلمسان والعاصمة ووهران، زيادة على منطقة القبائل التي أكدت هنا كذلك حالتها كمنطقة ريفية استفادت مبكرا من انتشار التعليم فيها، زيادة على ما استفادت منه من هجرة لأبنائها نحو العاصمة تحديدا، بالإضافة إلى بنات ولايات الشرق الجزائري مثل باتنة وسطيف وميلة وتبسة التي تميز أبنائها بحضور قوي على مستوى النخبة السياسية ككل وليس النسوية فقط.

الوزيرة الجزائرية التي راكمت الكثير من مصادر القوة والجاه داخل وسطها الاجتماعي وعائلتها خلال مسيرة وصولها إلى عضوية الحكومة، مرورا بمؤسسات كثيرة، كان من بينها الحزب والجمعية والشهادة الجامعية والموقع المهني المتميز. لتساهم محطة الحركة الوطنية وثورة التحرير بالشرعية التي تمنحها في إنتاج الوزيرة الجزائرية، بالنسبة للجيل الكبير في السن من الوزيرات.

كما استفادت الوزيرة الجزائرية من المدرسة العمومية بشكل واضح لتكون على رأس مؤسسات التنشئة الأساسية لديها أثناء الفترة الاستعمارية وفي مرحلة الاستقلال بالنسبة للأصغر سنا من الوزيرات. دور كبير للتعليم العمومي، بكل قيمه التي غلب عليها

123. Dida Badi, *Les Touaregs de tassili n'Ajjer*, Mémoire collective et organisation sociale, CNRPAH, Alger, 2012.

124. انتقل عدد الولايات في الجزائر بعد الاستقلال من 15 ولاية إلى 31 ليصل إلى 48 ولاية، وأخيرا إلى 58 ولاية بعد القرارات الأخيرة لتقسيم التراب الوطني (2019).

125. اعتمدنا على مكان مولد الوزيرة وليس ولاية الأصل، لنكون أمام هذه القائمة من الولايات المنتجة للوزيرة الجزائرية.

المحتوى شبه العلماني والوطني لاحقا خلال المرحلة الاستعمارية والبدايات الأولى لفترة ما بعد الاستقلال التي درست فيها أغلبية الوزارات الصغيرات في السن، دون إهمال للشحنة المحافظة والدينية، التي ميزت مؤسسات التعليم التقليدية التابعة للحركة الإصلاحية والتقليدية التي لم تكن غائبة تماما رغم حضورها الضعيف كمؤسسات تنشئة بالنسبة للبنات الجزائرية بالموازاة مع التحاقها بالمدرسة العصرية، قبل الاستقلال وبعده، كما جرت العادة لدى العائلة الجزائرية التي كانت تصر على عدم القطيعة مع هذا التعليم التقليدي كوسيلة حفاظ على الموروث الديني واللغوي الذي لم تكن تضمنه المدرسة العمومية، قبل الاستقلال على وجه الخصوص، وإلى غاية السنوات الأولى للاستقلال.

كل هذا لا يجعلنا نغفل ذلك القرب الذي لاحظناه عند الوزيرة الجزائرية من مؤسسات تنشئة أخرى كالزاوية الدينية التقليدية والمسجد وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في بعض الحالات القليلة. مؤسسات كان لها الدور الكبير في تنشئة هذا الجيل من النساء الوزارات، حتى على حساب العائلة التي ابتعدت عنها وهي في سن صغيرة، من أجل الدراسة في الثانويات بالمدن الكبرى والمتوسطة، قبل التحاقها بالجامعة في عدة حالات في الجزائر والخارج... مما يخفف من تأثير الريف والوسط العائلي بقيمه التقليدية في عملية التنشئة التي عاشها هذه الجيل داخل المدينة الكبيرة التي التحقت بها للدراسة والعمل لاحقا، حتى عندما نكون أمام وزيرات من أصول ريفية من حيث المولد.

الوزيرة الجزائرية التي وصلت إلى الحكومة عن طريق الحزب في أكثر من حالة، كما هو مبين في هذه الدراسة، بعد الاعتراف بالتعددية السياسية وقبل هذه المرحلة، بالنسبة للنساء المعينات داخل الحكومة في مرحلة الأحادية السياسية. أحزاب تمثل العائلة الوطنية أساسا (جبهة التحرير والتجمع الوطني الديمقراطي) بكل ما يميزها من قرب من الدولة الوطنية، بقيمها المركزية المعروفة في الحالة الجزائرية. اقتراب للمرأة من الحزب وصل إلى عضوية المؤسسات القيادية كاللجنة المركزية، في أكثر من حالة كزهور ونيسي ويلي الطيب بالنسبة لوزيرات الأحادية وهدى إيمان فرعون وبثينة شريط وفاطمة الزهراء بوشملة ودالية الغالية بالنسبة لمرحلة التعددية. دون نسيان ذلك القرب الذي لاحظناه مع أحزاب أخرى كالتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية كما كان الحال مع خليفة تومي الذي مثلته في البرلمان وحتى حزب الطليعة الاشتراكية (الشيوعي) جزئيا بالنسبة لنادية العبيدي ونورية بن غبريت اللتان كانتا قريبتين كوسط ثقافي، سياسي وعائلي من هذه العائلة الفكرية والسياسية حتى ولو أننا لا نملك معلومات دقيقة عن انخراطهن في هذا التنظيم الذي كان في شبه سرية خلال مرحلة القرب منه لغاية نهاية الثمانينيات.

الحزب السياسي الذي استمرت المرأة الجزائرية في استعماله أثناء مسيرتها للوصول إلى الحكومة في عهد التعددية كذلك، كما كان الحال مع حائتي فاطمة الزهراء زرواطي

بالنسبة لحزب حركة أمل الجزائر (تاج) الذي وصلت إلى قيادته في مرحلة لاحقة، وبسمة عزوار مع جبهة المستقبل التي مثلتها وهي على رأس وزارة العلاقات مع البرلمان، تم فيها توظيف العمق الجهوي مع رئيسي الحزبين في الحالتين كضمانة تدعم العلاقة السياسية في طريق الوصول إلى الحكومة، خوفا من الانشقاقات التي ارتبطت بمرحلة الوصول إلى الحكومة، كما عبرت عن نفسها لدى الوزير الرجل في أكثر من حالة. دون أن تختفي تماما عند المرأة كما لاحظنا ذلك مع خليفة تومي عند اقترابها من رئاسة الجمهورية في زمن الرئيس بوتفليقة.

كما استعملت المرأة المؤسسات الجمعوية، بعد الاعتراف بالتعددية وقبلها، كما كان الحال مع الاتحاد الوطني للنساء الجزائريات، لتلتحق بالحكومة التي غادرتها بسرعة في بعض الأحيان نتيجة تقلبات الحياة السياسية في الجزائر، ليس خلال فترة الاضطراب الأمني والسياسي (التسعينيات) فقط، التي غابت فيها المرأة من الحكومة، بل حتى بعد عودة نوع من الاستقرار لمؤسسات الدولة الذي لم ينعكس على استقرار الحكومات التي عرفت تغييرات دورية، كما حصل على سبيل المثال مع حكومات علي بن فليس وعبد العزيز بلخادم وأحمد أويحيى وعبد المالك سلال التي استهلكت عددا كبيرا نسبيا من الوزراء، في فترة قصيرة من حكم بوتفليقة، كَوّن فيها الرجل خمس حكومات خلال أربع سنوات فقط (2012-2016) استعمل فيها عددا كبيرا من الوزراء حتى عندما كان يتعلق الأمر بوزارات تقنية، كان يفترض فيها البقاء بعيدا عن الحراك السياسي اليومي والمحافظة على الاستقرار المرجو لإنجاز ما هو مطلوب منها على المستويات الاقتصادية والاجتماعية، نتيجة التوافق الذي تحظى به هذه الملفات.

لم تحصل المرأة الجزائرية إلا على مواقع هامشية داخل الحكومة، رغم تأهيلها العالي وتجربتها السياسية والجمعوية... فاكتفت في الكثير من الأحيان في بداية علاقاتها بالهيئة التنفيذية، بتسيير نيابة وزارة أو كتابة دولة، بصلاحيات محدودة، تحت سلطة الوزير أو رئيس الحكومة الرجل. لتحصل بعد «مرحلة التدريب» هذه على مواقع وزارية كاملة الصلاحيات، وتصل إلى موقع الوزيرة كاملة الصلاحيات. لكن حتى وهي على رأس وزارة، فإن المرأة الجزائرية لم تخرج عن منطق التقسيم الجنسي للعمل السائد اجتماعيا كما يتجلى على المستوى السياسي. ضمن هذه الرؤية، سيرت الوزيرة الجزائرية كقاعدة عامة قطاعات الشؤون الاجتماعية والتضامن والأسرة والصحة والتربية والثقافة وبعض القطاعات التقنية كالبريد والمواصلات والبيئة.

لنتميز بعض الوجوه النسائية بنوع من الحضور السياسي، وهي تكسر هذا المنطق السائد، كما كان الحال مع ليلي عسلاوي التي تحملت مسؤولية التحدث باسم الحكومة، قبل أن تقدم استقالتها بسبب مواقف سياسية متعلقة، كما رأينا ذلك بانطلاق عملية

التفاوض مع قيادة الجيش الإسلامي للإنقاذ. خليفة تومي هي الأخرى حصلت على هذا الموقع كمتحدثة باسم الحكومة لوقت قصيرة، ليبقي ما يميزها حتى الآن هو طول بقائها على رأس وزارة الثقافة (2002-2014) ومسار سياسي متميز بالكثير من المعارك التي دخلت فيها قبل الوزارة وبعدها، مع أكثر من طرف كان من بينها عائلتها السياسية القديمة وبوتفليقة نفسه، الذي دافعت عنه بقوة وهي في الموقع الوزاري لتبتعد عنه، كما بدا للرأي العام، وهي تطالب بلقائه مع مجموعة 19 التي ضمت وجوها تاريخية معروفة وبعض رفاقها من الحركة النسوية كلوية حنون وزهرة ظريف.

الوزيرة الجزائرية التي تفاوتت مدة حضورها في موقع الوزارة، كما هو حال الرجل الوزير تماما. بقاء تراوح بين شهور قليلة، كما كان الحال مع نفيسة لاليام أو انيسة بن عمر (05 أشهر فقط في الحالتين) مقابل (12 سنة) في حالة خليفة تومي، أو سعاد بن جاب الله (11 سنة) وحتى نوار جعفر (9 سنوات)، الوزيران اللتان كان مرورهما بالحكومة أقل صخبا من زميلتهما خليفة. استمرارية لبعض الوزيرات حصل، رغم عديد المرات التي عدلت فيها الحكومات التي كانت داخلها وتغيير رئيس الحكومة نفسه.

عدة تفاسير يمكن تقديمها لفهم هذا الاختلاف في الاستمرارية داخل الحكومة الموجود بين حالة وزيرة وأخرى ليبقي رضا الرئيس هو التفسير الأكثر حضورا لفهم هذه الاستمرارية للوزيرة في موقعها، دون نسيان تقلبات السياسة وموازين القوى التي تتحكم فيها مرحليا باعتبار عضوية الحكومة وسيلة من وسائل الترضية الزبائية التي يقوم بها الرئيس للأحزاب والقوى السياسية والجهات التي لا تزال حساسة جدا لحضور أبنائها وبناتها داخل الحكومات المتعاقبة.

فنارة جعفر، ابنة سطيف، على سبيل المثال، كانت ممثلة لحزب سياسي في حكومة ائتلافية (حزب السلطة الجديد، التجمع الوطني الديمقراطي)، وهو ما قد يفسر استمراريته الكبيرة داخل الحكومة، زيادة على الانتماء الجهوي للشرق الذي تشترك فيه مع زميلتها سعاد بن جاب الله في نفس الحكومة، فقد أصبح من الشائع خلال فترة حكم الرئيس بوتفليقة - نفس الشيء كان يحصل عندما كانت الكفة تميل لأبناء الشرق - أن تمثل ابنة الشرق بنات جنسها وجهتها في نفس الوقت، للحفاظ على نوع من التوازن الجهوي الكمي على الأقل، داخل الحكومات، المختل لصالح أبناء منطقة الرئيس. حال ينطبق على أكثر من وزيرة شاوية (7 وزيرات في حكومات مختلفة منذ مجيء بوتفليقة إلى السلطة)، على غرار نوار جعفر وسكينة مسعدي وبثينة شريط ودردوي فاطمة الزهراء ومونية مسلم وحتى بوشملة فاطمة الزهراء وسعاد بن جاب الله الحركاتية.

سعاد بن جاب الله المولودة بسطيف لم يكن لها انتماء حزبي، ومع ذلك فهي الأخرى تميز مسارها بالاستمرارية مع أكثر من رئيس حكومة في موقعين وزاريين : كتابة الدولة

للبحث العلمي، والتضامن والأسرة كوزارة كاملة الصلاحيات كحال بعض وزراء بوتفليقة من الرجال. وهو نفس حال خليدة تومي التي كانت عميدة الوزارات حتى الآن في نفس الموقع تقريبا (الثقافة)، دون أن تمر بموقع أقل من الوزارة، ككتابة الدولة أو نيابة الوزارة، بل العكس، فقد كان أول منصب لها الإعلام والثقافة، مجتمعين، زيادة على التحدث باسم الحكومة.

خليدة تومي التي لم تمثل حزبا سياسيا داخل الحكومة، إلا أنها كانت وزيرة سياسية بامتياز، دخلت في علاقة سياسية مع الرئيس بوتفليقة الذي فرضها على كل رؤساء الحكومات الأربع الذين اشتغلت معهم على غرار بن فليس وأحمد أويحيى وعبد المالك سلال وعبد العزيز بلخادم الذي كانت في حالة عدم توافق فكري معه، عده الرئيس بوتفليقة كإنجاز مهم له في التوفيق بين الجزائريين... إلى غاية إبعادها عن حكومة سلال الرابعة ودخولها في نوع من المعارضة¹²⁶. حكومات سلال الخمس التي عرفت تحويرات كثيرة خلال مدة قصيرة نسبيا بدءا من 2012، كما كان الحال مع حكومات بوتفليقة في الغالب، رغم الاستمرارية التي ميزت بعض الوزراء القريبين من الرئيس الذي يبقى الضامن الأساسي لهم للبقاء داخل الهيئة التنفيذية.

المرأة التي دفعت ثمنا غاليا على المستوى الشخصي في الكثير من الحالات وهي تحاول الاهتمام بالعمل السياسي الذي أوصلها إلى الانضمام للحكومة. فقد كان هذا الاهتمام بالشأن العام الذي ارتكز على القيام بدراسات عليا متخصصة طويلة والدخول إلى عالم الشغل لاحتلال مواقع مهمة، كان كل هذا النشاط في الغالب على حساب تكوين أسرة¹²⁷. فقد تبين من المعطيات التي توفرها هذه الدراسة أن 07 نساء من المجموع الكلي للوزيرات غير متزوجات أصلا وهن في موقع الوزارة، رغم تقدم سنهن، كما تبينه نتائج معطيات هذه الدراسة... في حين عرفت ست وزيرات أخريات التأخر الكبير في الزواج والطلاق، قبل النجاح مرة أخرى في تكوين أسرة.

معطيات تؤكد أن المرأة تدفع ثمنا غاليا وهي تحاول ولوج الفضاء العام المرتبط بالعمل السياسي، بكل محطاته الحزبية، البرلمانية والحكومية. فضاء لا يزال ذكوريا بامتياز في الجزائر في سلوكياته وثقافته اليومية، رغم النجاحات التي حققتها المرأة على أكثر

126. كانت على رأس المجموعة المعروفة بـ 19 مع لويضة حنون وزهرة ظريف (2016) المطالبة بمقابلة الرئيس بوتفليقة للتأكد من علمه بالقرارات المتخذة باسمه، مما فهم أن طلب اللقاء هو للتأكد من قدرة الرئيس على التسيير السياسي بعد استئصال مرضه.

127. انظر الفصل الثاني من القسم الأول: التمدد والعمل والإطالة في العزوبة (58/41) والفصلين الثاني والثالث من القسم الثاني تحت عنوان: العزوبة الطويلة للنساء، نحو تحول في المجتمع؟ (184/171) والعزوبة الطويلة، نحو نظام زواج أكثر تكيفا (202/185). في مؤلف كمال كاتب أدناه:

Kamel Kateb, *L'émergence des femmes au Maghreb, une révolution inachevée*, APIC Éditions, 2015.

من صعيد، بدءا من استفادتها من التعليم العالي، الذي لم تستطع أن تترجمه دائما على المستوى السياسي وداخل الفضاء العام، رغم أن حضور المرأة داخل الحكومة قد أصبح شيئا مألوفا لدرجة أن عدم حضورها في بعض الحكومات، كما رأينا ذلك، هو الذي أصبح شاذا وغير مقبول بالنسبة للرأي العام الجزائري الذي مازال جزء محافظ منه متحفظا على حضور المرأة في الفضاء العام كما تبينه حملات التشويه التي تعرضت لها بعض الوزيرات، وصلت أصدائها إلى المجال العائلي والشخصي متجاوزة المجال السياسي، رغم التحسن الذي طرأ على الغطاء الدستوري والقانوني، منذ التعديل الدستوري لسنتي 2008 و2016 الذي حاول تقنين نوع من التمييز الإيجابي لصالح المرأة في المناصب السياسية بنوعيتها، تلك التي تحصل عليها عن طريق الانتخابات أو التعيين في المواقع التنفيذية... تم التنازل عنه لاحقا.

الجدول رقم 31 : تاريخ ظهور الوزيرة ومدة بقائها في الحكومة 2015/1982

الاسم واللقب	تاريخ التعيين	القطاع	مدة البقاء عند كل تعيين/ بالشهر	عدد التعيينات
زهور ونيسي	1982 /1984 1986	كاتبة دولة للشؤون الاجتماعية وزيرة الحماية الاجتماعية/ وزيرة التربية	من 12 جانفي 1982 إلى 22 جانفي 1984 إلى 18 فيفري 1986 إلى غاية نوفمبر 1988	3 مرات لمدة ست سنوات/ مع رئيسي حكومتين
خيرة الطيب	1984	كاتبة الدولة للتعليم الثانوي والتقني	من 9 فيفري 1986 إلى نوفمبر 1987	مرة واحدة لمدة 18 شهرا
نفيسة لاليام	1991	وزيرة الصحة	من 18 جوان 1991 إلى 16 أكتوبر 1991 5 أشهر فقط	مرة واحدة/ أربعة أشهر فقط
أنسة بن عمر	1991	وزيرة الشغل والتكوين المهني	5 أشهر فقط / من أكتوبر 1991 إلى فيفري 1992	مرة واحدة فقط
ليلي عسلاوي	1994/1991	وزيرة الشباب والرياضة/ كاتبة دولة لدى رئيس الحكومة مكلفة بالتضامن والعائلة/ متحدث رسمي باسم الحكومة	18 جوان إلى 16 أكتوبر 1991/ إلى غاية فيفري 1992 وإلى جويلية 1992 من أفريل 1994 إلى مارس 1995	
زهية منتوري - شنتوف	1992	وزيرة الصحة والشؤون الاجتماعية	5 أشهر فقط من فيفري إلى جويلية 1992	مرة واحدة فقط
سعيدة بن حبيلس	1992	وزيرة منتدبة لدى رئيس الحكومة مكلفة بالتضامن الوطني	9 أشهر	مرة واحدة فقط

مريم زرداني بلميهوب	1992	وزيرة مستشارة لدى رئيس الحكومة مكلفة بالشؤون القانونية والإدارية	9 أشهر	مرة واحدة فقط
مليكَة علاّب ياكر	1992	كاتبة دولة للبحث العلمي	9 أشهر	مرة واحدة فقط
عائشة هنية سميشي	1995	كاتبة دولة لدى رئيس الحكومة مكلفة بالتضامن	مارس 1995 إلى ديسمبر/ 9 أشهر	مرة واحدة فقط
ربيعَة مشرنن	1997/1996	كاتبة دولة لدى رئيس الحكومة مكلفة بالتضامن والعائلة/وزيرة التضامن الوطني والعائلة	ثلاث سنوات إلا شهرا واحدا	مرّتان
زهية بن عروس	1997	كاتبة دولة لدى وزير الاتصال والثقافة مكلفة بالثقافة	سنتين ونصف السنة	مرة واحدة فقط
بثينة شريط	2002	وزيرة منتدبة لدى رئيس الحكومة مكلفة بالأسرة وقضايا المرأة	16 شهر	مرة واحدة فقط
فاطمة الزهراء بوشملة	2002	وزيرة منتدبة لدى رئيس الحكومة مكلفة بالجالية الوطنية بالخارج	15 شهر	مرة واحدة فقط
ليلي حمو بوتليليس	2002	وزيرة منتدبة لدى وزير التعليم العالي مكلفة بالبحث العلمي	16 شهرا	مرة واحدة فقط
فتيحة منتوري	2002	وزيرة منتدبة لدى وزير المالية مكلفة بالإصلاح المالي	من جوان 2002 إلى ماي 2003 إلى أفريل 2004/ 22 شهرا	مرتين مع رئيسي حكومتين
سكينة مسعدي	2003	وزيرة منتدبة لدى رئيس الحكومة مكلفة بالجالية الوطنية بالخارج	19 شهرا	مرة واحدة فقط
نؤارة جعفر سعدية	2003	وزيرة منتدبة لدى رئيس الحكومة / وزيرة الصحة مكلفة بالأسرة وقضايا المرأة	منذ أكتوبر 2003 إلى سبتمبر 2012	عينت مع رئيسي حكومتين في سبع حكومات متتالية لمدة (09) سنوات
سعاد بن جاب الله	2003	وزيرة منتدبة لدى وزير التعليم العالي مكلفة بالبحث العلمي ووزيرة التضامن والأسرة	منذ أكتوبر 2003 إلى 2014	11 سنة مع 3 رؤساء حكومات

مَرَّتَان	منذ جوان 2002 إلى 2014 / اثني عشرة سنة	وزيرة الاتصال والثقافة ومتحدثة رسمية باسم الحكومة /وزيرة الثقافة	2009/2002	خليدة تومي
مرة واحدة	سنة واحدة مع رئيس حكومة واحد	وزيرة الثقافة	2014	نادية لعبيدي
سنة ونصف مع رئيس حكومة واحد	من سبتمبر 2012 إلى أبريل 2014	كاتبة دولة للبيئة ثم وزيرة تهئية الإقليم والبيئة	2012	دليلة بوجمعة
سنتين مع رئيس حكومة واحد	ماي 2013/2015	وزيرة تكنولوجيا الإعلام والمواصلات	2013	فاطمة الزهرة دردوري
سنة واحدة مع رئيس حكومة واحد	ماي 2014 إلى ماي 2015	وزيرة السياحة والصناعات التقليدية	2014	أمينة زرهوني

الجدول 32 : بعض المعطيات السوسيو - ثقافية للوزيرة الجزائرية

الاسم واللقب	آخر شهادة تعليمية/التخصص	ولاية المولد وتاريخه	آخر منصب مهني قبل التعيين
زهور ونيسي	دبلوم الدراسات المتخصصة/ علم الاجتماع	قسنطينة/1936	مديرة أسبوعية الجزائرية/ نائب برلماني
خيرة-ليلي الطيب	تسجيل في الحقوق بالمغرب	وهران/1939	مديرة ثانوية
نفيسة لاليام	دكتوراه/أستاذة طب توليد وأعراض النساء	الجزائر العاصمة/1924	أستاذة طب/ رئيسة مصلحة
آنسة بن عمر	ليسانس/علم النفس العيادي	قصر البخاري/ المدينة /1953	أستاذة بالتعليم الثانوي
ليلي عسلاوي	ليسانس/حقوق	الجزائر العاصمة/1945	قاضية
زهية منتوري - شنتوف	دكتوراه /أستاذة طب الأطفال	سطيف/1947	رئيسة جامعة عنابة / أستاذة في الطب
سعيدة بن حبيلس	ليسانس /علم النفس وعلوم التربية	تونس/1946	مديرة مدرسة
مريم زرداني بلميهوب	ليسانس /حقوق	الجزائر العاصمة/1935	محامية
مليكه غلاب ياكر	دكتوراه في الفيزياء النووية	آيت حلي/الربعا ناث ابرائن/ تيزي وزو 1942	أستاذة جامعية/باحثة
عائشة هنية سميشي	ليسانس لغة و آداب فرنسية	الجزائر العاصمة/1936	إطار سامي بالخارجية
ربيعه مشرن	مستوى ثانوي/تسجيل في الحقوق	تلمسان/1954	مستشارة بوزارة التكوين المهني
زهية بن عروس	ليسانس/علم النفس	مسيلة/1958	صحفية بالتلفزيون/نائب بالبرلمان
بشينة شريط	دكتوراه/أستاذة علوم التربية	تونس/1955	أستاذة جامعية/نائب بالبرلمان
فاطمة الزهراء بوشملة	ليسانس/حقوق	بريكة/باتنة/1956	محامية/نائب بالبرلمان
ليلي حمو بوتليليس	دكتوراه/أستاذة طب	وهران/1948	أستاذة طب أمراض القلب/ نائب بالبرلمان
فتيحة منتوري	دكتوراه في الاقتصاد /المالية	قسنطينة/1947	نائب محافظ بنك الجزائر
سكينة مسعدي	دكتوراه في الآداب	خنشلة 1948	مفتشة عامة بوزارة التشغيل والتضامن
نوارة سعدية جعفر	ليسانس في الإعلام	سطيف/1950	صحفية بالإذاعة /نائب بالبرلمان

سعاد بن جاب الله	دكتوراه/حقوق	سطيف /1953	أستاذة جامعية /حقوق
خليدة تومي	ليسانس/رياضيات	عين بسام/ بويرة/1958	أستاذة بالتعليم الثانوي/ نائب برلماني
نادية لعبيدي شرابي	دكتوراه في سوسيولوجيا الإعلام	الجزائر العاصمة/1954	أستاذة جامعية /مخرجة سينمائية/ مالكة لشركة إنتاج
مونية مسلم	ليسانس حقوق	تبسة/1961	محامية
دليلة بوجمعة	مهندسة دولة	برج بوعرييج/1954	مديرة مركزية في وزارة الصناعة
الزهراء دردوري	دكتوراه في الإعلام الآلي	باتنة/1955	رئيسة سلطة الضبط المواصلات السلكية
نورية بن غبريت	دكتوراه في السوسيولوجية	وجدة بالمغرب من أصول ندرومية/1952	مديرة مركز بحث وطني
هدى إيمان فرعون	دكتوراه في الفيزياء	سيدي بلعباس/1979	مديرة مركز بحث وطني
أمينة زرهوني	خريجة المدرسة الوطنية للإدارة	تلمسان/1955	والية
عائشة طقابو	ليسانس في الترجمة وتسجيل في ما بعد التدرج	تمراست/1981	مسيرة بسوناطراك/ مالكة شركة سياحية
غالية الدالية	شهادة ما بعد التدرج في علم النفس العيادي	البليدة/1963	ناطقة رئيس المجلس الشعبي الوطني

الفهرس العام للدراسة

7	تقديم عام وبعض قضايا المنهج.....
7	موضوع الكتاب.....
7	محتويات الكتاب.....
22	بعض قضايا المنهج.....

حفريات في سوسولوجيا النخبة السياسية

35	مقدمة عامة.....
37	الإطار العام الاقتصادي والاجتماعي للدراسة.....
39	الموت، الإفكار، والهجرة.....
42	... وتوسيع الملكيات.....
44	بعض دراسات الحالة.....
47	أزمة مجتمع، أم أزمة رأسمالية كولونيالية ؟.....
50	المدينة الجزائرية ميدان للتكديح.....
52	الموظف الاستعماري... الربا وتوسيع الملكيات.....
53	انحطاط وضع العائلات الكبرى.....
54	الفئات الوسطى... في حالة استعمارية استيطانية.....
	الوزير الجزائري: هل تفسر الأصول الاجتماعية المواقع السياسية؟
61	بعض القضايا المنهجية.....
63	جيل جَدّ الوزير. نخبة وزارية غنية لمجتمع فقير.....
66	الوزير ابن القوى الزراعية المالكة الكبيرة والمتوسطة. بعض الاعتبارات المنهجية.....

- أبناء الأغنياء الذين حكموا الجزائر بعد الاستقلال. حالات واتجاهات 70
- مع أبناء الزوايا الأغنياء مرة أخرى..... 75
- بوعلام بسايح المالقاش الفرنكو-إسلامي الذي عمّر طويلا 80
- مصطفى لشرف : المثقف الذي وجد نفسه تحت الأضواء 83
- عندما تتدهور الحالة الاقتصادية للعائلة. بشير بومعزة وآخرون 85
- حالة الأخوين شيبان : مسارات تعليمية مختلفة ومصير واحد..... 88
- طبيب آخر على رأس وزارة الشؤون الدينية في ظرف صعب 90
- الظهور المتقطع لأبناء الغرب قبل وصول بوتفليقة 92
- أبو بكر بلقايد الوزير السياسي..... 93
- الانتشار الوطني لأبناء الفئات الوسطى المالكة 96
- عندما يصل الإخوان المسلمون إلى الحكومة..... 98
- أبناء الفلاحين الصغار الحاضرون في أكثر من موقع 108
- وزراء أبناء منطقة القبائل من الهجرة إلى العمل النقابي 111
- الوزراء المتعلمون من أبناء الريف الفقير..... 114
- عندما يصل أبناء الفقراء إلى الحكومة 116
- رابح بيطاط وشريف مساعدي... اللذان كانا أكثر من وزير 119
- عندما كان مساعدي يريد الالتحاق بالمسرح 122
- الوزراء أبناء المدن... وعدم التجانس 125
- ... أبناء التجار والحرفيين الذين استفادوا من القرب الجغرافي من المدرسة 125
- علي هارون الذي كان يريد الاستقالة من المجلس الأعلى للدولة 127
- الظهور الضعيف والمتقطع لأبناء التجار المزايين 129
- العمل برئاسة الجمهورية كقوة دفع لأبناء بيروقراطية ناشئة 134
- بوعلام باقي، الوجه المحافظ للوطنية الجزائرية 137
- الهادي خذيري الذي لم يكن يصلح ليكون وزيرا 140

- أبناء الموظفين الصغار الذين أصبحوا كبارا 143
- مراد مدلسي، ابن تلمسان الذي اخترق الزمن السياسي 144
- الشيخ بوعمران الذي شاهده الرئيس الشاذلي في التلفزيون 146
- أبناء القطار الذين وصلوا من جهات مختلفة 149
- أبناء المعلمين والأئمة ... على رأس وزارتي التربية والثقافة 156
- انطلاق الصراع على المدرسة في أول سنة للاستقلال 157
- أبناء معلمي اللغة الفرنسية... القبائل وأبناء تلمسان 166
- الوزير ابن العامل الأجير المتنقل بين الضفتين 171
- أحفاد البشاغات والقياد الذين حافظوا على حضورهم 175
- العربي بلخير ابن القايد صانع الرؤساء 177
- طبال فاروق ابن النخبة التلمسانية في أوضح تجلياتها 180
- عندما يتشابه جدّ الوزير 183
- المصاهرة والقرباة عند عائلات الوزراء 184
- حالات عدم التجانس الاجتماعي داخل الوسط المنتج للوزير 188
- جيل الآباء... بين الاستمرارية والقطيعة 189
- وصول أبناء البيروقراطية الناشئة 190
- التمثيل الوطني الواسع جغرافيا لأبناء المعلمين والأئمة 191
- وصول أبناء البيروقراطية الناشئة 192
- الوزراء أبناء العائلات المهاجرة إلى المغرب. شريف بلقاسم الأكثر من وزير 194
- العائلات المهاجرة إلى المغرب. الوصول إلى القصر العلوي 197
- أبناء القضاة ومهن العدالة المتوسطة الأخرى 199
- عبد الحميد أبركان الوزير رئيس البلدية 199
- الأمين خان. الانكسارات الاجتماعية والعائلية المولدة للجذرية السياسية 202
- محمدي محمد الصالح وزير الداخلية ابن القضاة لثلاثة أجيال 203

- أبناء التجار الصغار الذين ارتبطت الهجرة لديهم بالترقية الاجتماعية 204
- أبناء الحرفيين الصغار وغياب أبناء أجراء الزراعة 206
- أبناء الهجرة العمالية القبائلية: من مواقع المعارضة إلى مواقع السلطة 207
- إيسلي محمد أرزقي... خادم الدولة الذي لا يستقيل 214
- بوعلام بن حمودة الذي مثل ولايته التاريخية لأكثر من رُبع قرن 215
- هل مثل أبناء العمال الأجراء الفئات الشعبية الحضرية داخل الحكومات ؟ 217
- أبناء القياد والبشاعات الذين تضاعف حضورهم 220
- عبد المجيد أوشيش ابن البشاغا الذي كان يريد أن يبقى مديرا عاما 221
- أبناء الريف من المُلَّاك الكبار والمتوسطين الذين حافظوا على قوة حضورهم 227
- عالم الريف الفقير وأبنائه المشاهير الأقوياء... كما عبّر عنهم بومدين 229
- الجد والأب والحفيد الوزير... في الاتجاهات الكبرى 236
- الفقير والغني... تقييم الأبناء لمكانة العائلة الاجتماعية 239
- أبناء الفقراء... البكر الذي يدخل سوق العمل مبكرا.
- حالة عبد الله عرباوي الوزير الذي تم التنكيل به 242
- نظرة أبناء الأغنياء 245
- نظرة أبناء المتوسطين المترددين.. شوية، بين ما فوق وما تحت المتوسط 247

المستويات الثقافية لعائلة الوزير

- كيف تطور التعليم في الجزائر منذ بداية القرن 257
- بعض المعطيات التاريخية : المدرسة الفرنسية بين قلة العرض وعدم وضوح الطلب 258
- في المقاومة السلبية 262
- البث والاستقبال، بدل المقاومة 267
- التعليم، بين الندرة والانتقائية 268
- المستفيدون اجتماعيا واقتصاديا هم المستفيدون ثقافيا 271

- الجد... عندما تسود الأمية 274
- الجد الأمي والفقير. المدينة التي لم تساعد في الخروج من الأمية 274
- ... مثلها مثل المناطق الحدودية..... 275
- عندما يكون الجد غنيًا لكنه يبقى أميًا..... 277
- الجد صاحب التعليم العالي. مستوى وشهادات الجد 279
- الجد صاحب المستوى الابتدائي..... 286
- الجد صاحب التعليم المتوسط..... 290
- الأم المتعلمة، ابنة المدينة، والوسط الاجتماعي الغني 292
- المستويات التعليمية لأب الوزير. الاتجاه الثقيل نحو الخروج من الأمية..... 296
- المستويات الجامعية : سيطرة مهن التعليم والعدالة وغياب المهندسين 297
- الأب صاحب التعليم الابتدائي والمتوسط : توسع الطلب على المدرسة الفرنسية والابتعاد عن المقاطعة 300
- معلم القرآن، التاجر الصغير 302
- الأب القايد والعسكري صاحب التعليم الابتدائي..... 303
- الفقراء من أصحاب التعليم القرآني البسيط والأميون 305
- جدي الأمي، جدي المتعلم... في اللاتجانس الثقافي 307
- الوسط الثقافي للوزير الجزائري..... 308

رؤساء الحكومات الجزائريين

أبناء النظام الذين فشلوا في إصلاح نظامهم السياسي

- مقدمة عامة 315
- بعض التساؤلات والمعطيات المنهجية..... 319
- رؤساء الحكومات في الجزائر... جيل أم جيلان أم أكثر ؟ 322
- المنحدرات الاجتماعية... الأغنياء والفقراء وأبناء الفئات الوسطى 328
- رؤساء الحكومات... أبناء مجتمع متحرك..... 332

- رئاسة الحكومة بين أبناء المدينة وأبناء الريف 342
- الأصول الجهوية، قبائل... بمسار خاص..... 348
- رئيس الحكومة.. سياسي أم تكنوقراطي ؟ 352
- سيطرة المفرنس والحقوقي..... 357
- رئيس الحكومة... المغادرة نحو مواقع سياسية أو السجن... 367
- بعض الاستنتاجات... هل هو فشل نظام أم أبناء النظام ؟ 385

الوزيرة الجزائرية

الأصول السوسيو-ثقافية والمسار الطويل والمتقطع نحو الحكومة

- مقدمة عامة وبعض التساؤلات... 393
- كيف ومتى وصلت المرأة الوزيرة إلى الحكومة ؟..... 399
- المرأة... الوصول البطيء والمتقطع إلى قصر الحكومة..... 402
- الوزيرة الجزائرية : من الاجتماعي إلى التحدث باسم حكومات الرجال..... 413
- خلاصة جزئية حول حضور المرأة المتواضع في الحكومات الجزائرية 418
- المنحدرات الاجتماعية للوزيرة الجزائرية:
- من أين جند النظام السياسي الجزائري وزيراته ؟..... 420
- الوزيرات بنات الفلاحين الكبار والمتوسطين. بنات الريف والتراكم الاجتماعي 424
- الوزيرات بنات الوسط الفلاحي الصغير..... 428
- الوزيرات بنات « التحول » والدخول إلى المدينة والهجرة 431
- الوسط الثقافي العائلي للوزيرة الجزائرية 437
- الجدة، القاضي والإمام 440
- حالة عائلة منتوري... استمرارية في عملية إنتاج النخبة..... 445
- انتشار للتعليم... وعدم التجانس في المسارات الاجتماعية والمهنية..... 448
- الانتشار المتقطع للتعليم..... 452
- خلاصة جزئية... هل نحن فعلا أمام وسط اجتماعي متميز؟ 454

- المسار التعليمي للوزيرات الجزائريات ... المحاميات والطبيبات 457
- كيف وصلت المرأة الجزائرية إلى قصر الحكومة ؟ 467
- المسار التاريخي المرتبط بثورة التحرير والحركة الوطنية 468
- المسار المرتبط بالحركة الجمعوية والاتحاد الوطني للنساء الجزائريات 475
- الوزيرات « الحزبيات ». بسمّة، زرواطي، وفاء 482
- الوزيرات « المهنيات » 492
- خلاصة وبعض الاستنتاجات 499

أنجز طبعه في ماي 2025
على مطابع عمار قرفي - باتنة - الجزائر